البارزاني مصطفى

قائد من هذا العصر

الإهداء...

الى الشعب الكوردي الذي ناضل بالبندقية.. وعشق الحرية.. وسطر الملاحم في ذري جبال كوردستان الأبية.. بقيادة القائد الكوردي المعاصر ملا مصطفى البارزاني.. أهدي هذا الكتاب...

المؤلف

البارزاني مصطفى

قائد من هذا العصر

حبيب تومي



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل – اقليم كردستان العراق

دار اراس للطباعة والنشر
شارع گولان – اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الألكتروني aras@araspress.com
الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

حبيب تومي
البارزاني مصطفى قائد من هذا العصر
منشورات اراس رقم: ١٣٤٤
الطبعة الآولى ٢٠١٢
كمية الطبع: ١٠٠٠ نسخة
مطبعة اراس – أربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٢٥٧٧ /٢٠١٢
الاخراج الداخلي والغلاف: آراس أكرم

ردمك:
ISBN: 978-9966-488-14-7

الفهرست

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر

المقدمة

عودة البارزاني

بقلم: فلك الدين كاكه يي

وكأني بالفيلسوف الألماني فردريك نيتشة المتوفي سنة ١٩٠٠م. وهو يستنبط من تراث الحكيم زرادشت فكرة الصورة السرمدية التي كشف عنها في كتابه (هكذا تكلم زرادشت).. أقول: ان نيتشة إنما يعبر ايضاً عن مسيرة مصطفى البارزاني الذي كلما حاول خصومه إخفاء وطمر حقيقة كفاحه وأهدافه الإنسانية، إذا به يتجلى من حيث لا يتوقعون ولا يريدون، سواء في كتاب او حديث مهم او تذكير بالماضي القريب.

صدر مؤخراً (في ايلول ٢٠١٢) كتاب للمفكر اللبناني كريم مروة عن قادةوزعماء القرن العشرين، بمن فيهم البارزاني الى جانب غاندي ولينين ونيلسون مانديلا وجمال عبد الناصر وهوشي منه وغيرهم.

قال كريم مروة في البارزاني بحق وإنصاف، ما ينبغي ان يقوله مفكر متنور كبير في مسيرة إنسان كافح وقاوم الظلم وأعتى الأسلحة لعدة حكومات، بينما هو اعزل ووحيد في معظم الأحيان إذا ما قورنت وسائله الدفاعية المتواضعة للغاية بأسلحة الحكومات والخصوم.

اما الكتاب الحالي للكاتب الكلداني الاستاذ حبيب تومي فهو إضاءة جديدة ساطعة ومعبرة عن القائد البارزاني في القرن العشرين.

اهمية هذا الكتاب تأتي، اولاً من صدورها في وقت تجددت فيه حملات خصوم اقليميا ومحليا بغية تشويه تأريخ البارزاني وأهدافه التحررية الإنسانية. وقد تزامن هذا مع ذاك بعفوية صادقة ليساهم في صيانة حقيقة الامور.

واهمية هذا الكتاب، ثانيا هي في انه شبه موسوعي لانه يحاول جمع ومناقشة اهم محطات ومفاصل سيرة البارزاني وطفولته وعقيدته واشكال كفاحه المثابر، كما يورد أكثرية المصادر المنشورة عنه حتى كتابة الكتاب في آب ٢٠٠٨م، وإذا كانت مصادر عديدة اخرى قد فاتته فربما لكونه متنقلاً في المنافي او ملاحقاً وغير مستقر وهو داخل الوطن، فان ذلك لن يقلل من

اهمية الكتاب الذي سيتحول بدوره الى مصدر ومرجع لمن ياتي بعد الان للبحث في ظاهرة البارزاني وسياسته.

والاهمية الثالثة للكتاب هي في شخصية الكاتب وكونه مثقفا كلدانيا كبيرا في كوردستان والعراق وهو الاول من بين ابناء شعبه (يغامر) بدراسة حياة وكفاح البارزاني على حد تعبيره. ثم ان الكاتب نفسه انغمر خلال سنوات (١٩٦٣ ـ ١٩٦٨) في المقاومة الوطنية وثورة ايلول التي كان البارزاني يقودها في كوردستان ـ العراق.

رغم ان بعض ما يسرده الكتاب قد اتى ذكره بأقلام اخرى في كتب وبحوث سابقة، إلا ان غزارة المعلومات والوقائع التي يحرص الكانب على سردها بحيادية وموضوعية، وطريقة السرد الشفاف، ستضع امام الجيل الحالي والأجيال اللاحقة لوحة مضاءة عمّا كان عليه القائد البارزاني.

ولا يخفي الكاتب إعجابه بشخصية البارزاني الإنسانية وتواضعه وحبه للناس وحرصه على احترام القوميات والأديان والمذاهب والثقافات المتنوعة في كوردستان وفي عموم العراق.

وكل من يطالع هذا الكتاب للاستاذ حبيب تومي او يقرأ اي كتاب جدّي عن البارزاني سيخرج بنتيجة مهمة قلما تطرق عليها أحد. وهي أنه حتى خصومه ومنافسيه لم يستطيعوا ان يعثروا على اية كلمة او موقف من البارزاني ينمّ عن تعصب للكرد وحدهم دون غيرهم، او أي استعلاء على اي انتماء آخر او الأنحياز ضده.

في ٢٠١٢/١٠/١٣م. تطرق الرئيس جلال الطالباني في حديث له: إن بداية الثورة في ١١ ايلول ١٩٦١م، ذكر ان البارزاني لم يكن يحبذ قيام الكفاح المسلح في ذلك التوقيت، بل إنه (اي البارزاني) كان يريد التريث حتى تتوفر المستلزمات وتتوضح الأمور، وقد تكرر ذكر ذلك من قبل آخرين وفي مناسبات عديدة طوال السنوات الماضية. وفي الواقع يمكن فهم هذا الموقف من خلال معرفة ما كان البارزاني عليه من واقعية وبعد نظر وحكمة وتجربة غزيرة، فهو كان يريد التريث حتى تتوفر أرضية صلبة بالثورة وآفاق مستقبلية أوضح، ورغم ذلك فإنه لم يتوان عن خوض الكفاح حالما شاهد الهجمات القمعية للنظام العراقي ضد الشعب أنذاك، ما معناه انه كان ابعد نظراً. فالمعروف عن البارزاني كونه إنساناً مسالماً لا يرغب في خوض اية معركة إلا إذا بادر الخصوم اليها.

ذلك ايضاً يسجل التاريخ حقيقة مهمة للغاية وهي أن البارزاني كان يبادر الى الهدنة والمفاوضات والحوار كلما تسنى ذلك. وقد بادر للسلام مراراً ولم يرفض مبادرة سلمية من اية حكومة، حتى ان بعض خصومه أخذوا عليه ذلك واتهموه بشتى التهم. ففي آذار سنة

١٩٧٤ ايضا ظل البارزاني يسعى حتى اللحظة الأخيرة كي لا يتجدد القتال في كوردستان الا ان النظام العراقي هو الذي ـ ايضا ـ بادر بالقتال بهجوم عسكري واسع وقصف جوي عنيف منذ نهاية اذار من ذلك العام. ويذكر انه حذر المسؤولين معه في قيادة الحركة انذاك من مغبة استئناف القتال ولم يخفي مخاوفه من المستقبل.

يحضرني هنا ذكريات حادث معبر ففي شهر اب ١٩٧٢، كما اظن، كان روميش شاندرا، رئيس مجلس السلم العالمي انذاك (وكان انذاك مجلسا مهما على الساحة الدولية) كان يزور بغداد وحضر حفلاً للحزب الديمقراطي الكوردستاني والقى كلمة حياّ فيها بحرارة مصطفى البارزاني ووصفه بأكبر رجل للسلام في العالم، ولما كان شاندرا من سكان همالايا فقد اندفع في كلمته الودية وقال مامعناه: انقل لكم تحيات جبال همالايا الى جبال كوردستان. كانت لحظة معبرة عن الصداقة والتضامن بين الشعوب، الا ان قادة النظام العراقي انذاك تذمرو واستاؤوا من كلمة شاندرا.

كنت حاضراً في هذه المناسبة ونقلت هذه الوقائع لجريدة (التآخي) التي نشرتها في اليوم التالي.

اقول ذلك لتاكيد حقيقة اخرى معروفة عن البارزاني وهي رغبته العميقة الصادقة في السلام والاستقرار لشعبه وللشعب العراقي وشعوب العالم.

كان البارزاني بحق رجلاً عظيما للسلام والتضامن وسعادة البشرية.

وقد اختبروعاش سنوات طويلة من الحروب والمنافي والمآسي، فعلمته الحياة الاهمية البالغة للسلام الذي بدونه لن يتقدم الشعب، كما اثبتت وقائع السنوات الاخيرة بعد انتفاضة آذار ١٩٩١ فالكاتب حبيب تومي يذكرنا بكل تلك الدروس والعبر، مدللاً على ان البارزاني ما يزال حياً بيننا من خلال هذه السيرة.

ويشير مراراً الى ان الحياة كانت المدرسة الأساسية التي تعلم منها البارزاني.

لا يفوتني تقديم الشكر الجزيل للكاتب حيث طلب مني كتابة مقدمة للكتاب. وقد حاولت تلبية ذلك، رغم إنني لاحظت فوراً مدى صعوبة وضع مقدمة لمثل هذا الكتاب، والأصعب من ذلك هو الكتابة عن البارزاني، هذا القائد البارز في القرن العشرين، أقول ذلك وأنا استرجع في الذاكرة ما سعى اليه خصومه السياسيون وأعداؤه. فإن الأجهزة العليا لمخابرات بعض الدول جندت مفكريها وكتابها لطمس المعالم الحقيقية لحياة وكفاح البارزاني وحقيقة أهداف ومحاولة اغتيال شخصيته وتشويهها ما امكن بغية غسل ومحو صورته وذكراه والأمل الذي يمثله، من عقول وقلوب الأجيال. فقد صدرت خلال العقود الماضية عشرات الكتب والبحوث

ضد البارزاني سواء في حياته او بعد رحيله. ونتوقف قليلاً عند كتابين:

الأول: كتاب البارزاني الأسطورة والحقيقة لعام ١٩٨٩م الذي وضعه الدكتور فاضل البراك، رئيس جهاز المخابرات العراقية انذاك.

والثاني: كتاب عاصفة الحوادث لعام ٢٠١١ يتضمن مذكرات عيسى يزمان مندوب الشاه الإيراني الخاص بمتابعة الشؤون الكوردية في العراق. كان بزمان الذي نشر كتابه بالفارسية، من كبار ضباط جهاز المخابرات الأيراني المعروف بـ (ساواك) ويشترك الكاتبان في كونهما يسعيان الى الهدف ذاته، ذاك من النظام العراقي وهذا من النظام الإيراني في وقته، بغية تشويه و (إسقاط) الشخصية التاريخية للبارزاني. وكان فاضل البراك، بحكم موقعه، يحوز على كامل ارشيف المخابرات العراقية عن الكرد والبارزاني منذ تأسيس الدولة العراقية حتى وقت صدور الكتاب. فاستفاد من الوثائق المتوفرة لديه لتشويه سيرة وكفاح وأهداف البارزاني. ونشر صوراً كثيرة.

وقد صدر الكتاب بعد القصف الكيمياوي لحلبجة ومناطق أخرى من كوردستان، وعمليات الأنفال بهدف التطهير العرقي. ففي تلك الفترة من عام ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ كان استخدام السلاح الكيمياوي قد الحق خسائر بشرية كبيرة بالمدنيين، وغيّر من موازين القوى فصار البيشمركة يواجهون صعوبات كبيرة بسبب هذا السلاح الجديد مما أثر على مساحة نشاطهم. وفي هذه الفترة ايضاً الحقت عمليات الأنفال خسائر جسيمة بالشعب، ونشرت الرعب والتشاؤم. وكانت اكثر من (٤٥٠٠) قرية قد دمرها النظام وما فيها من حقول زراعية ومصادر للماء ومدارس ومراكز صحية وغيرها.

فكانت كوردستان بشكل عام مدمرة مادياً واقتصادياً واجتماعياً. بقي امام النظام بُعد آخر او مقوّم آخر من مقومات الأمة الكوردية وهو المقوم المعنوي والثقافي. فقد كان البارزاني رمزاً معنوياً مهماً للمقاومة والكفاح (كما هو الآن) فأراد النظام العراقي تحطيم هذا الرمز فأصدر عبر جهاز المخابرات، كتاب البارزاني الأسطورة والحقيقة، بغية تبدبد وإمحاء أسطورة البارزاني التي ترسخت فعلاً عبر عشرات السنين من المقاومة والصبر والتحمل.

إلا ان هذا الكتاب لم يحقق الغاية المطلوبة منه، بل انقلب الى العكس، وسرعان ما ثبت للنظام نفسه ان الكتاب قد ساهم في إحياء وانبعاث فكر البارزاني ونهجه، وفي إثارة سؤال كبير في أذهان الجيل الشاب عن (من هو البارزاني؟)، ولما كان اسمه مرتبطاً بحلقات الكفاح التحرري طوال القرن العشرين فقد استلهم من ذلك الجيل دروساً سريعة كانت على نقيض من غاية الكتاب. لذلك سرعان ما اوقف النظام إعادة طبع ونشر الكتاب بعد ان شاهد الإقبال

الشديد للشباب على اقتنائه!

شرح البروفيسور آزاد النقشبندي في الذكرى التسعين لميلاد البارزاني في اربيل عام ١٩٩٣ شرح كيف ان كتاب البراك قد تحول الى عكس النتيجة المتوخاة منه.

أما كتاب عيسى يزمان المندوب الشخصي للشاه الأيراني والضابط الكبير في جهاز المخابرات الإيرانية خلال ١٩٦٠ ـ ١٩٧٥، فقد صدر هو الآخر مؤخراً في عام ٢٠١٢ ولكن لنفس غاية كتاب المخابرات العراقية، ويذكر ان البعض من خصوم البارزاني المحليين والإيرانيين نظموا عن طريق كاتب كوردي من ايران برنامجاً لتسجيل مذكرات عيسى يزمان ونشرها عسى ان يساهم ذلك في تشويه صورة البارزاني فقد كان عيسى يزمان، وهو ايضاً كردي من أيران، بمساعدة وتمهيد جهاز المخابرات قد استطاع عن طريق بعض عناصر الحزب الديمقراطي الكوردستاني أنذاك من الأتصال بالحركة الكوردية في بغداد منذ عام ١٩٦٠ وراح يتابع الشؤون الكوردية.

وهكذا وظّف يزمان معلوماته ومذكراته عن تلك الفترة للإساءة الى شخصية البارزاني (دون غيره من الكرد في العراق) والتشهير والإفتراء قدر ما يمكن، بل ذكر عبارات رخيصة بذيئة لا علاقة لها بمهمة رجل يتابع شؤون مخابرات بلاده.

إلا أن عيسى ويزمان، رغم تحامله على البارزاني قد اثبت بصورة غير مباشرة، عبر صفحات الكتاب، حقيقتين ظل يكررهما:

اولاً، إن مصطفى البارزاني لم يكن يثق قط بالشاه الإيراني ورجالات نظامه.

ثانياً، إن الشاه ورجالاته ايضاً كانوا يشككون دوماً في مواقف البارزاني، وكانوا يكرهونه. وما عدا ذلك فصفحات الكتاب مكرسة لعلاقات يزمان والمخابرات الإيرانية مع (اصدقاء) معينين من كرد العراق، يذكرهم بالأسماء، وهي تفاصيل تتلخص فيما يسجله اي رجل لمخابرات اية دولة.

ويظهر ان المخابرات الإيرانية كانت تركز على متابعة ومراقبة ما يقول ويعمله البارزاني. هذا الكتاب من مئات الصفحات، قد صدر في ٢٠١١، في وقت تجددت فيه حملة إعلامية واسعة ضد البارزاني سواء داخل كوردستان او في ايران. لماذا؟

لماذا تجديد الحملة في هذه الفترة؟

سؤال كبير يبحث عن جواب ربما البعض يفهمون بعض نقاطه.

إلا ان كتاب عيسى يزمان (المخابرات الإيرانية)، مثل كتاب فاضل البراك (المخابرات العراقية)، أدى الى عكس الغاية المراد منها. فقد اثبت على لسان خصومه وأعدائه مصداقية

مواقف البارزاني واستقلاله الفكري والسياسي عن سياسة الشاه الإيراني، وحذره منها وتخوفه من حيل وألاعيب رجالاتها.

أخيراً.. إذا كان الغرض من تقديم اي كتاب هو الحديث عن اهميته وجدواه فقد أغراني محتوى الكتاب بإطالة الكتابة فأعتذر من الكاتب ومن القراء الكرام في آن واحد. وأجدد التذكير بأن الكتاب يشكل إضافة مهمة الى مكتبة تاريخ البارزاني، وسيتحول الى مصدر آخر الى جانب بقية المراجع، وسيلهم الأجيال فأرجو ان يترجم الى اللغة الكوردية واية لغة أخرى مع التوضيحات المطلوبة والوثائق الجديدة التي تنكشف بين فترة وأخرى.

إن عظماء التاريخ قلما كتبوا شيئاً عن سيرة حياتهم، وكان شأن البارزاني كذلك، إذ رفض ان يكتب عن نفسه وهو على قيد الحياة. ويذكر ان صحفياً اوروبياً زاره في عام ١٩٧٧ وهو يتلقى العلاج في الولايات المتحدة الأمريكية، وطلب منه السماح له لتوثيق تاريخه وذلك بأن يدلي البارزاني بما عنده حتى يعيد الكاتب الأوروبي تنظيم ذلك في كتاب عن سيرته الذاتية. إلا ان البارزاني، كما علمت، قد رفض هذا العرض ايضاً. تماماً مثل الفيلسوف اليوناني سقراط الذي لم يكتب سطراً عن فلسفته وحياته، إنما تلميذه أفلاطون هو الذي كتب كل ما قاله وعمله سقراط، سواء في حواراته مع الآخرين او في وقائع محاكمته الشهيرة حتى لحظة إعدامه، فإن البارزاني ايضاً لم يكتب ولم يقل شيئاً عن حياته، إنما أعداؤه قبل اصدقائه وأنصاره هم الذين سجلوا وقائع فترة ما يزيد عن خمسين سنة من الكفاح والمقاومة والتجارب المرة والحلوة. ولم يكن هذا الكتاب الأخير عن البارزاني بل ستتلوه كتب وبحوث واسعة أخرى طالما بقيت كوردستان التي اصبح البارزاني عنواناً لها طوال الحاضر والمستقبل المنظور.

تمهيد

تحديد الموضوع ومنهج البحث

الأنسان هو ذلك الكائن الفريد المتفوق الذي يتأثر ويؤثر في بيئته الأجتماعية والسياسية والثقافية والجغرافية، وليس غريباً ان يعبر ويكتب بنسيج العلاقات السائدة في كل عصر بطوابع الزمان والمكان، وهو عموماً ينطلق من المكان الذي يقف فيه موجهاً بوصلته، في ظل تلك المعطيات، لبلوغ الهدف المنشود.

إن موقع القوش الجيوسياسي قد وضعنا في محيط فكري سياسي متأثر بما يدور حولنا من أحداث دراماتيكية وما يترشح منها من سياسات وأفكار. إن مرور قافلة الأعوام التي قاربت النصف قرن على انخراطي في صفوف الثورة الكوردية لمدة تناهز الست سنوات من فترة الشباب كان حافزاً لتدوين تلك الفترة، لما كان لها من تأثير على حياتي من جهة التجارب ومن جهة تحمل المصاعب وقساوة الحياة.

حينما اطلعت على كتاب الأستاذ مسعود البارزاني الموسوم " البارزاني والحركة التحررية الكردية " باجزائه الثلاثة وكتب اخرى منها كتاب للدكتور عثمان علي" دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ١٨٣٣ ـ ١٩٤٦ وكتاب وليام أيغلتن الأبن، جمهورية مهاباد الكردية، وكتاب الدكتور عبد الفتاح علي يحي البوتاني" وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية، ملاحظات تاريخية ودراسات اولية" وكذلك كتاب ايوب بارزاني " المقاومة الكردية للاحتلال ١٩١٤ ـ ١٩٥٨ " وكتاب يونان هرمز " ايامي في ثورة كردستان" وكتاب الدكتور فاضل البراك " مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة، وكتاب " يقظة الكرد " للمحامي جرجيس فتح الله، وكتاب مهد البشرية وكتب كثيرة أخرى في هذا السياق. إن هذه الكتب وغيرها وما سطر في ثناياها من تفاصيل كانت وراء تبلور الفكرة لكي اباشر في الأشتغال بهذا البحث.

في دراستنا لتجارب الشعوب، ان ثمة عوامل خارجية وداخلية تؤثر على مسيرتها، وعلى العموم فإن حضارة اي شعب تمر بمرحلة مخاض، وقد يكون هذا المخاض طويلاً او قصيراً في المساحة الزمنية والعمق، وهذه هي مرحلة التبدل والغيير، إن أيام او سنين الثورة هي مرحلة المخاض، وفي النهاية تبلغ مرحلة الأستقرار وهي مرحلة البناء، إن هذه التجربة امتدت

على المساحة الأوروبية ومناطق اخرى من العالم إن كان على الجانب الفكري او التطور الحضاري بشكل عام.

لقد اطلعت على الثورة الكردية من مختلف الجوانب والزوايا وفي البداية من دواخلها التي كنا نعيش احداثها اليومية من اوائل عام ١٩٦٣ الى اوائل عام ١٩٦٨ م، ثم قابلت البارزاني الذي كان يقود هذه الثورة بصبر وإرادة، وكنت اعيش مع الشعب الذي كان يغذي الثورة بالمال والرجال، وتكونت لدي فكرة لتقديم بحث يتناول شتى الجوانب لهذه الثورة ورأيت ان تكون الدراسة من الجذور عبر الزمان والمكان، وهذه المعطيات، مع تلك التي احملها في سنين الشباب من العمر، سيشكل منظومة بحث متكامل بين النظري وبين واقع الحياة التي عشته.

ثمة من يرى ان الظروف الموضوعية هي التي تصنع البطل، وحينما تنضج هذه الظروف تكون كفيلة بخلق القائد من رحم المجتمع، لكن قد تكون هذه الفرضية واردة في المجتمعات المتقدمة، لكن ماذا عن المجتعات القبلية التي يخيم عليها التأخر والجهل والفقر؟ وهنا يرى الفيلسوف كارل ياسبرز* ان الوعي التاريخي والأحداث والوقائع التاريخية تقررها البطولات الفردية، ويضيف:

إن احداث الثورة الفرنسية لم يقررها الشعب الفرنسي، ولا العوامل الداخلية والخارجية التي احاطت بتلك الفترة التاريخية، وكان سبباً في حدوث الثورة الفرنسية، إنما الذي أحدث ذلك، البطولات الفردية لقادة الثورة الفرنسية تحديداً، فدراستنا للعام التاريخي بأحداثه، ليس أكثر من محاولة لتبيان ما هو فردي ـ بطولي ـ في هذه الأحداث.

ولكي تكمل افكرة عن اهمية ودور الشخصية الكارزمية في صناعة التاريخ اكمل هذا الأقتباس من كارل ياسبرز في نفس المصدر ص١٠٥ يقول:

إن الوجود الحقيقي يتحقق عندما تختبر الذات نفسها وتصنع شيئاً ما يميزها عن غيرها... فالعالم يقدم للذات بواعث الوقائع، والذات هي التي تصنع هذه الواقائع.، ولولا الذات لما كان للوقائع اي قيمة، عند الحد ترتبط الضرورة للحدث التاريخي بالحرية الفرديةلتصنع الحدث.

بموجب هذه المعادلة الفلسفية سيكون للقائد ملا مصطفى البارزاني دور المبادرة للانطلاق بقضية شعبه ووضعها في سياقها التاريخي.

وقد تقبلت الفكرة باعتبارها تطبيق لأمنية داعبت ذهني ووجدت صداها المقبول في داوخلي وأحساسي العميق، وهكذا اقبلت على الأشتغال بالعمل دون كلل وفي ظل حماس بعض الأصدقاء بتزويدي ببعض المصادر الضرورية. ومن باب الأحاطة بكل جوانب الموضوع تاريخياً ومكانياً، فباشرت في الفصل الأول والثاني بتسليط الأضواء بشكل مختصر على

مـختلف مراحل حياة البـارزاني، وفي الفـصل الثـالث انتـقلت الى الجذور حـيث عكفت على تسليط الضـوء على حياة الشيخ عبد السلام البارزاني (١٨٧٦ ـ ١٩١٤ م) الذي شكل نقطة تحول في تاريخ العائلة البارزانية، وهو الشقيق الأكبر لملا مصطفى البارزاني، أما في الفصل الرابع فـقـد تناولت حـيـاة الشـيـخ احـمـد البـارزانـي (١٨٩٢ ـ ١٩٦٩ م) الذي تسـلـم الأمـارة البارزانية وهو شاب يافع لا يتجاوز عمره ١٨ سنة.

في الفصل الخـامس بدأ نضـال البـارزاني وأشـتـد عوده ونمت عنده ظاهرة الثورة القـومـيـة، لكي يتـحـول الحديث عن جـمـهورية مهاباد في الفصل السـادس ويسـتـمـر في الفصل السـابع، لكن في الفـصل الثـامن تبـدأ مـرحلة عودة البـارزاني الى الوطن من الأتحـاد السـوفـيـاتي في اعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ونبقي بـأحداث هذه الثـورة في الفصل التـاسع ايضـاً، ولكن في الفاصل العـاشـر ننتقل الى مرحلة مـهمـة وهي ثورة آذار ١٩٦١، وفي الفـصل الحـادي عشـر تبقي الثورة مستمرة في ظل الأنقلابات العسكرية وتبدل الحكومات، وفي الفصل الثاني عشر يتناول مسـيـرة الثـورة الكردية من الحكم البـعـثي الأول الى الحكم البـعـثي الثـاني، والفـصل الثالث عشر يستمر في نفس السياق، اما في الفصل الرابع عشر.

فقد تطرقت فيـه الى حكم البعث الثاني ومـوضـوع الحكم الذاتي وتداعيـات الأحداث التي سـوف تسـتـمـر في الفصل الخـامس عشـر ايضـاً، وفي الفصل السـادس عـشـر كان الفصل الأخيـر الذي تناولت فيـه اتفاقيـة الجزائر عـام ١٩٧٥ وتداعياتهـا علي مصـيـر الثـورة الكردية، لأصل فيـه الى خـاتمة الكتـاب حيث الفصل الاخـر وهو السـابع عـشـر الذي تطرقت فـيـه الى احداث مساهمتي في الثورة مع الاحداث التي كانت في المنطقة.

لقد حاولت ان اتوخي الحيطة والحذر، في الموضـوع الحسـاس، وحـاولت دائمـاً ان اقف الى جانب الحـيـاد والموضـوعيـة قدر الأمكان، وقناعـتي إنني قدمت بـحـثـاً مـهنيـاً والحكم الفـاصل سيكون للقارئ الكريم.

المؤلف

....

* محمد سليمان حسن " دراسات في الفلسفة الأوروبية " كارل ياسبرز: مقولات الوجود الإنساني، منشورات دار علاء الدين، دمشق عام ١٩٩٨ ص ١٠٤ ـ ١٠٥

المقدمــة

حقاً انها مغامرة في ان تكتب عن شخصية تاريخية بمستوى ملا مصطفى البارزاني، إنه طريق وعر ومتشعب وشاق، وإن الذي يسلكه لابد ان يتجشم عناء السفر في هذا الطريق الشائك، وعلى الباحث ان يتوخى الحذر في تحليله وأن يفسر ويستنبط ويستخلص من آراء متباينة ومتباعدة ويستشرف من موقع حيادي لكي يثبت على قرار قريب من الواقع ويرتاح اليه ضميره.

فالكتابة عن التاريخ او عن شخصية تاريخية معاصرة كشخصية المرحوم ملا مصطفى البارزاني، لا يعني إطلاق جملتين فحسب، واحدة تمجد بطولة الذات وانتصاراتها مقرونة باخرى تعكس هزيمة الآخر باستمرار، وهذا التصور بالتأكيد سوف يبتعد عن الواقع الموضوعي. فالتاريخ كما في الواقع الراهن ثمة تحولات وظروف موضوعية ومواجهات وانتصارات وهزائم ونجاحات وإخفاقات، وهذا هو التصور الواقعي لمجريات الحياة والتاريخ.

«نحن امام سؤال طرح سابقاً وسيطرح مستقبلاً: من يصنع التاريخ؟ ومن يقلب الأوضاع ويحدث التغييرات الأجتماعية؟ هل هو البطل الكاريزما وهو فرد استثنائي في المجتمع؟ ام ان هنالك ظروفاً موضوعية اجتماعية وتفاعلات سياسية واقتصادية تخلق إرادة التغيير وتهيئ المناخ الملائم لفرد ما في مجتمع وفي بيئة زمكانية مواتية ليأخذ بيده ناصية الأمور ويقود الجموع الى النتيجة الحتمية المؤدية نحو التغيير. مهاتما غاندي، لينين، هتلر، نابليون، نلسون مانديلا وغيرهم، هل هي الظروف التي خلقت منهم قادة وعظماء؟ اما ان هؤلاء وغيرهم هم الذين خلقوا تلك الظروف وأسسوا على التغيير ولولاهم لما حدث ذلك التغيير الدرامي التاريخي. من المؤكد ان هذا الجدل لن ينتهي ويصل الى قرار في دور الفرد في صناعة التاريخ ام ان المجتمع والأحداث هي التي تصنع البطل والذي ليس سوى مرآة تعكس حقيقة الفعل في اللحظة التاريخية.

ولكن رب سائل يسألني لماذا الكتابة عن ملا مصطفى البارزاني، وأقول انها لحظة تاريخية ان تكون قد عاصرت رجلاً كانت حياته رحلة استثنائية، حياة فيها شئ من كل شئ، جمعت فيها الأنتصارات والأنكسارت، كثرة الخصوم والأعداء وكثافة المحبين والأنصار والمتطوعين،

مواقف انسانية تبلغ تخوم رهافة الفنان، وصرامة القرار والمسؤولية في ساحة الوغى، إنها رحلة فريدة تحت الشمس حرص فيها ان لا ينحني للصعوبات مهما اشتدت وبقيت حياته شامخة كصارية مركب لم تنحن امام الرياح العاتية، ولم يجد الأستسلام منفذاً للولوج الى دواخل حياته».

إن شخصية ملا مصطفى البارزاني طبقت شهرتها الآفاق ونسجت حولها الأساطير والقصص وألفت القصائد والأشعار والأغاني، كما وجهت اليه مختلف التهم، وخوّن وحوكم غيابياً بالأعدام، وشرد ونفي وكوفئ واستقبل استقبال الأبطال ورحب به.. وهلم جراً. وعبر عقود من اواسط القرن الماضي كان اسم ملا مصطفى البارزاني أو تواجده في منطقة ما، يؤخذ ذريعة لتحرك الجيوش ولشن الهجمات العسكرية في البر والجو، لقد كان له حضوراً دائم أعلى الساحة العسكرية والسياسية العراقية على مدى عقود وتوالي حكومات متعاقبة ولم تشهد هذه الساحة الأستقرار السياسي طيلة عقود من القرن المنصرم ولحد هذا اليوم ونحن نولج العشرية الثالنية من القرن الواحد والعشرين.

إن أية فكرة للكفاح او المقاومة تحمل في طياتها الكثير من المعاني، وهي مرآة للدور الذي تضطلع به او السلوكية التي تنتهجها في وسائلها من اجل تحقيق الغايات، فالمقاومة العراقية الذي تدعي مقاومة المحتل، تظهر الوجه السلبي بل تعكس الأرهاب بعينه حينما تنقل المعركة بين المدنيين الأبرياء وتستهدف تجمعاتهم في الأسواق ودور العبادة ومآتم العزاء.. وإن عملياتها العشوائية تضع هذه المقاومة في الصفوف الأولى للأرهاب. إن رموز المقاومة ينبغي ان يتسموا بروح طنية ولهم مكانتهم الأجتماعية والسياسية وهم يعملون على توحيد الخطاب الذي يدعو الى إحقاق العدل والمساواة، وليس مناصرة القوى على الضعيف.

إن ملا مصطفى البارزاني كان في تواضعه وتمسكه بمطلب شعبه في الحرية والحياة لا يختلف بشئ عن القادة العظام الذين كانوا زعماء المقاومة في بلدانهم أمثال نلسن مانديلا وغاندي وعمر المختار، وتكللت اعمالهم بالنجاح الباهر لتحرر شعوبهم، ولم يدخل في اجندة هؤلاء القادة القيام بالأعمال الأنتقامية او عمليات الأرهاب او التمترس بالمدنيين الأبرياء.

على الساحة السياسية الأقليمية كانت علاقات الدول المجاورة والتي تتقاسم الوجود الكردي وهي العراق وأيران وتركيا، فتتعرض للمد والجزر، لكنها تبقى في شهر عسل دائم حينما يتعلق الأمر في القضاء على الحركة الكردية وفي المقدمة التخلص من القيادة التي جسدها بحق الملا مصطفى البارزاني فلا تدخر جهداً ولا تضيع فرصة حيثما يتعلق الأمر بالقضاء على الثورة الكردية.

إنهم يعترفون في المحافل الدولية بشرعية حقوق الأكراد، لكن تبقى مصالحهم بمنأى عن منح هذه الحقوق.

على نواصي الحياة ثمة من ينذر حياته للزهد والعبادة والتقوى، فينزوي في ركن قصي، وينعزل عن العالم ويكرس حياته لعبادة خالقه، ولا يلتفت الى مغريات الحياة ومباهجها. وفي حالة أخرى نري عالماً قد ترك هموم الدنيا واعتباراتها ومشاكلها ومسراتها وكرس حياته للبحث والدراسة، ولا يشغله من شؤون الحياة سوى ما وضعه أمامه قيد الدراسة والتمحيص، وسوف نجد الفنان والرياضي ورجل الدين وغيرهم قد كرسوا حياتهم لما يجدون فيه المتعة والهواية والفائدة.

نحن لا نجانب الحقيقة والواقع لو زعمنا ان المرحوم ملا مصطفى البارزاني، قد كرس حياته منذ نعومة أظفاره وشبابه وحتى ساعة انتقاله الى جوار ربه، قد كرسها لخدمة شعب اسمه: الشعب الكردي، وهذا الشعب يقطن وطناً اسمه: كردستان.

كانت حياة مصطفى البارزاني في حركة دائبة محورها الدفا ع عن حقوق الشعب الكردي: مصيره، توحيده، لغته، استقلاله،حقوقه، همومه أمراضه.. إن هموم هذا الشعب وآماله تتجسد في فكر شخص واحد هو: القائد ملا مصطفى البارزاني.

مفهومية البارزاني للأمور هي منفعة شعبه فالصالح والطالح، هو الصالح لشعبه والطالح هو ما يضر شعبه. فمصلحة الشعب الكردي هو القسطاس الذي يعتمده البارزاني في تقييم امور الحياة، في تحديد الصديق والعدو، هذا هو المبدأ الذي سلكه البارزاني طيلة عقود عمره الزاخرة بالأحداث والحركة الدؤوبة. وقد صدق دانا آدم سميث في وصفه للبارزاني حين قال:

إن مكانة البارزاني عند الأكراد عظيمة جداً. أعتقد انها تنتشر مثل اسطورة أو خرافة الى ما وراء حدود العراق لتبلغ أكراد تركيا وأيران، إنه خبير عسكري وسياسي واقعي، وليس بين الأكراد كلهم من يختزن في ذاكرته هذا القدر العظيم من المعلومات، ومن هو قادر مثله على استخدامها بهذه الدرجة من الدهاء والذكاء سواء في الأمور العسكرية أو السياسية.. ولا يتأخر لحظة بناء الوحدة الكردية وهو أعظم مهندس معماري لها (ألأكراد زهير عبد الملك ص١٦٣).

ملا مصطفى البارزاني لا يعترف بالحدود السياسية المصطنعة التي قسمت شعبه بين الدول، وثورته هي ثورة الشعب الكردي، وفي وقت الضيق ينتقل في المثلث الجغرافي الكردي الممتد بين تركيا والعراق وأيران، وفي معظم الأوقات يكون ملاذه الآمن بين الأبناء البسطاء من الشعب الكردي من الفلاحين والكادحين، وهكذا استطاع البارزاني من السيرورة

والديمومة الى جانب شعبه الى ان وافاه الأجل، لأن قاعدته كانت تمتد جذورها في أعماق الشعب الكردي إن كان في المدينة او في بلدة كردية او قرية منسية في أعالي الجبال او وسط الوديان السحيقة او الشعاب العاصية.

ولكن ماذا عن حكمة البارزاني وعن قيادته وعن قابلياته العسكرية والسياسية؟ وبهذا الصدد ينبغي الأقرار بأننا شعب عاطفي نود ان ان يتحلى القائد بالكاريزما والعصامية، بمنأى عن أي نقد، وينبغي ان يكون بعيداً عن أي اخطاء او هفوات او نقاط ضعف تعتريه في حالات معينة، ونحن ننسى او نتناسى ان هذا القائد ومنهم ملا مصطفى البارزاني هو بشر مثلنا له عقل وقلب، ولحم ودم، ومعرض الى الخطأ كبقية البشر، لاسيما كالقائد مصطفى البارزاني الذي عاش بين المقاتلين، وفي اجواء قتالية وقصف طائرات وبين الضحايا والمجروحين والارامل وأيتام الشهداء وبين فقدان الرفاق في درب النضال وبين الخيانات والأنشقاقات بين رفاق الدرب، وبين جيران لا يسعدهم ان يروا كردي يطالب بحقوقه لئلا تنتقل العدوى الى مواطنيهم الأكراد. وعمل بين دول كبرى وصغرى والصراعات الدولية التي تفكر في المقام الأول بمصالحها، التي هي بدون شك في توطيد العلاقات مع الدول العراق وتركيا وأيران بجهة اهمال وتهميش مصالح الأكراد الذين يسعون لتحقيق مطالبهم من الدول المذكورة اعلاه. ولكن البارزاني كان همه إرضاء الجميع، ويحاول الحصول على اعتراف الغرب وإرضاء أمريكا والأبقاء علي الصلات مع السوفيات، هذا هو عالم السياسة الذي تحرك البارزاني في افقه، إنه السعي الى الموازنة، ولم يكن في وسعه إغضاب أي طرف إنه يحتاج لبلوغ هدفه الى الجميع، وهكذا كان عليه المحافظة علي توازن تلك المعادلة وهي بحق معادلة معقدة.

إن ما استطيع تأكيده ان مصطفى البارزاني اصبح ملكاً للتاريخ وبديهيات ما يمكن قوله انه في تلك الظروف تمكن من ان يؤسس الثورة ويضع اسم شعبه على طاولة المناقشات في المحافل الدولية، وأن يحقق رزمة من المكاسب لشعبه، وأن يكتب اهم فصل على الأطلاق من فصول تاريخ شعبه في التاريخ الحديث.

البارزاني هو ابن عشيرته البارزانية، فقد وجد في ابناء هذه العشيرة الوفاء والأخلاص، وهي بيته الدافئ، وتحملت هذه العشيرة معه ويلات الحروب والتشرد والنفي والسجون والمعتقلات، وكان آخر هذه المآسي ما تعرضت هذه العشيرة وغيرها من أبناء الشعب الكردي من أعمال الأبادة الجماعية في عملية الأنفال السيئة الصيت التي استخدمت فيها الحكومة العراقية الغازات السامة لأبادة هؤلاء القوم.

هكذا علينا إن توخينا الكتابة عن ملا مصطفى البارزاني، ترتب علينا الكتابة عن الشعب

الكردي، وهذه الحالة تتكرر لو شئنا الكتابة عن الشعب الكردي فلا مناص من الكتابة عن الشخصية الكردية التاريخية: ملا مصطفى البارزاني، إذن للأحاطة بالموضوع كان علينا الكتابة عن الشعب الكردي عن ثوراته وعن حالات الأنتصار والأنكسار، عن التشرد والأخفاق وخيانه الصديق...

إنه سجل حافل ذو شجون وسنحاول قراءة هذا السجل بفكر وعقلية حيادية شفافة، وما يمليه الضمير ليس إلا، وينبغي كما ذكرت في البداية توخي الحذر في كيل الأطراء والمديح لانه يؤدي الى عكس النتائج المرجوة، ومن جانب آخر ليس من الأنصاف تزييف الحقائق انتقاماً وانتقاصاً من بارزان ومن البارزاني، وفي الحقيقة ثمة من يسلك بتطرف واحداً من السلوكين ذمّاً او مدحاً، وهنالك بين الأكراد انفسهم من يتأرجح في واحد من الموقفين إزاء قيادة البارزاني مصطفى، وفي فصول هذا الكتاب ستظهر اراء ومواقف متباينة في مطاوي العقود الزمنية التي يتناولها هذا البحث.

إن المصادر المعتمدة قد اشرت اليها وهنالك بعض الكتب والمصادر ذكرتها رغم اعتمادي عليها مرة او مرتين ورأيت ان ذلك يدخل في باب الأمانة والمصداقية.

حبيب تومي / اوسلو في ١١/ ١١ / ١١

الفصل الأول

«في يوم من الأيام التقى ملا مصطفى البارزاني
مع أطفال أكراد في إحدى القرى السوفياتية نظر اليهم وقال
" يا لها من وجوه جميلة! ولكن ليس لهم وطن.
وإن الشعب الذي لا يملك وطناً، كالعصافير بدون عش"
د. دينيس كوماروف ص٤٨».

في هذا الفصل سنكتب بعجالة واختصار على من مجمل حياة البارزاني ونشير الى المراحل المختلفة من حياته، على ان نحاول في قادم الفصول ان نسهب في المحطات التي تحتاج الى تفصيل واستطراد.

الجذور

زعيم الشعب الكردي مصطفى البارزاني كانت ولادته في ١٤ آذار (مارس) ١٩٠٣، ورحيله الى مثواه الأخير في الأول من آذار ١٩٧٩م. سمي بين الشعب بـ (ملا) مصطفى البارزاني تحبباً واحتراماً، لقد وضع قضية شعبه في إطارها القومي للأمة الكردية متجاوزاً الحدود السياسية للدول التي جزأتها، فطفقت القضية الكردية تأخذ طابعها النهائي بعد ان صُهرت في بودقة المصير الواحد لهذه الأمة. ومع المسيرة النضالية لهذا الشعب برز ملا مصفي البارزاني كشخصية كارزمية ينجذب اليها الجماهير الكردية ليس في العراق فحسب إنما من كل ارجاء كردستان.

لقد تعامل ملا مصطفى البارزاني بدراية وحنكة في الحقل الدبلوماسي فطرح قضية شعبه في المحافل الدولية، وقد أفلح في جذب الأنظار لقضية شعبه في عالم كان يتقاسمه محوران، ففي اعقاب الحرب العالمية الثانية وبعد ان وضعت الحرب الساخنة اوزارها، كانت الأوضاع حبلى باستيلاد اوضاع جديدة ما بعد الحرب وكان في جملة ما تمخض عنه الوضع الدولي هي الحرب الباردة بين قوتين جبارتين، وكان كل من هاتين القوتين تستطيع ان تلعب بمصير الحركة الكردية والقضية الكردية بشكل عام، بل بمصير المنطقة برمتها، فوجد البارزاني ان



القبج الطير الجبلي في كردستان

حركته ومصير شعبه معصوراً بين القوتين، إن صح التعبير، والقوتان متمثلتان في المحور الغربي والشرقي وما كانت بينهما من تناقضات وصراعات فأفلح في مناورة الكتلتين دون ان يصل الى تخـوم العـداوة او الوقـوع في احـضـان أي من الكتلتين، فـالأعـتـدال والتـوازن والدبلوماسية مع جميع الأطراف دون ان يقطع شعرة معاوية في أحلك الظروف بينه وبين اي طرف من الأطراف.

إننا لا نقع على أمة أو دولة او قومية تستمر بمفردها وتعيش بنفسها لنفسها، وهكذا كانت رياح التـحرر القومي التي هبت علي القـارة الأوروبيـة قد وجـدت صداها في الأمم المظلومـة، وكرس البـارزاني حياته لكي يغرس بذور الحرية في وطنه بين شعبـه في شامخـات الجبـال وساحقات الوديان وعاصيات الشعاب على امتداد وطنه الكوردستاني، فزرع هذه المبادى وكان لها ثمارها في جيله وفي أبناء الأجيال اللاحقة.

إن مـلا مـصطفى البـارزانـي لم يتطرف قط في المغـالاة في الروح العسكرية، رغم اكتسـابه لهذه المهارات بعد خوض معـارك فعلية وبعد دراسـاته وحيازته على القاب عسكرية، لقد كان يدرك ان على أمتـه ان تلحق بعجلة التقدم العلمي في العـالم ومن اجل ذلك ينبغي القضـاء على آفـات الجـهل والفقـر والأميـة، وإن القـضـاء على هذه الأفـات لا يقل أهمـيـة عن الأنتصـارات العسكرية على الارض.

لكن قبل المضيء قدماً في البحث من الأنصـاف ان نلقي نظرة على قرية متواضعة اسمـها " بارزان " أرادت الأقدار والأحداث المتلاحقة ان يكون لـهذا الأسم صدى في المنطقـة والأقليم والعالم. فما هي قصة هذه القرية التي كانت منسية مثل آلاف القرى ليصبح ذكراها مع مرور السنين على كل لسان.

بارزان

القرية او المدينة كالأنسان إذا عاش حياته الروتينية على ايقا ع واحد يبقي ذكره خاملاً، وتبقى لحظات ولادته وزواجه ومماته هي المحطات الرئيسية التي يذكر فيها، بيد ان الأنسان الذي يأتي بأعمال فائقة ورائدة غير مألوفة فإن الأضواء تسلط عليه للاشارة الى تلك الأعمال اللاروتينية، ويشير د. كونتر اوشنر الى بارزان فيقول: هناك في المنطقة الجبلية الوعرة شمال شرق أربيل وعلى الضفة اليسرى من نهر الزاب الكبير الذي يصب في دجلة، يعيش أتبا ع شيخ بارزان. ليس في بارزان ما يميزها عن بقية القرى الكوردية المجاورة او معالم مميزة يمكن لعابر سبيل ان يلاحظها. وهو يضيف: إلا ان هذه القرية بالذات منبع حركة سياسية بدأت منذ عقود من السنين ولا تزال مستمرة، والتي كان لها الدور الرئيسي في نشر الوعي القومي الكوردي في الأصرار على المطالبة بالأستقلال الذاتي ضمن الجمهورية العراقية[٢].

في معني كلمة بارزان او برزان، لابد من تخصيص دراسة مفصلة لبحث تاريخ هذه القرية، لكن ما يهمنا هنا في هذا البحث ليس جانبها التاريخي او الأنتروبولجي، إنما حراكها السياسي القومي، وفي معنى لفظة بَرَزان اقترح ان نعيد الأسم الى الأصل الآرامي فيكون اصل التسمية منحوتاً من بيت رزان، وذلك توازيا مع بيرستق، باعذري باقوفا، بيبان، باطنايا، بِبيدي، باختمي.. وغيرها من اسماء القرى القديمة التي نحتت من بيث اي بيت مع ما يدل عليها من صفة، وقد يكون الأسم من مركب من بيت مع اسم العشيرة او اسم رئيس العشيرة او رب العائلة. ومن ثم توسعت هذه القرية توسع العائلة لتتحول في المستقبل الى قرية كبيرة او الى بلدة او مدينة كبيرة مع مرور السنين والقرون.

المصادر التي تتكلم عن النهوض السياسي في هذه القرية تسكت عن ماضيها الديني والتي تشير المصادر الكنسية الى وجود شريحة كبيرة في هذا القرية ونستفيد بهذا الصدد من مقال للدكتور فرست مرعي على الأنترنيت والذي اعتمد فيه بشكل رئيسي على المصادر السريانية والذي يختم مقاله بقوله:

إن قرية بارزان كانت مهد تعايش اتبا ع الأديان السماوية الثلاث الأسلام والنصرانية (المسيحية) واليهودية، وإن لكل من هذه الأديان أماكنها الدينية الخاصة بها، وإن النصرانية (المسيحية) بقيت في هذه القرية الى الثلث الأول من القرن العشرين، اما اليهودية فقد بقيت الى منتصف القرن العشرين تقريباً حيث دكت الطائرات البريطانية الكنيس اليهودي عام ١٩٤٥م.. ويضيف بأن بارزان تحتفظ بذكريات هؤلاء في ذاكرتها والتي اصبحت ينبوعاً ثرياً للتسامح والمحبة[٢أ].

إن الأصول للمسيحية في هذه القرية نجدها في إشارات كثيرة ومثل غير حصري مجموعة خطية باللغة السريانية سطرها القس يعقوب بن القس كانون البارزاني أيام كان يدرس في دير الربان هرمزد والذي رسم كاهناً من قبل البطريرك يوسف اودو سنة ١٨٤٩، وفي هذا السياق نصادف اسم القس داؤد البارزاني وله ايضاً مخطوطات كثيرة وجدت في دير الآباء الدومنيكان في الموصل، ونقرأ في نفس المقال للدكتور فرست مرعي عن الخوري يوسف تفنكجي بأن الأخير دبج إحصائية خاصة بكنيسة المشرق الكلدانية ونشرها في الدليل الحبري Pontifico Annuario لسنة ١٩١٤ بعد ان كانت قد نشرت في كتيّب باللغة الفرنسية تحت عنوان (الكنيسة الكلدانية سابقاً ولاحقاً سنة ١٩١٣ وترجمها المطران اندراوس حنا في مجلة نجم المشرق، وقد ورد في هذه الأحصائية ان عدد المسيحيون في قرية بارزان هم ٩٠ نسمة لديهم كاهن واحد، اجل كانت بارزان وغيرها من القري الكردية واحات للتعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود قبل ان تجتاحها الحروب والصراعات، واليوم يعود اقليم كوردستان الوجه المشرق لهذه المنطقة بالتعامل المنصف مع كل المكونات الكوردستانية.

إدارياً فإن بارزان التي نحن بصددها هي ناحية تابعة لقضاء ميركسور التابع لمحافظة اربيل.

في مطلع القرن العشرين تردد اسم البارزانيين في الأندية السياسية وفي وسائل الأعلام المختلفة، وكان ذلك مقروناً بشكل متواز مع ذكر الأكراد، وهكذا يكون للبارزانيين شأن كبير في تاريخ الأكراد هذا ما يكتبه محمد البريفكاني وهو يضيف ان اسم بارزان لمع أثر الثورات المتعددة التي قام بها سكان تلك المناطق في فترات ممتدة منذ العهد العثماني حتي تأسيس الحكم الأهلي في العراق نتيجة الضغط المنصب عليهم من تلك السلطات.. ويقول البيرفكاني:

ذهب كثير من الناس الى ان (بارزان) عشيرة كبقية العشائر.. ولكن الواقع خلاف ذلك فليست هناك عشيرة تسمي بهذا الاسم بل ان بارزان قرية تقع في قضاء الزيبار يطلق على سكانها اسم (البروزيين) ومعناه بالعربية (مقابل الشمس)، وقد استوطنها شيوخ النقشبندية منذ القديم وانتشرت دعوتهم منها وسيطروا بمرور الزمن على العشائر التي تحيطها ومنذ ذلك الحين سموا باسم القرية هذه حيث اطلق عليهم اسم (شيوخ بارزان).. وعلى مرور الأيام اصبح هذا اللقب شاملاً الأفراد والعشائر التي انضوت تحت لواء الشيوخ.. ويتضح من هذا ان البارزانيين ليسوا عشيرة كما يظن البعض بل انهم جماعة متكونة من عدة عشائر تربطها رابطة واحدة هي الطريقة النقشبندية التي بثها شيوخ بارزان في تلك الربوع[٣].

إن الدارج عن البارزانيين اليوم هو العشيرة البارزانية المعروفة والتي تمتد جذور نفوذها الى الشيخ تاج الدين البارزاني رأس الشيوخ في بارزان وكان ذلك عام ١٨٢٥ م يوم اسند

اليه الشيخ طه النهري خلافة الطريقة النقشبندية، والعشائر التي انضوت تحت لوائهم هي عشائر (البروزيين والشيروانيين والمزوري والهركية) ومنطقة بارزان تشمل نواحي " بارزان وميركه سور، ومزوري بالا " وهي النواحي التي كانت خاضعة لنفوذ الشيوخ مباشرة ويحدها من الشمال تركيا ومن الشرق قضاء راوندوز ومن الجنوب قضاء عقره ومن الغرب قضاء دهوك[٤].

تشكل ذرى سلسلة جبال شيروان حدود فاصلة بين العراق وتركيا وفي جنوب هذه الجبال يقع جبل شيرين الذي يحتضن في لحف سفوحه بلدة بارزان والتي كان يبلغ تعداد نفوسها سنة ١٩٦١ م ٢٣٧٠ نسمة، وبلدة بارزان تابعة لقضاء الزيبار، وهي على مبعدة ٢٥ كم شمال شرقي مدينة عقرة، وقريباً من أعالي نهر الزاب الكبير. لقد اتخذ منها عميد الأسرة البارزانية وهو عالم ديني مقاماً له ولأسرته، بعد أن ترك منطقة السليمانية في أوائل القرن التاسع عشر، واستقر في تلك القرية النائية التي يفصلها عن ديار عشائر الزيبار نهر الزاب الكبير. وكان الشيخ علماً من أعلام النقشبندية، له اعوانه ومريدوه بين أكراد المنطقة وبمرور الزمن اصبح رئيساً روحياً وزمنياً على اولئك الأتباع، وانتقلت السلطة من بعده الى اولاده وأحفاده حتي آلت الى الشيخ عبدالسلام والد الشيخ أحمد ومصطفى البارزاني في أوائل القرن العشرين[٥].

ونبقي في منطقة بارزان ولكن هذه المرة برفقة لاهوتي اسكتلندي وزميله السياسي، ونقرأ لهما وهما في هذه الأصقاع في بداية القرن العشرين أي انها كانت تابعة للحكم العثماني. ويريد الكاتبان ان يرسما لنا لوحة فيقولان:

يمتد وادي الزاب (الكبير) وهو مجموعة شعثاء متداخلة من الهضاب والوهاد تجمعت بشكل معقد متشابك مثل تلاطم أماج البحر. وشريط النهر الواسع البراق الذي يكاد يكون هنا يوازي دجلة في حجمه، يسلك سبيلاً ملتوياً زائغاً خلال منعرجات كثيرة التعقيد لا أول لها ولا آخر والجانب المقابل من الهوة العميقة يحده نجد أجرد حفرت فيه أمطار الشتاء ندوباً غائرة، واستند الى آكام محزوزة من الصخور الجيرية وفوقه هنا بامتداد الأفق تشمخ الذرى الثلجية العظمى لجبال حكاري برؤوسها... إن هذه اللوحة الجميلة التي يرسمها لنا الكاتبان لا يلبثان ان ينتقلان بخفة الى شأن الحكومة والسلطان فيضيفان: أن فرمانات السلطان وأوامره هنا لا تسوي شروي نقير دون دون مساندة واضحة من الحراب... وليس لحكومة اسطنبول سلطان يذكر.. هنالك ثلاث درجات لسلامة المسافرين في تركيا الآسيوية: فثمة مناطق هو فيها آمناً مطلقاً، وثمة مناطق تستطيع الضبطية تامين سلامته، وثمة مناطق لا حول فيها للضبطية ولا قوة. إن فرساننا المغاوير اوصلونا بكل امانة الى قرية " بيره كبرة "

الكردية. ورافقونا حتى ضفاف النهر صباح اليوم التالي. ولما بلغنا المعبر انتهت مسؤوليتهما لأنهما لا يستطيعان العبور الى الضفة الأخرى فالبلاد بلاد (الشيخ بارزان)[٦] والشيخ المقصود هنا هو الشيخ عبدالسلام وهو والد ملا مصطفى البارزاني. في هذه الطبيعة تفتحت عيون ملا مصطفى البارزاني وبدأ مشوار حياته التي كرسها لخدمة شعبه، وكان هذا هدفه الأسمى.

اليوم يحصد الشعب الكردي ما زرعه ملا مصطفى البارزاني ورفاقه من الأجيال التي رافقته في دروب التضحية والنضال، ولنطرح سؤالاً:

من هو ملا مصطفى البارزاني ؟

الهوية الشخصية لملا مصطفى البارزاني تقول انه مصطفى بن محمد بن عبد السلام وهو من عشيرة بارزان والتي ورد ذكرها في اوائل القرن الماضي من قبل الدبلوماسي البريطاني المعروف السير مارك سايكس الذي ترك بصماته على المعاهدة بينه وبين نظيره الفرنسي جورج بيكو والتي عرفت باتفاقيات سايكس ـ بيكو لتقسم المنطقة العربية بين بريطانيا وفرنسا في مطاوي الحرب العالمية الاولى. وهكذا اشار سايكس الى العائلة البارزانية سنة ١٩٠٦ وعدد افرادها وما يعرف عنها او ينسب لها من صفات وميول، وظهرت بعد ذلك كتابات تتحدث عنهم في اواخر القرن التاسع عشر واشارت تلك الكتابات الى البارزانيين في سياق حديثها عن شيوخ اشتهروا بالطريقة النقشبندية الصوفية المعروفة[٧]. وسيجري الأشارة الى هذه الطريقة في مطاوي هذا البحث. ينسب الدكتور كوماروف اصل البارزاني الى عشيرة باروجي التي تقطن البارزان من القرن الثامن عشر حتى القرن التاسع عشر، ويعتبر شيوخ برزان تاج الدين وعبدالسلام جد ملا مصطفى البارزاني من شيوخ العشيرة والذين يديرون شؤون العشيرة، وتخضع هذه العشيرة للسلطة الروحية في الطريقة الصوفية النقشبندية، ومعها العشائر المجاورة كالمزوري وشيرواني وغيرهما، وسميت هذه العشائر فيما بعد بـ (البارزانيين)، وغدت بارزان عاصمة لهذه الأمارة الثيوقراطية[٨]. كان قد بني فيها منزل لأداء الذكر ولقاء المتصوفين. وكان مصطفى البارزاني ينتمي الى شيوخ هذه الأمارتية[٩] البطرياركية[١٠]. لكن ثمة مصادر اخرى تسعي الى تأثيل العائلة البارزانية، ونقرأ عن ذلك من ابن العشيرة الأستاذ مسعود البارزاني يقول:

إنه الأخ الأصغر لأربعة أخوة وهم: الشيخ عبدالسلام، الشيخ أحمد، محمد صديق، بابو. وهم أولاد الشيخ محمد الذي وافته المنية سنة ١٩٠٣ في بارزان، والشيخ محمد هو ابن الشيخ عبد السلام المتوفي عام ١٨٧٢ وهو ابن الشيخ عبدالله ابن الشيخ عبدالرحمن ابن

الشيخ تاج الدين ابن سعيد ابن مسعود الذي ينتمي الى سلالة أمراء العمادية[١١] إن تسلسل الأجيال، وهي سبعة أجيال حسب ما اورده الأستاذ مسعود البارزاني الجزء الأول في كتابه الموسوم: البارزاني والحركة التحررية الكردية، ومنها يمكن تخمين الفترة التي قدمت هذه العائلة الى قرية برزان وسيكون في أواخرالقرن السابع عشر او أوائل القرن الثامن عشر.

ولد مصطفى البارزاني في ١٤ آذار سنة ١٩٠٣ في ناحية بارزان التابعة لولاية الموصل والخاضعة للأمبراطوية العثمانية. كان ملا مصطفى زوجاً لثلاث نساء مخلصات يتبعنه في حله وترحاله حتى يصلن معه الى مشارف جبهات القتال، له من الأولاد ثلاثة عشر، منهم ثمانية ذكور وخمس بنات، واولاده هم:

عبيد الله، ولقمان، وأدريس، ومسعود، وصابر، ونهاد، ودلشاد، وسهاد. وكان الاخوان عبيد الله ولقمان لا يشاركان في الكفاح المسلح وهما يقومان بالأعمال الحرة في بارزان. لقد كانت احدى زوجاته همايل وهي من قبيلة الزيبار وابنة محمود آغا الزيباري زعيم قبيلة الزيبار المجاورة لبارزان وكانت الفتاة يومها ابنة ستة عشر سنة يوم تزوجها في حدود عام ١٩٤٥م.

وكان الملا مصطفى البارزاني يومذاك يسعى الى تحشيد القوى الكردية، وأصلاح ذات البين بين هذه العشائر، وكانت المصاهرة خير وسيلة لبناء جسور التفاهم ورأب الصدع بين هذه العشائر، لكن مع هذا انقلب الزيباريون في آخر مرحلة من القتال في إحدي المعارك وانضموا الى القوات الحكومية فانكشف جناح الثوار الدفاعي في آخطر نقطة وفك الحصار في هذه المعركة عن القسم الأكبر من الجيش المحاصر واضطر ملا مصطفى البارزاني الى الأنسحاب نحو الأراضي الأيرانية مع اسرته كما سيأتي في فصول قادمة، لقد اتخذت زوجته همايل قرارها الصعب في ذلك الموقف الصعب، فإما ان تختار والدها الذي يعمل في خانة الحكومة وتعيش في بحبوحة من العيش. أو ان تكون وفية لزوجها وتتحمل معه مشقات الكفاح وقد اختارت همايل الطريق الشاق والصعب، وبقيت مصرة علي ملازمة زوجها والأنحياز الى جانب القضية الكردية[١٢].

لكن هنا ينبغي الأستدراك فالحالة لم تستمر على هذا المنوال ففي أعقاب ثورة أيلول ١٩٦١ التي يقودها البارزاني مصطفى سوف يتبدل الوجه العشائري لهذه الثورة وتأخذ طابعاً وطنياً قومياً، فينخرط في صفوفها مختلف الفصائل من كافة انحاء العراق ومن كردستان سيساهم فيها التنوع الأثني في هذه المنطقة من الأيزيدية والمسيحيين منهم الكلدانيين والآشوريين والتركمان وحتى الأرمن.

وفي هذه الفترة ستشكل الحكومة الأفواج الخفيفة من العشائر التي تقف بالضد من

الثورة الكردية، وكان في مقدمة تلك العشائر الريكانيين وعشيرة الزيبار والسورجيين، ويكتب توما توماس في مذكراته:

ان الحكومات المتعاقبة خصت عشيرة الزيبار بمعاملة متميزة بسبب ما لمسته هذه الحكومات من عشيرة الزيبار من إخلاص واندفاع في تنفيذ المهمات الموكلة اليها. ويستطرد توماس مضيفاً: بأن قسماً من عشيرة الزيبار من الذين تربطهم مع البارزاني علاقة القربي لزواجه من ابنة الشيخ محمود التحقوا بالثورة وما زالوا في مواقع المسؤولية وأثناء الهدنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ م قامت السلطة باغتيال عميد اسرتهم وهو زبير آغا الزيباري بدس السم له (من اوراق توما توماس الحلقة السادسة).

شغلت العائلة البارزانية الدور المحوري في القضية الكردية، فالقيادة البارزانية كانت حريصة على سيرورة الطريقة النقشبندية التي تتسم بالصفاء الروحي، وتغدو الطاعة والتضحية من صفات الأتباع بما يشبه عصبة اجتماعية غير ظاهرة، وهي الخميرة التي بقيت تسري وتنتشر عبر الزمن بين الأتباع وتشد من لحمتهم، وتحتل مكانة متميزة في قافلة نضال الشعب الكردي التي واصلت الحركة مع اقسي الظروف وأصعب الأوقات.

البارزاني.. ثقافته وألقابه

هناك مثل روسي يقول: العمل والتجربة هما أفضل انواع الدراسة، وهنا لا نريد ان نلغي دور الدراسة الأكاديمية لكنها تبقى سجينة الكتب والأوراق بدون ترجمتها الى واقع الحياة، والحياة هي خير مدرسة تعلم الأنسان وتصقل مواهبة وتنمي قابلياته، لاسيما تلك الحياة النابتة في بيئة المصاعب والأهوال والمظالم.

لقد تعلم ملا مصطفى البارزاني في مدرسة الحياة، وكانت فلسفته في الحياة امتداداً لتوجهاته وآرائه ومواقفه، إنها أمر شخصي بحت، وكل إنسان يملك فلسفته في الحياة، فكان له رأيه المتكئ على الواقع، وليس مرتب على رأي فكري فلسفي مرتب مسبقاً وفق دراسة اكاديمية معينة.

إن مقابلتي الشخصية له في رانية سنة ١٩٦٤ لم تكن كافية لبناء راي وتصور كامل، لكن من خلال قراءاتي للمقابلات التي أجريت معه وأحاديثه التي تتسم بالتركيز والأختصار، فإنه يميل الى سرد الأمثال، وهو يحاول وصف الحدث او الظاهرة كما تبدو للتجربة المباشرة، أي ان الحدث هذا يعبر عن نفسه كأمر قائم دون الأستعانة بالمفاهيم والنظريات إنما بالرجوع الى التجربة الأنسانية، وهو دائماً يطرح منهجاً سهلاً عمليًا بعيداً عن امارات التعقيد ومتاهات السياسة.

إن الأحداث الدائمة التقلب والتغير في ربوع كردستان ومنذ نعومة أظفاره وحتى يوم وفاته كانت تفرض نفسها على وعيه وعلى وجدانه، وهو يعني بهذه الحوادث والخبرات بكونها حقيقة نابعة من أرض الواقع، وليست مستمدة من عالم التأويل او التخمين.

الكتّاب والصحفوين الأجانب الذين كتبوا عن الثورة الكردية وقيادتها معدودون ولا يتناسب عددهم مع جسامة الأحداث التي مرت على هذه الرقعة الجغرافية الملتهبة لعقود طويلة، والسبب كما هو معروف، هو الموقع الجيوبوليتيكي لهذه الرقعة، فمن يروم الدخول الى هذه المنطقة عليه اجتياز حواجز ومصاعب تضعها الحكومات: العراقية والأيرانية والتركية أمام الوصول الى كردستان ناهيك عن الصعوبات في التضاريس الجغرافية الوعرة التي تتسم بها هذه المنطقة. لكن مع ذلك فإن ما كتبه الأجانب يعتبر كنز من المعلومات التي دونها هؤلاء الكتاب او المغامرين او الصحفيين الذين كتبوا عن كردستان.

كان الأجانب يكتبون من موقع الحيادي المتفرج على الأحداث وهم بهذا الموقع أكثر دقة لملاحظة الأحداث. فهم ليسوا طرفاً في الأحتراب الدائر وليس لهم محاباة لأي طرف، وهذا يعطينا رأياً خالصاً نحن بحاجة اليه.

لم يحالف الحظ البارزاني في الحصول على تعليمه كما يجب، وكان يشير الى ذلك باستمرار، وفي مرحلة الطفولة المدرسية كانت هناك انتفاضات الشيخ عبد السلام، ومن تبعاتها كان نفي عائلته الى بغداد، وهناك دخل مصطفى المدرسة الدينية وكان أفضل طلابها، وعندما شب وجد نفسه في مسقط رأسه البارزان وتغدو (جامعاته) هي مساهمته في انتفاضات إخوانه، وما ان بلغ الحادية عشر من عمره وذلك سنة ١٩١٤ حتى ذاق طعم النضال وفي عام ١٩١٩ وهو في السادسة عشر من عمره، يقود فصيلة، وفي الوقت ذاته يساهم مصطفى البارزاني مع الآخرين بإنقاذ عائلة البطل الأرمني القومي أندرانيك[١٣].

كان البارزاني يدرك ان الفقر والأمية والجهل هي أمراض أجتماعية وهو يسعى الى درء أخطارها عن شعبه، وهو يدرك أيضاً مدى أهمية الثقافة والعلوم في تطوير بلده، وعن نفسه فإنه كان يستغل الفرص السانحة لكي ينمي قابلياته الثقافية، وفي فترة الأقامة الجبرية في الموصل في تضاعيف سنة ١٩٣٥ عمل مصطفى البارزاني على تثقيف نفسه في هذه المدينة التي كانت تعتبر مركزاً للثقافة.

ويوم كان لاجئاً في الأتحاد السوفياتي وعندما تحسنت ظروفهم سمح للبارزاني بالدراسة في الأكاديمية السياسية في مدينة موسكو وخصصت له دار وسيارة للتنقل. وقد اتصل برفاقه في طشقند واثمرت جهوده في قبول ١٠٤ من الشباب المرافقين له لأدخالهم في



الدراسات الجامعية، من أجل ذلك قسموا الى اربعة مجموعات ووزعوا الى المدن السوفياتية واستفاد هؤلاء من سياسة التعليم السوفياتية والأمتيازات والتسهيلات التي تمنحها الدولة لطالبي العلم.

أقبلوا على دور العلم الأبتدائية والعالية ينهلون منها، أقبال الضامئ الى الماء القراح، حيث كانت ابواب الدراسة من قبل موصدة بوجوههم في وطنهم، وتفتحت قرائحهم وظهرت مواهبهم فنال عدد منهم شهادة الماجستير والدكتوراه وتخصصوا في عدة مسالك علمية، وكان ذلك بتشجيع ورعاية من البارزاني الذي كان يحثهم على الدراسة، وهو نفسه كان مثالاً لهم بصيرورته طالباً وهو في سن تزيد على الخامسة والأربعين، ولم ينقطع عن الدراسة رغم انشغاله بأمور رفاقه واتصالاته الحكومية والخارجية، وبقي يلازم مقعد الدراسة حتى قرعت اجراس ثورة ١٤ تموز وأذنت بتحوّل جديد في مصائر البارزانيين وإلقاء أعباء جسام على كاهل البارزاني، خرجت عن إطار القبيلة والوطن الكردستاني في العراق لتحلّق في مجال ارحب ولتظهر بشكل واضح مواهب هذا القائد الكردي اللامع[١٤].

كان البارزاني يتقن من اللغات العربية والكردية والروسية والفارسية، وكان هو نفسه يؤمن أيماناً عميقاً بفضائل العلم والمعرفة، وكان الحديث يدور كثيراً حول ما يمتلكه البارزاني من نواصي العلم والثقافة والمعرفة، هناك من يحاول الطعن والنيل منه بقلة العلم وكأن معيار الثقافة هو الشهادة الأكاديمية فحسب.

في خلال عملي بالبحر على ظهور البواخر العراقية، كان لي زميل خريج كلية العلوم قسم البيولوجيا، وعلى سطح الباخرة وضعت يدي علي انبوب مطلي باللون الأسود وآخر مطلي

باللون الأبيض، وكان الأسود حار والأبيض بارد وسألنا من باب المزاح صديقنا الخريج لماذا الأنبوب الأسود حار والأنبوب الأبيض الذي يقع اسفله على بعد متر واحد هو بارد فرد بسرعة أن الأسود أقرب الى الشمس من الأنبوب الأسود، وأصر أنه لا يعرف السبب، وفجأة مر من امامنا بحار لم ينهى دراسته المتوسطة وتمكن بجهوده الشخصية باختلاطه مع الروس أثناء العمل ان يتحدث الروسية حتى ان بعض الروس يسألوه عن المدينة الروسية التي درس فيها، وحينما سألناه عن السبب في تفاوت حرارة الأنبوبين قال ألأسود حار لأنه يمتص الحرارة والأبيض بارد لانه يعكسها. ليس بالضرورة ان يكون غياب الدراسة الأكاديمية سبباً في الثقافة العامة والتثقيف الذاتي وتجارب الحياة.

من تعقب حياة الملا مصطفى البارزاني لا يسعه إلا ان يخرج بنتيجة مفادها انه تلقى العلوم والمعارف السائدة في جيله أكثر من أي امرء آخر قضى مثله حياة عاصفة زاخرة بالأحداث الدراماتيكية من خوض معارك فيها الدفاع وفيها الهجوم وفيها المطاردة في الجبال وفيها النفي وفيها المؤامرات على الحياة وفيها خيانة الأصدقاء، وفيها روح العشيرة، والروح القومية إنها حياة دائبة الحركة بين الحل والترحال بعيدة عن الأستقرار والهدوء.

إن الفترتين اللتين اتيح فيهما له فرصة تلقي العلم أهّله ذكاؤه الفطري وحماسته الى استيعاب ما لا يستوعبه غيره في تلك الظروف. ففي حداثته درس اكثر ما يمكن ان يدرسه علماء الدين المسلمين عادة لتلاميذهم المهيئين للمهنة، ويقول جرجيس فتح الله المحامي: شاهدته مرات يجادل علماء الدين في مسائل فقهية وتفسيرية وهو مما لا يتاح إلا لمن أتقن العربية وهو أمر نادر جداً لمن هم في جيله، ويذكر انه في سنوات الغربة في الأتحاد السوفياتي حوالي ١٢ سنة ذكر البارزاني ان كان يدرس الى جانب اللغة الروسية علوم التاريخ والجغرافية ومبادئ الطبيعيات. وقد عاد البارزاني وهو يتقن هذه اللغة اتقاناً أدهش دبلوماسياً بولندياً كنت ذو صلة به في بغداد وهو ذو صلة بالبارزاني. ويضيف هنا جرجيس فتح الله أن هذا الدبلوماسي قال لي: إني اتكلم الروسية كأحد أبنائها فوالدتي روسية إلا ان الخجل يدركني حينما اتحدث بها مع ملا مصطفى فهو يتقن النطق بأصعب حروفها كأنه ولد هناك[١٥].

لقد كان ملا مصطفى يعرف جيداً ما يريده شعبه، وربما أدرك اكثر من غيره حقيقة الأهوال والمصائب التي تكتنف مسيرة شعبه التاريخية، وكان تعبيره عنها يتسم بالواقعية والبساطة ولا يستخدم التعابير والمصطلحات الأكاديمية الحديثة، وهو لا يستخدم القوالب السياسية الجاهزة كما يفعل السياسيون المحترفون ولا يوحي حديثه وإجاباته القصيرة للصحفيين بانك أمام سياسي محترف، إنه ببساطة يتسم بالطابع الواقعي لا يكترث بالتعاليل

والتنظيرات السياسية، إنه يستوحي حديثه من الواقع الآني في ريف كردستان الذي يمثل جوهر الأنسان الكردي. وهذه ربما فرصة ينتهزها منتقدوه لعجزه عن لاستخدام تلك المصطلحات، إنه يعرض الأمور ببساطة ووضوح وهي طريقة لأيصال هموم شعبه في نيل الحقوق القومية والحرية، وهذا هو المهم، فاستخدام المصطلحات والجمل الأنشائية هي من أجل ايصال الفكرة وهو يقوم بذلك على اكمل وجه.

هناك القاب وأسماء وألفاظ ونعوت يكنى بها ملا مصطفى البارزاني، وأحياناً يكون لهذه الألفاظ مواسمها ومناسباتها، فأثناء المفاوضات الحكومية، فإنه مواطن عراقي مخلص، وإذا ما اشتد القتال ومنيت القوات الحكومية بخسائر سرعان ما تتغير تلك الألفاظ الى جاسوس وخائن ومتآمر وهلم جراً من الألفاظ.

يحدثنا رينيه موريس عن أول لقائه بالبارزاني فيقول:

كان اسود الشعر غليظ الحاجبين، أسود العينين ذو نظرة نفاذة عميقة. كث الشارب قصيره لا تجد فيه شعرة واحدة بيضاء، أشم الأنف معقوفة عريض الذقن تمور على شفتيه تباشير ابتسامة تنم عن طيبة قلب وتشيع الوداعة في التقاطيع الفظة للوجه البرونزي، لم أتمكن من تحويل نظري عن هذا الرأس الذي أرصدت الحكومة جائزة قدرها ١٥ مليون فرنك قديم لمن يأتيها به. ويستطرد الكاتب يقول:

توقف قبالتي يلتقط أنفاسه، فمد يداً قوية وصافحني معتذراً عن تأخره ومعلقاً بقوله " الحقيقة إني رجل عجوز " وبعد ان تربع فوق بساط وصلب ساقيه تحته وكان جوربه الذي يكسو ساقيه من غزل الصوف الأبيض المنسوج باليد بطريقة العقدة المقلوبة وافسح لي مكاناً بالقرب منه قائلاً:

هذه المرة الأولى التي يأتينا صحفي اجنبي ونحن نخوض غمار معركة، لذلك نريده ان يعود سالماً ورجاني ان التزم الحذر من أجل سلامتي، ويستطرد الصحفي قائلاً: من بين ما تطرق اليه البارزاني هو وضعهم في جمهورية مهاباد حيث حيك الكثير من المكائد والدسائس على البارزانيين، وضاع الوقت حينذاك بكثرة الكلام والمماحكات فعجل ذلك بخرابنا. والكاتب يصغي الى البارزاني الذي يضيف:

لما كان الخطر بعيداً عنا أخطأ السياسيون وتعثروا، وعندما لجأت الى روسيا لم أكن مختاراً وأنا لست شيوعياً لكنهم يلقبوني بـ " الملا ألأحمر " لأنهم يخافون مني. وأنك تعلم ما تلا ذلك من من أوهام وآمال. في عام ١٩٦١ أرغمت على رفع السلاح ومواصلة الكفاح. هناك مثل عندنا يقول " إذا باشرت عملاً مرة فلا تتركه وإذا تركته مرة واحدة فلا تتابعه بعدها "

إني لم أترك عملي قط.[١٦]

حينما ساءت العلاقة بين الأكراد والحكومة العراقية في عهد عبد الكريم قاسم، لجأ الأخير الى كيل التهم الى الملا مصطفى البارزاني، ويحدثنا عن هذه الحالة العسكري العراقي العقيد حسن عبود الذي قدم الى كردستان من اجل اللقاء مع الملا مصطفى البارزاني بغية حل الخلافات بين الأكراد والحكومة العراقية بالطرق السلمية ويقول عبود: في القصر الملكي في سرسنك الذي يبعد عن الموصل بحوالي ١٣٥ كم الى الشمال الشرقي، أقبل البارزاني يحف به رهط من رجاله المسلحين وهم حرسه... ودهشت كثيراً من البشاشة ولين العريكة التي أبداها البارزاني في حديثه وكنت أتوقع عناداً ومغالطات على أني لاحظت انه كان متأثراً غاية التأثر من النعوت التي كان يطلقها عليه عبد الكريم قاسم مثل: أجير، عميل، امبريالي، رجعي، عشائري، خائن، ناكر الجميل. لاسيما الصفتين الأخيرتين اللتين ظل يرددها بلهجة تساؤل، أأنا خائن، أأنا ناكر الجميل؟

قال إنه لا يطلب لنفسه شيئاً وإنه جُرّ الى القتال جراً... إن كان قاسم لا يرتاح الى وجودي في العراق فأنا على استعداد لمغادرته الى أي جهة يريدها بعد أعطاء الشعب الكردي بعض حقوقه لا كلها... وليطمئن عبد الكريم قاسم بأنه لا يطلب لنفسه شيئاً، ولا زعامة ولا انفصالاً لكردستان[١٧].

التواضع من خصال الكبار

أنبياء وقادة عظام تمكنوا من تبوأ مكانة سامية في قلوب شعوبهم بزهدهم وتواضعهم، واختلاطهم بشعبهم، لقد استطاع السيد المسيح باختلاطه مع شعبه وبتواضعه ان يكسب الشعوب والأمم، وأن تكون الديانة المسيحية بمذاهبها المختلفة ان تكون الأولى في العالم بين الأديان. ويأتي غاندي بملابسه الصوفية المنسوجة يدوياً وغذائه البسيط ليغدو رمزاً وطنياً لشعب الهند بتنوعاته الأثنية والدينية واللغوية، وأن يقود هذا الشعب الى درب الأستقلال بعد قرون من الأستعمار.

نعم إن التواضع هي حالة انسانية كريمة يفوز صاحبها بمكانة عالية بين قومه.

من خلال اختلاطي بالمجتمع الكردي، وهنا أقصد الريف الكردي، فإنهم يبجلون الزعامة، ويرون فيها ضرورة حياتية اجتماعية لا يمكن الأستغناء عنها وغيابها يعني نقيصة او خلل اجتماعي لا بد من معالجته، إن الأكراد بدون زعامة يعيشون كاليتامى بدون زعيم او قيادة، إنهم يخلصون لزعيمهم ويبذلون الغالي والنفيس بشرط ان يقودهم بما يحفظ لهم المنزلة الأجتماعية السامية بين العشائر وفي المجتمع.



إن الزعيم (رئيس العشيرة) مطلوب ان يكون له شخصية قوية بين قومه وأن تكون الشجاعة من خصاله، وينبغي ان يكون كريما سخياً امام الضيوف.

زعامة البارزاني مصطفى تتوفر فيها هذه الشروط لكنه أراد لشعبه الخروج من دائرة العشيرة الى فضاء أرحب وآفاق أوسع الى القومية والأمة الكردية الجامعة، لكنها اليوم امة ممزقة الأوصال.

هكذا كان حديثه مع اطفال أكراد في احدى المدارس في الأتحاد السوفياتي السابق يقول "يا لها من وجوه جميلة! ولكن ليس لهم وطن وإن الشعب الذي لا يملك وطناً كالعصافير بدون عش ".

إن همومه توسعت لتحتضن شعبه وتمحورت حياته حول هدف واحد طيلة سنين حياته.

لقد كان للبارزاني مواقف كثيرة تدل على زهده وبساطته وتواضعه، لكن هذا التواضع لا يمنع ان يكون حدياً وجازما في قراراته ويحدثنا احد معتمديه من المترجمين العراقيين عن موقف حدث لصديقه قيصر* وهو من الملتحقين بالثورة الكردية، ويسردها جرجيس فتح الله المحامي وهو الكاتب العراقي المعروف بمؤلفاته وتراجمه، ونختصر القصة:

كان ملا مصطفى البارزاني قد أصدر أمراً يمنع فيه قطع الأشجار من غابات كردستان، إنها ثروة كردية لا ينبغي قلعها ورميها في النار ومن يلجأ الى ذلك يتعرض لعقوبة شديدة، وفي يوم ربيعي من أيام ١٩٦٩ أتاني الدكتور محمود عثمان وهو سكرتير المكتب التنفيذي وأخبرني ان قيصر قد اودع سجن خلان، والسبب انه كان يصحب لفيف من الصحافيين الى الحدود، وحينما اعترضتهم ساقية ماء منعت من عبور سيارتهم امر (قيصر) بقطع بعض

الأشجار لجعلهم قنطرة تسير فوقها السيارة، وتشاء الصدف ان تمر في تلك اللحظة سيارة قائد الثورة ملا مصطفى البارزاني وبعض معاونيه وحراسه، فأوقف السيارة وترجل منها، وسأل عمن أمر بقطع الشجر؟

فتقدم قيصر من البارزاني قائلاً: ئه زبه به ني ئه ز (فداك أنا الذي..). فقاطعه البارزاني وبصرامة سأله: نافي ته جيه؟ (ما اسمك؟).

فأجابه: قيصر منصور حجي.

فقال له البارزاني: انا منعت قطع الأشجار وأنت موقوف، ثم التفت الى فرنسو حريري وأمره بأخذ قيصر الى سجن خلان، وأردف البارزاني قائلاً: لا يطلق سراحه إلا بأمر مني.

كان سؤال جرجيس فتح الله للدكتور محمود عثمان الذي كان مع البارزاني في هذا الحادث:

وأنت ماذا كان موقفك؟ ألم تجد عبارة تدافع بها عنه؟ ألستم من خولتموه بذلك؟

فبدت علائم الدهشة علي الدكتور وأردف متسائلاً:

أفي موقف كهذا من يستطيع التدخل؟

وتوسط لديه صالح اليوسفي الذي كانت له مكانة خاصة عند البارزاني، ولكن جهوده لم تفلح في أطلاق سراح قيصر ويقول صالح اليوسفي عن مهمته:

بأن البارزاني القي على درساً بليغاً بقوله:

إنكم وافقتم بحماسة على قراري بمنع قطع اشجار غابات كردستان. لو تسامحت هنا لما استطعت عقاب أي فلاح بسيط قد تكون حاجته الى الأخشاب أشد بكثير من وضعها تحت السيارة.

ويستطرد جرجيس فتح الله بسرد القصة فيضيف:

عندها قررت تجربة حظي معه ولم يثبط عزمي، لكن كانت الشكوك تحوم حول نجاحي حيث فشل صالح اليوسفي. ومضيت في مهمتي.

دخلت مجلس ملا مصطفى مع اعضاء المكتب السياسي والتنفيذي وقد جاءوا للمداولة في شأن من شؤون الأدارة. وكانوا على علم بمهمتي، فأفسحوا لي الجلوس على البساط على يساره مباشرة وسارع هو بوضع (زبانة) في سيكَارة كان يلفها اللف المحكم الذي اشتهر به وقدمها لي. وتلك إشارة تكريم لا تخطؤها العين.

يستطر فتح الله قائلاً:



قيصر منصور اثناء التحاقه بالثورة الكردية وهو الواقف الى يمين
القس يوسف بري ويحمل بيده جهاز راديو

إني استطيع ان أجزم جزماً قاطعاً بأنه حزر السبب الذي من اجله أتيت.. وبعد ان انهيت حديثه مع الآخرين التفت نحوي وقال:

تفضل جرجيس، ماذا تطلب؟

قلت: جئت أطلب منك قيصر.

أجاب على الفور ومن دون لحظة تفكير وبهذه العبارة نصاً: وهبته لك.

قلت: سمعت ان اطلاق سراحه لا يتم الا بأمر تحريري وبتوقيع منك.

أجاب: أكتب وسأوقع. وهكذا نجح فتح الله في إطلاق سراح قيصر وهو نجح حيث فشل الآخرون[١٨].

ويحدثنا هرمز يونان الذي تلقي تعليمه في معهد مار يوحنان الحبيب الأكليريكي في الموصل، وانخرط في الحزب الديمقراطي الكردستاني وعمل في جريدة التآخي مترجماً ومحرراً، التحق بالثورة الكردية وأسند اليه مسؤولية الصحفيين الأجانب، وساهم في القسم الفرنسي من إذاعة الثورة وهو يحدثنا عن شخصية البارزاني يقول:

له ثقة عالية بالنفس وبقدرات الشعب الكردي ويقدر عالياً تضحيات الشهداء وأسرهم لا سيما البيشمركة الذين استشهدوا في المعارك.. يضرب الامثال جواباً على سؤال ويروي أحداثاً ليجلب الأنتباه الى نقطة هامة... زاهد في مأكله وملبسه وعن تواضعه ضربت به

الأمثـال ورويت الحكايات، ولعل أبلغهـا مـا اورده حـبيب مـحـمـد كـريم ـ سكرتيـر للحـزب الديمقراطي الكردستاني في وقتها ـ في كتاب " مؤتمر الذكري التسعين لميلاد البارزاني " إذ جاء في ختام رسالة بعثها البارزاني الى السيد عبد الرحمن بنافي، وختمها بتوقيعه تحت عبارة (الخادم اخوكم مصطفى البارزاني). بقي ان نعرف من هو السيد عبد الرحمن بنافي: إنه أحد الطباخين الذين خدموا البارزاني.

ويستطرد يونان هرمز في نفس السياق فيقول:

خرج البارزاني من البيت يسير معنا شوطاً بعد انتهاء إحدي المقابلات، فصادفنا على مقربة من داره اثنان من حرسه الخاص يحملان بعض الفواكه من حاج عمران فنادي البارزاني أحدهما:

البارزاني ـ محو لماذا لا تأتي لزيارتي لنلعب الشطرنج؟

محو ـ أطال الله عمرك، من أنا لكي آتي لزيارتك وأنت الرئيس؟

البارزاني ـ أسمعتم؟ ألم أقل بأني لست رئيساً ولا أريد ان أكون رئيساً لأحد[١٩].

وفي احدي خطبه يشير الى ضرورة التعاون ونكران الذات والتواضع، فيقول:

نعم بالشرف والتضامن والأخوة والتعاون فيما بينكم فقط تكونوا موضع فخر للجميع. لقد قلت مراراً وأكرر ذلك أمامكم الآن من كان اصغركم شاناً فأنا خادمه.

أنا لست برئيس لأحد ولا اريد ان أكون رئيساً لأحد، ولكني أبغي أن أكون أخاً وخادماً لكم، وأن تكونوا أخوة وعوناً لي، فنكون سوية أبناء لهذا الشعب فنخدمه. يجب ان ننفض عن أنفسنا حب الذات والأنانية الفارغة والأطماع غير المشروعة، ونكون أذكياء وحذرين من العدو.

وفي مكان آخر يشير من هذه الخطبة يؤكد بقوة على ضرورة التواضع وهو شرف للأنسان إذ يقول:

بعد عودتي الى العراق حيث ضعفت قواي وإمكانياتي الجسدية، فقد كنت دائماً آخر المنسحبين وكنت أبقى في المؤخرة وحتى اللحظة الأخيرة طالما كان الخطر قادماً من الخلف. لماذا؟ لأنني لم أكن أفضل نفسي على أحد فكلنا بشر وكلنا أخوة. وإذا كانت الخدمة في المقدور وعندما يقال لنا " خدام " فهو خير لنا من كل الألقاب الرئاسية والمفخمة. إنه لمن دواعي الفخر للأنسان ان يكون خادماً للشعب.

التفكير بصوت عال

البارزاني ابن عشيرته وقريته وحزبه وقوميته الكردية ووطنه العراقي، وهو يعلن هذا الأنتماء بفخر واعتزاز، وليس له ما يخفيه عن شعبه، وهو يتكلم بشفافية وصريح العبارة إن كان على نفسه او على غيره، وإن ما يفكر به يعلنه دون خشية او مواربة وهو يضع حزبه امام مهمته في تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه. وهو يعرف ان قضية شعبه تعاني من التعقيدات ومن تضارب المصالح، وهي محصورة بين جيران يجمعهم هدف منع قيام دولة كردية، وإذا ما قورن الشعب الكردي الذي يبلغ تعداده حوالي ٣٥ ـ ٤٠ مليون نسمة بالشعب الفلسطيني فنري ثمة مساعي كبيرة لاقامة الدولة الفلسطينية ويعزو الكاتب أياد ابو شقرا هذه المساعي الى البعد القومي العربي الذي يحيط بالشعب الفلسطيني حيث يقول الكاتب في مقال له بجريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ١٢ / ٠١ / ٢٠٠٩:

تعداد الشعب الفلسطيني أدنى بكثير من تعداد الشعب الكردي، ومع هذا، لأن للشعب الفلسطيني »حاضنة قومية« اسمها الأمة العربية، خاضت من أجله، أو باسمه – ولو تحجّجاً – ما لا يقل عن أربع حروب، ظلت قضية حقه بدولة مستقلة قضيةً حيةً. وفي المقابل، ما زال



الأكراد (الذين يقدّر عددهم في العالم بأكثر من ٣٥ مليون نسمة) ممنوعين من أن تكون لهم دولتهم القومية، لأن لا »حاضنة قومية« لهم، بل هم موزّعون على عدد من الدول لا تتفق إلا عليهم، ولا يجمعها جامع غير منعهم من تأسيس دولتهم المستقلة.

في فضاء {مقاوم} لفكرة قيام دولة كردية يخوض ملا مصطفى وشعبه صراعه بالبندقية لكي يحقق طموحات شعبه في التحرر والأستقلال، وفي الكلمات الصريحة يقول بعفوية وانسياب ما يفكر به.

ملا مصطفى البارزاني زعيم الحركة التحررية الكردية في عقود من القرن العشرين

وفي هذه الكلمات المعبرة تتجلي شخصية البارزاني وفلسفته في الحياة في مواقف كثيرة، وفي خطابه الذي ارتجله في ١٥ نيسان ١٩٦٧ في كونفيرانس البارتي وندونه لكونه ورد في مرحلة ناضجة من الثورة ومن فكر ملا مصطفى البارزاني بعد عقود من التجربة الحية في العمل السياسي والعسكري، ونقتبسه من كتاب يونان هرمز أيامي في ثورة كردستان صفحة ٢٠٢ وما يليها: لقد ارتأيت أن اقتبس فقرات طويلة من الخطاب المرتجل حيث يأتي بعضوية ليعكس فكر البارزاني وذهنيته وآرائه بشكل صريح وشفاف ونمأوة عن الجاملات والرتوش الانشائية المستخدمة في هذه المناسبات.

أيها الأخوة الأعزاء، السلام عليكم:

افتخر كثيراً بأبناء شعبنا الذين تحملوا كثيراً الصعاب والآلام الجسام في هذه الفترة الطويلة منذ اندلاع ثورتنا الى يومنا هذا، هؤلاء الذين تحملوا الحر والبرد والأعتقال والموت والتعذيب.

إن تلك الرجولة والشجاعة والصمود مفخرة لنا جميعاً وموضع اعتزاز لتاريخ شعبنا في حاضره ومستقبله، وما تم لحد اليوم يدعو الى الفخر والسرور ويرفع الهامات. إن تلك الرجولة والشجاعة والغيرة التي أبداها الشعب الكردي في هذه الثورة رغم قلة امكانياتها، وكل ذلك الغدر والظلم والأعتداء الذي أصابه وهو يقاوم ويدافع عن نفسه لا نجده في اي مكان ولدى أي شعب إلا في كردستان.

والبارزاني يشكو قلة اهتمام الأعلام العالمي والأقليمي بقضية شعبه ويقول:

إن ما حصل للشعب الكردي لم يسمع به العالم الخارجي إلا بنسبة ٤٪ ولكن نري إذا ما حصلت ثورة في الخارج وحدثت أربع بطولات فحسب أظهرت وكأنها مائة لأن هناك من يساعدهم ولهم وسائلهم الأعلامية وهناك من يدعمهم ويقف الى جانبهم، إلا ان ما حصل في كردستان حصل دون مساعدة ودعم من أحد بل تم بسلاح متواضع مقابل قوة كبيرة غاشمة

وظالمة. أن المقاومة والصبر والتحمل الذي أبداه الشعب الكردي خلال هذه السنين لم تحصل لدي الشعوب الأخري وهذا ما يدفعنا الى الفخر والأعتزاز بشعبنا لأن ما تحمله هذا الشعب خارج طاقة البشر.

من الطبيعي ان الثورة لا تقوم على اكتاف المقاتلين فحسب، إنما هناك عوامل كثيرة، وشبكة متكاملة في المجتمع كل يؤدي دوره ليكون في مقدور الثورة الأستمرارية، ولكل هذه المفاصل اهميته وهناك خللاً يطرأ إن فقد أحد هذه العناصر. وبذلك يقول البارزاني:

وكما قلت في مرات عديدة

إن المفخرة ليست للذين حملوا البنادق على اكتافهم لوحدهم فحسب ولكن لجميع فلاحي الكرد ولجميع نساء وأطفال وشيوخ وشباب الكرد، فالجميع شاركوا في هذه الثورة وهذه البطولات والكل ذاقوا المرارات ولاقوا العذاب والويلات.

أيها الاخوة الأعزاء: في كل ثورة او حركة تقوم لخدمة شعب في الدنيا من الضروري ان تناط الأمور بمسؤولين يضعون خدمة الشعب في المقام الأول ويعملون بنكران ذات وينسون مصالحهم ونزواتهم الخاصة ويقدمون على أي عمل فيه خدمة الشعب، حتى وإن تناقض ذلك مع مصالحهم واهوائهم الذاتية. إن ما أذكركم به الآن لا أريكم ان تحسبوه انتقاداً موجهاً الى اي شخص معين، إذ انني سأنتقد نفسي أيضاً إذا بدرت مني أعمال تسئ ألي الثورة وتلحق الضرر بها او بالشعب. يجب على الكل ان يعرف واجباته فيؤديها بدقة فائقة وإن أي مسؤول في الثورة لا يعمل لصالحها ويهمل واجباته يصبح في هذه الحالة عدواً لنا وخادماً اميناً لأعداء شعبنا. إننا يجب ان الشعب ونفهم التضامن والتكاتف ونستوعب معاني الكوردية تي والقومية.

المسؤول الذي يتخلي عن مصالح الثورة من اجل مصالحه الشخصية او الذي يعمل لملئ جيوبه ويتوخي الستفادة الماديةاو يحاول المفاخرة الفارغة، إن مثل هذا الشخص لا يمكن اعتباره كردياً ولا يمكن ان يخدم الثورة... إن القومية والحزبية والثورية الصحيحة هي ان نتعاون مع بعضنا ونتكاتف من اجل مصلحة شعبنا. لقد بلغت تضحياتنا اكثر من ٢٠٠٠ شهيد وهؤلاء ضحوا بأرواحهم الطاهرة في سبيل هذا الشعب وهذا الوطن، ومن اجل حقوقنا المغتصبة والتي كما قلت مراراص هو الخلاص من هذه المظالم وحق إبداء الرأي في ما يحدث، وحق استخدام عقولنا واكتساب والأدارة والدراسة وفي كل ما يتعلق بإدارة بلادنا فيكون لنا حق اتخاذ القرارات وحق الرفض فنتمكن من العيش كأي أنسان دون معاناة او مظالم، وإذا تعرضنا لاعتداء يجب ان تكون لنا يداً قوية تمنع المعتدين من اذنا من رقابنا وخنقنا.

إن رجائي اليكم جميعاً هو ان تتعاونوا مع بعضكم بقلوب صافية وان لا ترتكبوا اعمالاً تصبح عدوة كبيرة لنا في دواخلنا وبين صفوفنا، وذا ما تعاونا كأخوة وبصدق وإخلاص وكافحنا من اجل الصالح العام وإذا ما وضع الكل مصلحة كردستان والثورة فوق مصلحته الخاصة فسوف لن تكون هناك قوة تستطيع هضم حقوقنا ولن يكون هناك من يستطيع الأعتداء على شعبنا.

قلما يذكر التاريخ اشخاصاً اشتهروا بمظاهرهم او ثرواتهم، إنه يشير الى الذين ركبوا الصعاب، وقدموا التضحيات لشعوبهم، والذين تقدموا في معارج المعرفة والعلوم. وهنا يضيف البارزاني فيقول:

يا اخوتي: إن أموال الدنيا لا تستحق ان نفرط بسببها بشرفنا القومي والوطني ولا يجب ان تنسينا الأكلة اللذيذة الدسمة والفراش الوثير مصالح شعبنا. أنظروا الى مليونيريي الكرد من اصحاب الثراء الفاحش الذين لم يقدموا يد العون لثورة شعبهم، أنظروا اليهم كم هم منبوذون وقذرون في اعين الجميع.

إن الثروة لا تجلب الشرف، لأن المال والثروة إذا لم ينفقا في سبيل الشعب يصبحان مصدراً للخزي والعار. إننا لم نسمع يوماً بأن التاريخ قد مدح إنساناً لكونه يأكل طعاماً شهياً او ينام في فراش وثير! التاريخ لا يذكر بشرف إلا من ركبوا الصعاب وتجرعوا الآلام من أجل وطنهم وشعبهم وعملوا دون كلل لرفع الظلم عنهم.

إنه يشير الى الشعارات التي ترفع وهي تبقى فارغة حينما تكون بعيدة عن ارض الواقع، كما ان الأفعال هي التي ترفع من مستوي الشخص وليس الأقوال التي يمكن أطلاقها دون حدود وهو يقول:

التقدمية هي ان نعمل من أجل العلم والعقل والأنسانية والعفة وأن نكون في خدمة هذا الشعب بصدق وأخلاص ونزاهة، ومن لا يعمل بهذا التأجاه كائناً من كان، لا اعتبره تقدمياً، ومن يطمع في اموال وأعراض الناس ويعتدي عليهم ويظلمهم يفقد رضى الله والناس ولا يعد من البشر.

أخوتي الأعزاء: أرجوكم يا أبناء شعبنا البررة ان تساندوا حزبكم يوماً بعد يوم وتجعلوه اكثر قوة وأكثر تنظيماً وتكونوا أكثر تعاوناً معه، فكلما كانت تنظيمات الحزب جيدة وقوية وفعالياته دقيقة كانت قواتنا أكثر قوة والشعب أحسن حالاً. إن الحزب يعني تشكيلات الشعب، وإن قواتنا وكل الهيئات الاخرى ليست إلا جزءاً من الشعب، ولا يمكن لأية ثورة ان تنجح دون قيادة حزب منظم، وعندما أقول " حزب " فإني أعني حزباً مخلصاً للشعب

ومصالحه... وهكذا إذا أردنا النصر وجب علينا جميعاً انا وقواتنا المسلحة والشعب دعم حزبنا بإخلاص، ولا يجوز ان نضع الرئاسة والعظمة نصب أعيننا.

إن من يملك المؤهلات والقابليات المطلوبة ويضعها في خدمة الشعب تلقائياً يعتبره الشعب رئيساً له. وعلي سبيل المثال:

إذا كانت قابليتي أنا لا تكفي لأدارة عشرة من البيشمركة وأردت ان أصبح آمر فصيل او سرية اوبتاليون لا لشئ إلا من أجل ان يكون اسمي أكثر لمعاناً فإن تلك الرئاسة لا تكون إلا كالجلوس على غصن هش جاف سرعان ما ينكسر فأسقط على ألأرض وتنكسر رقبتي من جراء ذلك.

إن الرجولة والخدمة الصحيحة هي ان تنفذ كل ما يناط بك من أعمال بكل إخلاص وتفان واضعاً نصب عينيك خدمة الشعب.

إن حسن النية والتكاشف من شروط نجاح الثورة، والأنانية والنفاق إن وجدا فهما خدمة نقدمها للعدو، وعداوة نوجهها لأنفسنا ولشعبنا، على كل واحد منكم ان يتحمل مسؤولية عدد من الناس، وأن يعاني ما يعانيه مرؤوسيه، فإذا ما اصاب احدهم الجوع عليه ان يعطيه زاده لأن على الأكبر ان يتحمل اعباء ما يعانيه الأصغر. وإذا اسميت نفسي رئيساً فمن العار على ان أكون متخماً وأرى أمامي من هو أقل شأناً يتضور جوعاً. أما إذا مت جوعاً وأنقذ معدماً من الجوع فهو شرف كبير لي. تلك هي الأنسانية ان تضحي بالملذات في سبيل المستضعفين والفقراء.

إننا لا نستطيع خدمة شعبنا إذا ما افتقدنا التعاون وأفتقرنا الى روح التضحية والفداء. يجب أن تدركوا جيداً إننا لا ننتصر بالسلاح فحسب ولا بالحصول على الأموال ولا بالنهب والسلب ولا بالأعتداء على الآخرين والفتك بهم، إننا ننتصر عندما تكون قلوبنا صافية تجاه بعضنا البعض ويكن الصغار والكبار مشاعر الحب والأحترام لبعضهم البعض. إننا ننتصر عندما يعتبر كل كردي خير وشر أخيه الكردي هو خير وشر لنفسه ونكون أخوة بحق. وأن أكون بجانبك وبعونك حينما تحتاجني وأن تعطيني من خبزك إذا اصابني الجوع، وأن تنصرني حينما استغيث بك وأن انصرك حينما تستغيث بي، يجب ان نضع الأنانية جانباً.. وان نضع كل ما نملكه من مال وحياة وعقل وعلم في خدمة هذا الشعب الى ان نحرره ونقطع يد الظلم والغدر التي تطاله. إذا لم نخدم هذا الشعب بهذا الخلاص وبهذه المحبة فعلينا ان ندرك حينذاك بأننا لا نخدم سوي الأعداء ونكون مسؤولين امام الله والتاريخ والشعب.

وهو يشبه اعضاء الحزب الذين لا يتسمون بالتضحية ونكرات الذات بذلك الأبن المشلول

الذي لا يقدر معاونة والديه ويكون عالة عليهم وهو غالباً ما كان يضرب الأمثال لأيصال فكرته وهو يروي لنا هذا المثل:

إن الوالدين اللذين لهما ولدان احدهما مصاب بالشلل وهو طريح الفراش وكثير الطلبات من أبويه ويطلب منهما غسله ونقله وخدمته يومياً فإنك تجد حتى الأب والأم الشفوقة والرحيمة تمل من ولدها هذا بعد سنة او سنتين وتدعو من ربها ان يأخذه برحمته الواسعة ويخلصها منه بعد ان تفقد الأمل بشفائه. ولكن الأبن الآخر السليم على العكس من الأول يكون موضع رعاية الوالدين الذين يعقدان عليه الآمال. فإذا كان ابن الملك يتوقع والده ان يكون ولياً للعهد وإن كان ابناً لراعي البقر فإن والده يقول إن ابني سوف يكبر ويحل مكاني في رعي الأبقار ويساعدني في تدبير معيشتي في المستقبل. لذا إذا كنتم تبغون المساعدة من أحد وكنتم على شاكلة الولد المشلول فلا تتوقعوا حتى ولو تحية من أحد. أما إذا كنا رجالاً بحق عند ذلك نجد يد المساعدة تمد الينا من كل صوب. وإذا لم نكن بهذا المستوي فإن الذين يساعدوننا حتى وإن كانوا آبائنا وأمهاتنا تجدهم يفعلون ذلك مرة واحدة وفي المرة الثانية تجدهم يستكثرون علينا حتي تحية السلام عليكم.

إن الملا مصطفى البارزاني غالباً ما يؤكد على وحدة الكلمة والتضامن ونكران الذات واستحالة الأستمرار بالعمل دون ذلك فيستطرد في خطابه:

بالرجولة والأداء المتقن نحقق آمالنا والرجولة والقوة لا يأتيان إلا باستخدام العقل المقرون بالعمل، اما الكلام وحده والتبجح والأدعاء الفارغ والقول إني افعل كذا وكذا دون ان يقترن ذلك بالأفعال لا يحقق لنا شيئاً ولا يجدينا نفعاً. أنا مثلاً، إذا كنت أنانياً وحاسداً ومتكبراً على أبناء شعبي فكيف لي ان أخدمهم؟.. أنا وانت أخوة لبعضنا ننتمي الى وطن واحد ويربطنا مصير مشترك وهذا ما يفرض علينا أن نضع أيدينا في أيدي البعض بكل أخلاص وروح أخوية طاهرة، حتي لا تفلت من أيدينا هذه الثورة ومكتسباتها التي تحققت وتتحقق عن طريق تلك التضحيات الجسام التي بذلها شعبنا الكردي دون غيره من الشعوب والتي قلت انها مفخرة الجميع.

أنا طول حياتي وحتى الآن ومن خلال معايشتي لأصدقائي ورفاقي وخلال اضطلاعي بمسؤولياتي السياسية والعسكرية لم أخن أحداً قط ولم أكن طامعاً في شئ ما، ولم أظهر حبي لذاتي لي منهم، كنت أعطيهم ما أحمله من الخبز وأبقي أتحمل الجوع وأعطيهم ملابسي وأبقى أصارع البرد القارص وكنت أرافقهم في جبهات القتال كلما كان ذلك بمقدوري فكنت أولهم دائماً. أسألوا أصدقائي عن ذلك، فالمكان المستهدف من الطائرات والمدفعية والذي لم يكن يتحمله أحد كان دائماً من نصيبي. وإذا كان الهجوم يشن من الأمام فكان موقعي

ولعشرات المرات في الخط الأمامي.

البارزاني لم يخطئ في حدسه حينما شخص التنظيم واطاعة الأوامر بأنها من أركان ومقومات النجاح إن كان ذلك مجال الحياة او في مسيرة الثورة، وهو يقول:

إذا كنتم تتوخون الأنتصار فعليكم بالنظام والتنظيم، إذ لا يكتب النجاح لأية ثورة دون مراعاة النظام فعليكم بالنظام والتنظيم.. فعدم الأنصياع التام لأوامر القيادة يعني الفوضى والأنزواء وراء المصالح الشخصية والأنانية، وفي حالة كهذه يتحول المناضل من موقع خدمة الشعب الى موقع معاداته، ويصبح أكثر خسة حتي من " الجاش " أنفسهم. وحتى في البيت الواحد وضمن العائلة الواحدة إذا كان النظام والأحترام المتبادل معدوماً وعمل كل فرد لحسابه، ووضع كل ما يحصل عليه في جيبه الخاص فسوف يؤدي ذلك الى حرمان باقي أفراد العائلة والتضحية بسعادتهم، فتسود الفوضى والتشرذم تلك العائلة، ونحن في ثورتنا هذه مثلنا مثل عائلة كبيرة لذا فإطاعة الأوامر والتوجيهات والألتزام بتطبيقها واجب علينا.

أما الموارد فيجب ان تصرف على كل مرافق الثورة وألا تكون عرضة لسوء الأستخدام في أي حال من الأحوال، يجب ان لا ينزعج احدكم من النقد والمحاسبة إذا ما تعرض لها. فالبريء لا يخشى المحاسبة وإذا ما استدعي أحدكم الى المحاكم فلا يجوز له الرفض، فالحق يجب ان يظهر، والذي يرفض المثول امام المحكمة فإنما يثبت التهمة على نفسه. أنا شخصياً إذا أمرت بالحضور الى المحكمة فسوف أذهب وأجيب على كل ما يسأل مني ولا أنزعج مطلقاً، فإذا لم أكن مرتكباً مخالفة فحتماً سوف تظهر براءتي للجميع ويفرج عني.

إن انصياع المرء للأوامر وإطاعته للقوانين يزيدانه شهامة ولتجنب الفوضى ينبغي الألتزام بالقوانين التي وضعناها لأنفسنا بأنفسنا، وعندما ينقل مسؤول من مكان الى آخر يجب ان لا يفسر ذلك عدم الأعتماد عليه، لابد ان يكون ذلك من متطلبات الثورة ومصلحتها تستوجب ذلك الأجراء وليس من المستبعد أبداً ان ينقل شخصاً في اليوم التالي مباشرة ويحل محله وينقل هو من جديد الى مكان آخر. إننا يجب ان نكون مطيعين للأوامر وأن نعمل بما يمليه الصالح العام.

على كل من يعمل ضمن هذه الثورة بدءاً مني أنا ومروراً بكافة المسؤولين ووصولاً الى كافة أفراد البيشمركة وحتى العضو الحزبي ان يدركوا تماماً إننا سنكون أعداء لشعبنا ولأنفسنا إن كدّرنا صفو قروي او راع او صاحب محل او أمرأة او طفل واحد، وإذا ما استخدمنا الكلام البذئ وغير اللائق ضد أفراد شعبنا، أو إذا استحوذنا عنوة على بيضة واحدة او دجاجة واحدة او اي شئ يلحق ضرراً بالناس، فإننا سنتحول الى أعداء لأنفسنا ولشعبنا.

إذا كان الشعب معنا فإن العدو لا يستطيع إلحاق الهزيمة بنا حتى لو ضاعف قوته ألف مرة. أقسم لكم بالله اننا سوف نندحر ولا نستطيع ان نحرز أي نصر إذا فقدنا قلوب وتعاطف أبناء شعبنا حتى إذا ما تضاعفت قوتنا الف مرة بالقياس لما هي عليه الآن وكوننا لا نعمل من اجل الصالح العام ونتقاد للأنانية وحب الذات يضعنا في موقع يساعد العدو على محونا.

إن البارزاني كان يحاول دائماً وضع الثورة في مسارها الطبيعي، وكان يستنكر ما يلصق بالثورة من أنها تحارب القومية العربية او يضعون لها إطاراً عنصرياً، فالقومية الكردية قومية مجزأة مضطهدة وليس من صالحها محاربة القوميات الأخري إن كان حجم هذه القومية اكبر من القومية الكردية كالقومية العربية او أصغر منها كالقوميات التركمانية والكلدانية والأرمنية. ويتطرق البارزاني الى هذه الناحية فيقول:

أخوتي الأعزاء: إني مثلما قلت في سنة ١٩٤٥ وفي عام ١٩٦٠ وكما كنت اكرر دائماً أقول الآن أيضاً:

إن حربنا ليست حرب بين العرب والأكراد، أقول إني لا احارب العرب او اية قومية اخرى ولا أدخل حرباً ضد اي شعب بسبب الأسم ولكون هذا اصفر وذاك أحمر او أسود او أبيض، الكرد والعرب إخوة يستطيعون العيش بكل وئام وسلام، صحيح ان العرب هم الأخ الأكبر ونحن نمثل الأخ الأصغر، ولكنه ليس من العدل ان يكون الأخ الأصغر هذا جائعاً وعارياً ولا يستطيع القراءة وتعلم ما يمكن الأستفادة منه، وليس في مقدوره إبداء الرأي في امور تهم البيت المشترك، بينما يستحوذ الأخ الكبير على البيت وكل ما فيه. إن مراعاة العدالة واجبة لكي لا يشعر الأخ الصغير بالغبن والظلم.. إننا لا نقاتل لو لم تسقط الحكومة في أيدي اللصوص وعديمي الأخلاق الذين يقدمون خدماتهم لأعداء العرب والأكراد، إننا في ثورتنا هذه نتوخي الخير للعرب اولاً ومن ثم للأكراد وباقي الشعب العراقي.. إننا نريد حكومة ديمقرطية عادلة تنتخب في انتخابات حرة بعيداً عن الضغط والأكراه والظلم والأعتداء، وان تكون هناك قوانين عادلة يضعها الشعب العراقي بنفسه لنفسه. بحيث لا تسمح للعسكري بأن يطلع علينا في اي يوم يشاء ويقول: قررنا ما يلي... ويبدأ في حكم الشعب العراقي حسب مزاجه وأهوائه الشخصية مسترشداً بأنانيته دون ان يكون باستطاعة الشعب محاسبته.. نحن ندافع عن الحقوق المشروعة وأموال وحرائر وحياة الشعب الكردي، نحن لا نرغب ان يسود الأقتتال وسفك الدماء بين الأخوة العرب والكرد لأن اقتتالنا يخدم أعداء العراق، لذا أدعو كل الذين يبغون محاربتنا العودة الى رشدهم حتي يرحموا الشعب العراقي ويرفعوا أيديهم عن الأعتداء على الشعب الكردي..

المراجع والهوامش للمقدمة والفصل الأول

١ ـ زهير عبد الملك " الأكراد.. " ص ١٦٣

٢ ـ الدكتور كَونتر دشنر " أحفاد صلاح الدين الأيوبي" ترجمة عبد السلام برواري، ط٢ دهوك، ص ٣١ مطبعة خه بات، سنة ٢٠٠٠م.

٣ ـ محمد البريفكاني " حقائق تاريخية عن القضية البارزانية " دار الجبل ص ٦

٤ ـ محمد البريفكاني: المصدر السابق ص ٦

٥ ـ محمود الدّرة " القضية الكردية.. والقومية العربية في معركة العراق" ص ١٢٣). منشورات دار الطليعة ـ بيروت، ط١ سنة ١٩٦٣م.

٦ ـ دبليو. أي. ويكَرام، وأدكَار تي اي ويكَرام " مهد البشرية الحياة في شرق كوردستان " نقله الى العربية جرجيس فتح الله المحامي، ص ١٢٨ دار الزمان، بغداد ١٩٧١م.

٧ ـ د. فاضل البراك " مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة " ص ٦٠ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد سنة ١٩٨٩م.

٨ ـ الحكم الثيوقراطي، يعني حكم الله على الأرض، اي الحكم باسم الدين ووفق شرائعه. وكانت الكنيسة قبل فصل الدين عن السياسة هي الدولة او ان الدولة تسير بمشيئتها، وفي الحقيقة إن الديانة المسيحية تفصل جوهرياً بين الدين والدولة بقول السيد المسيح: اعطي ما لله لله، وما لقيصر لقيصر.

لكن الديانة اليهودية قد انتجت شريعة مفصلة على درجة من التفصيل، وربطت هذه الشريعة المدنية بالمقدس الديني، فهي شريعة لم تنحصر على بيان مبادئ اخلاقية وسلوكية عامة كتلك التي وردت في لوائح موسى، بل شملت قواعد سلوكية وقانونية تحيط جميع اوجه الحياة الفردية والعائلية والأجتماعية، فشملت الشريعة المقدسة جميع ابعاد الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وبنوية وإرث. وبما ان هذه الشرائع قد دخلت في غطار النصوص المقدسة صار عسيراً ـ إن لم يكن مستحيلاً ـ تغييرها. كما شملت قانون عقوبات الحدود يتسم بدرجة عليا من الدقة والقسوة حتي تبدو العقوبات لاعيننا المعاصرة وحشية الطابع، مثل رجم المرأة الزانية { سمير امين: مناخ العصر رؤية نقدية ص ١٧٠ سينا للنشر بيروت ١٩٩٩ }، ومع ذلك فإن الشريعة اليهودية تعتبر ناقصة في مجال نظام الحكم مقارنة بالشريعة الأسلامية. بالأضافة الى اعتماد الشريعة الأسلامية على طقوس مماثلة للشريعة اليهودية من ختان الصبيان وتحريم لحم الخنزير وبعض وقيود في ناحية الأكل ومفهوم النكاسة ورجم الزانية وتكرار الصلاة وغيرها من الممارسات الشخصية البحتة وتأطير تصرفاتة المسلم اليومية، ووضع تصرفاته وسلوكه تحت الرقابة كما هي الحال في شرطة " العمل بالمعروف والنهي عن المنكر " وهنا يهمش دور الدولة. في السعودية وأيران مثال حي للحكم الثيوقراطي، ففي الأخيرة يكون مجلس الخبراء معني باختيار الولي الفقيه المعروف بالمرشد الأعلي هو السلطة العليا في الدولة وهو فوق رئيس الجمهورية المنتخب ولابد له للرئيس المنتخب ان يحظي بتأييد المرشد الأعلي قبل انتخابه.

٩ ـ النظام البطريركي وهو النظام الأبوي،والبطريرك ممثل جماعة او اكبر جماعة سناً، شيخ جليل، والنظام الأبوي هو نظام اجتماعي يتميز بسلطة الأب المطلقة على العشيرة او على الأسرة، ومن ناحية اخري هو انتساب الأولاد نحو الأب وليس الى الأم، والمجتمع العشائري هو شكل من اشكال النظام الأبوي. وفي النظام الكنسي، البطريرك اعلي منصب كنسي مثل بطريرك بابل على الكلدان في العالم.

١٠ ـ مجموعة ابحاث وانطباعات المؤلفين الكورد والروس " البارزاني وشهادة التاريخ " مقال بقلم الدكتور دينيس كوماروف: البارزاني ونضال الأكراد الجنوبيين ص ١٩ ترجمة د. باقسي نازي و د. عبدي حاجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، سنة ٢٠٠٦م.

١١ ـ مسعود البارزاني " البارزاني والحركة التحررية الكردية " الجزء الأول ط٢ دار كاوا للطبع والتوزيع ص ٢٣ بيروت ١٩٩٧م.

١٢ ـ رينيه موريبس " كردستان او الموت " ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله المحامي دراسة وتحليل جواد ملا. ص ١٠٤ مطبوعات كردولوجيا، ١٩٨٦ لندن.

١٣ ـ د. دينيس كوماروف " البارزاني ونضال الأكراد الجنوبيين " ص ٣٣

١٤ ـ مسعود البارزاني " البارزاني والحركة التحررية الكردية " ج١ ص ٢٧٩

١٥ ـ ديفيد أدامسن وجرجيس فتح الله " ص١٢١ الحرب الكردية وانشقاق ١٩٦٤ م " ستوكهولم ١٩٩٠م.

١٦ ـ رينيه موريبس: كردستان او الموت ص١٣٣

١٧ ـ ـ جرجيس فتح الله المحامي " العراق في عهد قاسم آراء وخواطر ١٩٥٨ ـ ١٩٨٨ " الجزء الثاني ٨٥٧، دار نبز للطباعة والنشر السويد ١٩٨٩م.

* ـ تفيد ابنتة الوحيدة السيدة بلسم قيصر منصور ان والدها هو من مواليد ١٩٣٩ وتزوج بتاريخ ٤ / ٦ / ١٩٧٠ واغتيل في بغداد بتاريخ ١ / ٨ / ١٩٧١ وأن والدها المرحوم كان حاصلاً على بكالوريوس فلسفة ولاهوت وكان يجيد من اللغات: الفرنسية والأنكليزية والعربية والفارسية والكردية إضافة الى لغته السريانية.

١٨ ـ (يونان هرمز " أيامي في ثورة كردستان " ص ١٨٤ ـ ١٨٦ ديترويت، الولايات المتحدة سنة ١٩٩٩

١٩ ـ يونان هرمز: أيامي في ثورة كردستان ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

الفصل الثاني

فذلكة تاريخية

في هذا الفصل سأحاول اختصار مسيرة البارزاني النضالية اي بالتطرق الى كل المراحل بشكل مختصر، على ان اشير الى هذه المراحل بشكل مفصل فيما يلي من الفصول.

الأنسان الذي يعيش في فضاء القرية ويتنسم الهواء الطلق، يغدو عاشقاً للحرية وهو في الطبيعة المفتوحة أمامه، وهو يأنف من الخضوع للسلطة ويكتفي بالأعتراف بشرعية السلطة الأبوية التي تمتد مع الأسرة فتصبح سلطة عشائرية، وهذه السلطة تمنحه الراحة النفسية والملاذ الآمن وهي الى جانبه إن كان ظالماً او مظلوماً.

إنه يعترف بجمهورية القبيلة ولا يتوسع صدره لقبول او الأعتراف بجمهورية الدولة، لاسيما إن كانت هذه الدولة دولة ظالمة تحكم بالحديد والنار وتجعل رعاياها عمال سخرة يعملون لها مقابل لقمة العيش واستمرارية الحياة لا أكثر. هكذا كان حال الدولة العثمانية مع رعاياها، وفي هذا المنحي كانت الثورات تشتعل لتنزع عن رقابها نير استبداد الحكومات المتعاقبة.

كانت قبيلة بارزان – سوف نستخدم قبيلة أو عشيرة بارزان بدلاً من قرية بارزان – تنزع الى الأستقلالية والحرية ولا ترغب في التودد الى السلطات، ومن هذه الأرضية كانت تنطلق الثورات والأنتفاضات، وواحدة منها هي التي قام بها الشيخ محمد والد مصطفى البارزاني ضد الأتراك، وعلي اثر هذه الأنتفاضة لجأ الأتراك الى الخديعة فاستدرج الشيخ الثائر للسفر الى الموصل بغية أجراء المفاوضات، إلا أنهم اعتقلوه ومن ثم أعدموه[١]، وكان أعدامه قبيل ولاده ابنه مصطفى بفترة وجيزة. وأما رجاله فزج بهم في السجون، وعلي أثرها قامت السلطات بتهجير العشيرة من بارزان وتوزيعها على الأقضية المختلفة التابعة لولاية الموصل، وسمح لهم بالعودة الى ديارهم بعد مرور عام على اعتقالهم[٢].

ترأس العشيرة البارزانية بعد الشيخ محمد ابنه الأكبر عبدالسلام البارزاني، ولقد أبلي الشيخ عبدالسلام بلاءً حسناً وهو يعامل عشيرته معاملة أبوية، حيث سن قانوناً بموجبه وزعت الأراضي بالتساوي على العوائل القاطنة، وساوي نفسه في الحقوق مع أبناء رعيته، وهذا

يناقض ما يذهب اليه بقية رؤساء العشائر الذين يكون لهم حصة الأسد من الأراضي، وهذه الحالة أثارت استياء السلطات العثمانية ورؤساء العشائر. وفي سيرورة النزعة الأستقلالية للبرزانيين أبدي الشيخ عبدالسلام البارزاني عدم ولائه وخضوعه للسلطات التركية، وفي عام ١٩٠٥ قام عبدالسلام بحركته الأولى ضد السلطات التركية لكنه فشل. عندئذٍ أوعزت السلطات باعتقال أسرة الشيخ الثائر، وزجت بها في سجن الموصل (كان بين المعتقلين والدته وشقيقه مصطفى الذي كان يبلغ من العمر ثلاث سنوات) ولم يمض وقت طويل على اعتقالهما إذ أفرج عنهما[٣]، لقد كان الشيخ عبدالسلام مستهدفاً من قبل السلطات التركية وقد حذره الشيخ طه وهو ابن الشيخ عبدالقادر النهري، بأن الأتراك يستهدفون اصطياده، لذا نصحه بالأختفاء عن الأنظار، لكن الشيخ عبد السلام لم يلتفت الى هذا التحذير وكان أن القي القبض عليه في أواسط أيلول عام ١٩١٤ في الشريط الحدودي المحاذي لأيران وزج به في سجن الموصل، بمساعدة بعض القادة الأكراد الأيرانيين الذين باعوا أنفسهم للأتراك.

في القوش هناك مثل بليغ متداول يقول (هيلانا أن لا هويا أيذح منح لكتاور) ومفاده ان الشجرة من العسير قطعها إن لم يكن مقبض الفأس منها، وهو أشارة الى الجزء الخشبي من آلة القطع، وهكذا كان من العسير على الحكومة التركية ان تقبض على الشيخ عبدالسلام دون مساعدة من الاكراد المتعاونين معها. لقد القي القبض على الشيخ عبدالسلام حسب ما رواه ب. نيكتيين، الذي كان أنذاك قنصلاً لروسيا في اوروميا، ويذكر ان المذنب في تسليم عبد السلام الى الأتراك هو الشخصية الكردية المعروفة سيمكو (كان سيمكو انذاك يعتمد على الأتراك في محاربته للأيرانيين)، وهو الذي حث عبدالسلام على التفاوض مع الأتراك إذ تم اعتقاله. ورداً على ذلك نظم الروس حملة تأديبية ضد العشائر التي ساعدت على تسليم عبد السلام.. لكن ذلك لم ينقذه من حكم الأعدام،، ففي كانون الأول عام ١٩١٦ تم أعدامه مع أربعة من أتباعه في ميدان الموصل[٤]، هذا وسنفرد فصل للكتابة عن الشيخ عبد السلام وظروف أعدامه.

ترأس العشيرة بعده أخاه الشيخ أحمد البالغ من العمر يومذاك ١٨ سنة، وعرف الشيخ أحمد بمعاداته للبريطانيين وبالمقابل عملت بريطانيا على تحجيم او تحييد قوة البارزانيين وذلك بالتعاون مع الحكومة العراقية، ومن أجل ذلك وضعت خطة عسكرية لتنفيذها يوم ١٥ آذار ضد الشيخ أحمد البارزاني، وفعلاً بدأت الحملة العسكرية والتي باءت بالفشل رغم تدخل سلاح الطيران الملكي البريطاني(R.A.F)) وقصفه لبارزان والقرى المحيطة بها واستمر هذا الوضع الى نهاية آذار.

وكانت الحصيلة أن الحكومة منيت بخسائر كبيرة فقد غنم البرزانيون كميات كبيرة من جداً

من السلاح والعتاد والأرزاق حتىً ان قافلة كاملة وقعت بأيدهم وكانت تتألف من ٣٠٠ بغل وارتفعت معنوياتهم القتالية الى حد كبير.. كما لمع نجم ملا مصطفى البارزاني في هذه المعركة بشكل عظيم، إذ كان في الخط الأمامي مع المقاتلين وأثبت كفاءة عسكرية فائقة في قيادته للعمليات الدفاعية والهجومية على حد سواء مما عمق ثقة المقاتلين به أكثر، ولقي تشجيعاً كبيراً من شقيقه الشيخ أحمد البارزاني[٥].

الأحداث تتوالي وهنا تحدث هدنة بين البارزانيين والقوات الحكومية المعززة بالطيران البريطاني لمدة اسبوعين بغية عودة الحياة الطبيعية الى المنطقة وعودة القوات الحكومية الى ثكناتها وأصدار عفو عام وقد أصرت السلطات على وجوب استسلام الشيخ أحمد وجميع البارزانيين دون قيد أوشرط، وهكذا استأنفت القوة الجوية البريطانية غاراتها بعد انتهاء المدة وبنفس الشدة والشراسة على المناطق المدنية، وتيقن الشيخ أحمد البارزاني ان عشيرته لا تستطيع مقاومة قوة دولة عظمى كبريطانيا بعد ان خرجت من الحرب منتصرة، وكان الأختيار هو هو طلب اللجوء الى تركيا، وهكذا في ٢٢ / ٦ / ١٩٣٢ دخل الشيخ أحمد الى تركيا ومعه اخوانه وولي بك وعدد من الرجال وعوائل بارزانية، وفي هذه الديار عزل الشيخ أحمد عن باقي عشيرته. وفي عام ١٩٣٣ تقوم السلطات التركية بتسليم الشيخ أحمد البارزاني الى السلطات العراقية عن طريق الجزيرة ـ زاخو، وفي الموصل وضع تحت الأقامة الجبرية، ومع تسليمه عاد أشقاء الشيخ أحمد ومريديه الى منطقة بارازان، وتوزعت العوائل في القري بينما تحصن الرجال في جبل شيرين ومناطق أخري وعرة وذلك توخياً للحذر من أي تحرك حكومي ضدهم.

إن المقاتلين مكثوا متحصنين بمواقعهم رافضين العودة الى قراهم طالما بقي الشيخ أحمد محتجزاً تحت الأقامة الجبرية في الموصل، وكان هذا أمراً من ملا مصطفى البارزاني الى المقاتلين.

وأخيراً أضطرت الحكومة العراقية التي لم ترغب في استئناف العمليات العسكرية من جديد لعدم أطمئنانها الى النتائج، الى إعادة الشيخ أحمد الى بارزان في نهاية شهر آب عام ١٩٣٣ وعاد عن طريق أربيل ـ ميركه سور[٦].

نعود بالأحداث قليلاً الى الوراء ليستني لنا متابعة سيرة ملا مصطفى البارزاني من البدايات، فيمكن ان يكون قد نطق عباراته الأولى في السجن حيث زج في السجن مع والدته وعمره ثلاث سنوات، ولم يحصل على التعليم الأعتيادي للأطفال بسبب الظروف التي كانت تحيط بقريته، لكن حينما نفيت عائلته الى بغداد بعد انتفاضات الشيخ عبدالسلام، دخل مصطفى المدرسة الدينية وكان من أفضل تلاميذها ويضيف هنا الدكتور دينيس كوماروف في

معرض متابعته لحياة البارزاني فيقول: عندما شب وجد نفسه في مسقط رأسه في البرزان وتغدو (جامعاته) مساهماته في انتفاضات اخوانه، وما ان بلغ عامه الحادي عشر في سنة ١٩١٤ حتى ذاق طعم النضال، وفي عام ١٩١٩ وهو في السادسة عشر من عمره، يقود فصيلة. ويضيف الكاتب هنا حادث إنقاذ عائلة أرمنية فيقول:

ساهم مصطفى البارزاني مع الآخرين في بأنقاذ عائلة البطل الأرمني آندرانيك الذي كان تربطه علاقات وطيدة بالبرازانيين، منذ أيام عبدالسلام اللذان ناضلا معاً ضد الأتراك. لقد طلب أندرانيك من الشيخ أحمد البارزاني في عام ١٩٢٠ أنقاذ عائلته حيث كانت مهددة بالموت، وفعلاً شكل فصيل بقيادة وليد بك وكان مصطفى الشاب في عداده.. واستطاع هذا الفصيل من إجلاء العائلة الى الأراضي السورية.

وفي هذا الشأن ايضاً ينقل لنا الأستاذ مسعود البارزاني ما سمعه شخصياً من والده حول علاقتهم مع الأرمن، فيقول:

بأمر من الشيخ أحمد تشكلت قوة قوامها ٢٠٠ مسلح وكان البرازاني من ضمن هذه القوة، وأنهم عبروا عبر مناطق عشائر الريكان والبورماريين وغيرهم وقد خدعت هذه العشائر بأنهم ماضين في طريقهم لضرب الأرمن، إذ كانت الحكومة التركية تزعم بان الحرب هي بين المسلمين والمسيحيين، وقد ساعدت القوة عوائل الأرمن وقد اوصلتهم الى سوريا وكان وكل من بين هذه العوائل عائلة أندرانيك باشا، وعن طريق زاخو رجعت القوة الى بارزان بعد ان فقدت ١٤ شهيداً في الأصطدامات التي حدثت مع الجيش التركي[٧].

في نهاية العشرينات يقيم الشيخ أحمد وملا مصطفى علاقات مع منظمة (خويبون) التي نجحت في تشكيل جيش كردي نظامي ويتوجه ملا مصطفى مع قوة تعدادها ٥٠٠ مقاتل لدعم القائمين بالأنتفاضة في منطقة اوروماروا التركية ويشتبك مع الأتراك ولم يستطع شق طريقه الى إحسان نوري باشا قائد الأنتفاضة ويعود أدراجه الى الأراضي العراقية.

في اواخر العشرينات من القرن الماضي تزوج البارزاني وانجب ثلاثة أولاد وثلاثة بنات، ثم تزوج للمرة الثانية في الثلاثينات وأنجب أبنه إدريس وبنتاً واحدة، ثم تزوج للمرة الثالثة بعد الحرب العالمية الثانية وأنجب خمسة أولاد منهم السيد مسعود البارزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني ورئيس أقليم كردستان[٨].

يقدر المراقبون ان موهبة الملا مصطفى البارزاني الحربية ظهرت في اوائل الثلاثينات ففي هذه الفترة أظهر مقدرته العسكرية في معارك عام ١٩٣١ التي اشتبك فيها البرزانيون بقيادة الشيخ أحمد البارزاني مع قبيلة كردية موالية للحكومة ومع القوات العراقية من أفراد الجيش

والشرطة. كما كانت هناك فرصة أخرى في بداية نيسان عام ١٩٣٢ في وادي (دازي) حول برزان تمكن من دحر فصيلة الفرسان تحت قيادة العقيد هادي سري أحمد.

في موقف آخر لملا مصطفى البارزاني يقوم بتسليم نفسه للسلطات العراقية لقاء العفو عن أخيه الشيخ أحمد، وبقي في الموصل تحت الأقامة الجبرية وفي هذه الفترة استفاد مصطفى البارزاني في تثقيف ذاته حيث كان تعتبر مدينة الموصل مركزاً للثقافة.

بعد المشاورات بين الحكومة العراقية والسلطات البريطانية وافقت الحكومة العراقية على ان تشمل البارزانيين بقانون العفو العام الذي اصدرته في ١٣ / ٥ / ١٩٣٣ شريطة ان ان يترك أحمد البارزاني ومصطفى البارزاني منطقة برازان ويقيما أقامة إجبارية في جنوب العراق، وهذا ما حصل فعلاً، حتي سمح لهما بتغيير مكان الأقامة الأجبارية الى مدينة السليمانية وكانت العاصمة الفكرية والأدبية للحركة الوطنية الكردية في العراق وقد أقام البرزاني في السليمانية من ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٣ أي خلال الفترة التي بدأ فيها انتعاش الحركة الوطنية الكردية ولاسيما في ايران[٩].

القطار سيتأخر عن موعد الوصول إن تهاون العمال في أيقاد النار وإن تقاعسوا في رفد المرجل بالحطب، وفلسفة الحياة هي ان يصل القطار الى المحطة التي يقصدها، هكذا إذن لكي يبقى القطار سائراً نحو الهدف يتحتم على ملا مصطفى البارزاني ورفاقه أن يعملوا في حراك دائم لكي يضمنوا سيرورة قطار الحياة والثورة والمصير الكردي.

في تموز / ايلول من عام ١٩٤٣ يعود البارزاني الى قريته بارزان من منفاه في السليمانية، حيث قاد أتباعه في معارك في المنطقة هزم فيها قوات الشرطة والجيش النظامي الذي أرسل للقضاء على التمرد، وتنصح الحكومة البريطانية العراقيين بصعوبة الحل العسكري واستحالة اخضاع البارزاني بالقوة وعليها اللجوء الى التفاوض الجدي، وكان نوري السعيد رئيساً للوزراء، وأراد الرجل حل المسألة جذرياً، لكن يبدو ان التيار القومي العروبي أراد تدارك الأمور، إذ سقطت حكومة نوري السعيد التي كانت على وشك من حل المسألة، وأعقبتها حكومة حمدي الباجچي ذات النزعة القومية، وهكذا تهدمت كل الآمال في وضع الأمور في نصابها السلمي.

من المحال ان يستتب الأمن والأستقرار دون ان تسود الثقة بين الطرفين، فهاجس الحكومات العراقية المتعاقبة هو القضاء على الثورة الكردية بأي ثمن كان، والأكراد يصرون على عدالة مطالبهم، وحقهم في الحكم الذاتي، من هذا المنطلق أخذ كل طرف فرصة للتأمل لا بل لوضع الخطط للمرحلة القادمة.



البارزاني بالزي العسكري مع عدد من مساعديه في مهاباد عام ١٩٤٦ وهم من اليمين محمد محمود قدسي، عزت عبدالعزيز، خير الله عبدالكريم، عبدالرحمن المفتي

لقد عقد الطرفان العزم لخوض معركة حاسمة، فحشدت الحكومة قواتها من الجيش والشرطة وبمساندة السلاح الجوي البريطاني شرعت في شن هجوم كاسح على مواقع الأكراد في منطقة دهوك وذلك يوم ٧ /٨ / ١٩٤٥ وسقط مئات الضحايا من الأكراد من النساء الرجال والنساء والشيوخ والأطفال.

في بادليان نشبت معركة بين الطرفين يوم يوم ٢٥ / ٨ / ١٩٤٥ وتكبدت القوات الحكومية خسائر فادحة، وكانت أيضاً هناك معارك ضارية في منطقة مازنة يوم يوم ٥ / ٩، وفشلت حملة الجيش العراقي، لكن كان هنالك عامل حاسم آخر في صالح الحكومة، وهو خيانة بعض القبائل الكردية التي كانت متحالفة مع البارازاني بعد أن أغدقت الحكومة عليها الوعود واشترت ذمم رؤسائها بالأموال فقد هاجمت القوات الحكومية بقيادة الرائد عبد الكريم قاسم (الزعيم الركن وقائد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فيما بعد) الثوار الأكراد في حركة مباغتة في اواخر شهر أيلول / سبتمبر من نفس العام[١٠].

لقد أيقن الثوار من استحالة مواصلة القتال في تلك الظروف العسيرة وتحتم عليهم الأنسحاب باتجاه الحدود الآمنة داخل الحدود الأيرانية والألتحاق بجمهورية كردستان المعروفة بجمهورية مهاباد وكان ذلك يوم ١١ / ١٠ / ١٩٤٥ م وسوف تغدو هذه القوة هي القوة العسكرية الرئيسية التي تستأثر بمهمة الدفاع عن الجمهورية الفتية وتقدم التضحيات في سبيلها، يفيدنا في هذا المقام الأستاذ مسعود البارزاني فيقول:

ان العوائل دخلت عن طريق كيلة شين ـ مهركة فهر (دالامير) وهو جبل شاهق وعند قمته تلتقي حدود الدول الثلاث: أيران وتركيا والعراق، وإن الطائرات العراقية كانت تلاحق العوائل حتى آخر نقطة على الحدود، كما ان العوائل الكردية في ايران كانت تستقبل العوائل النازحة والثوار بحفاوة بالغة وقد وزع الجميع على ٤٩ قرية وشاطروهم المسكن والمأكل. وطلب البرزاني من قائد الجيش السوفياتي في المنطقة أرسال مساعدات طبية لمعالجة المرضى والجرحى، ولقد سكن الشيخ احمد في بلدة مهاباد والبارزاني وأخوه بابو وابن اخيه ابراهيم في شنو، وبعد ان استقرت العوائل جرى تنظيم القوات في أفواج وزعت عليهم اسلحة جديدة وذلك في ربيع عام ١٩٤٦ وعين لهم أمراء أفواج من الضباط المناضلين الذين رافقوا البارزاني من العراق[١١].

لقد كان مع البارزاني يوم دخوله مهاباد ضباط الأرتباط الأكراد ومئات من المحاربين وزهاء عشرة آلاف**[١٢] من النساء والأطفال والرجال، وأثناء مقابته مع قاضي محمد رئيس جمهورية مهاباد وضع البارزاني قواته تحت تصرف الجمهورية الفتية، وشكل جيش الجمهورية ومنح الملا مصطفى البارزاني لقب جنرال في هذا الجيش وركز ضباطه المرافقون جهودهم على تدريب المقاتلين وقيادة القوة الكردية[١٣].

إن جمهورية كوردستان او جمهورية مهاباد لم تعمر طويلا فكان قدرها منوطاً بجملة اسباب آلت على أفول نجمها حيث لم تتمكن من الصمود والديمومة لان استراتيجية اللاعبين الكبار لم يكن مدرجاً في برنامجها إقامة جمهورية او حق تقرير المصير للاكراد، لقد انتظرها الأكراد كما ينتظر أب وأم حرّما من إنجاب الأطفال لفترة طويلة ولكن فجأة تحمل الأم بطفل بعد سنين من الأنتظار ومراجعة ألأطباء، وعندما يولد الطفل تبدو عليه علامات الوهن والمرض ويبقى الأبوان متعلقان بالطفل لكن الأمراض لم تمهله فينتقل الى مصيره المحتوم. حقاً كان هنالك توافد ابناء الشعب الكوردي من شتى المناطق الى مهاباد للأعلان عن فرحتهم وتضامنهم ودعمهم واستعدادهم للدفا ع عنها، كل هذا لم يجد نفعاً في انقاذ هذا الوليد من براثن الموت المبكر المحتم.

بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها، طلب الحلفاء من الجيش السوفياتي الأنسحاب من الأراضي الأيرانية، وكان هذا الأنسحاب هو القشة التي قصمت ظهر البعير، فكان الجيش الأيراني مستعداً للحركة الى المنطقة بغياب الجيش السوفياتي، ويستعين بالسلاح الجوي الذي باشر في قصف مدينة مهاباد والقرى المجاورة لها، ولم يكن للأنتصارات المحلية التي حققها البرزانيون تأثيراً كبيراً على مجمل التحرك العسكري في المنطقة، كما وقد اختمرت فكرة العودة الى العراق ومواجهة المصير المجهول، وقد حذر الملا



ملا مصطفى البارزاني في تنقلاته بين جبال ووهاد وشعاب كردستان

مصطفى البارزاني من مغبة العودة، إلا انه لم ينجح بأقناعهم سيما وإن عفواً من عاماً من الحكومة العراقية قد صدر بحق البارزانيين في بغداد.

أما ملا مصطفى البارزاني من جانبه فقد فضل طريق المغامرة بالتوجه

الي الأراضي السوفياتية واختار ٦٠٠ مقاتل[١٤]*** من بين رفاقه، بدلاً من الرجوع الى العراق والأستسلام للسلطات العراقية، فكانت مسيرة حربية تاريخية استغرقت ٥٠ يوماً اصطدم خلالها بالجيوش العراقية والأيرانية والتركية. أما الذين تخلفوا عن ركب البارزاني فقد عبروا الحدود الى العراق ومعهم الشيخ أحمد البارزاني وأربعة من الضباط السبعة، ونفذت الحكومة العراقية حكم الأعدام بهؤلاء الضباط الأربعة صبيحة يوم ١٧ / ٦ / ١٩٤٧ م[١٥] ومن الحوادث المهمة في هذه المرحلة كان أعدام قاضي محمد وشقيقه صدر قاضي وابن عمه سيف قاضي، وكان وزير الدفاع في حكومة مهاباد وتم ذلك يوم ٣٠ آذار من عام ١٩٤٧م وبذلك طويت صفحة من الصفحات الناصعة للشعب الكردي المكافح.

أما ما كان من أمر الملا مصطفى البارزاني ورجاله فقد اجتازوا كثير من المخطر وقطعوا منطقة آرارت ووصلوا مشارف نهر أراس فعلي الشاطئ الآخر للنهر كان الأتحاد السوفياتي الأمل المنشود. وكان عبور النهر يومي ١٧ـ ١٨ / ٦ / ١٩٤٧ وقد الف الشاعر والفيلسوف الكردي بيرة ميرد قصيدته الشهيرة[١٦]:

عەشرەت هاوارە التي تقول:

عـەشـرەت هـاوارە عـەشـرەت هـاوارە
کـــەوتوومـــە ئـاراس ئـاو بیّ بـوارە

ڕێم نیـیـە منیش شـوێن ئـەوان کـەوم
بیـــرم هـەنگـاوێک بـنێم ئـەکـــەوم

لێـــرەش واکـــەوتـووم بـەدەم دەردەوە
لە ئـێـشـی دووری و ئـاهـی ســەردەوە

دکـتـــۆر دەوای تـۆم نـاویّ لێـمگـەڕی
بـەلکم بـەئـاهـم دەوران وەرگـــەڕی

یـا وا وەرگـــەڕی ایـلـم وەرگـــەڕی
یـا زرمـــەی طۆپی زەڕەی بـەرکـەوی

ئـەوسـاکـە دوعـای من وگـیـرابی
لـە خـــانـی خـــاکـــا ئـاواتم نـابیّ

ئـینجـا تـەلقـینم بدەن بـەکـوردی
بلّـــێن ئـاواتت هـاتە جیّ و مـــردی

في الأتحاد السوفياتي

لم يكن بلوغهم الأتحاد السوفياتي خاتمة للمتاعب فهنا ايضاً برزت أمامهم معضلات من نوع جديد فالبلاد لها قوانينها وروتينها ولها ايديولجيتها وغاياتها، لاسيما في عهد ستالين لقد اسكنوا البرزاني في مدينة باكو عاصمة أذربيجان السوفياتية وعزلوه عن أنصاره، وفي عام ١٩٤٨ قسموا انصاره الى مجموعات ليجري بعد ذلك توزيعم على التعاونيات بهدف صهرهم في الحياة الجديدة للنظام السوفياتي، ثم ما لبثوا ان أسكنوا البارزاني في طشقند، واستطاع بعد موت ستالين من مقابلة خورشوف وتحسنت اوضاعهم بعد تلك المقابلة.

سنعود قليلاً الى الوراء لمتابعة التسلسل في المنافي الى مدينة الموصل ثم المدن العراقية الأخرى وأخيراً السفرة الشاقة الى الأتحاد السوفياتي السابق.



في الأتحاد السوفياتي

حياة البارزاني في المنافي

تشكل سنوات المنفي مرحلة هامة من حياة القائد مـلا مصطفى البـارزاني، ولا شك ان هذه السنين كان لها بصماتها في حياته، وفيها المجال للقراءة والدراسة، ومن ثم التفكير الهادئ ومراجعة النفس بعيداً عن غبار المعارك والمواجهات العسكرية واحابيل السياسة.

لعل الأستفادة في تثقيف النفس في القراءة الذاتية، وتلقي المعلومات والعلوم الدينية والعسكرية والثقافية على مقاعد الدراسة كانت أثمن ما حصل عليه البارزاني في سنين منفاه.

لقد بقي في منفاه في الموصل من سنة ١٩٣٤ الى ١٩٣٦ وفي وسط وجنوب العراق من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٩ وبقي منفياً في السليمانية من سنة ١٩٣٩ الى ١٩٤٣ وفي الأتحاد السوفياتي السابق من سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٥٨م.

ليس من اليسير الكتابة عن الحياة الشخصية في ظل غياب النصوص والمصادر، فالمعارك والتحركات السياسية تشير اليها وسائل الأعلام، فيما تبقى الحياة الشخصية في الظل ومصدرها الوحيد، ما يتناقله الأشخاص وبعض شذرات الكتابة التي يمكن جمعها من هنا وهناك، لكي يتسنى تسليط الضوء على هذه المراحل من حياته في المنفي.

المنفي في الموصل

حينما استخدمت الحكومة العراقية كل الوسائل القمعية وبمساندة القوة الجوية البريطانية من القضاء على انتفاضة بارزان " ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ " لجأ الشيخ أحمد وأخويه مصطفى وصديق ولفيف من المقاتلين والعوائل البارزانية، لجأوا الى تركيا، غير ان تركيا عمدت الى تسليم الشيخ أحمد الى الحكومة العراقية، والحكومة العراقية كانت تريد ان تتجنب القتال في تلك المرحلة فأفرجت عن الشيخ أحمد وأعادته الى برزان، وكان ذلك في نهاية شهر آب ١٩٣٣م. واقترن هذا الأجراء بإصدار قراراً حكومياً يقضي بالعفو العام عن الذين شاركوا في الأنتفاضة واستثني قرار العفو خليل خوشوي الذي استمر في عملياته العسكرية ضد قوات الحكومة[١٧].

لكن نبقي مع الشيخ أحمد الذي اخلي سبيله للعودة الى بارزان، امر أخيه مصطفى بالذهاب الى الموصل بموجب وعد قطعه على نفسه، وبعد عشرة أيام عاد البارزاني من الموصل، ثم ما لبثوا بعد فترة قصيرة ان وجهوا دعوة للشيخ أحمد لزيارة الموصل ولما لبّي الدعوة طلب منه بعد أيام أن يدعو أخيه مصطفى الى الموصل، ثم طلبت الحكومة منهما ان يحضر شقيقيهما الآخر وأولاد الشيخ عبدالسلام الى الموصل، حيث بدأت مرحلة النفي والحجز، فبعد استدراجهم جميعاً الى هذه المدينة وكان ذلك في مطلع سنة ١٩٣٤م، فرضت عليهم الإقامة الجبرية.

نستفيد هنا بشكل رئيسي عما سطره الدكتور عبد الفتاح البوتاني يقول:

أقامت الأسرة البارزانية (اسرة الشيوخ) في محلة رأس الكور وهي من أحياء مدينة الموصل القديمة، وتقع في نهاية شارع سوق الشعارين "شارع النبي جرجيس" المؤدي الى المستتشفي الجمهوري وبمحاذاة الضفة اليمني لنهر دجلة... ونظراً لما تتمتع به الأسرة البارزانية من المكانة والسمعة الطيبة لدي العرب والكورد، فقد تلقت، ولاسيما في الأشهر الأولى من وصولها الى الموصل، مساعدات طيبة من من وجوه المدينة وشخصياتها مثل: شيخ قبيلة شمر عجيل الياور، ومن أسرة كشمولة وأسرة توحلة "عباوي" كما حظيت الأسرة باحترام ورعاية متصرف (محافظ) الموصل حينذاك عمر نظمي بك (مايس ١٩٣٤ ـ ٤ تشرين الأول ١٩٣٥)[١٨].

الأستاذ مسعود البارزاني يشير الى هذا الموضوع فيقول ان والده كان يذكر له بالعرفان والأمتنان للمساعدات الكبيرة التي قدمها لهم الشيخ عجيل الياور شيخ الشمر وعائلتي كشمولة وعباوي، ويذكر ان ملا مصطفى البارزاني تعرض في الموصل الى مؤامرة لتسميمه،

ففي أواسط ١٩٣٦ استدعي متصرف الموصل مصطفى البارزاني الى دائرته وهناك دس له السم في القهوة ونجا من الموت بأعجوبة، وكانت أشبه بالمعجزة فقد ظل يصارع الموت لمدة أسبوعين، وبعد تلك الفترة أفاق من الغيبوبة..[١٩]. غير ان الأستاذ مسعود لا يذكر أسم المتصرف، وإن كان الحادث عام ١٩٣٦، فمن المؤكد هو خليفة المحافظ عمر نظمي الذي مكث حتى ٤ تشرين ١٩٣٥م. ويكون من المرجح ان المتصرف الذي دس له السم في فنجان القهوة، هو حسام الدين جمعة وهو مدير الشرطة في الموصل، وتولي منصب المتصرفية يوم ٥ تشرين الأول ١٩٣٥م.

المشهور عن مدينة الموصل أنها مدينة تجارية، وتجذب اليها كل موزايك التشكيل الأثني العراقي فتسمع من اللغات العربية والكردية والكلدانية، ويصادفك شتي انواع الأزياء العراقية الجميلة، لكن إضافة الى هذه الخصال لمدينة الموصل كانت مركز العلوم والثقافة والفنون. في هذه المدينة أراد البارزاني ان يستفيد من الوقت في المجال الثقافي لكي يعوض عما فاته من سنين الدراسة.

لقد انتظم في صفوف الطلاب للعلوم الدينية الذين يتلقون الدروس في جامع عبد الله نشأت بك، فتلقي دروساً في الفقه الأسلامي.. ودروساً في تعليم اللغة الفارسية وآدابها عند زميله في الدراسة والذي كان يتقدمه في التحصيل العلمي حينذاك يحي بوتاني، واستناداً الى ما ذكره أساتذته والذين جالسوه وناقشوه، فقد كان للبارزاني مقدرة حقيقية على الأستيعاب والأدراك، حيوياً نشطاً مفكراً حاد الذهن يتقد حماسة، وإنه كان يتأفف لأنه لم يتمكن مواصلة دراسته وبشكل طبيعي مثل زملائه... وكان حريص على حضور دروس التي يلقيها علماء الدين في بعض الجوامع.. وكذلك كان يتردد على مكتبة الأمير غازي (المكتبة المركزية العامة حالياً) ولم يكن قد مضي على تأسيسها سوي أربع سنوات[٢٠].

لقد كان ملا مصطفى البارزني يوم قدومه الى الموصل في ريعان الشباب حيث كان عمره يبغ ٢١ سنة ويحدثنا الدكتور عبد الفتاح البوتاني عن اهتماماته وصداقاته في هذه الفترة فيقول:

كان البارزاني في اوقات فراغه يزور المراقد الأسلامية المقدسة والمواقع الأثرية القريبة من محل إقامته، ومن جملة المراقد كان يزورها مرقد شقيقه الشيخ عبدالسلام في محلة الشيخ عمر، ومن المواقع الأثرية التي كان يزورها أثناء تنزهه على ضفة نهر دجلة اليمني، بقايا قلعة باشطابيا وقره سراي..وكثيراً ما كان يتردد في العصريات على مقهى القلعة الواقعة على ضفة نهر دجلة اليمني عند مدخل الجسر الحديدي الذي كان قيد الأنشاء، لقد كان رواد هذه القهوة من وجهاء المدينة، ويحترمون البارزاني حتى انهم كانوا ينهضون له أحتراماً عند

قدومه، وهو يرتدي بدلة كردية " شال وشبوك " ويضع خنجراً ذا مقبض أبيض اللون في حزامه (البشتين). وعن صداقاته يكتب الدكتور عبد الفتاح:

كان البارزاني يتردد على سوق الكمرك (سوق الموصل) للجلوس في محل صديق له يدعي عيسي ججو " من مسيحيي عقرة " وكان تاجراً للبسط والمفروشات (المحافير) والسماورات وقماش " الشال وشبوك " وفي هذا المحل كان يلتقي الكثيرين من الكورد القادمين من منطقة بهدينان ولاسيما من قضاء عقرة، ومن الجدير بالذكر أن شخصاً يدعى علي عبدالله عيسي المزوري، أهدي البارزاني في محل عيسي ججو بندقية برنو*[٢١] جيدة وبعد ان تفحصها ردها شاكراً كرمه قائلاً: ماذا أفعل بها وأنا في منفاي هنا؟[٢٢].

النشاط السياسي في الموصل

في تضاعيف السنة الثانية من النفي الى الموصل اي سنة ١٩٣٥ وبعد ان اشتدت انتفاضة خليل خوشوي ورفاقه كانت مدينة الموصل تعتبر الخطوط الخلفية للمعارك، إذ منها تنطلق الحملات العسكرية، والى مستشفياتها يخلى القتلي والجرحي من أفراد الشرطة والجيش، وإن هذا يخلق تذمراً ويكون له تأثير سلبي على وضعية المبعدين من الأسرة البارزانية الى الموصل، فيسري عليهم التشديد ومراقبة تحركاتهم، إذ ان السلطات كانت تتهم الأسرة البارزانية بتوجيه خليل خوشوي وقيادة الأنتفاضة من منفاها في الموصل، وفي سياق مراقبة القيادة البارزانية يقول متصرف الموصل:

" إن الشيوخ المأمورين بالأقامة في الموصل وضعوا تحت رقابة تعد عليهم أنفاسهم "

وفي تقرير آخر يكتب المتصرف حسام الدين جمعة يقول:

بينما كانت الحكومة منشغلة بتقوية نظامها في بارزان، كان الشيخ احمد وأخواه يعملان على تنظيم الأتصال سراً مع خليفتهم في قرية (ريزان) اولو بك ـ وهو من عشيرة شيروان ويعد من قادة البارزانيين ـ والأتصال بواسطة خليل خوشوي حتي ان عصابة خوشوي قويت واندفعت تشن الغارات على القري المسالمة وتفاجئها مفاجأة الغول ليلاً.. ويضيف التقرير: على انني أقرر من غير تحفظ أنه كان لوجود أولو بك في في تلك المنطقة أثره القوي في رد الفعل الذي ظهر في شقاوة خوشوي وكرر العبرة العثمانية في ضعف أثر السلاح الذي لا تسنده السياسة باستمرار... ويختتم المتصرف تقريره قائلاً: فلما استفحل شر عصابة خوشوي وأستعصت رعونة الشيوخ على النصيحة وعلى النذير نفي الشيوخ وأتباعهم الى الجنوب لقطع ما بينهم وبين الثورة، كما شددنا الحملة على العصابات.. ونجحت الحملة بمصرع خوشوي واستسلم اتباعه الباقون.. وكان من أقوي عناصر النجاح إقصاء الشيوخ،

وبناء على هذه النتائج الفائقة تقرر إقصاء الشيوخ نهائياً[٢٣]. أجل تم نفي القيادة البارزانية من الموصل الى بغداد ثم الى الناصرية والبصرة.

في حادث مصرع خوشوي نستقيه من مصدر آخر وهو الأستاذ مسعود البارزاني حيث يقول ما مفاده: بأنه في ايلول ١٩٣٥ أستطاع خليل خوشفي مع ٣٠ من أقربائه من الأفلات من الطوق الذي فرضته عليه القوات العراقية والتركية معاً.. ووصل الى منطقة دوسكي زوري اي الجزء الجنوبي، وهم جزء من عشيرة الدوسكي يسكنون شمال غرب بارزان، وأراد ان يختفي هناك حتي فصل الربيع، لكنه تذكر صنيعه لجاره كلحي الريكاني حينما أنقذ حياته يوم تعرض للهجوم من قبل سيتو آغا هوراماري وهي قبيلة اشتهرت ببأسها داخل كردستان تركيا، فاتصل بكلحي الريكاني عله يجد عنده الأمان الى الربيع القادم، بعد ان كان أنقذ حياته. فاستجاب لطلبه كلحي الريكاني، وقد تم إيوائهم في كهف بعيد عن المناطق المأهولة وزوده كلحي الريكاني بأرزاق تكفي لأسبوعين، وفي هذه الأثناء توجه كلحي الى عمادية لأخبار السلطات بمكان تواجد خوشفي ورفاقه في الكهف، ولم يشعر خليل ورفاقه إلا عندما حوصروا من كل الأطراف وطلبوا منهم الأستسلام، فقاوموا حتى آخر طلقة وآخر قطرة دم، واستشهدوا جميعاً بشرف وعز، ودفع كلحي الريكاني ثمن خيانته هذه باهضاً جداً بعد عام ١٩٦١[٢٤].

وقبل ختام هذه الفقرة من المفيد الأشارة الى شأن ذي صلة بفترة وجود البارزاني مصطفى في الموصل وهو في طريقه الى بغداد وكان ذلك الأثنين الموافق ٢١ شباط سنة ١٩٤٤ لمقابلة الملك فيصل الثاني والوصي عبد الأله، وفي هذه الأثناء يعقد مؤتمراً صحفياً في هذه المدينة يتكلم عن بعض التفاصيل التي الت به فيذكر فيه كيف تعرض لمحاولة تسمم في ديوان المتصرفية، وفي السليمانية كيف كانت السلطات تراقب رسائله الشخصية وتمنعها من الوصول الى ذويه ويقول:

انه حينما نقل من البصرة الى السليمانية سنة ١٩٣٩ وبسبب سوء اوضاعه الأقتصادية عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، كتب رسالة في ١٣ أيول ١٩٣٩ الى خاله أولو بك يطلب فيها منه ان يجمع له مبلغاً قدره عشرة دنانير من فلان وفلان ويرسلها له لكي يسدد ما بذمته من الديون، لكن الرسالة لم تصل فقد صادرتها السلطات واحتفظت بها إمعاناً في إذلالنا وإحراجنا من الناحية المادية. إن مثل هذه المعاملة، فضلاً عن أسباب أخري، دعتني أقرر مغادرة السليمانية مهما كلف الأمر، وقد غادرتها فعلاً في تموز ١٩٤٣م... وقبل أن يغادر البارزاني الموصل في ٢٢ شباط ١٩٤٤ الى بغداد زار عدداً من الأسر الموصلية التي ارتبطت مع أسرته بصداقات حميمة أثناء إقامتها في الموصل، وقد أرسل بطلب مدرسه العالم الديني

محمد علي.. ليسأله عن الناظور "دوربين، المقراب" الذي اودعه عنده أمانة قبيل نفيه الى الجنوب، وحينما تأكد البارزاني أن العالم الديني المذكور لم يعد يحتفظ بالأمانة، أبدي استياءه ولكن كظم غيضه، واستمر معه في الحديث وكأن شيئاً لم يحدث[٢٥].

في البصرة

البصرة الفيحاء وثغر العراق، وشناشيلها التراثية والقنوات المنسابة برشاقة بين البيوت، والمراكب الخشبية وأشرعتها العالية الراسية بجوار البواخر الحديثة، إنها تداعيات تحملك الى عالم البحر الملئ بالقصص والأخطار والأسرار وعبق التاريخ وبقصص السندباد البحري ومغامراته البحرية المشوقة.

وفي البصرة أيضاً مناخها كأنه زائر غريب لا يكترث لمعاناة الناس، إنه مناخ لا يرحم لا سيما في الصيف وقت هبوب الرياح الشرقية (الشرجي) المحملة بالرطوبة والذي يقطع الأنفاس.

لقد عشت وعائلتي في هذه المدينة قرابة ١٤ سنة. وكان انفتاح المجتمع البصراوي وروحه الطيبة وقبوله للآخر، كل هذه الخصال الحميدة، قد غطت على قساوة المناخ فعشنا فيها مرتاحين سعداء لا يعكر صفو عيشنا معكر.

والى هذه المدينة نفي الملا مصطفى وأخيه الشيخ أحمد وعوائلهما، ولنا ان نتصور ما يمكن أن يعانيه ابن الجبل في هذه الأصقاع الحارة والرطوبة العالية، ولعل هذه المعاناة لم يقبل بها الشيخ لطيور السماء المتعودة على العيش في الجبال. ومما يروي عن حياة الأسرة في مدة إقامتها الأجبارية في البصرة، أن أحد الكورد زار الشيخ أحمد هناك وكان قد أخذ معه عدداً من طيور الحجل " القبج " ليقدمها هدية للشيخ أحمد، لكن الشيخ رد الهدية قائلاً:

إن الحكومة أبعدتني الى هذا المكان الحار، فلماذا أظلم هذه الطيور المتعودة على العيش في الجبال للعيش هنا؟ وأمر أحد رجاله أن يأخذها الى كردستان وأن يطلقها من فوق جبل بيرس، وقد نفذ أمر الشيخ. من الطريف ان السلطات الحكومية فسرت ذلك العمل حينذاك، بأنه إشارة للكورد لأعلان الثورة ضد الحكومة[٢٦].

وسوف نبقى في البصرة ايضاً لكن الزمان هو أواسط السبعينات من القرن الماضي وقد يكون بعيداً عن مصير الأسرة البارزانية في هذه المدينة لكنه يدور ايضاً حول محور القضية الكردية في عقود تالية من عمر هذه القضية وتاريخ العراق. في اعقاب توقيع اتفاقية الجزائر بين العراق وأيران في السادس من آذار مارس ١٩٧٥ وفي وقت مبكر وقبيل توقيع المعاهدة

بادرت أيران الى قطع الأمدادات من الأسلحة والأغذية والأموال عن الثورة الكردية، وبذلك اسدل الستار على فصول الحرب الخامسة التي امتدت بصورة متقطعة من ١١ ايلول، سبتمبر ١٩٦١ الى آذار، مارس ١٩٧٥م.

لقد كانت تداعيات إنهيار الثورة الكردية في هذه المرحلة قاسية على الشعب الكردي، وكما كان متوقعاً فإن الحكومة العراقية تنصلت عن الكثير من التزاماتها ويفيدنا موسي السيد علي في دراسته حول القضية الكردية يقول:

لحقت الويلات بالأكراد بصورة عشوائية عقب هزيمة مصطفى البارزاني، فلم يسلم شمال العراق من عمليات التهجير والتنكيل الحكومية واسعة النطاق رغم أن بغداد استمرت من المبدأ تعترف بالحكم الذاتي الذي منحته للأكراد، والذي ادارته عناصر يتهمها الأكراد المعارضون للأتفاق مع بغداد بكونها موالية لحزب البعث الحاكم من محتواه، وهو اتهام صحيح إذ استغلت الحكومة العراقية انهيار حركة مصطفى البارزاني ليس لأفراغ الحكم الذاتي من محتواه بل أيضاً لشن حملات تعسفية جماعية ضد السكان الأكراد[٢٧].

أثناء عملي في البصرة في تلك الفترة نفي الكثير من الأكراد الى المناطق الجنوبية من العراق، وكان لمدينة البصرة حصة من الأكراد المنفيين، ولقد نسب حوالي ٤٠ فرداً منهم للعمل في مؤسستنا البحرية، وكان هؤلاء يقومون بتفريغ الأسماك من البواخر في رصيف العشار التابع للشركة العامة للأسماك. وكان زميلي مدير الرصيف في إجازة، فقمت بأعماله في أيام تمتعه بالأجازة، وأثناء ذلك دخل اثنان من الأكراد الى غرفتي وهم يتكلمون العربية بصعوبة، وحينما أجبته بالكردية ممزوجة ببعض الكلمات العربية كان فرحتهما كبيرة، ثم أشرت لهما بالجلوس، وقال احدهم: كم هو رائع ان يكون لك معارف في الدوائر الحكومية لتسهيل أمورك، وأمرت لهما بجلب الشاي. ثم بعد ذلك اخبرني بأنهم بحاجة الى إجازة يسافرون بها الى قراهم ثم يعودون، فخابرت مدير الأدارة وهو شاب بصراوي طيب، وطلبت لهم الأجازة، فأخبرني إنهم الوجبة الأخيرة الباقية من الأكراد، حيث كلما نمنح إجازة اعتيادية لمجموعة منهم فإنهم يسافرون ولكن لا يعود منهم اي فرد، وبعد مداولات وافق الرجل وقال إني متأكد انهم سوف لا يعودوا، فقلت:

دعهم يلتحقوا بقراهم ومزارعهم وأسرهم، وإنك لا تقوم بعمل ضد القانون إنك تقوم بواجبك، ومسؤولية عدم عودتهم ليست مسؤوليتك. وهكذا سافر هؤلاء الأشخاص دون أن يفكروا بالعودة.

وبالرجوع الى موضوعنا في شأن البارزانيين فإنهم عاشوا تحت الإقامة الجبرية في

الموصل والناصرية والبصرة في ظروف صعبة من شظف العيش والحرمان والفقر، ومنها نقلوا الى السليمانية.ويكون مجموع نفيهم في الغربة حوالي ١١ سنة قبل ان يعودوا الى بارزان.

في السليمانية

الأقامة الجبرية في السليمانية كانت تحمل في طياتها الصعوبات، من ناحية ظروف الحرب العالمية الثانية التي ألقت بظلالها على شعوب المنطقة، حيث الغلاء الفاحش وانتشار المجاعة وتفشي الأمراض. وكان البارزانيون في هذه الفترة باعتبارهم تحت الأقامة الجبرية خارج منطقتهم، يتلقون مخصصات الأعاشة من الحكومة، وفي هذه الأثناء كان متصرف لواء السليمانية الشيخ مصطفى القره داغي، وهو كردي، لكنه أراد أن يكون كما يقال ملكاً أكثر من الملك، حاول تضيق الخناق على البارزانيين، فقطع عنهم المخصصات التي تصرفها لهم الحكومة، ثم فرض حصاراً اجتماعياً واقتصادياً على العائلة البارزانية، لأذلالهم قدر الأمكان، فمن جانب يقطع المتصرف عنهم المخصصات ومن جانب آخر يفرض حظر على أي دعم يقدمه أهل السليمانية للبارزانيين[٢٨].

لقد كان لهذا الوضع الوقع السيئ في نفسية الشاب ملا مصطفى البارزاني، وبهذا الصدد يشرح الشيخ أحمد الموقف لجياووك وهو الناشط القومي والنائب الكردي في البرلمان يقول: هل يصح ان يأتي كابتن لاين (ضابط انكليزي) ويضع الدنانير تحت الفراش وقره داغي لا يسمح للناس بمساعدتنا؟ ويضيف جياووك " قلت ان معاملة الكابتن...... لاين لهم هو دسيسة لا محبة وإن هروب ملا مصطفى الى بارزان هو سبب لطفه. يبدو ان الحكومة والأنكليز كانا حاقدين علي شخص الملا مصطفى ويحاولان تركيعه بشتي السبل...وفي حديثه مع جياووك يصف الشيخ أحمد الحالة النفسية الصعبة للملا مصطفى البارزاني قائلاً:

إنه شاب لا يتحمل الأهانة والقسوة ويرجح الموت لحفظ العنعنات والشرف. تعدى عليه في حمام أحد الأراذل وعند خروجه ذهب الى المتصرف فشكاه الحال، فلم يهتم بشكواه، كما وإنه لم يبق عنده من المال شئ، حيث با ع طاقية زوجته وصرفها وعندما طلب منها شيئاً من الغازيات " وهي المصاغات الذهبية التي تربط الطاقية للزينة " رمت بالطاقية فوجد فيها نعلين من نعال لخيل فطار عقله وهرب ليلاً مع ثلاثة من مريديه[٢٩].

في هذه الظروف الصعبة لم يبق أمام الملا مصطفى البارزاني سوي اللجوء الى الهروب الى البارزان حيث الساحة المفتوحة لمواصلة مسيرة الكفاح.

إن الفقر والظروف المعيشية الصعبة في السليمانية لم تكن الصفحة الوحيدة في حياة

البارزاني فهناك صفحات أخرى يشار اليها في قناة الجزيرة الفضائية، وفي هذا البرنامج يقول أحمد الزاويتي:

استفاد البارزاني من وجوده في السليمانية فعمل علاقات مهمة مع محركي الحس القومي الكردي وكانت السليمانية تعج بهم، استفاد ايضاً من الروح العشائرية القومية ومن خبرته في الحرب والقتال ومن الوعي الحزبي السياسي وفكّر في الثورة من جديد، ثورة كردية اختلفت عن سابقاتها.

وهو يضيف: بأن البارزاني نسق مع حزب هيوا الكردي فهرب من منفاه ودخل الى مناطق الأكراد في أيران ثم عاد الى منطقته بارزان واستعد من جديد للقتال. وفي نفس السياق يقول مكرم الطالباني: إن مشكلة البارزانيين كانت إحدي المشاكل التي يهتم بها حزب هيوا وبمساعدة حزب هيوا عام ١٩٤٣ تمكن المرحوم مصطفى البارزاني من الهروب من المنفى في السليمانية الى منطقة بارزان[٣٠].

ان الحرب العالمية الثانية كانت في طريقها نحو النهاية ولابد من النزول الى المسرح السياسي والعسكري لعرض القضية الكردية على المحافل الدولية، فكما هو معروف فكل حرب تتمخص عن نتائج وتغييرات جيوبولوتيكية يقررها الكبار المنتصرين، وكان المراد ان لا تخرج كردستان ثانية من المولد بلا حمص.

ولهذا كان لا بد من الهروب من الحياة المقيدة.. الى سوح العمل..الي فضاءات الحرية..

الي قمم الجبال الشماء

الي الوديان السحيقة

الحاضنة

لسيول الأنهار

والجبال صناعة عاشقة

للأبطال

لقلوب نابضة بحب

مرافئها في الذراري العاصية

تسلك كل الدروب وتقطع كل الشعاب

وتعبر كل الأنهار

وتتربص الريح وصقيع الشتاء

ونوايا الأعداء

في كل منحدر تزرع الرعب والأهوال
ولكن مهما طال ظلام الليل
فوهج الشمس قادماً
لامحال
وتبقي الحرية.. فناراً
يلوذ بها الثوار
نحو الذرى الشماء
اليوم وغداً وو
ومادامت الأرادة حية في ضمائر
الأحرار

يقول ملا مصطفى البارزاني:

أستأذنت من الشيخ أحمد وطلبت منه أن يعطيني التوجيهات والأرشادات اللازمة، فأمر بوجوب العدل في تصرفاتي مع الناس، وعدم السماح للغرور بالنفوذ الى نفسي، وتجنب الأصطدام مع القوات الحكومية إلا بعد ما أتأكد من النجاح، وعدم المساومة بسبب تواجدنا في أيديهم...

ولقد خرج البارزاني متنكراً بزي رجل دين ومعه اثنان من مريديه فقط، فدخل الأراضي الأيرانية، في منطقة شنو ومن هناك توجه نحو بارزان.

الأقامة في الأتحاد السوفياتي

من جملة ما تمخضت عنه نتائج الحرب العالمية الثانية هو انسحاب الجيوش البريطانية والسوفياتية من الأراضي الأيرانية، وعقب هذا الأنسحاب مباشرة قيام السلطات الأيرانية ببسط نفوذها على أراضيها، وفي هذا السياق تم القضاء على جمهورية أذربيجان الديمقراطية، وجمهورية مهاباد الكردية.

وأراد الملا مصطفى البارزاني العودة الى العراق، لكن الحكومة العراقية حشدت قوة عسكرية كبيرة وشنت غارات جوية على القري التي كان يتواجد فيها، ورأي استحالة مواصلة القتال في تلك الظروف القاسية، وكان اختياره للجوء الى الأتحاد السوفياتي بعد مشاوراته مع شقيقه الشيخ أحمد البارزاني.

في هذه الفقرة نهمل موقتاً المسيرة التاريخية التي سلكها بغية الوصول الى الأتحاد

السوفياتي، وسوف نحصر اهتمامنا لما آلت اليه ظروفه مع انصاره من البارزانيين الذين رافقوه الى هذه الديار.

كانت المصاعب من نوع جديد بانتظار الملا مصطفى ورفاقه. إذ بعد دخولهم الأراضي السوفياتية فصل البارزاني عن رفاقه حيث نقل الى مدينة نخجوان في جمهورية أرمينيا السوفياتية، أما بشأن اصحابه فالجرحي نقلوا الى المستشفيات لعلاجهم، إلا ان الباقين عوملوا كأسرى حرب فقد وضعوا في معسكر مكشوف في العراء أحيط بأسلاك شائكة وبحراسة عدد من الجنود، ومنعوا من الخروج من حدود المعسكر.. مع إجراء تحقيق معهم كل على انفراد، وكان مصير البارزاني مجهولاً بالنسبة الى أتباعه في المعسكر. لكن بعد فتره أقبل ضابط روسي الى المعسكر وأخذ معه مير حاج وعاد به مساءً وتكررت العملية في اليوم الثاني وكانت إمارات الحزن باديه على وجهه، لكن أساريره انفرجت عندما عاد في اليوم الثالث للجماعة باسماً بأنه كان ينقل من المعسكر في المرات الثلاث الى حيث يقيم البارزاني الذي كان يعاني مرضاً شديداً، وقد وجده يتماثل الى الشفاء في اليوم الثالث وقال إنه سيزور المعسكر عما قريب. وفعلاً أتاحت السلطات السوفيتية له بزيارة المعسكر في ١٢ / ٧ / ١٩٤٧ برفقة عدد من المسؤولين السوفيات، واطلعوا على الحالة التعيسة في المعسكر، فأصدرت الأوامر بإزالة الأسلاك الشائكة فوراً كما اصدروا تعليماتهم بتحسين نوع الغذاء[٣١].

في برنامج فضائية الجزيرة يقول احمد الزاويتي: شتت السوفيات شمل البارزانيين في جمهورياتهم في البداية تم التعامل معهم كأسرى حرب وكان سوء المعاملة معهم استمر حتى وفاة ستالين، فسّر البعض سبب ذلك بعدم استجابة البارزاني ورجاله لتبني الشيوعية. وفي نفس البرنامج يضيف شريف قرطاس وهو من رجال البارزاني الذين رافقوه في رحلته الى الأتحاد السوفياتي قائلاً:

ملا مصطفى وأصحابه لم يصبحوا شيوعيين طوال تواجدهم هناك، كنا على شكل مجاميع موزعة في سيارات عسكرية، وكنا نرتدي زياً خاصاً وموحداً، وكلما مررنا بقرية، كان مواطنوها يجتمعون حول سياراتنا ويشتموننا، كانوا يعتقدون اننا أسرى ألمان.

في ٢٩ / ٩ / ١٩٤٧ نقل البارزاني الى باكو عاصمة أذبيجان السوفياتية، كما نقل جميع البارزانيين الى هذه المدينة ونزلوا في معسكر مؤثث وفيه أسباب الراحة.، والتقي البارزاني بباغيروف وطلب منه المساعدة من أجل إدخال أنصاره في المدارس والمعاهد والدورات العلمية والفنون العسكرية للأستفادة من الوقت في تنمية معرفهم وقابلياتهم العسكرية لا سيما الشباب منهم.

كان البارزاني في ضيافةم. د. باغيروف سكرتير الحزب الشيوعي الأذربيجاني وكان الأخير مقرب من ستالين ووزير الداخلية لافرنتي بيريا، وكان الأعتقاد السائد ان الأكراد ساهموا في عرقلة الحركة الأذريجانية في أيران التي كانت موسكو وباكو تناصرها، ولهذا تعرض البارزانيون لمختلف اشكال الترصد والظلم والمضايقات من مختلف الأنواع... احتج البارزاني احتجاجاً شديداً على تلك المعاملة السيئة أزاء مواطنيه، الأمر الذي الى أدى تعرض اللاجئين الكورد الى اضطهاد جماعي، بحيث جري نفيهم الى مستوطنات خاصة في أوزبكستان[٣٢].

كانت معاملة باغيروف للاجئين البارزانيين الأكراد تنطلق من فكرة احتواء الأكراد في كيان أذربيجاني وفي أحد اللقاءات بين البارزاني وباغيروف حول الموضوع هدد الأخير البارزاني بوجوب قبول اقتراحاته وإلا سيتحمل مسؤولية العواقب المترتبة على ذلك، لكن البارزاني رد عليه قائلاً:

لم نأت الى هنا لكي تهددنا أيها الرفيق باقروف ولو كنا نخشي التهديدات لما كنت رأيتني هنا، جئنا الى الأتحاد السوفياتي لكي نسمّع شعوبه صوت شعب مظلوم، ألا وهو شعب كردستان، ولكي نحافظ على كرامتنا وعزة شعبنا وأرجو أن تفهم بأننا لا نرضخ للتهديدات ولن نقبل إطلاقاً أن نتبع شعباً لا يزيد شأناً عن شعبنا وحتى لو كان هذا الشعب صديقاً وأخاً لنا كشعب اذربيجان، فنحن شعب مستقل ولسنا جزء من أذربيجان ولن نقبل بطمس شخصية الشعب الكردي[٣٣]. لقد كان البارزانيون يعتقدون إن وضعهم في أية جمهورية اخرى سيكون أفضل من أذربيجان لما يحمل رئيسها من تلك الفكرة الأحتوائية للشعب الكردي. ولهذا طلب البارزاني من السلطات السوفياتية نقله والبارزانيين جميعاً الى اي جمهورية سوفياتية أخرى، وهكذا تقرر نقلهم الى أوزبكستان. أستقرت احوالهم حينما نزلوا في معسكر جرجوك، والي جوار المعسكر تقع الدار التي يقيم فيها الملا مصطفى البارزاني وعائلته، وفي هذه الأثناء قابل البارزاني كل من ينازوف ويوسفوف، سكرتير الحزب الشيوعي الأوزبيكي ورئيس الوزراء، ووعداه بالدعم والأهتمام.

لقد جمع شمل البارزانيين في هذه المنطقة والبارزاني من جانبه توجه الى دراسة اللغة الروسية، وقد أتقنها وصار يتكلم بطلاقة ويكتبها، لكن هذا الوضع المستقر لم يكتب له الأستمرارية، فيبدو ان باغيروف كان يدبر أمور أخري ليست في الحسبان.

في ١٣ آذار ١٩٤٩ وصل الى طشقند حيث يقيم البارزاني ضابط سوفياتي وأبلغ البارزاني بأنه سيرافقه الى موسكو بطائرة خاصة لكي يقابل ستالين وزعماء الأتحاد السوفياتي، لكن

الذي حصل ان الطائرة حطت في بلدة واقعة على بحيرة أورال، والأقامة فيها تعني الأبعاد او النفي، في اليوم التالي طلب من خمسة من مساعديه بمغادرة المعسكر للألتحاق بالبارزاني لكنهم نقلوا الى سمرقند، وكررت السلطات نفس الأسلوب مع المسؤولين الآخرين فبعثرتهم في انحاء الأتحاد السوفياتي بحجة نقلهم لتفقد معسكر جديد خصص لتدريبهم، وهنا يضيف الأستاذ مسعود البارزاني: ان نصيب أسعد خوشفي ومحمد أمين ميرخان ومامند مسيح ومصطو مزوري.. وغيرهم نقلوا الى جزيرة موبناك في وسط بحيرة أورال حيث نقلوا اليها بالطائرة. أما الأسلوب الذي اتبع مع الآخرين فقد تميز بالذكاء إن لم نقل بالخباثة،ويضيف الأستاذ مسعود البرزاني في نفس السياق فيقول: إن الباقين وزرعوا بترتيب معين على عربات قطار خاص، وفي كل محطة كان يقف فيها القطار كانت تفصل عربة من المؤخرة ليواصل القطار سيره بالعربات الباقية وهكذا الى ان كانت العربة الأخيرة، فكانت كل مجموعة لا تعرف بما حل ببقية رفاقهم والى أين نفوا[٣٤].

لقد كانت هذه اقسى عقوبة جماعية حيث قسموا الى المزارع الجماعية " كولخوزات " دون أن يكون بينهم أي اتصال مع تكليفهم بأعمال شاقة غير مبالين بأنهم لاجئين سياسيين امام القانون، وبهذه الصورة انقطعت اخبارهم عن العالم الخارجي.

قد تكون هذه الأجراءات نابعة من جوهر النظام التوتاليتاري الذي يسعى الى قولبة الناس وفق الفكر الأديولوجي، وإن توزيعهم الى هذه التعاونيات سيكون ثمة احتمال لتأقلمهم مع الواقع الجديد الذي يحيط بهم، وهكذا كان أمر فصلهم عن قائدهم ومن ثم توزيعهم الى التعاونيات. لكن واقع الحياة أثبت ان صهر الأنسان في بودقة واقع غريب ومفروض عليه فإن ذلك دونه خرط القتاد.

تحسن الأحوال

في آواخر عام ١٩٦٩ سافرنا في بعثة حكومية للدراسة في الأتحاد السوفياتي، ونقلنا من موسكو الى باكو في القطار، وفي باكو أقمنا في قسم داخلي للطلبة، وكان الماء في أغلب الأوقات مقطوعاً عن القسم، إضافة الى ذلك لم نزود ببطانيات تقينا من البرد القارص، ورغم مطالبتنا المتكررة في تحسين أحوالنا، لكننا لم نلق آذاناً صاغية لما نطلبه، وهي أمور حياتية بسيطة، وأتفقنا على الأضراب، وذلك بأن نحضر الى الصف ولكن لا نسمح للمدرس بالتدريس إلا بعد الوعد بتلبية مطالبنا، وربما هذه حالة غريبة في ان يتفق العراقيون على رأي واحد. وفي الحقيقة كانت هذه حالة غير واردة بالمفهوم السوفياتي، وقد رأينا السعي الحثيث لتلبية مطالبنا بتحسين أوضاعنا، وربما حُقق لنا أكثر مما طلبناه. يبدو من قراءة التاريخ ان

إضرابنا لم يكن الأول، فهناك البارزانيون سبقونا بعقدين من الزمن حيث أقدم الأكراد البارزانيون على الأضراب جلوساً ٧٢ ساعة - وكان هذا الأمر يعد من المستحيلات في الأتحاد السوفياتي في عهد ستالين - ومطلبهم ان تحسن اوضاعم ويلم شملهم مع قائدهم.

لقد أفلح هذا الأضراب بتحقيق نتائج جيدة، فسمح لهم بإعادة العلاقات فيما بينهم ومع قائدهم، وأما البارزاني فسمحوا له بإرسال ممثليه الى موسكو لعرض مطاليبهم وشكواهم...

وقبل ذلك كان البارزاني قد أرسل من طشقند ٧٢ رسالة الى ستالين يذكر فيها أوضاع البارزانيين هناك، ولم يتلق أي جواب عليها، وكان يشك ان هذه الرسائل لا تصل اليه، لذا عندما سافرت جارته الى موسكو ناولها رسالة جديدة وطلب منها أن ترمي الرسالة في صندوق البريد هناك.

بعد موت ستالين سافر البارزاني سراً من طشقند الى موسكو، وحسب الأقاويل ذهب الى بوابة (ستاسك) وشرع يطرقها، فهرع اليه عنصر الأمن وهو يصرخ من أنت؟

فأجاب البارزاني: إنه الشعب الكردي يطرق، فاعتقل مباشرة ولكن بعد معرفة شخصيته سمح له الألتقاء مع ممثلي الحكومة ومن ثم مع خروشوف ذاته، لقد كانت مطالب البارزاني تنحصر في إفساح المجال له ولأنصاره التعلم فنفذ هذا المطلب فأرسل ٢٠٠ برزاني الى المعاهد والجامعات، أما البارزاني فسكن في موسكو في شارع توفوملوبسكايا في بناية شيدت حديثاً خصيصاً للمهاجرين السياسيين وأنهى البارزاني الأكاديمية العسكرية التي باسم " فرونزي" وتخرج برتبة جنرال[٣٥].

لقد كانت فرصة مناسبة لتلقي العلم وهي ايضاً فترة زمنية لتعويض ما فاته واللحاق بأقرانه في مجال التحصيل العلمي، هذا وإن رغبة البارزاني في تلقي العلم والمعرفة تجسدت في هذه الفترة حينما جلس على مقاعد الدراسة وهو في الخامسة والأربعين من عمره واستغل سنوات اللجوء في الأتحاد السوفياتي (١٩٤٧ - ١٩٥٨)، وحثه الذين كانوا معه على التعلم، والطلب من السوفيات ان يفسحوا لهم مجال التعليم ودراسة كل ما يفيد المجتمع من العلوم الحديثة، ولم ينقطع البارزاني عن الدراسة، رغم انشغاله بأمور رفاقه، واتصالاته الحكومية والخارجية، وبقي يلازم مقعد الدراسة حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق[٣٦].

وعن المقابلة مع خروشوف يقول الدكتور كوماروف، ان خروشوف مازحه قائلاً، لقد ناضلت ضد خمس دول ما هي هذه الدول؟ فأجاب البارزاني: إنها تركيا وأيران والعراق واوزبكستان، وفي نفس السياق يورد الأستاذ مسعود البارزاني، أنه في أحدي لقاءات

البارزاني مع خروشوف، طلب منه أن يسرد الأحداث التي ألمت بهم في الطريق الى الأتحاد السوفياتي، فقص عليه البارزاني ذلك بالتفصيل وختم حديثه بقوله: حاربت ورفاقي سبع دول الى ان وفقت في الوصول الى موسكو. فطلب منه خروشوف المعروف بدقة الملاحظة أن يذكر تلك الدول.

فقال البارزاني: أمريكا وبريطانيا والعراق وتركيا وأيران واذربيجان وأوزبكستان[٣٧].

كدليل على انفراج الأزمة وتبدل أحوال البارزانيين نحو الأفضل فقد سمح للبارزاني بتفقد أحوال الأكراد في كل من أذربيجان وأرمينيا للأطلاع على أحوالهم وكان يستقبل أينما يحل بحفاوة بالغة، وكان يطلب بإلحاح من السلطات السوفياتية منحهم الحكم الذاتي، وفي هذا السياق خصصت إذاعة يرفان جزء من برامجها للبث باللغة الكردية وكنا نلتقط هذه الأذاعة في القوش في ليالي الصيف في اواخر الخمسينات وأواخر الستينات من القرن الماضي، وكان لها شعبية كبيرة في هذه الأصقاع.

المعروف عن البارزانيين انهم ذوي خصال حميدة وطيبة بالفطرة ويتسمون بالوفاء للعهد والأعتراف بالجميل، ومن هذه الخلفية كان للبارزاني كرجل سياسي أيضاً خبرة متعددة الدلالات في تعامله مع السلطات السوفياتية، حيث كان هذا التعامل يحمل جوانب سلبية وأيجابية. ولا بد من القول: أنه رغم ما تلقاه من معاناة في المنفى فإنه لم يضمر شراً للبلاد التي وفرت له مأوى، وكان يفرق بين ما كانت تقوم به السلطات من اعمال التعسف التي اتسمت بطابع عابر وبين الخبرة التاريخية للعلاقات الكردية ـ الروسية، التي تتسم بالنسبة للكورد بطابع أيجابي في العهد السوفياتي، وبعد عودته الى الوطن صرح البارزاني قائلاً:

عندما وصلنا الى الأتحاد السوفياتي تلقينا دعماً ومساعدة متعددة الجوانب في هذه البلاد، وسنظل نحتفظ نحن الكرد الثائرون، الذين طردتنا الأمبريالية من ديارنا، في ذاكرتنا دوماً بتلك الذكريات الدافئة عند وجودنا في الأتحاد السوفياتي، والشعور بالأمتنان للشعب السوفياتي لما أبداه من جميل نحونا[٣٨].

وبعد مرور تسعة أشهر من انبثاق ثورة تموز في العراق، أبحرت من ميناء أوديسا الباخرة (كروزني) جورجيا في اوائل نيسان ١٩٥٩ ورست في ميناء البصرة يوم ١٦ نيسان عام ١٩٥٩ وعلى متنها ٧٨٤ شخصاً من البرزانيين بما فيهم النساء والأطفال العائدين من الأتحاد السوفياتي وكانت فرحة كبيرة للشعب العراقي من العرب والأكراد.

وتحضرني الذاكرة جيداً اننا شكلنا وفداً شعبياً من القوش متجهين نحو أربيل لتحية البارزانيين العائدين. وفي طريق العودة عرج موكبنا نحو قرية كرمليس وكان معنا، فرقتنا

الموسيقية التي هي عبارة عن الطبل والزورنا (داول زورنا)، بقيادة عليكو اليزيدي، وفي قرية كرملش تعالت الهتافات مرحبة، وتشابكنا في صفوف الدبكة (خكّا) السسكاني والشيخاني... ورغم مرور قرابة نصف قرن على الحادث فإنني أتذكر ان أحدهم أتي بقنينة عرق وأخذ يسقي الشباب، لكن رجل كهل وهو جرجيس كادو وهو القوشي نزح الى هذه القرية قبل عقدين من الزمن إذ صاح بالشاب قائلاً: ما هكذا يحتسي الألاقشة (اهل القوش) المشروب، فأتي الرجل الكهل بصفيحة (تنكة) مليئة بالمشروب المحلي (عرق)، وكانت الصفيحة مسدودة، فأتى الرجل بخنجر، وثقبها من زاويتين، ثم شرع يسكب المشروب في (طاسة) ومن الطاسة يعطي للشباب، وهو يقول، هكذا يشرب الألاقشة..

أما البارزاني مع بعض مقربيه فقد غادر موسكو في ٢١ / ٨ / ١٩٥٨ متوجهاً الى رومانيا يرافقه اسعد خوشوي وحاج احمد واستقبله الرئيس الروماني، ومن بوخارست سافر الى براغ، واستقبل هناك أيضاً من قبل الرئيس الجيكوسلوفاكي السيد انتوني نوفوتين، ومن ثم سافر الى القاهرة حيث التقي مع عبد الناصر ومنها وصل الى بغداد وذلك في السابع من تشرين الأول عام ١٩٥٩ وكان في استقباله حشد كبير من الجماهير، كما استقبله في ارض المطار عبد الكريم قاسم وسار موكبهما عبر الشارع الرئيسي، شارع الرشيد وسط هتافات الجماهير، اتجه البارزاني الى فندق سميراميس حيث بات فيه، وتدفق الناس الى الفندق باستمرار ونظمت الأجتماعات الحاشدة...الخ[٣٩].



بعد العودة من الأتحاد السوفياتي

العلاقات مع بغداد

لم تشـهد العـلاقات بين العرب والأكراد ضـمن الدولة العـراقيـة هذا الزخم من القوة والثـقة المتبادلة، ومن البديهي ان الثقة تعتبر صمام أمان لأية اتفاقية او تعهد بين ألأطراف المتنازعة فكانت العلاقات بين العرب والأكراد، إن كان على المستوي الشعب او على النطاق الرسمي، كانت هذه الأواصر تعيش شهور عسل قلما تكرر مثلها في التاريخ المعاصر. وجانب من هذه المراسلات يعكس بجلاء الوشائج المتينة بين الطرفين. في اعقاب اعلان ثورة ١٤ تموز أرسلت اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني ـ المعروف بحزب البارت ـ أرسل برقية تأييد الى قيادة الثورة، وقام بتحشيد جماهير كردستان للدفاع عن الثورة ضد كل من تسول له نفسه للوقوف ضدها سواء من الخارج او من الداخل. كما ان الملا مصطفى البارزاني رئيس الحزب أعلن مراراً بعد عودته من الأتحاد السوفياتي بأنه جندي من جنود ثورة ١٤ تموز ويضع نفسه تحت قيادة عبد الكريم قاسم. إن العلاقات الحميمة مع بغداد في هذه المرحلة تعكسها المراسلات الكثيرة ولعل الرسالة التي أرسلها البارزاني من براغ يعكس هذه العلاقة.

تقول الرسالة:

فخامة قائدنا المحبوب الزعيم الركن عبد الكريم قاسم بطل الثورة العراقية المجيدة

باسم أخواني الكرد العراقيين المهاجرين في الحكومات (الدول) الأشتراكية أحييكم وأبارك ثورة الشعب العراقي المناضل التي قدتموها أنتم وزملائكم الأبطال والتي قضت على الملكية الفاسدة والأستعمار اللعين وحررتم مجموع الشعب العراقي عرباً وكرداً من الذل والجور والأستعباد، وبذلك سجلتم صفحة خالدة في تاريخ نضال الشعب العراقي المجيد خاصة وفي تاريخ الحركات التحررية العالمية في هذا العصر عامة... وما كان يوم ١٤ تموز إلا فجراً جديداً حقق آمالنا وشوقنا للعودة الى الوطن العزيز لخدمة شعبنا والدفاع عن جمهوريتنا الفتية...

لتحيي الجمهورية العراقية الخالدة ويحي قادة الثورة العراقية المجيدة الأبطال، الزعيم عبدالكريم قاسم وزملاؤه الأحرار. ولتحيي الأخوة العربية الكردية في ظل الوحدة العراقية.

براغ في ٢٩ / ٨ / ١٩٥٨م

التوقيع

أخوكم وخادم الشعب العراقي

مصطفى البارزاني

لقد اقتبسنا هذا النص من الجزء الثاني من كتاب الأستاذ مسعود البارزاني الذي يضيف:

وأخيراً وبعد غيبة دامت أكثر من أثنتي عشر سنة وصل البارزاني الى بغداد مساء يوم ٦ / ١٠ / ١٩٥٨ وسط استقبال رسمي وشعبي فاق كل تصور. عشرات الالاف من ابناء الشعب عرباً وكرداً وأبناء الأقليات حضروا الى مطار المثنى واستقبلوا البارزاني استقبال الأبطال وهم يهتفون:

بارزاني أهلاً بيك   شعب العراق يحييك

وقد ساهمت جميع الأحزاب في الأستقبال الرائع، إلا انه يجب الأشارة الى أن دور الحزب الشيوعي كان متميزاً في حشد أكبر عدد من أعضائه ومؤيديه[٤٠].

في خطوات كثيرة قامت الحكومة العراقية بالتقرب من الأكراد فأدخل وزيرين كرديين (الصحة والعدل) وعين خالد النقشبندي محافظ اربيل سابقاً عضواً في المجلس الأعلى للدولة المتكون من ثلاثة أعضاء وغيرها من الأجراءات بما فيها ان المادة الثالثة من الدستور المؤقت كانت تنص: ان العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن وإن حقوقه القومية ضمن العراق يضمنها الدستور.

مأزق عبدالكريم قاسم

على صعيد الساحة السياسية كان ثمة تيارين الأول المتمثل بالحزب الشيوعي والقوى الكردية التي تساند الثورة، والثاني التيار القومي العروبي بضمنه تيار البعث الذي رفع شعار اسقاط الحكومة وفعلاً دبّر محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم والتي نجا منها بأعجوبة والتي ساهم في تنفيذها صدام حسين.

لقد كان عبدالكريم قاسم يحاول ترضية الأطراف التي تتباين مطالبها وأجندتها، وبرأيي ان النضوج السياسي كان غائباً او ضعيفاً عند القوى السياسية والقومية، وفي مواقف كثيرة في المشهد العراقي يسودها روح الأنتقام والثأر بدلاً من الحل السياسي ومراعاة مصلحة الوطن العليا، وتبقى القيادة التي يمثلها عبد الكريم قاسم تتأرجح بين مناصرة اليسار او اليمين، وفي مرحلة اخرى التي تمثلت في مرحلة السقوط كانت الحكومة تتلقى ضربات اليسار واليمين على حد سواء، وفي نهاية المطاف فإن انحياز عبدالكريم قاسم نحو المعسكر القومي لم ينجيه من مؤامراتهم، في محاولته لكسب التيار القومي عفا عن عبدالسلام عارف المحكوم بالأعدام قبل ثلاث سنوات وأعاده الى الجيش ثانية.

إن التاريخ العربي مشحون بقضايا الغدر والخيانة أخ لأخيه وأبن لأبيه وصديق لصديقه،

وهذا ما كان حال عبدالسلام عارف فحينما اطلق سراحه عبدالكريم قاسم باعتباره رفيق الدرب كان يكيل له شتى ضروب المديح للزعيم ومؤكداً بأنه سيبقى دائما أخاً صغيراً مخلصاً لعبد الكريم قاسم.

وفي الخفاء كان عبدالسلام عارف يتزعم الضباط القوميين المتذمرين من حكم عبدالكريم قاسم لتوجيه ضربة قاضية (لأخيه) الكبير، ففي صبيحة ٨ شباط ١٩٦٣ دخلت القوات العاملة تحت قيادة عبدالسلام عارف مدينة بغداد وحاصرت وزارة الدفاع، وقاومهم قاسم بسلاحه الى آخر طلقة عنده، وبعد نفاذ ذخيرته القى سلاحه جانباً وسلم نفسه فاقتادوه الى مبني الأذاعة حيث تم رميه بالرصاص بعد ان ربطوه بكرسي وذهب عقب محاكمة هزلية قصيرة، ثم راحوا يعرضون شريط جثته وهي متدلية من الكرسي يوماً كاملاً على التلفزيون[٤١] ويقال ان جثته القيت في دجلة، وهكذا تكون الأخوة، ففي عالم السياسة في المشهد العراقي تتقاسم الأدوار والغدر وخيانة الصديق والرفيق هي شطارة، والأخ يغتال أخاه قبل ان يصبح الديك صائحا في غرة الفجر والمثال الذي اوردناه خير دليل على رواج ثقافة القتل في مجتمعنا العراقي، ولا زالت هذه الثقافة شائعة وبأبشع صورها حتى الساعة.

ولكي لا نتيه في التيار العارم لتسارع الأحداث والمآسي في المشهد العراقي، نعود الى مجال بحثنا بما كان من شأن البارزاني وتفاعله مع قضيته الأزلية، القضية الكردية، التي كرس حياته من أجلها.

في بغداد لكي تثبت الحكومة نهجها القومي قامت بملاحقة الشيوعيين وإبعادهم عن مراكز السلطة وفي ربيع عام ١٩٦٠ أخذ نهج السلطة القومي يطال الأكراد أيضاً، وفي تعبير لجريدة الثورة المقربة من الأوساط الحكومية ورد:

ان من ينتمي الى القومية الكردية او الأرمنية، ويعيشون بين العرب، ينبغي عليهم الرضوخ وقبول الأمر الواقع، وأن يصبحوا عرباً. وطالب بعض الصحفيين منع استخدام كلمة كردستان على غرار تركيا، وفي هذه الأجواء كانت المخاطر تحيق في القيادة الكردية لو استمرت بالبقاء في بغداد.

وهكذا كانت الأحداث تتطور بسرعة، ففي عشية عام ١٩٦١ غادر البارزاني بغداد الى كردستان وفي آذار أغلقت جريدة (خابات)، وأغلقت مقرات الحزب البارتي في مدن العراق وغيرها من الأجراءات بحق الأكراد، وقد أطلق عبد الكريم قاسم تصريحات مفادها: يعتبر العراق أولاً وأخيراً وطناً للعروبة، والأكراد ينتمون الى العرب[٤٢].

في هذه المرحلة اطلق الأكراد على ثورتهم اسم (ثورة ١١ أيلول الكردية)، وسنأتي الى تفاصيل هذه الأحداث وغيرها في فصل خاص.

بعد انقلاب شباط ١٩٦٣

كان الملا مصطفى البارزاني حذراً بالتعامل مع النظام الجديد الذي أعقب على الحكم بعد إطاحة عبدالكريم قاسم، رغم قيامه ببعض الخطوات من أجل التقرب من الأكراد، في ١٨ شباط توجه وفد برئاسة جلال الطالباني من كردستان الى بغداد للتفاهم مع القيادة الجديدة حول المطالب الكردية، وفي هذه الأثناء ايضاً قدم الحزب الديمقراطي الكردستاني مذكرة الى الحكومة العراقية متضمنة مواقف الحزب في مختلف القضايا العالقة بين الطرفين، لكن الحكومة ذات الصبغة القومية العربية لم تشاطر الأكراد مطالبهم القومية وكان أزاء هذا الموقف المتصلب تصريح البارزاني الشديد اللهجة والذي ورد فيه:

" إننا لن نتوسل الى أحد من أجل حقوقنا، فإذا لم يعترفوا بها سنقاتل في سبيلها حتى الموت ".

لقد بقي جسر المفاوضات قائماً بين الحكومة والبارزاني ففي ٤ آذار وصل وفد حكومي برئاسة طاهر يحى رئيس الأركان في الجيش العراقي بعد الأنقلاب، ووصل الى قرية كاني مار، أي (نبع الحية)، لقد أكد طاهر يحى أن اقتتال الأخوة فرضه الحكم السابق أي حكم عبدالكريم قاسم، وإن العرب والأكراد يؤلفان شعب واحد. ثم أجابه ملا مصطفى البارزاني بقوله:

نحن لا نفرق بين مكونات الشعب العراقي، إنهم جميعاً أبناء الوطن العراقي الواحد، وانتم أيها الجنرال يحي وإننا ننتمي الى الجنس البشري، لكن اسمكم طاهر واسمي مصطفى وكان من العبث نفي اننا اثنان وليس إنساناً واحداً، فلكل منا شخصيته الخاصة، وإذا تم تثبيت العكس فإن ذلك سيؤدي سريعاً الى مواجهة دائمة، وأضاف البارزاني إن الشعب الكردي لم يعد يصدق العبارات الجميلة... إن بغداد لم تقدم ما كنا ننتظره، فلم تعترف بحقوق الشعب الكردي في الأستقلال ضمن إطار الدولة العراقية فهذا المطلب كما كان بالأمس يمثل مطلبنا وهو الحد الأدنى لوقف الحرب هنا[٤٣].

توترت العلاقة بين الجانبين، وكل طرف يستعد الى الظرف الطارئ، ومن جانبها فإن الحكومة كانت واثقة من نصرها العسكري، وفي الحقيقة فإن هذا التصور لم يكن خالياً إذا ما نظرنا الى الأستعادات التي قامت بها الحكومة العراقية وفي ضوء ذلك يصرح وزير الخارجية حسين شبيب فيقول:

لا يمكن حتى الحديث عن منح الحكم الذاتي للكورد، وهدد مضيفاً: إذا لم يرغب البارزاني الدخول في مساومة فإننا لن نؤجل الموضوع طويلاً وسنقضي على الأنتفاضة نهائياً، لقد

كانت هذه التصريحات معتمدة على تحشدات عسكرية حكومية كبيرة. وفي يوم ١٢ حزيران عام ١٩٦٣ قطعت الأذاعة العراقية برامجها لإذاعة البيان الهام حول بداية العمليات العسكرية بهدف تطهير المناطق الشمالية من بقايا أعوان البارزاني، والمناطق تضم الموصل والسليمانية وأربيل وكركوك وهذه المناطق هي مناطق عسكرية ومسرحاً للعمليات القتالية.. الخ

لقد امهلت الحكومة الثوار في ١٠ حزيران بتسليم اسلحتهم خلال ٢٤ ساعة وخصصت مبلغاً كبيراً لمن يأتي برأس البارزاني... ووصفت الحكومة القيادة الكردية بأنهم جماعة من الخونة والأنفصاليين ولهم علاقات وطيدة مع الأمبريالية.. وجاء في البيان الحكومي: قررنا اعتباراً من اليوم تنظيف المناطق الشمالية من بقايا الموالين للبرازاني.. الخ من أجل ذلك منحت صلاحيات استثنائية خاصة لقادة الجيش فلهم حق تشكيل محاكم عسكرية في مناطق عملياتهم للتنكيل بالأكراد وإصدار احكام الموت بحقهم.، والى جانب القوات النظامية سلحت الحكومة بعض رؤساء العشائر الكردية كمرتزقة وتحت تسمية فرسان صلاح الدين فيما أطلق الشعب الكردي عليهم اسم الجاش، وسلحت بعض العشائر العربية تحت تسمية فرسان الوليد.

وهكذا تم التحشد الكبير من الكتل البشرية المسلحة لتصب حقدها على المواطنين العزل والأهالي الكرد.... وحوصر البارزاني في جبل بيرس بالقرب من عقرة، وساعد القوات الحكومية السلاح الجوي... لقد استخدمت الطائرات العراقية قنابل النابالم الحارقة والرشاشات لأبادة منظمة لأرواح المدنيين وقطعان الماشية، إلا ان الشعب الكردي قاوم قوى بغداد وحلفائها وانتصر، وإن كان بثمن المعاناة التي فاقت طاقة البشر الشبيهة بحملة إبادة هتلرية بحسب النداءات التي وجهتها الثورة الى الضمير العالمي[٤٤].

لقد استطاع الثوار الأكراد من امتصاص زخم الهجوم العسكري، وبالتالي تحويله الى نصر، يقول مصطفى البارزاني: لو نحظى بتأييد الشعب فلن يتمكن العدو أبداً إلحاق الهزيمة بنا حتى لو كان متفوقاً علينا الف مرة بالعدد والسلاح.. وهذا ما حصل فعلاً في هذه المعركة فرغم أمكانيات الحكومة الواسعة والتأييد العربي والأقليمي لها فإنها لم يستطيع من إحراز النصر النهائي، فيما توالت انتصارات الثوار على القوات الحكومية بمرور الوقت، فحصيلة ثمانية أشهر من المعارك كانت حصيلة الخسائر الحكومية آلآف القتلي والجرحى والأسرى في صفوف الضباط والجنود، والتحق بالثورة الكردية في هذه الأثناء حوالي مئات الأفراد مع تحطيم عدد كبير من الآليات والأستيلاء على كميات كبيرة من الأسلحة والأعتدة والمؤن.

انقلاب ١٨ تشرين ١٩٦٣

تمكن عبدالسلام عارف من الأستفراد بالحكم بعد ان أزاح حزب البعث من السلطة في ١٨ / ١١ / ١٩٦٨ ثم اوكل رئاسة الوزارة الى طاهر يحى الضابط المقرب منه، وخير ما قامت به هذه الحكومة هو اللجوء الى حل تنيظمات الحرس القومي السيئة الصيت في مجال الأرهاب.

كان ملا مصطفى البارزاني لا يعدم فرصة من اجل بلوغ الحل السلمي للقضية الكردية، وفي هذه المرحلة أراد البارزاني إعطاء فرصة للحكومة الجديدة، ومن جانب آخر كان على المجتمع المدني التقاط انفاسه من استمرارية العمليات العسكرية والظروف الأستثنائية المحيقة بالمنطقة. وفي الجانب الأقصادي يتمكن الفلاح الكردي من صرف ما تكوم عنده من اطنان التبغ ويبغي بيعها، وكانت هذه الأسباب وغيرها، عوامل مساعدة لفتح باب المفاوضات مع الحكم الجديد. وهكذا فإن المرونة السياسية لها اهميتها حتى في الثورات المسلحة. ويروي عن ملا مصطفى البارزاني مثله الذي يفيد:

ان أسيراً طلب من حراسه راجياً ان يفكوا وثاقه، ولما سألوه عن السبب، أعرب عن رغبته في أن يمشي الى شجرة البلوط المجاورة، وكان له ما أراد، وبعدها سألوه عما حفزه الى هذا، أجاب الأسير إني مشيت ثلاثين خطوة " ونحن والحديث للبارزاني علينا ان نفسح المجال لشعبنا حتى يمشي خطواته الثلاثين[٤٥] اي التقاط انفاسه وخميرة الفكرة ان التناغم واالتفاعل ينبغي ان يسودا العلاقة بين الشعب والقيادة من أجل سيرورة الحركة وديمومتها مع تعاقب المراحل عبر الزمن.

من جانبها أرادت الحكومة من هذه المفاوضات كسب الوقت وترتيب أوضاعها الداخلية تمهيداً لتجرب حظها في استئناف هجوم جديد على فصائل الثورة الكردية. وتم ذلك فعلاً، ففي بداية شهر نيسان ١٩٦٤ زجت السلطة القسم الأكبر من قوتها العسكرية في حرب طاحنة أمتدت الى مسافة شاسعة في حدود وعمق كردستان، لكن قبل نهاية مدة الشهر من استئناف العمليات العسكرية منيت القوات الحكومية بهزيمة عسكرية، وفي ١٣ من هذا الشهر (نيسان) تعرض الرئيس العراقي عبدالسلام عارف الى حادث طائرة حينما كان في زيارة تفقدية لمحافظة البصرة، وبعد موته كان ثمة صرا ع في القيادة على إشغال منصبه وأسفرت النتيجة على تعيين أخيه عبدالرحمن عارف بمنصب رئيس الجمهورية، ولما فشل العقيلي في إشغال منصب رئيس الجمهورية اضطر الى الأستقالة من منصبه كوزير الدفا ع وبقي على رئاسة الوزارة عبد الرحمن البزاز، وكان وزير الدفاع عبدالعزيز العقيلي المعروف بعدائه للطموحات الكردية، وكان يراهن على الحل العسكري للقضية الكردية، وهو يري ان القضاء

على البارزاني يعني القضاء على الثورة الكردية، غير ان البزاز كشخصية مدنية كان يميل الى الحل السلمي، مع الأستمرار في العملية العسكرية إن أثمرت نتائج بهدف القضاء على الثورة.

كانت هناك خطة عسكرية كان مهندسها عبدالعزيز العقيلي ومن باب توظيف الدين من أجل المكاسب السياسية والعسكرية اطلق على الخطة اسم " توكلت على الله " أن العرب المسلمين شغوفين بتسخير اسم الله في معاركهم إن كانت هذه المعارك مع اليهود او النصاري او مع المسلمين انفسهم.

لقد كانت عملية توكلت على الله موضوعة قبل موت عبدالسلام عارف، وأجلت لبعض الوقت بعد موته في حادث الطائرة.

كما حل شاكر محمود شكري محل العقيلي وزيراً للدفاع حيث نفذ خطة سلفه في الثاني من شهر آذار ١٩٦٦ ويقول الدكتور خليل جندي:.. حينها تقدم البارزاني شخصياً لقيادة العمليات العسكرية ضد الجيش العراقي، ولعب الأنصار الشيوعيون من الكرد والعرب دوراً بارزاً في المعارك الدائرة، وبرز اسم البطل فاخر الميركه سوري وفارس قره داغي وملا عبدالله عثمان وأدريس البارزاني وأبطال آخرين مكبدين القوات الحكومية أفدح الخسائر.. وتمكموا من تحرير جبل هندرين يوم ١٤ / ٥ وزوزك يوم يوم ١٧ / ٥ وقبرت معها خطة توكلت على الله كسابقاتها من الخطط[٤٦].

مع غبار المعارك المتواصلة كانت هناك مساحات محدودة لكي يعمل فيها السياسيون في مختلف الحقب ومع توالي الحكومات العراقية، وأشخص في هذا الصدد ما رمى اليه نوري السعيد حينما كان قاب قوسين او ادنى من الأعتراف بحقوق الأكراد، لكن خطته فشلت حينما هيمن التيار القومي المتعصب على مجريات الأمور، وكانت الفرصة الثانية هي التي أرادها السياسي الليبرالي عبدالرحمن البزاز. لقد كنت في مطاوي تلك السنين منضوياً الى الثورة الكردية، وسمعت في حينها عبر جهاز الراديو عبد الرحمن البزاز ما يفيد: بانه من الصعوبة بمكان القضاء على الثوار الأكراد، إنهم متحصنين بمعاقلهم العاصية ويشنون حرب عصابات على القوات الحكومية، وليس مهماً كم تبلغ أعداد الثوار حتي لو كانوا بالمئات يستطيعون ان يربكوا الحكومة فما بالك إن كانوا بالالاف. ومن النظرة البراغماتية لهذا الرجل، أقر البزاز ان العراق ليس عربياً فحسب بل هو كردياً بنفس القدر، وهو يقول:

إن أكراد العراق جزء من الأمة الكردية التي تقطن منطقة شاسعة... إن الواعين من أكراد العراق، ككل الأكراد الآخرين يشعرون اليوم بقوميتهم، ويتحسسون ـ على نحو او آخر ـ بمشاعر تلك القومية، وخاصة بعد ان نما الشعور القومي في المنطقة كلها. فحين يكون من

حق العرب والأتراك والأيرانيين مثلاً ـ وهم جيران الأكراد ومواطنيهم في اقطارهم الثلاثة هذه ـ أن يشعروا بقوميتهم، يتنادون بشعاراتها، ويسعوا لتحقيق أهدافها، يكون من الضلالة وقلة الأنصاف ان ينكر على الأكراد[٤٧]، لقد كانت مبادرة ٢٩ حزيران لحل المسألة الكردية في عهد عبد الرحمن البزاز، وعرفت فيما بعد بـ " اتفاقية البزاز ". إلا ان الغلبة كانت من نصيب صقور الجناح العسكري القومي في السلطة مما اضطر البزاز الى الأستقالة من رئاسة الوزارة في ٥ آب ١٩٦٦ وأعقبه ناجي طالب وهو من كبار الضباط المعروفين بميولهم القومية. ثم اعقبه في رئاسة الوزارة طاهر يحى بعد حرب الأيام الستة في حزيران عام ١٩٦٧، وفي تموز عام ١٩٦٨ كان انقلاب البعث الذي اطاح حكومة عبدالرحمن عارف.

بيان آذار وتداعيات الموقف في المنطقة

حينما استولى البعثيون على الحكم في صبيحة ١٧ تموز ١٩٦٨ ساور الناس المخاوف حيث كان للبعثيين سوابق دموية في عام ١٩٦٣، لكن هذه المرة أراد البعثيون تبييض تلك الصفحة، فلم تراق الدماء اثناء الأنقلاب، ونحى رئيس الجمهورية عبدالرحمن عارف عن الحكم وسمح له بمغادرة العراق. وفي هذه الأثناء سارع البعثيون بالقضاء على التيار العسكري من غير البعثيين حيث كان من نصيبهم رئاسة الوزارة ويشغله عبد الرزاق النايف ووزارة الدفاع التي كان يشغلها ابراهيم عبد الرحمن الداوود، وفي صبيحة ٣٠ تموز تم القضاء على هذا التيار وأصبح الجو خالياً للبعثيين، وعكس ما كان متوقعاً، حيث قام الحكم الجديد بإصدار عفو عام شمل الأكراد أيضاً كما أعيد المفصولين السياسيين الى وظائفهم وكان معظمهم من الشيوعيين، وأطلقت الحكومة الجديدة وعوداً بمنح الحريات الديمقراطية وبحل المسألة الكردية بالطرق السلمية.

لقد ترأس أحمد حسن البكر مجلس قيادة الثورة الجديد وشغل منصب رئيس الجمهورية، وشغل صدام حسين وهو من أقرباء البكر منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة وكان شخصاً مدنياً غير معروف على الساحة السياسية العراقية، وسوف يصبح صدام اللوبي الرئيس في حل القضية الكردية وفي تأميم النفط وفي شن الحروب على الجيران وعلى الأكراد، وستكون دفة الحكم الفعلية بيدة مع وجود أحمد حسن البكر. والشارع العراقي هو مخترع النكات لا سيما السياسية منها، وواحدة تقول: ضبط أحمد حسن البكر وهو يدبر مؤامرة انقلابية، وحينما سأل عن سبب الأنقلاب وهو رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة، قال: أريد ان اصبح نائب مجلس قيادة الثورة.

من التداعيات الطارئة والخطيرة في هذه المرحلة هو دخول العامل الأيراني على الأحداث،

حيث لمست عامل الضعف في الحكومة الجديدة، فأعلنت الحكومة الأيرانية إلغاء معاهدة الحدود بينها وبين العراق من جانب واحد، وكانت المعاهدة أبرمت عام ١٩٣٧ م والتي كانت تنص على قواعد الملاحة في شط العرب، من جانبها فإن الحكومة العراقية كانت تشن حرب شعواء على الأكراد، مع فرض حصار أقتصادي محكم على المنطقة، لكن حصيلة المعارك لم تكن في صالح الحكومة، وهكذا لجأت الحكومة الى الحل السلمي ولو الى حين، فقد صرح صدام حسين قائلاً: اقتربت البلاد في الوقت الحالي وبالذات الآن من ذلك الحد، عندما يرتبط فيه مصير الثورة بحل المسألة الكردية٤٨.

كان صدام يفكر وفق استراتيجية بعيدة مختمرة في دواخل فكره وفي أعماق نفسه، وكان داء العظمة يشغل محور تفكيره، فكان يوظف كل القضايا والأمور في سبيل هدف حدده لنفسه، وبنظرة ميكافيلية جريئة وحازمة استطاع ان يحقق ما كان يصبو اليه في قرارة نفسه والمتمثل في إلغاء دور الدولة والحكومة، وقيادة البلاد بإرادة فردية دكتاتورية، لا سلطة فوق سلطته ولا إرادة فوق إرادته، وهذه النزعة هي التي قادت العراق الى التهلكة ولا زالت نتائجها تفعل فعلها السيئ حتي الساعة.

لكي نكون منصفين لا يمكن ان نهمل الأنجازات التي تحققت الى فترة ما قبل الحرب مع أيران، لا سيما في مجالات التصنيع والعمران، إذ كان العراق مرشحاً للخروج من دائرة العالم الثالث الى مربع عالم الدول المتقدمة في مطاوي عقد الثمانينات من القرن الماضي لكن النزعة الفردية الدكتاتورية وداء العظمة الذي أصاب صدام حسين قاد العراق الى معارك وحروب لم يكن لها ما يستوجبها، فأوصل العراق الى وصل عليه اليوم من واقع مأسوي معروف.

في ١١ آذار من عام ١٩٧٠ وقع صدام حسين والملا مصطفى البارزاني البيان الذي اشتهر فيما بعد ببيان آذار، وبموجبه نال الأكراد الحكم الذاتي الذي ناضلوا من أجله. وفي وقتها تلا الرئيس أحمد حسن البكر بنود الأتفاق عبر الأذاعة والتلفزيون. لكن يبقي تطبيق الأتفاقية على الأرض هو المحك الذي يمكن إصدار الحكم على مدي صلاحية الأتفاقية من عدمها.

للشعب الكردي وقائده ملا مصطفى البارزاني تجارب مريرة في هذا الصدد، فالشيطان يكمن في التفاصيل كما يقال. هكذا كان تطبيق الحكومة للأتفاقية يشوبه الأهمال او التأخير او تشويه الحقائق على الأرض، وخير مثال على ذلك كان سعي الحكومة الحثيث من اجل تغيير التوازن العرقي والتأثير في التركيب الديموغرافي في مسألة منطقة تحديد كردستان التي كان التركيب الديموغرافي يحدد الأنضواء الى حدود كردستان من عدمه فكانت عمليات فرض الواقع الديموغرافي التي تدعمه الحكومة وهي محاولات معروفة في كركوك وغيرها من المدن.

في مطاوي الثمانينات كنت أقود سيارتي في بغداد وكنت متوجهاً من منطقة الكرادة خارج باتجاه كراج الأمانة اي باتجاه ساحة الميسلون، وفي الطريق لمحت رجلاً واقفاً على الرصيف وهو في الزّي الكردي (الشال والشبوك) وتدلي من جنبه كيس التبغ وفي يده سبحة متدلية، وآثرت ان أتوقف لهذا الرجل وأوصله الى مبتغاه، وحينما أوقفت سيارتي أمامه مباشرة وهو على الرصيف، خطا خطوة نحو الخلف لأنه متأكد بأنني لم أتوقف من أجله، ولكني فتحت له باب السيارة ودعوته الى اخذ مكانه في السيارة.

إنني أتكلم قليلاً من الكردية وهو يتكلم قليلاً من العربية، وعرّفت نفسي أنني من القوش، وعرفني بنفسه بأنه من مدينة عقرة. وفي الطريق أخذ يشرح لي سبب قدومه الى بغداد، وبّين ان مشكلته تتعلق ببعض المعاملات الحكومية، وهي تتطلب ان يثبت انه كردي، لأنه حسب الأحصائيات الحكومية فإن عقرة ليست منطقة كردية وتوجه الى بغداد ليراجع وزارة التخطيط دائرة الأحصاء، ففي استمارات احصاء عام ١٩٧٧ ثمة حقلاً يحدد قومية العراقي، وهو يصبو للحصول الى مثل هذا التأييد، ويضيف: إنني حلفت لهم بأنني كردي ولغتي كردية وملابسي كردية لكنهم لم يصدقوني ما لم اجلب لهم هذا التأييد المحصور في هذه الأستمارات.

نعم لا أحد ينكر وجود عمليات تطهير وتهجير بغية تعريب مناطق كردية ونحن نتحمل اليوم المصائب الناجمة عن تلك السياسات.

كان صدام يسير وفق الأستراتيجية التي رسمها لنفسه ويسخر كل طاقات العراق لبلوغ مراميه، لقد أمم النفط من أجل زيادة واردات النفط، ولا ريب ان الموارد المالية تساعد في الحصول وشراء الأسلحة والمعدات، وللمال الفعل السحري لجذب الأصدقاء والموالين. وهكذا تم لصدام حسين ما أراد فالأموال متوفرة، ولا حكومة تعارض او تسأل عن كيفية صرف الأموال، إنه صداماً هو الدولة والحكومة، إذا قال صدام قال العراق.

في عام ١٩٧٣ بعد ان تقوى مركزه السياسي والمالي اتجه صوب استئصال الثورة الكردية من جذورها، فتجددت الأشتباكات في كردستان، مع عدم قطع حبل المفاوضات بين الطرفين.

بالمقابل فإن ملا مصطفى البارزاني الذي كان يشيد بدعم ايران والولايات المتحدة له، وفي تصريح له لصحيفة واشنطن بوست بشأن المواقع النفطية في كركوك قائلاً:

نحن على استعداد للقيام بكل ما تريده اميركا إذا ما قامت بحمايتنا من الذئاب، وإذا ما كانت هذه الحماية آمنة بصورة كافية. وبوسعنا السيطرة على المواقع النفطية في كركوك ومنحها الى الشركات الأمريكية لاستثمارها.

في ربيع عام ١٩٧٤ كان البارزاني يتمتع بصلات دبلوماسية متميزة ويستند على قوة عسكرية فاعلة في المعدات والرجال، وبعد هذا كله كان ثمة شعوراً ومزاجاً بين الجماهير الكردية من ان الحكومة تسعى الى خداع الأكراد، وهكذا كان اندلاع الأنتفاضة. وبالمقابل كان الهجوم الحكومي الكاسح الذي دمر كل ما يصادفه بتطبيق اجندة الأرض المحروقة، وجراء ذلك تدفقت مجاميع اللاجئين الأكراد الى تركيا وأيران. ولكن على الصعيد الحربي كانت قوافل السيارات الأيرانية تسير باتجاه حاجي عمران محملة بالمعدات والأسلحة والذخائر، وكان البارزاني يقود جيشاً نظامياً ليواجه جيش الحكومة العراقية، لقد كلف عام من الحرب كما اعترف صدام فيما بعد: ٦٠ ألف عسكري بين قتيل وجريح و٤ مليار دولار ونفذت جميع احتياطات الذخيرة، وفي آذار عام ١٩٧٥ وحسب اعتراف صدام لم يبق لدى سلاح الطيران العراقي سوى ثلاثة قنابل ليحارب بها الكورد[٤٩].

مع الخسائر الحكومية هل سيجني الأكراد ثمار انتصاراتهم العسكرية؟ إن مدرسة الحياة قد أفرزت حقيقة مفادها: في السياسة لا يوجد اصدقاء دائمين ولا أعداء ثابتين، إنما هنالك مصالح دائمة وثابتة. وهذا ما ندركه في الفقرة التالية.

أفول الصداقة امام المصالح

كانت مساعدة الشاه السخية للأكراد تخدم استراتيجية ايران في المنطقة وكان جل هدفه هو انتزاع اعتراف صريح بالهيمنة الجيوبوليتيكية الأيرانية على الخليج وعلى شط العرب بالذات، ولم يكن في يوم من الأيام يدور في خلد الأيرانيين مساعدة الأكراد على نيل الحكم الذاتي ناهيك عن تكوين دولة قومية كردية في المنطقة.

أما صدام من جانبه فلم يثبت خلال حكمه ان وضع مصالح الشعب العراقي الوطنية في المرتبة الأولى من اهتماماته، كان سخياً كريماً بتوزيع الثروات العراقية على الأسلحة، وعلى الأصدقاء من العرب والأجانب، وفعلاً كان له قاعدة عريضة من الأصدقاء من الموالين بين الكتاب والفنانين والساسة والصناعيين.. وكان حصة الشعب من ثروته النفطية هو راتبه الشهري الذي لا يتجاوز بضعة دولارات، والمتقاعدين لا يتجاوز الدولار الواحد فكانوا يحجمون عن استلامه لأنه لا يسد أجور التاكسي.

إن الأكراد يشكلون شريحة كبيرة من الشعب العراقي، وبدلاً من التفاهم معهم، اتجه صدام الى شاه ايران رافعاً العلم الأبيض ليبصم على ما يطلبه منه الشاه.

في آذار عام ١٩٧٥ وخلال اجتماع منظمة الأوبك في الجزائر جمع الرئيس الجزائري هواري بومدين كل من صدام حسين وشاه ايران، وفي السادس من آذار عقدت بينهما

اتفاقية الجزائر، ونال الشاه كل ما كان يتمني تحقيقه في قواعد الملاحة في شط العرب وتلبية جميع دعاوي أيران الحدودية، وكان ثمن هذه التنازلات من الجانب العراقي هو تعهد ايران بالكف عن دعمها للبارزاني.

الجدير بالذكر أنني في هذه الفترة عملت في البصرة، وكعاملين في المجال البحري حضرنا محاضرة القاها علينا أحد الخبراء في قواعد الملاحة في شط العرب، والذي أفاد أن اتفاقية الجزائر لا تنتقص من حقوقنا في مياه شط العرب، وإن الذي يطبق وفق هذه الأتفاقية إن البواخر العراقية او الأجنبية الداخلة الى شط العرب من الخليج عليها إشعار السلطات الأيرانية بدخولها، وحين خروجها من البصرة الى الخليج عليها إشعار السلطات الأيرانية، وهذه كانت وجهة نظر المحاضر الذي يعمل موظفاً في الدولة، فلا بد ان يكون كلامه بتلك الصورة. وسنتطرق الى هذا الموضوع بإسهاب في فصول قادمة.

وفي نقطة أخري أوضح المحاضر، ان الحدود بين الطرفين في مياه شط العرب سيكون خط " تالوب " وهو الخط الأعمق في النهر وعلي طول قناة شط العرب، وسيكون هذا الخط بديلاً للحدود القديمة، والتي كانت في صالح العراق دون شك.

إن هذه الأتفاقية كانت ضد مصلحة العراق لكنها بنظر صدام ستقضي على ثورة الأكراد، وهذا هو المهم، والغريب انه هو الذي وقعها بيده وهو الذي تنصل عنها قبيل اندلاع الحرب مع أيران عام ١٩٨٠.

في ١٢ آذار دعا الشاه الأيراني الملا مصطفى البارزاني لزيارته وأبلغه بشئ من الأحراج عن اتفاقه مع العراق حول اتفاقية الجزائر... ثم اعلمه انه سيوقف كل مساعدة للأكراد، ثم أردف حديثه بأنه سيغلق الحدود حال استمرار الحرب، وسيقدم المساعدة للعراق طبقاً للتعهدات الجديدة بين الطرفين.

أما ما يتعلق بالبارزاني وقوات البيشمركة فإنهما أمام خيارين: إما البقاء في أيران كلاجئين دون ان يحق لهم ممارسة النشاط السياسي، وإما العودة الى العراق، حيث أعلنت السلطات العراقية عفواً عن المشتركين في الثورة[٥].

لقد كان الموقف صعب ويشكل انعطافة خطيرة في مجري الأحداث، وحينما عاد البارزاني الى العراق، اجتمع مع اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني ومع كبار مساعديه وأبلغهم النبأ القاتل، وخيرهم بين اللجوء الى ايران او والأستمرار في الثورة في ظل المستجدات التي طرأت على الساحة الأقليمية، وكان رأي الأكثرية مع مواصلة الثورة، وشاطر البارزاني رأي الأكثرية.

وتقرر تشكيل لجنتين لقيادة الثورة واحدة في سوران والأخرى في بهدينان، ويتولي المنطقتين نجلا مصطفى البارزاني كل من إدريس ومسعود.

في هذه الأثناء كتب البارزاني رساتين واحدة الى الرئيس الأمريكي نيكسون والثانية الى وزير خارجيته هنري كيسنجر، وقد أعلن كيسنجر بهذا الشأن:

ان الولايات المتحدة لا تعتبر نفسها مرتبطة بتعهدات، تم تقديمها بطريقة غير رسمية وعبر عملاء المخابرات.

لجأت كل من أيران وتركيا الى غلق الحدود مع العراق لمنع تدفق اللاجئين العراقيين الأكراد. في ١٥ آذار وصل ممثل المخابرات الأيرانية السافاك الى حاجي عمران وقدم للبارزاني إنذاراً يقضي بتدخل أيران عسكرياً إن لم يتوقف الكفاح المسلح للأكراد، وفي هذه الظروف القاتمة وجه البارزاني عرضاً سلمياً الى البكر فكان رده، الأستسلام دون قيد او شرط مع إعطائه وعداً بالعفو، وفي هذه الأثناء جمع البارزاني القيادة معلناً عن قراره بوقف الكفاح المسلح وطلب اللجوء الى أيران... وفي ٢٢ آذار غادر الملا مصطفى البارزاني الأراضي العراقية، وفي ١٠ نيسان وصل جميع أعضاء القيادة الحزبية اليها.

لقد أفلت شمس تلك الملحمة الرائعة التي بدأت في ١١ أيول ١٩٦١ والتي قادها الملا مصطفى البارزاني.

بطي هذه الصفحة من عمر الثورة الكردية، يكون القائد ملا مصطفى البارزاني قد تقدم به العمر، وجاء دور الأمراض التي تفعل فعلها في الجسد الواهن، وفي هذه الأثناء اشتدت آلام البارزاني، التي كانت تثير قلقه منذ ان كان في العراق، ثم قررت أسرته ورفاقه إرساله الى الولايات المتحدة لأجراء الفحوصات، وتبين بعد هذه الفحوصات بانه مصاب بمرض السرطان. وفي هذه الأثناء استفحل المرض، وكانت أفكاره تشده دائماً الى أرض الوطن. في عام ١٩٧٨ بات واضحاً ان النهاية اصبحت قاب قوسين أو أدني بيد أنه لم يرغب الموت في الغربة، كان يريد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو على تراب الوطن. وتوفي في آذار من عام ١٩٧٩ أثر نوبة قلبية.

نقل جثمان ملا مصطفى البارزاني الى أيران حيث دفن في قرية شنو حسب وصيته الأخيرة ولبست كردستان ثوب الحداد، واستقبلت جموع غفيرة تعد بمئات الآلاف جثمان البطل عندما نقلوه الى مثواه الأخير.[٥١] وفي ٦/ ١٠ / ١٩٩٣ م نقلت رفاته الى برزان مسقط رأسه في موكب مهيب حضره مئات الالاف من أبناء الشعب الكردي.

المصادر والهوامش:

١ ـ ينبغي التنويه هنا الى ما ذكره الأستاذ مسعود البارزاني ص٢٣ ـ ٢٤ من الجزء الأول: أن السلطان العثمانية نفته الى مدينة بدليس في كردستان تركيا وسجن هناك لمدة سنة وبعد عودته الى بارزان لم يعش طويلاً حيث وافته المنية عام ١٩٠٣م. في حين يورد الدكتور دينيس كوماروف في مقاله الموسوم البارزاني ونضال الأكراد الجنوبيين في ص٢٠ من كتاب البارزاني وشهادة التاريخ: أن الأتراك دعوا الشيخ محمد الى الموصل لأجراء المفاوضات، إلا أنهم اعتقلوه ومن ثم أعدموه، ويؤكد الكاتب على الأعدام حينما يقول ص ٣٣: وفي عام ١٩١١ اصبح (مصطفى البارزاني) شاهد عيان لأعدام أخيه في الموصل.. ويرجح ان تكون الرواية الأولى هي الصحيحة.

٢ ـ د. دينيس كوماروف: البارزاني ونضال الأكراد الجنوبين، ص٢٠

٣ ـ د. دينيس كوماروف: المصدر السابق ص٢٠

٤ ـ د. دينيس كوماروف: المصدر السابق ص٢٢

٥ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص٤٢ ـ ٤٣).

٦ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص٥٦).

٧ ـ د. دينيس كوماروف: البارزاني وشهادة التاريخ ص٣٣، وكذلك أنظر: مسعود البارزاني: المصدر السابق ص٣١).

٨ ـ د. زهير عبدالملك: الأكراد وبلادهم كردستان ص ١٦٤

٩ ـ د. زهير عبدالملك المصدر السابق ص١٦٤ ـ ١٦٥

١٠ ـ د. زهير عبدالملك: المصدر السابق ص ١٦٦

١١ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ص ١٤٠

١٢ـ ** ـ لم يذكر استاذ مسعود البارزاني شيئاً عن عدد الأفراد الداخلين الى كردستان أيران لكن د. زهير عبدالملك يعطي هذا الرقم، فيما يفيدنا الدكتور دينيس كوماروف ص٤١ ان البارزاني اجتاز الحدود مع الفين من مقاتليه حدود أيران دون الأشارة الى العوائل، أما الكاتب محمود الدرة في كتابه القضية الكردية والقومية العربية فيذكر ص١٣٠ ان الحركات العسكرية انتهت في ١٣ اكتوبر عام ١٩٤٥ وأصدر المجلس العرفي العسكري حكم الأعدام غيابياً على الأخوين أحمد ومصطفى وثلاثة وثلاثين آخرين من أتباعهما ويقول: عندما احتل الجيش قريتي بله وبرزان اضطر الملا مصطفى الى الهرب مع عدد من أتباعه لا يزيد عن خمسين شخصاً الى الحدود الأيرانية. يعود في ص١٥٤ ليقول:.. فمصطفى البرزاني لم يصطحب معه في هربه من العراق عام ١٩٤٥ أكثر من ٢٤ رجلاً.. وبرأيي ان ذلك يناقض الواقع، فإذا كان هذا الرقم صحيحاً فكيف يتسني للبارزاني ان يخوض تلك المعارك، وكيف يستطيع القيام بتلك المسيرة التاريخية الى الأتحاد السوفياتي ومعه حوالي ٦٠٠ شخص، إنه رقم لا يرتقي الى تخوم الواقع والموضوعية.

١٣ ـ د. زهير عبد الملك: المصدر السابق ص ١٦٧

١٤ ـ جاء في كتاب الأكراد للدكتور زهير عبد الملك، ان عدد المقاتلين كان ٦٠٠ مقاتل بينما يذكر

الدكتور كوماروف ان عددهم كان ٥٠٠ مقاتل وهذا ما يؤكده الأستاذ مسعود البارزاني حيث يورد قائمة بأسمائهم في الجزء الأول من كتابه: البارزاني والحركة التحررية الكردية.

١٥ ـ الدكتور زهير عبد الملك: مصدر سابق ص ١٦٨

١٦ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣

١٧ ـ ـ الدكتور عبدالفتاح على يحي البوتاني " وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية، ملاحظات تاريخية ودراسات اولية " ص ٥٢٧ مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، ط١، أربيل سنة ٢٠٠١م.

١٨ ـ د. عبد الفتاح بوتاني: المصدر السابق ص ٥٢٨

١٩ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ص ٥٧

٢٠ ـ الدكتور عبدالفتاح بوتاني: مصدر سابق ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩

٢١ ـ * ـ بندقية البرنو: بندقية جمعها بندقيات وبنادق: سلاح ناري للصيد او للحرب يطلق به الرصاص، قوامها قناة حديدية مركزة في حاضن خشبي، وفي العامية تدعي تفكة وفي القوش " تفكتا " وكانت الأنواع الرائجة: ماوزر، وسي تيرا، وقونداغلي، وكجك جابي، وموفتلي، وصندقلي، ورشوكي ودارجوي وانكليزي، وبرنو " راجع حبيب تومي: كتاب القوش دراسة انثروبولوجية اجتماعية ثقافية، مطبعة الديوان: سنة ٢٠٠٣ بغداد ص ٣٢٧

إن أجود هذه الأنواع وأحدثها كانت بندقية الأنكليزية والبرنو. كانت بندقية البرنو تصنع في المانيا ومدينة في الجيك، وهي مصنفة حسب أرقمها ايضاً فهي برنو رقم ١٩ و١٧ ثم الصفر والديمقرط المصنوعة في بولندة، وهي انواع منها الطويلة والمتوسطة والقصيرة، ويعرف عنها انها لا تخطئ الهدف، وكانت غالية الثمن، ويقتنيها الموسورون ورؤساء العشائر لأنها تدل على المنزلة والوجاهة.

وفي اثناء تواجده في هذه الديار انفجرت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التحررية وهنا بزغ نور الأمل في آخر النفق المظلم لينير سويداء القلب من أجل العودة الى تراب الوطن بعد غياب قسري دام حوالي ١٢ سنة.

٢٢ ـ الدكتور عبد الفتاح بوتاني: المصدر السابق ص ٥٢٩

٢٣ ـ الدكتور عبد الفتاح بوتاني: المصدر نفسه ص ٥٣٠ ـ ٥٣١

٢٤ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ص ٥٩

٢٥ ـ الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني: المصدر السابق ص٥٣٣

٢٦ ـ د. عبد الفتاح البوتاني المصدر السابق ص ٥٣١

٢٧ ـ موسى السيد علي " القضية الكردية في العراق من الأستنزاف الى تهديد الجغرافيا السياسية " ص ٧٢ مركز الأمارات للدراسات والبحوث الأستراتيجية، ابو ظبي ٢٠٠١م.

٢٨ ـ الدكتور عثمان علي " دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ١٨٣٣ ـ ١٩٤٦ دراسة تاريخية وثائقية " ص ٥٩٩ تقديم الأستاذ الدكتور محمد هماوندي، طبع ونشر مكتب التفسير، ٢٠٠٣ أربيل.

٢٩ ـ الدكتور عثمان علي: المصدر السابق ص ٦٠٠

٣٠ ـ رحلة مصطفى البارزاني الى الأتحاد السوفياتي، ج١ من برنامج في قناة الجزيرة يوم ١٠ / ٥ / ٢٠٠٧م.
٣١ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج١ ص ٢٥٧
٣٢ ـم. س. لازاريف: البارزاني وشهادة التاريخ، مقال تحت عنوان مصطفى البارزاني بمناسبة الذكري المئوية لميلاده. ص ١٠٧
٣٣ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج١ ص ٢٦١
٣٤ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج١ ص ٢٦٤
٣٥ ـ د. دينيس كوماروف: المصدر السابق ص ٤٧ ـ ٤٨
٣٦ ـ الدكتور عبد الفتاح علي بوتاني: الملامح الأساسية لشخصية مصطفى البارزاني ص ١٩ مطبعة خه بات ـ دهوك سنة ١٩٩٦م.
٣٧ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج١ ص ٢٧٢
٣٨ ـ م. س. لازاريف: مصطفى البارزاني بمناسبة الذكري المئوية لميلاده ص١١١
٣٩ ـ د دينيس كوماروف: المصدر السابق ص٥٢
٤٠ ـ مسعود البارزاني " البارزاني والحركة التحررية الكردية " الجزء الثاني ص٤٧
٤١ ـ د. دينيس كوماروف: المصدر السابق ص ٦٧
٤٢ ـ د. دينيس كوماروف: المصدر نفسه ص ٥٧
٤٣ ـ د. دينيس كوماروف المصدر السابق ص٧٠
٤٤ ـ الدكتور خليل جندي " حركة التحرر الوطني الكردستاني في كردستان الجنوبي ١٩٣٩ ـ ١٩٦٨ م " ص ١٤٩ الطبعة الأولى ستوكهولم ١٩٩٤م.
٤٥ ـ الدكتور خليل جندي: حركة التحرر الوطني.. ص ١٥٩
٤٦ ـ الدكتور خليل جندي: المصدر السابق ص ١٧٢
٤٧ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج٢ ص ١٠٨
٤٨ ـ د. دينيس كوماروف: مصدر سابق ص ٩١
٤٩ ـ د. دينيس كوماروف: المصدر نفسه ص ١٠٠
٥٠ ـ المصدر السابق نفسه ص ١٠٢
٥١ ـ نفسه ص ١٠٥

الفصل الثالث

الشيخ عبدالسلام البارزاني

١٨٧٦ ـ ١٩١٤

يركز الشيخ عبدالسلام خطته الأصلاحية على سحق
سلطات الآغوات وتقديم المساعدة والدعم للمعدمين
وإشاعة الأستقرار والسلام.
لقد نهب بيوت الآغوات ووزع محتوياتها
علي القرويين وسحق القلاع المحصنة للآغوات
ويأخذ ضرائب معقولة من المزارعين،
ويعطي نيابة عنهم ضريبة مقطوعة سنوياً.
إن الشيخ عبد السلام بحق من أحسن شيوخ المنطقة.
فلم يكن له مع الحكومة الى فترة قريبة أية مشاكل،
وهو عادل في معاملة رعيته. وحام للنصاري.
(من تقرير نائب القنصل البريطاني في دياربكر)

الشيخ عبدالسلام البارزاني أبن الشيخ محمد ابن الشيخ عبدالسلام، وهو الشقيق الأكبر لملا مصطفى البارزاني. ويمكن ان نلقبه بالشيخ عبدالسلام الثاني، لأنه حفيد الشيخ عبدالسلام الأول. وكان من الضروري ان نسلط حزمة أضواء على ما قام به هذا الشخص من خلال حياته القصيرة، حيث كانت إصلاحاته سابقة لزمنه، وكانت منجزاته وتضحياته سبيلا لبارزان لتتبوأ مكانة قيادية في كردستان يحترمها كل من يرمي الى خدمة الكرد وكردستان، وهكذا كانت النبتة التي غرسها الشيخ عبدالسلام، واعتنى بها وسقاها الملا مصطفى البارزاني، وأثمرت على يدي مسعود البارزاني. لقد أفردنا فصلاً كاملاً عن حياة هذا الرجل لما كان له من تأثير على ما ستلعبه بارزان من دور فعال في المشهد السياسي والأجتماعي والديني في المنطقة وعموم الوطن العراقي. كما ان هذا الفصل سيضفي الشمولية والتصور الكامل على

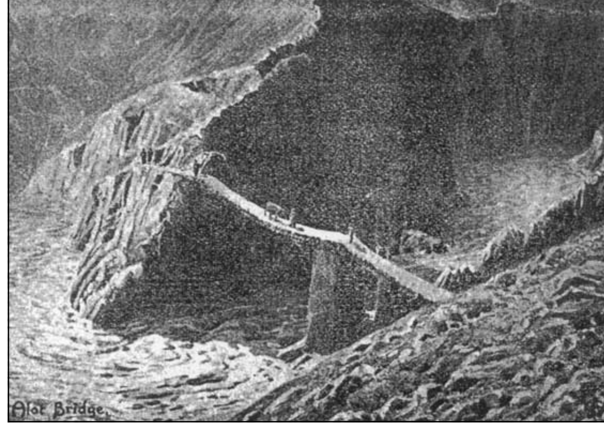

الشيخ عبدالسلام البارزاني

الخلفيات التاريخية التي مهدت لدور مشهود لبارزان والبارزاني والبارزانيين عموماً في مجريات الأحداث التي ستتعاقب على المنطقة بشكل عام وعلى كردستان العراق بشكل خاص.

وكمدخل عن اصول الشيخ عبدالسلام البارزاني فسنعلم بأنه ابن الشيخ محمد بن الشيخ عبد السلام الأول بن ملا عبد الله بن حاجي ملا محمد بن ملا عبد الرحمن بن ملا تاج الدين بن ملا عبد السلام بن ملا سعيد بن الشيخ محمد بن ملا احمد المشهور بـ (بي ره ش) بن ملا عبد الرحيم بن الأمير سعيد بيك بن الأمير منصور بن زبير باشا بن الأمير سعيد بن الأمير يوسف خان بن الأمير سعيد بن الأمير سيدي خان بن الأمير قباد الأول بن حسين (الولي) بن حسن بيك بن سيف الدين بن محمد بن الأمير بهاء الدين مؤسس إمارة بهدينان[1].

لا شك ان تلك الأصقاع كانت فقيرة في مجالي التدوين والكتابة، وكان جل ما يعتمد عليه هي تلك المدارس الدينية التي نادراً ما كانت تتحرر من شرنقة الدين، ولكن من حسن الحظ كان هنالك من الأجانب المستشرقين إن كانوا من السلك الدبلوماسي الغربي او من المغامرين او المبشرين او من الجواسيس، وهؤلاء يدوّنون بلغتهم مشاهداتهم، وهذا قد ساعد كثيراً لتسليط الأضواء على الأحداث والأشخاص في تلك المراحل.

لقد كانت المنطقة تابعة للدولة العثمانية، ووثائق قليلة نادرة تتحدث عن هذه المرحلة ويورد الدكتور عبد الفتاح البوتاني عن مؤلف وثائقي ضخم صدر في انقرة عام ١٩٩٣ فيه نتف قليلة من الوثائق تتحدث عن هذه المرحلة، فثمة برقية مشفرة من ولاية الموصل بتاريخ ١٧ ايلول ١٣٢٥ رومي بداية تشرين الأول ١٩٠٩ ميلادية، بأن نائب القنصل البريطاني دخل في مراسلات سابقة مع الشيخ عبد السلام البارزاني الذي كان يومذاك يقف ضد حكومة حزب الأتحاد والترقي التركية، وبأن نائب القنصل البريطاني قد ابلغ الشيخ عبدالسلام البارزاني مسبقاً بأنه قادم للقائه.. وتستمر الوثيقة الى القول: بأن القوات العثمانية ضبطت أوراقاً عائدة للشيخ عبدالسلام البارزاني، ومن ضمنها رسالة مؤرخة في ١١ آب ١٣٢٥ رومي ما يصادف اواخر ايلول عام ١٩٠٩ ميلادي كان على وشك إرسالها الى نائب القنصل



جسر جبلي معلق على الزاب الأسفل ايام زمان

البريطاني، ويقول فيها:

انه مضطر للدفاع عن النفس ضد القوات العثمانية التي ستتوجه ضده، وطلب من نائب القنصل البريطاني المساعدة لبيان حقيقة الأمر لدى المقامات العليا[٢].

من المستشرقين في هذه المرحلة المبشر ويكرام، وفي بعض كتاباته يغنينا بتكوين صورة عن الملامح الجسدية والشخصية للشيخ عبدالسلام الثاني حيث يقول:

عبدالسلام شيخ برزان رجل في مقتبل العمر يناهز الثامنة والعشرين، وهو كمعظم سكان الجبال متوسط القامة ضامر الجسم ممتلئ حيوية ونشاطاً، ذو وجه مهيب بشوش، كان يضع على راسه عمامة بيضاء فوق قلنسوة، ويرتدي صداراً وسروالاً بلون أبيض وعليهما جبة سوداء مطرزة بالأحمر، وفوق الجميع عباءة خضراء... وتتألف حاشيته من ٣٠ أو ٤٠ مريداً مسلحاً... وكان الجميع يظهرون لزعيمهم الشاب أسمى مظاهر الأحترام والطاعة. ولأجل ان نقدم للقارئ بتفسير دقيق لما نقصده من الأحترام الذي يشعرون به نحوه علينا ان نذكر انه شخصياً (مزار) أي موطن زيارة بكل في هذه الكلمة من معنى، وإن أوامره التي يلقيها على أتباعه الأقربين تطاع فوراً وتنفذ دون سؤال[٣].

هناك من يرتأي الى تجذير تاريخ النضال للبرزان والبارزانيين الى عهد الشيخ عبد السلام الثاني في أوائل القرن العشرين. إنه حاول إضفاء الصبغة القومية السياسية للمسألة الكردية في وجه الأضطهاد العثماني بدلاً من صيغته العشائرية، فكوّن وشائج وثيقة مع بعض الجمعيات العاملة في الساحة السياسية، ومنها جمعية تعالي وترقي الكرد وجمعية هيفي وجمعية استقلال الكرد، وفي ربيع عام ١٩٠٧ حضر الأجتماع المنعقد في بيرفكان وحضره

عدد كبير من زعماء القبائل الكردية، ورفع برقية الى الباب العالي في الأستانة تضمنت مطالب ذات صبغة وطنية قومية منها:

جعل اللغة الكردية لغة رسمية في المناطق الكردية، بالأضافة الى جعل التعليم باللغة الكردية، وتعيين مسؤولين أداريين وموظفين ممن يجيدون اللغة الكردية، وغيرها من المطالب التي تخص الشعب الكردي عموماً، وقد رفعت هذه المطالب عن طريق برقية أبرقت بتوقيع الشيخ عبدالسلام البارزاني نيابة عن الحضور.

لقد فسر العثمانيون هذه المذكرة بأنها نوع من العصيان ودعوة للأنفصال، ولهذا كان من الضروري التحرك لقطع دابر العصيان. في نهاية عام ١٩٠٧ تحركت قوة عسكرية تحت قيادة الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني، متجهة صوب منطقة البرزان. وحدث أن احجم زعماء العشائر عن المقاومة فوقع الضغط علي بارزان، وأمر الشيخ عبد السلام بالمقاومة والتي استمرت لمدة شهرين، ووقف الآخرون موقف المتفرج أو راح بعضهم يتعاون مع الغزاة، وفي النهاية اضطر الشيخ عبد السلام الى ترك المنطقة وذهب الى تياري عند المار شمعون الذي وفر له الملجأ واحترمه كثيراً ومنذ ذلك الحين تكونت علاقات ودية بين بارزان والآثوريين " ونحن البارزانيون نشعر بالأمتنان دوماً لهذا الموقف المشرف للمار شمعون"[٤].

وفي نفس السياق يكون لنا شاهداً آخراً وهو المبشر ويكرام، يقول: ان الجيش زحف الى منطقته واستولي على قراه وسبيت نساؤه الى الموصل[٥] والشيخ (عبد السلام) نفسه ظل أشهراً شريداً لا سقف يظله متنقلاً بين الجبال، ومن الطبيعي ان تحصد ما تزرعه يداك، فقد



صيادو الدببة في قوجانس وهي بعدسة القس باودن وهو من بعثة رئيس الأساقفة للكنيسة الأنكليكانية

جني ثمرة معاملته الكريمة للقرويين فلم يخطر ببال أحد من رعيته - مسيحيين كانوا او مسلمين - ان يخونه ويسلمه الى أعدائه. وفي هذا الوقت بالذات لقيناه لأول مرة وهو متنكر في ثياب خلقة وليس معه غير تابع واحد وهو مختف في إحدى القرى المسيحية فيما يلي إمارته.

بيد ان الكاتب في مكان آخر يقول: إن شيخ البرزان "والمقصود الشيخ عبد السلام" بأنه تدخل لفض النزا ع بين قبيلة التخوما " مسيحيين " مع جيرانهم الكرد المسلمين. ومنع أتباعه من التدخل لأنه غيور على استتباب وإشاعة النظام ليصنع معني جميلاً إذ أنه لم يكن مرتبطاً بأي التزام أدبي مع التخوما لا سيما بعد ان رفضوا أيوائه عندما كان الجيش التركي يتعقبه[٦].

إنه تناقض يورده المؤلف لكن رواية الأستاذ مسعود البارزاني اقرب الى الحقيقة ولهذا يسجل شكره وتقديره لمار شمعون.

ولنا مصدر آخر يتحدث عن هذه المرحلة وهو محمد البريفكاني الذي يتفق مع المصادر الأخرى بأن الشيخ عبد السلام البارزاني قد قضي على سلطة الرؤساء والآغوات في منطقته وامتد نفوذه الى عمادية وعقرة في لواء الموصل، فقررت الحكومة العثمانية الحد من نفوذه المتنامي في المنطقة وجهزت حملة عسكرية كبيرة للقضاء عليه فاضطر للفرار الى منطقة هكاري الواقعة شرق الأناضول، وكان الحظ حليف الشيخ عبد السلام حيث كان ناظم باشا والياً لبغداد وهذا بدوره انتدب صفوت بك القائمقام العسكري لأدارة شؤون الموصل وكان الأخير يروم تهدئة الخواطر واستقرار الوضع ليتسنى له القيام بالأصلاحات الممكنة في ولاية الموصل فوافق على دخالة الشيخ عبد السلام البارزاني وأتباعه.. وحينما عكف الشيخ علي



مضيق الزاب – تياري

اعادة نفوذه من جديد، بادرت الحكومة العثمانية تجريد حملة عسكرية ثانية ضده، وهذه الحملة كانت في زمن سليمان نظيف باشا والي الموصل الذي كان يكن للشيخ حقداً بالغاً والتحقت بالحملة عشائر الزيبار والهركية والريكان والتحم الفريقان في معارك دموية هائلة ولما كانت قوات الحكومة تفوق القوات البارزانية في العدد والعدة تمكنت من السيطرة على الموقف والأستيلاء علي بارزان وإرغام البارزانيين على الهروب والألتجاء الى ايران وخصصت جائزة لمن يسلم (الشيخ عبد السلام البارزاني) الى الحكومة... وكان الشيخ في ترحاله في منطقة عشائر الشكاك الواقعة تحت النفوذ الأيراني أنذاك فسلموه للسلطات العثمانية التي اعدمته في الموصل وبعد إعدامه بقيت بارزان بدون زعيم مدة من الزمن[٧].

كلام في المجتمع القبلي

المجتمع الكردي هو احد المجتمعات في الشرق الأوسط وهو يتأثر ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ولغوياً بالمجتمعات المحيطة به يأخذ ويعطي بما يفرزه هذا التفاعل على شتى مفاصل الحياة. في الريف الكردي تشكل العشيرة رقماً من الصعوبة بمكان تجاوزه، وفي جغرافية كردستان الجبلية ذات التضاريس والشعاب الوعرة، ضعفت المواصلات الحديثة ومعها البنية التحتية بشكل عام فانعدمت عوامل النهوض بخلق حالة مجتمعية حديثة في الجغرافية وهذه الحالة كرسّت للأحتفاظ بالتشكيلات القبلية وستمراريتها عبر الزمن.

في الحقيقة إن العشيرة تأخذ على عاتقها النهوض بدور اجتماعي وسياسي واقتصادي، إنها مجتمع متكامل ومتماسك بولاء طوعي موروث يجذب الفرد الى الجماعة بما يوفره من أمان وضمان، وكذلك هوية انتمائية تحقق الذات.

من الطبيعي ان المجتمع القبلي ليس منغلقاً ذاتياً إن كان في التبادل الأقتصادي او الثقافي او الأجتماعي او إشكالية انفتاحة على التجدد الحاصل على مقربة منه، إنه يتفاعل ويتأثر لكن ببطء وروية دون الاندفا ع المشهود في المجتمع المديني. إنه مشدود الى تراثه لكن من جانب آخر يبهره ما يتجدد أمامه كل يوم في شتي مفاصل الحياة وكما قلنا يتحرك لكن ببطء شديد.

المجتمع القبلي ليس سائباً ودون قيود انضباطية، فثمة معايير وقيم ومبادئ تنظم حياة القبيلة وهي غير مكتوبة لكن الأجيال تتوارثها وتقبل بها، وابن العشيرة لا يجهل واجباته وحقوقه في دائرة عشيرته، هناك التزامات عليه التمسك بها، ويوم يتعرض ابن العشيرة لمظلمة من خارجها، فحقوقه مصانة من جهة التزام العشيرة بأبنائها، تحت شعار انا وابن عمي على الغريب، ورغم ان العشيرة كيان قائم بذاته لكن لابد من أيجاد صيغة تفاهم مع ما يحيط بها من العشائر الأخرى المجاورة، لتجنب الأحتكاك والتصادم حينما تتضارب المصالح،

وهناك اعراف تتفق عليها هذه العشائر لتفادي الأحتراب ويقول مصطفى عثمان اسماعيل في جريدة الشرق الأوسط اللندنية:

ان الأعراف والتقاليد والسوالف (السوابق) هي التي تنظم جل حياة القبائل ولا زالت هذه الأعراف هي الأقوى في ترتيب المعاملات بين أفراد هذه القبائل في ما بينها وبين ما يجاورها من قبائل اخرى، وهذه الأعراف هي وسائط التحوط والوقاية من التصادم والأحتراب وأيضاً وسائل تخفيف حدة التوتر والحروب واحتوائها وحلها، ويستخدم آليات للوقاية من التصادم بين القبائل وذلك بعقد تحالفا بين المجموعات العشائرية، اهمها تلك التي تعقد بشأن استخدامات الأرض بين الزرا ع والرعاة، والأتفاقات على الدية المدفوعة في حوادث القتل، كذلك زيجات المصاهرة لا سيما تلك التي تتم بين قيادات وشيوخ العشائر والتي تشكل وسيلة للوقاية من نشوب الصراعات المسلحة بين هذه القبائل. للمزيد راجع مقال مصطفى عثمان اسماعيل " القبيلة وآلية تحقيق السلام الأجتماعي في جريدة الشرق الأوسط يوم ٤ / ٨ / ٢٠٠٧م.

إن طبيعة المجتمع الكردي ليست غائبة عن هذا التصور، إنه مجتمع عشائري تسود فيه أعراف وتقاليد تعمل على الوقاية من التصادم بين هذه العشائر، لكن المجتع الكردي فيه عوامل أخري يمكن إدراجها بكونها عوامل خاصة تحيط بالشعب الكردي وهي مسألة تقسيمه بين كيانات سياسية متجاورة وبعد ذلك تداخل المجتمع الكردي وتفاعله مع بيئته السياسية والأجتماعية والأقتصادية واللغوية والثقافية إن كان في العراق او تركيا او ايران.

في الشريحة الأجتماعية التي اخذناها كمحور لبحثنا وهو البارزاني والبارزانيون، نلاحظ تأثيرات أخرى غير العلاقات والضوابط العشائرية تلعب دورها في إدارة دفة الأدارة في هذه المشيخة او القبيلة او الأمارة البارزانية كما يعبر عنها بعض الكتاب. لقد كانت بارزان تتبع الطريقة النقشبندية التي تجسد الطريقة الصوفية المعروفة باللجوء الى التقشف والزهد وتقاسم شظف العيش مع الشعب ونشر روح التضحية والأمان والطاعة والأخلاص.

وهناك من يرى ان صلابة بارزان وقوة بأسها واستعداد أبنائها للتضحية نابع من روحية الطريقة النقشبندية ونظامها الدقيق وما يولده من توحيد في المشاعر والمساواة بين البشر وما تحمله من تعاليم في مناهضة الظلم. إنه اتحاد اختياري بين قبائل وفق نظام الطريقة الصوفية النقشبندية. وقد دأب المجتمع الكردي أحياناً على تسمية العقيدة التي يؤمن بها ايماناً راسخاً باسم محلي. فمولانا خالد كان من اتباع الطريقة النقشبندية، وعندما عاد الى كردستان من الهند ونشر مبادئ الطريقة في أرجاء الأمبراطورية العثمانية، بالأخص في كردستان، عرفت بـ (الخالدية) نسبة اليه، وعندما انتشرت في الوسط البارزاني، وخاض

البـارزانيـون بـالسـلاح الفكري لـهذه العـقـيـدة حـروبـاً كـثـيـرة ضـد ظلم الآغـوات في المنطقـة والتصدي للمحتلين، أخذت الطريقة الخالدية تعرف بالطريقة البارزانية وأياً كانت التسمية التي ألصقت بها فهي في الجوهر لا تعني غير الطريقة النقشبندية[٨].

البارزانيون من القبـائل الكردية القاطنة شمال خط الموصل أربيل راوندوز وقد قدر مـارك سـايكس عدد أفـراد قبيلة بارزاني (Barzani) بـ ٧٥٠ عـائلة، وذكر انهم مشـهورون بسـبب قدراتهم الحربيـة، وبسبب المكانة العائلية الدينية. والبارزانيون ليسـوا قبيلة صغيرة، ولا هم بالقبيلة بـالمعنى التام إذا جاز التعبير، وفي الحقيقة ثمة روابط أخرى دينية قد تكون طاغية او غـالبـة على الدوافع القـبليـة المنشرة في المنطقـة. إنهم بالأحـرى اتحـاد هام لكرد غيـر قـبليين ولقبائل صـغيرة، خضعوا جميعاً لنفوذ النقشبندية في بارزان... والعنصر الأكبر اهمية في بارزان، وهـم الشـيـروانيـون الذين يعـدون ١٨٠٠ عـائلة حـسب مـا ذكـر مـارك سـايكس، وقـد وصفـهم بأنهم كادحون مجدون ومضيافون، لكنهم مولعون بالقتال. وتأتي في الدرجة الثانية قبيلة مزوري شمـالي بارزان وهـم يقيمـون في قري قرب الحدود التركية ولهم صـلات بنيروه Nervas، في حين يقـيم فـي الشـرق قـبـيلتـا بروزي ودوله مــه ري، وهناك ايضــاً القـري التي يقطنها كرد غير قبليين منضمون الى البارزانيين[٩].

ونعود الى قيادة الشيخ عبدالسلام البارزاني التي شكلت نبراساً لسلوك طريق النقشبندية، وإذا امـعنا النظر فـي قيـادته ومطالبـه من الحكومـة العـثـمـانيـة والأتصـالات التي أجـراها مـع القوي العظمي أنذاك: روسيا وبريطانيا، ونظرته الى العدالة الأجتماعية لبني قومه، نجد انه كان معادياً للهيمنة الأجنبية ولنمط حكم الأغوات في كردستان واستغلالهم للفلاحين والقرويين ومن هنا يكون الشيخ عبدالسلام قد ابتعد عن النمط العشائري التقليدي، فمعاداته للهيمنة الأجنبية وميله الى جانب الفلاحين ضد الآغوات واستغلالهم للفلاحين، وهو نفسه قضي على هذا الأستغلال كلما استطاع، فكانت زعامة عبدالسلام تحمل في طياتها تجسيداً للسلطة الروحية والسياسية معاً، وكان كثير الحساسية في كل ما يتعلق بالظلم والغدر، وشعاره المفضل الذي كان يردده دائماً هو "Zewala zalima me , Babe faqir u jara me" ما معناه: مهمتي هي القضاء على الطغاة، انا اب للفقراء والمظلومين[١٠].

بهذا التوجه وهذه الروحية كان الشيخ البارزاني يسعى الى وضع حد للتمـايز، والي التقريب وإزالة الفوارق الطبقية بعدم تكديس الأموال، والتسامي من مستوي العشيرة والقبيلة الى فضـاء القوميـة والشعب ثم الأنسـانية. وكان هذا الشيخ يجمع بين النبل الفريد وسـعة الأدراك، والعلم الديني الغزير ويحمل بين جنباته قلباً كبيراً مخلصاً لشعبه وأمته.

كـانت الأنتـفـاضـة المسلحـة في الفـتـرة (١٩٠٩ ـ ١٩١٤) التـي قـادها الشـيخ عـبـدالسـلام



الشيخ عبدالسلام البارزاني في وسط الجالسين في الصف الأمامي، وعن يمينه سليمان بك الراوندوزي وعن يساره كاتبه ملا احمد بن عبدالخالق العقراوي.
الواقفون من اليمين الى اليسار: ميرخان سم، مصطو هفليري، سعيد فقي عبد الرحمن، علي محو، عبد الله كَور، ملا جوج، ملا ابو زيد، شرو خزيران، شيخ ملا بله يي. (تحقيق الأصل بمساعدة كاك صالح محمود البارزاني. انظر كتب مهد البشرية بين صورة بين ص١٤ و ١٥).

البارزاني تعتبر أول حركة مسلحة كردية في القرن العشرين، وكان لهذه الحركة اهدافها السياسية الواضحة، ولا ريب ان منطقة بارزان كانت متأثرة برياح الحرية والأفكار التحررية في بلاد القاجار والعثمانيين بعد ثورات المشروطية في البلدين. إن الحركة الدينية الصوفية في بارزان باتت تستنشق نسائم السياسة والتحرر والأصلاحات الأجتماعية ودأبت الطريقة الدينية الصوفية تنحو نحو الطريقة الصوفية السياسية، وكان نضج ووعي الشيخ عبد السلام البارزاني العامل الرئيس في هذا التغيير ونقتبس ما كتبه كاوس قفطان مستنداً الى الأرشيف الحزبي في آذربيجان:

كان الشيخ عبد السلام البارزاني قد أسس مع عدد من الرؤساء الكرد جمعية كردية في اسطنبول وكان يقوم بنشر الأفكار السياسية الوحدوية في حدود منطقة بارزان والمناطق المحيطة بها ليس فقط بين الكرد والمسلمين وإنما بين مسيحيي كردستان[١١].

الأصلاحات الأجتماعية والسياسية

المجتمع الكردي كما هو معروف هو بقايا المجتمع القبلي، وتشغل العشيرة مساحة كبيرة من الوظائف، ويقف على رأس الهرم في التكوين العشائري الشيخ الذي يجمع بين يديه صلاحيات متنوعة ومن بينها توزيع الأسلاب والغنائم، والقاعدة السائدة هو ان يكون للشيخ حصة الأسد، وفي المقابل يتحمل اعباء استضافة الضيوف من خارج العشيرة، مع نفقات الضيوف من العشيرة نفسها.

بعد ان تحولت أعداد كبيرة من القبائل الرحل والتي تمتهن الرعي، الى قبائل مستقرة: رعوية وزراعية في نفس الوقت، طفقت العشيرة تمتلك المرعي والأرض الزراعية، وبعد استيطان القبائل الرحل شرع الشيوخ بالأستيلاء على المراعي ومعها الأراضي الزراعية أيضاً، وتحول شيوخ العشيرة الى ملاكين اقطاعيين. ومن النادر ان يتميز شيخ العشيرة بالتضحية ونكران الذات لا سيما تلك الأمور التي تتعلق بالأراضي والأملاك، والأنسان بغريزته يطمح الى التملك، ومن الطبيعي ان مركز رئيس العشيرة يمكنه من الأستحواذ على حصة الأسد من كل غنيمة، لكن هذه القاعدة لم تجد لها مكاناً في قلب وضمير الشيخ عبد السلام، فكانت تضحيته ونكران ذاته مثالاً قل نظيره في مثل هذه الحالات، لقد قام بجملة إصلاحات اقتصادية واجتماعية وعسكرية هامة منها:

١– الغاء الملكية.

٢ ـ توزيع الأراضي على الفلاحين.

٣ ـ إلغاء المهر والزواج القسري.

٤ ـ تنظيم العلاقات الأجتماعية على أساس من العدل والمساواة.

٥ ـ تشييد مسجد في كل قرية لأداء الفرائض الدينية فيه والأستفادة منه كمركز للأجتماعات والمشاورات وحل المشاكل بين اهل القرية.

٦ ـ تشكيل لجنة في كل قرية تشرف على شؤون القرية من كل النواحي.

٧ ـ تنظيم المسلحين من كل عشيرة وتعيين مسؤولين لهم، ويقول الأستاذ مسعود البارزاني: ان أحمد أغا البيرسيافي خال البارزاني قام بدور كبير في تدعيم وصيانة هذه الأصلاحات وكان يعتبر هو وعشيرته القوة الأساسية بيد الشيخ عبدالسلام[١٢].

إن هذه الأصلاحات تبدو سابقة لزمنها، إنها إنجازات لا يمكن هضمها بسهولة لا سيما في تلك الأيام الغارقة في معارج الجهل والفقر والظلم والأستبداد، إن نزعة الشيخ عبدالسلام

الأصلاحية قد أوحت الى نائب القنصل البريطاني في ديار بكر الى كتابة تقرير يقول فيه:

ظهر في السنوات الأخيرة في هذه المنطقة مصلح باسم شيخ البارزان له أتباع من قبائل كردية وأرومارو شيروان. قاد الشيخ عبد السلام حملات تأديبية ضد الشيوخ الصغار، وحقق نجاحاً ملموساً وسحقهم واحداً بعد الآخر. للشيخ حالياً حوالي ١٥٠٠ مسلح من أتباعه المخلصين جداً له. ويمضي التقرير فيقول: ويركز خطته الأصلاحية على سحق سلطات الآغوات وتقديم المساعدة والدعم للمعدمين وإشاعة الأستقرار والسلام. لقد نهب بيوت الآغوات ووزع محتوياتها على القرويين وسحق القلاع المحصنة للآغوات ويأخذ ضرائب معقولة من المزارعين، ويعطي نيابة عنهم ضريبة مقطوعة سنوياً. إن الشيخ عبدالسلام بحق من أحسن شيوخ المنطقة. فلم يكن له مع الحكومة الى فترة قريبة أية مشاكل، وهو عادل في معاملة رعيته. وحام للنصاري[١٣] (إن هذه العبارة قد ادرجتها في بداية هذا الفصل).

كان الشيخ عبد السلام يحتفظ بمكانته الدينية والعشائرية ويكفيه انه عادل بين رعيته، وما يعزز مكانته بين قومه هو شبه غياب السلطات الحكومية بدعوة وعورة المسالك، ولكن في الحقيقة إن السبب يعود الى ضعف الحكومة، ويشعر أهل القري والأرياف في العهد العثماني ان الحكومة تجني الضرائب، لكنها تحجم عن تقديم الخدمات لهذه المناطق النائية.

في منطقة بارزان حيث الطاعة والولاء للشيخ تشعر الحكومة العثمانية بحراجة موقفها، فإرسال الحكومة لموظفيها الى هذه المنطقة فرغم الترحيب بهم واستحسان معاملتهم إلا ان نفوذهم يكون محدوداً، وعادة ما تكون هذه المناطق محفوفة بالمخاطر، لكن وقوع هذه المنطقة تحت نفوذ شيخ البارزان تجعل منها منطقة آمنة، ليس لكونه واحداً أعظم زعماء الجبال نفوذاً فحسب فهو أكثرهم مهابة ومدعاة للأحترام، وفي مهد البشرية إشارت لمكانة هذه الشخصية فقد ورد ما ملخصه:

أن بارزان أكبر من القرى الكردية الأعتيادية وإن الجبل يحتضنها من جهتين، وإن شيوخ المنطقة حتي الأقل من شيوخ بارزان سطوة يعيشون في قلاع حصينة بينما نجد شيخ البارزان يعيش بين شعبه وليس قصره إلا مجموعة من الأكواخ العادية متناغمة فيما بينها لتؤلف كوخاً واحداً.. ومن هذا الكوخ يقوم الشيخ بأعباء حفظ الأمن والنظام بكل صدق وإخلاص ذلك الشيخ الذي يدرك ان السبيل الأنفع هو حماية رعيته لا التضييق عليها..

لقد كان الشيخ عبد السلام حتى عام ١٩٠٩ في حرب معلنة مع الحكومة العثمانية حينما أراد والي الموصل السيطرة على القري البارزانية وفي معركة اشتركت فيها سبعة افواج من الحكومة وجدت ثلاثة منها نفسها واقعة في فخ بين المسلحين المحصنين بين الصخور وكان

استسلامها بكل اسلحتها وتجهيزاتها، وفي معركة أخري بين جبال صخرية شديدة الأنحدار كان الشيخ عبد السلام موجوداً بشخصه، على انه ترك مهمة إدارة القتال الى شخص اسمه عبد القادر الذي كان يعمل بمثابة ضابط ركن له.

لقد كان الرجال يتهيبون فكرة الألتحام بجيش الحكومة، فلأجل أن يلهب الشيخ حماستهم ويقضي على ترددهم، أطلق الرصاصة الأولى، وإطلاق رصاصة واحدة في عرف كردستان يعني الأستنجاد والمعونة، امسك الشيخ بالبندقية وأطلق طلقة واحدة نحو السماء بملكة درامية رائعة، كأنما يستمد العون من الله نفسه، فكانت معجزة عظيمة تحققت على يد قداسته ورفعت من مقامه فهو لم يسجل نجاحاً ثميناً في مجال سلطانه الدنيوي وحده إنما كان دليلاً جديداً على قوته الروحية.[١٤]

إن هذه الخصال لهذا الرجل لم تذهب سدى فقد عززت مكانة عشيرته في المنطقة وفي كردستان عموماً. مع هذه الأنجازات التي تتناول مصلحة الناس مباشرة تعززت مكانة برزان وأصبحت العشيرة البارزانية مهيوبة الجانب في عهد الشيخ عبد السلام الذي برز اسمه بسرعة كزعيم ديني ووطني في أن واحد، فهو زعيم من طراز جديد، فقد أجري اصلاحات اجتماعية هامة في منطقته، وحتي ذلك الحين لم يكن جميع البارزانيين متفقين على الأرتباط بمشيخة بارزان، ولكن بعد ذلك هب الجميع ولاءهم وتأييدهم الكاملين للشيخ عبدالسلام، وأصبحت العشائر التالية متفقة على زعامته وراضية بإجراءاته الأصلاحية وهي " شيرواني، دولومري، مزوري، به روزي، نزاري، كَـه ردي، هركي بنه جي) ومنذ ذلك الوقت أصبحت تسمية البارزاني تشمل أبناء تلك العشائر[١٥].

تأثير الدين وفكرة التصوف[١٦]

إن كان هناك تعريفات للأنسان بانه حيوان ناطق او كائن اجتماعي او سياسي، أو صانع الأدوات، فيمكن ان نطلق عليه ايضاً انه كائن متدين، فالظاهرة التدينية كانت قرينة الأنسان منذ فجر حياته حينما أطلق عليه اسم الأنسان العاقل (Homo Sapiens) وبقيت الظاهرة الدينية كمحرض أساسي في الأفعال البشرية على مر الدهور. إن الثقات يعزون كل تكنولوجيا العصر الحديث إكمالاً وتطوراً لما بدأه الأنسان البدائي وهو يستخدم التقنيات الحجرية بغية استعمالها لأغراضه. وكل ارتقاء فكري وروحي للأنسان في العصر الحديث تتأصل جذوره الى تلك البوادر الدينية الغامضة والأساطير المتراكمة منذ اقدم العصور. ومن هنا يكون العامل الديني أقوى محرك سوسيولجي إن كان نحو الخير او الشر أي ان الدين هو النابض الحيوي المحرك في الحياة الأنسانية طراً.

لقد قاوم الأكراد في البداية بعنف سلطة المسلمين والفتح العربي لكن شأنهم شان الشعوب الأخرى بعد اعتناقها للاسلام تخلوا عن ماضيهم الديني، لكن بقيت بعض الخصال القديمة عالقه في أذهانهم، وفي مجال الصراع بين التركي الفارسي {المذهبي} والذي نشب في القرن السادس عشر، فقد انضموا الى الجانب السني التقليدي ضد التشيّع، فالكردي لم يبق غير مكترث بالخلافات السنية الشيعية، فقد قاتل اغلب الأحيان الفرس وهو في صفوف العثمانيين الترك. وكانت العلاقات الفارسية الكردية متأثرة بالأختلافات المذهبية فتأخذ طابعاً شديداً عندما تصطدم بمعارضة جد قوية ناشئة عن اختلاف الأوضاع الأجتماعية.

الجانب الكردي يتصف بكونه مجتمعاً عشيرياً مترحلاً، يعيش أفراده في الجبال، فيما يتصف المجتمع الفارسي بكونه ثابتاً ومتحضراً يعيش افراده في السهول، إننا نجد انفسنا بعيدين عن الأهتمامات الدينية طالما كنا نحاول دراسة مشكلة متهيجة ضمن إطارها الحيوي وليس تحت رؤية ظاهرة فقط[١٧]. لقد تبلورت الفكرة الدينية لدى الأكراد وفسرت الى الواقع الحياتي، وكان لفكرة التصوف شيوعاً وقبولاً في الوسط المجتمعي الكردي، والطرق الصوفية في كردستان هي اولاً الطريقة النقشبندية ثم الطريقة القادرية. بنظري ان انتشار فكرة التصوف في الوسط الكردي يعود ـ في الأقل ـ بعضه الى بيئة التضاريس الجبلية الملهمة للوحدة والتأمل، وها هو زاردشت ينحدر مع شامخات الصخور ويقذف كلماته نحو الأغوار السحيقة، وهو يعترف فيقول:

إن حكمتي الوحشية تمخضت بآخر صغارها في الجبال السحيقة بين الجلامد الجرداء، وهي تطوف بجنونها الصحاري القاحلة مفتشة عن المروج الناضرة. كما ان الخلفية الفكرية الدينية المسيحية والزرادوشتية والتي كانت منتشرة في المجتمع الكوردي قبل اعتناقه للديانة الأسلامية لها تأثيرها في قبول الأفكار التصوفي الديني.

في كل العصور كان النفوذ الديني هو المحرك الرئيس لا سيما في المجتمعات القبلية والأقطاعية، وكانت المشاعر الدينية في المجتمع الكوردي كانت تأخذ طابع المناهضة للترك، فكانت الثورة الكردية التي اندلعت عام ١٩٢٥ يقودها احد المشايخ النقشبنديين وكانت الأجراءات التي اتخذتها السلطات التركية موجهة ليس فقط ضد الكرد، حيث هجرت مجموعات كبيرة منهم الى مناطق غير كردية، بل شملت الطوائف الصوفية من القوميات الأخرى كالبكداشيين الذي كان لهم دوراً مهماً داخل الدولة العثمانية، نقتبس من باسيل حول التصوف الكردي وعن المشايخ في بعض المناطق لينتقل الى منطقة عقرة فيقول:

في آكري (عقرة) وزيبار كانت هناك أسرتان تسلكان الطريقة النقشبندية، الأولى من سلالة الشيخ عبد السلام البارزاني، ويحمل حفيده ابن الشيخ محمد اسم جده، وقد اغتاله

الأتراك في الحرب العالمية ألأولى، وكان اولاده صغاراً في العمر، لذلك انتقلت المشيخة الى شقيقه الشيخ أحمد البارزاني[١٨] إننا نستشفي ان الشيخ عبد السلام حينما اعدم في الموصل كان لا زال في مقتبل او متوسط العمر ولهذا كان اولاده صغاراً.

إن الشيخ عبدالسلام كانت له مكانة دينية وزمنية وهذه الأخيرة كسبها حينما أنصف شعبه بتوزيع الأراضي بصورة متساوية وغيرها من الأعمال التي كانت متعلقة بشكل مباشر بحياة الناس المعاشية، والرجل في كردستان يكسب القلوب حينما يكون رجلاً شجاعاً في معاركه ومضيافاً في بيته، والمكانة الدينية تكسبه هيبة ووقاراً، وهنا يكون الشيخ ليس مجرد زعيم قبلي فهم يعتقدون بقداسته الموروثة، ويُخاطب بكلمة قوربان،وفي اللغة الكلدانية المحكية قربان، هو الفادي. (آنا قوربانوخ) أي انا فداك. وفي هذا السياق نقتبس حادثة قصها المار شمعون جاثليق الاثوريين الى مؤلف كتاب مهد البشرية المبشر ويكرام يقول:

كان أحد الأرتال العسكرية يعقب الشيخ الشيخ عبد السلام، وفي اثناء ذلك قبض على صبي تأخر عن الجماعة الفارين، فطلبوا منه مهددين ان يدلهم الجهة التي سلكها شيخه، إلا ان الصبي كان أصلب من الحديد وأجابهم:

" أقسم باسم الشيخ المبارك إني لن أخبركم "

وكان هذا كل ما استطاعوا انتزاعه منه بعد صنوف الترغيب والتهديد، وتشاء الصدف ان يكون قائد الرتل التركي طيب القلب فلم يسئ معاملة الأسير الصغير. لكنه لم يتردد في استخلاص حكمة من سلوكه بعد ان أخلي سبيله قائلاً لضباطه وهو يبتسم:

لن نربح من هذه الحرب شيئاً، وبإمكانكم ان تحكموا من هذه الواقعة على طبيعة الرجال الذين نقاتلهم. فهذا الطفل كان تحت رحمتي تماماً ولن يحاسبني أحد علي قتله لو شئت ذلك، ومع معرفته هذه الحقيقة فقد تحداني وحلف باسم شيخه كأنه يحلف باسم الله[١٩].

إن الطاعة والأنضباط هما سر التفوق إن كان في الجيوش النظامية او في الفصائل القبلية، والشيخ أقسى ما يخشاه هو الخيانة او الخروج عن الطاعة.

في نزاع قبلي في المنطقة بين قبيلة من تخوما وقبيلة مسلمة، وكانت الأخيرة تتوخى ان تضع الخلاف في قالبه الجهادي، لكن شيخ البارزان تدخل بجدية وحزم لفض النزاع في وضعه الأعتيادي دون الموافقة على الجهاد الذي أفتي به، وقد أطيع أمر الشيخ، لكن أحد أتباعه واسمه " تتو آغا " قد أضمر العصيان، وكان أكبر معارضيه في اجراءاته فعلاً. فأرسل اليه أحد أتباعه ليكرر عليه أوامره. فدخل الرسول قلعة الأغا واقتيد اليه حالاً وهناك أبلغ رسالة شيخه، إلا ان الأغا كان عنيداً فلم يوافق. فأعاد الرسول التحذير لكن " تتو آغا " بقي

مصراً ولم يتزحزح من موقفه فختم الرسول كلامه بقوله:

كلمة الشيخ يجب ان لا تكسر، الشيخ أرسلني اليك لأبلغك بأن تبقى في دارك.

فأجاب الأغا راكباً رأسه:

أنا ما علي من الشيخ، فليرسل أمره الى غيري لأني لا أطيعه.

فقفز موفد الشيخ ورمى بنفسه علي، العاصي العنيد، وبعد دقيقة واحدة خرج من الغرفة مشهراً خنجراً تقطر منه الدماء. مخلفاً " تتو آغا " ميتاً في مجلسه وهو يقول:

كلمة الشيخ يجب ان لا تكسر[٢٠] قد يعتبرها البعض بأنها مغالاة في الطاعة لكن يبدو ان الحياة العسكرية العشائرية مع المخاطر الماحقة بالقبيلة تبدو ضرورية لأحقاق النظام والعدالة. هذه كانت مسيرة الأنسان عبر قرون وقرون إن كان على نطاق نظام الأسرة او القبيلة او الدولة او الأمبراطورية، فعندما يغيب النظام والقانون، يتبوأ نظام الغابة المسرح السياسي والأجتماعي فتسود القوة وتنتشر الفوضى، وما نراه اليوم في المشهد العراقي خير دليل على سريان هذه النظرية. لكن يبدو ان شيخ البارزان كان يحرص ان لا تنزلق الأمور الى هذا الدرك.

والكاهن الأنكليكاني W. A. Wigram الذي زار كردستان ومكث فيها سنين وقابل الشيخ عبد السلام وحاوره وهو يكتب عن جهود شيخ البارزان في بسط الأمن والأستقرار للمواطنين من المسلمين والمسيحيين ودون تمييز، وهو يخصص فصلاً كاملاً للكتابة عن شيخ البارزان في كتابه مهد البشرية، والفصل تحت عنوان " فيك أيان، فور الشرق، شيخ بارزان: An Oriental Vich Ian Vohr, The Sheikh of Barzan " وهو بطل اسطوري وزعيم قبيلة اسكندنافية والكاتب شبهه بالملك بريان بورو ملك أيرلندا في الأزمان الغابرة ويقال كان بالأمكان ترك حلي ذهبية في دغل على مقربة من الطريق ضمن أملاكه وأنت امين عليها.

لكن تبقى الطبيعة البشرية هي هي ففي اوقات غياب القانون تنفلت الغريزة الحيوانية من عقالها فيلجأ الأنسان الى الأستحواذ الى أملاك الآخرين وثمة مثل كردي يقول: Duni le Duni Sheeve Korke Bezene " دني لي دني شيفي كوركي بزني " أي الدنيا هي هي منذ الأزل الذئب يفترس الشاة.

ونحاول حبك قصة من احداث حقيقية واقعية. ومسرح هذه القصة هو الطريق بين بافيان وعقرة، إذا ان هذه الطريق كانت تسلكه عشيرة الهركية، والمعروف عن هذه العشيرة انها من العشائر الرحالة التي لا تستقر في مكان واحد طيلة فصول السنة. وكانوا شتاءً يضربون خيامهم في سهل الموصل، وفي الصيف ينتجعون في هضبة أورمية الشامخة الباردة.

بحلول فصل الربيع يوجهون بوصلتهم نحو الشمال فيهاجرون بكل قطعانهم ومواشيهم وكل مقتنياتهم الى اورمية، وفي الخريف تبدأ رحلة العودة، والهجرة هذه سمة من سمات حياة البداوة التي تعتمد على الأغنام والمواشي وتأبي ان تزاول الزراعة لتأمين غذائها مما تجود به الأرض بعد ان يقوم الأنسان بزرعها والأعتناء بها.

المهم ان الهجرة ليست أمراً غريباً، لكن الذي كانت تؤول اليه هجرة هذه العشيرة هو ما ترتكبه من اعمال سلب ونهب لكل شئ ليس ساخناً جداً او ثقيلاً جداً على حد تعبير الأب ويكرام في مهد البشرية.

إن القري الواقعة على طريق هذه العشيرة لفها العوز والفقر رغم انتعاش الزراعة وتوفر الماء، ويكمن حظها العاثر في موقعها الكائن في طريق هذه العشيرة إذ ينهبون في طريقهم الغنم والبقر أولاً ثم يلفون البسط والفرش والأثاث المنزلية القليلة، ويتركون مضيفيهم المنكود الحظ وليس عليهم إلا الأسمال الرثة وجدرانهم العارية. وإذا وضعنا عمليات النهب والسلب بأنها أمور جارية وليس فيها وجه الغرابة لا سيما في غياب القانون، إلا ان الأمر لا يتوقف عند حد السرقة، فالسارق يختفي بعد ارتكابه جريمة السرقة، لكن هنا السرقة ربما تثير الضحك، وشر البلية ما يضحك كما يقال.

ولكي نقف على هذا الأمر علينا قراءة ما كتبه ويكرام يقول:

وجدنا في شرفة بيت مضيفنا ثلاث رزم أو أربعاً كبيرة الحجم مشدودة بالحبال شداً محكماً وملفوفة بالأبسطة لفاً، فسالنا سؤالاً عرضياً صاحب الدار عما تحويه تلك الرزم؟

أجاب مضيفنا بقلب كسير، إنها أمانة وضعها الهركية عنده، وسيمرون به عند اوبتهم ويطالبونه بها، إنهم لا يدفعون له أجراً عن حفظها لهم عنده، ومع ذلك فهو مسؤول عنها امامهم، وعليه ان يعوضهم أربعة أضعافها إن فقد أي شئ من محتوياتها.

فسالناه: وماذا فيها؟

فظهرت الكآبة على الرجل المسكين بأجلى معانيها وأجاب:

إنها ممتلكاتي! انها فرشي وآنيتي وأوعية طبخي! واستدرك يقول:أعني ان قسماً منها يعود لي والقسم الآخر هي ملك القرويين الآخرين وقد غصبها منا الهركيون عند غارتهم الأخيرة على القرية.

لقد كان سلطان الرعب الذي نشره هؤلاء كاملاً، والحكومة تقف متفرجة مكتوفة اليدين لا حول لها ولا قوة، حتى بلغت بهم الصفاقة ان انهم أجبروا ضحاياهم على حفظ الأسلاب التي نزعوها منهم، لحين عودتهم بعد ستة أشهر وهم متأكدين بأن أوامرهم ستطاع وتنفذ بالحرف

الواحد دون أي احتجاج.

إن هذه الحالة تبين مدي تفكك هيبة الدولة في هذه الأصقاع النائية، فيختفي النظام والقانون، وحسب قاعدة ملئ الفراغ السياسي والقانوني، يسري قانون الغاب الذي يمنح الحق للأقوي. والحال هذه تغدو هذه الغابة الأجتماعية جنة مثالية يلعب فيها العصاة والشقاة على هواهم، فتحكم العشيرة بما تراه مناسباً لها إن لم يكن ثمة رادع من الدولة او من العشائر المجاورة.

في هذه الأصقاع بعد عبور نهر الزاب للقادم من العقرة يصبح في مملكة بارزان أي المنطقة التي يديرها شيخ البارزان، وهذا الشيخ كما مر يختلف عن شيوخ العشائر التقليديين من حيث اهتمامه بالسلطة السياسية والسلطة الروحية الصوفية التي لها آفاق إنسانية رحبة تتخطي حدود العشيرة والقبيلة. وتسعى الى تحقيق المساواة والعدالة بين الناس بقطع النظر عن الدين والمذهب، وهو الذي اشتهر بعدم التفريق بين المسيحي والمسلم من حيث الحقوق والواجبات، وهو يسعي الى رفع الظلم عن المظلومين بأفق أنساني شامل، وهذا توجه نادر في تلك الأزمنة المتسكعة في مجاهل الفقر والجهل.

وفي منطقة بارزان لا يستطيع الهركية إلحاق الضرر بقري بارزان وإن حدث ذلك فإن شيخ البارزان يعتصر منهم التعويضات، وهنا تساعد التضاريس الجبلية الشيخ ليأخذ حق اتباعه من هذه العشيرة المعتدية. ولكي نكمل نسيج القصة التي اوردناها في هذه الفقرة عن العشيرة الهركية، نتطلع الى شعب شديدة الأنحدار نحو نهر الزاب بعد الأنحدار من قرية مسيحية تدعي أردل وفي هذا الوادي ينحصر ماء الزاب عند صدوره من الجبال في شق ضيق بين رفين من الألواح الحجرية، ويصبح الوادي هاوية عميقة جداً، ويمكن عبور هذا النهر في هذه النقطة بقفزتين واسعتين في نقطة واحدة منه حيث تقوم كتلة حجرية ضخمة في منتصف مجري النهر.

في هذه النقطة التي يبلغ عرضها خمسة وعشرين قدماً، ومنها يعبر الهركيون نهر الزاب في رحلتهم السنوية بعد ان يبنوا فوق النهر جسراً كل موسم ربيع ليبقي حتي فيضان الشتاء.

في هذا المضيق اعتادت الحكومة ان تضع عساكرها عندما تريد ان تجني ضرائبها منهم، وفي خريف السنة الماضية يقول ويكرام في مهد البشرية أنهم (الهركية) نهبوا في خلال رحلة العودة الفين أو ثلاثة آلاف رأس من الأغنام تعود الى سكان بعض القري المسيحية، فاستغاث الأهالي بالأنكليز، والأنكليز بدورهم لجأوا الى الحكومة. وبطبيعة الحال لم يكن ثمة أمل في

الأنتصاف لهم، لكن شيخ البارزان كان لا يريد ان يمر هذا الظلم دون إجراء يتخذه، والمسألة بجوانبها تحتاج الى خطة محكمة، فالحكومة عاجزة عن إعادة قطعان الغنم المسلوبة الى اصحابها المسيحيين، لأنها لا تملك عسكراً كافياً لجباية الضرائب فكيف يمكنها انتزاع هذه الأغنام وإرجاعها لأصحابها؟

وكان الجواب والحل عند شيخ البارزان، حيث طلب من ممثل الحكومة ان يقترح للوالي بتعيينه لمهمة تحصيل الضرائب، وربما استطاع أعادة قسم من الأغنام المسلوبة. والوالي من جانبه استحسن الفكرة فهو لا يخسر شيئاً وفي كل الأحوال هو الرابح، فأسرع في تعيين شيخ البارزان محصلاً للضرائب.

والآن نأتي الى دور التضاريس التي ساعدت الشيخ في مهمته الصعبة مع الهركية.

في الربيع التالي بدأ الهركية برحلتهم الصيفية، وبلغوا جسرهم المنصوب وهم جذلون لسلامته فعبروه وتركوه ورائهم، وفي الحال عمد شيخ البارزان الى تدمير الجسر، ودخل رتل الهركية وادي " اوره مار " وبعد مرور أميال قليلة وجدوا أتباع الشيخ يقطعون عليهم الطريق من الأمام ومن الخلف، وقد تخذوا مواقع حصينة بين شقوق الصخور العاصية وأحاطوا بهم. ثم تلقوا مذكرة صارمة مؤدبة من الشيخ " المحصل العام للضرائب يرجو فيها منهم دفع الضرائب المتأخرة وإعادة الأغنام المنهوبة مع المصاريف والنفقات فوراً.

فوج كامل من الجندرمة لا يستطيع الحصول على هذا كله دون الأشتباك في قتال، إلا ان الشيخ القي شباكه بمهارة، فلم يستطع أسراه خبط أرجلهم ولم يجدوا مندوحة من الدفع وهم شاكرون. وسلم آغواتهم ما استحق عليهم بطيبة خاطر التي استطاعوا ان يتظاهروا بها كارهين تلك المناسبة، ويأتي الكاتب الى نهاية القصة فيقول: نحن لا ندري كم حصل اصحاب الغنم المنهوبة الشرعيون من حلالهم، إلا ان الفرح الطاغي عم الأقليم كله عندما وجدوا العضاضين يُعضون والسلابين يُسلبون[٢١].

العمليات العسكرية

باشر الشيخ عبدالسلام نشاطه السياسي كمدافع عن الحقوق القومية للأكراد حينما حضر مؤتمر لشيوخ العشائر الكردية في بيرفكان كما سبق في بداية هذا الفصل. أما على نطاق المعارك العسكرية، فإنها استمرت ما بين ١٩٠٨ الى عام ١٩١٤ م، وكانت اولى هذه المواجهات معركة بيرس في خريف عام ١٩٠٨ لقد وقعت هذه المعركة بعد ان استدعى الفريق محمد باشا الداغستاني الوالي، حيث رفض الشيخ عبد السلام التوجه الى الموصل لأجراء التحقيق معه فاعلنت الحكومة الحرب عليه، متهمة أياه بشق عصا الطاعة واتصاله بدولة

أجنبية للقيام بحركة انفصالية، وإضافة الى القوات الحكومية كان هنالك قوات من المرتزقة من العشائر الكردية من الزيباريين وريكان ومامش ومنكور وخوشناو ونيروي وهوراماري وكه ردي وبيره سني وهيركي وكان نفير عام في كردستان، وشن الهجوم من عدة محاور على اتباع الشيخ عبد السلام[٢٢].

ليس من الصعب اختلاق التهم فهنا تلعب المصالح دورها ويؤكد الشيخ عبد السلام دور الصابونجي ووجهاء الموصل وآغوات الزيبار في تأليب الحكومة عليه حيث يؤكد لدى لقائه مع صديق الدملوجي في عمادية بقوله:

إن الطريق مسدود أمامنا وليس لنا من يدافع عنا... كلهم اصحاب غايات ومصالح وليس لنا قرى نعطيها لوجوه الموصل كما يفعل خصومنا، وإننا ندافع عن انفسنا بأنفسنا... إن أعداؤنا من العشائر يملأون الدنيا عجيجاً ويسيؤون سمعتنا فكانت الحكومة تعتقد فينا عصاة معتدون أخرجنا أناساً آمنون من ديارهم، ولم نفكر أكثر من أننا أمة مقهورة مضطهدة[٢٣].

إن هذا الموقف يؤيده الى حد ما المستشرق ويكرام فيقول ان المذنبين هم العصابة المتفسخة الذين يتولون الأمارة في الموصل فهؤلاء طمعوا في بعض القري التي تقع ضمن نفوذ الشيخ، فابي ان يفارقها.. واختلقوا له تهمة التآمر ضد الحكومة مع دولة اجنبية، وكانت الجناية طلبه للمعونة الروسية، في حين كان الميالون البارزون الى الروس في الأنحاء القريبة من أبغض الناس عند الشيخ. وفي حاشية في نفس السياق ورد فيها: ان الشيخ البارزاني حاول ان يشتري السلام من كل قلبه لكن أعداءه الطامعين به أثاروا عليه الراي العام المحلي. بل أنهم قبلوا منه مبالغ كبيرة من المال دفعها لدرء أذاهم ثم استمروا في مكائدهم ضده[٢٤].

علينا ان نذكر الأشياء باسمائها لكي يكون بحثنا متكامل الوجوه، وفي مجري النضال الكردي يمكن تشخيص العامل القبلي والمصالح العشائرية كقوة مناهضة للتوجهات القومية، وفي احيان أخرى حينما اشتد عود التيار القومي واصبح له قاعدة عريضة تطورت الصراعات العشائرية الى صراعات سياسية وفي العراق على وجه الخصوص لم يكن لهم عبر عقود النضال صوت سياسي موحد علي منبر السياسة العراقية للدفاع عن مصالحهم.

لقد كان المواطنون الأكراد دائماً ـ وربما حتى وقت قريب، وبغض النظر عن نواياهم ـ عاجزين عن صياغة استراتيجية متناغمة وموحدة تخدم هدفهم السياسي في العراق فلطالما كان هؤلاء الأكراد منقسمين ـ كشأنهم اليوم ـ الى جماعات تشغلها المنافسات العشائرية والعائلية، التي لا يزال الأكراد يعانون منها لحد الآن، والتي تعيق فعالية عملهم ضد القيادة المركزية في بغداد، التي تبدو عازمة على إبقائهم داخل الدولة العراقية بأي ثمن... وعلاوة على

ذلك نلاحظ أن الحركة الوطنية الكردية نزعت الى الأنقسام في اتجاهات أخرى غير الأتجاهات التي قد أوجدتها خلافاتهم العشائرية والشخصية[٢٥].

إن هذه الدراسة قد وضعت عام ٢٠٠٢ م وإن ما نشاهده اليوم في اقليم كردستان ما كان تحقق لو لم تلتئم القوى المؤثرة في الساحة السياسية من أحزاب سياسية وعشائر حول قيادة موحدة تجمع جميع الأطراف حول علم واحد ودستور واحد وبرلمان واحد.

نبقي في موضوع عنوان الفقرة حول سير العمليات العسكرية ففي ربيع عام ١٩٠٩ هيأ الشيخ عبد السلام اعوانه وبدأ يستعد للتصدي للقوات الحكومية، وفي هذه الجولة طرأ عنصر جديد على الموقف، حيث كان هناك الوالي فاضل باشا الداغستاني يصر على الحل العسكري للموقف، لكن القائد العسكري في الموصل العقيد صفوت كان يري طريقاً آخراً وهو الحل السلمي للمعضلة. لكن القرار كان بجانب اللجوء الى الحل العسكري.

كان الشيخ عبد السلام ينشد السلام والأستقرار، وهو يدرك ان الحروب والمنازعات القبلية هي طريق التخلف والدمار والخراب، لكن ما في اليد حيلة كما يقال وكتب عليه ان يخوض المعارك الشرسة مع جيش متفوق في العدد والعدة، وطاله من وراء هذه الحروب ضنك العيش والتشرد والملاحقة، فتآمر عليه أعداؤه ووقع ضحية وهو شاب في مقتبل العمر.

أراد الشيخ عبدالسلام البارزاني ان يحول دون هيمنة ملاكي الموصل على الأراضي الزراعية في مناطقه، كما ان جولاته في منطقة بهدينان حيث زار الشيوخ في عمادية ودهوك وبعض القرى الأخرى في المنطقة، وفي هذه الزيارات وقع عليه الأختيار ليكون ممثلاً عنهم في الدوائر الحكومية والمطالبة بإدخال الأصلاحات في المنطقة وتطويرها، إضافة الى ذلك كانت له اتصالاته باسطنبول طالباً الأهتمام بمنطقته، وكانت تثار شائعات حول اتصالاته مع روسيا القيصرية، إن هذه النشاطات لا تروق للسلطات واستقر الرأي على وضع حد لنشاطاته وذلك بإلقاء القبض عليه او قتله ان تعذر ذلك. وكانت الحكومة قد دبرت له مكيدة، بعد دعوته لمقابلة قائمقام (بيره كه بره Peracapra) للمداولة في بعض الأمور، لكن هذه المؤامرة لم تنطل عليه حيث حذره منها بعض انصاره، وفي الطريق اكتشف رجاله مواقع على الطريق يكمن فيها مسلحون وإطلق النار عليهم من عدة جهات وهو يرومون عبور نهر الزاب من احد المواقع، وبصعوبة بالغة تمكن هو ورجاله التخلص من المأزق.

وفي تلك الظروف وتحديداً في عام ١٩٠٨ تم استدعاء الشيخ عبد السلام البارزاني للحضور الى مركز ولاية الموصل من قبل الفريق محمد باشا الداغستاني الوالي الجديد، وحينما رفض الشيخ عبد السلام هذه الدعوة المشبوهة، اتخذ من هذا الرفض ذريعة لتحشيد

حملة عسكرية كبيرة والزحف من الموصل نحو عقرة وكانت تشارك في هذه الحملة قوات من العشائر المعادية لشيخ البارزان، وكان لهؤلاء دور كبير في هذه الحملة لما لهم من خبرة ودراية في الطرق والمسالك الجبلية. واستمرت هذه الحملة منذ خروج القوات من الموصل ووصولها عقرة ثم اكتساح بارزان فالعودة منها حوالي ستة أشهر وقد اختلقت الحكومة العثمانية لهذه الحملة اسباباً رسمية تتلخص في تمرد الشيخ البارزاني على الحكومة وشقه عصا الطاعة واتصاله بدولة أجنبية للقيام بحركة انفصالية وإنشاء علاقات بين المشيخة والجمعيات الوطنية الكردية السرية في اسطنبول وبوتان والتي تضر بأمن الدولة...[٢٦].

في هذه المعركة وقعت القوات الحكومية في فخ كبير وهزمت شر هزيمة، فقتل الكثير من الجنود والضباط واستولى البرزانيون على ثلاثة مدافع وكمية كبيرة من السلاح والعتاد، واشتهر الشيخ عبد السلام وذاع صيته في الأوساط الرسمية والشعبية، كان انتصاراً كبيراً للثوار في هذه الجولة من العمليات العسكرية. لكن والي الموصل وقائد الحملة العسكرية بالذات لم يقبل بهذه النتيجة المخجلة والتي نالت من سمعته العسكرية فعمل على تجريد حملة عسكرية أخري لتدك معاقل المقاتلين وهم محصنون في سفوح جبل بيرس الغربية، وكانت الحملة هذه المرة كبيرة وجري الأعداد والتحشيد لها استمر اكثر من ثلاثة اشهر، وجري ضغط كبير على العشائر في المنطقة لتشارك في الحملة وإلا فهي متهمة بالتعاون مع شيخ البارزان، فلم يتسنى لبعض اصدقائه والمتعاطفين معه من الشيوخ الوقوف على الحياد في تلك الحملة.

بدأ الجيش العثماني حملته الثانية مهاجماً من عدة جهات وفي هذه المرة وأمام تلك الحملة الكبيرة، التي استهدفت احتلال تلك المنطقة، وبغية تجنب المزيد من الخراب والدمار قرر الشيخ عبد السلام البارزاني الأنسحاب وعدم مقاومة القوات المتفوقة، وتم ذلك بعد التشاور والأتفاق مع معاونيه من المقاتلين، وفي هذه الأثناء أرسل الشيخ اسرته من النساء والأطفال الى قري الآثوريين، ومن جانبه هو اختفى وأختفت آثاره، والقرى التابعة له بدأت تطلب الأمان، اما اعوانه المقاتلين فقد شكلوا مجموعات صغيرة ليتسني الأنتقال والحركة، وفي منطقة بارزان التقت القوات الحكومية وقوات العشائر الكردية المتعاونة معها، وحدثت عمليات النهب والسلب وأحرقت الدور السكنية والحقول وتوصلت الحكومة عبر جواسيسها الى احد الكهوف الجبلية حيث تختبئ نساء وأطفال الأسر البارزانية وكانت والدة الشيخ من بين النسوة في هذا الكهف ومن بين الأطفال كان مصطفى البارزاني الشقيق الأصغر للشيخ عبد السلام وسيق الجميع الى سجن في الموصل.

لقد بدأت القوات الحكومية بحملة تفتيش وتعقب ومطاردة الشيخ، ومن جانب آخر تضغط

على الأهالي في القري لمنع وصول اية مساعدة لمقاتليه، القوات تقتفي اثره وتتعقب تنقلاته بغية إلقاء القبض عليه، كان شيخ البارزان يتنكر بزي الدراويش وطلاب العلم وأحياناً يلتقي بدوريات التعقيب التركية دون ان تفطن هذه القوات له ولمرافقه وهو امين سره محمد هوكي. لقد كانت هنالك عيون كثيرة تتعقب الرجل المطلوب وكانت الحكومة قد خصصت مكافأة مجزية لمن يأتي به حياً او ميتاً او يدلي بمعلومات تفضي الى إلقاء القبض عليه وكان هو ينتقل بين اصدقائه ومحبيه في المنطقة، ويحاول الا يمكث طويلاً في مكان واحد لكي لا يكتشف أمره، ويذكر ان بطريرك الآثوريين كان موضع ثقة الشيخ البارزاني، وكان البطريرك (المار شمعون بنيامين) قد استضافه ردحاً من الزمن. وصادف في اثناء وجود الشيخ عبد السلام في بيت البطريرك ان ارسل والي ولاية (وان) قوة من الجندرمة الى دار البطريرك بنيامين في قرية (قوجانس) فدخلت القوة غرفة الأستقبال وكان الشيخ جالساً فيها، وتحدث آمر القوة الى البطريرك حول مهمته قائلاً:

إن والي (وان) أرسلنا اليكم بعد ان بلغتنا أخبار عن وجود الشيخ في حماكم، وإني بأمر الوالي أطلب تسليمه.

أنكر مار شمعون وجوده بقسم فريد من بابه ينم عن الفطنة والكياسة حيث أجاب آمر القوة بقوله: أقسم لك بالأنجيل إني آراه بمقدار رؤيتك له انت لا اكثر ولا أقل، وكان القسم صحيحاً في الظاهر لكنه يفيد إنكار وجود الشيخ عنده، لأن البارزاني موجوداً فعلاً وكلاهما يشاهدانه، فاقتنع آمر القوة وأسرع بمغادرة القرية..[٢٧]

العودة الى بارزان

رغم ان الشيخ البارزاني كان يثق برعيته من القرويين إن كانوا من المسلمين او المسيحيين، لكنه سأم حياة الأختفاء والترحال فقد انصرمت أشهر الشتاء لعام ١٩٠٩ وقرر وضع حد لهذه المرحلة التي لا يمكن ان تأتي بفائدة له ولقومه، وهكذا بدأ بالدخول الى منطقته المحتلة وكان بذلك يجس النبض وهو يحاول الألتحام بأبناء جلدته ومناصريه وابتدأ بالقرى الواقعة خلف جبل شيرين في واد عميق تتناثر فيه قري بائسة، وحينما كشف هويته لهم انفرجت اساريرهم، وزادت حفاوتهم ومن الطبيعي ان يسري الخبر على القرى الأخري فارتفعت معنويات اصحابه المسلحين الذين تواروا عن الأنظار.

في المجتمع القبلي يشكل رئيس العشيرة العصب الرئيسي في حراك العشيرة من علاقاتها وروابطها مع العشائر الأخرى او على مستوى علاقاتها مع السلطات الحكومية او على نطاق وضع الحلول التوافقية للمشاكل الداخلية بين افراد وأسر العشيرة. وتسود هيكل العشيرة

المركزية الشديدة المتماسكة وهي تغذي ميكانيزم العشيرة وتضخ دماء البقاء والأستمرارية فيها. وحينما يغيب الرأس الذي يتبوأ قمة الهرم التنظيمي للعشيرة، يضعف التماسك وتتبعثر الأسر وتضعف امانات العشيرة وسبل دفاعاتها وحقوقها أمام الجيران والسلطات الحكومية، هكذا كان حضور الشيخ عبد السلام البارزاني المفاجئ بين قومه حافزاً لرفع معنوياتهم ونقطة انطلاق جديدة وأملاً في استعادة البارزان لمكانتها ودورها في قيادة المنطقة.

دأب الشيخ عبد السلام البارزاني على لم شتات قومه، والحكومة في هذه الفترة من جانبها برأت ذمته من التهم الموجهة اليه من قبل أغوات المنطقة، وعاد الشيخ الى منطقته بارزان، والأمارة البارزانية أكثر قوة وشأناً.

وعودة الى بعض المحطات التاريخية التي كُتب عنها هي زيارته لبلدة العمادية وكانت بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٠٤ م وكان على رأس خمسمائة مسلح من البارزانيين حيث نزل ضيفاً على صهره حاجي عبد العزيز آغا، وفي هذه الفترة كان صديق الدملوجي قائمقام بالوكالة في قضاء العمادية، ويكتب عن لقائه مع شيخ البارزان ويقول عنه انه كان في العقد الثالث من عمره أسمر اللون وسيم الصورة وجري الحديث معه باللغة العربية (ونحاول تلخيصه) فيقول سألته:

لماذا لم تفتحوا المدارس في مناطقم وتكثروا من العلماء، وبارزان منذ القدم دار علم، وقد ظهر فيها علماء مشهورون؟

قال الشيخ: وهل تركتنا الحكومة وشأننا حتي ننصرف الى نشر العلم وننقذ هذه الأمة من الجهل؟ إن أكثر ما نحتاجه نحن إعمار قرانا التي خربتها الحروب.

قلت له: إنما تريد الحكومة منكم ان تخلصوا لها.

قال الشيخ: نخلص لها ولا تؤمن بإخلاصنا وتعدنا خارجين عليها، وغيرنا لا يخلصون وتعدهم مخلصين لها.

قلت له: كان عليكم ان تتفاهموا معها وتزيلوا ما علق بذهنها بحقكم.

قال الشيخ عبد السلام: إن الطريق مسدود أمامنا وليس لنا من يدافع عنا، وإذا تبرع احد للدفاع عنا لا يدافع لوجه الله، وكلهم اصحاب غايات ومصالح وليس لنا قرى نعطيها لوجوه الموصل كما يفعله خصومنا، وإننا ندافع عن انفسنا بأنفسنا... ويتحدث عن جذور الصراع بين البارزانيين والزيباريين ويقول: ان الحروب استمرت اعواماً على عهد والده الشيخ محمد واصبح الحد الفاصل بينهم نهر الزاب، ويضيف إذا كانوا اندحروا في ميدان الحرب ولم يبق لهم قوة التي يحابوننا بها، فقد أخذوا يحاربوننا بواسطة الحكومة وينادون بالشكوي علينا

ويملأون الدنيا ضجيجاً ويسيئون سمعتنا فكانت الحكومة تعتقد فينا عصاة معتدون أخرجنا أناساً آمنين من ديارهم ولم تفكر بأننا لم نفعل أكثر من أننا أنقذنا أمة مقهورة مضطهدة من أيدي أناس جبارين وأعطيناهم حريتهم.. ولو كانت الحكومة على قوة وقامت بنفسها بإنقاذ هذه الأمة لانقطعنا الى أعمالنا وعشنا في أمن وسلام. إننا كثيراً ما رفعنا شكوانا الى الحكومة فلم تلق اذناً صاغية لنا، جاهرنا بإخلاصنا فلم فلم تؤمن بنا، إننا لم نفعل اكثر مما يقتضيه الواجب الديني من دفع الظلم عن أمة مضطهدة.. إننا نريد ان يجري بحقنا تحقيق عادل.. وإني مستعد لأن أحضر الى الموصل بعد ان يعطيني الوالي والقومندان التأمينات على حياتي وشرفي وليحضر أغوات الزيبر وغيرهم ممن يدعون الخصومة معنا ولتجري محاكمتنا وهناك تتحقق الأكاذيب التي يلصقونها بنا نحن لا نريد إلا الحق[٢٨].

في هذه الأثناء حل ناظم باشا محل فاضل الداغستاني، وكان هذا منعطفاً في صالح بارزان إذ كان الوالي الجديد من انصار حزب الحرية والأئتلاف المعارض للأتحاديين، فأرسل صفوت بيك الى بارزان وعقد صلحاً مع البارزانيين إذ تم بموجبه الأعتراف بالأمارة البارزانية واعطيت تعويضات مناسبة لهم، وتعهدت الحكومة بالنزول عند طلب الشيخ عبدالسلام بفتح المدارس والمستشفيات. وبالمقابل قرر الكورد تسليم الأسلحة الحكومية التي غنموها. وأعطي الشيخ عبد السلام وسام الدولة العثمانية من الدرجة الثالثة[٢٩].

في خلال الفترة المحصورة بين ١٩٠٩ ـ ١٩١١ شهدت العلاقات بين شيخ البارزان من جهة وبين الجيران والسلطات الحكومية من جهة ثانية تحسناً ملحوظاً، حيث قام الشيخ عبد السلام بزيارة الوالي في الموصل، كما انه في مجمل تعاونه مع السلطات في فرض القانون والنظام ويتصدي للقبائل الكردية التي تحاول العبث بالأمن وتلجأ الى عمليات النهب والسلب.

إن نمو العلاقات وتحسنها مع شيخ بارزان لم تكن بمنأي عن مخاوف الحكومة فما كان يقلق استنبول من الشيخ البارزاني هو علاقته الصميمة بدعاة الأصلاح الكرد، ولا سيما علاقته الحميمة جداً بالشيخ سيد طه الثاني الشمديناني الذي كان نشاطه مصدر توجس عظيم للأتحاديين... لقد كانت حكومة الأتحاديين تنظر الى العلاقة المتنامية بين الشيخين بمنظار الشك والريبة، ولم يكن مصدر عجب ان صدرت الحكومة الأوامر من استنبول بمراقبة نشاطهما بدقة. ويجب الأقرار هنا ان بعض الرسائل المتبادلة بين الشيخين (البارزاني والشمديناني، المؤلف) التي وقعت بيد السلطة كانت ذات طابع (خياني) بالنسبة الى الأتحاديين، ففي واحدة منها راح الشيخ عبد السلام يحث صديقه على إنماء علاقته الطيبة مع روسيا ومما جاء فيها:

الترك لا يمكن الثقة بهم، وسيأتي ذلك اليوم الذي يحتاج به الكرد الى مساندة قوية، ومثل

هذه المساندة سيكون مصدرها حتماً الروس[٣٠].

بقيت فكرة الأصلاح السياسي تستأثر باهتمام مثقفي كردستان ووجدت هذه الفكرة صداها عند شيوخ بارزان، فكانت النشرات التي تصدرها جمعيات ثقافية كردية تأخذ طريقها الى تكية بارزان. لقد كان الشيخ عبد السلام البارزاني يقوم بزيارات ميدانية لمدن وقري كردية ومنها اجتماعه مع الشيخ بهاء الدين النقشبندي صاحب تكية بامرني والشيخ نور محمد قادري الدهوكي وغيرهما وقد وافق الجميع ان يكون الشيخ عبدالسلام مخولاً للتحدث باسمهم في المحافل الحكومية. ومن جانبه قام الشيخ عبدالسلام البارزاني برفع برقية الى مجلس النواب والأعيان في اسطنبول وكان فيها مطالب اجتماعية ولغوية وتعتبر عموماً على انها مطالب قومية وهي تتضمن النقاط التالية:

١ ـ جعل اللغة الكردية لغة رسمية في أقضية عقرة ودهوك وعمادية وزاخو وسنجار.

٢ ـ ان يكون التعليم باللغة الكردية.

٣ ـ يعين القائمقامون ومدير الناحية وبقية الموظفين من الكرد.

٤ ـ ان تجري الأحكام بموجب الشريعة الأسلامية باعتبار الأسلام الدين الرسمي للدولة.

٥ ـ يعين لمنصب القضاء والأفتاء من هم من اتباع المذهب الشافعي.

٦ ـ استيفاء الضرائب من المكلفين فقط وبموجب الشرع.

٧ ـ تخصيص ضريبة بدل الخدمة لاصلاح الطرق في كردستان[٣١].

الرياح لا تهب بما تشتهي السفن دائماً، وكما ان البحر متقلباً ما بين الهدوء وبين والعواصف، فالحياة ايضاً لا يمكن ان تسير على منوال واحد، فيها الفرح والترح والسلم والحرب والمحبة والكره والأبيض والأسود والليل والنهار... وفي سيرورة الحياة تتوالد مفهوميات من قبيل الخير والشر. فتقلبات الحياة تبدو ضرورية لتخليصها من أمراض السأم والملل والأنتظار، إن الأنسان ينبغي ان يكون له هدفاً يحققه، وحينما يناله يحدد له هدفاً آخر وهكذا دواليك، ومع هذا الطموح يبقى للحياة معنى. وهذا ينطبق ايضاً على تقلبات السياسة، لقد اعتبرت الحكومة العثمانية ان الشيخ عبد السلام البارزاني خارجاً عن القانون، وإنه مع المطالب التي رفعها ينوي الأنفصال عن الدولة العثمانية، ومما زاد في تدهور علاقات البارزاني مع الحكومة كان لجوء القائمقام العسكري في الموصل (صفوت بيك) الى بارزان، ولم يقبل شيخ البارزاني بتسليمه الى الحكومة لانه دخيل وهو في حمايته. وستشهد العلاقات بين الطرفين تدهوراً بعد ان امتنع الشيخ البارزاني عن الحضور الى الموصل حينما استدعاه سليمان نظيف والي الموصل، وكما سيظهر في الفقرة التالية من هذا الفصل.

تقلبات السياسة

في عام ١٩١٤ يصبح سليمان نظيف والياً على الموصل، وكان له تأثير كبير على الأحداث في المنطقة ولهذا من الضروري ان نعرف من هو سليمان نظيف؟ وسوف لا نتسرع بالأجابة فعلينا إكمال فقرتنا عن العمليات العسكرية، لنستجلي الأمر في الفقرة القادمة.

حينما تولي سليمان نظيف ولاية الموصل وهو كردي لكنه يتشيع للطورانية بتعصب، فأراد القضاء على مشيخة وإمارة البارزان، وطلب من الشيخ عبدالسلام تسليم نفسه، وحينما رفض الشيخ هذا الطلب، سير الوالي نحو معاقله في بارزان معززاً بمقاتلين من المرتزقة من العشائر الكردية مع تغطية من المدفعية.. وبعد مقاومة جيدة في معركة " بله " أدرك الشيخ عبدالسلام أن المعركة ليست متكافئة، وليست في صالحه حيث استطاعت القوات الحكومية من عبور الزاب الى الجهة الشرقية، وفي هذا الوضع قرر الشيخ عبدالسلام الأنسحاب الى المناطق الحدودية من أيران وسط صعوبات السير في طرق مغطاة بالثلوج. وصل الشيخ في نيسان ١٩١٤ الى قرية رازان قرب أورمية حيث مقر السيد طه بن محمد صديق النهري داخل الأراضي الأيرانية[٣٢]. وفي هذه الأثناء كان الأتراك يتعقبونه وقد وعد الباب العالي بجائزة ثمينة لمن يلقي عليه القبض حياً او ميتاً.

في شهر آب من عام ١٩١٤ غادر الشيخ عبد السلام ميمما وجهه شطر تفليس ولدى وصوله قابل الدوق مندوب قيصر روسيا في تلك الأصقاع الذي وعده بدعم الأكراد في نضالهم للتحرر من العثمانيين، لكن بطرسبورغ[٣٣] لم ترغب بالدخول في صراع مع الدولة العثمانية أنذاك فنصحوه بأن يبقي مختفياً هذه الفترة.. وعليه ان ينتظر شهرين او ثلاثة، فإذا تحسنت العلاقة مع الأتراك فسيطلبون العفو عنه، أما إذا ساءت فإنهم سيزودنه بالقوات والسلاح ويعيدونه الى بارزان.

لقد استغرقت هذه السفرة حوالي ٤٠ يوماً وفي طريق العودة ـ حيث كانت السلطات العثمانية تراقب تحركاته ـ مر بقرية اسمها " كه نكَه جين " وراح صاحب القرية المدعو صوفي عبدالله يتوسل اليه للنزول في قريته ولبي طلبه ونزل بضيافته واثناء النوم ارتكب صوفي عبدالله أبشع جريمة حيث اعتقل الشيخ عبد السلام وحراسه الثلاثة وسلمهم الى الأتراك وتقاضي جائزة الخيانة[٣٤].

بتسليط الضوء على عملية التسليم لا يمكن تأطيرها في شرنقة الظاهرة الأنحطاطية على اعتبار انها مجرد اطماع شخصية للفوز بالجائزة المرصودة من قبل الحكومة العثمانية فلابد من تشابك خيوط مصالح سياسية لكي تؤول النتيجة الى ما انتهت اليه[٣٥] لقد بث سليمان



الشيخ عبدالسلام البارزاني مع ممثل القيصر في مدينة تفليس عام ١٩١٣

نظيف عيونه وأرصاده ووضع جائزة على رأسه، وفي اوائل عام ١٩١٤ اثناء ما كان الشيخ يقوم بجولة في انحاء قريبة من الحدود التركية الفارسية وقصده اللقاء بـ (سمكو آغا) رئيس العبدوي من قبيلة شكاك القت القبض عليه عصابة من هذه القبيلة وحملته الى والي (وان) بأمل الحصول على جائزة. وتم إرساله الى الموصل بحراسة مشددة. وهناك احيل الى مجلس عرفي عسكري. وشنق مع رفاقه بسرعة بأمر الوالي دون الحصول على المصادقة الواجبة من استنبول[٣٦].

بهذا الصدد يقول الدكتور عثمان علي ان الشيخ عبد السلام بعد هذه الزيارة وبعد لقاءات مكثفة مع الزعماء الكرد ورؤساء القبائل قرر الشيخ من جديد مقاومة الأدارة التركية في بهدينان، فزار الشيخ عبد السلام سمكو وحينما كان في طريق العودة... واستطاعوا من خلال أحد أفراد عشيرة شكاك المدعو صوفي عبد الله من وضع كمين له وأسره. ويضيف: يعتقد مكدّول بأن سمكو كان وراء عملية أسر الشيخ عبد السلام، لكن الدكتور عثمان علي سرعان ما يضيف ليقول: ليس لهذا الأدعاء سند[٣٧].

في رواية أخري نقرأ تاكيد لهذا الحادث: بكون الشيخ عبد السلام وأربعة من أعوانه قد ألقي القبض عليهم في أواسط ايلول عام ١٩١٤ وذلك في الشريط الحدودي المحاذي لأيران وزج في سجن الموصل بمساعدة بعض القادة الأكراد الأيرانيين الذين باعوا أنفسهم للأتراك. حسب ما رواه ب. نيكيتين الذي كان أنذاك قنصلاً في اورميا.، إن المذنب بتسليم عبدالسلام الى الأتراك، هو الشخصية الكردية المعروفة سيمكو " كان سيمكو أنذاك يعتمد على الأتراك

في محاربته للأيرانيين " وهو الذي حث عبد السلام على التفاوض مع الأتراك، وتم اعتقاله[٣٨].

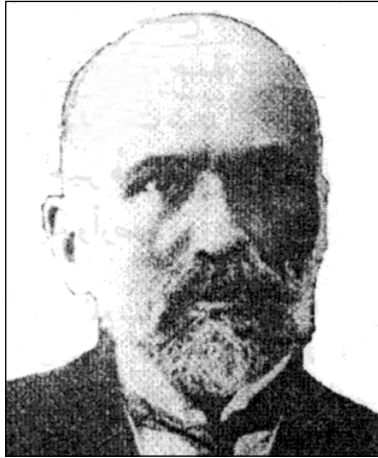
لقد اعتقل الشيخ عبدالسلام البارزاني واقتيد مع حراسه الى سجن في مدينة الموصل، وسرعان ما قدّم الى محكمة عرفية عسكرية وبتوصية من الوالي سليمان نظيف حكم عليه بالأعدام، ونفذ الحكم بعجلة قبل إصدار موافقة السلطان على تنفيذ القرار.

من هو سليمان نظيف؟

من هو يا ترى سليمان نظيف لكي يتحمس في القبض علي الشيخ عبدالسلام ويستعجل في أمر محاكمته وأعدامه.

سليمان نظيف هو لقب اضافي لـ (وندكار) وهو اسمه الأصلي، وهو مواليد دياربكر عام ١٨٦٨ وهو الأبن البكر لأدراي كبير في الحكومة العثمانية يدعي سعيد باشا احد الولاة العثمانيين، وفي مطلع شبابه توجه الى الكتابة وقرض الشعر. وفي عالم السياسة انضم الى الصلاحيين الدستوريين وألفي نفسه عضواً متحمساً في جمعية الأتحاد والترقي السرية ويكتب عنه المحامي جرجيس فتح الله فيقول انه اضطر الى ترك وظيفة إدارية ذات مستقبل وهرب الى اوروبا وانضم الى الحركة المعادية للسلطان. وعاد بعد الأنقلاب ليرسل والياً للموصل في تشرين الثاني ١٩١٣ وكانت مدة ولايته فيها سنة واحدة وشهراً واحداً لينقل بعدها والياً لبغداد[٣٩].

كان سليمان نظيف كردياً، واصبح والياً على الموصل عام ١٩١٤ وهو ينتمي الى حزب الأتحاد والترقي الذي يسعي الى أيقاف انهيار الأمبراطورية العثمانية (الرجل المريض) وهي في آخر سنين عمرها، فالأكراد وفي مقدمتهم البارزانيين وحركتهم الأصلاحية التي قادها الشيخ عبدالسلام، كان ينظر اليها على انها حركة انفصالية لأنها تطالب باستقلال إداري او حكم لا مركزي وهو ما كان يطالب به العرب، وقد أقرّ ذلك مؤسس الدستور العثماني مدحت باشا. لكن حزب الأتحاد والترقي كان يرى في هذه التوجهات تمزيق للوحدة العثمانية.



سليمان نظيف

في الوقت الذي حشد والي الموصل محمد فاضل الداغستاني قوة كبيرة نحو بارزان لضربها وإخضاعها يأتي ناظم باشا والي بغداد ويصدر

العفو عنه ويعوضه عن الخسائر التي اصابته، ويتبع أمير اللواء أسعد باشا قائد الفيلق الثاني عشر ووالي الموصل بالوكالة وينهج نفس السياسة ويزيد عليها بأنه يطلب من الباب العالي تلطيفه بوسام تقديراً لصداقته وإخلاصه، فيوجه اليه (الشيخ عبد السلام) وسام المجيدي من الصنف الثالث. ثم ياتي سليمان نظيف والياً على الموصل ويسير ضد هذه السياسة على خط مستقيم فيمنع أعطاء الوسام وينكل ويخرب زاويته ويضطره الى الهرب[٤٠].

ونعود لسؤالنا للألمام بشخصية سليمان نظيف. ويحدثنا عنه صديق الدملوجي وهو قائمقام العمادية بالوكالة، وتعود معرفته له يوم مجيئه الى الموصل سنة ١٨٩٥ ككاتب سر للفريق عبدالله باشا. فيقول:

هو ابن سعيد باشا الدياربكري، وأمه يزيدية من عشيرة الخالتية، وإذن هو كردي أباً وأماً، تخرج من المدرسة الملكية الشاهانة في استانبول... وكان على كرديته يتشيع للطورانية وكان من أكبر الدعاة لها، والهدف هو تتريك العناصر التي تضمها هذه الدولة، وكان عنصراً عاملاً في جمعية " الأتحاد والترقي.. وكان يسير على مقاومة العناصر غير التركية ومنها الكردية التي أخذت تعمل على نيل حقوقها وهي السياسة التي أتبعها جمال باشا مع العرب في سوريا، ويمضي الكاتب الى القول:

فكان اول إجراءاته ان قبض علي سعيد بك بن عبد الله الراوندوزي وهو ألمع شخصية عرفت في الأكراد وسجنه... وتعقب الشيخ عبد السلام البارزاني واعتقله وأعدمه كما مر، وقبض علي الشيخ نور محمد البريفكاني الدهوكي وهو على فراش الموت وسجنه الى ان مات، وأراد ان يجري عين المعاملة مع الشيخ بهاء الدين النقشبندي إلا انه كف عنه[٤١].

بغية تحليل شخصية سليمان نظيف ينبغي إعادتها الى جذورها الأجتماعية وربما الطبقية، والأكراد المنقسمين بين الدول الثلاث تركيا والعراق وأيران لا شك انهم ينزعون الى الأندماج بالوسط السياسي والأجتماعي الذي يعيشون فيه، ولهم مصالح وروابط اجتماعية وثقافية وتجارية ووظيفية تشدهم الى الأندماج مع المجتمعات التي يعيشون في وسطها.

إن متابعة حياة سليمان نظيف تبين انه شخصية زئبقية لا يركن على شكل ثابت ويكتب عنه المحامي جرجيس فتح الله نقلاً عن مير بصري في كتابه (اعلام الكرد) عن اسماء كتب ومؤلفات له بين تاريخ وأدب وشعر.. ومن اوجه التناقض التي دونها الأستاذ بصري عن العراقيين الذين عاصروه.. تحوله الفجائي الى المعسكر الساخط على الأتحاديين والمعادي لهم. بإدانته التعصب القومي الذي تدعو له الطورانية.. ويضيف ان اكثر ما لفت نظري من

مزاج هذا الرجل الزئبقي تحوله المفاجئ الى داعية لاستقلال الكرد كما يتبين في فقرة اقتبسها الأستاذ بصري في سيرته من كتاب (غوستاف كَوتيرو) الموسوم (فرنسا في سورية وكيليكيا) المطبوع سنة ١٩٢٠ وهذا هو الأقتباس:

علي اثر اندحار تركيا في الحرب العامة واحتلال القوات الفرنسية والبريطانية في اواخر عام ١٩١٨ مقاطعة كيليكا وقاعدتها (أدنة) نشط الأتراك يحثون زعماء الكرد في منطقة ماردين ودياربكر على المطالبة باستقلال كردستان وكان سليمان نظيف بكَ في مقدمة الدعاة لهذه الفكرة مع عبد الله جودت وغيره.[٤٢]

هناك من ينكر انتمائه القومي في سبيل مصالحه إن كانت وظيفية او تجارية، ولنا تجارب كثيرة من التحاق أعداد كبيرة من الأكراد في صفوف القوات الحكومية التي كانت تحارب الثورة الكردية.

هناك من له مصالح اقتصادية في بلده كأن يكون العراق او تركيا او أيران لكنه يحاول ان يوازن بين هذه المصالح ومع انتمائه القومي الكردي، وهو يرى ان مصالحه تقتضي الا يجاهر بعمله القومي، لكن هذا لا يمنع على الأقل ان يتخذ موقف الحياد بدلاً من التبرع بالقيام بمهمة قمع وإخماد النضال القومي والتعرض لشخصيات ومنظمات تتحمل اعباء هذا النضال. فأمثال سليمان نظيف يروم ان يبرز نفسه بكونه ملكياً أكثر من الملك، ومن أجل ذلك يضطهد وينتقم من بني جلدته بغية كسب ود رؤسائه.

لقد اشتركت في الثورة الكردية في مطاوي الستينات من القرن الماضي، وبعد مضئ أكثر من خمس سنوات على التحاقي بالثورة الكردية ولظروف عائلية قررت ترك صفوف الثورة الكردية، وواصلت إكمال دراستي، وكان بإمكاني في وقتها ان أبدي تعاوني مع السلطات الحكومية مقابل مكاسب شخصية او مادية أحرزها على حساب تاريخي النضالي. لقد رضيت بحياة اعتيادية كريمة، وكان ضميري مرتاحاً وهذا هو المكسب الجوهري في الحياة.

نعود الى الحالة التي نحن بصددها ويبدو ان الأسهاب قد أخذنا بعيداً عن الهدف، ففي واقع الأكراد في تركيا قد لا يكون مبدأ الأنفصال قد تبلور لديهم حيث ان الأكراد في هذه البلاد يظهرون اندماجاً أكبر في المجتمع التركي، فهم يلعبون دوراً كبيراً في كل مجالات الحياة التركية، ويتوزعون سكانياً على مساحة جغرافية واسعة في البلاد، كما ان عدد الأكراد الأتراك يبلغ نحو ثلاثة أضعاف عدد الأكراد العراقيين، وهم أكثر اندماجاً في حياة الأتراك بالأجمال، ويتمتعون بمستويات معيشية أفضل من تلك التي يتمتع بها الأكراد العراقيون، باستثناء الذين يعيشون منهم في المناطق النائية من جنوب تركيا[٤٣].

إعدام الشيخ عبدالسلام في الموصل

كان الشيخ عبدالسلام يريد حرية شعبه، ومن أجل ذلك انتفض وقاتل، ثم اعتقل وأصدر بحقه حكم الأعدام، وفي مستهل حياته النضالية قدم الشيخ عبدالسلام الى مدينة عمادية بمعية خمسمائة مسلحاً من اعوانه ومؤيديه وكان ذلك في اواخر عام ١٣٢٣ هجرية او ١٩٠٤م كما مر ذكره في فقرة سابقة، ويلتقي به قائمقام عمادية بالوكالة صديق الدملوجي الذي كتب عن انطباعاته عنه فيقول:

كان في الأربعين من العمر، اسمر اللون، وسيم، في عينه اليمني قليل من الحول يلبس عمامة متوسطة الحجم، وجبة من الجوخ الأسود عليها عباءة، وهو الى زي العلماء أقرب من زي الصوفية... كان يتكلم بهدوء والحديث الذي لا يستوعبه يعيده ثانية وثالثة ليفهمه جيداً، إنه يريد ان يفهم كل شئ وهو ذكي للغاية، حاد الذهن، سريع الأنتقال، وليس فيه ما يعاب اليه سوي أنه غير متعلم. وكان يظهر لي أسفه عن حرمانه من العلم، وإن أباه وجدّه من العلماء، وكان أبوه محمد يشتغل بالتدريس[٤٤].

نعود الى آلية تنفيذ حكم الأعدام بالشيخ عبدالسلام البارزاني، وتشاء الصدف ان يكون الكاتب صديق الدملوجي، وهو بصفته الوظيفية مدير ناحية تلعفر من بين المسجونين في الموصل والسبب الى اعتقاله مع آخرين يعود الى الحملة التي كان ينفذها سليمان نظيف بحق عدد الشخصيات التي كان يعتقد انها تعادي الطورانية وهو من الداعين المتحمسين لها. أما دخول الدملوجي الى السجن فكان بسبب التهمة الموجهة اليه عن الأحداث الدامية التي حدثت في تلعفر عندما نشبت فيها ثورة، قتل فيها عشرات الأنفس، وبعد استتباب الأمن في هذه المدينة وعودة الحياة الطبيعية اليها، كان سليمان نظيف قد خلف أسعد باشا بالولاية، وكان ان وجه سليمان نظيف تهمة تحمل المسؤولية عن تلك الأحداث الى صديق الدملوجي بصفته مديراً لناحية تلعفر، لكنه فشل في اثبات التهمة عليه إذ ان المحكمة لم تحد عن عدالتها، ثم أحاله الى الديوان العرفي العسكري المتشكل في الموصل. إلا ان انفصاله من الولاية، وأعادة محاكمته في محكمة ثانية حقق براءته من التهم المجهة اليه[٤٥].

تشاء الصدف كما قلنا ان يلتقي الدملوجي مع الشيخ عبدالسلام ثانية، ولكن هذه المرة كانت في زنزانة سجن الموصل، ويكتب الدملوجي بأسلوب مؤثر عن تلك الليلة فيقول:

جاءوا في هذا المساء بالشيخ عبدالسلام البارزاني الينا في السجن وأنا أعرفه جيداً وسبق ان اجتمعت به مرة، سألته:

ـ ماذا تم من أمره؟ أجابني:

أنتهي أمري وسيريقيون دمي.كان الألم بادياً على وجهه. قلت:

ـ هون عليك يا شيخ، والحكومة ليس من صالحها ان تعدم رجلاً عظيماً مثلك ووراء كل ضيق فرج.

أجابني: كلا! ليس لي أمل في الحياة، وهذا الوالي قد صمم على قتلي.

قلت له:

ـ ليس الأمر بيد الوالي وحده ما لم توافق استانبول على ذلك. أجابني: كلهم شئ واحد، لكنهم مخطئون، ثم فكر قليلاً وقال:

إن دمي سيكلفهم ثمناً غالياً وأنا أخاف على أولادي وأخوتي من بعدي.

ويستطرد الدملوجي في وصف ليلة الأعدام فيقول الدملوجي:

في الليلة التالية بعد صلاة العشاء فتحت أبواب السجن.. وتقدم رئيس السجانين قاسم حسن وضابط الجندرمة تحسين أفندي ودعيا الشيخ عبدالسلام وأخذاه معهما، ثم عادا وأخذا خادمه محمد وخادمه الآخر موسي، وكأنما كانت أجنحة الموت ترفرف فوق رؤوسنا.

ويستطرد الكاتب بأن المشانق نصبت امام دار الحكومة وسط أجراءات أمنية مشددة... وكانت كلمات الشيخ عبد السلام الأخيرة:

الحياة والموت سيان عندي، إلا ان موتي بهذا الشكل لا يخدم الدولة، فليحقن دمي وأقدم الى الجيش معونة (وكانت على ابواب الحرب) ألف بغل بحمولتها. فأجابوه: أن قضي الأمر.

أما محمود خادم الشيخ الشاب وهو في العشرين من عمره، تقدم نحو المشنقة بجرأة قائلاً بالكردية ما معناه: فليحى خدان بارزان أي (أله بارزان) أنا كبشه، أنا ضحية له.

أما موسي وهو في الستين فقال بالكردية: " خولي بسر حكومت من بارزانيا خلاص نابن " بمعني رماد برأس الحكومة، البارزانيون لا ينتهون بقتلي[٤٦].

يستشف من متابعة ظروف الأعدام وتداعياتها بأن العملية كانت كيدية أكثر من كونها قانونية تأمن أمن الدولة. من ذلك أن بعض أنصار البارزاني أرادوا الوقوف على مكان دفن الشيخ ورفاقه في مقبرة الغرباء فلم يقفوا له على أثر، وقيل انهم دفنوا في حفرة وسويت مع الأرض لكي لا يبقي أثر لمعالمها. أما عملية الشنق فقد تمت دون استكمال اجراءاتها القانونية، ويقول الدملوجي بهذا الصدد:

أسجل هذا الخبر للحقيقة والتاريخ:

ينفذ حكم الأعدام الصادر من المحاكم المدنية والمجالس العرفية عادة بمصادقة السلطان.

وقد طلب سليمان نظيف المصادقة على الحكم الذي اصدره المجلس العرفي بالموصل بحق الشيخ عبد السلام ورفاقه، إلا انه لم ينتظر صدور أمر المصادقة، ويظهر انه كان يخشى ظهور اسباب تحول دون المصادقة على الحكم، وهذا يحدث كثيراً.. وهكذا اوعز سليمان نظيف الى الضبطية ان يطلقوا النار في مختلف الأتجاهات للأيحاء بأن ثمة ثورة قائمة لتخليص الشيخ البارزاني من السجن.. فسارع الى نصب المشانق، وقضى علي الشيخ عبدالسلام ورفاقه، وابرق الى الباب العالي بإجراءاته المملوءة حزماً قضى بها على ثورة كانت توقع المدينة في خطر[٤٧].

نفذ حكم الأعدام بحق الشيخ عبد السلام ورفاقه حسب رواية الدكتور دينيس كومارف في كانون الأول من عام ١٩١٦، لكن الأستاذ مسعود البارزاني يورد ان يوم تنفيذ الأعدام كان في ١٤ / ١٢ / ١٩١٤،ويضيف بانه ثمة رواية أخرى تقول بأنه أعدم في كانون الثاني من ١٩١٥. وبنظري ان عام ١٩١٤ أقرب الى الواقع إذ ان اعدامه كان قبيل اندلاع شرارة الحرب العالمية الأولى، إنها أيام الأستنفار العام، لقد دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى. وهذه العوامل لم تكن في صالح الشيخ عبد السلام منها تلك الأجواء القاتمة الملبدة بسحب الحرب، والدولة العثمانية، الرجل المريض، كانت تنتابها المخاوف من المستقبل المظلم، وكان العلاج الذي وضعه هو قطع دابر الخطر من جذوره دون رحمة، وفي هذه الفترة المظلمة وقع الشيخ عبدالسلام بيدها، تهمته تخريب أمن الدولة والدعوة الى العصيان والأنفصال، ومن جانب آخر كان راي نيكيتين وهو من المهتمين بالشؤون الكردية، ان الشيخ عبد السلام، لم يكن ضالعاً في الألاعيب السياسية، لذا وقع ضحيتها[٤٨].

ويرى الدكتور ايوب بارزاني ان الشيخ عبد السلام هو اول من أدخل بارزان في ميدان الصراع من اجل الحقوق الكردية مطالباً الأمبراطورية العثمانية بإجراء الأصلاحات وتحقيق العدالة الأجتماعية، ولم يكون تاريخ بارزان فيما بعد غير امتداد لما بدأه الشيخ الشهيد، وهو أيضاً الشخصية التي استوعبت الوزن السياسي الدولي للقوي العظمي أنذاك في بلورة القضية الكردية، وسعي الى الأتصال بالدول العظمى المنفذة في ذلك الوقت وهي بريطانيا وروسيا والتي كان لهما تاثير مباشر على القضية الكردية برمتها، وقبيل اندلاع الحرب العظمى الأولى سافر الى تفليسي للأتصال بالقيادة الروسية العسكرية بغية كسب تأييدهم للأنتفاضة الكردية.

ويقول عنه الصحفي الفرنسي المعروف كريس كوتجيرا في آخر كتاب له عن شيخ بارزان الرابع (عبد السلام). يقول: إنه ذلك الرجل الذي كتب اول برنامج للحركة الوطنية الكردية، وفيها يقدم قائمة في غاية الدقة بالمطالب الكردية وهي تبني اللغة الكردية كلغة رسمية في

الأقضية الكردية الخمس. تبني اللغة الكردية في التدريس، تعيين الموظفين الذين يتكلمون اللغة الكردية، تعيين القضاة من المذهب الشافعي (في حين كان العثمانيون يختارون من المذهب الحنفي)، الغاء جميع الضرائب التي تخالف الشريعة واستثمار ما ينجم من جمع الضرائب في شق وصيانة الطرق في المناطق الكردية، ويعتري المرء الذهول أمام دقة البرامج المصاغ في برقية بعثها عام ١٩٠٨ الى الحكومة والبرلمان العثمانيين[٤٩].

كان اعدام شيخ بارزان الرابع (عبد السلام) في الموصل عام ١٩١٤ على يد المغالين الطورانيين حيث غدر به ومن تسليمه الى السلطات التركية والتي عجلت في تدبير عملية اعدامه على عجل. وكان استشهاده قد ترك فراغاً سياسياً وروحياً في المجتمع البارزاني وعلي القضية الكردية برمتها، وعلي أثر ما حصل سوف يرحل البارزانيون من المنفي الأيراني نحو قري الكرديين وهذه العشيرة هي جزء من العشائر البارزانية التي اصبحت من داخل الحدود التركية بعد الحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية الجديدة ولم تتمكن العائلة البارزانية من العودة الى موطنها الأصلي بارزان، والدوريات التركية تتعقب خطوات شقيقه أحمد الهارب من وجه العدالة التركية، والذي سوف يصبح شيخ بارزان الخامس، الأخ الأصغر في العائلة وهو ملا مصطفى البارزاني فسيلتحق بعائلة خاله أحمد آغا في قرية بيرسياف، حيث كان الأخير يتمتع بعلاقات جيدة مع عدد من وجهاء المنطقة والمتنفذين فيها ولذلك لم يكن ملا مصطفى بحاجة الى التخفي.

اما وضع منطقة بارزان بعد غياب رمزها الديني والدينيوي، فقد اجتاحتها صيف ١٩١٧ قوات روسيا القيصرية مروراً في مناطق برادوست مما اضطر الكثير من أهالي القري النزوح من قراهم والألتجاء في متاهات الجبال. لقد ظن بعضهم ان مجيء القوات الروسية ـ وكان ذلك قبيل أعلان ثورة اكتوبر البلشفية بأشهر ـ كان أمراً متفقاً عليه بين هذه القيادة في تفليسي وزعيمهم الراحل عبدالسلام حين وجوده هناك. وحاول بعض الأهالي التودد لهذه القوات على فرض انها قوات معادية للقوات التركية التي ساعدت على القبض عليه ونفذت بحقه حكم الأعدام، وتقدم الأهالي للأعراب عن ترحيبهم بمقدم الجيش الروسي وحملوا معهم بعض الأغذية لكن الجيش الروسي رد على هذه التحية بوابل من الرصاص على كل من تقدم منهم لعدم تمييزهم بين السكان العزل وبين الجيش التركي، فدفع الأهالي من هذه المنطقة كوكبة من الأبرياء ضحايا للصراع المحتدم بين الأمبراطوريات ولم يكن لهم شأن بما يجري على ارضهم.

لقد ولّد هذا خوفاً كبيراً لدى العزل من سكان قرى كردستان الذين ابتلوا بهذه القوات التي لا تميز بين سكان القري المساكين والجنود الترك، إذ أمسى أهالي هذه القري ضحايا

لسياسات دول وامبراطوريات متحاربة ليست لهم بها اية صلة، فيما كانت المعارك والمجابهات وتدفق الجيوش يجري على ارض كردستان[٥٠].

إذا تتبعنا باختصار حياة الشيخ عبد السلام البارزاني، سنلاحظ انه سار على نهج والده الشيخ محمد الذي توفي عام ١٩٠٢ حيث اصبح مصلحاً دينياً وقائداً وطنياً، وورث عن والده اوضاع مستقرة بين ابناء عشيرته، وبدأ نشاطه السياسي كمدافع عن الحقوق الوطنية الكردية، لكن هذا الموقف كان سبباً في تذمر الحكومة من مواقفه وتأليب العشائر عليه. وشهدت منطقة بارزان عمليات عسكرية في الفترة المحصورة ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ استهدفت التخلص من الشيخ عبد السلام البارزاني، وتكبدت القوات الحكومية الكثير من الخسائر لكن الفارق الكبير في التجهيزات المادية والبشرية الذي كان في صالح الحكومة إضافة الى تأليب العشائر، مما حدا بالشيخ البارزاني الى الأنسحاب ومن ثم الأختفاء في المناطق الجبلية الوعرة، ليظهر ثانية في ربيع عام ١٩٠٩ ويحتفي به مريديه ومناصريه ويلتفون حوله ويشدون أزره ويتهيأ للتصدي للحكومة، وفي هذه الفترة تندلع معارك وتتكبد القوات الحكومية خسائر كبيرة حينما وقعت في فخ كبير، واستأثرت تلك الأنتصارات بواجهة الأهتمامات فذاع صيت الشيخ البارزاني في الأوساط الشعبية والرسمية. في هذه الفترة حل الوالي الجديد ناظم باشا محل فاضل باشا الداغستاني والذي كان يصر على الحل العسكري، والأول (ناظم باشا) من انصار حزب الحرية والأئتلاف والذي يميل نحو الحل السلمي، فارسل بدوره صفوت بيك الى بارزان وعقد صلحاً مع البارزانيين، وتم بموجبه الأعتراف بالأمارة البارزانية ومنحت تعويضات مناسبة لهم وتعهدت الحكومة بالنزول عند طلب الشيخ عبد السلام بفتح المدارس والمستشفيات لهم، وبالمقابل قرر الكرد تسليم السلحة الحكومية التي غنموها، وقلد الشيخ عبد السلام وسام الدولة من الدرجة الثالثة[٥١].

لكن في عام ١٩١٤ وحينما تولى سليمان نظيف على الموصل، وهو المعروف بتشيعه للطورانية وبحقده على الأكراد رغم كونه كردياً. وهو الذي سيّر حملة كبيرة من الجيش والمرتزقة واستفاد من الغطاء المدفعي بغية القضاء على المقاومة البارزانية. ولم يكن امام هذه المقاومة سوى العبور الى الجهة الشرقية من الزاب والأنسحاب الى المناطق الحدودية مع ايران. وقد تطرقنا الى اسلوب اعتقال شيخ البارزان ومحاكمته واعدامه في الموصل، لكن لابد من التطرق الى بعض الوثائق التي العثمانية والبريطانية التي تؤكد اصرار الأتحاديين، الذين كان ينتمي اليهم سليمان نظيف، على أنهاء الأستقلالية التي كان يتمتع بها مشيخة بارزان، وهذه الوثائق تؤكد الأعقاد السائد لدى بعض الأوساط السياسية بأن حركة بارزان تشكل مصدر خطر باعتبارها جزء من الحركة الكردية، والتي تشكل حجر عثرة امام الأتحاديين في

صهر القوميات الأخري في بودقة القومية التركية الواحدة وذلك لخلق مجتمع متجانس وهذه كانت خطوة مهمة في عملية دمج وتتريك الشعوب الأخرى في بوتقة القومية التركية.

كان الشيخ عبد السلام يشغل حيزاً مميزاً ورحيله المفاجئ ترك جرحاً لا يندمل ولم يكن رحيله نتيجة تقدمه في العمر فكان يستطيع تعليم وتهيئة الخلف الذي يشغل مكانه بعد الوفاة، لكن عملية الأعدام أحدثت فراغاً كان من العسير إشغاله. كان اخوة الشيخ الراحل لصغر سنهم يفتقرون الى التجربة والخبرة الكافية لملئ المكان الديني والدينيوي في تلك الظروف المعقدة المتشابكة. وفي هذه اعوام (١٩١٤ ـ ١٩١٩) حيث عادت العائلة البارزانية الى عاصمة المشيخة بارزان، وكان الجو العام مشحون بمختلف التفاعلات منها الأمنية وأخرى تنافسية على الزعامة وكانت عوامل التعصب وضيق الأفق ونزعة الأقصاء كلها تدور في فلك خطر الأنزلاق في اتون الأنتقام. وكان علي الشيخ الجديد (الشيخ أحمد) ان يشق طريقه في هذه المنعطفات بدراية وروية ولكي يفلح في قيادة المسيرة في تلك الشعاب الوعرة التي تتربص في كل ثناياها ومنعطفاتها المؤامرات والمخاطر، وفي الفصل التالي نتناول تلك الشخصية لما كان لها تأثير في مجري الأحداث على نطاق بارزان وكردستان والمنطقة عموماُ.

المصادر والهوامش ووثائق متعلقة بهذه المرحلة:

١ ـ مؤتمر الذكري المئوية لميلاد البارزاني الخالد ج١ مقال بقلم: الباحث فائق ابو زيد سليم عقراوي " بيان المعاني في سيرة الشيخ عبد السلام البارزاني " ص ١٢٠

٢ ـ الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني "الحركة القومية الكوردية التحررية دراسات ووثائق ص ١٠ تقديم أ. د. خليل علي مراد دار سبيريز للطباعة والنشر، اربيل سنة ٢٠٠٤م.

٣ ـ دبليو أي ويكرام و أدكار ويكرام " مهد البشرية الحياة في شرق كوردستان ص ١٣٥ ترجمة جرجيس فتح الله.

٤ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص٢٦

٥ ــ كان من بين النساء الموقوفات في سجن الموصل والدة مصطفى البرازاني الذي كان يومئذٍ رضيعاً على صدر أمه، وقد أشرنا الى الموضوع في الفصل الأول.

٦ ـ ويكرام: مهد البشرية ص ١٣٢ وكذلك ص ١٣٥

٧ ـ محمد البريفكاني " حقائق تاريخية عن القضية البارزانية " شركة الطبع والنشر الأهلية، ص ٨، بغداد ١٩٥٣م.

٨ ـ الدكتور أيوب بارزاني " المقاومة الكردية للأحتلال ١٩١٤ ـ ١٩٥٨ " ص ٥ دار نشر حقائق المشرق، فرنسا ٢٠٠٢م.

٩ ـ ويليام ايغلتون " القبائل الكوردية ترجمة د. احمد محمود خليل ص ١٠٥ مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل سنة ٢٠٠٦م.

١٠ ـ (أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للاحتلال ١٩١٤ ـ ١٩٥٨ ص ٧
١١ ـ على تتر نيروه يي: ظهور وازدهار الحياة الحزبية والجمعيات والمنظمات السياسية في كردستان ودور الشيخ عبد السلام البارزاني فيها، مؤتمر الذكري المئوية لميلاد البارزاني الخالد ج١ ص ٢١.
١٢ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج١ ص ٢٥ ,
١٣ ـ الدكتور عثمان علي دراسات في الحركة الكردية ص ٢٣٦
١٤ ـ ويكرام وأدكار ويكرام: مهد البشرية ص ١٣٣
١٥ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج١ ص ٢٤
١٦ ـ التصوف، والمعني الحرفي للكلمة مشتق من الصوف، والأكتفاء بقطة جلد لتغطية الجسم، وهي طريقة في السلوك تعتمد على التزهر والتقشف والتحلي بالفضائل تزكية للنفس وسعياً الى مرتبة الفناء والأتصال بالله. للمزيد أنظر المنجد في اللغة العربية المعاصرة مادة الصوف.
تمتد اصول الطريقة النقشبندية الى طاجكستان في آسيا الوسطي، ثم انتشرت في الهند وأيران ثم كردستان، واستقبلت بحماسة في هذه المنطقة، وكان رائدها مولانا اخالد النقشبندي الذي ولد في قرية قره دا غ عام ١٧٧٩ م وهي على مبعدة بضعة كيلومترات جنوب السليمانية.
المعروف إن الأكراد أكثر ميلاً الى من عرب العراق الى العادات والأفكار والمشاعر المميزة للصوفيين، أو أن تأثر الأكراد بالصوفية نابع من تناغمها مع معتقداتهم قبل اعتناقهم الأسلام..
والصوفية توصلنا الى النقشبندية والقادرية ويقول بطاطو ان النقشبندية تأسست في في كردستان العراقية في مطلع القرن التاسع عشر عبر جهود مولانا خالد (توفي عام ١٨٢٦ م) وهو من عشيرة جاف الكردية، وفي الوقت نفسه تقريباً وصلت الطريقة القادرية الأقدم الى ذروتها في ذلك الأقليم، لكن في هامش يقول أن ان هذه الطريقة أدخلت الى كردستان العراقية في القرن الثاني او القرن الثالث عشر للميلاد، وهذا يمكن استنتاجه من حقيقة ان قبر الشيخ عبد العزيز وهو ابن للشيخ عبد القادر الذي الذي سميت الطريقة باسمه، موجودة في بلدة عقرة الكردية شمال شرق الموصل... يتبع النقشبنديون تعاليم محمد بهاء الدين البخاري (١٣١٧ ـ ١٣٨٩) ويتبع القادريون تعاليم الشيخ عبد القادر الكيلاني (١٠٧٧ ـ ١١٦٦ م)... وقد سيطرت الطريقتان على الحياة الدينية الكردية في العهد الملكي، ولكنهما بدأتا بالأنحسار منذ الثلاثينات من القرن الماضي. أنظر حنا بطاطو: العراق الكتاب الأول ص ٦٣.
١٧ ـ باسيل نيكيتين " الكرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية " ترجمة الدكتور نوري طالباني ص٢٥١
١٨ ـ باسيل نيكيتين: المصدر السابق ص ٢٥٧
١٩ ـ دبليو ويكرام و أدكار ويكرام مهد البشرية ص ١٣٤
٢٠ ـ دبليو ويكرام وأدكار ويكرام: مهد البشرية ص ١٣٦
٢١ ـ ويكرام: مهد البشرية ص١٤١
٢٢ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكردية ص ٢٣٨
٢٣ ـ صديق الدملوجي " إمارة بهدينان، إمارة العمادية " ص ٢٩ مطبعة الأتحاد الموصل سنة ١٩٥٢

٢٤ ـ ويكرام: مهد البشرية ص ١٣١
٢٥ ـ جراهام فولر " العراق في العقد المقبل " ص٢٩ مركز المارات للدراسات والبحوث الأستراتيجية أبو ظبي.
٢٦ ـ فائق ابو زيد سليم العقراوي: بيان المعاني في سيرة الشيخ عبد السلام البارزاني، مؤتمر الذكري المئوية.. ص ١٢٥).
٢٧ ـ فائق ابو زيد سليم العقراوي:بيان المعاني المصدر السابق ص ١٢٩
٢٨ ـ صديق الدملوجي: إمارة بهدينان ص٩٠ ـ ٩٣
٢٩ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكردية. ص ٢٣٨
٣٠ ـ جرجيس فتح الله: يقظة الكرد تاريخ سياسي ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥. ص ٧٢ دار ئاراس للطباعة والنشر اربيل ٢٠٠٢م.
٣١ ـ فائق ابو زيد سليم العقراوي: بيان المعاني في سيرة.. مصدر سابق ص١٣٥ ـ ١٣٦ ,
٣٢ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكردية ص ٢٣٩
٣٣ ـ كانت مدينة بطرسبورغ عاصمة روسيا القيصرية، وبعد انتصار الثورة الأشتراكية وتأسيس الأتحاد السوفياتي في اكتوبر عام ١٩١٧، أصبح اسمها لينينغراد، وبعد تفكك الدولة السوفياتية، أعيد اسمها القديم " بطرسبورغ ".
٣٤ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج١ ص ٢٧
٣٥ ـ في حاشية يوردها الأستاذ جرجيس فتح الله في كتابه يقظة الكرد ص ٧٤ ـ ٧٥ حول رواية القاء القبض علي شيخ البارزان يقول: كلما قرأت عن رواية القبض علي الشيخ في المراجع المتيسرة بدا يصوّره عملاً فردياً تلقائياً صرفاً لعصبة من قبيلة الشكاك خانت تقاليد الضيافة طمعاً بالجائزة التي رصدتها الحكومة العثمانية ثمناً لتسليمه دون استرعاء الأهتمام بالخلفيات السياسية التي يمكن ان تستبطن المؤامرة وتخرجها عن طابعها الفردي وعن مجرد الطمع الصرف بالجائزة المالية.

ويمضي جرجيس فتح الله الى القول: طالما شككت بأن تعليلاً كهذا ينقصه العمق يوضح الصورة الحقيقية للموقف السياسي العام الذي ساد المنطقة وقتذاك، لاسيما تحول الشيخ عبد السلام وغيره من الأصلاحيين الكرد الى الروس بعد يأسهم من السلطة العثمانية. ثم بالصراع بين الدولتين لكسب الولاء الكردي بخاصة وتحول اسماعيل (سمكو) الشكاكي الى المعسكر التركي وقطع صلته بالروس الى حد مواجهته الموالين لهم. كنت أميل بعد تأمل الى يد سمكو في القبض علي عبد السلام رغم محاولة الكثير من الكتاب الكرد إبعاده عن عمل ارتكبه افراد معروفون من عشيرته يدينون له بالولاء.او على اقل تقدير يخشون غضبه وعقابه الشديد لو أقدموا على ما يأنف منه ولا يرضاه، ثم ليس من المعقول قطعاً ان يقطع هؤلاء الأفراد بغنيمتهم الثمينة مسافة تقارب مائتي كيلومتر الى (وان) لتسليم اسيرهم وقبض الجائزة دون ان تصل انباء ذلك الى رئيس العشيرة سمكو جهله بها. لا شك ان قنص هذا الصيد الثمين سيرفع من مكانته عند الأتراك حلفائه الجدد. ويمضي فتح الله في حاشيته لينقل لنا عن لازاريف في كتابه (المسالة الكردية)

ليقول: تقرير مينورسكي في ٧ ايلول عام ١٩١٤ ناصر الدولة كاركواز (أي مسؤول وزارة الخارجية في الأيرانية في تبريز) قال: ان الأتراك ينوون إقناع عبد السلام بالأنتقال الى جانبهم ليرأس حملة على اورمية. وبموجب أخبار (نيكيتين) فإن الأتراك يتربصون منذ وقت طويل بالشيخ عبد السلام البارزاني، وإن الشيخ (السيد) طه نصح البارزاني بالأختفاء إلا انه لم يصغ اليه. وكتب نيكيتين: بأن الشيخ البائس عبد السلام لم يكن حاذقاً بالمؤامرات السياسية فهو كان كردياً بسيطاً ولهذا فإن ايامه كانت قصيرة. ودخل البارزاني في محادثات مع سمكو الذي اعتقله وسلمه الى الأتراك وتسلم ثمن خيانته من والي (وان) جودت باشا وأرسل عبد السلام مخفوراً الى الموصل حيث شنق مع اربعة من اعوانه.

٣٦ ـ جرجيس فتح الله:يقظة الكرد ص٧٣ ـ ٧٤

٣٧ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة ص ٢٣٩

٣٨ ـ د. ديميس كوماروف البارزاني وشهادة التاريخ ص ٢٢

٣٩ ـ جرجيس فتح الله: يقظة الكرد، حاشية ص ٧٣

٤٠ ـ صديق الدملوجي إمارة بهدينان ص ٩٨

٤١ ـ صديق الدملوجي: إمارة بهدينان ص ٩٩

٤٢ ـ جرجيس فتح الله: يقظة الكرد، حاشية ص ٧٣

٤٣ ـ جراهام فولر دراسات عالمية، ص٤٠

٤٤ ـ صديق الدملوجي: إمارة بهدينان ص ٩٠

٤٥ ـ صديق الدملوجي: إمارة بهدينان: انظر حاشية رقم ١ ص ١٠١

٤٦ ـ صديق الدملوجي: إمارة بهدينان ص ١٠٢ ـ ١٠٣

٤٧ ـ صديق الدملوجي: إمارة بهدينان ص ١٠٢ ـ ١٠٣

٤٨ ـ د. دينيس كوماروف: البارزاني وشهادة التاريخ ص ٢٢

٤٩ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال ص ٣٥

٥٠ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية.. ص ٣٦

٥١ ـ د. عثمان علي: حركة الشيخ عبد السلام البارزاني دراسة وثائقية..، مؤتمر الذكرى المئوية ج١ ص ٤٨.

الوثائق التي تعود تواريخها الى هذه المرحلة:

الوثيقة رقم ١

ـ وثيقة بريطانية:

مقتبس من تقرير الأستخبارات الخارجية الرقم ٤١ في ١١ / ١٢ / ١٩٢٤ أصدرته سكرتارية فخامة المندوب السامي للعراق.

٦ ـ تشكلت العصبة الكردية في استنبول سنة ١٩٠٨ عندما اصبح الدستور التركي حقيقة واقعة.

كان رئيس العصبة سيد عبد القادر، ابن عم السيد طه. كان هدف هذه العصبة مبدئياً تحقيق التقدم الأجتماعي لكوردستان تحقيق الأستقلال كهدف نهائي.دامت هذه العصبة الوليدة حوالي السنتين وتمتعت بدعم قوي جداً، وكان أكراد استنبول يربون آنئذٍ على ٣٠ ألف نسمة.

كان للعصبة جريدتان رسميتان: روزي كورد أي نهار الكورد، وآلاي كورد.

في سنة ١٩١٠ أعلن السيد عبد القادر من خلال الصحافة التركية ان الشعب الكردي يريد استقلال ذاتي. إلا ان هذا الأعلان لم يحظ بتأييد عام لاسيما بين الشبان الأكراد الذين كانوا مشبعين بأفكار وآراء أكثر حداثة وتقدمية. ولهذا شكل الشبان الأكراد (الطلاب) عصبة كردية أخرى باسم (ليك سئي ئيفي) أي جمعية الأمل في منطقة الموصل، ولم تصدر عن هذه العصبة الجديدة أية صحيفة خاصة كما ان هذه العصبة لم تكن منفصلة تماماً عن العصبة الأصلية، التي لا تزال معقد الآمال بالنسبة للأكراد الأكبر سناً، ولقد أقيمت الأتصالات مع كردستان من قبل العصبة القديمة فقط.

وعلى الرغم من ان العصبة الجديدة اتسمت وازدادت قوة إلا ان انجازاتها كانت قليلة الى تشكل في عام ١٩١٨ اتحاد جديد باسم (جمعية طلائع كردستان) تحت نفي الرئاسة.وكان كل من ثريا بدرخان، وماردينى عارف باشا، وزيتيني باشا بابان (والي الجاز سابقاً) وابن علي بدرخان، ونجم الدين حسين من كركوك، والدكتور عبدالله جودت، وخليل بيك، مدير شرطة استنبول، كانوا اعضاء بارزين في حين كان ممدوح سالم الموجود حالياً في بيروت أمين السر العام للعصبة.

أوفدت العصبة شريف باشا لحضور مؤتمر السلم في باريس ثم أرسلت فيما بعد فخري بيك لمساعدته، ورفع هؤلاء مذكرات متنوعة وغيرها الى القوي الأوروبية، وقدمت العصبة مذكرة الى الحكومة الفرنسية تطالب فيها بتقرير المصير وتمن عليه ان تنال كردستان استقلالاً ذاتياً تحت الأنتداب البريطاني بيد ان السلطات الرنسية اعترضت على ذكر البريطانيين بشكل متميز وعدلت المذكرة لتقرأ (تحت انتداب القوي الأوروبية المتحالفة) وقدمت مذكرة مماثلة الى مؤتمر سان ريمو.

لقد اتسعت الجمعية الآن بتشكيل ما يسمي (العصبة الأجتماعية الكردية) أو (عصبة الأكراد الأجتماعية في استنبول). أما الهدف المعلن فهو استقلال. وتم الأتصال مع ثلاثة فروع من كردستان، وشكل مقر في القاهرة بإدارة كل من ثريا بدر خان، ومارديني عارف آغا. وطبعت صحيفتان، إحداهما في استنبول وتدعي (زين) أي الحياة وأخري في السليمانية وتدعي (شانيفو) وعند اعلان الهدنة الغيي الأتراك العصبة لما اكتشفوا انها كانت تتصل باليونانيين وتتمتع بمساعدتهم.

إن أقوي معاقل العصبة في كردستان كان في ولاية درسم، وما زال أكراد هذه الولاية يتمسكون بأهدافها بقوة لحد الآن، وعندما انحلت العصبة في استنبول انتشر اعضاؤها الى الشرق بشكل عام.

وإن الفرع المنظم الوحيد الذي ما زال قائماً هو الآن في القاهرة، وما زال الأعضاء يتبادلون المراسلة ولكن لا يجد ثمة تنظيم يجمع شملهم. لقد شكلت عصبة جديدة في درسم ولكن لم يتسرب عنها اية معلومات الى بغداد. جدير بالذكر إن العصبة لا وجود لها في بغداد غير ان حماس اعضاؤها القدامي ما زال قائما على نطاق فردي، ويتفق هؤلاء على ان الأكراد ليسوا اهلاً للأستقلال وهم يسعون الآن لتحقيق استقلال ذاتي.

(الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني: وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣).

الوثيقة رقم ٢

في هذه الفترة وبعيد الأنقلاب الدستوري في ٢٣ تموز ١٩٠٨ ظهر وضع جديد في الدولة العثمانية تميزت بظهور مجموعة من التنظيمات السياسية والأجتماعية الكردية، وأولها جمعية باسم: كورد تعاون وترقي جمعيتي، وأصدرت هذه الجمعية صحيفة خاصة بها صدر العدد الأول منها ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨ وكان ثمن النسخة ٥ قروش وكتب فيها مقال افتتاحي بقلمم. توفيق سليمانيه لي: يبين فيه هدف جمعية تعاون وترقي الكورد من إصدار

هذه الجريدة وهي ترقية معارف الكورد وتحقيق سعادتهم ضمن الأمة العثمانية ويتطرق المقال الأفتتاحي الى الحديث عن الكورد والأشادة بشجاعتهم وصلابتهم بوصفهم شعب من شعوب الدولة العثمانية..

وهناك مقالات اخرى منها مقال بقلم رئيس الجمعية سيد عبد القادر عبيدالله أفندي زاده. وقد ورد في ذيل المقال عبارة (في ٧ تشرين الثاني ١٣٢٤ رومي) ورد في المقال:

ان الكورد احرزوا اهم موقع او مكانة بين عناصر الأمة العثمانية وبان لديهم الأستعداد والقابلية للتنور والتكامل، ويتهم سياسة الحكومة السابقة بخلق النفرة والمشاكل بين العشائر الكردية والعناصر غير المسلمة (يبدو ان المقصود هنا هو الأرمن) ويري بأن مطمح الحكومة لمزج الكورد ببقية العثمانيين من حيث العصبية القومية يمكن ان يتحقق عن طريق الأتحاد، وبأن القانون الأساسي والمشروطية (أي الدستور) يمكن ان يحقق ذلك من خلال تعميمه وإفهامه (لكل عناصر الأمة العثمانية)، وإن أي نوع من الحكات غير المحقة والتي لا توافق مع الأمزجة المحلية المختلفة تعني سوء تفسير للحرية وستؤدي الى الأضرار بالكل. إن مثل هذه المحاذير وانعكاسات تأثيراتها الخارجية تستحق التأمل.

ويشير الى انه منذ اعلان الدستور فإن العناصر غير المسلمة في الدولة العثمانية يملأون صفحات مطبوعاتهم بالشكاوي من أثر الحكم الأستبدادي السابق وكذلك يعيدون الى الأذهان الكثير من حوادث الماضي المفجعة بل وحتي بعض الجرائم الواقعة حديثاً وبتأثير ذلك فإن الحكومة تقوم منذ مدة بالتضييق على أكابر الكورد وأشرافهم وإلقائهم في السجون وتتشدد في استرداد الأراضي التي يدعون بها (أي غير المسلمين). والي جانب ذلك وفي مقابل وجوب إصلاح الوية الحميدية فإن إلغاء هذه الألوية في هذا الوقت سيكون له تأثير سياسي لا يمكن إنكاره...

وفي مقالات كوردية تنشر الصحيفة مقالاً بقلم سياح شوقي يقول:

أيها الكورد: انتبهوا لا تضيعوا فرصة الترقي هذه فالترقي يعني صناعة المعارف والتعليم. والأتحاد يتطلب ان تكون مع ابناء ولايتك وإن كانوا مسيحيين، مع ان الدين أشرف شئ، وتنفيذ الشريعة ضروري، وشريعة محمد منعت الظلم والغدر والنهب والمنكر والأختلاف.

الى الآن كان الظلم من المأمورين (موظفين) الذين كانوا يعملون بنا كل الأفاعيل، ولكن الله تفضل علينا بصدور الحرية، الحرية مثل جبل (قاف) وقفت امام كل المنكرات بشرط ان نحافظ على الديانة الأحمدية، وفي دائرة الدين نكرم المواطنين المسيحيين فهم أمر الله منا، وهم يعطون الخراج للحكومة، والذي لا يطيع امر الحكومة فهو ضعيف دينه.

والأستبداد فساد لكم وما كان أفسد زمان الأستبداد (يقصد زمان السلطان عبد الحميد) لذا كان أكثر المأمورين لدينا من ضعفاء الدين وبعد اليوم إن ظلموا او غدروا بكم، فالتجأوا

الى جمعية كوردستان فهي لكم، فإن أرسل لكم المأمورون شخصاً خائناً او ظالماً، فاعضوا أمركم الى الحكومة، فإن لم تستجب لكم اكتبوا حينئذٍ الى جمعية الكورد في استنبول فهي التي ستسأل عن حالكم، والجمعية تؤيد الحكومة لأن الحكومة لا تقبل تلك المنكرات، لذا عليكم اطاعة الحكومة.. ووصيتي لكم:

الأتفاق، الأتفاق، الأتفاق.

أيها الكورد:

أعلموا جيداً ان وطننا يسعد بالأتحاد الذي هو طريق الراحة، والي الآن فإن العلماء الذين كانوا يقولون ان الكورد بعيدون عن المدنية، كانت حجتهم عدم اتفاقنا، وهذه أشهر أربعة أنعم الله علينا، واليوم ليس يوم التفرقة فعليكم بالأتحاد، ويجب ان تثبتوا للعالم بأنكم أصحاب صنعة وعمل حسن، وإن الأخلاق الفاضلة الموجودة لدي الكورد لا توجد عند أي قوم آخر وهذه الأخلاق هي:

الديانة، الصداقة،الذكاء، العفة الت يهي الشرف وهي ام الأخلاق، وأم الترقي وأم الفضائل.

في الماضي كان الظلم والغدر موجودين، وكان المأمورون الخونة يذيقوننا ذلك، وهذه أشهر أربعة ودين محمد قد أضاء بشعلته جميع الأصقاع، وألأتحاد سبب زيادة كوردستان، أنظروا الى وطننا: المسيحيون يعملون يجيدون الصنائع الجيدة، وما يعلمونه هم فإننا محرومون منه، وسبب ذلك عدم اتفاقنا، ويجب ان تتعاملوا مع المسيحيين في الوطن معاملة حسنة وتتعلموا منهم الصنائع والأعمال الجيدة واعملوا كعملهم.

يجب ان نرفع الوحشة عن كاهل الكورد، وننشئ أمة متدينة سليمة، ليتحول الأختلاف الى وحدة، والوحشة الى فضيلة، عليكم الفضيلة، الفضيلة.

(الدكتور عبد الفتاح علي يحيي البوتاني: وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية ص ٥٨٤ ـ ٥٩٦).

وثيقة رقم ٣

ـ بغية الأطلاع على رأي الحكومة العثمانية ومدي استعدادها لقمع كل تحرك كردي وينجلي ذلك في وثيقة عن رصد تحركات الشيخ عبد السلام البارزاني والتي ورد فيها فيها:

دائرة الأركان الحربية العمومية

الشعبة الثالثة

البرقية الشيفرة المؤرخة ١٦ كانون الأول ١٩٠٩

من فاضل باشا والي الموصل وقائدها وما حولها.

... على النحو الذي عرضناه اولاً وآخراً فإنه بعد هزيمة شيخ بارزان المذكور وأعوانه، استمرت المطاردات والملاحقات في الجبال في الليل والنهار وعلي مدي شهر تقريباً، وفي العديد من الأشتباكات قتل من رؤوس رؤوس البغاة فقي عبد الرحمن حاجيك، وصارم علو فارس، ويونس كما قبض علي حسن بك جريحاً، وقتل من أعوانهم الكثير، وتم القبض على مائة منهم أحياء. وفي نهاية الأمر تمكن الشيخ المذكور (الشيخ عبد السلام، الكاتب) بمساعدة سعدي آغا ـ وهو من متغلبة ناحية جال بولاية وان ـ من الفرار الى المنطقة التي يقيم فيها نصاري تموز وطياري بلواء حكاري وهو يختفي الآن بقرية زاويته كما جاء من أعوانه كل من ميجو وجيجو وخالد وملا حسن وفقي خالد مع عدد من الرجال الآخرين وأهل بيته الى سعدي آغا المذكور. ومع اننا كررنا الطلب مرات عديدة الى للآغا المذكور بضرورة القبض عليهم وتسليمهم فإنه أنكر وجودهم عنده. وبناءً على حفظه وحمايته لهم تمت الكتابة الى ولاية وان ومتصرفية حكاري ببيان تخفّيهم هناك وضرورة القبض عليهم.

وقد أرسلنا مفرزة محمولة على البغال بقيادة بكباشي الدرك صالح بك حتى قضاء العمادية منتهي حدود الولاية ونتيجة للملاحقات تم القبض على ثلاثة من أولئك البغاة وجئ بهم الى الموصل. ونظراً لعدم وجود أي أثر للبغاة داخل الولاية وللمحاذير من الدخول بين نصاري تياري، فقد تمت الكتابة الى ولاية وان ببيان ضرورة القبض عليهم من قبل سلطات تلك الولاية. وقد قررنا بعد ذلك إعادة جميع الأهالي الذين يتبعون الشيخ المذكور خوفاً منه ثم أداروا له ظهورهم وتقدموا بالطلب الى الحكومة السنية بالرجوع الى بيوتهم ومساكنهم. ونظراً لعدم وجود أي أثر للمقاومة من الأشقياء في بارزان واللواء، ولضربهم والتنكيل بهم إذا ظهروا مرة أخري والمحافظة على الموقع فقد اتخذنا بارزان نقطة لموقع عسكري وأبقينا فيها طابورين من قوات الأحتياط، كما أبقينا وحدة نظامية في مركز ناحية شيروان وعدنا الى الموصل لمواصلة أعمال الولاية. وفور بلوغنا خبر عودة الشيخ المذكور من حكاري أصدرنا الى قيادة بارزان أوامر مشددة بضرورة القبض عليه، لكن خطأ حصل أدى الى فشل العملية.

وبناءً على ما عرضته آنفاً فإنه لم يحدث من جانبنا أي تقصير او تقاعس بل كانت الحوادث الأخيرة نتيجة للجبن وعدم الطاعة من أفراد القوات الأحتياطية ومن بعض الضباط. وقد أرسلو الى ديوان الحرب لأبقاء العقوبة بهم، وقمنا بإجراء التعبئة والسوق لتدارك ما فات ولكن تعذر القبض على البغاة المذكورين بسبب لجوئهم الى سعدي آغا ويعاقب فإن الملاحقات التالية لن تأتي بنتيجة، وعليه يجب المبادرة الى سوق القوة المطلوبة والبحث عن سبيل لأبعاد سعدي آغا من ناحية جال رجاء الأطلاع.

(الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

وثيقة رقم ٤

ـ وثيقة بريطانية حول هذه المرحلة تقول:

FO 195 /2458 REF:

نائب القنصلية البريطانية

وان ١٣ آذار ١٩١٤

سيدي ماليت، سفير حكومة جلالة ملك بريطانيا في استنبول.

لي الشرف ان أعلمكم انه يتم الأستعداد لشن حملة عسكرية محدودة ضد شيخ بارزان واتباعه. تشارك في الحملة كتيبة فرسان رقم ٢٠ بتاليون الأول والثاني التابع لكتيبة ٩٧ و ٢ ق. ف. المدفعية الجبلية وسلاحان رشاشان. يترك اليوم هذه القوة مدينة وان وستشارك مع قوات أخري في الموصل في الهجوم علي شيخ البارزان. ونظراً للمرض السائد هنا فإن كتائب وان ضعيفة جداً ولا يتجاوز عددها ٥٠٠ رجل.

يعد شيخ البارزان احد خمسة او ستة أقوى شيوخ كوردستان وله نفوذ بين الشيوخ والآغوات في المنطقة الجبلية الحدودية الممتدة بين ولاية وان والموصل. إن سلطة الحكومة التركية في هذا الجزء من البلد ضعيفة جداً. وإن القائمقامين القلائل الموجودين في المنطقة قلما يتجاوز نفوذهم خارج نطاق القرى التي يعيشون فيها. إن معظم مديري النواحي في المنطقة هم من الآغوات، ولكن موقعهم الرسمي نادراً ما يردع من عمليات الشقاوة والعصيان والغزو على حساب جيرانهم، ويعزي ضعف السلطة المركزية في هذه المنطقة الى الطبيعة الجبلية الوعرة السائدة في المنطقة.إن وسيلة المواصلات المعروفة في هذا البلد هي الممرات والطرق الحجرية والتي هي في بعض المناطق صعبة المرور حتي للبغال.

اعتاد الولاة العديدون في المنطقة على تبني سياسة ترك رؤساء العشائر الصغار والآغوات الى حد ما احراراً في تصريف شؤونهم الداخلية والخوض في المعارك الداخلية وفض نزاعاتهم كما يحلو لهم. فأشغلهم ذلك كثيراً ولم يستطيعوا ان يوحدوا صفوفهم لتشكيل تحدٍ خطير ضد الحكومة، وربما ان المنطقة غير غنية فلم يكن هناك الكثير للحكومة من أجل فرض الضرائب عليها فلم تتدخل في امورهم الداخلية.

وإن معظم الكورد هنا يكن عداءً مبطناً للحكومة ويبدو ان الحكومة قد وصلت مؤخراً الى قناعة مفادها انه لا يمكن تفادي خطر هؤلاء الشيوخ الذين لهم نفوذ سياسي وديني وفعلي في المنطقة، وفي المستقبل إذا توفرت الظروف المواتية لهم لتحدي السلطة المركزية وذلك بتنظيم حركة رجعية قوية معادية للدولة.

اتخذ شيخ البارزان (الشيخ عبد السلام) وباستمرار موقفاً عدائياً من حكومة الأتحاد والترقي وكانت منطقة نفوذه مركزاً لاضطرابات، ويقال ان عبد الرزاق بدرخان، الذي كان يخطط ضد الرتك في العام الماضي قد انضم الى شيخ البارزان ولعل هذا هو السبب الذي دفع الحكومة باتخاذ قرار بقمعه. وكان شيخ البارزان في السابق في عداء شيخ الشمدينان ولكن يبدو انهما اتفقا لحل المسائل المتنازع عليها بينهما وتشكيل جبهة موحدة ضد الحكومة. إنه من الجدير بالذكر ان الشيخ عبيد الله جد شيخ شميدنان الحالي قد غزا اورومية ومعه ٤٠٠٠٠ مقاتل كوردي. رغم ان أحفاده لا يملكون نفس النفوذ وإنهم شردوا الى أيران من قبل الأتراك. إن نفوذ سيد طه لا زال كبيراً وكذلك شيخ البارزان. يستقر شيخ طه حالياً في منطقة رازان في ايران، في المناطق الحدودية مع تركيا، حيث يملك هناك عدة قري.

تتوارد انباء هنا ـ إلا انني لم أتأكد منها بعد ـ بأن الأدارة الروسية في أذربيجان (أيران) قد عينت شيخ طه مسؤولاً عن شؤون الجمارك الأيرانية في المنطقة الحدودية بالأضافة الى استلامه راتباً شهرياً منهم. وإذا صح هذا النبأ، فإن المهمة الأساسية لشيخ طه تكون منع استيراد التبغ الى أيران من منطقة شميدنان الخاضعة لنفوذه لأن الحكومة التركية اعطت الأراضي الى القرويين وحرّم الشيخ من وارد التبغ الذي يعد سنوياً بالآلاف من الباونات ـ الجنيه الأسترليني ـ فإذا اتحد جهود هذين الشيخين ـ الشيخ طه وشيخ البارزان ـ يستطيعون إعداد قوة كبيرة ويخلقون الكثير من المشاكل للحكومة التركية. ولكن هذا التمرد بخلاف الحركات الكوردية الأخرى ليس هناك فرصة كبيرة للحصول على الغنائم والنهب كما كان الحال مثلاً في غزو اورمية، لهذا السبب لا يتوقع ان يجابه هجوم القوات الحكومية بمقاومة كبيرة من قبل الكورد. يتوقع ان يتمخض هذا الهجوم من عبور شيخ البارزان الى أيران، حيث سينضم هناك الى الجماعات المعارضة للنظام الذين يتيحون الفرص للعودة الى بلادهم واسترجاع أراضيهم وممتلكاتهم التي سيطرت عليها الحكومة التركية.

لي الشرف ان أكون وبكل احترام خادمكم المطيع:

ج. ن. سميث / ضابط خيالة الخفيفة سمر سيت. (الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ص٢٤٥ ـ ٢٤٦).

وثيقة رقم ٥

ونقتطف جزء من وثيقة بريطانية أخري وهو ما يتصل بالشيخ عبد السلام البارزاني..

.. أما بالنسبة للمتمرد الآخر عبد السلام البارزاني فإنه تعرض لهجوم من القوات التركية التي استطاعت رغم الخسائر الكبيرة، احتلال قريته. وفرّ الشيخ بمعية ٨٠ من اتباعه الى

أيران حيث التحق هناك بالشيخ طه الشمديناني ويشار الى الشيخ عبد السلام من قبل رؤساء الكرد الآخرين أحياناً " بالشيخ النصراني " كمحاولة للتقليل من قيمته وذلك لما يتصف به هذا الشيخ من التسامح والعدالة في التعامل مع النصرانيين في منطقته. ولكن في العام اصبح متهماً من قبل الحكومة وذلك لقيام بعض اتباعه بالهجوم على قرية نصرانية آثورية حيث قتل العديد من الرجال والنساء. وإن التهمة الحالية الموجهة ضد الشيخ هو هجوم بعض اتباعه على مجموعة من قوات الجندرمة الذين بعثهم الوالي وذلك من اجل القيام بتحقيق في حادثة مقتل تاجر موصلي الذي حدث في المنطقة الواقعة تحت نفوذ الشيخ...

المخلص خادمكم المطيع الى الأبد أيان سميث

(دكتور عثمان علي "حركة الشيخ عبد السلام البارزاني دراسة وثائقية في الأسباب المحلية والأقليمية، مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني الخالد الجزء الأول ص٥٧).

الوثيقة رقم ٦

من الوثائق العثمانية ثمة واحدة جاء فيها:

DH MVI

15 /9 _1

نظارة الداخلية ـ دائرة المخابرات العمومية

الي نظارة الحربية الجليلة

سبق ان تمت إحاطة ولاية الموصل و (وان) علماً بتذكرة مقامكم العالي رقم ٤٤٥٨ وتاريخ ٢٦ كانون الأول سنة ١٣٢٥ هجري الموافق سنة ١٩٠٨ المبلغة الى قيادة الجيش الرابع ببيان انه نظراً لان تحريك الطابور اللازم سوقه من الجيش الرابع الى جهات جال وجوله مرك للقيام بملاحقة شيخ بارزان وأعوانه والتنكيل بهم يواجه بعض المشاكل بسبب الموسم واحتمال وقوع خسائر بين الأهالي، فقد كان الأنسب تعطيل الحركات العسكرية بصفة مؤقتة على ان تبدأ حركات التنكيل بصورة قطعية في بداية شهر آذار. وجاءت هذه المرة برقية من ولاية الموصل ببيان ان الشيخ المذكور وأعوانه البالغ عددهم حالياً عدة مئات موجودون في ثلاث قرى على بعد ثماني ساعات من جبل بارزان الذي تغطيه الثلوج وإن التنكيل بهم واستئصالهم يتوقفان على وصول الطابور من الجيش الرابع الى ناحية جال. وإنه من الضروري استكمال اسباب تحريك الطابور المذكور والشروع بالملاحقة من جهتين والعمل بمقتضى الحال منوط بهمم النظارة العالية، والأمر لحضرة من له الأمر.

(دكتور عثمان: حركة الشيخ عبد السلام البارزاني المصدر السابق ص٥٩).

الوثيقة رقم ٧

دائرة الأركان الحربية العمومية

(الشعبة الثامنة)

صورة البرقية المشفرة الواردة بتاريخ ١٧ كانون الأول سنة ١٣٢٥ (١٩٠٨) من المشيرية الجليلة للجيش الهمايوني الرابع في ارزنجان.

القيام بالحركات العسكرية في الموصل وما حولها ممكن في كل موسم من مواسم السنة. ومن هذه الناحية فإن مشاهداتي المتواضعة تؤكد انه لا يمكن ان تقاس بهذه المناطق. ولكن عدم اعتبار المناخ والحالة الجوية وفرار شيخ بارزان واعتبار عدم قيام الجيش بعملية السوق مع التأكيد والأصرار نابعاً من اسباب خاصة. وللاصرار على القيام بهذه العمليات فقد اضطررنا الى تحريك طابور تجاه ناحية جال واعطيت اوامر قطعية للفرقة الثامنة بذلك. وهذه هي صورة الرقية الجوابية على ذلك. ذلك بأن إجراء عملية التنكيل ممكن في موسمه لكن إبقاء طابور في الجبال شهوراً طويلة في ظروف صعبة وتحصيل نتيجة مفيدة مقابل الفداء أمر غير متوقع خاصة وإن اضطرار شيخ بارزان الى الدخول في حماية آغا جال المعروف بولائه الصادق مع اهالي الناحية لحكومة مركز (وان)، ونري عدول والي الموصل عن حل المسالة سلمياً واختياره عكس ذلك أمراً جديراً بالتأمل والملاحظة. وبناءً على ما تقدم ننتظر إبلاغنا مقتضي الحال.

(دكتور عثمان علي: حركة الشيخ عبد السلام البارزاني، المصدر السابق ٦٠).

الوثيقة رقم ٨

بقلم عبد الرقيب يوسف كتب مقال حول الشيخ عبد السلام البارزاني في الوثائق العثمانية، وبعض هذه الوثائق تتحدث عن جولة القنصل الأنكليزي في بعض مناطق كردستان، ثم تقرر نقله وهو على وشك الأجتماع مع شيخ بارزان، ولكن قبل إتمام اللقاء تم نقل القنصل الى منطقة أخرى، ويورد الكاتب وثائق اخرى ومنها وثيقة رقم ثمانية التي تقول:

ترجمة الوثيقة

باب العالي ـ وزارة الداخلية ـ القلم المشفر

وردت الشفرة من ولاية وان

عاجل

تنوي ولاية الموصل القيام بعمل عسكري لتأديب شيخ بارزان وأبلغ قيادة فرقة وزارة الحرب بضرورة إرسال طابورين في الصباح. إن كلفة إرسال هذين الطابورين مع المدافع والرشاشات الى حدود الموصل تكلف ما يقارب خمسة آلاف ليرة حيث طلبت الفرقة ذلك هذا اليوم، يوجد في الصندوق ثلاثة آلاف قرش من ضرائب رؤوس الأغنام والجميع منهمكون بإداء اعمالهم ومن غير الممكن ان نحصل على هذا المبلغ من قبل الولاية لغاية أول نيسان.

وكتبت للفرقة بعدم استطاعتنا صرف خمسة آلاف بارة (البارة عملة صغيرة كل أربعين بارة تساوي قرشاً واحداً) لهذه العملية العسكرية والمؤن نحن غير مسؤولين عن تأخير إرسال هذا الجيش من هنا الى حدود الموصل الذي يستغرق ثمانية أيام وإن نقل طابورين من المدافع والرشاشات يحتاج فقط الى الفين ليرة.

لهذا السبب يرجي العمل على عدم تأخير ارسال هذه القوة العسكرية بتأمين عشرة آلاف ليرة لها. ونرجو تنفيذ ذلك بواسة التلغراف.

في ٢٥ شباط عام ٣٢٩ (هكذا مكتوب في الوثيقة حيث حذفت الألف).

الوالي تحسين

(عبد الرقيب يوسف: الشيخ عبد السلام البارزاني في الوثائق العثمانية، مؤتمر الذكرى المئوية لميلاد البارزاني الخالد ص ١٠٧٣).

الوثيقة رقم ٩

الباب العالي / وزارة الداخلية / القلم المشفر

جاءت من ولاية (وان) شفرة

الشتاء بارد جداً اصيب بعض الجنود بالمرض

حول إرسال القوات ضد شيخ بارزان نحيطكم علماً (أن قيادة المعسكر ١٢ ستقوم بمهمة معاقبة شيخ بارزان في القريب العاجل) إن إرسال طابورين الى تلك الجبهة ليس صحيحاً. اتصلت بالقائمقامين فإنه من غير الممكن اجتياز طريق (تاقواتيا) وناحية (جمار). وتستغرق الطريق من هنا الى شمزينان ٢٠ يوماً او شهراً. لا توجد قري ولا أماكن النوم في الطريق فضلاً عن ان الجنود سيصيبون بالأمراض ويتعرضون الى الأبادة إذا سلكوا هذا الطريق وهذه خسارة جسيمة.

لا يتمكن شيخ بارزان ان يأتي الى هذه الجهةبأي شكل. لانه إذا كان يود الفرار والهروب

فتوجد في (شمزينان وكَفر) طابور من الجيش مع سرية حدودية. من غير الممكن ان يفر من هذا الطريق طالما تقوم ولاية الموصل بإرسال الجيش الى هذه المناطق. لا ينبغي تذهب الجيوش لمدو عشرون يوماً حفاظاً على سلامتهم.

راجعت سيادة (انور باشا) لهذا الخصوص وأطلعته على ظروف الطريق والعسكر بصورة كاملة.

يرجي مراعاة المضمون

في ٢٠ شباط عام ٣٢٩ / ٢٦ وصلت

الوالي تحسين

صدرت اوامر في غاية الكتمان، أرسلنا الفي ليرة. إن صرفها أمر ضروري.

(عبد الرقيب يوسف: المصدر السابق ص ١٠٧٥).

الفصل الرابع

الشيخ أحمد البارزاني يواصل المسيرة

١٨٩٢ـ١٩٦٩م



الشيخ احمد البارزاني عام ١٩٣٣

بعد اعدام الشيخ عبد السلام تسلم أخوه الشيخ أحمد قيادة إمارة بارزان وكان شاباً يافعاً يبلغ من العمر ١٨ عاماً. في هذا المقام نبقى مع الدكتور ايوب بارزاني حيث يلقي أضواء على زوايا تساعدنا في الأحاطة بجوانب مختلفة لهذه الشخصية الكردية البارزانية التي شغلت مكانة الصدارة في قلوب البارزانيين واصدقائهم. ويقول عنه الدكتور أيوب بارزاني: لقد كان الشيخ احمد طويل القامة وسيماً وذو بنية قوية هادئ الطبع شديد الحذر، إذ عايش جميع المؤامرات التي تعرضت لها بارزان سواء من الأغوات المجاورين او من الحكومة التركية، وكان رجل الطريقة النقشبندية لا يتخذ قراراً الا على هديها.

في مدينته بارزان كانت عدة جهات تضمر له العداء وهي متنفذة وتتربص له لأنها تعتقد ان بمقدوره استقطاب المؤيدين وتكوين نواة ومن ثم توسيعها، فهو يمتاز بحيوية الشباب وله مكانته في العشيرة البارزانية ومركزه الديني الروحي، وهو لا يمكن ان ينسى ما لحق بأخيه الراحل عبد السلام وعلى يد الأتراك وسيبقي مصدر لتقويض الأمن والأستقرار ما دام طليقاً. ولهذا كانت الحكومة التركية والأغوات يسعون الى التخلص منه، وقد شعر بالخطر قريباً منه حينما قتل صالح بارزاني وهو احد المخلصين المقربين للعائلة وكان يساعدها في التزود

بالحاجات اليومية، وهكذا اضطر (أحمد) الى ترك منزله في الليل والنوم خارج القرية.[1]

وكانت ثمة محاولة للأيقاع به حينما توجه قائمقام تركي برفقة مسلحين وفارس آغا الزيباري الى مسجد بارزان تحت ذريعة الأجتماع مع الشيخ احمد البارزاني للتفاهم حول جمع الضرائب، وكانت المنطقة اصلاً تعاني من الفقر المدقع. وكان للشيخ احمد ثلاثة من أنصاره المسلحين المخلصين دعاهم لمرافقته، وهم كل من: شقيقه محمد صديق وملاي ملا محمود وعبد الله ابراهيم حاج بارزاني، ولدى دخولهم المسجد حيث الأغا الزيباري والقائمقام جالسين، وقف محمد صديق وملاي محمود علي جانبي الباب من الداخل بينما تخطى عبد الله ابراهيم ليقف وسط الغرفة، وتقدم الشيخ أحمد نحو القائمقام وجلس بالقرب منه. في هذا الجو المتوتر والذي يبدو ان التحدي والسلاح هما سيدا الموقف، قال فارس آغا:

جئنا لجمع الضرائب وقد حددنا حصتكم بـ ١٤ قطعة ذهب. فرد عليه الشيخ أحمد ـ في هذه القصة يستخدم الدكتور ايوب (أحمد) لكني استخدم بدلها الشيخ احمد، المؤلف ـ قائلاً: إنني لا أملك ١٤ قطعة ذهب لكن لدي ١٤ رأس ماعز بإمكانكم أخذ القطيع كله... هنا وبشكل مفاجئ ضرب عبد الله ابراهيم حاج اخمص بندقيته بالأرض مما أحدث دوياً أذهل الحاضرين ثم صرخ في وجوههم قائلاً: أنتم مخطئون لن تأخذوا أي شئ وكفى. لقد كان لهذه الحركة المفاجئة رسالة واضحة للحضور وهي ان لغة البندقية سيكون لها القول الحاسم، ونحن على اهبة الاستعداد، لكن المجموعة الحكومية أدركت خطورة الموقف ولا بد من تدارك الوضع قبل انفلات زمام الأمور نحو إراقة الدماء، فالشيخ أحمد ورفاقه لا يمكن ان ينصاعوا



الشيخ احمد البارزاني جالساً ويقف الي جواره مرافقه علي محي بارزاني، انقرة عام ١٩٣٣

بسهولة ويستسلموا ويصبحوا لقمة سائغة بيد أعدائهم.

وفي الحال بادر فارس آغا الزيباري الى القول: لا حاجة الى ذلك لقد جئنا لزيارتكم.. إنتم معفيون من الضرائب.. لقد انتهى الأجتماع بسلام، لكن من المؤكد ان الحكومة وبتحريض من الآغوات لا يمكن ان تستكين وتهدأ بوجود الشيخ أحمد بين أقرانه طليقاً، وكانت هذه نصيحة من عبد الله ابراهيم حاج الذي حسم الموقف بجرأة في مسجد بارزان، فالحكومة ستعمل على الأيقاع به بشتى الطرق، وما عليه سوى التواري عن الأنظار لكي لا تفلح الحكومة باعتقاله، وفي الحال منحه بندقيته، ولم يكن امام الشيخ أحمد سوى خيار الرحيل عن المنطقة فحمل ابنته الصغيرة على كتفيه وترافقه زوجته ميمماً وجهه شطر جبل شيرين، ولينتهي به المطاف في اوساط الشيروانيين.

بإلقاء نظرة على التمايزات العشائرية العراقية عموماً يمكن ملاحظة عدة وجوه ونحن في فترة النصف الأول من القرن العشرين فكان المعنى الديني لزعامتهم، ولم تكن رابطة الدم قائمة في مثل هذه العشائر ومنهم السادة في المناطق العربية الشيعية، والزعامة الدينية الايزيدية، وهناك رؤساء الطرق الباطنية التي تحمل هذه الصيغة من الروابط الأجتماعية وبهذا الصدد يفيدنا حنا بطاطو بأنه يمكن تمييز الرؤساء العشائريين للفترة ١٩١٧ ـ ١٩٥٨ من عدة وجوه، ففي المقام الأول كان هنالك أولئك الذين لزعامتهم معنى ديني... وكان هؤلاء سادة او مرشدين لطرق باطنية أو انهم يجمعون بين الصفتين.. اما رؤساء الطرق الباطنية الذين يتمتعون بسلطة على عشائر معينة فكانوا يقتصرون على الحزام الكردي. والي هذه الفئة ينتمي الشيخ أحمد البارزاني والشيخ محمود البرزنجي، وكان الشيخ أحمد شقيق الملا مصطفى البارزاني قائد الثورة الكردية في الستينات والسبعينات من القرن العشرين يدين بنفوذه العشائري الى الهيمنة التي مارستها عائلته لأكثر من قرن على المنتمين الى الطريقة النقشبندية الباطنية في القرى الجبلية فوق الضفة الشرقية للزاب الكبير. اما الشيخ محمود (الحفيد ـ المؤلف)الذي ينظر اليه هو أيضاً نظرة تبجيل ديني كبير فينحدر من عائلة من السادة طالما قدمت الزعماء لجماعة دراويش القادرية في السليمانية[٢].

ترسيخ المبادئ الروحية

نعود الى ما آلت اليه الأمور بعد مغادرة الشيخ أحمد لبارزان، فقد أفرزت هذه المغادرة فراغاً روحياً وسياسياً، واحتدمت المنافسة بين البطون والأفخاذ لملئ هذا الفراغ، وكل طرف يرى في نفسه الأحقية، وحينما يسيطر احد الأطراف على زمام الأمور يبدأ الصراع الداخلي بين أقطاب الفخذ نفسه وهذا ما حدث حينما هيمن فخذ (دلاني) المرتبط مع أغوات زيبار الموالين

للحكومة. فالمنافسة بينهم تحولت الى صرا ع مسلح داخلي بينهم نجم عنه وقوع ضحايا وقد ادى هذا الصرا ع الى مغادرة الفخذ كله لبارزان، وعند ذلك خفت الضغوط على العائلة البارزانية. في هذه الأثناء عاد الشيخ احمد الى بارزان وبويع على رئاسة المشيخة فكان الشيخ احمد شيخ بارزان الخامس، وحينما اعلن عن تعيينه بهذا الموقع رحبت به قبائل الشيروانى والدولمري والمزوري والكَردي وسكان بروز ونزار بهذا الحدث وربما كان ذلك في صيف ١٩١٩م.

التفت القبائل حول شيخ بارزان (أحمد) ودخل الأجتهاد مرحلة العلن، وقصد الناس بارزان لتلقي المبادئ الروحية وتفعيل الأسلام في الحياة، وواصل الشيخ الجديد السير في طريق اسلافه وركز على الجانب الديني في تربية المريدين وتثقيفهم. وامتنع عن التملك لأن ذلك يؤثر سلباً على الجانب الروحي... وكان شيخ بارزان عاملاً رادعاً لكل من يريد التجاوز على حقوق المواطنين، ففي حالة وقوع مظلمة يستطيع المواطن التوجه الى شيخ البارزان مباشرة ودون وسيط ويطرح امامه شكواه، فيعاد الحق الى نصابه وفق نصوص الشرع الأسلامي فساد شعور بالأمان في اوساط القبائل البارزانية، وليس من شك ان حياة التقشف والتزهد لشيخ البارزان نفسه وامتناعه عن إدخار الأموال، وكان يقرن الأقوال بالأفعال مما اكسب نصائحه وإرشاداته قوة وتاثير كبيرين في الأوساط الشعبية، وهو يعلم ان الأكتفاء بكيل النصائح والأرشادرات، واللجوء الى تكديس الأموال سيكون نوعاً من الخدا ع والتضليل، لكن اهم صفاته البارزة أيمانه بأن نشر الفكر الديني لا يمكن ان يعطي الثمار المرغوبة عن طريق القسر والعنف، إنما بالأقنا ع ومن خلال الحوار الهادئ الودي، وكان يخاطب المشاعر العميقة في الأنسان كأهمية الأهتمام بالآخرين وفضيلة الأتحاد والقضاء على تسلط نزعة عبادة الذات وأتبا ع الشهوات، وعرف عنه الصبر والجلد في تحمل المشقات ومواجهة التحديات، وكان يسعى بشأن إنماء الخصائص الأخلاقية في الأنسان بحيث لا يحتا ج الى رادع خارجي لتفادي ارتكاب المعاصي وإلحاق الضرر في مجتمعه، فمن خلال تطوير ملكة التأمل والنضوج الداخلي ينمو في أعماق الأنسان صدود ذاتي ورفض أرتكاب أعمال منافية لمبدأ العدالة، كان يهدف الى بناء إنسان يخدم مجتمعه بشكل واعي وطوعي[٣].

لقد عرف الشيخ احمد بفراسته انه لا يمكن النهوض بأي عمل مهم إن كان المجتمع مفككاً، فكان هدفه تصيير المجتمع كتلة متراصة تربطه روابط روحية صادقة مبنية على الشفافية والتفاهم والأقنا ع، وبعد ذلك توجه الشيخ احمد نحو حل المعضلات.

كان في مقدمة المشاكل التي واجهته هي مسألة فرض الأمن والأستقرار داخل مجتمع بارزان، فبادر الى دعوة الفخذ الهارب للعودة الى بارزان محاولاً إحلال الوئام بين العوائل

المتنازعة بمقولة ان الصلح هو سيد الأحكام. ودأب الشيخ أيضاً على العمل الى أعادة تراث النقشبندية والعودة الى الصفاء الروحي وتثقيف الأتباع بذلك.

بعد ان تتوسع رقعة الثورة الكردية ووتشعب الى في المفاصل الحياتية في عموم كردستان العراق، وفي الضفة الأخري تنمو امكانيات الحكومة الأقتصادية وتتوسع قدراتها العسكرية، سوف يختار الشيخ احمد موقفاً حكيماً يتسم بالحيادية بين الثورة والحكومة، وهو بهذا الموقف يبعد عن منطقة بارزان خطر القصف الجوي والمدفعي، والحكومة العراقية يناسبها مثل هذا الموقف الحيادي الغير معلن وهي لا تريد ان تدفع بارزان الى احضان الثورة، ومن جانب أخر فإن موقف بارزان هذا يخفف من وطأة الحصار الأقتصادي على المنطقة.

لقد كانت تكية بارزان تشبه الخان في تقديم الخدمة للمسافر ولكل عابر سبيل، فهي تقدم وجبات طعام مجانية أضافة الى وجود مكان للمبيت. ويحظي المسافر بحضور مجلس الشيخ أحمد لسماع احاديثة وأرشاداته وهو يبت في قضايا الخلافات بين ابناء العشيرة، إضافة الى مناقشة ما يستجد من امور الدنيا. ويحدثنا يونان هرمز عن مبيته ليلة في بارزان فيقول:

كنت في سبيلي الى بادينان وبلغت بارزان فبت ليلة في تكية الشيخ احمد، وكنت حاضراً عندما كان الشيخ جالساً في زاويته ومجلسه مكتظ بجماعة من البيشمركه وكان الشيخ قد استقدمهم لأنهم ذبحوا ثوراً لفلاح فقير، فوبخهم الشيخ توبيخاً صارماً وقال لهم:

انتم شرّ من بوليس نوري السعيد. إن الثورة ليست للأعتداء على الناس. أذهبوا واشتروا لهذا الرجل ثوراً مثل ثوره[٤].

انحسر النفوذ التركي في المنطقة بعد هزيمتها على جبهات القتال وخفت الضغوط على العائلة البارزانية وكان ذلك حافزاً مشجعاً للمضئ في طريق الأصلاحات دون هاجس او خشية من انتقام السلطات الحكومية.

كان الشيخ أحمد في مقتبل العمر وكانت تستهويه اصلاحات شقيقه عبد السلام على الحياة الأجتماعية وأراد أن يكمل البنيان الذي وضع أساسه واستمر في بنائه، لكن هذه المنجزات تبقى ناقضة ويتآكلها الزمن إن لم يستمر في إكمال بنائها، وصيانة هذا البناء عبر مرور الزمن.

استمر الشيخ أحمد البارزاني في إدامة الوشائج القومية، وحافظ على الأصلاحات الأجتماعية والأخلاقية الدينية. لقد منع الزواج القسري في منطقة بارزان، وإذا مانع الوالدان زواج ابنتهما بمن تحب استخدم الشيخ نفوذه لتزويجها بمن ترغب، فاختفي الزواج القسري وألغي المهر في مملكته، وقد نزع الى زرع المودة في قلوب الناس اتجاه بعضهم البعض،

وأكثر من ذلك سعى الى العطف والحب الى كل ماهو حي في الطبيعة... فحرم قطع الأشجار واصطياد الحيوانات البرية والطيور، لقد كان ذلك كله جزء من الأجزاء الموحدة من النظام الفلسفي الديني الذي اهتدي اليه الشيخ أحمد، ومن المؤسف أننا لا نملك الوثائق التي أهتدي بها الشيخ وعلم بها مريديه[٥].

إن هذه الأفكار قريبة من الأفكار الزاردشتية او الهندوسية حول قدسية كل ما هو حي، إذ ان مقولة لا تقتل لا تنهي عن قتل الأنسان فحسب إنما كل روح.

مواصلة العمل القومي والسياسي

بعد ١٩١٨ كان لبريطانيا القول الفاصل في العراق ويبدو ان التحرك الكردي في العراق من اجل إرساء حقوقهم الذاتية لم يكن متفقاً مع استراتيجيتها في المنطقة، فهي من ناحية تريد طرد الأتراك من الساحة السياسية العراقية، ومن جانب آخر خضوع الأكراد لها لكي تضمن سيطرتها على منابع النفط في كردستان، فالتاقض حاد بين الدولتين، ومن جانبهم الأتراك كانوا يسعون الى تأليب الأكراد ضد بريطانيا مستغلين العواطف الدينية ضد المحتل، فالتنافس حاد بين الدولتين وكل فريق يحاول استمالة الأكراد الى جانبه عن طريق الأتصال مع رؤساء العشائر من الآغوات والوجهاء.

في هذه الفترة كان الضابط السياسي البريطاني (بل) قد فرض عقوبات على فارس آغا وبابكر آغا الزيباري بسبب وضعهم كميناً للجندرمة.. فعبرا الزاب نحو بارزان لطلب النجدة من الشيخ أحمد طالبين منه النجدة، وهنا مع ثلة من الرجال عبر محمد صديق ـ شقيق الشيخ أحمد ـ نهر الزاب الى الجهة الغربية ونجحوا في قتل الضابطين البريطانيين، وهاجمت هذه القوة مدينة العقرة، لكن القوة البارزانية انسحبت ممتعضة بعدما تبين ان هدف الآخرين كان السلب والنهب في عقرة. على اثر هذه الأحداث قاد (س. أ. لتلدال) قوة عسكرية ضد المشتركين في الحادث فأحرقت منازل كبار المشتركين في مقتل الضابطين، لكن هذه القوة لم تمكث في بارزان خوفاً من العواقب[٦].

لقد كان على الجانب الآخر من كردستان العراق الشيخ محمود الحفيد يقاوم النفوذ البريطاني ويسعى الى إرساء حقوق الشعب الكردي، وهذه الثورة كان لها صداها في الجزء الآخر الثائر وهي منطقة بارزان، وكان الشيخ أحمد البارزاني يرى في تعاون الطرفين خدمة للمصلحة القومية، وهي توائم مع اصلاحاته الدينية والأجتماعية ونشاطه السياسي والقومي، فكان باكورة أعماله القومية هو إرساله عدداً من المقاتلين البارزانيين لمعاضدة ثورة الشيخ محمد الحفيد في السليمانية والتي اندلعت في مايس عام ١٩١٩ وكانت ضد الأستعمار

البريطاني، فأرسل الشيخ أحمد مجموعتين من المقاتلين إحداهما كانت تحت قيادة شقيقه الملا مصطفى البارزاني وكان يبلغ من العمر يومذاك ١٦ سنة إذ انه من مواليد ١٩٠٣ م، وعندما وصلت طلائع البارزانيين كانت الثورة قضي عليها ووقع الشيخ محمود أسيراً بيد الأنكليز بعد إصابته بجروح في دربندي بازان[٧].

كانت كردستان العراق مسرحاً للصراع التركي البريطاني وكان مصير ولاية الموصل محوراً لهذا الصراع إن كان داخل ولاية الموصل قبيل انحلال الدولة العثمانية، او في المحافل الدولية حيث تسعى الى ان تكون ولاية الموصل جزء من الدولة العراقية ومن بلاد ما بين النهرين التاريخية، ولا تريد ان يكون في هذه الولاية دولة لكردستان، إنما تشكل جزءاً من العراق مع منح بعض الحقوق للأكراد وبقية التكوينات القومية الأخرى منهم الكلدانيون السكان الأصليون في هذه البلاد، والآثوريون (الآشوريون) الذين سيشكلون رقماً في قائمة مشاكل الحكم الملكي الوطني والحكومة البريطانية التي انقذتهم من محنتهم في تركيا وأيران، وأرادت ان تسكنهم في العراق او توطينهم في اي منطقة من العالم.

في سنة ١٩٢٣ انسحبت تركيا من راوندوز، وارتأت سلطات الأحتلال البريطانية التعامل مع شيخ بارزان بالطرق الدبلوماسية، حيث كانت الأضطرابات قد اندلعت في جانب السليمانية، فكان تحييد موقف الشيخ أحمد ضرورياً على الأقل في هذه المرحلة وبغية إرساء الثقة الغي قرار خروج شيخ البارزان عن القانون وتركوا له الحرية الى حين التفرغ له في اوقات لاحقة. وهنا في هذا المقام سوف نعود قليلاً الى الوراء لألقاء حزمة من الضوء على أحداث تتعلق بموضوعنا، وهي دور الآثوريين في هذه المنطقة وفي الفترة الزمنية التي نحن في صددها.

دور الآثوريين في مصير بارزان

يفتقر البحث الى الدقة والموضوعية إذا لم نسلط الأضواء على كل الجوانب بحيادية وتجرد بعيداً عن النوايا والعواطف التي يتأثر بها الكاتب، والأستشراف يزداد وضوحاً في الهواء الطلق وفي ضوء الشمس الساطع الذي ينير العتمة المظللة لحجب الحقيقة.

العلاقات بين البارزانيين والقبائل الآثورية المتحصنة في جبال حكاري وأرض فارس كانت تتسم بالودية والأحترام المتبادل وتقديم العون عند الحاجة، ومن خلال أطلاعاتي الكتب التي تشير الى هذا الموضوع انطبع لدي بأن أقرب القبائل الكردية الى القبائل الآثورية كان البارزانيون، ومع ذلك تمكن الأنكليز من الأيقاع بين البارزانيين والآثوريين.

كان أيام محنة الآثوريين طويلة لكن نكتفي ببحث تلك الفترة وهي أواخر عام ١٩٢٠م وما

رافقتها من مضاعفات. لم يكن للأنكليز ثقة بآغا بطرس، لكن في بعد تدهور الأمور وتعقدها استطاع آغا بطرس ان يقنع الأنكليز بعودة الآثوريين الى موطنهم الأصلي في جبال حكاري، وذلك عن طريق استخدام القوة، وأن يتولى هو القيادة بنفسه، وكخطوة أولية ينبغي نقل اللاجئين الآثوريين من بعقوبة الى مندان الكائنة على بعد عشرين ميلاً شمال شرقي الموصل، وبوشر بالعملية ففي آذار ١٩٢٠ تم نقل ٢٤ الف من الأثوريين الى مندان والقسم الآخر بقي في بعقوبة، وقد جهز جميع المقاتلين بالسلاح وصرفت لهم رواتب ١٢ روبية لكل فرد.

إن هذه الخطة التي علق عليها القادة الآثوريون آمالاً كبيرة استأثرت باهتمام الأنكليز ايضاً لما لها من فوائد تخدم مصالحهم وهذه الفائدة تتجلي في ثلاث نقاط مهمة:

١ ـ تقليل النفقات البريطانية المصروفة على الآثوريين.

٢ ـ الأنتقام من الأكراد الذين قتلوا ضابطين بريطانيين واخراجهم من شمال العراق وإحلال الآثوريين محلهم.

٣ ـ وضع حاجز أمام الأتراك الذين ما انفكوا يهددون حدود العراق الشمالية[٨].

وفق الهدف المعلن الذي اتفقت عليه بريطانيا باشرت القوات الآثورية بالتقدم منطلقة من مندان وذلك في ١٥ تشرين الأول ١٩٢٠، لكن يبدو ان هذه الخطة لم يؤخذ فيها موافقة الأكراد، أو على الأقل إعلامهم بنوايا الخطة، وهي إسكان الآثوريين في مناطقهم الأصلية في جبال حكاري وهي غير موجهة ضد الأكراد بالأساس.

بالعودة الى بعض الصحف والوثائق البريطانية يمكن الإحاطة بالموضوع على الأقل من وجهة نظر الجانب البريطاني والذي كانت المصالح وليس المبادئ تحرك الأنكليز في المنطقة. في تصريح لسكرتير في وزارة المستعمرات البريطاني الى صحيفة التايمس بشأن الآثوريين يقول:

لأجل تقليص نفقات الميزانية بالملايين فقد استخدمنا الآثوريين كقوات تدعم سلاحنا الجوي في العراق وقد أظهرت قواتهم الكفاءة والجرأة في العمليات، وإذا كان فقدانهم الشعبية يعود جزئياً لأخطائهم، إلا ان الأنطباع كان يوحي الى كونهم آلة في يد قوة أجنبية. وفي تقرير لوزارة المستعمرات البريطانية يقول:

في نهاية ١٩١٩ كان لا يزال في مخيم بعقوبة حوالي ٥٠٠٠٠ (٣٥ ألف آثوري و ١٥ ألف أرمني ـ المؤلف) لاجئ آثوري وأرمني، وذلك منذ شهر تشرين الثاني ١٩١٨ وكان مصيرهم والعناية بهم يشكل مشكلة للأدارة البريطانية وثقلا على ميزانيتها وهي الخارجة من الحرب.

كما كان واضحاً إنه يترتب إسكانهم بشكل ما، ولكن مسألة استيطان اللاجئين وهم من

مواطني تركيا وفارس لم تكن سهلة الحل، ولم تكن الأمور واضحة بعد بالنسبة للعلاقات بين بريطانيا وهذين البلدين. ويمضي التقرير البريطاني الذي نطلع عليه من كتاب أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال يقول:

كان الآثوريون بعددهم الذي يقارب ٣٥ ألف نسمة أكثر أهمية وذلك لاعتراف بريطانيا العظمى بهم كحلفاء لها في الحرب، واستخدامهم من قبلها في حملة ١٩١٩ على كردستان، لقد قدم لهم وعد قطعي بالأستيطان بدافع الخير من قبل الحكومة البريطانية وكانت أراضيهم وإن لم تكن ضمن نفوذ إدارتنا لكنها كانت موجودة مباشرة على حدودنا.

المشكلة الأرمنية هي في حد ذاتها أكبر لكن عددهم في المخيم كان أقل من الآثوريين حيث بلغ تعدادهم ١٥ ألف لاجئ وكانوا مجرد لاجئين، واياً كان مصير بلادهم فإنها لم تكن تحت نفوذ بريطانيا، ولم يكن للحكومة البريطانية واجب آخر اتجاههم سوى نقلهم الى حيث وجد لهم موطن فحسب.

نبقي مع محتويات التقرير البريطاني الذي يضيف:

كان اللاجئون الآثوريون منقسمين الى قسمين: مواطني فارس هؤلاء يدعون بالسهليين التابعين لأورمية، ومواطني تركيا ويدعون بالجبليين التابعين لحكاري وكانت أهدافهم واضحة، الأثنان أرادا الشئ ذاته وهو العودة الى موطنهم والعيش تحت الحماية البريطانية، لسوء الحظ كانت مساكنهم موزعة في أقاليم مختلفة، ورغم ان الشعب كان تابعاً الى ابرشية واحدة نظرياً، لكن من الناحية العملية كان أكثرهم لا يهتم إلا بقبيلته او بقرابته وكان الأهتمام بالآخرين ضئيلاً. إضافة الى ذلك فإن ويلات الحرب وشروط العيش في مخيم اللاجئين هدم نظام الشعب القديم السائد في ظل قادتهم (الملوك) والبطريرك ولم يعوض بآخر. كما ان المنح السخية وتوفير جميع خدمات الأعالة المجانية من قبل البريطانيين أضعف نمطاً طبيعياً من العيش نحو نمط آخر يميل الى التسول.

وعلى الرغم ان قوم أورومية بعد تدريبهم اعتبروا جنوداً ممتازين لكنهم كانوا غير قادرين على العيش لو عادوا الى مساكنهم القديمة، إضافة الى ازدياد شعور مناهض لعودتهم اكثر مرارة في فارس مما هو في كردستان، ففي كردستان لايحبذوا قتال العشائر والنزاعات الدينية دائماً. وظهرت الحرب العظمى كأكبر نموذج لعرف قديم مألوف لا غير.

في بلاد فارس بدت انتفاضة المسيحيين مثل انتفاضة العبيد قابلية التفوق على اسيادهم، وهذا جرم لا يغتفر. وحتى لو كانت الحكومة الفارسية اكثر استعداداً لقبول عودتهم مما هي عليه الآن، فهي ليست في وضع يمكنها من ضمان سلامتهم، إن السلطة الوحيدة في اورمية

كانت متمثلة في سمكو آغا عشيرة شكاك الذي اغتال البطريرك الآثوري مار شمعون عام ١٩١٨م.

أما مشكلة الآثوريين الجبليين كانت أبسط، فهم مقاتلون ممتازون بالفطرة.. كانوا يشكلون جزءاً من الفوضى الضاربة أطنابها في كردستان، وهناك أكراد كثيرون لا يمانعون من عودة الخصم والجار القديم الى الأرض القديمة، شريطة ان لا يعني ذلك التسلط المسيحي. وطبيعي ان المتآمرين الترك أدخلوا في روعهم، والمسيحيون كانوا مستعدين لتعقيد الأمور من خلال قناعتهم بأن الحكومة البريطانية تريد فعلاً إلحاق كردستان برمتها بالأنتداب البريطاني، وعلاوة على ذلك كانوا يعتقدون ان الحماية البريطانية تشمل حق الأخذ بالثأر لكافة النزاعات القديمة.

كان مشروع آغا بطرس يتضمن احتلال مواقع من منطقة التلال المنخفضة على الحدود التركية الفارسية شرقي الخط الذي يمر من كيفر الى شنوي ويمتد حتى اورمية وبرفقته ٨٠٠٠ مسلح من شعبه، كان يريد احتلال هذه الأراضي ويفتح لقوم أورمية ممر العودة الى مساكنهم. بينما في وقت مناسب يعود الجبليون الذين لايقبلون السكن في هذه البقاع نحو موطنهم في جبال حكاري. بعدها يشكل الآثوريون دولة عازلة في الأراضي بين تركيا وفارس والعراق، وربما سيكون قائدها آغا بطرس.. وسيكون برفقته عدد من الضباط البريطانيين بصفة مستشارين لا غير.

ويقول الدكتور أيوب بارزاني ان المشروع لم يكن مستحيل التطبيق عند توفر شروط معينة منها:

١ ـ ان لا يمانع الأكراد المحليون وان لا ينصاعوا للدعاية التركية المضللة.

٢ ـ ان لا يشكل الطريق الوعر الذي تم اختياره عائقاً لا يذلل امام نقل طوابير ضخمة من النساء والأطفال والمقاتلين.

٣ ـ أن يثبت بطرس قابليته في السيطرة على شعبه، لكي يراعوا الأنضباط خلال عملية ويحث الجبليين المولعين بالحرب مواكبة السهليين ـ إذ لم يكونوا مهتمين بهم على الأطلاق.... كان بطرس جرياً على عادة شعبه مستخفاً بكل العقبات على الطريق الذي كان يقود الى الرخاء لشعبه والمجد لشخصه. لقد تمت الموافقة على المشروع ربما دون تمحيص[٩].

في ١٥ او في ٢٧ تشرين الأول سنة ١٩٢٠ باشرت القوة الآثورية بالتقدم من مندان وكانت مؤلفة من أكثر من خمسة آلاف مقاتل مسلحين باسلحة جيدة ويشكل هذا الجيش خليطاً من أورومية وآخرين من قبائل جبال حكاري وكان بحوزتهم ١٢ مدفع جبلي وعشرات الرشاشات. ويرافقهم ضابطين من الأنكليز هما أرنولد كيبس وهومس لتقديم الأرشادات والمشورة

العسكرية ورفع التقارير للحكومة البريطانية لما تؤول اليه الأمور في هذه الحملة.

اتجهت هذه القوة نحو جبل عقرة باتجاه نهر الزاب الكبير، واعترض تقدم القوة بعض العشائر الكردية لكنها افلحت في إخماد هذه المقاومة واستطاعت القوة من عبور نهر الزاب الى الضفة اليمنى وعسكرت هناك لبضعة أيام بغية وصول أوامر جديدة، ونحن نقتبس هنا من كتاب يوسف ملك خوشابا في كتابه حقيقة الأحداث الآثورية المعاصرة فالكاتب لم يشر هنا الى الجهة التي تعطيهم الأوامر فيستطرد بقوله:

في هذه الفترة أرسل كل من آغا بطرس وملك خوشابا رسائل الى رؤساء العشائر الكردية بما فيهم الشيخ أحمد البارزاني مبينين لهم بأن هدف الحملة الآثورية هو فقط إرجاع الآثوريين الى مناطق سكناهم الأصلية وليس محاربة العشائر الكردية إذ يود الأثوريون العيش مع جيرانهم الأكراد بتفاهم وسلام، ولذا طلبا من العشائر الكردية عدم أبداء اية مقاومة او التعرض لقواتها عند تقدمها نحو هدفها المنشود، إلا ان رؤساء العشائر الكردية رفضوا ذلك وخاصة الشيخ أحمد البارزاني الذي أجاب بأنه سوف يمنع الحملة الآثورية من التقدم داخل عشائره بالقوة. ولما كانت العشائر الكردية قد احتلت مواضع محصنة على ضفة نهر الزاب اليسري مقابل القوات الآثورية لذا أمر كل من آغا بطرس وملك خوشابا قواتهما للقيام بهجوم خاطف على مواقع العشائر الكردية على ان تعبر الخيالة النهر أولاً ثم تعقبها المشاة تحت ستار نيران المدفعية والرشاشات المنصوبة على ضفة الزاب اليمني وفي لمح البصر عبرت الخيالة نهر الزاب ودخلت خنادق المقاومين حيث اشتبكت معهم بالسلاح الأبيض.. وعليه عبرت قوات المشاة وانقضت على مواضع المدافعين واستولت عليها جميعاً... ولما تراجعت القوات الكردية الى شروان مازن بعد احتلال مواقعها من قبل الآثوريين تقدمت القوات الآثورية المنتصرة يوم ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٠ الى قرية بارزان حيث مكثت فيها لمدة ثلاثة أيام[١٠].

نبقى مع المصادر الاثورية والتي تسهب في نقل تفاصيل المعارك، ولكن يمكن التوصل الى النتائج، والتي تشير الى تحشيد ذلك العدد الكبير من المقاتلين والأمكانيات اللوجستية التي سخرت لهم، فإن النتيجة كان الأخفاق دون تحقيق اي قدر من الأهداف المرسومة للعملية الواسعة. ويعزو نينوس نيراري اسباب فشل الحملة في عدم إطاعة الأوامر الصادرة من القيادة العامة وضعف الألتزام العسكري، كما يورد هنا جانب من الخلاف القبلي حينما يقول:

كان من اسباب الفشل وقوف بعض التجمعات بقيادة سرما خانم ضد أهداف الحملة وعدم مشاركة جميع الآثوريين في هذا الصراع الحاسم. وكذلك بسبب التدخل الأنكليزي في تبديل موعد الحملة المقرر في صيف ١٩٢٠ وتأخيره الى موسم الشتاء من تلك السنة الأمر الذي

ادى الى عرقة التقدم بسبب تساقط الثلوج والأمطار. ويستطرد نينيوس نيراري: ان الأنكليز لم يكونوا جادين في هذه الحملة، وإنما هدفوا من ورائها الأنتقام من الأكراد لقتلهم ضابطين سياسين منهم، كما ان الأنكليز نجحوا في حبك وقيعة بين آغا بطرس وملك خوشابا حيث استدعي الأخير الى الموصل وأطلع على ورقة مزيفة تبين كيف ان آغا بطرس يسخرهم لمنفعته الشخصية..[١١] باعتقادي ان القضية كانت تخص الآثوريين بشكل رئيسي، وإن كان للأنكليز هدف للانتقام من الأكراد فلا يستوجب ذلك التحشيد، ومع وجود هذا الهدف، فإن العنصر الرئيسي في نجاح او فشل المهمة هم العنصر الآثوري فهو اللاعب الرئيسي وهي قضيته بالدرجة الأولي، ولا اعتقد من مصلحة البريطانيين ان يكتب الفشل للمهمة التي انفقت عليها كثيراً.

وهكذا نلاحظ ان البريطانيين يحملون الأثوريين أنفسهم أسباب فشل هذه الحملة منها اختيار طريق غير سليم والموعد المتأخر للبدء بالمسيرة وسوء التموين، وعدم كفاءة القيادة، لكن السبب الحقيقي هو عدم وجود مشاعر مشتركة وتنظيم كفوء ضمن صفوف الآثوريين أنفسهم. وحسب تصوري فثمة سبب مهم ايضاً وراء الفشل وهو الخلاف العقائدي المذهبي بين القائد آغا پترس وهو كاثوليكي كلداني وبين سرما خانم وهي نسطورية آثورية فالخلاف المتجزر في الهرم القيادي كان واحداً من الاسباب الرئيسية في فشل الوصول إلى الهدف.

لا نريد الأسهاب في هذه التفاصيل لكن من المؤكد ان لبريطانيا اهدافها الخاصة وقد يكون من بينها أسكان الآثوريين في مناطقهم الأصلية، وقد تكون الحملة تشكل رسالة موجهة للأتراك بالتلويح لهم بهذه القوة إن هي طالبت بضم ولاية الموصل اليها. لكن في كل الأحوال فقد اوغرت صدر الأكراد على الآثوريين، ومن جانب آخر عكرت صفو العلاقة التاريخية الطيبة التي كانت قائمة بين البارزانيين والآثوريين في جبال حكاري. وكان الأعتقاد عن بريطانيا انها تنوي إزاحة البارزانيين من مناطقهم لأسكان الآثوريين، فقد ازدادت الريبة في مخططات البريطانيين، وفي شهر أيلول ١٩٢٢ اشترك حوالي ١٠٠ مسلح بارزاني في الحملة على القوات الآثورية التي يشرف عليها البريطانيون والمتواجدة في العمادية لكن هذه القوة لم تتمكن من الصمود في المدينة سوي ليلتين، اضطرت بعدها الى الأنسحاب والعودة الى بارزان، وبعد شهر تعاون السلاح البريطاني مع القوات الآثورية في ضرب بارزان للمرة الثانية[١٢].

في سنة ١٩٢٣ انسحب الأتراك من رواندوز وارتأت السلطات البريطانية مسايرة شيخ بارزان ولو وقتياً كما مر سابقاً في هذا الفصل فالغي قرار خروجه عن القانون، وهذا مكنها من التفرغ لمنطقة السليمانية التي كانت تعم فيها الأضطرابات.

السليمانية القطب الآخر للثورة

الصراع المزمن بين الحكومات العراقية والأكراد كان يتقاسمه قطبان جيوسياسيان في كردستان العراق، الأول يتمثل في منطقة بهدينان وتكاد قيادته تدور حول محور بارزان، ويتغلب علي مشهدها الطابع القروي او الريفي، وتكون القرى والأرياف وجبالها ووديانها وشعابها الوعرة هي محور المعارك العسكرية. اما الجانب الجغرافي الأخر فيتمل بمنطقة السوران والذي تتمحور قيادته في مدينة السليمانية، وقد جسد هذه القيادة بالشيخ محمود البرزنجي الذي لقب بملك كردستان. ويمكن إطلاق مصطلح الحركة المدينية (من المدينة) حيث لها طابع مديني، وهي مهتمة أيضاً بالجانب الثقافي، وعليه كانت السليمانية مركزاً اشعاعياً للأدب والثقافة بمختلف مشاربها. ظلت مدينة السليمانية متمردة على الحكومة العراقية لا تريد الأنضمام الى الكيان العراقي بل شعرت بأهمية استقلالها.

في تركيا اصبح الكماليون في موقف قوة وكان لموقعهم هذا تأثير كبير على نتائج معاهدة لوزان التي وقعت في ٢٣ تموز ١٩٢٣ وخرج منها الأكراد وألأقليات الأخري من المولد بلا حمص كما يقال، فالوعود السابقة والحقوق المدرجة في معاهدة سيفر عام ١٩٢٠ بإيجاد دولة كردية او مرتبة كبيرة من الحقوق اصبحت في مهب الريح بعد هذه المعاهدة.

وفي هذا السياق كان اتفاق قد تم بين الحكومة العراقية والسلطات البريطانية في القضاء على التطلعات الكردية في الأستقلال. في السليمانية كان الشيخ محمود قد شكل حكومة كردية ولم يمض عليها سوى خمسة أشهر حينما تلقى الشيخ محمود الحفيد، ملك كردستان إنذاراً مشتركاً من السلطات البريطانية والحكومة العراقية طالبين منه المجئ مع اعضاء حكومته الى بغداد، ومن البديهي ان يرفض الشيخ محمود هذا الأنذار، وكانت هذه حجة للعودة الى منطق القوة وبدأت الطائرات الحربية تشن غاراتها على المنطقة وفي الثالث من آذار ١٩٢٣ قصفت الطائرات بصورة مكثفة مدينة السليمانية وأضطر الشيخ محمود الى مغادرة المدينة والتجأ الى كهف قرب سردشت..

وفي ١٦ أب ١٩٢٣ هاجمت الطائرات البريطانية مقر الشيخ محمود واستخدمت القنابل الكبيرة لأول مرة في كردستان لكن القوات الكردية ظلت تقاوم، وفي بداية تموز ١٩٢٤ قررت الحكومة العراقية احتلال مدينة السليمانية وفي ١٩ تموز ١٩٢٤ تمكنت من احتلال المدينة وانسحب منها الشيخ محمود الى برزنجة ثم الى بنجوين ومن هناك واصل هجماته على مواقع قوات الأحتلال حتى تخوم مدينة السليمانية، بينما استمر السلاح الجوي البريطاني في قصف كردستان واستخدمت لأول مرة القنابل المحرقة ضد السكان وعين الضابط البريطاني

السياسي جابمن بمثابة الحاكم على مدينة السليمانية، بينما التجأ الشيخ محمود الى فارس.. وفي نهاية ١٩٢٥ صادقت عصبة الأمم بضغط من بريطانيا على لجنة تقصي الحدود بين العراق وتركيا.. وثبت خط بروكسل كحد فاصل لحدود البلدين.[١٣]

من جانب آخر أبرمت الحكومة العراقية وبريطانيا معاهدة جديدة في ٤ كانون الأول ١٩٢٧ تقضي بقيام بريطانيا بتقديم توصية الى عصبة الأمم تطالب فيها بانضمام العراق الى العصبة في عام ١٩٣٢ م، لكن كانت هنالك بعض الخلافات بين الطرفين حالت دون تصديق المعاهدة في وقتها المحدد، وقد تأجل ذلك الى ان اصدر اعلان تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ حيث جاء حزب العمال الى الحكم، ونص على موافقة الحكومة البريطانية على انضمام العراق الى عصبة الأمم بدون شروط وذلك سنة ١٩٣٢ م وانتهاء الأنتداب البريطاني.

كان هاجس الأكراد في محله بأن تهمل حقوقهم هذه المرة ايضاً، وكان فحوي سؤالهم يدور حول ماذا يكون مصير الأكراد حينما تنتهي السيطرة البريطانية؟ إن قلق الأكراد هذا كانت تجسده المظاهرات والأضرابات الصغيرة التي كان يدعو اليها القوميون الأكراد في المنطقة الكردية، كذلك ظهور عدد من المنظمات والجمعيات الكردية السرية التي كانت تعمل بين الجماهير الكردية.

من جانبه كان المندوب السامي البريطاني يسعي الى تهدئة الأوضاع والى طمأنة الأكراد، ومن أجل ذلك اتفق ميجر يونغ وجعفر باشا على القيام بجولة في الألوية الكردية، وتمكن ميجر يونغ من إقناع البرلمان العراقي باستغلال الفرصة والأعلان عن سياسة لينة تجاه الأكراد، وتضمنت هذه السياسة نية الحكومة في إصدار قرار لتنفيذ المقررات الخاصة بقرار عصبة الأمم لعام ١٩٢٥ المتعلق بالكورد، وذلك بجعل اللغة الكردية اللغة الأدارية الرسمية في الألوية ذات الأغلبية الكوردية، وكذلك في القضاء والعدل والتربية والتعليم، وسمي هذا بقانون اللغة الكردية، وفي هذه الجولة قُرأ على زعماء الكورد في كركوك والسليمانية وأربيل البيان الآتي:

يبدو لي ان بعض الأفراد غير المسؤولين نشروا شائعات مفادها ان الحكومة البريطانية تقوم بتشجيع القومية العربية والكوردية ليس فقط لأيقاع الحكومة العراقية في أزمة فحسب بل الحكومتين الأيرانية والتركية الصديقتين أيضاً، ولا شئ يمكن أن يكون ابعد من الحقيقة ان يتخيل شخص انه بالحضور اليّ سوف يجد التشجيع في سياسة كتلك التي أشرت اليها فإنه سيرتكب خطأً فادحاً.

وقال جعفر باشا: أن سياسة حكومته لن تتغير فيما يتعلق بالحقوق الكردية بسبب التوقيع على معاهدة ١٩٣٠ وأردف قائلاً:

إن حكومة العراق عازمة على الأخذ بعين الأعتبار الوعود التي قدمت للكورد فعلاً وذلك بهدف إرضاء وإشباع تطلعات إخواننا.. ويجب ان تشعروا بصورة مؤكدة بأن بريطانيا والحكومة العراقية على اتفاق تام حول السياسة التي تم الأعلان عنها من قبلي[١٤].

إن الوعود لم تكتمل مع توالي الأحداث إذ اتفق المسؤولون البريطانيون والعراقيون على اتخاذ موقف مشترك إزاء الألتماسات الكردية بإقامة دولة كردية، بذريعة ان الأكراد لا يملكون الخبرة والتجربة في إدارة الحكم الذاتي، وامتعض القوميون الأكراد من فشل الحكومة العراقية في تنفيذ وعودها للأكراد وحينما سعت الحكومة العراقية الى إجراء انتخابات في الشمال وكان ذلك في ايلول ١٩٣٠ وكانت الأنتخابات السبب في اندلاع المظاهرات في مدينة السليمانية وتم رشق الشرطة بالحجارة من قبل المتظاهرين وحدث اصطدام مع الشرطة فقتل وجرح عدداً من المتظاهرين والقوات الحكومية، واعتقلت العشرات منهم، ثم أطلقت سراحهم لكن من بين المحتجزين اعضاء في اللجنة القومية الكردية الذين اقتيدوا الى كركوك وحوكموا هناك ثم أفرج عنهم وكان من بينهم الشيخ قادر وهو شقيق الشيخ محمود، وبعد أيام أجريت الأنتخابات في السليمانية تحت حراسة القوات الحكومية والبريطانية.

وكان قمع هذه الأضطرابات يشكل ضرورة خشية أنتشارها الى المناطق الأخري من كردستان، وكان أيضاً يشكل استجابة مساعدة للأتراك الذين كانوا يقومون بقمع انتفاضة الأكراد التي اندلعت في أرارت في كردستان الشمالي.

لكن الأوضاع لم تشهد في كردستان هدوءاً بعد احداث السليمانية فقد تجددت المقاومة في منطقة بارزان حينما استخدمت الحكومة القوة العسكرية لبسط سيطرتها على منطقة بارزان تحت ذريعة إقامة إدارة مدنية فيها، لكنها في الحقيقة ان السلطات العراقية والبريطانية كانت تزمعان على وضع حد لنشاطات وتوسع نفوذ الشيخ احمد البارزاني في المنطقة، وحسب التقارير الحكومية قد مخاوف السلطات العراقية والبريطانية، ففي مايس ١٩٢٩ كان قائد معسكر الغزلاني بالموصل ابراهيم فهيم قد حذر السلطات الحكومية من قيام الشيخ أحمد بحركة معادية ضد الحكومة، مقترحاً قيام الجيش بمهاجمته، وأكد تقرير آخر ضابط الخدمات الخاصة البريطاني في شهر كانون الأول سنة ١٩٢٩ ان الشيخ احمد يستلم على الدوام رسائل من مناطق زاخو وروانذوز حول موضوع استقلال الكورد[١٥].

كان القوميون الأكراد يريدون ان تشعر الحكومتين البريطانية والعراقية بقلقهم من توقيع المعاهدة التي أبرمت بينهما عام ١٩٣٠، وكانت هذه الأنتفاضة صفحة من الأحتجاج على تلك المعاهدة التي اهملت حقوق الأكراد، وكانت المواجهة التي حدثت في ٦ أيلول أمراً طبيعياً متوقعاً. إن طريقة تعامل الحكومة البريطانية مع الأنتفاضة هي دلالة على انها كانت وما تزال

ملتزمة بسياسة ما بعد تسوية مشكلة الموصل في كردستان، حيث كانت تسعى الى حل وسط يرضي الجانب الكردي والحكومة العراقية. حيث استمرت بالضغط على الحكومة العراقية بغية تنفيذ السياسات الأسترضائية تجاه المعتدلين من القوميين الكورد، وكان البريطانيون عازمين على قمع الأنفصالية الكوردية والتي كانت تهدد مصالحهم في العراق وتركيا وأيران. ومن أحد أبرز النتائج المباشرة لانتفاضة أيلول هي عودة الشيخ محمود ليتزعم ثورته الثالثة والأخيرة ضد الحكومة[١٦].

ما كان يقلق بريطانيا والحكومة العراقية في تلك الفترة، هي تلك التقارير التي تتحدث عن اتصالات محتملة يجريها الزعيمان الكرديان الشيخ احمد البارزاني والشيخ محمود الحفيد مع سلطات الأنتداب الفرنسي في سورية في مسعىء منهما للحصول على الدعم الفرنسي لنيل الأستقلال، وما كان يشاع عن هذا الموضوع ان فرنسا لا ترغب في استقرار العراق لكي لا ينتهي الأنتداب البريطاني عن هذا البلد فتحذو حذوه سوريا حيث تدعو الى انهاء الأنتداب الفرنسي. وكان من شروط انهاء الأنتداب ان يكون البلد قادراً على حفظ النظام والأمن والأستقرار في كل ارجائه لكي يصبح مؤهلاً لأنهاء الأنتداب عليه.

لاشك ان عدم التكافؤ في ميزان القوى بين الأكراد من جهة والحكومة العراقية وبريطانيا من جهة ثانية مما دفع الزعيمين الكرديين الى طلب المساعدة من الدول الأخرى منها فرنسا.

إجمالاً لم تبق منطقة بارزان بعيدة عن المؤثرات السياسية والنشاط السياسي الذي عم كردستان بعد عقد معاهدة ١٩٣٠ حيث طالب الشيخ احمد البارزاني بالحكم الذاتي للأكراد، وفي هذا السياق ايضاً رفع الشيخ احمد البارزاني طلباً الى عصبة الأمم حول منح الكورد الحكم الذاتي، بعد ذلك كان من الطبيعي ان تفكر الحكومة العراقية بالتعاون مع السلطات البريطانية في اهمية السيطرة على منطقة بارزان وإنهاء نفوذ الشيخ احمد في المنطقة وحاولت الحكومة الأستعانة ببعض الشخصيات الكردية لاقناع الشيخ على الأستسلام، وقد كلفت الشخصية الكردية المعروفة ماجد مصطفى حيث يحظى باحترام كبير في الأوساط الكردية، وحينما لم تجد نفعاً تلك المحاولات في استسلام الشيخ البارزاني، لجأت الى استخدام القوة العسكرية.

كانت اول محاولة لاستخدام القوة العسكرية في ٩ كانون الأول ١٩٣١ ومنيت القوات الحكومية بخسائر كبيرة مما خلق خلافات حادة داخل الحكومة، وقرر مجلس الوزراء في ١٢ كانون الثاني ١٩٣٢ بشن حملة عسكرية جديدة على منطقة بارزان وكان الهجوم هذه المرة بدعم من سلاح الجو البريطاني الذي كان لتعاونة مع قوات الحكومة العراقية الأثر الكبير في حسم الموقف لصالحها، ومن إجبار البارزانيين على ترك قراهم في حزيران واللجوء الى تركيا

التي حددت مكان إقامة الشيخ أحمد ومساعديه في مدينة أدنة التركية، ثم ما لبثت السلطات العراقية ان اعلنت الأحكام العرفية في مناطق الحركات الكوردية، وفي سنة ١٩٣٤ عاد الشيخ احمد الى العراق وحددت الحكومة محل إقامته في مدينة الموصل ثم نفته الى جنوب العراق[١٧].

ثورات الشيخ محمود الحفيد البرزنجي

في غضون عقد ونيف من السنين قام الشيخ محمود البرزنجي بثلاث ثورات وذلك بين اعوام ١٩١٨ ـ ١٩٣١ وكان العامل المشترك لهذه الثورات ان ساحتها كان لواء السليمانية، ولم تثمر جهود الشيخ محمود بوضع هذه الثورات بإطار قومي، وكان العامل الرئيسي في إخفاق هذه الثورات هو استخدام السلاح الجوي البريطاني في قمعها.

في نهاية تشرين الأول ١٩١٨ الحقت بريطانيا هزيمة بالجيش العثماني على أراضي كردستان العراق، وفي هذه الفترة انتعشت أمال الأكراد في نيل حقوقهم بعد الأنعتاق من النير التركي. ومن جانبها كانت بريطانيا بحاجة الى من يسد الفراغ السياسي والأمني في المنطقة، وكان الشيخ محمود الحفيد كأقوى شخصية في حينه للقيام بهذه المهمة، وأرسل ميجور نويل وهو رجل مخابرات بريطاني الى السليمانية لمساعدة الزعيم الكردي محمود الحفيد لبسط النظام والقانون في ربوع المنطقة. وبهذه المناسبة عقد اجتماع في مدينة السليمانية وقرر في هذا الأجتماع تشكيل حكومة كردية، وكان لهم موقفاً ودياً من بريطانيا التي عملت على تخليصهم من الحكم التركي. ورحب الناس في هذه المدينة بالميجر نويل وسرعان ما عين الشيخ محمود حاكماً في إحدى المقاطعات (حكمدار: Hukumdar) كما عين زعماء آخرون على مديريات أخرى الذين كانوا يعملون أصلاً تحت إشراف المسؤولين البريطانيين[١٨]. عكف الشيخ محمود على إحكام قبضته على المناطق التي وضعت تحت إدارته كحاكم، وسعى الى توطيد علاقاته مع زعماء القبائل بمنحهم المساعدات وهي جزء من المساعدات التي كان يتلقاها من الحكومة البريطانية من اجل توطيد سلطته وكسب التأييد والولاء بين العشائر واعطى المناصب الى أقربائه ومؤيده. واستطاع الشيخ محمود السيطرة على الأمور في السليمانية لكنه اتهم باستخدام القسوة،



الشيخ محمود الحفيد

وبات البريطانيون يخشون اطماع الشيخ محمود ولا يريدون ان يستوعب حجماً اكثر من الذي يرسموت له، ولهذا وضعت خطة من اجل تقليل نفوذ الشيخ محمود تدريجياً وتجنب المواجهة العلنية معه.

وفي الحقيقة فإن الشيخ محمود أدرك هذه الحالة ولهذا كان عليه ان يأخذ زمام المبادرة قبل ان تستفحل الأمور. في شهر ما يس ١٩١٩ قام الشيخ محمود بالسيطرة على السليمانية وألقي القبض على عدد من المسؤولين البريطانيين وأودعهم السجون بضمنهم الضابط السياسي المسؤول في السليمانية، وأعلن الشيخ محمود استقلال دولة كردستان ورفع العلم الكردي.

كانت بريطانيا حريصة بأن يبقى العراق موحداً بضمنه مناطق كردستان الجبلية التي أردات بها بريطانيا حدود العراق الشمالية التي تفصلها عن تركيا وأيران، وينبغي الا تتهاون بريطانيا في وجه اية حركة كردية تعمل على فصل هذا الجزء من العراق ومهما كانت المبررات، وكان عليها ان تحسم الأمر مع الشيخ محمود.

في ١٧ حزيران ١٩١٩ طوقت القوات البريطانية قوات الشيخ محمود في منطقة مفرق بازيان في قره دا غ.. وبمساعدة رجال المرتزق مشير آغا الهماوندي، كانت القوات الكردية تتوقع الهجوم من الجهة الأمامية على الأسلوب العثماني في الهجوم، ولكنهم فوجئوا من الخلف ووجدوا انفسهم محاطين من كل الجهات. وفي هذه المعركة التي لم تكن متكافئة من ناحية العدد والعتاد تم القضاء على قوة الكورد وأسر قائدها الشيخ محمود وتمت محاكمته وحكم عليه بالأعدام، إلا أن الحكم خفف الى السجن مدي الحياة ثم نفي الى جزيرة أندوان في الهند. قام الأنكليز بعد ذلك باتباع سياسة الأرض المحروقة تجاه المناطق التي ساندت الشيخ محمود، وهدأت الأوضاع في غضون خمسة وأربعين يوماً في جنوب كردستان وتمكن ميجر سون من إتمام سيطرته الكاملة على السليمانية[١٩].

إن الأوضاع في المنطقة لم يكتب لها الأستقرار النهائي بعد تداعيات الحرب العالمية الأولى وستشهد هذه المنطقة المزيد من الصراعات من أجل تحقيق المصالح على ضوء نتائج الحرب.

في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٠ اصدرت حكومة مصطفى كمال التي حققت انتصارات عسكرية على الأرض بيان عرف باسم ميثاق عمل الذي أشار الى حق تقرير المصير للمناطق العربية جنوب خط هدنة ١٩١٨ في حين اهمل هذا الميثاق او الأعلان عن فكرة فصل ولاية الموصل عن الممتلكات العثمانية وعن منح المناطق الكردية الحقوق القومية أسوة بالمناطق العربية.

لكن الحلفاء تحاشت هذا الأعلان وأعدت المعاهدة التي تتضمن التجزئة الكاملة

للأمبراطورية، وهي معاهدة سيفر وكانت المادتين ٦٢ و٦٤ تشيران بصورة جلية الى حق الأكراد، تنص المادة ٦٤ من معاهدة سيفر:

إذا تقدم الشعب الكردي الساكن في المنطقة المشار اليها في المادة ٦٢ خلال سنة واحدة من وضع المعاهدة موضع التنفيذ، بطلب الى عصبة الأمم يتضمن اسباباً من شأنها ان تؤيد رغبة اكثرية سكان تلك المناطق في الأستقلال عن تركيا، وإذا ارتأى المجلس منحهم الأستقلال، فإن تركيا توافق على تنفيذ هذه التوصية وتتخلي عن كل حقوقها وممتلكاتها في تلك المناطق، وعندما يتم هذا التخلي فإن دول الحلفاء الكبري لا تعارض في أي انضمام اختياري من هذه الدولة الكردية المستقلة الى الأكراد القاطنين في الجزء من كردستان الذي كان يؤلف حتي الآن ولاية الموصل.

هذا وقد نصت المادة ٦٢ من معاهدة سيفر على ضمان حقوق الأقليات والمكونات القومية الأخري كالآشوريين والكلدانيين وهذا نص المادة ٦٢ تقول:

المادة ٦٢: تتولي هيئة، تتخذ مقرها في اسطنبول مكونة من ثلاثة أعضاء تعينهم حكومات كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا، التحضير أثناء الأشهر الستة الأولى التي تعقب تنفيذ هذه الاتفاقية، لوضع خطة لمنح حكم محلي للمناطق التي تسكنها غالبية من الأكراد والتي تقع إلي شرق الفرات والي جنوب الحدود الأرمينية التي ستحدد فيما بعد، والي شمال الحدود بين تركيا وسورية وبلاد ما بين النهرين، وعلي النحو المحدد في المادة ٢٧ من القسم الثاني (٢ و٣) وفي حالة عدم توافر إجماع في الآراء بصدد أي قضية، يحيل أعضاء الهيئة المذكورة كل إلي حكومته، وينبغي أن توفر الخطة ضمانة كاملة لحماية الآشوريين والكلدانيين والجماعات العرقية أو الدينية الأخري في المنطقة، ولهذا الغرض ستزور المنطقة هيئة مكونة من ممثلي بريطانيا وفرنسا وايطاليا وبلاد فارس والأكراد لكي تتولي تحديد أي تعديل – أن وجد – ينبغي إدخاله على الحدود التركية أينما تلتقي مع الحدود الفارسية وذلك على النحو الموضح في هذه المعاهدة.

إن بنود هذه الأتفاقية لم تنفذ في ضوء تنامي النجاحات العسكرية التي حققا مصطفى كمال في الأناضول، وبموجب الفرضية التي تقول: ان الحق والعدالة هي التي يكتبها المنتصرون في كل حقب التاريخ.

في الحالة الكردية علينا ان نعترف ان حلم كردستان المستقلة سجل في وثيقة دولية ولم ينس قط، ولم يتقرر مصير ولاية الموصل نهائياً إلا بعد ست سنوات وظلت روح التطير السوداء تحوم في الجو السياسي وتصيب بشرورها كل الجهات الرامية الى إنشاء إدارة

ثابتة مستقرة[٢٠]. إن افتراق المصالح يعني تغييب الأستقرار، ويبدو ان الشعب الكردي هو الذي يحمل على كاهله هذه النتائج فهو المتضرر الأول، لأن القضية هي قضية الشعب الكردي والأرض هي أرض كردستان.

الحكم الملكي وتداعيات القضية الكردية

وصل الأمير فيصل وهو الأبن الثاني لحسين شريف مكة الى البصرة في حزيران ١٩٢١ على ظهر سفينة بريطانية، وفي ٢٣ آب أعلن ملكاً على العراق بعد استفتاء عام كانت نتيجته ان ٩٦٪ أيدو اختياره، لكن لواء السليمانية رفض الأشتراك في هذا الأستفتاء، وكانوا يريدون إدارة كردية بحتة ومن جهتهم كان الأتراك يضاعفون جهودهم لحث الناس على الثورة وضد انضمام ولاية الموصل الى العراق، لقد كانت عوامل كثيرة تحث الناس على الثورة. وكان لواء السليمانية رغم تمتعه بالأستقرار اثناء الثورة العربية في العراق إلا ان كثير من القبائل كانت تضمر الثورة، ففي آب ١٩٢١ هاجمت رانية قوة من القبائل يدعمها جنود ترك وكان شيوخ اسرة البرزنجة يهدفون الى أعادة الشيخ محمود الى وطنه وتنصيبه رئيساً للدولة الكردية التي يطمح اليها الأكراد. فالأكراد كانوا يصبون الى إقامة كيان سياسي خارج الأطار السياسي للدولتين التركية والعراقية العربية.

الأدارة البريطانية من جانبها كانت تهدف الى خفض النفقات وكانت تسعى الى افضل السبل الى التقليل من تلك النفقات التي لاتري فيها جدوي، وقد رأت الحكومة البريطانية باستبدال الحكم البريطاني المباشر بحكم كردي غير مباشر وذلك بأتيان بشخصية كردية بارزة تستطيع نيل الثقة الشعبية، وكان من بين ما طرح من اسماء كان الشيخ محمود، فيقول أدموندز: لذلك لم يكن من بمستغرب في هذا الوضع ان نجد (غولد سمث) مضطراً الى التوصية بإعادة الشيخ محمود الى منصبه. أما رأيي الخاص فإن الشيخ محمود لم يكن يرجي التفاهم معه بأية حال.. وقد أبدي (نويل) شكه الكبير في وجود أية حكمة في القرار المتخذ بإعادة رجل ثبت من تجارب الماضي انه صعب الأنقياد. ولكن منطق بعض الأشخاص رأي ان الرجل قد حفظ دروسه. ولسرعة تعاقب الأحداث اضطررنا الى القيام بذلك.[٢١]

يبدو من ناحية أخري بأنه ثمة طلب شعبي لعودة الشيخ محمود وفي مقدمة من يراهن على جدوى عودته القوميون الأكراد فهو مصدر لتعزيز المشاعر القومية للشعب الكردي. في تشرين الأول عام ١٩٢٢ وصل الشيخ محمود الى السليمانية واستقبل بحماس كحكمدار لكردستان. وبعد شهر من وصوله اعلن الشيخ نفسه ملكاً على كردستان وكوّن مجلساً يضم تسع وزراء واتخذ اجراءات أخري لتدبير شؤون القضاء والتربية وأصدر صحيفة روز كردستان كصحيفة

رسمية للحكومة.

البريطانيون أرادوا للشيخ محمود دوراً وهو ان يكون دوره محصوراً في السليمانية مع بقائه على ولائه للحكومة البريطانية وللملك فيصل ملك العراق، لكن ينبغي دائماً ان نأخذ بنظر الأعتبار الظروف الموضوعية المحيطة والتي في بعض الأحيان تتمخض عن ولادة ثورة او بروز شخصية قيادية تمليها تلك الظروف. وهذا ما ينطبق الى حد ما على الظروف التي احاطت بالشيخ محمود حينما عاد الى كردستان وانهالت عليه الولاءات في ظل المشاعر القومية المتنامية. في هذه الظروف المواتية اعلن الشيخ محمود في تشرين الثاني نفسه ملكاً على كل كردستان، وحضر نويل كقنصل بريطاني حفلة التتويج.

إن البريطانيين خلعوا لقب الملك على الشيخ محمود الحفيد لكن المطلوب منه كان ان يسير في فلكهم والطريف هنا يكتب خالد القشطيني في جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتارخ ١٧ / ٢ / ٢٠٠٨ وعن زميله رشيد الخيون يقول: عندما طالب الشيخ محمود الحفيد الأنكليز ان يحققوا لكردستان استقلالها حسب ما وعدوا به في معادة سيفر، بعث المندوب السامي البريطاني الكوانيل ولسن، بضابط من معيته الى السليمانية ليفاوض الشيخ محمود في الأمر. قال له ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية مستعدة لأعطاء كردستان الأستقلال وتعيين الشيخ محمود ملكاً عليها على شرط واحد وهو الا يقوم الشيخ الملك بأي شئ مهما كان صغيراً او كبيراً بدون أمر من المندوب السامي. استمع الزعيم الكردي لذلك ثم قال للموفود البريطاني (خليني أفكر بالموضوع).

فكر بالموضوع ثم اجتمع به في اليوم التالي وقال له:

حسناً، ولكن عندي فكرة أخرى. وهي ان يصبح الكولونيل ولسن ملكاً على كردستان وأكون انا المندوب السامي له.

كان الشيخ محمود يطمح الى دخول كل اراضي كردستان تحت لواء مملكته، وهنا كانت بداية الصرا ع من اجل السيطرة على الأراضي خارج لواء السليمانية، ثم كانت مسألة انتخاب المجلس التأسيسي للدولة العراقية والجدلية الدائرة فيما إذا كان اشتراك الأكراد في تلك الأنتخابات تعني رضوخهم للدولة العراقية وانتهاء آمالهم في الحكم الذاتي. أما بريطانيا فكانت تريد من الشيخ محمود ان يلبس الثوب الذي يفصل له في الدوائر البريطانية.

إن تركيا كانت من جانبها تسعى الى تعكير صفو العلاقة بين الشيخ محمود وبريطانيا بتغذية الروح القومية للأكراد، وبأن تركيا هي التي تمنح هذه الحقوق وفي غضون ذلك قبل الشيخ محمود بالطلب التركي بأرسال شخصين كممثلين (نواب) للأكراد عن ولاية الموصل في

البرلمان التركي، وستكون بذلك لتركيا الأحقية في اقليم الموصل.

لهذا السبب لم يكن أمام بريطانيا سوى اللجوء الى القوة وذلك بالقيام بغارات جوية مكثفة على معاقل الشيخ محمود في السليمانية.. وفي نيسان ١٩٢٣ قامت فرقتان من المشاة تدعمها مقاتلات من القوة الجوية الملكية بهجوم مفاجئ على راوندوز، ثم كان الألتفاف على مدينة السليمانية والتجأ الشيخ محمود الى المناطق الجبلية وشكلت القوات البريطانية من المعتدلين والموالين بتكوين إدارة لها في المدينة وفي ١٤ حزيران ١٩٢٣ استقال المجلس الأداري في السليمانية وأرسل الشيخ محمود أنصاره لأدارة المدينة وفي ١١ تموز عاد الشيخ محمود بنفسه وباشر بدوره كحاكم[٢٢].

وفي هذه الأثناء ارادت بريطانيا الحد من سلطات الشيخ محمود خارج مدينة السليمانية، مع مسايرته قدر الأمكان وتجنب الأصطدام معه، واستمرت هذه الحالة الى اواسط تموز ١٩٢٤، حيث نجحت الحكومة البريطانية في تمرير المعاهدة العراقية البريطانية والمصادقة عليها، وعندها رأت بريطانيا ان الوقت قد حان لتصفية الحساب مع الشيخ محمود وأرادت ان تخلق وضعاً مستقراً في كردستان قبل حضور لجنة التحقيق لعصبة الأمم في زيارة لكردستان وفي اواسط كانون الأول عام ١٩٢٤ بدأت بحملتها العسكرية والتي عززتها بهجوم جوي مكثف اجبر الشيخ محمود وانصاره الى الهرب واللجوء الي المناطق الجبلية على الحدود الأيرانية.

وعن متابعة مصير الشيخ محمود الحفيد البرزنجي نقرا في التقرير البريطاني لعام ١٩٣١ الذي يقول:

إن عمليات حرب العصابات ضد الشيخ محمود والتي بدأت في أيلول ١٩٣٠ انتهت أخيراً في شهر مايو أيار، قضى الشيخ محمود شهري كانون الثاني وشباط (١٩٣١) في المنطقة المتاخمة للحدود الفارسية شرق السليمانية وشمال حلبجة. هذا وقامت قواتنا بعدة عمليات تطويقية لكن دون نجاح، وفي وقت مبكر من شهر زحف الشيخ نحو قردا غ ثم تحرك باتجاه سهول كفري وأرسل من هناك عدة مفارز عبر نهر ديالي لحث عشائر الشيخان على العصيان مهدداً في نفس الوقت مدينة خانقين.

إن العامل الذي أوقف انتفاضة العشائر في هذه المناطق كان حزم العمليات الجوية إضافة الى تحرك قوات البوليس مصحوباً بالقصف الجوي لأرغام الشيخ محمود إما على ترك القتال او الأنسحاب نحو الشمال. ويمضي التقرير الى القول: في ٥ نيسان استطاع رتل خليط من قوات البوليس والخيالة العراقية دخول في قتال ضد القوة الرئيسية تحت قيادة الشيخ محمود

مباشرة، وجرت المعارك في قرية (أويباريكا) الواقعة عشرين ميلاً شرق مدينة طوز، ورغم تعرضهم لهجوم شديد من الجو والبر فإن القوات القبلية حاربت بشجاعة وصمدت حتي حلول الليل وتمكنت القوة من النجاة تحت جنح الظلام... بعد هذه المعركة انسحب الشيخ محمود نحو الشمال ولاحقته الطائرات باستمرار، وفي حوالي ٢٠ من شهر نيسان انسحب نحو الحدود الفارسية الى ملجئه القديم في قرية بيران، وتختتم الوثيقة قولها:

أنه اتخذت الأجراءات اللازمة بالأتفاق مع الحكومة الفارسية لتنسيق العمليات العسكرية ضد الشيخ محمود ولم يعد للشيخ محمود مفر.

وجرت مفاوضات بين الشيخ محمود والكابتن البريطاني هولت وهو السكرتير الشرقي للمندوب السامي وبعد ثلاثة أيام من المفاوضات في بنجوين وافق الشيخ محمود على الأستسلام في ١٣ مايس ١٩٣١، ووافق على الأقامة في المكان الذي تعينه الحكومة العراقية واقتيد الى السليمانية برفقة حماية من الخيالة ومن هناك نقل في ١٥ مايس بالطائرة الى اور ومنها الى الناصرية، وقضي الشيخ بقية عمره في المنفي الى ان وافته المنية في عام ١٩٥٦م[٢٣].

استهداف الشيخ أحمد البارزاني

ان تجارب الأكراد المريرة مع الوعود التي تقطعها الحكومة البريطانية والحكومة العراقية، حيث لم يقبض الأكراد شيئاً ملموساً من تلك الوعود، إن المحصلة النهائية لهدف الحكومة هو ترويض الأكراد لأجندتها وتعمل على ادماجهم في الخارطة العراقية وفق السياقات التي تراها الحكومات العراقية المتعاقبة.

في عام ١٩٢٧ دعا الشيخ أحمد البارزاني الى الأنتفاضة وكانت مطالبه المقدمة الى بغداد تتضمن تحسين الوضع المعيشي للسكان وبناء المدارس وإنشاء الطرقات والأعتراف بالأدارة الكردية، وفي ١٦ آذار عام ١٩٢٨ التقي الشيخ أحمد البارزاني مع القومسيار البريطاني، وأتفق الطرفان على وقف الأنتفاضة مقابل الوعد بإجراء الأصلاحات، وتوقفت الأنتفاضة وفعلاً نفذ البريطانيون بعض وعودهم حول تحسين الأوضاع في كردستان[٢٤].

من الصراعات المزمنة في المنطقة كانت النزاعات بين اغوات الزيبار وشيوخ بارزان والتي تمتد جذورها الى العهد العثماني، وحينما وصل البريطانيون ورثوا المنطقة التي تعاني من تلك المشاكل، وقد اختارت الأدارة البريطانية الوقوف على الحياد بين الطرفين، وحينما استولى البريطانيون على ولاية الموصل شرعوا في مدّ إدارتهم الى المناطق الكردية وعكفوا على إجراء بعض التعديلات الأدراية على القائمقاميات ومراكز النواحي التي كانت سائدة في

العهد العثماني. فألحقوا بارزان بعقره. وهو ما نقم عليه الشيخ احمد فيما يبدو، لانه كان يعتبر قصبة عقره قلعة الزيباريين ومركز نفوذهم، وبدأ الشيخ أحمد بسبب ذلك يفكر جدياً في الأنتقال بالعشيرة الى منطقة رواندوز. وقد فاتح الأدارة بذلك لكنه لم يلق تشجيعاً على حد قول ولسن، لكن لتفادي أي حادث غير متوقع بين البارزانيين والزيباريين،حظرت الأدارة على (فارس آغا) الزيباري عبور الزاب الكبير الى منطقة بارزان[٢٥].

إجمالاً كان للعلاقات بين الزيباريين والبارزانيين على مر العقود، تداعياتها على الوضع السياسي والأمني على المنطقة ويقول ديفيد مكدول: كان لشيوخ بارزان على الزاب الكبير في ولاية الموصل حضور غير مريح لمدة خمسين عاماً تقريباً، فقد تسببت إقامتهم في بارزان في الصرا ع مع زعماء قبيلة الزيباري القوية على الضفة اليسري للزاب وذلك بسبب تشجيعهم الفلاحين غير الزيباريين بتغيير ولائهم.. لكن بحلول نهاية القرن التاسع عشر اصبح البارزانيون من واحدة من أقوى خمس عائلات دينية في كردستان، وهذا ما سبب الكثير من التوتر مع والي الموصل الذي أراد بسط السلطة على اعداء البارزانيين، زعماء قبيلة الزيباري[٢٦].

يمكن اعتبار الفترة التي اعقبت حل قضية ولاية الموصل والي عام ١٩٣٠ بأنها فترة هدوء نسبي في المنطقة، إن المصلحة الأستراتيجية للأنكليز في المنطقة كانت تتركز على حقول منابع النفط، والحكومة البريطانية كانت تتحرك في هذا الإطار، وينبغي الأخذ بنظر الأعتبار العامل الأثنوغرافي والتركيبة السكانية لولاية الموصل أضافة الى عامل استثمار النفط، فهناك التكوين الديني والأثني والقومي لقوس قزح متنوع في هذه المنطقة، وإن كانت بريطانيا تشتهي نفط المنطقة عليها ان تتحمل تبعات تكوينها الديموغرافي، فكما ان تضاريسها متباينة بين الجبال الشاهقة والوديان السحيقة والأراضي المنبسطة، كذلك سكانها فيها الكردي والعربي والكلداني وألأرمني والشبكي والآثوري واليزيدي والمسلم والمسيحي... وكل فئة لها ثقافتها ومصالحها وتطلعاتها، وكان الأكراد يمثلون العنصر الفعًال في هذه المعادلة المتشابكة، ورغم كونهم الأكثرية في المنطقة، لكن مصيرهم كان مثار جدل وخلاف وتوافق وصفقات ومساومات تجري بين القوي أطراف وقوي أقليمية نافذة والدول الكبرى البعيدة ذات النفوذ والسطوة والتي تتأرجح وتتنافس على حلبة متشابكة من المصالح.

لقد كانت معضلة الأكراد تشكل عامل مقلق لكل الأطراف، وكل طرف يحاول ان (يحود النار لكرصتة) ـ كما يفيد المثل العراقي الدارج ـ أي ان الكل يحاول اللعب بورقة الأكراد فيما يناسب مصالحه، والشعب الكردي يبقي يترنح بين تلك التجاذبات لا حول ولا قرار له، فالأنكليز يأملون في تأمين استثمار الثروة النفطية القابعة في اعماق الأرض التي يسكنها

الأكراد، ومن أجل ذلك يطمحون ان تتمتع المنطقة بالأستقرار والأمن، ولا بأس من منح الأكراد بعض المطالب القومية. والدولة العراقية الناشئة، تريد الحفاظ على الكيان الضعيف الذي يجمع العرب والأكراد والأقليات الأخرى. فالأكراد بثوراتهم وانتفاضاتهم كانوا مصدر قلق بالنسبة للحكومات العراقية المتعاقبة وربما تشكل مصدر تأخير انضمام العراق الى عصبة الأمم وإنهاء الأنتداب البريطاني. أما تركيا التي يؤرقها انبعاث المارد الكردي من قمقمه، كانت تسعى الى وأد كل ما يشير او يرمز الى الحكم الذاتي، او حقوق الشعب الكردي إن كان في تركيا او في العراق خوفاً من الأقتداء به وحذو حذوه من قبل أكراد تركيا.

هكذا كان الأكراد يتحركون وسط دوامة من المصالح المتضاربة، ولم يكن هنالك قوة مؤثرة - إن كانت دولية او أقليمية - مناصرة لهم على الدوام، إنما كان هذا التعاون يتأرجح بين المد والجزر، إن كان بالنسبة الى روسيا، او الأتحاد السوفياتي بعد الثورة الأشتراكية، أو بريطانيا أو دول المنطقة، وكل طرف يحاول استغلال العامل الكردي كورقة رابحة.

كان عام ١٩٣٢ موعداً لأنهاء الأنتداب البريطاني على العراق، من أجل ذلك بدأت الحكومة العراقية في سنة ١٩٣١ تستعد لبسط سلطانها على كل أرجاء المملكة العراقية، بضمنها المناطق الجبلية البعيدة العاصية.

القطب الآخر لأبقاء جذوة الحركة الكردية قائمة كانت بارزان، وكان الشيخ احمد رمزها الديني والزمني، وكانت الحكومة العراقية تستخدم شتى السبل ومختلف الأساليب لأيقاف عجلة الحركة من الأستمرارية، وفي الحقيقة ثمة مصدر يعكس الوجه الحقيقي لما تريده الحكومة العراقية او بالأحري ما يريده التيار القومي الذي كان يحاول الهيمنة على مقاليد الأمور السياسية في العراق والذي جسده حكم البعث في العراق، وكان الدكتور فاضل البراك[٢٧] يعكس هذا التوجه حيث يعكس الرؤية العروبية للمشكلة الكردية.

ويقول البراك: انه نشب خلاف شديد بين أحمد البارزاني والشيخ رشيد لولان الذي كان من الموالين للحكومة، فسعت الحكومة الى حل الخلاف بين الطرفين بواسطة لجنة تحكيم مؤلفة من متصرفي لوائي الموصل وأربيل وقائمقامي راوندوز والزيبار وممثل من عن كل من أحمد البارزاني ورشيد لولان وعقدت اللجنة اجتماعاً في عقرة اوائل تشرين الثاني ١٩٣١ ويمضي الكاتب الى القول:

ان مصطفى البارزاني حضر ممثلاً عن اخيه وكانت هذه المرة الأولى التي يقوم فيها مصطفى البارزاني بدور عملي على الصعيد السياسي، لكن الطرفين لم يتوصلا الى اتفاق[٢٨].

وقد تجددت الأشتباكات بين الطرفين بعد ان فشلت جهود الوساطة بين الطرفين ويشير

مصدر آخر الى نفس الحادث فيفيد وليام أيغلتن:

على صعيد آخر أعلن رشيد لولان ـ وهو من شيوخ الطريقة النقشبندية ـ الجهاد على البارزانيين باسم الدين والشرع وما زال مدي اندفاعه الى قتال البارزانيين بوحي من الخارج غامضاً، إلا انه لقي على كل حال هزيمة نكراء على يد واحد من إخوة الشيخ أحمد وهو الشاب المدعو " ملا مصطفى ". وبعيد ذلك زحف رتل من من الجيش العراقي الى المنطقة بغية إعادة الأمن الى نصابه، فأصيب بهزيمة وأندحر، فدعيت القوة الجوية الملكية البريطانية لأنقاذ الوضع. في ربيع سنة ١٩٣٢ أندفع رتل تأديبي ثان نحو بارزان فلقي مصير أخيه. إذ سقط في كمين أعده قبليون هم ابرع في الحروب الجبلية من جنود السهل المشاة، فعادت القوة الجوية لقصف القري البارزانية بعد القائها مناشير الأنذار المضادة، وأثبتت عملية الأكتساح هذه جدواها وأفلح الجيش العراقي بعدها في الوصول الى بارزان وأرغم الشيخ أحمد علي الأنسحاب الى تركيا فقبض عليه. وفي عام ١٩٣٥ سلم الى العراق لينفي الى الحلة ثم الى السليمانية، وقضي ملا مصطفى المدة نفسها محتجزاً في المدينة الأخيرة[٢٩].

كانت الحكومة تريد ان تبرهن على حرصها لاستتباب الأمن والأستقرار في المنطقة، لكن جهودها انصبت على طرف واحد في النزاع الدائر، حيث صممت على القضاء على الشيخ احمد البارزاني ووضعت خطة محكمة للقضاء على حركته والقاء القبض عليه، فأصدرت وزارة الدفاع الى قائد منطقة الموصل العقيد محمد برقي شوقي ويس ـ شقيق الفريق بكر صدقي ويس العسكري ـ اوامرها للقيام بعملية عسكرية مباغته، لقد شددت الأوامر بوجوب كتمان الحركة، وعلي حد قول الكاتب فاضل البراك: فإن الضابط المسؤول بدلاً من ان يباغت أحمد البارزاني في مقره ويقتاده الى الموصل حسب الخطة الموضوعة، أرسل اليه إنذاراً يطلب منه تسليم نفسه، فانتهز احمد البارزاني هذه الفرصة لكي يجمع اعوانه المسلحين وباغت بهم تلك الوحدة، اضطرت القوة الى الأنسحاب بعد ان تكبدت ٢٣ قتيلاً بضمنهم ضابط واحد و ١٠ جرحي، وخسر البارزانيون (حسب الكاتب) ٣٩ قتيلاً و٣٠ جريحاً، وكانت هذه التجربة الأولى لمصطفى البارزاني على الصعيد العسكري[٣٠].

في أواخر العشرينات من القرن الماضي كانت مدينة أخري تحمل لواء الثورة الكردية، وهذه المرة كانت السليمانية، حيث قاد الثورة الشيخ محمود الحفيد عدة ثورات وانتفاضات في هذه المنطقة التي تميزت بانبثاق أفكار قومية عبر طبقة نخبوية مثقفة، وتنظيمات ونشرات وأدبيات قومية.

علي صعيد ميدان القتال كان الشيخ محمود يقاتل بغية تحقيق الأهداف القومية، وكانت الحكومة العراقية وكذلك الأكراد قدموا الألتماسات العديدة بغية قبولهم في عصبة ألأمم التي

كان مقدراً أن ينظر بهذه الطلبات في حزيران عام ١٩٣١ م من جانبها الحكومة العراقية كانت تتطلع الى إنهاء حالة الثورة التي يتزعمها الشيخ محمود، وفي هذه الفترة كانت تحركاته على الحدود الأيرانية العراقية، وكانت الحكومة العراقية تطلب من الحكومة الأيرانية تسليمها الشيخ محمود، لأنهاء حركته ولأرساء الأمن والأستقرار في المنطقة، وهي حاجة ملحة بغية قبول العراق في عصبة الأمم.

موقف الشيخ أحمد من الأنكليز

في نيسان ١٩٣١ عندما كان الملك فيصل الأول والمندوب السامي البريطاني في العراق في طهران، قدمت السلطات الأيرانية الى المسؤولين العراقيين والبريطانيين شكوى مفادها: أن الأراضي العراقية استعملها الكورد الأيرانيون ضد الحكومة الأيرانية. ولهذا تم الأتفاق على بدء عمليات عسكرية ضد الزعماء المتمردين على جانبي الحدود في الحال... لقد استلم الثائر شيخ محمود الأنذار المشترك في ٢ مايس بعث اليه من قبل كل من همفوريس والملك فيصل الأول الذي يطلب منه الأستسلام مقابل البقاء على حياته الشخصية وفي ١٤ آذار مايس ١٩٣١ اضطر الشيخ محمود لتسليم نفسه للكابتن هولت، وهو السكرتير الشرقي للمندوب السامي البريطاني[٣١].

إن الحكومة العراقية بالمشاركة مع الأنكليز وإضافة الى العامل التركي، فإن القضاء على ثورة الشيخ محمود لم تكن النقطة النهائية التي تصبو اليها هذه الأطراف مع ايران، إنما كان الهدف النهائي ينحصر في تصيير كردستان مستقرة، ولكل من هذه الأطراف مصالحه السياسة في هذا الأستقرار، ولعل اكثرهم تحمساً لهذا الأجراء كانت الحكومة العراقية ذات الطموح بالأنضمام الى عصبة الأمم، ومن شروط هذه المنظمة أن يتمتع البلد بالأمن والأستقرار على مجمل أراضيه. ومن هذه الأرضية فإن الحكومة العراقية لم ينحصر هدفها في القضاء على ثورة الشيخ محمود فحسب إنما القضاء على اية حركة اخري في منطقة كردستان العراق.

لقد كان القطب الآخر للثورة الكردية يتمثل في الثورات والأنتفاضات في برزان وكانت القيادة في هذه المرحلة يجسدها الشيخ أحمد البارزاني، والذي عرف عن شخصه بأنه يتسم بالحنكة المقرونة بالهدوء، فهو من ناحية يمد يد العون الى الحركة الكردية إن كان عبر اتصالاته مع محمود الحفيد او عبر شرائه للأسلحة، او أيواء اللاجئين من المطلوبين الأكراد من تركيا أو المساهمة المباشرة في الأشتراك في المعارك، ولكنه مع ذلك يحاول ان يعطي انطباعاً للآخر بكونه رجل دين بسيط وضحية مكائد الآخرين ويبدي أيضاً وفي الظاهر دوماً

الطاعة للحكومة المركزية[٣٢].

إن الأستخبارات البريطانية والعراقية والتركية لم ينطلى عليها أسلوب حجب الدور الذي يلعبه الشيخ أحمد البارزاني، إنها مدركة لكل أعماله وأتصالاته ومناصرته اللامحدود للقضية الكردية، ولهذا كان همها مجتمعة تغييب هذا الدور إن كان بالمناورات السياسية عبر المفاوضات او باستخدام القوة العسكرية. في هذه الأستراتيجية التي لا مناص من تنفيذها، وجهت وزارة الداخلية إنذاراً الى الشيخ أحمد البارزاني في ١٠ / ٣ / ١٩٣٢ م بوجوب الحضور أمام قائمقام الزيبار في موعد أقصاه ١٤ / ٣ لأعلان الولاء والطاعة للحكومة، وكان ثمة إنذار مشابه للشيخ أحمد من قبل الحاكم السياسي البريطاني، في هذا الجو الملبد بغيوم التهديد والوعيد رفض الشيخ أحمد وضع نفسه تحت رحمتهم، وقرر المقاومة، وقسم قواته الى ثلاث أقسام، وكانت القوة الرئيسية بقيادة الملا مصطفى البارزاني. لقد كان مجمل المقاومة البارزانية لا تتجاوز الألف مقاتل، وكان ميزان القوى غير متكافئ، ومع ذلك حقق المقاتلون الأكراد انتصارات مهمة في هذه المعركة واضطرت القوات الحكومية الى الأستعانة بسلاح الجو البريطاني، وكان لهذه السلاح التأثير الحاسم علي سير المعركة، إنه يستخدم في الليل والنهار ويستهدف المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ ودون تمييز. ومع هذا فإن الأنكليز كانوا يرتابون في مقدرة الجيش العراقي بالقضاء على الحركة، وهكذا لجأوا الى إقناع الشيخ أحمد بالطرق السلمية من أجل الخضوع للحكومة العراقية. لقد كان الوسيط بين الطرفين هذه المرة الشيخ بهاء الدين البيرفكاني، وكان ثمة تفاهم واحترام متبادل بينهما، وصارح الشيخ البيرفكاني وعلامات الألم والتاثر باديتان عليه قائلاً للشيخ أحمد:

إن قلوبنا وعواطفنا معكم يا سماحة الشيخ. لكنني لا أفهم كيف يمكننا مقاومة حكومة بريطانيا التي تستعمر نصف الكرة الارضية؟ فهي ستدمرنا وتبيدنا. ولنقبل بالأمر الواقع وننتظر مشيئة الله.

فأجابه الشيخ أحمد:

أشكر عواطفكم النبيلة ولا شك في صدق وإخلاص نواياكم، ولكن لو وافقوا على عودتنا الى بارزان وألقينا السلاح وانصرفنا الى شؤوننا، فإن الأنكليز لن يقبلوا منا ذلك أبداً، إنهم يريدوننا بلا حقوق ولا آرا ء. إنهم غاصبون لأرضنا وأعداء لديننا. وإني أعلم جيداً إنه ليس بإمكان عشيرة صغيرة كعشيرتنا مقاومة قوة بريطانيا وقهرها، لكن الحياة هي وقفة شرف. أريد أن أرضي الله وأرضي ضميري ويهمني ان يسجل التاريخ بأننا قاتلنا الأستعمار البريطاني وعملائه بإمكاناتنا القليلة. لم نركع لهم، بإمكان الأنكليز حرق قرانا وتدميرها وطردنا وقتلنا، لكن ليس بإمكانهم كسب ولائنا لهم سنظل نعاديهم، هذا قرارنا ولسنا نادمين

عليه، وبإمكانك نقله الى الأنكليز حرفياً[٣٣].

بعد انتهاء الأنتداب البريطاني للعراق لم تضمن بريطانيا للأكراد أي نوع من أنوا ع الأدارة الذاتية او الحكم الذاتي، وكانت تميل الى تأسيس حكومة مركزية عراقية قوية، يكون بمقدورها التصرف بثروات البلاد النفطية، وعلى خلفية هذا الواقع الذي اهمل حقوق الأكراد بدأت سلسلة من الثورات الكردية في منطقة بارزان، وكان الرد البريطاني على هذه الثورات هو ذلك القصاص الذي أوقعته القوات الجوية البريطانية بالثوار بتدميرها ١٣٦ داراً في ٧٩ قرية كردية، إن الصحافة الحرة في بريطانيا لا تسكت عن مثل هذه الأعمال، وتجلى ذلك في رسائل ظهرت في صحيفة التايمز اللندنية ومنها رسالة الرئيس السابق للمحكمة العليا السير هنري دوبس في ٨ تموز ١٩٣١، وفي حينها كان رد الفعل الشيخ احمد البارزاني قوياً حينما صرح للكابتن (هولت) الضابط السياسي البريطاني بقوله:

أفضل مائة مرة ان اسلم نفسي للأتراك أعدائي المكشوفين، على أن أسلم نفسي لعبيد الأنكليز[٣٤]. وباختصار فرغم المصاعب المتنامية أمام البارزانيين فلم تكن علاقات الشيخ أحمد ودية مع البريطانيين حيث يعتقد انهم كانوا غير منصفين بحق الشعب الكردي، وهو لا يعلم ان مبدأ المصالح هو الذي يحرك الدول وليس المبادئ الأخلاقية، على الأقل في تلك العقود التي جرت بها تلك الأحداث.

وجهة نظر الحكومة العراقية

في عالم قائم على الصراعات كل طرف يبرر وجهة نظره ويري الحق معه، فالأكراد يرون ان من حقهم ان يكون لهم كيان مستقل وأن يتمتعوا بحكم انفسهم كبقية شعوب المعمورة. اما الحكومات العراقية المتعاقبة كانت تري في تلك الأفكار خروجاً على القانون ومن حقها استخدام القوة العسكرية وضرب القري والمدن الكردية لأنها خارجة عن القانون.

اعتاد البارزانيون دفع ضريبة الماشية بطريقة المقطوع، حيث يقوم الشيخ أحمد البارزاني بدفع مبلغاً مقطوعاً ثابتاً للحكومة عن أغنام قبيلته، لكن الحكومة أرادت أن تستوفي ضريبة المواشي معتمدة على عددها، ويبدو ان هذه الطريقة كانت متبعة في انحاء العراق، من اجل ذلك ينبغي ان تقام إدارة مدنية ومخافر للشرطة للمساعدة في استيفاء هذه الضرائب، لكن هذا القرار بالنسبة للبارزانيين خلاف المعتاد وسيضر بمصالحهم، وهم يعانون اصلاً من مصاعب معيشية. وكان رفض الشيخ احمد البارزاني كافياً لتحريك الفوج المرابط في منطقة بلي، وكان هذا اول اشتباك بين البارزانيين والحكومة التي أصدرت بلاغاً جاء فيه:

إن أتبا ع الشيخ أحمد برزاني أخذوا في الاونة الأخيرة يعتدون على القرى المجاورة

ويمعنون فيها حرقاً وتقتيلا فقد أوعز الى الفوج المرابط في (بله) بأن يقوم ببعض الأجراءات فحدثت مصادمة بين مفرزة من الفوج وأتباع الشيخ أدت الى وقوع ١٣ قتيلاً مع ضابط و ٩ جرحي من الجيش والشرطة وما يقارب ٢٠٠ قتيلاً و٣٠٠ جريح من العصاة... لكن الحكومة لم تستمر في هجومها إنما أرجأت ذلك الى ١٩٣٢ لكي تجري استعداداتها وأن تستعين بالقوة الجوية البريطانية.

وفي ٢٥ نيسان ١٩٣٢ شرعت الطائرات البريطانية بإلقاء المنشورات على الأهالي في ٣٥ قرية تحثهم فيها على الدخالة على الحكومة مقابل شملهم بالعفو الحكومي.

وحسب بلاغ رسمي حكومي ان احدى الطائرات اضطرت لسوء الحظ يوم ٢٦ نيسان الى النزول قرب شيروان مازن لخلل طرأ على محركها فأسر الشيخ أحمد الراصد والراكب معه، وبعد ذلك سمح لطبيب بريطاني بمعالجة الراصد الذي اصيب بجروح، وفي هذه الأثناء توقف القصف الجوي، وطلب من الشيخ أحمد عرض دخالته الى الحكومة العراقية واستمرت المفاوضات معه حتي ٢٣ مايس إلا انه لا فائدة من استمرارها. وكان الشيخ أحمد قد أخبر بأن الهدنة تنتهي ٢٤ مايس عند غروب الشمس. وفي الوقت ذاته اذيعت رسالة بهذا المعنى باللغة الكردية بواسطة مكبرات صوت المجهزة بطائرة فكتوريا... وكذلك اذيعت رسالات أخرى على المنطقة نفسها في ٢٦ مايس تحث الأهلين على عرض الدخالة الى الحكومة العراقية.[٣٥]

استئنف الجيش العراقي حملته العسكرية العنيفة ضد الثوار وأنذر القرويون بترك قراهم، وحوصرت المنطقة اقتصادياً، وتقول البيانات الحكومية ان الحركات الجوية كانت سريعة على معنوياتهم وفي ٣٠ مايس استخبرنا ان الشيخ أحمد لم يعد على اتصال بأكثرية أتباعه الذين كانوا تشتتوا في جميع الجهات لأيجاد ملجأ لهم، وفي نهاية الأمر اضطرت العوائل الى طلب الدخالة من الحكومة للعودة الى قراها.

في هذه الأثناء كان الشيخ أحمد مع معظم الثوار يتحصنون في ذروات الجبال الوعرة فكان لهم ستر جيد ومأوي من الكهوف وعليه كانت مهمات رجال الطيران صعبة، لكن التحليق الدائم لهذه الطائرات فوق الأكمات والصخور العالية وتتحرى عن آثار الثوار وتهاجمهم اينما وجوا أجبرهم على التخلي عن معقلهم الرئيسي هذا.

وفي البيان الرسمي الحكومي ورد انه في ١٣ حزيران اتضح ان الشيخ احمد والثوار المسلحين نازلون في الحدود التركية يأملون الحصول على اللجوء في تركيا او ايران.. وكان الجيش العراقي في هذه الأثناء قد زحف الى معظم المنطقة... وفي ٢٢ حزيران احتل الجيش العراقي (زيتا) التي كان فيها الشيخ نفسه ووجد نفسه مهدداً من كل جهة فضلاً عن مباغتته

بصورة مستمرة من الجو فاضطر الى تسليم نفسه الى الأتراك، إن اثنين من اخوته المقدمين مع مائة من اتباعه المقربين سلموا أنفسهم معه، وبذلك تمهد السبيل للجيش والشرطة لتأسيس المخافر في جميع انحاء ناحيتي مزوري بالا وبروش اللتين أسست فيهما إدارة مدنية لا تزال تقويتها بسرعة[٣٦].

كانت السياسة البريطانية تنصب في جعل العراق دولة مستقرة تحت الأنتداب البريطاني، واليوم تحاول امريكا جاهدة ان تجلب الأستقرار للعراق باعتبارها دولة محتلة للعراق، واليوم لا تستطيع أمريكا أخفاء الحقائق عن الرأي العام، فتصل التفاصيل عن وضع العراق أول بأول الى الصحف والفضائيات. لكن في ذلك الوقت أي في الثلاثينات من القرن الماضي قد يكون من السهل أخفاء المعلومات عن الحكومات والرأي العام.

ومن المفارقات الأخري في هذا الصدد فإن بريطانيا التي افلحت اخيراً في ترسيخ النظام والأستقرار في انحاء العراق فشلت في إرساء أسس الأستقرار وفرض النظام في ربوع كردستان، لكن على العكس فإن الوجود الأمريكي في العراق قد فشل في النظام والأستقرار في بغداد والمدن العراقية فيما كتب له النجاح في خلق حالة من الأسقرار والبناء في كردستان العراق. وورد مقال في الشرق الأوسط حول الموضوع يقول:

الأستقرار النسبي في كردستان العراق يعكس الجانب الأيجابي الوحيد للرئيس بوش في الفوضى الدموية التي تضرب العراق تحت الأحتلال. إذ أن تأمين الأقلية الكردية ضد عنف بغداد يمكن ان يعتبر إنجازاً تاريخياً. وهو يحذر الولايات المتحدة من تهديدات تركية لهذه المنطقة فيقول:

إن الأدارة الأمريكية لم توجه رسالة واضحة ومتوازنة على نحو كاف لردع الساسة الأتراك ووقفهم من توجيه التهديدات بغزو كردستان العراق، أو وقف جنرالات تركيا من حشد القوات في منطقة الحدود مع العراق. ويخلص الكاتب الى القول: بأن اي غزو تركي يدفع كردستان الى الفوضي ونزف الدم، وسيكون بمثابة مسمار في نعش آخر إنجازات بوش المحدودة، وفي دعم الرأي العام للوجود الأمريكي في العراق.. وينبغي جعل هذه القضية في صدارة اولويات بوش ومن يعملون معه. (جيم هوغلاند: المعركة القادمة في العراق، جريدة الشرق الأوسط اللندنية ١٠ / ٧ / ٢٠٠٧).

لقد جاهدت الحكومة البريطانية من اجل طمس الحقائق وأخفاء والتستر على الأنتفاضة في بارزان خشية ان تتهم في فشل سياستها في العراق، وعندما اضحى علنياً ما كان مخفياً. قدم أحد النواب بطلب الى الحكومة بالكشف عن الحقائق. فصرح وزير المستعمرات حرفياً ما يلي:

صيفية العام الماضي في مناطق كوردستان العراق النائية، حيث لا وجود لسلطة الأدارة العراقية، نشأت اصطدامات خطيرة بين العشائر. المذنب الأول هو الشيخ الكوردي المسمي البارزاني (الشيخ أحمد)، إذ تبني ديناً جديداً وأراد فرضه على العشائر المجاورة عن طريق القتل والنهب. لقد كان رد الفعل على هذه التوضيحات (الساذجة) القهقهة من قبل النواب المعارضين[٣٧].

الأحترام والطاعة للشيخ أحمد البارزاني

كان الشيخ احمد البارزاني يحظى بمكانة دينية تضمن له الطاعة والأحترام من ابناء قومه، والموظفون البريطانيون يعرفون هذه الحقيقة ويخشون منها، ولهذا كانوا يتحاشون تصعيد الصراع معه خوفاً من توسع نطاق المعركة وانتشاره فيؤدي الى إلهاب الشعور القومي الكردي، ومن جانب آخر فإن الحكومة العراقية راغبة في إنهاء نفوذ الشيخ أحمد لكنها يبدو انها كانت مترددة في قرارها كونها حكومة مستقلة حديثاً وغير واثقة من قدرتها على القيام بالمهمة.

وأرادت الحكومة ان تجرب حظها حيث ارسلت في كانون الأول ١٩٣١ قوة عسكرية عراقية ضاربة وصدت بالقرب من بارزان وفي الهجوم الثاني في ربيع ١٩٣٢ تمكنت القوات الحكومية من ميركه سور، وفي شهر حزيران ١٩٣٢ تمكنت القوات الحكومية مدعومة من القوات البريطانية احتلال بارزان، وأمام هذا الضغط اضطر الشيخ أحمد للدخول الى تركيا ومعه إخوانه وكان ذلك يوم ٢٢ / ٦ / ١٩٣٢ م، ودخل مع المقاتلين حوالي ٤٠٠ عائلة بارزانية، واستقبلتهم قرية كَرانة وقري أخري التي يقطنها الكَرديون وهؤلاء هم جزء من عشيرة بارزان، التي تتألف من سبعة عشائر وهي "شيرواني، دولمري، مزوري، به روزي، نزاري، هركي بنه جي".

الملاحظ ان استسلام الشيخ احمد للاتراك لم ينه الحركة الكردية فقد تابع كل من أخويه محمد صادق وملا مصطفى القتال في المنطقة الحدودية لسنة أخرى ولكنهما استسلما مع قوتهما حينما القت الطائرات البريطانية قصاصات ورقية تعلن فيها عن العفو العام وكان ذلك في حزيران ١٩٣٣ وقد نصح الشيخ احمد انصاره بالقبول بالشروط العراقية، هذا وقد سمح للعائدين بالأحتفاظ بسلاحهم، وقد استهلت الحكومة التركية خطوتها بتسليم الشيخ احمد البارزاني الى السلطات العراقية، وقامت الحكومة العراقية بوضعه تحت الأقامة الجبرية في الموصل، إن عودة الشيخ أحمد الى العراق حفزت إخوانه ومريديه الى العودة الى بارزان، وقد تم توزيع العوائل على القري في المنطقة والمسلحين من جانبهم تحصنوا في الجبال، وكانوا

تحت قيادة الملا مصطفى البارزاني الذي أصر على بقائهم محصنين في الجبال طالما بقي الشيخ أحمد رهن الأقامة الجبرية في الموصل[٣٨]. لقد منحت الحكومة منح صغيرة لمساعدة البارزانيين العائدين الموالين للدولة، إن هذا التعويض تافه إذا ما قورن بما حصل من تدمير للقرى والمنازل والمزارع. فقد دمر قصف سلاح الجو الملكي البريطاني نحو ١٣٦٥ من أصل ٢٣٨٢ منزل في ٧٩ قرية بالأضافة الى ضحايا الألغام من المدنيين. لقد عرف الأكراد قبل غيرهم ان الحرب الجوية لا تفرق بين ضحاياها، وهو ما اثار سخط الأكراد على بغداد. وقد كتب آرثر هاريس (المعروف بـ بومير، أي قاذف القنابل) في سنة ١٩٢٤ يقول:

إنهم (الأكراد والعرب) يدركون الآن ما يعنيه بالضبط القذف بالقنابل من حيث الأصابات والخسائر. إنهم يعلمون الآن أنه في غضون ٤٥ دقيقة يمكن إزالة قرية كبيرة تماماً وقتل ثلث سكانها او جرحهم[٣٩].

أضطرت الحكومة العراقية الى إعادة الشيخ أحمد الى بارزان وكان ذلك في نهاية شهر آب عام ١٩٣٣ م

يقول ملا مصطفى البارزاني:

حينما وصلنا نبأ عودة الشيخ أحمد ذهبنا الى قرب شيروان لاستقباله وفرحتنا لا توصف وهو في كامل الصحة والعافية، وبعد استراحة قصيرة أمرني الشيخ أحمد بالذهاب الى شيروان لترتيب سفري الى الموصل، فنفذت طلبه بلا تردد، ولكني رجوته أن لا يعود الى الموصل او الى أي موقع حكومي يمكنهم من إلقاء القبض عليه، لأن الغدر شيمتهم، ورجوته بإلحاح أن يأخذ كامل الحذر حتى ولو هددوا بإعدامي، فأجاب أذهب أنت الآن ونرى كيف ستتطور الأمور... ويضيف البارزاني: وعندما وصلت شيروان وذهبت الى مقر الفوج ومعي شخص واحد فقط، وكلانا بدون سلاح، خرج آمر الفوج لاستقبالي وعلامات الدهشة بادية على وجهه حتى انه ما كان يصدق بأنني مصطفى البارزاني، فأرسل في طلب مختار شيروان وتأكد منه عن الحقيقة. في اليوم التالي أخذوني باحترام الى ميركَه سور فأربيل فالموصل، وفور وصولي استقبلني الحاكم السياسي ومتصرف الموصل ورحبا بي ترحيباً حاراً وأكدا على عزم الحكومة على تنفيذ الوعود التي قطعتها للشيخ أحمد، وبقيت عشرة أيام في الموصل ثم رجعت الى بارزان[٤٠].

لقد كان ملا مصطفى البارزاني ابن عشيرته البارزانية، وكان جزء من هذا الأنتماء يعني الطاعة والأحترام لرئيس العشيرة ورمزها ومهما كان الثمن، وها هو يضع نفسه رهينة في الموصل لقاء وعد قطعه الشيخ أحمد للحاكم السياسي ومتصرف الموصل.

كان الشيخ أحمد يكبر شقيقه ملا مصطفى بعقدين من السنين، ثم إن قيادة الثورة انتقلت قيادتها بعد استشهاد الشيخ عبد السلام الى اخيه الشيخ أحمد، وهكذا كان الملا مصطفى يجسد الأخلاص والوفاء لشعبه وعشيرته بخصال الأحترام والطاعة لرمز العشيرة، وحتى لو كلفه ذلك حياته، وفي هذا المجال نستفيد من الأستاذ مسعود البارزاني: بان الشيخ أحمد كان قد لبّي دعوة الحكومة له لزيارة الموصل، وبعد اسبوعين من إقامته هناك، أرسل أحد المعتمدين المقربين الى ملا مصطفى البارزاني ليخبره بالتوجه الى الموصل ناقلاً له كلمة السر بين الطرفين، وانطلاقاً من هذا الأمر سافر الملا مصطفى الى الموصل.. ويقول الأستاذ مسعود البارزاني: حينما سألته عن سبب ذهابه الى الموصل أجاب:

كنت أعترض دائماً على عمل من هذا النوع، وكنت واثقاً ان الحكومة لن تسمح لنا بالعودة الى بارزان إذا وقعنا معاً بيدها، ولكن بالنسبة لي كانت إطاعة أوامر الشيخ أحمد أهم من أي شئ آخر. وحينما سألته ـ والكلام لا زال لملا مصطفى البارزاني ـ لماذا أمرت بحضوري وأنت هنا؟

فأجاب: بان المسؤولين أعطوني كلام شرف ووعدوني أنهم لم يخونونا وإنهم ملتزمون بوعودهم، فإذا خانوا الوعد فالله أكبر منهم وليحدث ما يحدث[٤١].

أجل لقد خانوا الأمانة فحينما أصبح الأخَوان في حوزتهم، لم يسمحا لهما بالعودة بل أرسلو في طلب شقيقيهما الآخران محمد صديق وبابو وأولاد الشيخ عبد السلام وجميع عوائلهم ونقلوهم الى الموصل ومن ثم تم نفيهم الى الجنوب ثم الى السليمانية، وبعد عشر سنوات من النفي تسلم الملا مصطفى القيادة العسكرية والسياسية من اخيه الشيخ أحمد البارزاني بعد ان أتعبته السنون[٤٢]. إن الشيخ أحمد بعد ذلك استمر في التركيز على القضايا الروحية والدينية، وبدأ نجم ملا مصطفى يسطع في سماء الشهرة كشخصية قيادية وعسكرية وسياسية للأكراد منذ أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن الماضي، لكن مع ذلك تبقى المرجعية في اتخاذ القرار النهائي بيد الشيخ أحمد.

في هذا السياق سوف يصادفنا مواقف ما يثبت ذلك في أواخر عام ١٩٤٦ أي بعد انهيار جمهورية مهاباد عرض الجنرال همايوني وهو قائد الجيش الأيراني الزاحف على كردستان أيران، أقترح على الشيخ أحمد ان يسافر شقيقه مصطفى البارزاني الى طهران لحل القضايا المتعلقة بوضع البارزانيين بعد سقوط جمهورية مهاباد. وهنا يكون الشيخ أحمد قد وافق على الأقتراح وأمر ملا مصطفى بالتوجه الى طهران، لقد كانت بحق مجازفة خطيرة بيد ان البارزاني لم يعصي أمراً للشيخ أحمد مهما كانت النتائج، وتوقع الجميع أنه لن يعود أبداً فقد أشتهر الملوك الأيرانيين عبر التاريخ بنكوثهم بالوعود التي يقطعونها لخصومهم وأيقاعهم

في احابيلهم والفتك بهم، إلا ان الشيخ أحمد كان يؤكد باستمرار أنه لن يحدث سور وإنه سوف يعود، وفي هذا الصدد يضيف الأستاذ مسعود البارزاني:

بأنه في طهران التقي ملا مصطفى البارزاني بالشاه ورئيس الوزراء ورئيس الأركان، وكان عرض الشاه له يتلخص في إسكان البارزانيين في منطقة همدان وتوزع لهم الأراضي الزراعية او يغادروا أيران فوراً، وكان رد البارزاني لهم: بأنه لا يستطيع البت في هذا الموضوع دون العودة الى رأي الشيخ أحمد إذ هو الذي يملك سلطة القرار لا غيره[٤٣].

خيّل للجميع ان ملا مصطفى البارزاني قد وقع الكمين الذي نصبه الأيرانيون له وسرت شائعات بأنه قد أدين وحكم عليه بالموت وإن تنفيذ الحكم ليس بعيداً، نعم لقد كانت السلطات الأيرانية أنها تشعر بأن تملك أوراقاً مهمة في يدها باعتبار ان ملا مصطفى البارزاني يشكل اثمن رهينة في أيديهم، وإن الشيخ أحمد البارزاني سينفذ كل أوامرهم، ومن أجل ذلك أرسلوا له وفداً يبلغه قرارهم بوجوب تسليم أسلحتهم فوراً والأستعداد لنقلهم الى المنطقة المحددة من لهم بمحافظة همدان، وإلا فإن حياة ملا مصطفى في خطر، فما كان من الشيخ أحمد إلا ان يرد قائلاً:

إننا لا نخضع للتهديد والأبتزاز وكل فرد من عشيرة بارزان هو مصطفى البارزاني وافعلوا ما شئتم ولن نلقي سلاحنا وسنحارب الى آخر رجل. هذا الموقف الحازم خيب آمال حكام طهران ولجأوا الى إبداء قدر كبير من المرونة تجاه البارزانيين... وبعد أن أيقنوا أن البارزانيين سوف يدافعون عن انفسهم بقوة السلاح سواء كان ملا مصطفى بينهم أم لم يكن طالما أن الشيخ أحمد موجود بينهم، فأسقط في يدهم وسمحوا لملا مصطفى البارزاني وصحبه بالعودة الى المنطقة لعرض رأي الحكومة الأيرانية على شقيقه الشيخ أحمد وأتخاذ القرار النهائي[٤٤].

لقد كان الشيخ أحمد هو شيخ البارزان وكان مطاعاً من قبل مريديه في كل انحاء بهدينان وكان نفوذ شيخ الطريقة البارزانية ـ وهي بالأصل نقشبندية وهي طريقة للتصوف ـ يمتد الى عموم القبائل الكردية وهي هركي بنة جي، ونزاري، ودولة مه ري، ومزوري، وگه ردي، وتتبع اكثرية سكان عقرة طريقته ويدينون له بالولاء كذلك سكان العمادية، وهناك العشرات من القرى المجاورة ضمن الحدود العراقية وفي كردستان تركيا تسلم بنفوذ الشيخ البارزاني بالأضافة الى بعض المجتمعات والقرى في منطقة الزيبار[٤٥]. إن الطاعة التي يبديها اتباع البارزاني ومريديه ذهب بعضهم الى القول: بأنه لو أمر عشرة من البيشمركة بالوثوب الى النار فسيفعلون ذلك في الحال دون تردد.

في صيف ١٩٦٤ كنت مع صديق لي من البيشمركة في أراضي القوش الزراعية في موسم

الحصاد وصادفنا هناك اثنين من البيشمركة من البارزانيين وهما يبلغان الناس بدفع ضريبة للثورة الكردية، واستطعنا ان نقنعهم بأننا نقوم بهذا الواجب وهذه منطقتنا، لكن الرجلين أصرا على تنفيذ الأمر وحسب قولهم " خدان كوت " وهم يشيرون الى أنه أمر من الشيخ أحمد الذي لا يمكن مخالفتة وأقناعم فقط بتأجيل الموضوع، وإننا سنساعدهم بذلك.

إن الحكومات العراقية المتعاقبة كانت تدرك هذه المكانة للشيخ أحمد بين قومه ولهذا كانت تسعى الى تحييده، ومن جانبه أيضاً كان يريد أن يحمي البارزان من الأعتاءات الحكومية، فبقي في هذه المدينة لا يبارحها إلا الى مدينة بغداد بهدف العلاج، وكانت الحكومة العراقية قد وضعت تحت تصرفه طائرة هيلوكبتر يستخدمها في تنقلاته، والحكومة ترمي من وراء هذه الرعاية بأن يقوم الشيخ بإقناع أخيه ملا مصطفى وجره الى جانب الحكومة.

إن ديمومة الثورة واستمراريتها لعقود من الزمن كان ينبغي منح الشعب فسحة لالتقاط انفاسه، ولترتيب زراعته وشؤونه الحياتية، وإن الحصار القاسي الذي كانت تفرضه الحكومة، كان لا بد من إيجاد مناورة للألتفاف عليه، وقد وجد البارزانيون ان الضرورة تحتم عليهم وضع قدم في كل معسكر، وكانت بارزان بهذه الطريقة قد سلمت من جحيم القصف الجوي، فالحكومة لا تجرا على المخاطرة بقتل الشيخ الديني فتنتقل الشرارة الى المشاعر الدينية بعد ان بقيت محصورة بالمشاعر القومية. لقد توفي الشيخ أحمد عام ١٩٦٩ م وخلفه على مكانته الدينية ابنه الشيخ عثمان.

يقول توما توماس في مذكراته أنه سنة ١٩٦٤ قد زار الشيخ احمد في بارزان وتعرف علي ابنه الشيخ عثمان ويصفه بانه شاب متواضع يكن له البارزانيون حباً واحتراماً كبيرين وقد انتخبته عشيرة البارزاني ـ بعد وفاة والده الشيخ أحمد ـ شيخاً لعشيرة بارزان بدلاً من أخيه الأكبر الشيخ محمد خالد، وقد واصل الشيخ عثمان نهج والده الراحل وأتخذ موقفاً محايداً من الحركة الكردية المسلحة، وكان لأخيه الشيخ خالد في حينها قوة عسكرية تقدر بسبعمائة مسلح للحفاظ على منطقة بارزان، وذلك دون ان تحارب الأنصار او البيشمركة، بل كانت في أغلب الأحيان تساعدهم في تنقلاتهم.

ويضيف توماس في حاشية له حول الموضوع بانه في سنة ١٩٧٤ حينما كنا (الحزب الشيوعي) في تحالف مع البعث، سلم الشيخ عثمان نفسه الى السلطة مع من التحق معه من عشيرة بارزان ونقلوا الى مجمعات سكنية في كورة تو وقوش تبة.. الخ وعند وصوله الى الموصل زرته والتقيت معه في الفندق ولكن لم نستطع التكلم عن اي شئ بحرية بسبب ملازمة مدير الأمن في الموصل له طول مدة زيارتي، إذ لم يتركوه لوحده اثناء لقاءاته بالأصدقاء والمعارف،ويستطرد توما توماس قائلاً: انه في عام ١٩٨٣ عندما دخل الأيرانيون منطقة حاج

عمران اتهمت السلطة البارزانيين بمساعدة الجيش الأيراني فشنت عليهم حملة واعتقلت كل من تجاوز ١٤ سنة من الذكور وبلغ عدد المعتقلين ٨ آلاف شخص مع ٣٧ شخصاً من الأمراء وأبناء شيوخ العشيرة ولا يعرف مصيرهم حتي الآن. ومن المعروف ان عزة الدوري في أثناء الحوار مع وفد من الجبهة الكردستانية قد اعترف بأنهم غير أحياء ويمكن تنظيم طلبات التقاعد لهم من قبل عوائلهم.(أوراق توما توماس الحلقة السادسة).

المصادر والهوامش والوثائق للفصل الرابع:

١ ـ ايوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال ص ٣٧

٢ ـ حنا بطاطو " العراق الطبقات الأجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتي قيام الجمهورية " الكتاب الأول، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ترجمة عفيف الرزاز. مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة العربية الأولى بيروت ١٩٩٠م.

٣ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال، ص٤١ ـ ٤٢

٤ ـ يونان هرمز: ايامي في ثورة كردستان ص١٧١

٥ ـ د.دينيس كوماروف: البارزاني وشهادة التاريخ ص ٢٩

٦ ـ ايوب بارزاني: مصدر سابق ص ٤٣

٧ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج١ ص٢٩

٨ ـ نينوس نيراري " آغا بطرس سنحاريب القرن العشرين " ص ١٨٠ ترجمة فاضل بولا، سان دياغو ١٩٩٦م.

٩ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية..ص ٤٣ ـ ٤٥

١٠ ـ يوسف ملك خوشابا " حقيقة الأحداث الآثورية المعاصرة ص ١٠٨ بغداد سنة ٢٠٠٠م.

١١ ـ نينوس نيراري: أغا بطرس ص ١٩٣

١٢ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للاحتلال ص ٤٧

١٣ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال ص٥٤

١٤ ـ الدكتور عثمان علي:دراسات في الحركة الكردية ص ٥٣٦

١٥ ـ (عزيز حسن البارزاني: الحركة القومية الكوردية التحررية في كردستان العراق ١٩٣٩ ـ١٩٤٥ ص ٣٦، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك ٢٠٠٢م.

١٦ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكردية ص ٥٦٢ ,

١٧ ـ عزيز حسن البارزاني: الحركة القومية الكردية ص ٣٩

١٨ ـ د. عثمان علي: دراسات في الحركة ص ٢٧٠

١٩ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكردية المعاصرة ص٢٧٦.

٢٠ ـ سي. جي. أدموندز: كرد وترك وعرب ص ١٠٨ ترجمة جرجيس فتح الله.

٢١ ـ سي. جي أدموندز: المصدر السابق ص ١١٤

٢٢ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكردية ص ٤٣٣
٢٣ ـ ايوب بارزاني: المقاومة الكردية ص ٨٠ ـ ٨١
٢٤ ـ د. دينيس كومAروف: البارزاني وشهادة التاريخ ص ٣٠
٢٥ ـ جرجيس فتح الله: يقظة الكرد ص ١٨٦
٢٦ ـ ديفيد مكدول " تاريخ الأكراد الحديث " ترجمة راج آل محمد ص١٧٣ دار الفارابي، بيروت سنة ٢٠٠٤
٢٧ ـ للدكتور فاضل البراك كتاب آخر وهو تحت عنوان: المدارس اليهودية والأيرانية في العراق وقد الفه في الثمانينات من القرن الماضي وكان مدير عام الأمن الداخلي وكان هدفه ان يدعم بالوثائق كيف ان (قوي الأستعمار والشيطان) عملت على زرع جواسيس ومخربين من داخل المدارس العراقية، اليهودية والأيرانية. لقد تبدلت حظوظ السيد البراك بعد حرب الخليج أصبح مكروهاً من مستخدميه البعثيين واعترف تحت وطأة التعذيب بأنه جاسوس يعمل لحساب روسيا وألمانيا. وفي صيف ١٩٩٢ أعيدت جثته الى عائلته في صندوق مختوم بالشمع الأحمر (راجع: كنعان مكيّة: القسوة والصمت ص٧).
٢٨ ـ (الدكتور فاضل البراك " مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة " ص ٨٠ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩م.
٢٩ ـ وليم ايغلتن الأبن " جمهورية مهاباد الكردية " ص ٩٦ الكردية " ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله المحامي. دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٢م.
٣٠ ـ الدكتور فاضل البراك: المصدر السابق ص٨١
٣١ ـ الدكتور علي عثمان: دراسات في الحركة الكردية المعاصرة ص٥٧١
٣٢ ـ الدكتور علي عثمان: المصدر السابق ص٥٨٣
٣٣ ـ الدكتور علي عثمان: المصدر السابق ص ٥٩٠
٣٤ ـ باسيل نيكيتين: مصدر سابق ص ٣١٤
٣٥ ـ محمود الدرة: القضية الكردية ص ١٢٧
٣٦ ـ محمود الدرة: القضية الكردية ص ١٢٨
٣٧ ـ د. دينيس كوماروف البارزاني وشهادة التاريخ ص ٣٢
٣٨ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والرحكة التحررية الكردية ج١ ص ٥٥
٣٩ ـ ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص ٢٨٦
٤٠ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق الجزء الأول ص ٥٦ ـ ٥٧
٤١ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق، ج١، ص ٥٧
٤٢ ـ أحمد الزاويتي، من برنامج الجزيرة: رحلة مصطفى البارزاني ج ١
٤٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص ٢٣٠
٤٤ ـ مسعود البارزاني المصدر السابق ج١ ص ٢٣١
٤٥ ـ ملاحظة من المترجم جرجيس فتح الله في كتاب رينيه مورييس ص ١٠٢

الوثائق التاريخية التي تخص المرحلة

الوثيقة رقم ١

لقد اعتمدت على بعض الفقرات من هذه الوثائق في هذا الفصل، وهنالك من هذه الوثائق ما يعطي تصوراً عاماً لجهة إصدار تلك الوثيقة، وهذا مفيد في المجري العام لكي نحيط بكل جوانب البحث ومن زوايا مختلفة. وفيما يلي بعض الوثائق عن هذه المرحلة نقتبسها من محمود الدرة القضية الكردية والقومية العربية في معركة العراق (ص ١٢٥ ـ ١٢٩):

بيان رسمي حكومي (بلاغ)

لما كان أتباع الشيخ أحمد برزان قد أخذوا في الآونة الأخيرة يعتدون على القري المجاورة ويمعنون فيهاً حرقاً وتقتيلاً فقد أوعز الى الفوج المرابط في بلة بأن يقوم ببعض الأجراءات فحدثت مصادمة بين مفرزة من الفوج وأتباع الشيخ أدت الى وقوع ١٣ قتيلاً مع ضابط و ٩ جرحي من الجيش والشرطة وما يقارب ٢٠ قتيلاً من و٣٠٠ جريحاً من العصاة، والحكومة مجدة في اتخاذ التدابير الفعالة لقطع دابر المفسدين الذين يعبثون بالأمن ويخلون براحة الأهلين.

في تلك الحركات ساهمت القوة الجوية البريطانية بفعالية وكان لها تصورها عن العمليات وأسهبت في بيانها المفصل فقالت:

(بلاغ رسمي)

١ ـ اتضح في نهاية نيسان ١٩٣٢ انه لابد من مرور بعض الوقت ليستطيع الجيش العراقي تنظيم معداته ومواصلاته قبل أن يكون مستعداً لعبور نهر كوجك الى مزوري بالا، لذلك طلبت الحكومة العراقية الى المعتمد السامي إجراء الترتيب لتأخذ القوة الجوية الملكية على عاتقها مهمة التنكيل بالثوار في القسم الجنوبي ـ الشرقي من ناحية مزوري بالا. وعليه تقرر أن يكون يوم ٢٩ نيسان موعداً لشروع القوة الجوية الملكية بالحركات. وقد ألقيت قبل ذلك التاريخ بيانات (في ٢٥ نيسان) على ٣٥ قرية بين نهري شمدينان وركوجك أخبرا فيها الأهلون بأن الذين يعرضون الدخالة على الحكومة سينالون عفوها.

٢ ـ وقد أضطرت لسوء الحظ إحدي طائرات وابيتي العائدة الى السرب أل ٥٥ (رامي القنابل) في أثناء المظاهرة الجوية التي جرت في ٢٦ نيسان الى النزول قرب شيروان مازن لخلل طرأ على محركها فأسر الشيخ احمد الراصد والراكب معه، ونظراً لما أصاب الراصد من الأذي في كتفه، أرسل طلب الى الشيخ أحمد ليسمح لطبيب بريطاني برؤية الراصد ومعالجة جروحه والرجوع به عند الأقتضاء. فوافق الشيخ على هذا الطلب وعليه أوقفت الحركات الجوية في شمالي غربي نعر روكوجك في ٢ مايس. فغادر الطبيب بصحبة الكابتن هولت أحد موظفي المعتمد السامي في ٣ مايس.

٣ ـ انتهزت فرصة ايقاف الحكات الجوية للسعي لأقناع الشيخ أحمد علي عرض دخالته على الحكومة واجتناب مواصلة القتال. واستمرت المفاوضات مع الشيخ حتي تبين في ٢٣ مايس إنه لا فائدة من استمرارها، وعرضت شروط سخية على الشيخ أحمد وأخوته، ولكنه واظب على إعطاء أجوبة مبهمة غير قطعية على مخابرات الحكومة.

٤ ـ كان الشيخ احمد قد أخبر بأن المهلة تنتهي في ٢٤ مايس عند غروب الشمس. وفي اليوم ذاته أذيعت رسالة بهذا المعني بالكردية بواسطة مكبرة الصوت المجهزة بطائرة فكتوريا الى أهالي القسم الجنوبي من ناحية مزوري بارلا.

وكذلك اذيعت رسالات أخري على المنطقة نفسها في ٢٦ مايس نحث الأهلين على –رض الدخالة الى الحكومة.

٥ ـ ابتدات الحركات الجوية في ٢٥ مايس فهوجم الثوار المسلحون أينما شوهدوا، وأكرهوا على الأتجاء الى مأوي. وكان القرويون قد أنذروا بترك قراهم. وبعد ان أخليت القري بهذه الصورة القيت بعض القنابل لمنع الأهلين من العودة اليها. وحظرت كافة تنقلات الرجال ومرور التجهيزات داخل المنطقة، وهوجمت نيران المضارب ونيران المطبخ كما شوهدت ليلاً. وكانت الغاية المتوخاة من هذا هي إجبار الثوار الى السكني تحت الستر ولجعل حياتهم شاقة قدر المستطاع، مع الأهتمام بوجه خاص بالمنطقة التي علم ان الشيخ أحمد نفسه كان يختبئ فيها كل يوم. في ٢٧ مايس كان الثوار قد غادروا قراهم الى الأماكن العليا من وديان الجبال. وفي ٢٩ منه أتصل بنا إن الحكات الجوية كانت سريعة التأثير على معنوياتهم. وفي ٣٠ منه استخبرنا ان الشيخ أحمد لم يعد على اتصال بأكثرية أتباعه الذين كانوا قد تشتتوا في جميع الجهات لأيجاد ملجأ لهم. وفي ٣١ مايس عادت عائلات كثيرة من الباروش الى قراها قرب نهر الزاب فعرضت دخالتها على الحكومة. ومنذ ذلك التاريخ ازاداد عدد العائلات الداخلة على الحكومة يومياً، فاتضح ان الشيخ أحمد بدأ يفقد سيطرته فصار يهجره اتباعه الذين والوه عن طيب خاطر او مرغمين. وفي ٩ حزيران

طلب محمد صديق السماح له بالمواجهة قرب بارزان لكي يعرض دخالته. لكنه لاح أثناء المواجهة إنه كان في الحقيقة مرسلاً من قبل الشيخ احمد للسعي لأقناع الحكومة على ايقلف الحركات لاجوية.

٦ ـ كان الشيخ أحمد خلال تلك المدة كلها نازلاً مع معظم الثوار قرب ذروات الجبال المركزية الوعرة التي يبلغ ارتفاعها هنا ٨٠٠٠ قدم تقريباً، فكان لديهم هنا ستر جيد ومأوي في الكهوف. فكانت مهمة رجال الطيران صعبة للغاية، غير انه بفضل شدة التيقظ الدائم والسهر بواسطة الخفارات المستمرة من قبل الطائرات التي تحلق فوق الأكمات فتفتش الصخور وتتحري عن آثار الثوار وتهاجمهم أينما وجدوا، فقد أضطر نهائياً الشيخ أحمد وأتباعه الى تخلية معقله الرئيسي هذا.

٧ ـ وفي ١٣ حزيران اتضح ان الشيخ أحمد والثوار المسلحين الذين ما زالوا باقين معه نازلون في الحدود التركية يأملون التمكن من الألتجاء الى تركيا او أيران. ولم تكن للشيخ بعد ذلك أي سيطرة على أهالي المنطقة القائمةفيها الحركات الجوية. وكان الجيش العراقي في اثناء المدة قد زحف على نهر روكوجوك واستولي على عدد من المخافر على طول الضفة اليسري. وفي ١٤ حزيران عبر الجيش العراقي نهر روكوجوك وثبت قدمه في شيروان مازن، قلب المنطقة الثائرة. واستمر سيل الثوار وعائلاتهم في جميع انحاء منطقة مزوري بالا على عرض الدخالة جارياً. ويبقي الشيخ أحمد واتباعه المقربون بضعة أيام في (زيتة) داخل الأراضي العراقية في جوار الخا كواندة، ولكن في ٢٢ حزيران عندما احتل الجيش العراقي زيتة نفسها وجد الشيخ أحمد نفسه مهدداً من كل جهة فضلاً عن مباغتته بصورة مستمرة من الجو فاضطر الى التسليم الى جنود تركيا التي كانت تحافظ الحدود تجاهه. إن اثنتين من اخوته المقدمين مع ١٠٠ من أتباعه المقربين سلموا انفسهم معه، وبذلك تمهد السبيل للجيش والشرطة لتأسيس المخافر في جميع أنحاء ناحيتي مزوري بالا وبروش التين اسست فيهما إدارة مدنية لا تزال تجري تقويتها بسرعة.

ـ وزير المستعمرات البريطانية يطلب من المندوب السامي في العراق ان يوافيه بالمعلومات المتوفرة عن الموقف الكردي في كردستان العراق.والوثيقة المنشورة ادناه هو جواب ضابط الخدمات البريطاني في بغداد.

وثيقة رقم ١

المرجع: جو ٢٣ / ٤١١ مركز حفظ الوثائق الجزء ١ سري المرفق ١٠ أكس / ام ٤٥٨٣

دائرة الخدمات الخاصة / بغداد / الثالث من شباط ١٩٢٦

هنالك في الوقت الحالي مؤشر قوي على أحياء النشاط الموالي للأكراد على الصعيد المحلي في العراق، وفي الخارج فلم يتوان الأكراد في غدراك ان الأستقرار الحالي في الشؤون العراقية ـ العربية قد أسفر عن تركيز الأهتمام البريطاني في شرق أوسط مسالم للأنتقال شمالاً.

إن ظهور كردستان مستقلة ربما في وقت بعيد جداً، أمر أكيد مثل حقيقة عدم قدرة الأكراد على الأندماج جنباً مع الأتراك او العرب او الأيرانيين، وكحقيقة انبعاث بولندة وجيكوسلوفاكيا، وإن نشوء كردستان المستقل ما هو إلا المرحلة الأخيرة في التفكك الحتمي للأمبراطورية العثمانية في الصفحة الحالية، يمكن تقسيم العمال الموالين للأكراد الى فئتين بارزتين، هما فئة أولئك الذين يبتغون شكلاً من أشكال الحكم الذاتي الهادئ ضمن حدود العراق، وفئة الأرواح الضائعة التي تحلم بجبال عيونها برؤيتها أبداً، وبعاصمة ملك لا وجود لها على الأطلاق، وتجول بأفكارها من أورفا الى تبريز، ومن أرضروم الى السليمانية بغض النظر عن الحدود الدولية.

لقد إستمدنا إن شريف باشا المقيم في باريس والذي كان أحد أقطاب ثورة دياربكر سنة ١٩٢٥ م وهو الأن على اتصال مع بعض الأكراد في العراق، ولقد ألمح عدة مرات عن ثمة لجنة تدعي اللجنة القومية الكردية قائمة الآن في القاهرة. ومعروف ان اللاجئين الأكراد من تركيا لم يتخلوا عن امل إعادة الأتصال مجدداً مع منظمتهم القديمة التي اسيء استخدامها.

هذا إذا لم يكن مثل هذا الأتصال قد تم بالفعل بطريقة سرية، يري هؤلاء القوميون الأكراد الذين يعترفون صراحة أنهم لا يستطيعون القيام بأي شئ بدون مساعدة غربية يرون آمالهم في المصالحة الأنكلو ـ تركية (الجلية).

المرفق ١٠ أ

وقد يتجه المتطرفون صوب روسيا كملتجأ أخير طلباً للمساعدة الضرورية والتنسيق، إلا انهم في الوقت الراهن سيعملون من دون شك على تقوية كردستان العراق.

اما فيما يتعلق بالأكراد المعتدلين: فيستفاد على نحو موثوق بأن الأعضاء الأكراد الأحد عشر في البرلمان العراقي منهمكون بإعداد مذكرة لتقدم الى المجلس. وإن هؤلاء ما زالوا بدون اتصال فعلي مع اوهام القوميين الأكراد.

وهم متفقون فيما بينهم على وجوب الوقوف متحدين للنضال في سبيل فصل أكثر وضوحاً

بين عراق العرب وعراق الأكراد، غير ان الصيغة الحقيقية لمطاليبهم لم تظهر لحد الآن، وإن الأغلبية منهم تفضل أيجاد مكتب كردي منفصل في كركوك او في الموصل او في أربيل ليكون بمثابة دائرة فرعية لوزارة الداخلية، وهم يريدون ان يمثل الأكراد في مجلس وزراء بغداد بوزيرين كحد ادني، وترغب قلة منهم بانفصال تام عن العراق لتشكل دولة مستقلة ضمن الحدود العراقية الحالية، مع خضوعها لسيطة للسيطة المباشرة من قبل المندوب السامي. إن زعماء هذه الزمرة هما النائبان ابراهيم حيدري والدكتور شكري محمود. جدير بالذكر إن مصطفى باشا الذي أسس تواً (بانكي) كردستان، يتردد باستمرار على بيت الشخص الأول بينما يقضي كل من صالح زكي محرر دياري ـ ئي كردستان، الضابط التركي السابق احسان نوري يقضيان كثيراً من الوقت مع الثاني. أن الدكتور شكري الذي يمتلك سطوة كبيرة على النواب الأكراد، منظم مقتدر، وإنه من دون شك يحلم بكردستان الكبري.

جدير بالأعتبار ان النواب الأكراد الذين ما انفكوا يساندون الحكومة لحد الآن راحوا يتحدثون الآن عن بشئ من الأبهام عن التخلي جماعياً عن حزب التقدم.

المرفق ١٠ ب

تعقيب

علي الرغم من انه لا يتوقع إثارة الأكراد متاعب وشيكة فليس بعيداً فيما إذا لم تلب مطالب النواب المعتدلين بقدر معين، ان يجد مثيروا الفتن الأكراد من مثل لاجئي ديار بكر المقيمين حالياً في العراق، والقوميون الأكراد الأكثر عنفاً فرصة لتنسيق العناصر الخارجة عن القانون في غرب ايران مع بقايا التنظيم في تركيا لاستثمار استياء اكراد العراق لنشر الفوضى على نطاق عام. وعلي الرغم من ان اعمال النواب الأكراد ما زالت لحد الآن تتسم كلها بالوقار، ينبغي ان لا يغيب عن البال إن وراء هؤلاء زعماء عشائر، ليس أحب اليهم من اصطياد فرصة للشجار، وغن حدوداً تعسفية بين العراق وتركيا لا تعني شيئاً بالنسبة لرجل عشائري.

توقيع / ضابط الخدمات الخاصة / بغداد

تعقيب

جدير بالملاحظة إن ابراهيم يوسف تربطه صلة قربي هو الآخر بمتصرف كركوك، وبهذا الأضعاف الواضح للممثلين الرسميين في البرلمان ليس مستبعداً ان تبذل مساعي لأعداد مضبطة بين زعماء العشائر.. لذلك استلمنا بالفعل مؤشرات تشير الى امكانية هذا الأحتمال.

توقيع / ضابط الخدمات الخاصة / بغداد. (الدكتور عبد الفتاح البوتاني: وثائق عن الحركة القومية التحررية ص٣٤ ـ ٣٧).

ـ كانت الحكومتين البريطانية والعراقية تتهيئان لعقد معاهدة أمردها ٢٥ سنة بموجب شروط إلحاق ولاية الموصل بالعراق، لضمان حقوق القوميات الغير عربية في المنطقة، وأدناه نص الوثيقتين بين وزير المستعمرات والمندوب السامي البريطاني حول الأكراد.

الوثيقة رقم ٢

المرجع: جو ٢٣ / ٤١١ مركز حفظ الوثائق ج ١ مرفق رقم ١٤ اَ أكس / ام ٤٥٨٣

برقية ـ توجيهية

من ـ وزير المستعمرات

الي ـ المندوب السامي في بغداد

الرقم ـ ٥٢

التاريخ ـ ٢٧ / ٠١ / ١٩٢٦

تاريخ الأستلام ـ ٢٨ / ٠١ / ١٩٢٦

بموجب المادة ٢ من القرار المؤرخ في ١٦ كانون أول ١٩٢٥ الصادر عن مجلس عصبة الأمم، فإن المعاهدة الجديدة مع العراق سترفع الى المجلس وسيكون من الضروري عندئذٍ تقديم بيان ما الى المجلس بصدد النقاط المثارة في المادتين ٣ و ٤ من القرار.

المادة ٣

فيما يتعلق بهذه المادة، أرجو تزويدي بالسرعة الممكنة بواسطة البريد بتقرير كامل عن الموقف في المناطق الممكنة بواسطة البريد. بتقرير كامل عن المناطق الكردية، وينبغي ان يبني في التقرير شكل محدد طبيعة التعهدات العامة، وينبغي ان تفيدنا في عين الوقت ما إذا كان من الضروري او المرغوب به، أتخاذ خطوات اضافية لجعل الجهاز اكثر فاعلية مما هو عليه الآن.

المادة ٤

أما فيما يتعلق أما ما يتعلق بهذه المادة فأرجو الأطلاع على المذكرة المؤرخة في ١٩ / ١ / ٢٦ المرسلة مع رسالة دائرة ناحية شكبرغ المؤرخة في ٢١ كانون الثاني، ونظراً لكون ان تخفف الأجراءات يعتمد على الأتفاق مع تركيا، فليس.. في هذه المرحلة اجراء أي اتصال محدد لكن سيسرني معرفة رأيك حيال جميع النقاط المطروحة في المذكرة بالسرعة الممكنة.

الوثيقة رقم (٣)

المرجع: جو ٢٣ / ٤١١ مركز حفظ الوثائق ج١ مرفق رقم ١٥

سري ومكتوم أكس / ام ٤٥٨٣

ملاحظات عن مسالة الأستقلال الكردي.

يما ان مسألة الأستقلال الكردي عادت للظهور مجدداً، لذا نعتقد بأن الملاحظات التالية قد تفيد في المساعدة على ألقاء ضوء على الموقف الراهن اكثر وضوحاً مما يسلطه المسؤولون المحليون وغيرهم ممن هم في خدمة الحكومة العراقية.

ومهما يكن موقف الحكومة البريطانية حيال كردستان مستقلة، علماً ان ذلك ينبغي ان يبقي غامضاً في الوقت الراهن، لا يمكن ان يكون ثمة شك في عداء الحكومة العربية لتحقيق التطلعات القومية للأكراد حتي لو كانت جزئية، ولهذا ليس متوقعاً ان يكون أي مستوي عربي او أي موظف مدين بمنصبه مبدئياً للحكومة العراقية مستعداً لأعطاء رأي صريح وغير منحاز مع او عند دولة كردية مستقلة او شبه مستقلة.

عندما مر سيد طه قبل اسبوعين عبر كركوك وهو في طريقه الى بغداد أثيرت تقولات عدية بصدد سبب زيارته وذا ع على نحو ما انه استدعي من لدن المندوب السامي كتمهيد لتعيينه والياً او حكمدار للدولة الكردية. وبعد ذلك تسربت عدة شائعات من بغداد مفادها ان عدداً من النواب الأكراد، مع واحد او اثنين من النواب العرب يسندون بحماس حركة الأنفصال الكردية... ان هذه الشائعات والتقارير الغامضة قد اسرعت بإبراز كامل المسألة الكردية، وأصبح ممكناً الآن وضع تقرير لموقف العشائر في هذه المنطقة حيال كردستان مستقلة ذاتياً.

من الخطأ الأعتقاد ان الكردي قانع بالأدارة الحالية في أية حال من الأحوال، إنه لا يرضي أبداً بأي شئ لا يقدم عليه بالفائدة الشخصية او يعود عليه بالـ.... ان مجرد كون حكومة... حكومة عربية سبب كاف بحد ذاته لأبطال أية فائدة يمكن ان تنشأ عن حكومة مستقلة ومن التحسن التجاري الناجم عن صيانة النظام والقانون. ان كلمة عربي كانت وستبقي بغيضة بالنسبة للكردي، وأن اية حكومة عربية سوف تكون موضع كره واحتقار من قبل الأكراد مهما كانت عادلة في حكمها وطبيعي ان نجد المتصرفون والقائمقامون وغيرهم من موظفي الحكومة المحليون الذين يشغلون مناصبهم تحت ظل الحكومة العراقية. إن من المفيد لهم ان يقودوا لأسيادهم عن طريق الثناء على الحسناء العينة الحالية للأدراة، والسعي لأظهار ان الحكومة الممثلة من قبلهم إنما هي حكومة محبوبة ومقبولة بشكل عام.

كما وجد رؤساء العشائر والزمرية... الحكومة لا يثمر شيئاً سوي ان يقوي أيدي اولئك

المتسرعين على دست الحكم،فضلاً عن انه سيثير الكره والأستهجان كاتب التقرير.

ولأجل توظيح وجهات نظر عدد من المسؤولين البارزين وبعض الأشخاص القياديين في المعسكر المناهض للحكومة، فإن المعادلات الشخصية التالية تستحق الأهتمام. إن حقوق الأمم الصغيرة والمجادلات التي تفوق الحصر والتي تؤيد او تعترض استقلال كردستان هي مواضيع نوقشت بإسهاب من قبل الضباط السياسيين وغيرهم، عندما كانت المسألة قيد الدرس سنة ١٩١٨م. ولهذا فإن هذه النقاط لم يقصد بها ان تكون بحثاً او مقالة، عن أخلاقيات القضية. وإنما هي مجرد وسيلة لمعرفة منطقة الأشخاص المرموقين، وكمساعدة في تقرير الدوافع التي تحكم أقوالهم العامة وميولهم الخاصة.

(الدكتور عبد الفتاح بوتاني: وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية ص٥٢ ـ ٥٤).

ـ وثيقة للحكومة العراقية حول القضية الكردية، ويبدو ان الوثيقة كتبت بعربية ركيكة او انها ترجمت من الكردية الى العربية وهي في الحالتين تفتقر الى الدقة في الكتابة. وننقلها نصاً.

وثيقة رقم ٣

ديوان مجلس الوزراء

بغداد سري

الرقم: ١١١١

التاريخ: ٥ نيسان سنة ١٩٣٠

سعادة رئيس الديوان الملكي

أمرت ان أرسل اليكم في طيه نسخة من تعريب الكتاب المرفوع الى فخامة المعتمد السامي من قبل معروف جياووك ومحمد الجاف المتعلق بحقوق الأكراد ومطاليبهم للأطلاع عليه.

سكرتير مجلس الوزراء

لصاحب الفخامة المندوب السامي للعراق ـ المعظم

(رجاء)

بعد عرض الأحترام والتعظيم

نؤمل ان تنال عريضتنا هذه لديكم قبولاً وتقترن بنتيجة حسنة. نحن مندوبي الشعب الكردي نري من اللازم ان نعرض على فخامتكم ما يجيش في صدر كل كردي من المطالب وقد اودعنا ذلك الى شرف وناموس الحكومة البريطانية.

حقيقة الأحوال

عندما التجأ الشعب الكردي بالحكومة البريطانية المعظمة أخذ يسعي لتقوية سياستها ولم يصدر أي مخالفة من أحد ما تجاه هذه السياسة نظراً للأعتقائد السائد في ان هذه السياسة محافظة لحقوق الأكراد المؤيدة بالمعاهدات او بقرارات عصبة الأمم وقد كان الأمل في ان تسير دقة هذه الأمور الحقوق بتوازن تام نحو الأمام، ولكن مع الأسف منذ عدة سنوات لم يظهر شئ مهم ولم تطبق حقوقهم الحقيقية. ولما كان الأكراد قد يأسوا من استقلالهم كما وليس لهم أي أمل لأن الوضعية الحاضرة تدل على ان حقوق الأكراد ضعيفة جداً إذ انها محاطة بدائرة ضيقة جداً من الظلام.

ـامين أحوال الشعب

كما هو معلوم لدي فخامتكم ان الأكراد اعتماداً على وعد الدولة البريطانية انفصلوا عن الأتراك ومدت يدها لهذه الديار لكي تعيش تحت ظل العلم العراقي بصورة متحدة كالأخوة على ان تمثل سياستها ويحافظ على حقوقها أي ان يبقي الأكراد كجنسية عراقية ومن جهة أخري وبتأثير ذلك الشعور أقامت عصبة الأمم بتقرير لزم محافظة القومية الكردية ويتضمن ذلك اللغة (الأدب) والآثار والعادات القومية وقد قررت جمعية الأمم محافظة هذه العادات التي تكفل تضامن القومية وعليه وضعت الشروط التالية.

الشروط التي قررتها عصبة الأمم

١ـ يجب ان تكون كل مادة في الكردية.

٢ ـ واللغة التدريسية كذلك بالركدية.

٣ ـ وان تضع إدارة واسعة.

٤ ـ ان تظل كردستان تحت اشراف الحكومة البريطانية لمدة ١٥ سنة.

٥ ـ وإذا ما ظهر أي تغيير في الأدارة في العراق يجب ان يمنح الأكراد الحكم الذاتي.

نرجو ان تحققوا

إذا يحقق الأمر من قبل معاليكم يظهر بأن لم يطبق إحدي من هذه الشرائط ولو بصورة قليلة. فبالعكس يتعقب دائماً سياسة عامة ومهمة ومظلمة ولا سيما عدا قسم قليل من الموظفين والمدرسين ان جميع الموظفين هم عرب والتدرسات تجري باللغة العربية.

مناطق كردستان

١ـ منطقة بادينان وتشمل دهوك وزاخو والعمادية... (النص غير واضح).

٢ ـ منطقة سوران وتشمل أربيل... (النص غير واضح).

٣ ـ منطقة شاره زور أي (سليمانية وكركوك) ان أحوال التدريس مختلفة الأشكال وحيث انها مربوطة بمديرية معارف بغداد ليس لها استقامة صحيحة ويوجد قسم عظيم من موظفي العرب في هذين اللوائين.

٤ ـ ان الشرطة و (مدير ومعاونوا مدراء الشرطة) المستخدمين في جميع الألوية عرب ما عدا لوائي السليمانية وأربيل.

البحث عن التدابير والسعي عليها

بعد دخولنا المجلس باشرنا بالمراجعة حالاً

١ ـ قدمنا تقريراً الى وزير المعارف وطلبنا اليه ان تجري التدريسات باللغة الكردية مع اجراء تشكيلات المعارف ولكن مع الأسف ما اخذنا منه أي جواب.

٢ ـ قدمنا تقريراً مفصلاً الى رئيس الوزراء وطلبنا اليه تشكيلات ادارة المعارف وتعديلها فلم يعط اهمية بتاتاً.

٣ ـ قبل هذا وردنا جواب عدم الموافقة بصورة باردة.

٤ ـ أجابنا وزير الدفاع بشدة وبصورة باردة حول إخراج الضباط الأكراد الذين يسئل منهم عن القاموس العربي وتاريخ العرب.

نتيجة الأسترحام

ثبت بهذه الأوضاع والترتبات بأن الحكومة العراقية لم تعط اهمية الى مناطق الكردستان ولم تلتفت الى مراجعتها ولم تعتبر بملاحظة وشروط عصبة الأمم وبما اننا بقينا مأيوسين من المراجعة وإن هذه الأيام وأيام المفاوضة والمعاهدة الجديدة وإن فخامتكم معتمد حكومة البريطانية والواسطة لتنفيذ مقررات عصبة الأمم فنجلب انظار فخامتكم لتثبيت حقوق الأكراد في المعاهدة الجدية ونقدم شكايتنا هذه بصورة خاصة حيث لم نر من المناسب نراجع رأساً عصبة الأمم.

مؤمل بان المتعهد المعرض الينا من قبل فخامة السر هنري دوبس سيتبع بلطف فخامتكم.. حقوق الأكراد في عهدكم وبهذه المناسبة نقدم فائق احترامنا.

محمد جاف / مندوب كركوك معروف جياووك / مندوب أربيل

(الدكتور عبد الفتاح البوتاني: وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية ص ٦٢ ـ ٦٤).

الفصل الخامس

البارزاني وتبلور الثورة القومية

سنأتي في هذا الفصل الى مرحلة متطورة من الحياة النضالية لملا مصطفى البارزاني وهي تشمل الفترة التي انتقل فيها من منفاه في السليمانية الى بارزان وذلك عام ١٩٤٣، ومن حيث المرحلة العمرية فإنه قد تجاوز الأربعين من عمره وهي مرحلة الأكتمال والنضوج الكامل في تجارب الحياة.

بانتهاء الحرب العالمية الأولى تحتم على الأمبراطورية العثمانية ان تختفي من الخارطة كامبراطورية مترامية الأطراف وهي تتراصف مع الأمبراطوراطوريات التاريخية التي قد مضى عهد وها هو عهد جديد لصياغة الدولة الحديثة التي يمكن نطلق عليها الدولة القومية والتي ستسود وتتبلور اكثر بعد الحرب العالمية الثانية، وفي اواخر القرن سنشهد اختفاء الأمبراطورية السوفياتية التي بدورها ستتجزأ الى دول قومية مستقلة.

إن الأمبراطورية العثمانية كانت اخر امبراطورية تتكلم بلغة السيف، فحينما سأل صحفي احد السلاطنة لماذا لا يزور اوروبا ويطلع على معالمها، وكان جواب السلطان أنه لا يزور اي بلد اوروبي إلا فاتحاً، لكن إرهاصات الحرب العالمية الأولى افرزت ولادة دول على انقاض تلك المبراطورية، كما انبثقت الجمهورية التركية الاتاتورك القومية، التي عملت على صهر كل الأعراق في بودقة الهوية التركية فأحفاد الأغريق والأقوام الهيلينية الأخري والأكراد وغيرهم يتكلمون اللغة التركية وتجمعم ثقافة واحدة.

لقد أفلح العرب والأرمن في تكوين دولتهم القومية لكن الأكراد لم يتحقق لهم حلمهم في إنشاء الدولة القومية الكردية، وهذا الأخفاق في تكوين الدولة القومية كان البؤرة التي تبلورت فيها المشاعر القومية التي تتكئ على المظالم التي يتعرض لها الشعب الكردي جراء تجزئته وتقسيمه على دول قومية: تركيا،أيران، عراق.

كان المثقفون الأكراد يسعون الى زرع المشاعر القومية بين الأكراد ويطالبون بحقوق التعليم باللغة الكردية خوفاً على لغتهم التي تجمعهم من الأنقراض، كما دأبوا على إصدار نشرات وجرائد ومجلات وبيانات تركز على الحقوق القومية لهذا الشعب، وفي جانب آخر كانت تشكل

النوادي والجمعيات والأحزاب التي كانت تطالب بالحقوق الثقافية والسياسية والأقتصادية، وبين هذه وتلك كانت تنبثق المظاهرات والأنتفاضات، وفي مراحل اخرى وهي كثيرة تندلع المقاومة العسكرية في طرف من أطراف كردستان، فتعمل الحكومات الى إخمادها، ولكن سرعان ما تندلع في مكان آخر، وهكذا يمكن الزعم بوجود ثورة مسلحة في كردستان طويلة النفس، يتخللها المد والجزر. لكن المآخذ على هذه الثورات انها تأخذ الطابع العشائري، وفي أحيان كثيرة يشترك فريق من الأكراد انفسهم في قمع هذه الثورات.

من الصعوبة بمكان التغلب على مراحل الأسرة والعشيرة والقبيلة والأنتقال الى مرحلة القومية والشعب والدولة القومية، ويظهر ذلك جلياً على بنية الدولة العربية التي يغلب عليها لحد اليوم الطابع الأسري والعشائري، ويبقي القانون المكتوب رسمياً معطلاً فعلياً وعلي ارض الواقع، وتحت تاثير العلاقات الأسرية والقبلية المتأصلة، وتتراوح هذه الحالة بين الوضوح الكامل لهذه العلاقات وبين تخفيها خلف صيغ دستورية وقانونية.

إن ثورة الأكراد النابتة أصلاً في مشاتل المجتمع القبلي كان مكتوب عليها ان تتلون بألوان الأسرة والعشيرة كي يكتب لها الديمومة، فالأفق السياسي القومي لا زال في دور المخاض وتنتظره الولادة العسيرة.

إن ملا مصطفى البارزاني رغم السمة العسكرية التي تغلبت على شخصيته فلم يكن بعيداً عن السياسة وعن عمق تأثيرها في مسيرة الثورة. كان امامه المشهد الدولي، ففي الثلث الأول من القرن العشرين تميز بمرحلة قيام الأحزاب والحركات والدول القومية وهي تستنير بدعوة الرئيس الأمريكي ودرو ولسون حينما اعلن حق الشعوب في تقرير مصيرها.

نشأت الدولة الفارسية في ايران وهي تستند على عكازة القومية الفارسية غير مبالية بالقوميات الأخرى في هذه البلاد، وهذا كان حال الدولة التركية القومية والدولة العراقية بطابعها القومي العربي.

وعن حالة الأكراد فإن معاهدة سيفر (Sevres) الموقعة سنة ١٩٢٠ بين دول الحلفاء وتركيا كانت صريحة بما فيه الكفاية في إقرار مشروع الحكم الذاتي المحلي للمناطق التي تسكنها أغلبية كردية والواقعة شرق الفرات وجنوب الحدود الجنوبية لأرمينيا وشمال حدود تركيا مع سورية وبلاد ما بين النهرين، إلا ان معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ وضعت هذه المعاهدة على رفوف النسيان بعد ان صار واضحاً أن لا محل للشعب الكردي او الأرمني في تركيا كمال اتاتورك.

إن هذه الحقيقة المرة كانت واضحة للقادة الأكراد وفي مقدمتهم ملا مصطفى البارزاني

ومن هنا كان يري ان أفضل سبيل لتحقيق الوجود بين الأقوياء هو الكفاح المسلح، إنه طريق وعر وعسير ولكن بدونه سوف لا يكون لشعبه وجود بين الموجودين.

في هذه الفترة كان حزب هيوا (الأمل) الذي تأسس في السليمانية سنة ١٩٣٧ والذي ضم بين صفوفه الضباط الأكراد والمثقفين المتعاطفين مع الأفكار القومية او الأفكار الديمقراطية، وكان الحزب يصدر جريدة باسم (ئازادي) أي الحرية، وكانت الأغلبية الساحقة في هذا الحزب تتعاطف مع الثورة الكردية في منطقة بارزان وتدعو الى مساندتها وقد ساهم هذا الحزب في نشر الوعي القومي في الأوساط الكردية.

في ١٢ تموز من عام ١٩٤٣ كان ملا مصطفى البارزاني في طريقه الى بارزان وبمساعدة حزب هيوا. وكان عليه ان يمر عبر الأراضي الأيرانية ثم يتوجه الى بارزان. كان عليه ان يصل الى بارزان ولكن هذه المرة متسلحاً بفكر قومي واسع الأفق.

من سليمانية الى بارزان

العامل الأقتصادي وتأمين اسباب المعيشة من الضرورات الحياتية للأنسان، ليس بدواعي الحاجة البيولوجية لأنسان للحفاظ على البقاء فحسب، انما من الناحية الأجتماعية تشكل ركناً مهماً في المنزلة الأجتماعية، فالعوز والفاقة قد تدفع المحتاج الى سلوك غير سوي، او ربما الى طلب احسان او مساعدة من الأصدقاء والأقارب، فتأمين المعيشة هو جزء من الكرامة الأنسانية.

لقد كان البارزاني في السليمانية يعيش على المخصصات الحكومية الزهيدة وهي في اكثر الأحيان غير كافية لتسديد كل نفقات المعيشة ويذكر ان البارزاني كان يلجأ الى انتزاع القطع الذهبية التي في عمامة (بوشية) زوجته وبيعها لتسديد مصاريف العائلة. لقد كان البارزاني لا يفكر في جمع الأموال، إنما كانت تشغله هموم شعبه، لقد كرس حياته لشعبه وهكذا يجب ان ينطلق حيث المجال الواسع بهدف إكمال سيرورة الثورة وديمومتها لحين تحقيق اهدافها.



مصطفى البارزاني العام ١٩٤٤

كانت لقاءات البارزاني بالقوى القومية الكردية

في هذه المدينة (سليمانية) تشد من أزره وتحثه على الأنطلاق، إنه المؤهل لاستلام قيادة الحركة القومية الكردية في هذه المرحلة، وفق تلك المعطيات وبمساعدة عدد من اعضاء تنظيمي هيوا وبرايه تي استطاع ان يفلت من قبضة الحكومة. أقلقت عودة البارزاني من منفاه الى بارزان كل من الحكومة العراقية والسلطات البريطانية، فلجأت السلطات الحكومية الى فتح تحقيق في امر هروب البارزاني من منفاه، واصدرت اوامر مشددة تقضي بمطاردته وانصاره دون هوادة وإعادتهم الى السليمانية، ولم تكتف بذلك بل قامت في ١٨ آب عام ١٩٤٣ بنقل الشيخ احمد البارزاني وأخوته وعوائلهم الى مدينة الحلة.. وفي الوقت ذاته خصصت الحكومة جائزة نقدية ثمينة لمن يلقي القبض على البارزاني حياً او ميتاً[١].

كانت مغادرة البارزاني مع بعض مرافقيه مدينة السليمانية بتاريخ ١٢ تموز ١٩٤٣ متوجهاً نحو مدينة مهاباد في أيران، ومن هناك توجهوا الى بارزان حيث وصلها في ٢٨ تموز من نفس السنة، وفي طريقه وبعد حوالي سبعة أيام من المشي كانوا قد بلغوا قرية (آغجه زيوه) القريبة من نغدة، وكان يعيش في هذه القرية (مامند مسيح) الذي لجأ الى أيران من العراق. فعندما وصل البارزاني الى مشارف القرية شاهد مجموعة اطفال يسبحون في نهر كَادر من بينهم ابن مامند مسيح، فطلب منه البارزاني ان يدله على بيت ابيه، وكانت مفاجأة سعيدة لهذه العائلة حينما حل البرازاني في بيتهم واستقبلوه بحرارة، وفي اليوم التالي ودعهم لأكمال مشوار سفرته من قرية الى اخرى وكان في هذه الأثناء يجتمع مع الأغوات، وفي قرية كوليج كان هو ورفاقه في ضيافة كاك مامند آغا كوليجي، وبعدها تحركوا باتجاه الحدود العراقية.

يورد مسعود البارزاني عن لسان والده عن قصة طريفة حدثت في ديوان كاك مامند يقول:

بينما كنت جالساً في الديوان جاء قرني آغا مامش وهو احد رؤساء عشيرة مامش المتنفذين ليبلغ كاك مامند بنبأ هروبي من السليمانية وتخصيص الحكومتين العراقية والأيرانية كل منهما جائزة مقدارها خمسين ألف دينار عراقي لمن يلقي القبض على حياً او ميتاً، فطلب من كاك مامند ان يراقب منطقته وأن لا يفوت نفسه هذه الفرصة الثمينة، ولم يكن قرني آغا يعرفني بالطبع، فأجابه كاك مامند: انه لعار على من يفكر بهذا المنطق المخزي وإن الذي يلقي القبض على البارزاني لم تلده أمه.

ليس هذا فحسب بل ان كاك مامند حث البارزانيين على الألتحاق بالبارزاني وهو يضمن معيشة عوائلهم. وأهدى له بندقية برنو ثم امر احد اتباعه بمرافقة البارزاني الى الحدود العراقية.



١٩٤٤م صورة نادرة تجمع الزعيم الكردي مصطفى البارزاني الثالث في الصف الأمامي من يمين الصورة مع عدد من رؤساء ووجها، العشائر

في يوم ٢٨ / ٧ / ١٩٤٣ دخلوا الأراضي العراقية وكانت محطتهم الأولى مصيف الخيلانيين في دول وميدان قرب جبل هلكورد الشامخ، وهناك بلغه ان الوصي عبد الأله موجود في مصيف محمود بك خليفة صمد في ميركَه مير، فأسرع البارزاني وتوجه الى هناك وهو عازم على أخذ الوصي رهينة ليختصر مهمته ويضمن لها قدراً كبيراً من النجاح دون عناء، فوصل مساءً وكان الوصي قد غادر ميركَه مير برفقة محمود بك الى رواندوز صباح ذلك اليوم بالذات ففاتته الفرصة[٢].

كانت فترة غياب العائلة البارزانية في المنفى تمر بعامها العاشر ويوم وصول ملا مصطفى البارزاني الى مصيف (مه مه ندان) استقبله رفاق سلاحه وأصدقاؤه الأوفياء بحرارة، وكانت مناسبة لاتخاذ قرارات هامة في طريق النضال، فثمة الأستياء الشعبي في منطقة بارزان، وكان لوصول البارزاني اثر كبير في رفع معنويات الشعب، فكان بمثابة انبعاث النار الهامدة من تحت الرماد. إن القيادة في هذه الحالات تشكل ضرورة ملحة لكي يتمحور حولها القوى المبعثرة بتنسيق وتوجيه واحد وليس من السهولة للحركات الوطنية خلق مثل هذه القيادة.

كان التشرذم سيد الموقف بين ابناء بارزان وينبغي لمّ شملهم، من ناحية أخري كانت الظروف المعاشية الصعبة التي افرزتها ظروف الحرب، وكانت منطقة بارزان تعاني من اهمال الحكومة، فالمعروف ان الحكومة أدخلت نظام البطاقات التموينية لاستلام المواد الضرورية بما فيها المواد الغذائية وإن منطقة بارزان حرمت من هذه البطاقة، وكانت المنطقة عموماً تعاني

من اهمال واضح في مرافق الحياة والي انتشار الرشاوى وارتفاع اسعار السلع وتفشي المرض والفقر.

إن وصول البارزاني الى المنطقة كان حافزاً لانضمام عشرات الهاربين والمختفين والمستائين من السلطات الحكومية، فكان بعض الضباط من الجيش العراقي الذين كانوا متحفزين للألتحاق بكل ذي كفاءة مجربة في تحدي السلطة المركزية. ويكتب وليم ايغلتن الأبن عن البارزاني يقول:

كان ملا مصطفى البارزاني رجلاً مهيب الطلعة مع قصر قامته وأظهر ما فيه عينان نفاذتان تزيدان من قوة تعابير الخطوط الحازمة لوجه صارم نابه. ومع انه لم يحظ في التعليم اكثر من الخطوات الأولى للدراسة الأبتدائية على يد فقهاء القرية، فهو يتمكن بسرعة من القبض على ناصية الأمور والوصول الى لب الموضوع وقد كشف عن دهاء دبلوماسي وحنكة عسكرية في بلوغه اهدافه، وإنه كان شديد الثقة بنفسه عنيداً...[٣]

كانت الحكومة تتوجس خشية من الزعماء البارزانيين بشكل دائم وهي تدرك مدى قدرتهم على تحريك الأكراد وكانت الحكومة قد قامت بترحيل الزعماء البارزانيين من بينهم الملا مصطفى الى مدينة الموصل بعد انتفاضة ١٩٣١ ـ ١٩٣٢، وبعد ذلك بادرت الحكومة الى نقلهم الى جنوب العراق في مطاوي سنة ١٩٣٦، ومن ثم كان نقلهم الى السليمانية سنة ١٩٣٩ وها هو البارزاني اليوم يعود سراً الى بارزان وسط قلق الحكومة من هذه الخطوة، لكن ملا مصطفى البارزاني من جانبه أظهر ما يطمئن الحكومة فقد أجري اتصالات مع السلطات ليؤكد لهم موالاته للحكومة، فهو أراد الأطلاع على الوضع عن كثب، ثم الأتصال مع انصاره للتنسيق معهم، وهكذا استطاع خلال شهرين من وصوله الى العمل بنشاط من اجل كسب مناطق واسعة من كردستان الى صفوف الحركة التي كان ينوي القيام بها، كما افلح البارزاني من جانب آخر الى عدم إثارة الحكومة والسلطات البريطانية، الى درجة ان السفير البريطاني في بغداد بعث برسالة الى الخارجية البريطانية يقول فيها ان تصرفات البارزاني لم تبعث على القلق خصوصاً انه (البارزاني) بادر الى الأتصال بالحكومة من اجل التوصل الى تفاهم.

لا ريب إن تعبئة الجماهير وقيادتها يتطلب الحنكة والدراية، ومن المسلم به ان الأحزاب والمنظمات تلعب دوراً كبيراً في هذا المضمار لكن جاذبية القيادة هي العامل المؤثر الحاسم لاسيما في عالمنا الثالث.

بادر ملا مصطفى البارزاني للقيام بجولة في قري المنطقة بغية الوقوف على احوال ابنائها

عن كثب، وقد دامت جولته حتى نهاية شهر ايلول ١٩٤٣، وكان في هذه الفترة قد التحق به عدد كبير من من الرجال منهم لهم سلاحهم وآخرين عزل يحتاجون الى سلاح ومنهم: عزيز آغا زراري وصالح كانيه لنجي وعارس خانو بيداروني وطه رشك بيروخي ومحمد سعيد بيروخي وحجي بيروخي وملا شيني بيداروني وشيمد ديزوي وحسو يوسف وسليم عبدالله سيلكي وحسو ميرخان، وهذا الأخير فيما بعد اصبح قائداً في ثورة ايلول ١٩٦١ حيث كان مسؤول منطقة بهدينان وأثناء التحاقنا بالثورة كان المرحومان توما توماس وهرمز ملك جكو تابعين له، وكان من الذين رافقوا البارزاني في رحلته الى الأتحاد السوفياتي، وقد قابلته عدة مرات ورأيته واسع الثقافة وله شخصية قيادية جيدة.

لقد استطاع البارزاني ايضاً من توظيف العامل الديني وهو يعرف مكانة الشيخ احمد الروحية بين قومه ونقل اليهم توصياته التي تقضي بالتمسك بالعدل في كل الممارسات وعدم التعالي على الناس وتجنب اخذ أي شئ من الأهالي عنوة، لقد كان البارزانيون كرماء مع المقاتلين الملتحقين بالثورة، فكان الغذاء تساهم به حتى القري النائية وبعضهم يجود برؤوس من الأغنام للمقاتلين. لقد كان البارزاني يتجول في القري والأرياف ويرفع من المعنويات ويعطي الآمال وهو يقول علينا ان لا نيأس من تحقيق مطالبنا وسنبذل جهدنا الى تحقيقها بالطرق السلمية، وإن تعذر ذلك عندها سنلجأ الى قوة السلاح.

كان في البداية تتركز المطاليب على إطلاق سراح البارزانيين المسجونين في السجون العراقية والسماح للشيخ احمد البارزاني وجميع المنفيين معهم بالعودة الى ديارهم، وكان هؤلاء قد تم نفيهم الى الحلة من السليمانية خوفاً من هروبهم الى بارزان، وكان هنالك مطلباً بسحب القطعات العسكرية من المناطق المجاورة لبارزان وتزويد الأهالي بالمواد الغذائية. إن هذه المطاليب تمس حياة الناس مباشرة ولم تكن تحمل اية مطاليب قومية عامة.

حمل رسالة البارزاني الى السلطات محمد ككشار الميركَه سوري يعلمها بوصوله الى المنطقة ويحذرها من مغبة القيام بأي عمل ضد اهالي المنطقة، ورغم ان نشاطات البارزاني كانت ـ على الأقل ـ في البداية بعيدة عن إحداث أي قلق لدي السلطات الحكومية وكان يريد الوصول الى حل سلمي منصف، ألا ان الحكومة سارعت الى تعزيز مخافرها بقوات اضافية مع تزويدهم بأرزاق وأسلحة تكفيهم لفترات طويلة نسبياً عن تعرضت الى الهجوم او المحاصرة.

غير ان الحكومة لم تعر اهتماماً لمطاليب ملا مصطفى البارزاني العادلة وبدلاً من التجاوب او على الأقل إجراء مفاوضات لجأت الى إرسال المفارز لمطاردته، وهنا بدأ ملا مصطفى البارزاني باحتلال المخافر الحكومية في المنطقة.

كان اول مخفر تم احتلاله هو مخفر شانه در في ٢ / ١٠ / ١٩٤٣ وأنيطت العملية بقوات محمد امين ميرخان ومامند مسيح وعزيز أغا زراري، وتم الأستيلاء على المخفر دون إطلاق طلقة واحدة، وكان البارزاني بانتظارهم في بيره سال، ووزع الأسلحة المغتنمة لمن لا يملك سلاح وأمر بإطلاق سراح الأسري فوراً.

وفي ١٢ / ١٠ تحركت قوة بارزانية لمحاصرة مخفر خيروزك وطلب من المدافعين عن المخفر الأستسلام لكنهم رفضوا وقاوموا بشدة ثم طلبوا نجدة لمساعدتهم في المقاومة، وكانت القوات البارزانية على علم بقدوم هذه القوة فكمنوا لها وحدثت معركة ضارية وانزلت بالقوات الحكومية خسائر كبيرة في المعدات والأفراد بين قتيل وجريح وأسير. في هذه المعركة والتي اعتبرت معركة فاصلة ارتفعت معنويات المقاتلين البارزانيين وأبناء المنطقة عموماً.

في ٢٠ / ١٠ تحرك ملا مصطفى البارزاني نحو اطرف شيروان بغية السيطرة على مخفرها، وحدثت مقاومة شرسة، واستخدمت السلطة في هذه المعركة القوة الجوية لفك الحصار المفروض على القوة الحكومية المحاصرة، لكن ذلك لم يجد نفعاً في فك الحصار عن المخفر وفي اليوم السابع استسلم مخفر شيروان، وبعد هذه المعركة استسلمت المخافر الأخرى فتم تطهير كل المنطقة الواقعة الى غربي نهر روكوجوك. لكن الثوار لم يفلحوا في الأستيلاء على مخافر ميركة سور وبارزان وبلي.

لقد كانت حصيلة معارك شهر تشرين الأول سنة ١٩٤٣ الأستيلاء على ١٧ مخفراً للشرطة وكان الغنائم تشمل على ٦٨٠ بندقية و٢٤ رشاشة وكميات كبيرة من الأعتدة والأرزاق.

لا شك من ضمن العوامل التي لعبت دوراً كبيراً في تسهيل عملية احتلال هذه المخافر كان سبب وجود اعداد لا بأس بها من البارزانيين المنخرطين في سلك الشرطة داخل هذه المخافر حيث كان يجري احتلال بعضها دون اطلاق طلقة واحدة، إن موقع هذه المخافر كان وسط شعب ثائر وناقم ولم يكن بوسع الحكومة تلافي سقوطها وحاولت في نهاية شهر تشرين الأول عام ١٩٤٣ حيث ارسلت لواء خليط من المشاة والمدرعات والدرك ومسندة من قبل قوة جوية، وحصل اشتباك عنيف مع القوة البارزانية بحضور الجنرال بروميرو والذي كان يشغل منصب قائد البعثة العسكرية البريطانية في العراق وانتهت هذه المعرك بهزيمة القوات الحكومية وقد ابرق السير كورناليس من بغداد الى الخارجية البريطانية برقية مؤرخة في ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر / ١٩٤٣ يقول:

١ ـ لقد اشتبكت القوات العراقية من العشائر التابعين لملا مصطفى في ٨ و ١٠ و ١١ من شهر تشرين الثاني نوفمبر وخسرت قوات البوليس والجيش معاً حوالي ٦٠ شخصاً بين قتيل وجريح، كما خسرت أعداداً من الأسلحة الأوتوماتيكية الخفيفة، اما خسائر العشائر

فغير معروفة.

٢ ـ الخطة العسكرية العراقية الآن تتركز في حماية ميركه سور طوال الشتاء وقبل هطول الثلوج بأسابيع سترسل الحكومة أرتالاً للقبض على ملا مصطفى. على الأكثر سوف لن ينجحوا في مساعيهم هذه.

٣ ـ أفاد تقرير للجنرال بروميلو ان الجيش وقوات البوليس العراقي أظهروا قصوراً يرثي له في خبرة عمليات حرب الجبال[٤].

لا غرو ان الأخبار هذه ستنتشر وترفع من مكانة البارزاني، والشعب الكردي معروف بتبجيله للأنسان الشجاع، فكان البارزاني محل طاعة واحترام بين رجاله بما فيهم القادة الذين التفوا حوله وعكفوا على إطاعة اوامره وكان يوصيهم بان تحتل المخافر دون إراقة دماء ان أمكن ذلك، وعدم إذاء الأسري وعدم الأستيلاء على مقتنياتهم الشخصية، أما السلاح والغذاء بصورة خاصة كان يؤخذ ومن ثم يجد طريقه لتوزيعه على الشعب المحتاج، ومن ثم يلجأون الى حرق المخفر. لقد تم احتلال المراكز الحكومية بسهولة وتم تحرير معظم أراضي بارزان.

كان من الطبيعي ان تجد الأنتفاضة وانتصاراتها قبولاً وتعاطفاً من الجماهير الكردية في القرى والمدن الكردية، فأخذ اسم البارزاني يتردد ويشتهر عند فئات شعبية مختلفة من طلبة ومثقفين وأبناء العشائر المختلفة، فكانت اخبار الأنتفاضة تنتشر ويكون لها مفعولها في للمبادرة بالألتحاق بصفوف الثورة، وقد أشار متصرف الموصل في رسالته الى وزير الداخلية قائلاً:

إن الأدلة والأمارات التي اخذت تنكشف أخيراً عن حركة الملا مصطفى البارزاني تدل على ان القضية ليست قضية عصيان بسيط، بل تستشري فيها السياسة، فإنه علاوة على النشرات الأنفة الذكر، فإن الحس الكردي صار الى درجة تقرأه على وجوه الرؤساء والشبان منهم... هذا وقد وصل أن حزب هيوا تمكن في تشرين الثاني ١٩٤٣ عن طريق تنظيمه في الموصل بتكليف اثنين من اعضائه بالذهاب الى مقر البارزاني في قرية بيستري.. وتسليمه عدداً من المقترحات والمطالب القومية الكوردية للمطالبة بها عند التفاوض مع الحكومة[٥].

وكانت ردة الفعل الحكومية تتمثل في تحشيد مزيداً من قوات الجيش للتصدي للثوار فأخذت بنقل القطعات نحو هذه المنطقة لكن ملا مصطفى البارزاني كان يريد ان يأخذ المباردة العسكرية بيده وكان قراره ان يتعرض لهذه القوات قبل تمركزها في منطقة بارزان ثم فرض حصاراً على القوات الحكومية المتمركزة في منطقة ميركه سور.

بات من العبث بالنسبة للحكومة ان تعتمد على قوات الشرطة فكان عليها ان تزج بقوات

الجيش العراقي وفي يوم ٦ / ١١ / ١٩٤٣ شنت القوات الحكومية في المنطقة هجوماً على القري الواقعة بين ميركه سور وشيروان، وبعد ان فشل الهجوم قرر الجيش القيام بهجوم أخر في ٨ / ١١ وفي هذه المرة لم تفلح القوات الحكومية بإحراز أي تقدم بل اصيبت بهزيمة قاسية حيث تركت ساحة المعركة وولوا هاربين تاركين معداتهم وقتلاهم في ساحة القتال، وكان في هذه المعركة بين القوات الحكومية ضابط اسمع عبد الرحمن القاضي آمراً لبطارية مدفعية في ميركه سور واحد الضباط المتصلين مع البارزاني وهو يروي القصة التالية:

كنت احاول قصف أهداف بعيدة عن مواقع الثوار ولكن آمر اللواء في ذلك اليوم أقبل على ولازمني وأمرني بقصف مواقع كنت متأكداً من تواجد الثوار فيها، ورغم حراجة موقفي وخلافاً لرغبتي اضطررت الى قصفها، وكنت اعيش في حالة قلق نفسي شديد خشية حدوث إصابات بين قوات البارزاني، وفي الصباح تلقيت رسالة من البارزاني أكد فيها بأنه لم تحدث خسائر سوي جريحين، وعندئذٍ تنفست الصعداء وكتبت له رسالة جوابية شرحت فيها موقفي[٦].

أرسلت الحكومة قطعات من الجيش العراقي لأعادة النظام بعد ان منيت قوات الشرطة بهزائم متكررة ولم يكن حال الجيش بأفضل منها، في نهاية عام ١٩٤٣ تعاظمت شوكة ملا مصطفى البارزاني وتضخمت موارده الحربية بحيث ما عاد بالأمكان إخضاعه بحملة تأديبية على نطاق ضيق وهذا الواقع كان يتبلور شيئاً فشيئاً امام الحكومة العراقية.

من جانب آخر كان هناك حزب هيوا يقوم بنشاط سياسي بين الجماهير، وكان رأي الحزب ان الحركة القوية ينبغي ان يكون لها ذراع سياسي وآخر عسكري وإن التنسيق بين الطرفين يشد من أزر الثورة ويقوي لحمتها. وقد امتد نشاط هذا الحزب الى بغداد ومدن العراق حيث وزعت المناشير التي توضح اسباب واهداف الأنتفاضة والأجراءات القمعية التي تتخذها الحكومة بحق الشعب الكردي.

وكانت الحكومة البريطانية تراقب الوضع عن كثب، وهي تعلم بالنتائج إن تحولت الثورة الكردية الى ثورة عارمة شاملة حيث يكون من الصعب إخمادها حينذاك.

إن الوثائق البريطانية كانت تشير الى هذا الواقع، وهي لا تريد التورط في هذا المستنقع العراقي، إذ كانت تفسر الأمور على ان الحكومة العراقية مسؤولة عن الأمن الداخلي.

وكانت الحكومة البريطانية تحاول الضغط على الطرفين، على الحكومة لكي تكون اكثر إنصافاً للأكراد وعلى ملا مصطفى البارزاني لكي يوقف العمليات العسكرية ضد القوات العراقية، وفي برقية من بغداد الى الخارجية البريطانية يقول كورنواليس:

١ ـ خلال محادثاتي الأخيرة مع الملك ورئيس الوزراء أشرت الى ان الدعاة الكرد بدأوا باستغلال تمرد ملا مصطفى وهناك خطر جدي في ان تأخذ الحركة طابعاً استقلالياً وان

تشمل جميع انحاء كردستان إن لم تتخذ الحكومة العراقية إجراءات مناسبة. وطلبت منهم مواجهة الحقيقة المرة وهي انه لا الجيش العراقي ولا قوات الشرطة يمكنها مواجهة ملا مصطفى وبالتالي فإن هيبة الحكومة متدنية تماماً، في بلد تكمن فيه قاعدة نجاح الحكومة في قوة جيشها، لقد اوجد هذا احتمالات خطيرة، وقد الحث عليهم ان يتخلوا عن موقف اللامبلاة ازاء الشكاوي الكردية في حين تجري الأستعدادات لتهيئة القوات. ولقد نصحتهم ألا يضيعوا أي وقت في الأتصال بالزعماء الأكراد لشرح موقف الحكومة من البارزانيين ومن القضايا التي شكي منها الأكراد في الماضي.

إن التعامل مع الأحداث يتطلب سخاءً وتعاطفاً اكثر مما كان عليه الموقف حتى الآن. واقترحت عليهم إصدار اوامر الى المتصرفين للقيام باتصالات ودية مع الوجهاء في الويتهم.

٢ ـ الملك ورئيس الوزراء قلقون بشكل واضح بسبب الوضع ووافقوا على مقابلة جميع الممثلين الكورد في بغداد على الفور. وعبر الملك عن رغبته في زيارة الشمال في القريب العاجل وهذه الرغبة قيد الأعتبار. آمل ان اقنع رئيس الوزراء بتعيين لجنة من المندوبين الأكراد للنظر في تطوير الأدارة. فقد سبق وان اعلن عن نيته في إقامة إدارة في الشمال وطلب خدمات احد الضباط البريطانيين ليرأس هذه اللجنة.

وبنفس الوقت أرسل السفير البريطاني كورنواليس رسالة الى ملا مصطفى البارزاني في نفس السياق ويحثه على التجاوب مع الحكومة العراقية. ومما جاء رسالة السفير قوله:

لقد عبرت مراراً برسائلك التي وجهتها الى الموظفين البريطانيين عن صداقتك وثقتك بهم، إن الحكومة البريطانية وموظفيها أشاروا بوضوح ان عليك التوقف عن القيام بأعمال الفوضى، وأن تقبل الشروط التي قدمتها لك الحكومة العراقية... لقد حان الوقت الذي لا بد لي فيه ان من تحذيرك من ان هذا الوضع أخذ يربك جهود الحرب للحكومة البريطانية والحلفاء، وإذا ما واصلت القيام بهذه الأعمال فسوف تضطر الحكومة على اعتبار نواياك عدوانية تجاهها... إنني اعتبر عروض العفو والعهود التي قدمتها لك الحكومة العراقية من خلال الشيخ احمد، حتى بعد قيامك بالهجمات ضد قوات الشرطة والجيش هي عروض في غاية السخاء وانصحك بأن بأن توقف هذه الأعمال وتخبر الحكومة العراقية بأنك راغب في قبو عروضها[٧].

لقد كانت حصيلة المعارك برمتها لمصلحة الثوار الأكراد فأضحت المنطقة خاضعة لسيطرتهم، وكان مثل هذا الموقف يمكن اعتباره التفاوض من موقع قوة، مع الأستجابة للأصوات الداعية الى التفاوض، وهكذا بدأت مرحلة من المفاوضات بين الحكومة العراقية وقيادة الثورة الكردية التي يتزعمها ملا مصطفى البارزاني.

المفاوضات

كانت الظروف المتردية تقنع الجميع بضرورة التفاوض لأيجاد تسوية للمسألة الكردية والتي ظهر من تداعي الأحداث ان الشخصية المؤهلة لهذا التفاوض من الجانب الكردي هو ملا مصطفى البارزاني الذي يملك بيده ناصية القيادة في اوساط الشعب الكردي، ولهذا كان على الحكومة العراقية ان تعطي الملا مصطفى البارزاني موقفاً متميزاً.

شكل نوري السعيد وزارته الثامنة في ٢٥ كانون الأول ١٩٤٣ ويدخل في تشكيلها ثلاثة وزراء أكراد هم: احمد مختار بابان للعدلية وعمر نظمي للداخلية وماجد مصطفى[٨] وزير دولة مختص بحل المشكلة الكردية.

كما وقع الأختيار على بعض الضباط ليأخذوا دور ضباط الأرتباط بين البارزاني والحكومة والضباط هم:

سيد عزيز سيد عبدالله، أمين راوندوزي، عزت عبد العزيز، مصطفى خوشناو، مير حاج أحمد، محمد علي وفؤاد عارف.

كان ماجد مصطفى يدرك مكانة الشيخ احمد لدى اخيه ملا مصطفى ولهذا كانت زيارته له في منفاه في الحلة طالباً منه ان يرسل احد ابنائه اليه لكي يحثه على التجاوب مع الحكومة لتحقيق السلام. وفعلاً أرسل الشيخ احمد ابنه محمد خالد الذي وصل الى ميركَه سور في ٢٩ / ١٢ / ١٩٤٣ وأبلغ رسالته الى البارزاني وعاد الى بغداد، وبعد عودته مباشرة توجه ماجد مصطفى الى المنطقة ووصل الى ميركه سور في ٧ / ١ / ١٩٤٤ واجتمع مع البارزاني باعتباره ممثلاً رسمياً للحكومة العراقية، وتم الأجتماع في قرية سبيندار القريبة من ميركه سور. كان البارزاني قد تشاور مع حزب هيوا قبل هذا الأجتماع للأتفاق على المطالب التي تقدم للحكومة العراقية والتي تلخصت في النقاط التالية:

١ ـ تشكيل ولاية كردستان المتكونة من الوية كركوك والسليمانية وأربيل إضافة الى الأقضية الكردية في لواء الموصل وهي: زاخو، دهوك، عقرة، شيخان، سنجار، مع قضائي مندلي وخانقين من لواء ديالي.

٢ ـ اعتبار اللغة الكردية لغة رسمية في الولاية.

٣ ـ تعيين معاون وزير كردي في كل وزارة من الوزارات.

٤ ـ استحداث وزارة يتولاها كردي لشؤون ولاية كردستان المقترحة.

٥ ـ دفع التعويضات للمتضررين.

٦ ـ فتح المدارس والمستشفيات وشق الطرق وإعمار المنطقة الكردية.

٧ ـ تبقي الشؤون العسكرية والمالية والخارجية من اختصاصات الدولة المركزية حصراً[٩].

طبعاً كان هناك طلب بإعادة المبعدين وأطلاق سراح المسجونين وإصدار عفو عام.

يبدو ان بريطانيا كانت راضية على تحركات واتصالات الوزير ماجد مصطفى. فهو الذي ارسل تقريراً الى الحكومة العراقية ونسخة منه الى السفير البريطاني في بغداد، فيه توصيات للحكومة لتلبية المطالب الكردية والأهتمام بالمنطقة. ويكتب السفير البريطاني لحكومته قائلاً:

١ ـ يشرفني ان الحق طياً ترجمة التقرير المعد من قبل ماجد مصطفى للحكومة حول الوضع في البارزان الذى ترك نسخة منه عندي.

٢ ـ أخبرني ماجد مصطفى ان الحكومة وافقت على التوصيات لتحسين الأوضاع المذكورة في التقرير، خاصة النقاط الأساسية منها وأنه حاضر شخصياً ان يذهب الى المنطقة الشمالية بعد عدة ايام، وذلك لأعطاء الرعاية الشخصية لمسألة تنفيذ التوصيات المذكورة.

٣ ـ ان اصدار العفو العام لأنصار ملا مصطفى، المسألة معقدة نوعاً ومسألة إعادة الأسلحة التي أخذت من قوات الشرطة المذكورة في الفقرة ـ الف ـ من تقرير الوزير قد تركت معلقة لحلها في المستقبل وهو واثق بأنه يستطيع إعادة نسبة كبيرة من الأسلحة التي وقعت بيد افراد القبائل، وإنه يدرس ملفات الرؤساء الكورد بكل جدية لينظر بعين إيجابية الى ملف كل واحد منهم حتى يستطيع مساعدتهم.

٤ ـ في الوقت نفسه يعطي الوزير اهتماماً جدياً بالسبل الكفيلة لتطوير الأوضاع الأجتماعية والأقتصادية للمنطقة الكوردية، ولأجل ذلك يجري حالياً مفاوضات واستشارات مع النواب الكورد، ومستشار وزارة الداخلية المستشار السياسي البريطاني وكل ذوي الخبرة للأطلاع على القضية الكوردية.

٥ ـ إذا سمحت له الظروف المتقلبة في الوضع السياسي العراقي ان يبقي لفترة طويلة في منصبه، آمل ان تحقق جهوده قدراً كبيراً من النجاح[١٠].

لقد عكس تقرير الوزير ماجد مصطفى صورة قاتمة للأوضاع في كردستان وهذا ما يجعل الأستياء قائماً بين عامة الشعب ويسهل عملية التحاقهم وتقديم التضحيات المادية والمعنوية للثورة المناهضة للحكومة. وهو يشير الى تدمير القري وخلوها من ساكنيها، وانتشار الفقر والجهل والمرض بين السكان مع ضعف الخدمات العامة وربما انعدامها، وانقطاع الأتصالات والمواصلات، ثم هناك تعاطف مع المنفيين مع تأييد والتفاف حول قيادة البارزاني، ويشير الوزير الى ضعف الثقة بالحكومة وبوعودها التي غالباً ما تنكثها وتتحول عنها، ويقول انه طلب من البارزانيين تطبيق الشروط التالية:

أولاً: التخلي عن المواجهات العسكرية ورفع الحصار عن جميع الحاميات ونقاط السيطرة العسكرية.

ثانياً: إعطاء المساعدة الفورية للسلطات المحلية من أجل تصليح الطرق وإعادة خطوط الهاتف الى المنطقة.

ثالثاً: يجب عودة القرويين وعوائلهم وحيواناتهم الى قراهم والأنشغال بأشغالهم العادية.

رابعاً: يجب بناء علاقات جيدة مع ضباط الجيش والمسؤولين الحكوميين في المنطقة.

خامساً: يجب ان تساعد سكان المنطقة السلطات الحكومية لأعادة النقاط العسكرية وبالسرعة الممكنة حسب ما تقتضيه الحاجة.

سادساً: علي مصطفى البارزاني ان يبتعد من مناطق العمليات العسكرية ويمارس حياته وعمله اليومي وبكل هدوء وأن يمتنع عن التدخل في الأمور التي لا تعنيه كشخص عادي، وان يتوجه فوراً الى بغداد ويقدم الطاعة لسعادة الوصي على العرش شخصياً.. وهو يقول انه من المحتمل ان نواجه في المستقبل بعض الصعوبات، ولكن يمكن تجاوز العراقيل لكي يسود السلام والأستقرار في المنطقة.

ان الوزير الوسيط ماجد مصطفى يقترح على الحكومة عدم اللجوء الى العمليات العسكرية حيث ان هذه العمليات لا تكون في صالح الحكومة بسبب التضاريس الجبلية الوعرة وعدم وجود قوات حكومية كافية لخوض المعارك، إضافة الى تزايد اعداد الملتحقين مع الثورة الكردية، وهو يقترح على الحكومة القيام بالأجراءات التالية:

١ ـ اطلاق سراح رؤساء البارزانيين المنفيين، رغماً عن حركة التمرد والظروف الحالية، وإن عملاً كهذا سيكون في صالح الحكومة، لأنه اولاً سيخلق ذلك نوع من البلبلة داخل حركة التمرد وستؤثر بطريقة سلبية على وضع قيادة التمرد، لأنه أساساً ليس هناك انسجام تام بين الأخوة ملا مصطفى وشيخ احمد وصديق بابو، فرغم ان ملا مصطفى يحارب لدعم موقف، إلا انه هناك دائماً خلاف في التصورات وكل من هؤلاء الأخوة يحاولون ان يفرضوا زعامتهم الفردية المطلقة.

وثانياً، في حالة عودة رؤساء القبائل المنفيين ستفقد حركة التمرد الغاية من وجودها.

٢ ـ بالأسراع في إعادة المؤسسات الحكومية المدنية الى المنطقة المتأثرة بحركة التمرد وتعيين المسؤولين الأكفاء فيها، فبهذا ستتمكن الحكومة من الأتصال برؤساء القبائل الذين لا يكنون الولاء لشيخ بارزان وهذا ما سيتمخض عنه حتماً التقليل من نفوذ شيخ بارزان.

٣ ـ تسخير المبالغ المالية اللازمة مع تيسير سبل صرفها لأعادة خطوط الهاتف المقطوعة

وكذلك تصليح الطرق المدمرة ونصب خط الأتصالات التلفونية وفتح طرق لربط بله وعقرة، ووضع نقاط السيطرة العسكرية على طول هذه الطرق لضمان السيطرة الحكومية وربط سكان المنطقة بالمدن الكبيرة، على الحكومة ان تعتمد على العمالة المتوفرة في المنطقة لبناء وإعمار المنطقة حتى يشعر سكان المنطقة بأن من صالحهم مادياً وجود السلطة الحكومية في مناطقهم.

٤ ـ يجب ايصال المواد الغذائية المخصصة لأهل المنطقة بطريقة سريعة وكفوءة إما مجاناً او بكلفة قليلة ومن الضروري زيادة كمية الحصة الحالية وذلك لأشعار سكان المنطقة بأن وجود الحكومة بينهم هي مسألة مفيدة لهم.

٥ ـ لو تم اتخاذ الأجراءات المذكورة وتصرف المسؤولون بصورة جيدة وذلك من خلال تطبيق العدالة والتواصل مباشرة مع سكان المنطقة، فتستطيع الأدارة المحلية من السيطرة على المنطقة وملاحقة المذنبين وجمع السلاح من القرويين، ويكون بإمكانهم إبعاد الأشخاص الذين يعكرون اجواء السلام والأستقرار من المنطقة إما لفترة محدودة او بصورة دائمية.

ويمضي ماجد مصطفى في اقتراحاته للحكومة بأن تطلب من ملا مصطفى زيارة بغداد لتسليم نفسه الى الوصي على العرش والحصول على الموافقة المسبقة من الأخير لقبول استقبال ملا مصطفى البارزاني. وبعد فترة وجيزة يرجي السماح لملا مصطفى البارزاني بالعودة الى الشمال، وذلك لأزالة الشبهات الموجودة في أذهان في المنطقة من عدم قيام الحكومة بالوفاء بعهودها والتزاماتها اتجاههم... وقد كانت هذه المقترحات موجهة للحكومة العراقية بتوقيع ماجد مصطفى وزير بلا حقيبة في ١٨ / كانون الثاني / ١٩٤٤ م[١١].

بقيت الحكومة تستخدم المرونة حيال ما يمكن ان يحققه الوزير ماجد مصطفى، ولكنها ظلت ضحية هواجسها من خطر يداهمها من الملا مصطفى البارزاني، فكانت في عين الوقت الذي تجري فيه المحادثات كانت تعد العدة للقيام بأي عملي عسكري ينهي مخاوفها المستديمة وارقها المستمر من القضية الكردية.

فأبقت قنوات الأتصال على حالها والتي كان الوزير الكردي ماجد مصطفى يتحرك مكوكياً بين الطرفين.

إن مضمون الأفكار الواردة في مذكرة الوزير ماجد مصطفى للحكومة العراقية تبين بجلاء ان الرجل يتسم بالبراغماتية ويتوسل حلولاً واقعية لأحلال الأستقرار في المنطقة، وكل التوجهات في هذه المذكرة تشير الى الرغبة في إرساء هيبة الحكومة على المنطقة عبر خدمات تقدمها الحكومة للمنطقة وبعد ان تثبت الحكومة مصداقيتها في التعامل مع اهل المنطقة، فهو يدعو الحكومة الى تحقيق مشاريع تنموية في المنطقة الكردية والأقدام على جملة قرارات

ادارية وثقافية بغية الحفاظ على القومية، وهو يرى في هذه الأجراءات بأنها ضرورية لتعزيز مشاعر الأنتماء العراقي، وبالتالي تصب في خانة الأستقرار في المنطقة وفي العراق عموماً.

كانت اتصالات وتحركات ماجد مصطفى بين القيادة الكردية والحكومة العراقية تتسم بالمهنية والتجرد والحيادية وبالسعي الى تحقيق نتيجة وهو الذي افلح في إقناع البارزاني بالتوجه الى بغداد والأتصال بالمسؤولين ثم ضمان عودته الى بارزان، وهنا نستطيع ان نزعم انه سياسي ناجح حيث حقق نتائج باهرة في وساطته، ولا يهم هنا إن كان له من وراء ذلك طموحات شخصية او كان له اتصالات جانبية مريبة مع هذا الطرف او ذاك الطرف، فبعض الأوساط الكردية اتهمته بعدم النزاهة واوساط في الحكومة العراقية اتهمته بتمرير الأهداف الكردية. وحينما شكلت حكومة جديدة لم يكن اسم ماجد مصطفى مدرجاً في هيكلها.

وفي نفس السياق يقول كورن واليس، بأن ماجد مصطفى دبلوماسي ممتاز ولو اعطي الوقت والصلاحية الكافية يستطيع ان يحقق سلاماً حقيقياً في كوردستان. وينقل كولونيل ميد معاون مستشار السياسي في الموصل هذا الحوار الذي جري بين ماجد مصطفى ونوري السعيد أثناء زيارة مشتركة لهما الى كردستان في نيسان ١٩٤٤م.

نوري: هل من الممكن ان تبقي هنا وتحاول جمع السلاح من جماعة ملا مصطفى؟

ماجد: كيف يمكن لي ان احقق ذلك في وقت لا ألمس وجود رغبة من طرف الحكومة للأستجابة لشكاوي الكورد ككل؟

نوري: إن ذلك يرتبط بالمسألة بأية صلة وعلي كل حال لا يمكن البت فيه هنا.

ماجد: اختلف معكم. هناك حاجة ماسة الى اتخاذ بعض المبادرات إذا أردنا خلق شعور أيجابي اتجاه الحكومة في المنطقة.

نوري: أكرر لا أستطيع ان اقدم على أي إجراء من هذا القبيل وأنا في الموصل، ولكن اعتقد انه لا زال بإمكانك تحسين الظروف هنا كثيراً في الحديث مع ملا مصطفى.

ماجد: كيف تعتقد يكون ذلك بإمكاني في وقت اقدمت حديثاً على نقل ثلاثين او اربعين ضابطاً من المنطقة، لا لذنب إلا لكونهم من الكورد.

نوري: ليس بذلك أي علاقة بالموضوع الذي نحن بصدده.

ماجد: انتم مخطئون بذلك بالذات. لأن عملية نقل ضباط الكورد نقل انطباعاً سيئاً جداً ويساهم ذلك في تكوين شعور عند الكورد بأن الحكومة تمارس التمييز ضدهم وبسوء معاملتهم.

نوري: أنا لست مستعداً للتدخل هنا وأثير عدم رضي الجيش حتي أرضي ملا مصطفى.

ماجد: لم يطلب احد منك ذلك، فإذا كنت غير مستعد ان تقر بأن هذا التصرف والتصرفات المماثلة ستخلق انطباعاً سيئاً هنا بين الكورد، فلما إذن تسألني لمساعدتك لحل المسألة. قل لي ماذا قدمت لحد الآن للكورد؟ هل ممكن تذكر مشروع زراعي للري واحد الذي يكلف ١٥ ديناراً عراقياً والذي بنيته للكورد؟

نوري: وهل اقترح لي احد شيئاً من هذا القبيل؟

ماجد: ليس هذا هو القصد. أنا فقط أردت ان أبين لك بأن الحكومة لم تقدم على شئ حتي تخلق شعوراً لدي الكورد بأن الحكومة لها مواقف ودية تجاههم وتهتم بهم. إن عدداً قليلاً جداً من الكورد لهم الفرصة للحصول على التعليم العالي أليس كذلك؟ وحتى هؤلاء يكملون دراستهم في ظروف قاهرة جداً. وكما لم يرسلوا طلبة الكرود في بعثات دراسية.

وهنا قال رئيس الوزراء: إنه لا يعتقد بأن هناك استفادة من الأستمرار في الحديث: لأن النقاش يستند على اسس غير مجدية. وأضاف بأن الحكومة لها نواقص كثيرة. إن الحكومة ارتكبت كثير من الحماقات وليس عندي ادني شك في إنها سترتكب المزيد في المستقبل[١٢].

عموماً ان تحركات ماجد مصطفى كانت قد تبلوت على أرض الواقع، فقد باشر الجيش بالأنسحاب من ميركَه سور الى راوندوز ومن بلي القريبة من بارزان الى عقرة، وخلت المنطقة من أي نفوذ حكومي، وثمة خطوات ايجابية اخرى بادرت الحكومة الى تنفيذها، ففي اعقاب عودة ماجد مصطفى الى بغداد عقد مجلس الوزراء اجتماعاً برئاسة نوري وذلك يوم ٢٥ / ١ / ١٩٤٤ واتخذ جملة قرارات وهي:

١ ـ تنسيب عناصر جديدة لأدارة أقضية العمادية وراوندوز وميركَه سور وعقرة وتعيين ضباط ارتباط في كل من مراكز هذه الأقضية.

٢ ـ إعادة فتح مراكز الشرطة في بارزان.

٣ ـ فتح الطرق بين المخافر.

٤ ـ إبعاد الملا مصطفى البارزاني من منطقة بارزان.

٥ ـ إعادة الشيخ احمد البارزاني وأقاربه الى مسقط رأسهم.

٦ ـ إعادة الأسلحة الى الحكومة.

٧ ـ توافق الحكومة من حيث المبدأ على إصدار العفو العام باستثناء الموظفين وأفراد القوات المسلحة الذين التحقوا بالبارزاني، ويترك الأعلان عن العفو الى الوقت الذي تراه الحكومة مناسباً.

ومن المرجح ان تكون هذه المقررات غير التي سلمها البارزاني الى ماجد مصطفى لعرضها

للحكومة، لكن كانت هناك خطوات ايجابية من الحكومة لا يمكن التغاضي عنها.

قامت الحكومة بإيفاد الضباط الأكراد الى مناطق كردستان بصفة ضباط ارتباط وهم:

اللواء بهاء الدين شيخ نوري الى السليمانية، العقيد امين راوندوزي الى راوندوز، النقيب سيد عزيز سيد عبدالله الى ميركَه سور، النقيب ميرحاج احمد الى عقرة، النقيب مصطفى خوشناو الى بارزان، الرائد عزت عبد العزيز الى بله، النقيب مجيد علي الى العمادية، النقيب فؤاد عارف الى بشدر. لقد كان ارتباط هؤلاء الضباط بوزير الدولة عزت مصطفى، ولقد تدفقت الأرزاق الى المنطقة وكانت توزع تحت اشراف هؤلاء الضباط، ولقيت هذه الخطوة استحساناً في الأوساط الكردية.

إن هذه الخطوات تزامنت مع قرار الحكومة بالسماح للشيخ احمد البارزاني ومرافقيه وعوائلهم بالعودة الى بارزان من منافيهم في الجنوب وكان ذلك في ١٢ / ٢ / ١٩٤٤م. استقبل الشيخ احمد بحرارة وحفاوة بالغة من جموع عشيرته حيث احتشدت الجموع من القبائل البارزانية بينهم الرجال والنساء والأطفال لاستقباله على الطريق التي سيسلكها، وعمت مظاهر الأحتفال والفرح في القرى البارزانية بعد فراق طويل لزعيمها الروحي الشيخ احمد البارزاني.

إن هذه الخطوات قد مهدت السبيل لبعث الثقة في النفوس، إذ بعد عشرة أيام من عودة الشيخ احمد، قام الملا مصطفى البارزاني بزيارة الى بغداد برفقة ماجد مصطفى وكان ذلك في ٢٢ / ٢ / ١٩٤٤ وعدداً من زعماء العشائر الكردية ونزل في فندق شط العرب وقابل البارزاني في هذه الزيارة الأمير عبد الأله الوصي على عرش العراق ونوري السعيد رئيس الوزراء والوزراء ذوي العلاقة، كما كانت هذه فرصة للقاء بقادة حزب هيوا وشخصيات وطنية كردية لتبادل وجهات النظر.

وعن هذه الزيارة يبعث السفير البريطاني في بغداد برسالة الى الخارجية البريطانية يقول فيها:

بتوصية من ماجد مصطفى، وصل اثنا عشر من زعماء القبائل المجاورين لبارزان الى بغداد برفقة ملا مصطفى واستضافتهم الحكومة لعدة أيام كضيوف، وقد كانوا موضع اهتمام وتعليقات، كما ان الطريقة التي عالجت بها الوزارة المشاكل في بارزان ونشاطات ماجد مصطفى الخاصة في الشمال (والتي كانت في الحقيقة حازمة ومتجانسة) اصبحت موضع نقد حاد في الأجتماعات لمجلس النواب. ويشك وزير الداخلية في ان هذه الهجمات دليل اضافي على عداء البلاط لشخصه وهناك كلام عن استقالة الوزارة الحالية.



الملك غازي في الملابس العسكرية

إن طريقة تسوية مشكلة بارزان نابعة بالتأكيد من ضعف الحكومة. كما ان الوقت لم يكن مناسباً لحضور هذا العدد من رؤساء العشائر الى بغداد مع ملا مصطفى. والوزارة معرضة الى الأنتقاد حول هذه النقاط. وفي الوقت ذاته سيكون من المؤسف حصول تراجع فجائي في الخطة المتعلقة بكردستان إذ تبدو التحسينات الأدارية الضرورية في المناطق الشمالية على وشك التحقيق.

ويضيف السفير في رسالته يقول: إن الوصي نفسه سافر الى كركوك وأربيل لتفقد القوات ظاهرياً، ولكن الغرض دون شك هو لتفحص الوضع العام هناك. ولذا اتوقع ان تناقش المسألة كلها بعد عودته.[١٣]

رضوخ الحكومة للقوميين المتشددين

إن ماجد مصطفى عكف على جمع عدداً كبيراً من رؤساء العشائر الكردية في كركوك وطلب من نوري السعيد حضور الأجتماع وإلقاء كلمة، وفعلاً تكلم نوري السعيد في الأجتماع مؤكداً على التزام الحكومة بتعهداتها أزاء الأكراد. وإنه شخصياً يحمل مشاعر الود إزاء الأكراد لأن والدته كانت كردية.

إن نوري السعيد كإنسان براغماتي يكون قد اقتنع بضرورة منح الأكراد حقوقهم، لكن المشكلة لا تنحصر في هذه القناعة فثمة تياراً قومياً عروبياً شوفينياً لا يقبل ان يخرج الأكراد من المظلة العربية، وعلى الأكراد ان يقتنعوا بما يمنح لهم لا اكثر فإن جاوزا تلك الحدود فهم انفصاليين وعصاة.

يقول الدكتور منذر الفضل: إن تفشي الفكر القومي العربي الشوفيني في المناهج الدراسية وعند بعض الساسة العرب والأحزاب العربية التي تأسست في احداث مايس عام ١٩٤١ وبخاصة ممن استلم سدة الحكم فيما بعد مثل حزب البعث... وممن ساهم في غرس مثل هذه الأفكار في المناهج الدراسية العربية وعند بعض الأحزاب القومية هم عدد من حملة الفكر العربي الشوفيني ومنهم مثلاً ساطع الحصري وميشيل عفلق وصلاح البيطار وغيرهم، والغريب انهم كلهم ليسوا من العرب العراقيين، وهذه الأفكار العنصرية اتخذت كشعارات

رنانة بحيث اظهرت العرب هم في المرتبة العليا وإن الأقوام الأخرى في مرتبة ثانية، واعتبرت مطالبة العرب بحقوقهم واستقلالهم من باب الوطنية والقومية، ووصفت الكرد عندما طالبوا بحقوقهم بعبارات تخدم المنهج العنصري مثل وصفهم بالأنفصاليين والمتآمرين والخونة والعصاة وغيرها مما تركت آثارها السلبية على الرأي العام العربي.[١٤]

إن هذه الأفكار الشوفينية المنغرسة حتي بين نخبة كبيرة من المثقفين العراقيين قد لقيت صداها في مظاهر الأستياء الذي أبداه القوميون العرب في بغداد يوم زيارة ملا مصطفى البارزاني لبغداد، حيث كانت هذه الزيارة مناسبة لشن القوميين العرب جام غضبهم على حكومة نوري السعيد. كانت الصحافة العراقية وحتي بعض البرلمانيين في بغداد مستاءين للأستقبال والحفاوة التي قوبل بها البارزاني في بغداد.

قال القوميون ان الطريقة التي عومل بها ملا مصطفى في بغداد يوحي للجميع انه لم يأت مستسلماً بل جاء كقائد منتصر. ولم يطق القوميون في بغداد رؤية ملا مصطفى البارزاني وحاشيته الكبيرة المرافقة له بالملابس الكوردية يطوفون شوارع بغداد. وهذا ما دفع الدوائر الرسمية والسفارة البريطانية بالطلب من البارزاني مغادرة بغداد.[١٥]

إن ضيق الأفق القومي او ربما روح التعالي القومي يضيق بمثل هذه التصورات الواهية وهي رؤية ملا مصطفى البارزاني ورجاله بالملابس الكردية في شوارع بغداد، إن هذا التصور يعكس مدي هشاشة الشعور بالهوية العراقية الجامعة لدي بعض مفكري الخطاب القومي، فالعراق يحتضن قوميات وأديان ومذاهب ولغات، وهذا التنوع يشكل لحمة وسداة نسيج المجتمع العراقي ومرآة الواقع تعكس الصور الجميلة لفسيفساء عراقي فيه الأزياء الشعبية المختلفة والغناء والفولكلور والعادات والتقاليد واللغات والطعام والأعياد والمناسبات كل هذه تستظل تحت خيمة الهوية العراقية المجيدة، ومن يرجح انتماء آخر على الهوية العراقية يجد نفسه غريباً عن لون من ألوان الطيف العراقي، ولنسأل ماذا كان رد الفعل لو سار احد شيوخ العشائر العربية بملابسهم العربية في شوارع بغداد؟ فأعتقد ان الأمر سيكون طبيعياً ولا يكون هنالك مكان للأستغراب، فأين يكمن الخلل في هذا الحالة؟ ربما يكون في نظرة التعالي على اعتبار ان العرب موقعهم في اعلي الهرم المجتمعي والآخرين في قاعدته. وفي هذا السياق فإن النظرة القومية المنغلقة لا تقبل بمبدأ الشراكة المتكافئة في إطار التعددية الأثنية والمذهبية، إنها تصر على طبيعتها الأحادية المبنية على الكراهية بدلاً من الأقرار بحق الأخر والأستماع الى مطالبه.

وفق هذا السياق طفقت الأمور تنحدر نحو التدهور بين الحكومة وبين الثوار الأكراد بقيادة الملا مصطفى البارزاني، فالأخير بعد ان حقق مآثر عسكرية وحاز على سلاحاً كافياً وانبعثت

الروح الوطنية في أرجاء كردستان، فشعر انه صاحب الرسالة التي تحقق الأماني القومية للشعب الكردي، ودأب على طرح الأطار القومي لحركته، وقام بلقاءاته واتصالاته المكثفة، فمن ناحية اجتمع ضباط الأرتباط الأكراد الذين كانوا احراراً في تنقلاتهم في كردستان وكانوا يسعون الى توحيد الكلمة بين القبائل الكردية. وسوف يصل ضباط الأرتباط الأكراد وهم كل من: عزت عبد العزيز، مصطفى خوشناو، عبد الحميد باقر، محمد محمود قدسي،، شوكت نعمان،احمد اسماعيل، وحفظالله اسماعيل. وسوف يستقر الرأي على تشكيل لجنة باسم لجنة الحرية،ازادي، وذلك بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٩٤٥ وإسناد قيادتها الى مـلا مصطفى البارزاني ويتكون منهاج عملها من النقاط التالية:

١ ـ تحرير كردستان وإنقاذها من الظلم والأضطهاد.

٢ ـ تشكيل فصائل مسلحة للدفا ع عن كردستان.

٣ ـ العمل من أجل مصالحة وطنية عامة.

٤ ـ إقامة علاقات أخوية مع جميع المنظمات والأحزاب الوطنية والتقدمية الكردية في جميع اجزاء كردستان.

٥ ـ أيصال صوت الشعب الكردي ومظلماته الى الرأي العام العراقي والدولي عن طريق السفارات الأجنبية في بغداد.

٦ ـ فضح سياسة الحكومة المعادية للشعب الكردي عن طريق وسائل الأعلام ومطالبتها لتنفيذ بنود اتفاقية عام ١٩٤٣ التي بموجبها وقف القتال.

إن لجنة الحرية، آزادي، وعت العامل الدولي والدعاية والبحث عن أيجاد حلول سلمية للقضية الكردية وتحاشي الأصطدام مع القوات الحكومية، والحد من مغامراتها العسكرية، وبهذا الخصوص قامت اللجنة بتقديم مذكرة للحكومة العراقية تطلب فيها الأستجابة للمطالب الكردية[١٦].

ومن جانبه قام الملا مصطفى البارزاني بجولات في اوساط القبائل الكردية لكسبهم نحو الولاء للحركة، وفي هذه الفترة تزوج من زوجته الثالثة ابنة محمود آغا الزيباري وكان ذلك عام ١٩٤٤م.

في هذه الفترة ايضاً ارسل ملا مصطفى البارزاني رسالة الى السفير البريطاني وهي مؤرخة في ٩ / ٤ / ١٩٤٤ يذكر فيها:

انه نفذ اوامر السفير البريطاني وأوقف القتال وجاء الى بغداد ومقابل ذلك وعدت الحكومة بسحب الجيش من بلي وميركَه سور وإصدار العفو العام وإجراء بعض الأصلاحات في

كردستان حسب المذكرة التي قدمها ماجد مصطفى، ولكن الحكومة لم تنفذ أياً من وعودها.. ويضيف: ان الحكومة العراقية تعزز تعزز حاميتيها في ميركَه سور وبلي وهناك شائعات عن إرسال قوات الجيش الى عقرة وراوندوز، في حين لا يبدو ان في نية الحكومة إجراء الأصلاحات، وختم حديثه: إن لم تمانع الأمبراطورية البريطانية العظمى فإننا مستعدون لأثبات الحقيقة لهؤلاء وإثبات حقنا بأيدينا...[١٧]

في كانون الأول من عام ١٩٤٤ طالب البارزاني الحكومة العراقية بتنفيذ بعض الأجراءات التي تصب في مصلحة الشعب الكردي ومنها، استحداث لواء دهوك وهو من الأقضية الكردية التي كانت تابعة للواء الموصل وكان نوري السعيد قد وعد بذلك، وتعيين معاون كردي لكل وزير في بغداد ومنح قرض مالي لمكتب البارزاني لصرفه كقروض زراعية لتفادي المجاعة في كردستان، وفي هذه الفترة أيضاً أي قبل اندلاع المعارك من جديد في أيار عام ١٩٤٥ أجرى اتصالات مع متصرفي الوية الموصل وأربيل والضباط الأنكليز العاملين في كردستان بصفة معاني المستشار السياسي، وفي جميع هذه اللقاءات قيل للبارزاني ان الحكومة مستعدة بأن توفر له ولقبيلته الأمان والأزدها الأقتصادي مقابل تخليه عن الحقوق الكوردية، ولكن البارزاني أكد لهم بأن المسألة ليست مسالة شخصية او مسألة عشيرة بل مسألة حقوق شعب. وفي خطبه ومراسلاته يشير الى حقوق الكورد كما أقر به ميثاق الأطلنطي لحقوق الشعوب التي كانت بريطانيا طرفاً رئيسياً فيه، كما وجه البرزاني فرع هيوا في بغداد لمفاتحة سفارات الدول الغربية للمطالبة بالحقوق الكوردية باسم الديمقراطية، ومن يظهر ان اسلوب ملا مصطفى لأدارة الصراع لم يكن اسلوباً قبلياً[١٨].

لقد ذكرنا في مستهل هذه الفقرة ان التيار القومي العروبي لم يكن راضياً بمنح الأكراد المزيد من الحقوق، وإن المطالبة بالحقوق القومية للأكراد هي بمثابة افكار تدعو الى الأنفصال والعصيان، ولهذا كان الرأي الداعي الى انهاء الأنتفاضة الكردية بقوة السلاح هو المهيمن على الساحة السياسية للحكومة العراقية، كما ان إحراز النصر العسكري سيعيد هيبة الحكومة التي فشلت في محاولات سابقة من القضاء على الثورة الكردية نهائياً. لقد كانت بريطانيا في قرارها تؤيد انصياع الأكراد للحكومة العراقية، وتريد ان تكون هناك حكومة مركزية قوية في بغداد تخضع لها جميع مناطق العراق.

كان الجيش يتحين الفرص لاثبات جدارته ووقف مصمماً على استعادة هيبته المحطمة من خلال عمل عسكري يشنه على البارزاني، وهذا ما حصل فعلاً فخلال شهر آب ١٩٤٥ حيث خول الجيش بالزحف على البارزاني واعوانه، كانت الخسائر في البداية ثقيلة ولكن لجوئه (الجيش) الى استعمال القبائل لصديقة، بشكل خاص البادوستيين بزعامة الشيخ رشيد،

أجبر الملا مصطفى على اللجوء الى مواقع الدفاع. وفي شهر ايلول انضم الزيباريون الى جانب الحكومة، وحصلوا على عفو تام مقابل القتال ضد حلفائهم السابقين، وهم الذين لم يسامحهم البارزاني على ذلك أبداً، في اواسط تشرين الأول فرّ ملا مصطفى والشيخ احمد الى مهاباد.[١٩]

التصعيد السياسي والعسكري

لقد أشرنا الى نزوح ملا مصطفى والشيخ احمد الى ايران فكيف حدثت التطورات لتؤول الى النتيجة.

كان البارزاني مصطفى يدرك حقيقة النوايا الحكومية ويضع في حسابه اسوا الأحتمالات، وإن الحكومة ليست جادة في تنفيذ وعودها وإنها تتحين الفرص المناسبة لوضع الحد للحركة الكردية، وإن بريطانيا ستدعم الحكومة العراقية في جهودها، ومن جانبه قام البارزاني بالأتصال بممثلي حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا السوفياتية مبيناً لهم التصور الكردي للأحداث، وسبق للبارزاني قبل اندلاع المعارك ان اتصل بالسلطات العسكرية السوفياتية التي كانت متواجدة في ايران لضمان ملجأ لقواته في حالة اضطراره الى الأنسحاب من الأراضي العراقية، حيث قرر البارزاني استطلاع موقف السوفيات، فأرسل مامند مسيح في ٧ / ٥ / ١٩٤٥ الى كردستان أيران لدعوة ممثل عن السوفيات لزيارة البارزاني. فاستجابوا للدعوة وأرسلوا ضابطين مع مامند مسيح الى بارزان. بعد عدة اجتماعات تم التوصل الى تفاهم ووعد السوفيات بدعم الثورة الكردية ضد أي عدوان.. كما التقى مصطفى البارزاني بالجنرال سيامندوف، ارسل مصطفى خوشناو الى مهاباد للأطلاع على آخر المستجدات هناك، وعاد الى بارزان في ١٠ / ٦ / ١٩٤٥ وقد لعب كل من السيد عبدالله افندي الكَيلاني والشيخ عبد الله زينو دوراً نشيطاً في تأمين تلك الأتصالات.[٢٠]

كان للبارزاني نظرة مستقبلية ثاقبة لتطور الأحداث العسكرية والسياسية، فالحكومة مندفعة ومستميتة لبلوغ اهدافها ومصلحة بريطانيا تقتضي ملازمة جانب الحكومة، وهي لا تريد ان تبقى الأمور متراوحة بين اللاسلم واللاحرب، وفي التجربة العسكرية ينبغي ان تكون خطة الأنسحاب متاحة في حالتي الهجوم والدفاع، وهكذا كانت اتصالاته بأكراد ايران والسوفيات المتواجدين فيها لضمان هذا الأنسحاب إن اضطر الى ذلك.

كانت كفة التصعيد هي الراجحة وفي هذا السياق استقالت حكومة نوري السعيد، واعقبتها حكومة حمدي الباجه جي في ٣ / ٦ / ١٩٤٤ والتي حاولت ان تنكث بوعود الحكومة السابقة، وكانت كل المؤشرات تشير الى ان الحكومة تتهيأ للحرب بغية إرضاء الصقور في

الجيش العراقي، إنهم يريدون ان يمنحوا فرصة لقيام بعملية عسكرية تأديبية للمتمردين، إنهم لا يتفقون مع النهج الحكومي المتهاون مع البارزانيين. وتحت هذا الضغط اكتفت الحكومة بإصدار قانون العفو العام في ٢٥ / ٤ / ١٩٤٥ عن (المتمردين البارزانيين)، وكأن المسألة تنحصر في عدد من الخارجين عن القانون، لقد كان قانون العفو موقعاً من قبل الوصي ورئيس الوزراء حمدي الباجه جي ووزير الداخلية مصطفى العمري ووزير العدل أحمد مختار بابان ووزير الدفا ع اسماعيل نامق. وكان قرار العفو لا يشمل العسكريين الملحقين مع البارزاني وكذلك افراد سلك الشرطة من الأكراد البارزانيين الذين التحقوا يوم احتلال المخافر الحكومية في المنطقة.

ومع هذا فإن قانون العفو تأخر الى حين استكمال الأستعادات العسكرية.

بناء على طلب من كابتن جاكسون وسعيد القزاز متصرف لواء أربيل تم لقائهما مع ملا مصطفى البارزاني في ١٧ حزيران ١٩٤٥ في ميركَه سور. وحدثت مشادة كلامية بين البارزاني وسعيد القزاز، ولكن تدخل الكابتن جاكسون حال دون تطورها الى ما هو أسوأ، كانت لهجة القزاز خشنة تشوبها الغطرسة، وحاول الأخير ان يوبخ البارزاني باتصاله بممثلي الروس وهدده بأسلوب غير لائق. رد البارزاني عليه قائلاً:

لقد خنتم الوعود والمواثيق وأغلقتم كل الأبواب ولذلك لم يعد في وسعي، إلا ان اطرق كل باب آخر من أجل قضية الشعب الكوردي العادلة، إنني لم أخش تهديدات اسيادك فكيف أخشى تهديدك؟ وانت خادم ذليل لهم. وكان مع البارزاني ولي بك الذي نهض ليضرب سعيد قزاز إلا ان البارزاني منعه، وبالتأكيد لا يتوقع احد ان تؤدي جلسة في جو كهذا الى اية نتيجة، وبالعكس انها تعقد الأمور وتدفعها نحو الأسوأ، واعتبر القزاز أنه أهين أمام ضابط بريطاني وعزم منذ تلك اللحظة على اغتيال ولي بك في اول فرصة مواتية، وأصدر أوامره الى معاون شرطة ميركسور بذلك[21].

إن الأستعدادات العسكرية الحكومية لم تشكل سراً ولم تكن بمنأى عن تقديرات ملا مصطفى البارزاني، فكان من جانبه ان بادر الى حركة دؤوبة للأتصال بالعشائر وفي جولته بالأقضية الكردية في لواء الموصل استصحب معه حوالي ٢٥٠ مقاتل من البارزانيين واراد في البداية وضع حد للنزا ع القائم بين المزوريين بين عائلة الحاج ملو وشيوخ بيرفكان، وقد بقي هذه النزا ع بدون حل، بسبب عودة البارزاني الأضطرارية قبل إكمال جولته[22].

شكلت جولة البارزاني بما كان يلاقيه من الحفاوة والأستقبال في الاراضي والقرى التي يزورها تظاهرة شعبية، وكان يرمي من وراء جولته تعبة الجماهير وتنسيق الجهود لتشكيل فصائل مسلحة في كل انحاء كردستان، وكان مقرراً ان يجري جولة مماثلة في مناطق كركوك

والسليمانية. ومن البديهي ان البريطانيين والسلطات الحكومية العراقية كانوا ينظرون بعين الريبة الى هذه التحركات، لقد تمكن البارزاني من تعزيز مكانته بين الجماهير والقبائل الكردية في هذه الجولة، وبات ملا مصطفى البارزاني يتبوأ بالتدريج مركزاً قومياً وطنياً، وهذا كان يعتبر تجاوزه للخطوط الحمراء بنظر الحكومة العراقية والسلطات البريطانية. وعن هذا الموضوع يكتب الدكتور عثمان علي نقلاً عن حسن مصطفى قائلاً:

ان البارزاني استغل عشرة أشهر من الهدنة من (اواخر ١٩٤٤ الى بداية آب ١٩٤٥)، وقام بزيارة القبائل من بارزان ماراً بدهوك وعقرة وسهل حرير وشقلاوة، وإنه اصطحب معه المئات من المسلحين لأقناع العشائر او إرهابهم للأنضمام الى حركته والدعاية ضد الحكومة فأكسبته هذه الجولات دعم محمود آغا الزيباري و ٦٠٠ من مسلحيه ومحود خليفة و ٤٠٠ مسلح، ودينو سيد طه و ١٠٠ مسلح، وتأييد العديد من رؤساء العشائر في زاخو والعمادية. ويستطرد الكاتب: بأنه حتى جريدة التايمس البريطانية الصادرة في ١٦ حزيران ١٩٤٥ أشارت الى الأدعاءات العراقية ضد البارزاني، إذ كتبت الجريدة المذكورة تقول:

يتصرف ملا مصطفى كحاكم للأقليم ويتدخل في شؤون القبائل ومسائل الأدارة والتموين ويمنع المقاولين من بناء الطرق والمدارس والمستشفيات واحتفظ بمجموعة من المسلحين لأرهاب خصومه، وكان هذا رأي الحكومة الرسمي، وهو بدوره قاد حملة اعلامية لتشويه الحقائق.[٢٣]

من الطبيعي ان تكون هذه دعايات حكومية، فالبارزاني نفسه كان يطالب ببناء الطرق وإنشاء المستشفيات والمدارس، وكان يريد تهدئة الأوضاع والعمل ما بوسعه لتجنب انفجار الموقف، وهو الذي أمر ضباط الأرتباط الأكراد بتسليم انفسهم للضباط المشاورين السياسيين الأنكليز لتسهيل عودتهم الى ثكناتهم العسكرية، وما فعلته الحكومة العراقية بهؤلاء الضباط هو إحالتهم الى وظائف مدنية، ويبدو انهم شعروا بوجود محاولة لاعتقالهم، فآثروا الهروب الى البارزان.

السحب الملبدة في السماء تنذر بهطول الأمطار الغزيرة وهكذا كانت الأجواء السائدة بين الحكومة والثوار الأكراد فكل القراءات الواقعية للتطورات تنبئ بتجدد المعارك الطاحنة فالأستعدادات جارية على قدم وساق، فالحطب المتكوم تكفيه شرارة لكي تندلع فيه الحرائق.

في مقال للأستاذ الياس حنا في الشرق الأوسط اللندنية يورد فيه قول المفكر كارل فون كلوزفيتز يقول:

إن اسهل شيء في الحرب، هو صعب جداً، فالحرب هي ميدان المجهول فيها صراع الأرادات، وفيها الأحتكاك الذي شبهه بمن يسير في الوحل. لكن مع هذا كل طرف من طرفي

المعادلة يفكر في كيفية ردع المقابل، وهو يعد قوته المادية ويعرضها على العدو بصورة مباشرة او غير مباشرة لتكون عامل ردع وكأنه يهاجم استراتيجية العدو ويمنعه من استعمال ما لديه من قوة.

ومن الأسباب المساعدة على الردع هو توفر المعلومات الكافية عن قدرات العدو وتحركاته، لكي لا يقع ضحية الخطأ في تقدير قدرات العدو، إن كان في حالة الهجوم او الدفاع. وكان البارزاني بفضل خبرته الحياتية الغنية بالتجارب العسكرية يعي هذه الناحية ويستعد لها. ومن جانبها كانت الحكومة العراقية وبالأخص القوى القومية وصقور الجيش يحسبون حسابهم، وهم يأملون في إحراز انتصارت عسكرية لتقوية معنويات الجيش، وهم يسلكون الطريق الذي يوحي للأخر بأن بأنهم جديين في حملتهم هذه.

في المفهوم العسكري يجب ان يعي المدافع ان المهاجم جدي في استعمال وسائله وفي حال فشل الهجوم فإن المدافع يصبح اكثر تحدياً ومتشبثاً بالواقع القائم وتعزيزه. فيحاول اختبار الواقع الجديد عبر تحديات محددة وبشكل لا يخرق الخطوط الحمر، وكلما افلح المدافع في اجتياز خط احمر، يعمد الى درس الخطوة التالية لاجتياز خط احمر ثان، وهنا يعمد المهاجم الى عرض عضلاته، ويرسل رسائله في كل الأتجاهات على ان تكون مصحوبة بالقدرة المادية، ليؤكد للمدافع انه لازال يحتفظ بقوته وهو جاد في استخدام القوة. ويصحب هذه الخطوات خطاب سياسي موازٍ، وهذه اللغة في العامل النفسي تعتبر امراً مهماً في الحروف وتعتبر جزءاً من تلك الحرب وهي سلاحاً لا تقل اهميته من السلاح الأعتيادي.

مؤشرات التصعيد اكثر وضوحاً

كان البارزاني يقوم بجولاته في المنطقة ويتصل برؤساء العشائر وكان يعلم مدي تأثير هؤلاء الرؤساء في مستقبل الثورة الكردية، إن بريطانيا تعيب علي البارزاني على بأنه زعيم قبلي وكانت تريد ان تمسح عنه صفة زعيم الشعب الكردي، لكن تبقي حاجة الثورة قائمة الى الزعيم الرمز، وفي الثورة كانت الحاجة الى هذه الزعامة اكثر إلحاحاً، الزعيم (الكاريزما) الذي ينال احترام شعبه ويحترمه العالم، أما إن كان ثمة اختلاف على زعامة البارزاني، فقلما نجد زعيماً نال ولاء جميع الأطراف. لقد حاول البارزاني إنقاذ قضية شعبه وانتشالها من الأندثار في أروقة السياسة والمصالح، فكان صبره وحكمته وتحمله المصاعب والمخاطر، ولهذا كانت الحكومة تريد ان تلغيه بدعاياتها التحريضية الغوغائية وحملاتها العسكرية، لكن في نهاية الأمر بقي نجم البارزاني ساطعاً وجعله الشعب الكردي رمزاً تاريخياً خالداً لنضالها المجيد.

لقد أشرنا في اسطر سابقة ان ملا مصطفى البارزاني اضطر الى قطع جولته بين العشائر والعودة الى منطقة بارزان حيث كانت الأوضاع تتدهور بسرعة في ظل حكومة الباجچي، فالحكومة اخذت تشيد المزيد من المخافر العسكرية والشرطة في منطقة بارزان، واحتلت المرتفعات الأستراتيجية المتاخمة للبارزان، وأخذت تضّيق على الأهالي لمن يراجع الدوائر الحكومية، وكانت الحكومة تنشر قواتها تحت ذريعة القيام ببعض التدريبات العسكرية، وهكذا كان الوضع المتأزم قابلاً للأشتعال لأقل شرارة تندلع هنا او هناك، وجاءت هذه الشرارة ففي ٨/ ٨ / ١٩٤٥ حينما كان ولي بك أو (اولو بك) يراجع مخفر شرطة فوق ميركسور للحصول على الشاي والقمح حين حصلت مشادة كلامية، ما لبثت ان تطورت الى قتال داخل المركز خرّ فيه ولي بك (اولو بك) صريعاً، مع عدد من افراد الشرطة، وأدى الحادث الى قيام البارزانيين بتطويق مخفر ميركسور واحتلاله، وعلى أثر هذا الحادث جمع البارزاني رؤساء العشائر وأفضى اليهم التطورات وعليه ينبغي عليه العودة الى بارزان، وعليهم العودة الى مناطقهم وانتظار التعليمات الجديدة. قطع البارزاني جولته وعاد أدراجه الى منطقة بارزان.

كان من بين دعاة التصعيد والداعين الى استخدام القوة العسكرية وزير الداخلية في حكومة الباجچي وهو مصطفى العمري، وعندما اصدرت الحكومة قرار العفو العام كان هذا القرار مبتوراً ولم يشف طموحات البارزانيين، كما انه صدر بعد ان اتخذت الحكومة كل اجراءاتها واستعدت لخوض المعارك العسكرية ضد تحصينات البارزانيين والقبائل الموالية للثورة.

اعلنت الحكومة العراقية الأحكام العرفية في لوائي أربيل والموصل وذلك يوم ١٩ / ٨ / ١٩٤٥ وعلى صعيد آخر كانت الحكومة تتصل بالعشائر الكردية وتحاول استمالتها وكسب ودها الى جانب الحكومة إن كان بالترغيب او بالترهيب فكانت الأحداث تتسارع ويبدو ان المجابهة باتت وشيكة لا مفر منها.

وكانت وزارة الباجچي قد اصدرت في ٨/ ٨ / ١٩٤٥ قراراً جاء فيه:

بعد الأطلاع على مضامين التقارير المصرحة باضطراب الأمن في منطقة بارزان وأطرافها، ونظراً للأعمال الأجرامية التي قام بها الملا مصطفى البازاني وأعوانه والمخلة بالأمن العام، وبما ان الواجب يقضي بإعادة النظام والأنتظام ومنع تكرار الأجرام، تقرر احتلال المنطقة عسكرياً والقبض على المجرمين وسوقهم الى العدالة، ويخول وزير الدفاع اجراء الترتيبات اللازمة لتنفيذ هذا القرار.

لقد نشر في الصحف العراقية بتاريخ ١٤ / ٨ / ١٩٤٥ م بياناً صادراً من مدير الدعاية العام وبنفس المعنى يقول:

إن الشعب العراقي مطلع ولا شك مطلع ولا شك على الأعمال الأجرامية التي قام بها الملا مصطفى البارزاني والتي كبدت البلاد اضراراً مادية ومعنوية، رغم ذلك فإن الحكومة قد رأت ان تسلك سلوك اللين لا الشدة للبرهنة علي حسن نيتها فقامت بإصدار التشريع اللازم لعفوه وعفو اتباعه عن الجرائم التي ارتكبوها كما انها قامت بإبداء المساعدات المادية الوفيرة لتفيه حال السكان في المنطقة المذكورة، وقامت أيضاً بالأعمال العمرانية التي تؤول الى فائدة سكان المنطقة وخيرهم ولكن بالرغم من ذلك فإن الملا مصطفى قام مع بعض اتباعه بالأعمال الأجرامية والمخالفات القانونية الأمر الذي أدي الى اضطراب الأمن وزوال السكينة والطمأنينة من بين سكان المنطقة المذكورة. لهذا فقد قررت الحكومة اتخاذ الأجراءات اللازمة للقبض على المجرمين وإعادة الأمن والطمأنينة في تلك المنطقة بغية تمكين الحكومة من ممارسة سلطاتها وأعمالها الأصلاحية...[٢٤]

في هذا السياق بادر متصرف لواء اربيل سعيد قزاز الى توجيه انذار الى البارزاني بوجوب تسليم نفسه الى السلطات الحكومية، كما انذر جميع رؤساء العشائر بالأبتعاد عن البارزاني وهددهم بأقسى العقوبات إن خالفوا هذه الأوامر، وفي الوقت ذاته صدرت الأوامر الى قطعات الجيش للزحف نحو منطقة بارزان بغية احتلالها. ويقول الأستاذ مسعود البارزاني انه اتخذت عدة قرارات قبل البدء بالحركات وكان اهمها:

١ ـ تأليف قيادة خاصة للحركات وتعيين قائد الفرقة الثانية اللواء الركن مصطفى راغب قائداً للحركات.

٢ ـ تشترك في العمليات جحافل الفرقة الفرقة الثانية مع جحفلي لواء الفرقة الأولى والقوة الآلية ويجب ان يتم حشد هذه في منطقة الحركات قبل بداية أيلول.

٣ ـ مد خليفان وبافستيان بقطعات كافية لحماية مضيق كَلي علي بيك من العصاة وتقوية حامية عقرة مع احتلال سر عقرة تمهيداً للحركات.

٤ ـ تأسيس مدخرين للتموين لغرض الحركات أحدهما في بافستيان والآخر في عقرة، وتكديس أرزاق وعلف حيواني تكفي لمدة شهرين ولعدد ٦٠٠٠ جندي و ٣٠٠٠ حيوان في بافستيان ولعدد ٣٠٠٠ جندي و ١٥٠٠ حيوان في عقرة.

٥ ـ اعلان الأحكام العرفية في لوائي اربيل والموصل.

٦ ـ تهيئة أمكنة خارج منطقة الحركات لأيواء وإعاشة الموالين الذين سيتركون ساحة الحركات.

٧ ـ وقف المساعدات المالية عن البارزانيين والكف عن إرسال مواد التموين لهم ولأتباعهم.

٨ ـ تقوية مخافر الشرطة وادخار المواد اللازمة فيها لجعلها مكتفية بذاتها لمدة طويلة.

٩ ـ وضع فوجي الشرطة الموزعين بين دهوك والعمادية بإمرة قيادة الحركات وتعزيزهما بفوج شرطة آخر مع كتيبة من الشرطة الخيالة.

١٠ ـ طلب إعادة مطار الموصل من القوة الجوية البريطانية بسرعة لكي تستفيد منه القوة الجوية العراقية في حركاتها ضد منطقة بارزان، وقد ألحق بقيادة الحركات سربان من القوة الجوية لهذا الغرض[٢٥].

في سياق أستعدادات الطرفان لخوض المعارك التي باتت وشيكة تولي ملا مصطفى البارزاني نفسه قيادة عقرة بالأضافة الى إشرافه على كل الجبهات وإدارة شؤون الثورة الأقتصادية والسياسية وكان يعاونه في ذلك أعضاء لجنة الحرية.

كانت حامية بلي العسكرية محاصرة من قبل القوات الكردية، وقد انيطت هذه المسؤولية باسعد خوشفي إضافة الى مسؤوليته عن تموين قوات جبهة عقرة، اما محمد صديق البارزاني وهو شقيق البارزاني وأكبر منه سناً وقد كلف بقيادة جبهة ميركسور ـ راوندوز. ومن ناحية اخري كثفت الأتصالات بالتنظيمات الوطنية والمثقفين بغية الوقوف الى جانب البارزانيين والشعب الكردي الذي يتعرض لحملة عسكرية ظالمة، ومن جانب آخر ارسل البارزاني رسائل لرؤساء العشائر الذين حلفوا اليمين للقيام بواجبهم في الدفاع عن كردستان. لكن يبدو ان هذه العشائر كانت تشكل الحلقة الضعيفة في دفاعات الثورة ضد الحملة العسكرية، ليس هذا فحسب فهذه العشائر قسم كبير منها لم يؤدي واجبه، ولم يكتف بالوقوف موقف الحياد إنما كان انقلابهم على الثورة للأنتقال الى صف الحكومة ومحاربة الثورة الكردية، وكان تأثيرهم السلبي قوياً على الثورة بجهة إلمامهم الكامل بالتضاريس الجبلية وخبرتهم بحرب العصابات.

اندلاع المعارك

مع تداعيات الأحداث واقترابها من حافة انهيار السلام الهش، أشار تقرير بريطاني مؤرخ في شهر آب ـ أغسطس ـ أرسل الى لندن من بغداد جاء فيه:

١ ـ يظهر من الوضع الحالي ان ملا مصطفى يتحدي الحكومة بشكل علني، وإن السبب الرئيس لذلك هو بالتأكيد تصميم شيخ بارزان على رفض الحكم العراقي في منطقته.

٢ ـ بعد عودة عائلة الشيخ الى بارزان في عام ١٩٤٤ إثر تمرد ملا مصطفى الناجح، لم يكن هناك بد من توخي البارزانيين نوعاً من الحكم الذاتي وقد تمتعوا بذلك الى حين نفيهم كما

تمتع البشدر وعشائر الشمّر بحكم ذاتي مماثل، لكن الحكومة لم تكن مستعدة لقبول ذلك.

٣ ـ وربما كان السبب المباشر للوضع الحالي هو قرار الحكومة بإعادة بناء مخافر البوليس. لقد اثار هذا الموضوع متصرف اربيل سعيد قزاز في ٣٠ آذار مايس ١٩٤٥، ورفض ملا مصطفى المشروع، لكن الحكومة واصلت تنفيذ القرار.

ويمضي التقرير الى القول:

احتل اسعد خوشفي مركز بارزان في ٨ / ٨ / ١٩٤٥ وقد قررت الحكومة العراقية ان يتحرك لواء عسكري في ١١ / ٨ / ١٩٤٥ الى بافستيان وراوندوز، اما التقدم نحو بارزان فيبدأ بعد ١٥ ـ ٢٠ يوم، وفي هذا الوقت كانت الحكومة العراقية تقوم بحملة دعائية مدروسة لأقناع الأكراد بأن الحكومة تعمل على صيانة مصالحهم ولا تكن لهم العداوة وإن تحقيق الأمن والنظام ضروري لازدهارهم، وكان ملا مصطفى في ١٣ / ٨ / ١٩٤٥ خارج بارزان وربما في مريبة[٢٦].

كان تاريخ ٨ / ٨/ ١٩٤٥ يوم اغتيال اولو بك داخل مركز الشرطة واحتلاله من قبل البارزانيين وبيان الحكومة في ذلك اليوم، إيذاناً ببدء المناوشات ومن ثم اندلاع المعارك على الجبهات الساخنة.

الي الشمال من رواندوز وفي الخط الممتد بين مرتفعات جبل قلندر حتى جبل برادوست والى الشارع العام قرب قرية هاوديان، وقعت اولى المعارك وذلك يوم ٢٥ / ٨ / ١٩٤٥ حيث تقدمت جحافل اللواء الثالث بقيادة العقيد الركن حسيب الربيعي معززاً بفوج من الشرطة الى مرتفعات بادليان للقيام بحركة التفاف واحتلال السفوح الشرقية لجبل قلندر، لقد دارت معركة ضارية بين الثوار الأكراد وقوات الجيش، ورغم مساندة القوة الجوية والمدفعية للقوات الحكومية إلا انها اضطرت الى الأنسحاب نحو الجنوب الى مضيق كلي على بيك.

في هذه المعركة اصيب محمد صديق بجروح بليغة من شظايا قذيفة مدفع انفجرت قريباً منه، وأصيب أيضاً بعض رجاله. في هذه المعركة ايضاً اعاد الثوار المناطق التي سيطر عليه الجيش في بداية الهجوم وغنموا عدداً من البنادق وكميات من المهمات العسكرية.

توقف الجيش عن شن هجوم حتي يوم ٥ / ٩ / ١٩٤٥ وكان في فترة التوقف هذه مستمراً في القصف المدفعي والغارات الجوية على المنطقة.

علي طريق ميركه سور وراوندوز احتدمت معركة ضارية وعرفت بمعركة ميدان موريك بين قريتي مه زنة وهاوديان، لقد كانت قوات محور راوندوز تحت قيادة الزعيم الركن اسماعيل صفوت، وكان الهجوم يجري على ثلاث محاور محاولة احتلال برادوست وقلندر، وكان انسحاب الثوار يجري امام القوة الرئيسية وفق خطة لاستدراجها الى الموقع المناسب

للانقضاض عليها وكان ذلك في موقع ميدان موريك.

قبل حلول الظلام باغت الثوار القوات الحكومية بهجوم من المرتفعات القريبة ومن الخطوط الخلفية ووصل الأمر الى استخدام السلاح الأبيض فوقعت القوات الحكومية بحالة من حيص بيص وبدأت مواقعه تسقط بيد الثوار واحداً تلو الأخر وخيمت الفوضى على طريقة انسحاب القوات الحكومية واستولي الثوار على مئات البنادق والرشاشات وكميات كبيرة من العتاد والتجهيزات العسكرية لكن اهم الغنائم كانت بطارية مدفعية، وإذ لم يكن بين الثوار من يعرف استخدامها، فقد بادر الرائد عزت عبد العزيز الى تهيئة احد المدافع ونقله الى بلي. وكان مخفر الشرطة في بلي محصناً رغم محاصرته من قبل القوات البارزانية، واجتياحه كان يعني سقوط المزيد من الضحايا، إذ لا يبتعد سوي سبعة كيلومترات عن بارزان فكان مصدر تهديد مباشر للحركة في منطقة بارزان ويعتبر مصدراً مهماً للأخبار عن تحركات البارزانيين في المنطقة فكانت فكرة استخدام المدفع، وقبل اطلاق القذيفة الأولى انذر اولاً قوات البوليس الموجودين داخل المخفر بالأستسلام حقناً للدماء، لكنهم ردوا بالأستهزاء وهنا أطلق عزت عبد العزيز ثلاث قذائف من المدفع فتعالت الأصوات معلنة الأستسلام، فتم احتلال المخفر والاستيلاء على ما فيه من عتاد وغذاء.. كانت القوات الحكومة قلقة جداً من تأثير استخدام المدافع التي استولى عليها البارزانيون في جبهتي عقرة وراوندوز، وكانوا على علم بأمكانية استخدامها من قبل الضباط الكرد.

في مراجعة اسبوعية حول الوضع العسكري يفيد تقرير بريطاني بان الرتل العسكري في عقرة اضطر على البقاء في دينارته وزود بالمؤونة جواً، واستطاع رتل آخر بالوصول اليهم ونقل الجرحي، كما ان رتل البوليس سفي محور العمادية والذي احتل مركز سيري في ٩ / ٩ تلقي امراً بإخلائه في حالة تعذر البقاء فيه. وفي جبهة راوندوز لم تستطع القوات الحكومية التقدم، واستخدم المتمردون المدافع التي استولوا عليها ضد مركز بلي الذي استسلم في ٩ / ٩... نصح رئيس البعثة العسكرية البريطانية انقاذ الجيش العراقي من المحنة في دينارتة والبقاء في حالة الدفاع الأستراتيجي حتى الربيع القادم حيث يمكن للقوات العراقية ان تشن عمليات هجومية محلية فيتدهور وضع المتمردين بسبب حرمانهم من المراعي الشتوية واضطرار العوائل على لابقاء تحت طقس بارد دون توفر وسائل الوقاية[٢٧].

في الحقيقة لا يمكن مقارنة إمكانيات القوات الحكومية إن كان من ناحية الأسلحة او التجهيزات اللوجستية بالمقاتلين الأكراد،من نوعية الأسلحة المتطورة قياساً بأسلحة الأكراد المتواضعة، وإذا اضفنا الى تسليح الجندي ما يتلقاه من مساندة من السلاح الجوي والقصف المدفعي وتحرك الآليات والدبابات، وبعد ذلك توفير الغذاء والماء، بينما المقاتل الكردي لا يطمع

سوي بتوفير العتاد والغذاء والماء لكي يبقى صامداً في موقعه، ولقد اشتركت شخصياً في مثل هذه المعارك، إن كان في جبل القوش او في أماكن أخري من كردستان، فإضافة الى العتاد العسكري اللازم ثمة مسألة توفير الغذاء، فكيف يستطيع المقاتل التواصل إن كان يعاني من الجوع؟ وفي هذه المعارك التي نحن بصددها لا بد من الأشادة باناس مجهولين يقفون وراء المقاتلين يتعهدون ويتحملون الصعاب والتعب والجوع بعد ان يجودوا بحصة من غذائهم وأرزاقهم للمقاتلين، لقد كان البارزانيون يقدمون التضحيات على خطوط جبهة القتال، وكذلك كانوا يقتطعون من لقمة عيش أطفالهم الى المقاتلين، فالنساء البارزانيات يواصلن الليل مع النهار بغية سد احتياجات الجبهة من الطعام، ويضحين بالنزر اليسير الذي لديهم بتقديمه للمقاتلين دون مقابل، وهنا تكون المرأة قد ساهمت بنصيبها في هذه المعركة، وهناك من االبارزانيين من يتبرع ببعض اغنامه للمقاتلين، إنها تضحيات دون مقابل وهذا النوع من التآلف والتعاون والتضحيات الجسام قلما تراه في مجتمعات أخرى،.

ونعود الى صمود المقاتلين وشجاعتهم في هذه المعارك فيحدثنا الأستاذ مسعود البارزاني يقول:

ذات مرة ذهبت الى السليمانية في نيسان ١٩٦٤، وكان القتال متوقفاً بين الثورة الكردية والحكومة، ولدى مروري من دوكان دعاني آمر الفوج المرابط هناك الى تناول طعام الغذاء معه، وكان الآمر هو العقيد صعب الحردان، فرحب بنا بحرارة ومن خلال حديثه تطرق الى سير معركة ميدان موريك حيث كان هو أحد الضباط المشتركين فيها وكان برتبة ملازم فأشاد بشجاعة البارزانيين الخارقة وذكر لنا كيف تعرض فصيله لهجوم عنيف وأصيب بخسائر فادحة وجرح هو في ساقه، واعترف بالكارثة التي حلت بالقطعات العسكرية في تلك المعركة، ثم أخذ يروي لنا حادثاً وقع له في تموز ١٩٦٣ عندما كان يقود مجموعة من المرتزقة الذين حاولوا احتلال شوش وشرمن بمنطقة عقرة، وتعرضهم لهجوم مقابل اجبرهم على الفرار حتى حامية عقرة. وقال الضابط مازحاً ان البارزانيين كانوا أشجع في معارك ١٩٤٥ من الآن.

قلت له: إن البارزانيين هم هم ولكن سلاحهم لا يزال نفس السلاح القديم بينما انتم تملكون الآن أحدث الأسلحة من طائرات ومدافع ودبابات.. ويمضي الأستاذ مسعود البارزاني في حديثه فيقول:

ومن الصدف الغريبة ان حسو يوسف أحد أبطال معركة ميدان موريك وعمر آغا بطل معركة شوش وشرمن كانا جالسين معي، وعرفته عليهما، فنهض من مكانه وقبلهما وقال الرجل بشهامة: إني أضع الرجال الشجعان على رأسي وإن كانوا اعدائي، شكرناه وسرنا في طريقنا[٢٨].

العشائر الكردية وراء انهيار المقاومة

في المجتمعات التي يغلب فيها العنصر العشائري وتسود العلاقات القبلية يصبح من العسير إنشاء تنظيمات سياسية مركزية او تكوين قيادة سياسية مركزية تحظي بولاء العشائر، فصلات القرابة ومستلزمات الحسب والنسب تبقى هي السائدة، كما ان الربح المادي هو اقرب الى تفكيرهم والتسليم به، وهنا كانت المقولة المشهورة لابن خلدون عن العرب فيقول مقدمته:

ان العرب إذا تغلبوا على أوطان اسرع الخراب اليها، والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوائد التوحش، وأسبابه فيهم فصار لهم خلقاً وجبلةً، وكان عندهم ملذوذا لما فيه الخروج عن ربقة الحكم وعدم الأنقياد للسياسة، وهذه الطبيعة منافية للعمران، ومناقضة له فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له.. ويضيف وأيضاً فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس، وإن رزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في اخذ أموال الناس حدّ ينتهون اليه بل كلما امتدت أعينهم الى مال او متا ع، او ماعون انتهبوه. فإذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب العمران.[٢٩] ولهذا يبدو من العسير في مثل هذا المجتمع تأسيس دولة مركزية وفق مفهومنا المعاصر، ويقول ابن خلدون: إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوّة او ولاية او اثر عظيم من الدين، وفعلاً كان هذا ما حصل بعد رسالة محمد بن عبدالله نبي الإسلام.

لا ريب ان القبائل لها عالمها ولها عاداتها وتقاليدها الراسخة ولها مصالحها ايضاً، وليس من السهولة ان تترك ثقافتها لتنخرط في مفهومية الدولة والذي يتطلب حزمة من التغيرات إن كان في الولاء للدولة وتنازل عن حقوق وعادات وتقاليد قبلية بغية الأنسجام مع واقع جديد فحواه الأنصيا ع لقوانين الدولة والألتزام بالنظام العام.

إن طوبوغرافية الأراضي في كردستان من الجيال الشاهقة والأنهار السريعة الجريان ورداءة طرق المواصلات، كل هذا يساهم في تعذر بناء سلطة مركزية قوية تهيمن على التجمعات المبعثرة.

يقول اسماعيل بيشيكجي إن الأكراد لم يتعلموا حتى الآن كيف يموتون من اجل حريتهم واستقلالهم الوطني، وإنما اكتفوا بتذبيح بعضهم البعض في معارك الأخذ بالثأر بتشجيع من الدولة، وحينما يتعلق الأمر باستقلالهم الوطني يتذكرون حريتهم الفردية ويفضلون الخضوع للأستعباد. ولكن اليس من الواضح ان من يستعبد على صعيد وطنه لا يستطيع التمتع بحرية

حقيقية على مستوي اسرته وقبيلته.

إن من لا يتمتع بالحرية والأستقلال الوطني لا يمكن ان يتمتع بحريته الشخصية... ومن غير المهم على الأطلاق ان يتعلم المرء كيف يموت من اجل ان يأخذ بثأره، وإنما المهم ان يتعلم كيف يموت من اجل الأستقلال الوطني وتحرير نفسه من العبودية[٣٠].

لكن الدول الحاضنة للمجتمع الكردي وبالأخص الدولة التركية التي تري خطراً ماحقاً في التوجهات القومية الكردية، فتوظف الدين الأسلامي ليكون بديلاً للمشاعر القومية الكردية، فتخمد هذه المشاعر على اعتبار اننا اخوة في الدين، وثمة ايضاً الرابطة الوطنية التي تجتذب اصحاب الأعمال والتجار، والدولة التركية التي ترمي الى التنكر للوجود الكردي والي الغاء الهوية الكردية، وفي اواخر الثلاثينات من القرن الماضي بدأت الحكومة بنشر الثقافة التركية في المناطق الكردية، ووضعت الدولة الطبقات الكردية السائدة أي الشيوخ ورؤساء القبائل وكبار ملاكي الأراضي بأن يتخلوا عن عاداتهم وتقاليدهم وهويتهم الكردية، وأن يصبحوا اتراكاً، وإلا سيكون مصيرهم حبل المشنقة، ولم تكتفى الحكومة بالتنكر للوجود الكردي وتدمير الهوية الكردية بطريقة سلبية وكفى، إنما اشترطت ان يكون ذلك من خلال شرط التعاون مع اجهزة الأستخبارات التركية والتحول الى عملاء للدولة، ولا يكفي للكردي ان يتحول الى تركي ويرتد عن قوميته الكردية فسحب، وإنما ينبغي ان يتحول في ذات الوقت الى مخبر لدى الدولة عن كل من يطالب بالحقوق القومية للأكراد ومن يرفض التحول الى تركي. وقد توجب على الأكراد في بعض الحالات المشاركة في قتال ضد " العصاة " بمختلف الوسائل.[٣١]

إن المشهد يتكرر هنا ايضاً في كردستان العراق وحينما، كانت كفة ميزان القتال تسير لصالح الثوار الأكراد، ويشير الى ذلك التقرير البريطاني الذي اشرنا اليه في الفقرة السابقة، كان لابد من أنقاذ الموقف، ويبدو ان وزير الداخلية في حكومة الباجچي كان يعرف من أين تؤكل الكتف، ففي حمأة القتال الدائر كان يقوم بفتح قنوات الأتصال مع رؤساء العشائر الكردية بغية تحييدها او جذبها الى جانب الحكومة لتنتقل من مقاتلين مع الأكراد الى مقاتلين ضدهم، وكل شئ بثمنه، فأغدق الأموال في هذا السبيل، وهم أدري بشعاب كردستان وطبيعتها، ولهذا شكلوا خطورة جدية على الثوار الأكراد، ويشير هنا الأستاذ مسعود البارزاني بأن الثورات في كل مكان بحاجة الى رجال يفهمون معني كلمة الثورة، لأنها ليست صفقة تجارية او مقاولة عمل، وإنما كفاح شاق لا يتحمله كل إنسان وعلى الأنسان ان ينذر نفسه لشعبه وهذه الصفات قطعاً لم تتوفر في رؤساء العشائر وتفكيرهم المصلحي الضيق.

الهجوم العسكري الحكومي

لقد انتقل الى جانب الحكومة العشائر التي اعلنت ولائها للبارزاني، لكن مع المغريات المالية، نكثت العهد، ويذكر الدكتور فاضل البراك العشائر التي وقفت ضد البارزاني وهي:

- عشيرة الزيبار ومن أبرز رؤسائهم: قادر آغا شوش، جواد، خالد،أحمد، سمكو بن فارس، شوكت احمد، نعمان.
- كلحي آغا رئيس عشيرة الريكان وأخوه رشيد واتباعهما محمد أمين آغا بن أخ كلحي وأخوه توفيق وصديق آغا، سيتو وصالح آغا.
- صالح آغا دزكة، رئيس عشيرة النيروة وأتباعه.
- حسين هركي وأخوه رشيد.
- أحمد الحاج رشيد من رؤساء برواري بالا وآخرين معه مثل محمد الشيخ طه.
- عدد من الآثوريين في برواري بالا منهم: المطران يولاها، اسخريا، ججو، ايشو، درويش الآثوري.
- من رؤساء برواري زير: فريق آغا الحاج طه الهمزاني وميرخان آغا وحاج شعبان آغا وابنه سعيد.
- من المزوريين: الشيخ جلال البرفكاني، حاج حسن الأتروشي، ورينكي ومجيد عرب آغا.
- من قضاء الشيخان: عبد الله آغا الشريفاني.
- شيوخ السورجية: رقيب، احمد، توفيق، كجو، شفيق.
- الشيخ بهاء الدين النقشبندي، في قضاء العمادية، قرية بامرني.
- وآخرون من عشائر كردية مختلفة.

كتاب متصرفية لواء الموصل الى وزارة الداخلية المرقم س / ٨٢٧ في ٨ / ١١ / ١٩٤٥ ومن الجدير بالذكر ان رشيد لولان وجماعته كانوا دوماً يكنون العداء الشديد لأحمد البارزاني[٣٢].

كانت هناك قوات عسكرية من الضباط والجنود قوامها حوالي ١٤ ألف جندي اضافة قوات العشائر التي اشتركت في الهجوم بصورة فعالة حيث كانوا في المقدمة وكان الجيش يتابع الزحف خلفهم وفي تقرير بريطاني في سياق مراجعة أحداث الأسبوع يقول:

تحسن الوضع في جبهة بارزان ويعود ذلك الى حد كبير الى دور رجال القبائل الموالين، أما في راوندوز فالجيش يتقدم ببطء ويعيد في تقدمه اصلاح الطرق، وفي جبهة عقرة يتقدم

الجيش نحو كربيش F67 بعد تطهيرL و C بمساعدة العشائر الموالية، وانسحب المتمردون الى سه ري بيرس F67 وكانت الخطة تتضمن قيام الزيباريين الموالين بمهاجمة المتمردين من الخطوط الخلفية. وقد قبلت الحكومة استسلام محمود آغا الزيباري في ١٤ / ٩ ١٩٤٥ شرط ان يطرد المتمردين من منطقته وقد سعى سلاح الجوي العراقي للعثور على المدفع الذي استخدم ضد مركز بلي[٣٣]، لقد انسحب البارزانيون من مناطقهم في مرتفعات جبل بيرس وعبروا نهر الزاب باتجاه بارزان، كما ان بلي اعيد احتلالها وبعدها اصبح احتلال بارزان متيسراً وفعلاً تم احتلالها من قبل الجيش العراقي في ٧ / ١٠ / ١٩٤٥م. ويشير ايغلتن الأبن الى هذا الموضوع فيقول: أرسل مرة أخري جيش عراقي الى المنطقة وكاد يقع في مأزق مماثل لولا تدخل طائرات القوة الجوية البريطانية التي اخذت تنال من معنويات البارزانيين وممتلكاتهم. وفي الوقت نفسه ضمنت الحكومة مساندة بعض جيران ملا مصطفى ومنافسيه ومن أبرزهم عناصر زيبارية وبروارية ودوسكية وشرفانية (شرف بياني) فضلاً عن عناصر من المهاجرين الذين يدينون بالولاء لعدد من أبناء سيد طه شمزينان، وكان يقود هذه القوات غير النظامية ضابط في الجيش العراقي يدعي عبدالكريم قاسم ويقول المعرب انه كان برتبة رائد ركن ومقدماً للواء الرابع من الفرقة الثالثة[٣٤].

وفي مواجهة عسكرية مع هذا الضابط الشاب (عبد الكريم قاسم) لاول مرة يرى البارزاني نفسه بأنه بمواجهة ضابط محنك يتفوق عليه في اكثر من ميدان ويجبره على التراجع بعد عدة مناوشات، وعندما تأكد البارزاني بخبرته العسكرية انه لا محالة من الأنسحاب امامه فكان قراره بالأنسحاب الى الحدود الأيرانية..

لا يمكن ان يخطر على بال ملا مصطفى البارزاني انه سيلتقي يوماً ما مع ذلك الضابط الشاب العنيد (عبد الكريم قاسم) ولا عن ظروف التي سوف تجمعه معه، ولكن على ارض الواقع هو ما حصل فعلاً فبعد الغربة التي دامت ١١ سنة تمكن ذلك الضابط من اسقاط الحكم الملكي الهاشمي في العراق من خلال انقلاب عسكري قاده بنفسه في صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ واعلن النظام الجمهوري في العراق ليضع حداً لحكم ملكي دام ما ينيف على ٣٧ سنة. وهكذا كان ان عاد البارزاني الى العراق مرة أخرى بعد سلسلة من الأحداث المليئة بالآمال والخيبة، لكن مثلاً كوردياً قديماً يعتبر هذه الحالة شرطاً من شروط نيل المراد حيث يقول المثل:

بعد مسير سبع سنوات، محتذياً سبع احذية حديدية، وتغيير سبعة أشياء وإنجاز سبعة مهام، بعدها يتسنى لك بلوغ الغاية التي تنشدها[٣٥]. لقد انسحب البارزانيون نحو الأراضي الأيرانية للألتحاق بجمهورية مهاباد الكردية، وهناك تتوالى فصول اخرى من الأحداث الدرامية من حياة الشعب الكوردي ومع زعيمه ملا مصطفى البارزاني.

المصادر والهوامش وملحق وثائقي:

١ ـ عزيز حسن البارزاني: الحركة القومية الكوردية التحررية الكردية في كوردستان العراق ص ١٣١

٢ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص ٨٠

٣ ـ وليم ايغلتن الأبن: جمهورية مهاباد ص ١٠٠ـ ١٠١

٤ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية.. ص ٢٠٦

٥ ـ عزيز حسن البارزاني: الحركة القومية.. ص ١٣٧

٦ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق نفسه ج١ ص٩٢)

٧ ـ ايوب بارزاني: المصدر نفسه ص ٢٠٨

٨ ـ ماجد مصطفى: تباينت بشكل كبير الآراء والأحكام الصادرة من المثقفين والساسة الأكراد حول شخصية ماجد مصطفى ففي حاشية للدكتور فاضل البراك يقول: كان ماجد مصطفى ضابطاً في الجيش العثماني، وهو ثالث ثلاثة من الضباط الأكراد الذين التحقوا بالشيخ محمود الحفيد لمساعدته في حركته المسلحة وقتذاك، وخلال وجوده معه كان ماجد يلح علي الشيخ محمود بالتفاهم مع البريطانيين، الأمر الذي أثار شكوك الشيخ محمود به. فاتجه ماجد الى رجال الحكم في العراق، لكنه ادعي انه كردي قومي لا علاقة له بالحكومة الى كشف عن صلته الوثيقة بالحكم من خلال تعيينه متصرفاً لمتصرفية العمارة وتسليماً للضغط البريطاني ادخله نوري السعيد في وزارته الثامنة كوزير بلا وزارة. وقد اثير حول شخصيته الكثير من الجدل إذ كان مكروهاً من قبل بعض الأعضاء المتعصبين الشباب من حزب هيوا وكانوا ينظرون اليه على اساس انه " عميل مأجور للأنكليز وكخائن ". كما ذكر نوري شاويس في مقابلته مع كريس كيتشارا.

وهنا المؤلف (د. فاضل البراك) ان ماجد مصطفى تولي مهمة تعزيز موقع البارزاني في صفوف العشائر الكردية وفي صفوف الشباب القوميين الأكراد. (د. فاضل البراك: مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة ص ١١٠).

ويكتب الدكتور خليل جندي عن ماجد مصطفى حين تعينه بمنصب وزير من اجل التفاوض حول المسألة الكردية فيشير في البداية الى جده الذي عرف عنه بالمكر ومعاداة شعبه الكردي، وسبق ان قطع البابيون ـ والبابيون أسرة كردية نسبت الى اميرها، بير بوداق بك، والذي كان يلقب، به به، بابا، أي الأب. حيث شكلت إمارة في القرن ١٠ و١١ وأخيراً في القرن التاسع عشر وكانت مدينة السليمانية عاصمتهم ـ لسانه نتيجة حيله وخداعه لهم، وقد جاء الحفيد على صورة جده. وكان يبدي حرصه على القضية الكردية ويتظاهر انه وطني مخلص ويبغي خدمة شعبه، وساتخدم كل الوسائل للتقرب من حزب هيوا والدخول في صفوفه، فتم له ما أراد عرف عنه الذكاء ـ لمصلحته ومصلحة اسياده ـ وطلب من الحزب ان يرسل ثلاثة اشخاص للتعرف على مطاليب البارزاني، اختير الضباط التالية اسماءهم: سيد عزيز سيد عبدالله، أمين راوندوزي، عزت عبد العزيز، مصطفى خوشناو، مير حاج أحمد، محمد علي وفؤاد عارف. ويمضي الكاتب قائلاً:

لكي يتقرب ماجد اكثر فأكثر من من الحزب ويخدع الأكراد جعل من هؤلاء الضباط اعضاء

ارتباط بين الحزب ومنطقة كردستان، إلا انه كان يستهدف فصل عشائر وجماهير هذه المناطق عن الثورة البارزانية وتقريبهم الى الحكومة.. (د. خليل الجندي: حركة التحرر الوطني الكردستاني في كردستان الجنوبي ١٩٣٩ ـ ١٩٦٨م. ص ٦٠).

والدكتور عثمان علي يعزز هذه الأراء بقوله:

هناك شبه إجماع في المصادر الكوردية على عدم إخلاص ماجد مصطفى للأهداف القومية الكوردية وفي تعامله مع البارزاني بالتحديد أثناء حركة بارزان الثانية. وحتي مصطفى البارزاني شخصياً يحذر ماجد مصطفى بطريقة غير مباشرة من مغبة التلاعب بالحقوق الكوردية من اجل تحقيق مصالح شخصية. يسأل ماجد مصطفى البارزاني: لماذا أطلق اسم " جاش بوليس " على المرتزقة الكورد؟ فيرد البارزاني: لأن هؤلاء سمحوا لأنفسهم ان يكونوا في خدمة أعداء الكورد. ويضيف البارزاني: إذا لم يخلص ماجد للحقوق الكردية فيسميه " جاش وزير " الوزير المرتزق، وهناك اصوات كردية اخري تتهم ماجد مصطفى بالمكر والخداع. لكن المصادر البريطانية ـ ويمكن اعتبارها حيادية في هذا الموقف ـ تعطي صورة اخري لماجد مصطفى فيقول ـ البريطاني ـ مكدول:

إن مشكلة ماجد مصطفى هي مشكلة كل وسيط يحاول ان يرضي الطرفين حتي ينال ثقتهما. ويبدو ان ماجد مصطفى قد اخفق في نيل ثقة أي من الطرفين، فاعتبرته الأطراف الكوردية عميلاً للحكومة والأنكليز، في اعتبره معظم الوزراء من العرب في حكومة نوري السعيد بكونه عضواً في هيوا ويستغل منصبه لتشجيع النعرة القومية الكوردية. (الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة، ص ٦١٧)

٩ ـ الكتور خليل جندي: حركة التحرر الوطني الكردستاني في كردستان الجنوبي ١٩٣٩ ـ ١٩٦٨ م ص ٦٠ ـ ٦١ الطبعة الأولى ستوكهولم ١٩٩٤م.

١٠ ـ د. عثمان علي: المصدر السابق ص ٦٠٨

١١ ـ الدكتور عثمان علي: المصدر السابق ص ٦١٢ ـ ٦١٥

١٢ ـ د. علي عثمان: مصدر سابق ص ٦١٩ ـ ٦٢٠

١٣ ـ أيوب بارزاني: مقاومة الكرد للأحتلال ص ٢١٩

١٤ ـ الدكتور منذر الفضل: دراسات حول القضية الكردية ومستقبل العراق ص ٣٠ ـ ٣٢ دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل ٢٠٠٤م.

١٥ ـ د. عثمان علي: المصدر السابق ص ٦٢٤

١٦ ـ د. خليل جندي: المصدر السابق ص ٦٤

١٧ ـ ايوب بارزاني: المصدر السابق ص ٢٢١

١٨ ـ د عثمان علي: المصدر نفسه ص ٦٣٢

١٩ ـ ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص ٤٤٣

٢٠ ـ د. خليل جندي: حركة التحرر الوطني الكردستاني ص ٦٨

٢١ ـ مسعود البارزاني: البارزاني وحركة التحرر.. ج١ ص ١٢١,

٢٢ ـ يحضرني منظر في القوش كان له صلة وثيقة بهذا الموضوع، وأتذكر ان هذا الخلاف ظل قائماً بين الطرفين وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كان هنالك وفداً من القوش اتجه نحو خورّك وبيرفكان بقصد التهنئة بالثورة والتوسط بين الطرفين لوضع حد للعداوة التي استمرت عقداً ونيف من الزمن وكان الوفد الألقوشي يتكون من ممثلي المنظمات المدنية ومن شخصيات من وجهاء القوش، منهم جبرائيل رزوقي، وسما يقونا، وهرمز بجوري، ويوسف عوصجي وآخرون، وبصورة فجائية توفي الأخير في الطريق أثر نوبة قلبية لم تمهله وكان هرمز بجوري يبلغ من العمر ٤٥ سنة، وأثر هذا الحادث المؤسف عاد الوفد الى القوش دون ان يكمل مهمته، ولقد عاد معهم عدداً كبيراً من المسلحين الأكراد وكان موكب الشييع في القوش موكباً مهيباً وكان المسلحون من الألاقشة ومن الأكراد منكسين بنادقهم نحو الأسفل وهي دلالة للتعبير عن الحزن.

٢٣ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات..ص ٦٣٤

٢٤ ـ الأستاذ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص ١٢٥ وراجع حاشية للدكتور فاضل البراك: مصطفى البارزاني الأسطورة والتاريخ ص١٣٢

٢٥ ـ مسعود البارزاني: البارزاني وحركة ج١ ص ١٢٦ ـ ١٢٧

٢٦ ـ أيوب البارزاني: المقاومة الكردية ص ٢٤١

٢٧ ـ أيوب بارزاني: المصدر السابق ص ٢٤٤

٢٨ ـ مسعود البارزاني: البارزاني.. ج١ ص ١٣٢ ـ ١٣٣

٢٩ ـ مقدمة ابن خلدون ص ١٣٤ ـ ١٣٥ دار الشعب، القاهرة

٣٠ ـ اسماعيل بيشيكجي " كردستان مستعمرة دولية " ص ٢٩٧ ترجمة زهير عبدالملك، السويد سنة ١٩٩٨م.

٣١ ـ اسماعيل بيشيكجي: كردستان مستعمرة دولية ص ١٣٠

٣٢ ـ د. فاضل البراك: مصدر سابق، حاشية ص ١٣٤

٣٣ ـ أيوب البارزاني: المصدر سابق ص ٢٤٥

٣٤ ـ وليم أيغلتن الأبن: جمهورية مهاباد.. ص ١٠٥

٣٥ ـ د. كونتر دوشنر: احفاد صلاح الدين الأيوبي ص ٣٦

وثائق ذات صلة بالفترة الوارة في هذا الفصل

وثيقة رقم ١

ـ في البرقية المجفورة التي بعث بها السير ريد بولاد من طهران الى وزارة الخارجية البريطانية المرقمة ١١٥١ في ١٨ تشرين ١٩٤٥ ما يأتي:

أخبرني القائد الأيراني هنا صباح اليوم ان مصطفى البارزاني بصحبة عدد من الرجال المسلحين وصلوا اذربيجان الغربية أول أمس ويبدو ان السلطات السوفياتية سمحت له ان يخيم في قرية تبعد ١٥ كم جنوبي رضائية. الوثيقة البريطانية (F.O.371/45341-E7861). راجع الدكتور فاضل البراك: مصطفى البارزاني السطورة والحقيقة، حاشية ص ١٣٥).

بلاغ جمعية هيوا (الأمل) عن انتفاضة بارزان ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥

ـ الى الشعب العراقي الكريم:

نحن الزعيم الأعلي للشعب الكوردي أمرنا بنشر هذا البلاغ على الشعب العراقي نظراً للأغلاط التي ترتكبها الهيئات الأدارية في المناطق الكوردية والسياسية التي تتبعها السلطة التنفيذية والنتائج التي أدت وستؤدي اليها هذه السياسة.

أيها الشعب المجيد

منذ الف ونيف من السنين والشعبان العريقان الكوردي والعربي يسيران جنب الى جنب ينشران على العالم الرسالة المحمدية الداعية الى التقدم والتطور والثائرة على القديم الوثني الضال يبنيان على ضوء مبادئها السامية عالماً جديداً ترتكز دعائمه على الحرية والعدل والمساواة، وما زالا يقودان العالم الأسلامي الى النضوج والكمال ويقاومان التيارات الرجعية المتدفقة من الغرب حتي نكبا نكبتها الكبري وسقطا في مهاوي الأمبراطورية العثمانية بؤرة الرجعية ومستغل الشعوب الحرة.

وما ان وضعت الحرب الكونية الماضية اوزارها إلا وكان الشعبان قد أقاما دولة فتية ناهضة بدافع التاريخ والدين على ضفاف الرافدين تلك هي الدولة العراقية الحاضرة ليعيدا مجدهما القديم ويجددا نضالهما المشترك في قيادته المدنية الحديثة يغمرهما في كل ذلك

السلام والوئام.

والان ايها الشعب العراقي بعد هذا العض المقتضب لعلاقات الشعبين التاريخية ونشوئها وتطورها نريد ان نحيطك علماً بما تنذر البلاد من الأحداث وما تنتظرنا من المفاجأت والأخطار بعد ما اصابنا الفشل في محاولاتنا لألفات نظر المهيمنين على الأدارة الحكومية ولا سيما والعالم يبتعد عن بحران الفوضى التي اكتسحته ليستقر في سلام تنظمه سنن التطور الأجتماعية بصورة قطعية.

فالسياسة التي تتبعها السلطة التنفيذية في العراق عامة وفي المناطق الشمالية الكوردية خاصة بعيدة بعيدة كل البعد عن مبادئ القانون الأساسي العراقي بل تخالف جميع الدساتير الديمقراطية فهي والحق دكتاتورية مطلقة يانعة تنمو وتزدهر تحت ظلال دستور اللأطلنتيك فقضية بارزان، او الشيخ مصطفى وهو احد رجالنا المحبوبين، التي استفحلت ووصلت الى هذه الدرجة من الخطورة لم تكن في بادئ الأمر سوى قضية شخصية كانت في المستطا ع استئصالها اما وان السلطة التنفيذية التي تدير دولاب الدولة قد أرخت زمام الحكم لبعض الدهاة من دعاة التورانية وهم كما لا يخفي اعداء لنا ولكم ايها العرب في المناطق الكردية وافسحت لهم المجال فكانت فرصة سانحة لهؤلاء لكي يلعبوا دورهم في التفريق بين هذين الشعبين المتآخمين بدفعم في ذلك عداءهم التاريخي لنا ولكم.

وهنا تري ان ارواح مئات من الأبرياء العزل من السلاح تذهب كل يوم ضحية للقصف الجوي ونيران المدافع كنيجة لهذه السياسة وتلك الألاعيب، وإنه لمن دواعي الأسف ان ترتكب هذه الأعمال الوحشية في حين بلغت الديمقراطية من التطور ذروتها ومن القوة أشدها، إذ باتت تناضل البربرية أينما كانت وحيثما وجدت. إنها لعمر الحق هزؤ واستخفاف لكل ما حققته الأنسانية في نضال طويل.

هذا وليعلم الشعب العراقي بأن قضية الشيخ مصطفى تهمني وتهم الأمة الكردية الواقفة اليوم تنتظر بعين السخط الى هذه الأعمال الأستفزازية من جانب القوات العراقية ونحن نأمل بعد هذا البلاغ بأن ترشد الأمة العراقية رجالات الحكم الى جادة الصواب وإلا ستكون هذه الثورة نواة لحركات ثورية أخري التي تجر ولا شك على البلاد ما لا يحمد عقباه والله لنا ولكم معين.

التوقيع من مقر الزعامة الكردية (الدكتور عبد الفتاح علي يحي البوتاني: وثائق عن الحركة الكوردية التحررية، ملاحظات تاريخية ودراسات اولية ص ٥٣٦ ـ ٥٣٨).

الوثيقة رقم ٢

تصور نوري السعيد لحل القضية الكردية

ـ كان لنوري السعيد تصور خاص لحل القضية الكردية وورد ذلك في كتاب استقالته المرفوع الى الوصي على العرش العراقي في التاسع عشر من شهر نيسان ١٩٤٤، ونكتفي بالأشارة الى الخلاصة فقط.

الخلاصة:

لابد لي وقد اوردت لمحة موجزة عن تاريخ القضية الكردية في العصر الحديث وخاصة ما يتعلق منها بالعراق ـ ان أذكر شيئاً عن أكراد العراق وميولهم بصورة عامة باعتبارهم مواطنين، وأن أوضح الخطة التي يجب ان نسير عليها في إدارتهم في في الظروف المعقدة التي نحن فيها الآن.

إن الأكراد في نظري ينقسمون الى الي طبقات ثلاث:

أولاً: رؤساء العشائر، وهؤلاء يعيشون في حياة أقرب الى الأقطاعية منها الى المدنية. وليس لهم هدف سياسي معين وإنما همهم الأكبر هو الأبقاء على ما ورثوره من سيطرة ونفوذ ضمن حدود مناطقهم وعشائرهم.

ثانياً: التجار وهؤلاء يرومون دائماً سيطرة حكومية تامة ليسود ألمن والنظام بغية ترويج تجارتهم ورعاية مصالحهم.

ثالثاً المثقفون. وهم بازدياد مضطرد أما رغباتهم فإنها لا تتعدي رغبات باقي المثقفين من أبناء العراق. فهم يطالبون بالكثار من المدارس، ونشر التعليم وزيادة وسائل المدنية: كالعمران والصحة في تلك الربوع. كما انهم يرغبون في جعل الأدارة المحلية في أيديهم والقضاء على نفوذ الطبقة ألأولى.

أما اهدافهم السياسية في استقلال كردستان الكبير فإن العقلاء منهم يعتقدون انه ليس بالأمكان تحقيق هذه الفكرة إلا إذا أيدتها الدول الكبري وذلك لأن ما يربو على ثمانين بالمائة من المناطق الكردية يقع خارج العراق.

إذا أمعنا النظر وتتبعنا الحوادث والأخبار من خلال الحرب الطاحنة، نجد بوادر تظهر من حين الى آخر تدل على ان بعض الدول الكبري ترغب في استغلال القضية الكردية لصالحها.، وإن كان هذا الأستغلال لم ينته أمره ولا يعلم أحد مبلغ صحة الوعود وزمن ومدي تحقيقها.

ففي عالم ملبد كالذي نحن فيه والي ان تستقر الأمور وتنجلي الحقائق وتظهر البواطن،

يجب على العراق ان يتروّي في إدارة الأكراد في المناطق الشمالية.وخاصة إذا علمنا ان الفوضي ضاربة أطنابها داخل الحدود الأيرانية، ورؤساء العشائر هم المسيطرون في مناطقهم، وإن الحكومة الأيرانية تجاريهم وتسايرهم، وقد بلغني انه قد تأسست في المناطق الكردية في ايران المتاخمة لتركيا والتي تحت النفوذ الروسي، مجالس من الأكراد لتنظيم وإدارة شؤونهم. وأما في داخل تركيا فقد حشد جيش تركي أكثر من المعتاد للسهر على استتباب الأمن والنظام في المناطق التركية المتاخمة للعراق وأيران، وقد قيل ان الأتصالات بين الكراد على اختلاف طبقاتهم جار في اليام الأخيرة أكثر من السابق وبشكل يلفت النظر وإن هذه الأتصالات تسيرها وتنظمها الدول ذات الشأن للوقوف على مجريات الأحوال في المناطق الكردية بأجمعها.

يتضح مما سبق بيانه اننا نمر بظروف غير اعتيادية تحتم على المسؤولين ان يبالغوا في الحيطة والحذر وأن يتجنبوا الحوادث التي من شأنها ان تفسح المجال امام الطامعين ليستغلوا هذا الوضع غير الطبيعي طيلة مدة الحرب، وخاصة إذا ما تبينا ان ليس للأكراد العراقيين في العراق هدف يخالف ما يصبو اليه باقي أبناء العراق. فهم كغيرهم يطالبون بإصلاح الأدارة والعناية بالمعارف والصحة والعمران وغير ذلك من الأمور الحيوية التي لابد من القيام بها في كافة انحاء العراق عاجلاً ام آجلاً وذلك لرفع مستوي الشعب وزيادة كفاءته وتنمية موارده. فما زالت هذه أهداف المسؤولين فلا يجب ان نجعل من تأخير بعض الأصلاحات وسيلة للأستغلال تعود علينا بالمتاعب وتكدر صفو العلاقات القائمة بين الأكراد وأخوانهم العرب.

وإني حين أطلب عناية خاصة بالمناطق الشمالية والمبادرة بإصلاح ما يمكن اصلاحه قبل غيره، لا أقصد من وراء ذلك اصلاح المنطقة الشمالية على حساب المناطق الأخري وإنما هو ترجيح تقتضيه الظروف الأستثنائية الحاضرة. على اننا يجب ان ننظر الى العراق كوحدة شاملة ونقوم بأصلاح شامل أيضاً يعم خيره على الجميع.

نوري السعيد ـ رئيس الوزراء، في ١٩ نيسان ١٩٤٤ (جرجيس فتح الله المحامي: العراق في عهد قاسم، آراء وخواطر ١٩٥٩ ـ ١٩٨٨ م الجزء الثاني ص ٤٩٣ ـ ٤٩٥).

الوثيقة رقم ٣

ـ هذه مجموعة وثائق تعود للفترة ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ يقول الأستاذ مسعود البارزاني، ان ملا مصطفى البارزاني كان قد احتفظ بها في حقيبة خاصة وهي الباقية بعد ان سقط بعضها في نهر آراس وقت عبورهم الى الأراضي السوفياتية، ونشير الى بعض هذه الوثائق التي تسلط

الأضـواء على المرحلة التي نحن بصـددها، الجـدير بالذكـر ان مـعظـم هذه الوثائق هـي باللغـة الكردية ونحن نشير الى ترجمتها العربية فحسب. وهذه الوثائق ستكون تحت أرقام: وهي تقع في (الجزء الأول من كتاب الأستاذ مسعود البارزاني الموسوم: البارزاني والحركة التحررية الكردية ص ١٤٧ ـ ١٨٥).

ـ اتشرف به الى سعادة ملا مصطفى

نور عيني: التقيت اليوم في ميركَه سور يونس أفندي ملاحظ الأشغال، جاء للبدء بالمخافر (بناء المخافر) مخفر في مزنه وربيئه خلف منزل المدير ومخفر آخر في جاما، وآخر في شيروان، وآخر في ريزان، ومخفر آخر في شانه در، وآخر على رأس جسر خلان مع مدرسة (مكتب) بارزان مع مستوصف ميركَه سور، كنت قد استلمت منكم أمراً حول أربعة مخافر.

والآن أيضاً أرجو أيضاح أمركم.

اولي بك سعيد بك

يعود تاريخ هذه الرسالة الى عام ١٩٤٤ م (الأستاذ مسعود البارزاني: البارزاني وحركة التحرر الكردية ج١ ص ١٤٩)

الوثيقة رقم ٤

ـ أعزاؤنا جميعاً:

أدعو الله ان تكونوا سالمين أبداً، ابتعدنا عنكم، لكن قلوبنا ترف حولكم كالفراشات، نواسي أنفسنا بخيال محبتكم، نتذكر دوماً تلك الساعات التي قضيناها قربكم، منحنا الحظ هذه الساعات فقط، ما احلاها لو منحنا اكثر! والله كريم.

ايها الأخ الكبير العزيز: منذ عودتنا ونحن نقدم كل ما نراه من خدمة ملزمة، لم ننثني، ونأمل ان لا ننثني وأن نتقدم الى الأمام.

أخبارنا الراهنة: نوري باشا وماجد تجولا في كافة مناطق كردستان، وفي كل مكان تم تقديم المضابط (العرائض) بمطاليب الكرد من قبل الأشراف والأهالي.

كنا نتصور بأنه ستحل قريباً كافة مائلنا، لكنها اي (المسائل) اصطدمت بالمعارضة في بغداد، ومن اجل رفض (عدم قبول) مطاليب الكرد فإن بعض (الخبثاء) العرب احاطوا بالوصي وأجبر نوري باشا على الأستعفاء وأعيد تشكيل (الحكومة) برئاسة حمدي الباجچي ومن بين معارضي القضية الكردية برز تحسين على وصالح جبر ومصطفى العمري. لكنها ترتيبات وقتية لتهدئة (تسكين) المعارضة، وأتصور بأن القضية الكردية يجب ان لا تهم ل،

وإذا ما جري إهمالها فينبغي ان لانسمح نحن بذلك، ها هو الوصي يذهب الى أمريكا للسياحة وتدار المملكة من قبل مجلس وصاية متشكل من نوري باشا ومجلس العيان.

روحي: يرجي إعلامنا عن احوالكم بين فترة وأخري، نحن مستعدون للأمتثال الى امر منكم، المراسلة نصف المواجهة، ينبغي ان لا تنسونا، انقضى زمن نسيان بعضنا البعض، ينبغي ان لا تدخروا وسعاً في تأييد مطاليب الكرد، تشرفوا بإصدار الأوامر شفهياً او تحريرياً فالأصحاب لن يبخلوا بالجهود، الوقت نفذ.

الميجر (اسبنك) جاء الى هنا، مكث يوماً وذهب الى مصر في إجازة لمدة ١٥ يوماً.

أرجو حل موضوع محمود بك وبوشو كي لا تتكرر مثل هذه الممارسات الخرقاء.

كافة الرفاق يشدون على ايديكم باحترام، بلغوا احتراماتنا الخاصة لأخوتنا الأعزاء، رعاكم الله بالعافية دوماً.

أمين رواندوزي

قبل إتمام الرسالة وردنا من بغداد الخبر التالي:

١ ـ إن تقدم مطاليب الكرد في كل مكان برقياً، وصورة من البرقية الى مجلس الوصاية ورئيس الوزراء وسفير بريطانيا.

ان يجري كل ما يلزم لتنفيذ هذا الطلب.

يقول الأستاذ مسعود الابرزاني ان صاحب هذه الرسالة هو العقيد أمين رواندوزي، ولا شك انها كتبت بعد سحبه من وظيفة ضابط الأرتباط لمنطقة رواندوز، وحسب ما جاء فيي رسالة سيد عزيز المرسلة الى عزت بتاريخ ٢ / ٤ / ١٩٤٤ فقد صدر الأمر بسحب أمين زكي رواندوزي وسيد عزيز في ذلك التاريخ.

ويستطرد: لم أتوصل الى معرفة هوية مرسل هذا الخبر إلا انه من المؤكد هو احد الضباط الوطنيين، وتحتوي رسالته على معلومات دقيقة ويظهر من محتوياتها [ان تاريخها يعود الى بداية عام ١٩٤٥ م (الأستاذ مسعود البارزاني: البارزاني وحركة التحرر.. ج١ ص ١٥٤ ـ ١٥٥).

ترجمة الوثيقة رقم ٤

الأخبار هنا كالتالي:

١ ـ تقرر قطعياً ان يتم التحرك ضدكم في ٣١ مارت يعني بداية الربيع، يبدو كم نهائياً هذه المرة، وهذا قرار قطعي لا تردد فيه.

وأما إذا ابلغكم أي شخص او أي حكومة بأن هذا غير صحيح فلا تصدقوه، فإنه يخدعكم ويريد إلهاءكم خلال الشتاء لتظلوا مرتاحين في غفلة فلا تعودوا (للعدد)، حتى إذا جاء الربيع واعتدل الجو فاجأكم الهجوم وأبادكم.

يبدأ الهجوم من ثلاثة جهات، يهاجمون منطقتكم من ثلاثة أطراف.

من جهة برادوست يهاجمون محمود بك خليف صمد.

ومن جهة عقرة والعمادية ودهوك يهاجمون محمود بيك الزيباري وسعيد آغا الدوسكي وكل من يمكن ان يواليكم ومن ثم يهاجمونكم من طرف رواندوز ومن طرف برادوست من جهة العمادية والموصل.

وفي هذه المرة اتخذوا ضدكم قراراً خطيراً، فلا يمكن بعد الآن ان يتركوكم وشأنكم، ولن يسامحوكم قط.

٢ ـ قلصوا الجيش العراقي الى فرقتين، اسم إحداها الفرقة الجبلية، والثانية باسم فرقة الصحراء (او الفرقة الصحراوية)، وأما غايتهم من تقليص الفرق فهي لملئ الفراغات في الفرقة الجبلية القريبة منكم حالياً، فيزيلوا نواقصها لأعدائها في الربيع. وهم لا يعيرون أي اهتمام بالفرقة الصحراوية الموجودة في الجنوب، بالعكس فإنهم ينقلون الجنود والضباط من هناك (الصحراوية) الى الفرقة الجبلية القريبة منكم لتعزيزها، وتكاد ان تكون فرقة الجنوب ان تخلو (من الأفراد).

إن معنويات الجنود منهارة جداً، ويهربون بكثرة، فالجنزد قطعاً لا يرغبون في القتال حتى ان الجنود العرب الذين ينقلونهم من الجنوب الى الفرقة المتآخمة (الجبلية) فإنهم ينقلون مقيدي الأيدي (مكلبجين) تحت رقابة شديدة من الضباط والحرس.

٣ ـ وحالياً حسب ذلك الأمر السري المشدد (او السري جداً) الصادر، فإنه لواء الجحفل الرابع من الفرقة المقررة للهجوم عليكم في الربيع سيبقي في (كاولوس) في لواء السليمانية حتي ١٥ كانون الأول، ليتدرب هناك على الحروب الجبلية، وبعد ١٥ كانون الأول يتوجه نحوكم باسم التدريب وسيصل في الوقت المناسب الى مكانه المقرر.

إن لواء يخر يسمي (الجحفل الثالث) سيبقي في (حاجي عمران) خلف رايات قرب زيني شيخ ليتدرب على الحروب الجبلية، ثم يتحرك للهجوم عليكم في الوقت المحدد.

هناك لواء آخر هو الجحفل الخامس يبقي في سواره توكة ويتدرب في أطراف عقرة والعمادية ودهوك، يتحرك أيضاً في القت المحدد للهجوم عليكم.

٤ ـ في هذه الفترة يبعثون بجواسيس كثيرين الى المناطق القريبة منكم، أمثال حكيم ابن ملا

طاهر رواندوزي وبوشو يعني محمد صديق ابن سيد طه، ونوري باويل وأمثالهم كثيرون، يرسلونهم دوماً الى منطقتكم وأطرافها، أحذروا من هؤلاء الجواسيس وعاملوهم بما يستحقون.

٥ ـ إذا كنتم تريدون تلقين جيش العراق (الكومة العراقية) درساً جيداً يجب عليكم أخذ زمام المبادرة، يعني ضربهم حين يسقط الثلج وتسوء الاحوال الجوية، واستولوا في كل مرة على إحدي الجبهات.

مثلاً شنوا هجوماً على قاطع حاجي عمران ورايات، وبعد إفنائها هاجموا قطعات أطراف سواره توكه، وبعد ذلك هاجموا قطعات أطراف رواندوز، أقصد أنه ينبغي ان تشنوا هجوماً من ثلاث جبهات دفعة واحدة. لان قوتكم بالنسبة الى الجبهات الثلاث ستكون ضعيفة جداً، لكن ان استطعتم في كل مرة إبادة إحدي القطعات ستحرزون مائة بالمائة انتصاراً ساحقاً على الجيش العراقي الذي سينهزم ولن يفكر أبداً محاولة ذلك مرة أخري، لأن معنويات الجيش ضعيفة جداً، وهو جيش مهمل ولا يرغب في القتال، وهو نفس الجيش الذي اختبرتموه وسيكون حاله أسوأ خلال هذا الشتاء، فإذا كنتم راغبين فيه فإنكم في هذا الشتاء ستصطادون العساكر كما تصطادون القبج وليس له أي أحتياطي آخر لاستخدام المزيد منه.

٦ ـ اعتقلوا مير حاج، ونقلوه الى العمارة قبل ثلاثة أيام، والسبب انه كان قد زاركم، والآن فإن مير حاج معتقل ومصطفى خوشناو هارب، لكن مفارز كثيرة تتعقبه وتطارده بشدة.

مصطفى وبكر عبد الكريم موجودان في أطراف كويسنجق ورانية، تستطيعون استدعاءهما الآن للأستفادة من خبرتهما ومعلوماتهما العسكرية، وإذا أمرتم، ولزمكم ضباط آخرون، فإن الكثيرين منا مستعدون للتوجه نحوكم وقتما شئتم.

٧ ـ إنهم الآن ينقلون الى الجنوب أي ضابط كردي قد يشتبهون فيه او يخشونه قليلاً ويحلون محلهم ضباطاً عرب. وصدرت هذه الأيام أوامر سرية ومستجلة لنقل الجنود الأكراد بالجملة الى الجنوب، وإحلال جنود عرب محلهم، والعملية جارية على قدم وساق.

علي أي حال كل ما أريد قوله هو ألا تصدقوا أي شخص او أية حكومة إذا أبلغتكم بأنه ليس هناك استعدادات (تحركات) للهجوم عليكم. إنهم يكذبون عليكم.

٨ ـ يقال ان تقرير (كنج) بحق مصطفى ومير حاج كان سيئاً (سلبياً) للغاية لذا أولت الحكومة اهتماماً بالغاً باعتقالهما، إنها إشاعة قوية.

٩ ـ أرجو رجاءً حاراً ان تكونوا منتبهين ويقظين كي لا تقع رسالتي في أيدي أمثال بوشو

ونوري باويل وحكيم ونظائرهم لأن وضعي حينذاك سيكون سيئاً للغاية ولا استطيع إنقاذ نفسي.

ترجمة وثيقة رقم ٥

ـ عاش الكرد وكردستان

من مصطفى خوشناو في ١٨ / ٣ / ١٩٤٥

سيدي وقائدي (أقبل يدي صاحب الكردوأقدم له طاعتي).

سيدي

١ ـ بصحبة الشيخ عبد الله ذهبنا الى برادوست وزرنا محمود بك خلفة وفهمنا أحواله وأوضاعه، وفي اليوم التالي ذهبنا من هناك ايضاً الى أبناء سيد طه أفندي.

٢ ـ وعد محود بك ان يواصل من الآن فصاعداً وبحرارة الزيارات الى أبناء سيد طه وألا يفسح المجال لدسائس الحكومة بينهما.

٣ ـ كان لذهابنا الى هناك اصداء في الأوساط الحكومية، كانوا قد أمروا مخفروا سيدك (سيدكان) بنقل عوائل الشرطة... لكن نفعل ما قد تتخذه الحكومة ف يالدعاية ضدنا.

٤ ـ لم نعلم اسباب عدم تشرفكم في الذهاب، هل استمر عزت في سفره حتي النهاية؟

٥ ـ وصلتنا رسالتكم المبجلة التي كانت تحوي صورة رسائل ماجد وأخوته، بدأنا في سيدك سواء انا ومحمود بيك بالتفاهم حسب ذلك والعمل بموجبه.

٦ ـ سمعت خبراً من طرفين.. أحدهما من حسين آغا الذي سمعه من ديانا والآخر من ملازم محمد الذي سمعه من أولاد سيد طه، إلا انني لا أعرف مدي صحته لكنني لم أدرك شيئاً كهذا من محمود بك ويقول الخبر: إن شيخ رشيد قد خابر المتصرف قائلاً: هل ان الحكومة ستعفو عن محمود بك؟ إذا ذهب به متدخلاً للعفوا عنه ويسلم أسلحته، وإن المتصرف قد قال: نعم يمكن (الآن)، لكن لا يملك ذلك بعد الشروع في الحركات.

٧ ـ أرسل لكم رسالة الخ يونس باسم (كوتك) كان قد بعث بها لي، وارسل معها ٢٠٠ دينار، نحتفظ بها لمصروفاتنا هنا، وكان قد أرسل ٤٠٠ دينار الى بارزان أرجو أعلامي حول استلامه لكي أكتب له الجواب.

٨ ـ يقال ان المتصرف يريد المجئ الى مزنه، لكنه ليس مؤطداً.

٩ ـ أرسل لكم ايضاً رسالة وهاب آغا.

١٠ ـ توجد عندنا راية جاءتنا من سورية نحتفظ بها هنا في منزل الشيخ صادق.

١١ ـ وردتنا آلة طابعة أخري، هي الأخري عاطلة.
١٢ ـ أرجو أرسال أغراض ملازم محمد الينا.
١٣ ـ حالياً عدت بملازم محمد الى شيتنة لأن محمود أبدي التذمر.
١٤ـ سيخبركم عبيد الله بكافة ألخبار الأخري.

مصطفى خوشناو

الوثيقة رقم ٦

حضرة الملا مصطفى البارزاني المحترم

أخذت كتابكم واطلعت عليه، إن الحكومة بالنظر الى السلطة التي خولها اياها القانون تهتم بمحافظة الأمن والنظام وتسوية ما يحصل من المنازعات ما بين ألفراد، ونظراً الى مساس قضية المزوريين والبريفكانيين بالحق العام، فضلاً عن حقوق الأفراد، فإن الحكومة كانت وما زالت مهتمة في اتخاذ التدابير اللازمة لحسمها، ولكن هروب عبد العزيز الحاج ملو حال دون ذلك وأدي الأمر الى اتخاذ الأجراءات لتعقيبهم ولذلك فالواجب يقضي عليكم ان تنصحوه بأن يسلم نفسه الى الحكومة وعندئذٍ تقوم الحكومة باستعمال صلاحيتها التي لا تتنازل عنها لأي فرد وتنظر في حسم القضية وفق نظام دعاوي العشائر وذلك بواسطة مجلس تحكيم ينتخب من قبل الطرفين.

أما المحاولات الأخري فهي عقيمة ولا تؤدي الى الخير والأصلاح الذي تحبه الحكومة، وكذلك يهمها عدم إلحاق الأذي بالفقراء والنساء والأطفال أكثر من أي شخص آخر فنطلب اليكم ان تأخذوا ما تقدم بكل اهتمام بنظر الأعتبار وتسدوا النصح الى المذنبين بأن يسلموا انفسهم الى الحكومة حيث ان العدالةفي كل قضية سوف تأخذ مجراها لذلك، يطلب اليكم الى ان تعودوا الى منطقتكم وأن تعيدوا الرجال المسلحين معكم الى أماكنهم، وبذلك تثبتون حبكم للخير وإخلاصكم للحكومة والسلام عليكم.

الموصل في ٢ آب ١٩٤٥

متصرف لواء الموصل وثيقة رقم ١٢

ـ دائرة المشاور السياسي للقوات البريطانية لمنطقة العراق الشمالية بالموصل.

الرقم م / ١٥ / ٥٢٨ والتاريخ في ٣ آب ١٩٤٥ م

حضرة الملا مصطفى المحترم

بعد التحية

استلمت رسالتك المؤرخة في ١ / ٨ / ١٩٤٥ جواباً على رسالتي الموجهة اليك المؤرخة في ٢٩ / ٧ / ١٩٤٥ وألاحظ أنك ترفض المجئ الى الموصل لمقابلة سعادة المتصرف ومقابلتي.

لقد أمرني فخامة السفير البريطاني ان اعلمك بأن تصرفاتك قد أصبحت متعبة وإذا كما تقول بأنك لا تنوي القيام بأي عمل يقلق الأنكليز فيجب ان تبر بوعودك التي قطعتها لي شخصياً وتكف عن حركاتك التي ستؤدي أخيراً الى اتخاذ الأجراءات ضدك من قبل الحكومة العراقية.

إنني أرغب أن أبين لك بوضوح تام أن هذه هي المرة الاخيرة التي فيها تنوي السفارة البريطانية إنذارك، فإذا تصر على كسر العهد الذي أعطيته فحينئذٍ يجب ان لا تنتظر منا أي مساعدة او عطف والعواقب تكون على مسؤوليتك الخاصة تماماً.

كنت آملاً ان اتمكن من إبلاغكم هذه الرسالة بصورة شخصية ولكن مادام رفضت مقابلتي مع سعادة المتصرف فإنني أكتب لك هذا النمط بالضبط وتفضلوا بقبول فائق الأحترام.

اللفتننت كرنل آر. ميد المشاور السياسي في الموصل.

الوثيقة رقم ٧

ـ إنذار

الي الملا مصطفى البارزاني

نظراً الى العمال الأجرامية التي ارتكبت في منطقة بارزان من قبلكم ومن قبل أتباعكم (ألأمر الذي أدي الى إخلال السكينة والأمن العام) فقد قررت الحكومة إعادة الأمن الى نصابه وإزالة الجرام من هذه المنطقة وعليه وجب إنذارك للمباردة الى تسليم نفسك والمجرمين البارزانيين الى الحكومة خلال ثلاثة أيام من تسلمكم هذا الأنذار وبحالة عدم انصياعكم لتنفيذ ذلك فستقوم الحكومة بالأجراءات اللازمة وسوف تكونون انتم المسؤولين عن كل ما يقع بنتيجة ذلك من أضرار في الأنفس والمال.

١٢ / ٨ / ١٩٤٥

سعيد قزاز متصرف لواء أربيل

ـ من نافلة القول بأن بريطانيا كانت تولي اهمية كبيرة لمسألة استقرار العراق، ومن دواعي عدم استقرار هو المسالة الكردية وتداعياتها، وكان لبريطانيا استراتيجية في المنطقة وتصبو الى حل المسالة الكردية بما يلائمها، ومن هذا المنطلق كان السفير البريطاني يبلغ حكومته بكل ما يجري على الساحة العراقية وعلي المسالة الكردية خصوصاً وفيما يلي التقرير الذي

ارسله السفير البريطاني في بغداد في ٩ كانون الثاني ١٩٤٥ عن اهم الأحداث السياسية والأقتصادية لعام ١٩٤٤م ونكتفي بالنقاط التي تطرق فيها الى الأكراد، ويظهر ان للسفير نظرة سلبية علي ملا مصطفى البارزاني وقضيته، البارزاني يريد من بريطانيا ان تعامل الشعب الكردي بالكيفية التي عاملت بها الشعب العربي، حينما ساعدته على قيام كيان عراقي له طابع عربي، فكان يريد في نهاية المطاف كيان ذات طابع كردي، لكن جهود بريطانيا كانت تنصب على تدجين الشعب الكردي وترويضه لما يلائم استراتيجيتها في المنطقة وكان لها خطوط حمراء لا يجوز اجتيازها، وحينما كان ملا مصطفى البارزاني يحاول اجتياز الخطوط الحمراء تلصق به وبرجاله شتي الألقاب والتهم: القبليون، المتمردون، العصاة، الخارجون عن القانون...

مراجعة سياسية لعام ١٩٤٤

كان عام ١٩٤٤ عاماً هادئاً بالنسبة الى العراق. لقد دفع انحسار تهديد العدو واتصارات الحلفاء الأخيرة العراقيين الى الأعتقاد بأن الحرب قد انتهت. وفيما عدا توفير المواد الأولية المطلوبة من الحلفاء، فالعراق كبقية البلدان الشرق الأوسطية الأخري لا يلعب دوراً نشطاً في الحرب. والشيء الذي يوحي باشتراك العراق في الحرب هو تواجد القوات البريطانية والهندية فيه، ومن جانب آخر فإن الحرب قد تركت نتائج اقتصادية مؤلمة، فالبلاد كوحدة سياسية تمتعت برخاء متواصل، ويعود الفضل في هذا الى الأستفادة ولو بنسبة ضئيلة من نفقات الحرب البريطانية والي وفرة الحصاد. ولكن بسبب قلة الواردات وارتفاع الأسعار تدهورت حالة السكان بصورة عامة. ولم تكن الأجراءات التي اتخذت للحد من هذه السلبيات مجدية.

وبعد ترك الكولونيل (Colonel Bayliss) مدير الواردات العام لظيفته مرت مرحلة غابت فيها الرقابة الأقتصادية.

٢ ـ وفي مجال السياسة الداخلية فقد حلت محل وزارة نوري باشا وزارة مشابهة لها يرأسها حمدي الباجچي. وباستثناء الأضطرابات المزمنة في منطقة بارزان من كردستان، ساد النظام في الداخل. وكانت العلاقات بين القوات الملكية والسكان العراقيين هادئة. وفي مجال لاشؤون الخارجية كان هناك تتبع واهتمام بمشاكل فلسطين ودول المشرق وسخط متزايد على الصهيونية والفرنسيين.

١١ ـ انشغلت وزارة نوري باشا والوزارة التي اعقبتها بالشؤون الكردية، ففي شهر كانون الثاني ـ يناير ـ تم التوصل الى سلام مع ملا مصطفى وتوقف التمرد البارزاني بفضل جهود ماجد مصطفى، وهو وزير بلا وزارة، كانت مهمته تتركز في إعطاء المشورة في

السياسة الكردية. وكانت تسوية غير سهلة، وبدا ان المجابهات في مناسبات عديدة خلال الشهر التي تلت ذلك أمراً متوقعاً.

١٢ ـ نبهت المشاكل في بارزان الحكومة العراقية على الحاجة الى المصالحة ولهذا بادرت الى تنظيم الأدارة في المناطق الشمالية. وفي وقت مبكر من العام أرسل رئيس الوزراء ماجد مصطفى في جولة الى المراكز الرئيسية في كردستان لأزاحة الموظفين الأكثر إساءة والأسراع في توزيع الحبوب الرخيصة المخصصة للقري المحتاجة. وتم تعيين متصرف كفوء جديد هو الجنرال بهاء الدين نوري في السليمانية، كما أخذت الحكومة بعين الأعتبار الأسراع في خطة الأنفاق على الخدمات العامة وذلك من إيصالها الى نفس مستوي المناطق الأخري من البلاد. وقد نالت هذه السياسة الحكيمة الأنتقادات من قبل معارضي الحكومة في البرلمان، بالأخص من مجلس النواب، ووجد الوزراء المعنيون انفسهم دون دعم من البلاط ولم يجرأوا على التقدم في علمهم بثبات، وشعرت القبائل الكردية ان الأمور تسير بصورة خاطئة وتواترت الأنباء عن السخط السائد في الشمال. وحذر سفير جلالته نوري باشا والوصي من انهما سيواجهان قريباً وضعاً في غاية الصعوبة، إن لم يقوما باتخاذ إجراءات كفيلة بإنصاف الشكاوي الكردية المشروعة. زار بعد هذا نوري باشا المناطق الشمالية مرتين، وخلال زيارته الثانية في شهر أيار ـ مايو ـ تكلم باطمئنان الى حشود كبيرة من الضباط ورؤساء العشائر والوجهاء وحصل من المتصرفين (المحافظين) علي مذكرة دقيقة تتعلق بخطط واقتراحات بتحسين الأدارة والطرق والمدارس والمستوصفات وأعمال أخري تحتاجها تلك الألوية. لكن زيارات فخامته كانت سريعة جداً. وذكر له العديد من الذين التقي بهم، انهم سمعوا وعوداً سخية من قبل وانتظروا تنفيذها طويلاً دون جدوي. وفي كل الاحوال فإن زيارته حسّنت مزاج الشعب، لكن لسوء الحض سقطت الوزارة بعد عودته الى بغداد بوقت قصير وزالت الأنطباعات الجيدة التي كان قد اوجدها.

١٣ ـ عندما تسلم حمدي الباججي رئاسو الوزارة، جدد سفير جلالته للوصي والوزراء نصحه بتبني سياسة ودية اتجاه الأكراد والعمل على تهدئة وتطوير الوضع الأجتماعي والأداري في الألوية الشمالية ومواصلة نفس النهج السابق والبدء من النقطة التي توقفت عندها الحكومة السابقة. كان التقدم بطيئاً، كما ان احلال متصرف آخر محل الجنرال بهاء الدين في شهر اغسطس ترك انطباعاً سلبياً. وطّد البارزانيون اوضاعهم وعززوا عن طريق التزاوج تحالفاً مع جيرانهم الزيباريين، وبهذا اصبحت سيطرتهم على التخوم الشمالية الشرقية سيطرة تامة. اما وضع الجيش العراقي فإنه غير مؤهل للقيام بحملة تأديبية

ناجحة، لذا على الحكومة التزام الصبر.

قام الكولونيل توفيق وهبي الوزير الكردي للأقتصاد في شهر سبتمبر بجولة في الشمال لأيضاح النوايا الطيبة للحكومة المركزية، لكن ما ان عاد الوزير الى بغداد حتي طلب ملا مصطفى بدعم من اتباعه المسلحين تسليم ممئة طن من الحبوب من مقرات الحكومة المحلية، ولم يكن هنالك خيار آخر غير تسليمها .وفي شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ظهرت دلالات إضافية لعدم الأستقرار نوردها دون الدخول في تفاصيلها، كانت مطاليب ملا مصطفى من الحكومة المركزية تتضمن تنفيذ الوعود التي اعطتها حكومة نوري باشا، وهي إطلاق سراح السجناء الأكراد وتعيين مندوب للاكراد يتمتع بصلاحيات واسعة في بغداد (قرض زراعي بقيمة ١٤٤٠٠٠ دينار عراقي لشخصه. وقد مال بعض الوزراء الى القيام بعمليات عسكرية ولكن تقرر بحكمة تهيؤ قوات احترازية فقط.

ملا مصطفى الآن في بارزان. وفي الوقت ذاته توزع الحبوب والملابس في معظم المناطق الكردية.

١٤ ـ تكشف هذه الأزمة والأزمة السابقة عن عدة محاذير عن الحالة غير المرضية في كردستان. إن ملا مصطفى قاطع طريق لا يهتم بالرفاه السياسي وماالأقتصادي لشعبه، إنما همه الحفاظ على وضعه الأقطاعي فقط. وإذا استمر على خلق المشاكل فلن يبقي سبب يجعلنا نقنع الحكومة بعد الألتجاء الى عمل عسكري ضده، بشرط ان تؤيد ذلك البعثة العسكرية البريطانية، ولقد افهمنا الحكومة العراقية ان عليهم استشارة السفير والقائد العام لقوات البعثة البريطانية قبل إجراء هذه العمليات العسكرية، فهذا التشاور حيوي لتفادي نشوء وضع قد يؤدي الى طلب تدخل القوات البريطانية لأنتشال حليفتها العراق من المصاعب.

وقد اوضح سفير جلالته الى السلطات العراقية في مناسبات عديدة ان لا تتوقع من بريطانيا المساعدة او حل مصاعبهم الكردية، طالما استمروا في تأخير تنفيذ وعودهم بالمساعادة والأصلاحات الأدارية، ولكن في كل الأحوال ينبغي الأخذ في الأعتبار انه في حالة وقوع مشكلة جدية في كردستان يصبح استخدام القوات البريطانية بصورة دفاعية امراً مؤكداً لصيانة مصالحنا. (أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للاحتلال (١٩١٤ ـ ١٩٥٨) ص ٢٢٧ و ٢٣١ ـ ٢٣٣).

الفصل السادس

البارزانيون وجمهورية كردستان "مهاباد "

((فنهض القاضي محمد من مكانه باكياً وقبلني وقال:
أدعو الله أن يوفقك ويحفظك ولعل حياتي ستكون فداء
للمواطنين وعاملاً على تجنبهم لبعض الذي سينالهم،
وتخفف من حدة الأرهاب الذي سينزل بهم، قال هذا
وأخرج من جيبه علم كردستان وسلمني أياه وأردف
قائلاً:
" هذا هو رمز كردستان، أسلمه لك أمانة في عنقك،
لأنك في رأيي خير من يحفظه.))
ملا مصطفى البارزاني في آخر لقاء له مع القاضي محمد.

الشعوب على الأرض تتطلع وتصبو الى تحقيق الذات او ـ بالمصطلح السياسي ـ إحراز الأستقلال وتقرير المصير. في عالم مشحون بمفاهيم الهيمنة والسيطرة، فالأكثريات التي تمسك بزمام القوة ـ على الأقل ـ السكانية، البشرية ـ دأبت علي سحق الأقليات التي تتطلع الى تحقيق ذاتها وحريتها في العالم " الثالث " وهي تري اي الأكثريات، بمقاييسها للعدالة، أن رفعة طائفتها او عرقها لا يمر إلا عبر بوابة دعس بالأقدام على الأجناس والطوائف والأقليات التي تعيش في ظهرانيها. إن هذه الأكثريات او مراكز القوي تقنن الحرية وتجعل من شرائعها وسننها هي الممثل الحقيقي والأوحد للمبائ السامية والعدالة، وهي تجبر الآخرين المغلوبين على امرهم، بالأنصهار في بوتقة هذه المبادئ.

لكن تجارب الشعوب وعلى مر التاريخ قد أثبتا سقم هذه الأفكار، ويقول الكاتب حمد الماجد في مقال له في جريدة الشرق الأوسط اللندنية: فمن يتصور أن القوة والجبروت وحكم الناس بالحديد والنار هو الذي سيروض هذه الأقليات فليأخذ العبرة من صدام، فالأستقرار الطائفي في عهده كان رماداً، لكن تحت الرماد وميض نار طائفية متقدة، وهي التي يصطلي بلهيبها

العراق في هذه الأيام[1].

لكن المعادلة لا تبقى ثابتة على مر التاريخ، فالأقليات لا تبقى خاملة ومروضة باستمرار، فثمة برعم للأرادة ينبت في ثنايا هذه الشعوب مهما كانت صغيرة، وحينما ترى في ذاتها القوة والأقتدار تنزع الى الأنعتاق لتحقيق الذات والوجود. يقول دارون أن الأحياء يتنازعون غريزياً من أجل البقاء وسيبقي أقواهم وأفضلهم أو أصلحهم، لكن في مملكة الأنسان ليس الهدف الأبعد البقاء فحسب، بل الهدف إرادة الأقتدار: ليس النزاع من أجل البقاء، بل من أجل السيادة، ويقول نيتشة: على الفيزيولوجي أن يفكر ملياً قبل تعليمه أن غريزة البقاء هي الغريزة الأصل في الكائن... والحياة نفسها ارادة اقتدار وما غريزة البقاء سوى نتيجة غير مباشرة لها... ما من واقع، في كل مركز قوة، إلا واقع توقٍ الى مزيد من القوة، وذلك ليس من أجل البقاء، بل توقٌ الى الأستيلاء، السيادة، والنمو، والأستقواء[2] إن القوة والأرادة مطلوبتان على امتداد الزمكانية.

لكي لا نتيه في متاهات الأسهاب نعود الى جمهورية مهاباد التي شكلت كينونتها كلمحة بصر من زمن التاريخ، وكأنها جزيرة مرجانية وسط المحيط ظهرت وسط امواج عالية وما لبثت ان غمرها المحيط دون رحمة الى أبد الدهر.

مهاباد وظروف الحرب

جمهورية مهاباد كان ولادتها في نهاية الحرب الثانية، وبدا واضحاً بأن الحرب الباردة سيكون فيها الأستقطاب حول شبح ايديولوجي، بين الدول الغربية، او العالم الحر، والدول الشرقية ـ العالم الأشتراكي. إن الدول لكي تؤمن على ديمومتها عليها ان تضاعف قوتها، و / او تتحالف مع دول أخرى في المنطقة، أو مع دولة قوية من خارج المنطقة. فثمة الدول القوية المهيمنة في الشؤون الدولية فهي تظل مسلحة، وتمارس الدبلوماسية، وتتفاوض للأتفاقيات، وتدخل الحروب وتتحكم في المنظمات الدولية، وتمارس نفوذاً والى حد كبير تحدد الأنتاج والتجارة. والحكومات بهذه الدول تعطي اولوية لضمان أمنها الخارجي لدولها.. فالدول تحدد مصالحها في شكل القوة ولكن ايضاً في شكل أشياء أخري الى جانب ذلك غالباً ما تحاول السعي الى توازن القوى[3]. هذه ظروف السلام فماذا يا تري عن ظروف الحرب؟

كان هيكَل يري ان التقدم في التاريخ الناشئ لا يسير وفق تطور العقل الثابت، وإنما بحسب لعبة الأهواء العمياء التي تقود الناس الى النزاعات والثورة والحرب، أي حسب دهاء العقل وفق الصيغة الشهيرة، إن التاريخ يتقدم بمسار متواصل من النزاعات التي تتصادم في إطار أنظمة الفكر وكذلك الأنظمة السياسية وتنهار بلعبة تناقضاتها الذاتية الخاصة، فهي

عندئذٍ تستبدل بأنظمة أقل تناقضاً، أي أكثر تطوراً، تولد بدورها تناقضات جديدة ومختلفة وفق مسار الديالكتيك الشهير[٤]. إنها مقدمات للولوج الى مسرح التفكير العام في لعبة الأمم التي تمارسها الدول التي تمسك بيدها الخارطة السياسية، وتجري عليها من التغييرات ما يلائم مصالحها، وما تراه مناسباً في ظل المساومات الجارية بين الأطراف التي لها نصيب من تقسيم الكعكة. بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها كانت هنالك صفقات تطبخ على نار هادئة لقاء الثمن المناسب يستحقه كل طرف من أطراف اللعبة.

لقد كانت ايران أبان الحرب العالمية الثانية بأيدي القوى المؤيدة لألمانيا، ولذا بالأتفاق مع انكلترا تم احتلالها من قبل الأتحاد السوفياتي وذلك في حزيران ١٩٤١ وكانت القوات السوفياتية تتمركز في الشمال ويليها منطقة خالية من القوات الدولية والى الجنوب كانت القوات البريطانية، وفي المنطقة الخالية من القوات كانت هناك فرصة سانحة للحركة القومية الأذربيجانية بتأسيس حزب الديمقراطي الأذربيجاني - أيران وكان هذا الحزب وراء إعلان قيام جمهورية أذربيجان الديمقراطية. لقد كان باغيروف السكرتير الأول للحزب الشيوعي الأذربيجاني يجسد رغبة الأتحاد السوفياتي التي تنطوي على انضمام هذه الجمهورية الى جمهورية أذربيجان السوفياتية التي عاصمتها باكو.

الي جوار هذا الكيان كانت المنطقة الواقعة بين شطري الأحتلال البريطاني والسوفياتي كمنطقة حرة ليست خاضعة لأحد، ويتوسط هذه المنطقة مدينة مهاباد، ولم يكن ثمة نفوذ للسلطة الأيرانية في هذه المنطقة باستثناء مركز شرطة في مدينة مهاباد لا يملك من زمام السلطة بشئ. وفي الواقع كان قاضي المدينة قاضي محمد أصبح مسؤولاً عن إدارتها[٥]. إنه بالتعاون مع بعض العشائر الصديقة له استطاع ان يمنع أعمال والنهب والسلب في مهاباد والقرى المجاورة، وأرسى قواعد الأستقرار والأمن في هذه المنطقة بدلاً من الفوضى التي كانت متوقعة ان تدب في اوصالها يوم غياب السلطات الحكومية.

إن الوثائق الرسمية المكتوبة بخط اليد او المطبوعة أي كل الأدلة المكتوبة كانت ستعطينا تصوراً جلياً عن جمهورية مهاباد وعن تاريخها وحجم المساهمة في إدارتها والوثائق الرسمية المكتوبة التي كان يمكن استخلاص الحوادث والأمور بصورة جلية، لكن هذه الوثائق وكل ما يتعلق بعلاقة الأشخاص بتلك الحكومة قد وجدت طريقها الى اتون النار المشتعلة في الحمام العام، بانهيار الجمهورية كان الطريق الأسلم لدفع التهمة حيث ستكون تلك دلائل وشواهد على ادوارهم. وهكذا مكثت الذكريات هي المصدر الرئيسي لتعكس لنا أحداث تلك الحقبة التي دخلت التاريخ الكردي من اوسع ابوابه.

الأوضاع في إيران

كان يوم ٢٣ من شهر آب سنة ١٥١٤ م يشير الى انتصار قوات الدولة العثمانية على قوات الشاه اسماعيل في منطقة تشالديران الواقعة شمال غرب بحيرة أورمية، وبعدها سوف تسعي الأمبراطوريتان العثمانية والصفوية الى قطع اشواطاً كبيرة في طريق قيام الدولة المركزية. ونأتي الى العقود الأولى من القرن العشرين، في عام ١٩٢١ يقود رضا خان وهو أحد الضباط في الجيش الأيراني انقلاباً يطيح آخر ملوك القاجار وأصبح يعرف برضا شاه وبدأ العهد البهلوي في أيران. وتميز رضا شاه بقوة الشخصية، وحاول تحديث وعلمنة أيران علي منوال مصطفى كمال أتاتورك في تركيا، وكانت المشاعر القومية تبعث الروح الآرية المتوفقة التي لعب عليها الألمان في تبرير حروبهم.

وهكذا في النصف الثاني من الثلاثينات من القرن الماضي شرعت ألمانيا في ترسيخ نفوذها في الشرق الأوسط. وبغية تقليل نفوذ بريطانيا وروسيا في أيران مال الشاه نحو ألمانيا متأثراً بفرضيات الوشيجة الآرية وحاجته الى التصنيع العسكري وتطوير وسائل المواصلات. في غضون الحرب العالمية الثانية كانت أيران قد عبرت عن تأييدها لسياسة الألمان. ولكون إيران تحتل مركز استراتيجي في مسالة نقل الأسلحة والمعدات من دول الحلفاء الى روسيا، كما ان الحفاظ على مصالح شركة النفط الأيرانية ـ الأنكليزية، ومصالح الأنكليز في العراق أيضاً اتفقت روسيا وبريطانيا على احتلال أيران وتقسيمه بينهم ونصب محمد رضا في حل والده رضا ملكاً على أيران وكان عمره يومئذٍ ٢١ سنة.

في ٢٩ كانون الثاني ١٩٤٢ وقعت الحكومة الأيرانية مع روسيا وبريطانيا الأتفاقية الثلاثية، حيث نصت المادة الأولى من تلك الأتفاقية: على ان تحرص الدول الموقعة على الأتفاقية على صيانة وحدة الأراضي مقابل سلامة وصول الأمدادات الحربية الى روسيا، والمادة الرابعة تنص: على عدم تدخل قوات التحالف في الشؤون الداخلية الإيرانية. وفي عام ١٩٤٣ وقع كل من ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا والرئيس الأمريكي روزفلت والرئيس السوفياتي ستالين في طهران على ما عرف فيما بعد بـ"تصريح طهران" والذي نص على وجوب انسحاب قوات الأحتلال التابعة لدول حلفاء " روسيا وبريطانيا " من أيران بعد خمسة أشهر من انتهاء الحرب العالمية الثانية[٦].

في المنطقة الخالية من القوات الدولية والتي مركزها مهاباد حيث كانت تعتبر منطقة حرة. انتعشت فيها الأفكار ذات النزعة القومية الأستقلالية، فتشكلت في مطاوي عام ١٩٤٢ الحركة السياسية الكردية " كومالا جيان كردستان " وأعقبها في عام ١٩٤٥ فتشكل حزب جديد وهو

الحزب الديمقراطي الكردستاني، وانتسب جميع أعضاء حزب كوملا الى هذا الحزب، وكان للقاضي محمد الدور الرئيسي في تشكيله. وفي هذه الأثناء سافر قاضي محمد الى باكو لأجل المباحثات مع باكيروف الذي اقترح عليهم الحكم الذاتي للأكراد ضمن جمهورية أذربيجان، لكن قاضي محمد رفض هذا الطلب.

قاضي محمد

ولد القاضي محمد سنة ١٩٠١م.. وهو أبن قاضي علي ابن قاضي قاسم.. تعلم القاضي محمد العلوم الشرعية في المدارس الأسلامية التي تعرف بالحجرة، وكان له إلمام جيد بعلوم اصول الفقه وعلم الكلام وعلم النحو والصرف... وينقل الباحث كريس كوجرا اوصاف القاضي محمد أيام جمهورية كردستان ويقول:

إنه كان في السادسة والأربعين من عمره وكان يتقن بالأضافة الى اللغة الكوردية الفارسية والعربية والتركية، وكان قد تعلم شيئاً من الفرنسية والروسية، وكان محباً للأدب والأدباء ويعشق الأدب الكردي وشعراء الأسلام في أيران خاصة.. ويصفه كوجرا أنه كان وسيماً ورفيعاً وذا لحية وعيون تلمع كالنجوم، وكل ذلك جعل منه رجلاً ذا شخصية، وكان تقياً، ويمتنع عن التدخين والخمر..[٧]

الحالة الأقتصادية في مدينة مهاباد سنة ١٩٤٣ لم تكن تشير الى أسر تملك ثروات طائلة او اقطاعيات أراضي كبيرة، من جانب آخر لم يكن هنالك أسرة في مهاباد تنافس أسرة قاضي محمد في الوجاهة والزعامة، ففي أواسط العقد الخامس من القرن الماضي لم تكن هنالك أسرة ذات غني فاحش تتبوأ مكان الصدارة في المنطقة، تستطيع ان تضارع آل قاضي محمد.



قاضي محمد في دائرته
في وقت زيارة النقيب
روزفلت (ايلول ١٩٤٦)

كان قاضي محمد أبن قاضي على الذي لم يحترم قاض مثله اويجل، حفيداً لقاضي قاسم، اقرباؤه الآخرين هم من القضاة أيضاً... ولقاضي محمد أخ واحد هو ابو القاسم صدري قاضي يصغره باربع سنوات كذلك له ثلاث اخوات. درس وهو صبي في إحدي المدارس الدينية (قوتابخانة) التي يتعلم فيها رجال الدين وهو الشكل الوحيد الميسور للدراسة الأبتدائية في ذلك الحين اما دراسته الحقيقية فقد تلقاها عن أبيه... وقبل ان يعين محمد قاضياً محل أبيه، أشغل وظيفة مدير دائرة اوقاف مهاباد وما أن اصبح قاضياً حتى تعاظم نفوذه الى درجة كبيرة. وبات حكمه لا ينقض، ووجوده يفرض الأحترام دائماً[٨].

عرف عن قاضي محمد علي انه رمز الوطنية الكردية، وكان يوم تأسيس جمهورية مهاباد في حوالي الخمسين من عمره يرتدي معطفاً عسكرياً قديماً وذو لحية قصيرة ووجه منتظم ويشوبه صفار بسبب معاناته من مرض في معدته، وكان لا يدخن ولا يشرب الخمر ويتناول القليل من الطعام... كان يبدي اهتماماً بجميع شعوب العالم، كشخص أممي، ويتحدث اللغة الروسية وقليلاً من الأنكليزية ولغات أخرى وكانت طاولته مليئة بكتب اللغات الأجنبية وكتب القراءة والآداب[٩]. وهو بموازين مهاباد في تلك الحقبة يعتبر من المثقفين. إن ثقافته الدينية لم تحول دون تبني وجهات نظر تقدمية على صعيد العلاقات الأقتصادية والأجتماعية. وشخصيته فيها عناد وتحكم وصلابة، وحديثه يتخلله فواصل صمت بعد كل ثلاث او أربع كلمات. وهو مؤدب أمام الغرباء دائما عند زيارتهم مهاباد. أما خلفيته السياسية، فكان لقاضي محمد أفكاراً بناءة ومنفتحة ومعتدلة.

يصفه الملحق العسكري المساعد Archie Roosevelt, Jr في السفارة الأمريكية في طهران بالكلمات التالية:

أولئك الذين التقوا بقاضي محمد تأثروا بشخصيته وأدركوا بسهولة كيف أصبح رمزاً للقومية الكردية في كل مكان، ويضيف: أنه ذو صوت وديع متناغم، أيماءاته كانت هادئة ولكنها مؤثرة. كان يتمتع بشئ من منحى عالمي إذ كان مهتماً بجميع شعوب العالم وملم بعدد من اللغات ضمنها الروسية وقليل من الأنكليزية، لقد بدا إنساناً عميق الأيمان ويتحلى بشجاعة تصل حد التضحية بذاته وذو آفاق واسعة ونظرة معتدلة[١٠].

ونعود الى الظروف المواتية لأنتعاش الأفكار القومية في ظل غياب السلطة الأيرانية في المناطق التي كانت محصورة بين القوات الروسية في الشمال والقوات البريطانية في الجنوب، وكانت المنطقة الكردية من هذا الجزء يتمركز في بلدة مهاباد.

استغل الأكراد فسحة الحرية الزمكانية القائمة يومئذٍ، وشكلوا في ١٦ آب ١٩٤٢ بتأسيس جمعية يسميها الدكتور عبد الرحمن قاسملو " كومالا جيان كردستان " والدكتور عثمان علي

يدعوها بـ " كومه له ي زيانه وه ي كورد، واختصرها بـ (ز. ك) أو كومالا، وكان قوامها عند التأسيس يتكون من ١١ شخصية من وجهاء الكورد في مدينة مهاباد، بينهم المثقفين والتجار ورجال الدين الأسلامي، وكانت هذه الجمعية في السنين الأولى تتبنى الخطاب السياسي لحزب تودة الأيراني من الدعوة للأصلاح الزراعي ومحاربة الأقطاع والشيوخ الملاكين، وكان هذا الأتجاه مقروناً بالنشاط من اجل نشر الفكر والوعي القومي بين الفلاحين، وكانت الجمعية عموماً متأثرة بمنحزات ثورة أكتوبر الأشتراكية.

اما المرحلة الثانية من حياة هذه الجمعية فتتجسد في النصف الثاني من عام ١٩٤٥ م حيث هيمن فيها القاضي محمد بعد فترة وجيزة من دخوله فيها كعضو، وهنا تحول الى جبهة كوردية عريضة، تجمع بين صفوفها ثلاثة تيارات: التيار الأسلامي القومي يقوده القاضي محمد وعلماء كردستان الذين دعموا هذه الجمعية وتركوا بصماتهم في اطروحاتها، اما التيار الثاني، فيمثل البرجوازية الصغيرة (العلمانية) المتأثرة بالفكر القومي الغربي، والتيار الثالث هو الذي يمثل رؤساء العشائر الكوردية[١١].

كان انتماء قاضي محمد ذو الشخصية الكارزمية الى حركة كومالا في تشرين الأول من عام ١٩٤٤ أثره الأيجابي في استقطاب وجذب اوساطاً واسعة من الجماهير، من علماء الدين ورؤساء العشائر والعمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الى هذه الحركة، لكن ما كان ينقص كومالا هو افتقاره الى برنامج سياسي واضح يتماشي مع متطلبات المرحلة، مع الحاجة الى كادر قيادي ذات نظرة سياسية واسعة قادرة على قيادة العشرات الآلاف من الأعضاء. فكانت الحاجة الى ولادة حزب جديد. وكان الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي تشكل عام ١٩٤٥ ولعب المثقف والسياسي قاضي محمد دوراً كبيراً في تشكيله. كما ان جميع أعضاء كومالا انتسبوا لهذا الحزب.

كان للحزب الجديد " الحزب الديمقراطي الكردستاني " برنامج يتكون من ٨ نقاط أساسية يمكن تلخيصها:

١ـ الحكم الذاتي ضمن الحدود الأيرانية.

٢ـ يجب ان يكون التعليم باللغة الكردية في الأراضي الكردية.

٣ـ يكون اختيار الأداريين المحليين في كردستان عن طريق الأنتخاب وأن يضمن الدستور ذلك.

٤ـ اختيار موظفي الدولة من قبل الشعب لامحلي.

٥ـ إصدار قانون عام ينظم العلاقة بين القرويين ومالكي الأراضي، مع مراعاة حقوق الطرفين.

٦ـ يناضل الحزب الديمقراطي الكردستاني من أجل وحدة وأخوة الشعب الأذربيجاني والأقليات في أذربيجان (السريان والأرمن..).

٧ـ يعمل الحزب من اجل تطوير الزراعة والتجارة وتحسين ظروف التعليم والصحة.. الخ

٨ـ يريد الحزب الديمقراطي الكردستاني ان تتحقق حرية الشعوب الأيرانية وتنمية الدولة بهذه الطريقة.[١٢]

المشهد السياسي على أرض الواقع بات واضحاً فيه: الشخصية الكارزمية المجربة لقاضي محمد وهو يقود حزباً سياسياً يمتلك قاعدة عريضة تستوعب مختلف فئات الشعب، مع تسلحه بفكر وبرنامج عمل واضح وأهداف معلومة، مع ارض محررة لا نفوذ ولا سلطان عليها، وفي الحقيقة كان قاضي محمد وعدداً من اصدقائه من القبائل المجاورة هم الذين يحفظون مدينة مهاباد من عمليات النهب والسلب في ظل غياب السلطة والقانون. يضاف على ذلك ظروف دولية وأقليمية مساعدة، كل هذه المعطيات باتت مهيئة لتحقيق حلم الأكراد الأزلي في إنشاء دولة كردية تحقق طموح وآمال الشعب الكردي في حكم نفسه بنفسه، لقد كان لأسم الدولة الكردية وأرض كردستان سحراً جذاباً في قلوب وعقول الشعب الكردي، وهو يطمح أن يتساوي مع بقية شعوب الأرض في حقها في تقرير مصيرها بنفسها. كل هذه الأسباب مجتمعة اوحت الى ترجمة الحلم الى الواقع بأعلان الدولة الكردية باسم جمهورية مهاباد. وكان القاضي محمد هو من بادر الى أعلان هذه الجمهورية التي سنأتي على ذكرها في فقرة قادمة.

مدينة مهاباد

مهاباد هو الأسم الفارسي لمدينة صابلاغ. والتسمية الأولى مهاباد يرجح ان تكون من آباد الفارسية التي تعني المعمور. وكان الفرس إذا أرادوا تسمية مدينة او قرية باسم أحد الأشخاص يضيفون هذه اللفظة على اسمه، فلذا نري كثيراً من اسماء المدن والقرى منتهية بكلمة آباد او آبد مثل قردلياباد وأستارباد وكردآباد وفيروزآباد[١٣] . أما تسمية صابلاغ التركية فهي آتية من تسمية نهير ماؤه رقراق صاف يدعى محلياً جه مي صابلاغ أو نهر ساوج بلاغ او سابلاق بالحديث الدارج، ولما كان الأسم المزجي مشتقاً من الكلمتين التركيتين سافوكو بالاغ أي " النبع البارد " فليس هناك ما يمنع والحالة هذه ان يكون الأسم الآري الفارسي " مهاباد " أنسب استعمالاً لأهل البلدة.

يظهر من خارطة الجمهورية الكردية ان مهاباد تقع الى الجنوب الشرقي من بحيرة اورمية، وهي جنوب مسيل ماء رقراق صاف، وتشرف بعض أبنيتها على ضفاف هذا النهير. ويحاول



مركز شرطة مهاباد في ١٩٦١

الكاتب آزاد ديركي القاء الضوء على مدينة مهاباد باعتبارها من المدن الكردية المهمة، ويقول ان تسمية مهاباد يدل على مكانتها الدينية لدى الشعوب الآرية وعظمة الأله (آهورا مزدا) أي السيد الحكيم. ولفظ مها تعني العظيم وفي الهندية مهاتما تعني الروح العظيم وقيل تعني مدينة القمر، وآخرون سموها مدينة الميديين، ويضيف الكاتب ان لفظة سابلاخ هي كلمة تركية يتداولها سكان المنطقة وتعني النبع البارد. وتحيط بها سلاسل جبلية تختلف من حيث ارتفاعها (جبال المنكور)، وتقع المدينة الى الجنوب من المسيل المائي والذي سمي باسمها (جه مي سابلاخ) يزوده فروع مائية قادمة من الأطراف. وقد أقامت الحكومة الأيرانية على النهير سداً صغيراً لدرء خطر الفيضان عن المدينة في فصل الشتاء، وإرواء مساحات واسعة من الأراضي والبساتين والأشجار المثمرة في شمالي المدينة[١٤].

في عام ١٨٣٤ وجدها بيللي فريزر: بلدة لطيفة تقع على مجري ماء جميل، وفي عام ١٨٩٠ زارتها السيدة إيزابيلا بيرد بيشوب، فوجدت نفوسها تعد زهاء خمسة آلاف من السكان وفيها الف من الجنود للمحافظة على السلام بين الترك والكرد... وفي الواقع فإن صابلاغ بوصفها مركزاً دينياً للكرد ومركز تجارة للمنطقة، جمعت الموتي وكدستهم فيها على مر السنين والأحقاب.. لقد ظل صغر المدينة وانخفاض مستواها المعاشي يلازمانها، لكن كان عدد نفوسها عام ١٩٤٥ ستة عشر ألف نسمة، في حين بلغ عدد نفوسها اثنان وعشرون ألفاً عام ١٩٦١م.. ويبقى المهاباديون جذابون، طيبو المعشر، " وكبابهم " المصنوع من لحم الخروف وإن لم يكن يضاهي منافسه " كباب " السليمانية في الجانب العراقي، فكرمهم العظيم، وطيبتهم وخفة روحهم تغطي هذا النقص بأكثر من اللازم. وعلى اية حال فمن

اصناف أطعمة سليمانية ومهاباد ما يستحق الثناء والأطراء[١٥].

ليس من العسير تصور مدينة مهاباد لاسيما بالنسبة الى كاتب هذه السطور الذي عاش في تلك الحقبة في بلدة مشابهة، وهي بلدة القوش التابعة لمحافظة الموصل. فيكون فيها (مهاباد) الطرق والأزقة والمسالك الترابية، يسلكها الأهالي بثياب مختلفة فيها القديم الرث تتخلله الرقع، وفيها الملبس الأنيق الجديد، وبينها الزي الكردي الخالص او الزي الأوروبي، او المزيج من الكردي والأوروبي. وكل ذلك يعكس المكانة الوظيفية او المهنية او الأقتصادية للمرء. في هذه البلدة ان تسرح الحيوانات في الطرق يبدو منظراً مألوفاً، إن كان من الحيوانات الأليفة كالكلاب والقطط، او منظر الحمير او البغال التي تنقل الأحمال المختلفة من أخشاب الوقود او الفحم او مواد البناء من الأحجار او الجص، والمنظر المألوف وقت المساء هو تقاطر قطعان الغنم والماعز من كل صوب، اما الأبقار فتتفرق الى فرادى في الأزقة كل واحدة متجهة الى دار صاحبها.

في التركيبة الأجتماعية للبلدة يبدو جلياً مركزها الديني، فمذهبها سني ويتمثل ذلك في العدد الكبير من الفقهاء والملالي او تلاميذ الشريعة الذين يسيرون في الطرقات وعلى رؤوسهم العمائم وفوق أكتافهم العباءات، وربما يشكل هؤلاء طبقة اجتماعية، الى جانب طبقات أخرى متفاوتة في درجات السلم الأجتماعي. فهناك طبقة الأسر العليا وتليها الطبقة الثانية وهكذا، ويبدو للوهلة الأولى أن الحراك الأجتماعي يحمل في طياته الصعوبات بالنظر الى المجتمع الكردي المتحفظ لكن الواقع ليس كذلك، إذ ان التحرك الى الأعلى او الى الأسفل ـ الزواج بين هذه الطبقات مثلاً ـ هو أسهل مما يتصوره المرء.

هناك عدة أسر مهابادية من الصنف الأول يضم بيتها الواحد عدداً كبيراً من الرجال والنساء والأطفال وتقوم على رأسها أسرة كبيرة... وعلى خط الحدود المرسومة بين الأسر الأولى والثانية تجد تلك التي تتحرك الى فوق او تحت بسبب ثروة جديدة حازتها فتنتقل الى مكانة مرموقة، اوربما فقدت ثروتها فتنحدر الى الطبقة الفقيرة... إن مهن الأسر ذات الدرجة الثانية في السلم الأجتماعي كانت التجارة وما زالت، وأربابها اصحاب محلات تجارية ومعلمون وموظفي الدولة، والحرفيون يأتون بالدرجة الثالثة ويأتي بعدهم الشغيلة والخدم والبدالون وتجار الماشية والبناؤون والميكانيون والمكارون وأنصاف الشغيلة[١٦].

وفي شوارع وازقة مهاباد تصادفك النساء بجمالهن الملفت للنظر، من دون برقع او حجاب وربما بحجاب جزئي أحياناً ذاهبات الى العمل او عائدات منه، لا تحرجهن التجمعات او التنزهات التي يقوم بها الرجال في منعطفات الأزقة والطرق، لكن هذا ليس تعميماً على كل النساء في المدينة فاللواتي من الطبقة العليا يتميزن بملابسهن بطبقات من الجلابيب والأرز


فتيات كرديات من مهاباد

والشالات ويسترن بالجادر فوق هذه الملابس.

إن الطابع الكردي للبلدة لم يتأثر كثيراً بوجود الأقليات المحدودة فثمة قرابة خمسين أسرة يهودية تمتلك الدكاكين وتبيع المشروبات الروحية او تمتهن صياغة الذهب، وقد نزح معظم هذه الأسر الى أسرائيل، وثمة عدداً قليلاً من التركمان الأذربيجانيين يشتغلون بأعمال يدوية، أما الأرمن فلم يكن هناك سوى أثنان، أحدهما مصور فوتوغرافي والاخر بائع مشروبات، وكان في البلدة عدداً من المبشرين، لكن وجودهم استئصل بعد إجراءات رضا شاه عام ١٩٣٢ القاضية بأستئصال النشاط التعليمي والتبشيري الأجنبي في البلاد، ومع ذلك توفق بعض هذه البعثات في ترك تراثاً واضح المعالم من المدارس والمستشفيات، وتراثاً روحياً لبعث دين مسيحي ظل متقداً طوال السنوات المائة التي أمضوها[١٧].

ويكتب آزاد ديركي أن مهاباد عاصمة اول جمهورية كوردية في العصر الحديث، ما تزال تحتفظ بكيانها القومي والوطني وشكلها الهندسي والعمراني القديم، وعلى الصعيد الأجتماعي فقد ظل معظم السكان محافظين على عاداتهم وتقاليدهم وفولكلورهم بما فيها النساء، وزادت نسبة التعليم والتحضر فيها اكثر من غيرها من المدن الكردية في ايران، ولا زالت الفتاة الكوردية المهابادية تلبس البستها المعتادة بالرغم من تحصيلها العلمي. ولم تجد السياسات التي اتبعتها الأنظمة أي طريق للعبور منها. ويمضي الكاتب الى القول: بالقرب من ساحة جوار جرا الشهيرة حديقة عامة يرتادها المهاباديون للتنزه. واهم عشائرها: مكري، بيران، لوكان، بولاق، بلباس، كه روك وغيرها[١٨].

البارزانيون في كردستان أيران

في سنة ١٩٤٣ يكون الملا مصطفى البارزاني قد حقق خطوات كبيرة في بلورة الأفكار القومية الكردية وبات مؤهلاً لاستلام قيادة الحركة الكردية بعد الخوض في معترك الحياة السياسية والعسكرية من اوسع ابوابها. وفي هذه السنة ١٩٤٣ اندلعت ثورة جديدة في



مهاباد ١٩٤٦

الصف الخلفي (من اليسار الى اليمين) ميرحاج (العراق، بثياب العسكرية)، الملازم نوري احمد طه (العراق)، عزت عبدالعزيز (العراق)، ملا مصطفى (العراق)، قدري بك حفيد جميل باشا الدياربكري (من بيروت)، النقيب خيرالله (العراق) (الجالس عن اليمين) وهاب محمد علي آغا جنديان (العراق)

منطقة بارزان ولكن هذه المرة بقيادة شقيق الشيخ أحمد البارزاني، وهو الملا مصطفى البارزاني.. لقد حاولت السلطات في بغداد في تهدئة الثوار لكن دون الأتفاق معهم على شيء حقيقي. وفي عام ١٩٤٥ أرسلت هيئة كردية رسالة الى الهيئة المؤسسة لمنظمة الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو مع مذكرة طويلة وخارطة شرحت فيها المطالب الوطنية الكردية التي تتلخص في كردستان حرة ومستقلة. لقد ورد في المذكرة ان السلم لا يمكن ان يسود منطقة الشرق الأوسط دون أيجاد حل للمشكلة الكردية[١٩]. لكن هذه المطالب والدعوات لم تلق أذناً صاغية من المجتمع الدولي، واستمرت الحكومة العراقية في الخط الذي اختارته في تصفية الثورة الكردية. وبالعودة قليلاً الى الوراء وبالتحديد الى سنة ١٩٤٤ سنلاحظ الحكومة العراقية برئاسة حمدي الباجه جي عكفت على اتخاذ مواقف متشددة أزاء المطالب للحركة القومية الكردية... وقد حاول الملا مصطفى البارزاني تجنب المواجهة مع الحكومة، لكن الحكومة العراقية لم تستجب لهذه الأرادة ولم تقدم أية مبادرة خيرة واستمرت في استعدادها العسكري بالأعتماد على الدعم المباشر من بريطانيا.

كان آخر لقاء بين عدد من المسؤولين الحكوميين وقيادة الحركة الكردية قد تم في ميركَه سور في ١٧ حزيران ١٩٤٥ والذي انتهي الى عدم احراز أية نتيجة وحدثت القطيعة وبات كل طرف يهيئ نفسه للحرب.

من جانبه كما مر قبل قليل ان ملا مصطفى البارزاني بدأ اتصالاته مع العشائر الكردية ففي نهاية حزيران ١٩٤٥ باشر بزيارة الى منطقة بهدينان وفي احد الأيام بينما كان مجتمعاً مع عدد من رؤساء العشائر بلغه نبأ مقتل أولي بك داخل مخفر شرطة ميركه سور وكان ذلك في يوم ٨ آب ١٩٤٥[٢٠].

كانت هذه شرارة كافية لأيقاد نار الثورة في منطقة بارزان، ولم يكمل البارزاني برنامج جولته في انحاء المنطقة، فقد شكلت حادثة القتل التي دبرت من قبل سعيد القزاز محافظ أربيل، دافعاً لينطلق الثوار بشكل عفوي للهجوم على المخافر الحكومية ودون الأنتظار الأوامر من البارزاني. وكان ذلك ايضاً ذريعة للحكومة لكي تنتهز الفرصة للأجهاز على الثورة الكردية، حيث اصدرت الأوامر في ٨ آب ١٩٤٥ باحتلال منطقة بارزان باسرع ما يمكن وقبل حلول فصل الشتاء، وأصدرت قراراً بتجريم البارزاني، وبادر سعيد البزاز محافظ أربيل بتوجيه الأنذار اليه وبوجوب تسليم نفسه الى السلطات.، وأنذر جميع العشائر بالأبتعاد عنه وهددهم بإنزال أقسي العقوبات إن خالفوا أوامره.

لقد بدأ دفاع الأكراد المنظم في ١٠ آب ١٩٤٥، وكان عدد المقاتلين لا يتجاوز ٢٥٠٠ مقاتل، لكن بسبب التأييد الشعبي بلغ عدد مع استمرار القتال ٥٠٠٠ مقاتل.

من جانب آخر عكفت الحكومة الى القضاء على الثورة وبغية ضربها من الداخل عمدت الى صرف مبالغ كبيرة لشراء الذمم من الأقطاعيين والآغوات، ولم تحملهم على الحياد فحسب إنما حملوا السلاح بوجه الثورة، واستطاعت ان تجند قوات مرتزقة كبيرة وأوشكت الحرب ان تتحول الى حرب كردية كردية صرفة، وعندما اصبح من الصعب الأستمرار في القتال قررت قيادة الثورة الأنسحاب الى كردستان أيران قبل هطول الأمطار وتساقط الثلوج وانسداد الطرق، وهكذا انتهت الثورة في ١١ تشرين الأول سنة ١٩٤٥ بدخول قواتها كردستان أيران لدعم الشعب الكردي هناك، وليبادر البارزاني الى تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستان[٢١].

كان نزوح البارزانيين نحو أيران يحمل في طياته معان كثيرة، إذ ان هذه الرحلة الجماعية وتحت تلك الظروف القاسية لابد ان تبعث على التساؤل في ماهية الأسباب التي تدفع هذا القوم الى تحمل تلك المآسي. هل هي الهوية القومية ام الأرتباط العشائري ام الرابط الديني، وقد يكون الدافع او الحافز هو الخليط المكون من هذه الأسباب مجتمعة وربما ثمة أسباب

أخري تضاف اليها. وأستطيع شخصياً ان أكوّن فكرة وتصور عن المعاناة التي يتجشمها الشاب وهو يعاني من تلك الظروف فكيف بالطفل والمسن والمريض، إن هذا التصور كونته لاشتراكي الفعلي مع البيشمركة في حقبة الستينات من القرن الماضي. فالحياة كانت قائمة على تنقلات دائمة والسير لساعات في الظلام الدامس عبر ممرات ومسالك وشعب وعرة، وتحمل الجوع والبرد والنعاس الذي لا يرحم والأرهاق، ومدفعية العدو وغارات الطائرات والأمراض ولسع الحشرات.. والى آخره. ولكن لمن لا يستطيع تصور هذه المعاناة قد يكون ما أورده الدكتور ايوب بارزاني على لسان كاظم شاندري صورة حية لتلك المعاناة، ولكي تكون الصورة واضحة أضعها امام القارئ الكريم رغم طول الأقتباس. يقول:

انهارت جبهة بيرس، وأدى ذلك الى نزوح العوائل عن مناطق نزار عبر النهر الى الضفة الشرقية، فاكتضت الممرات الجبلية بطوابير طويلة من العوائل والقطعان. وعندما علمنا بتقدم المرتزقة والجيش نحو قرية شاندر، قررنا المغادرة وترك ما نملك ورائنا. كنا عائلة مؤلفة من ثمانية اشخاص، ولم يكن لدينا غير حمار واحد لنقل الأرزاق على الطريق الطويل. وكانت هنالك عوائل أخري لا تملك حيواناً للنقل، فحملوا بعض الأرزاق على ظهورهم، ولم يبق سوى عدد قليل من الناس لا يقوون على السير طويلاً. فاتجهت مئات العوائل نحو نهر كه كلة، وكلما تقدمنا نحو الأمام ازداد تزاحم الطوابير الطويلة الآتية من نزار، به روز، مزوري ودولمري. كانت مسيرة عمتها الفوضي، ففي المرتفعات كانت الصخور تتدحرج تحت ارجل المارة والدواب بسبب التزاحم وضيق المسالك فتتساقط على الممرات السفلى، ويؤدي الى جرح عدد من النازحين، كنا في مسيرتنا نصعد ونهبط، وكان الأطفال يتيهون ويتطلب العثور عليهم وقتاً طويلاً، وما ان يعثر على هؤلاء حتي يتيه آخرون. كنا والقطعان هدفاً سهلاً لنيران الطائرات العراقية التي كانت تتعقبنا بشكل متواصل. أتذكر ان زوجة عمي ضاعت ولم نعثر عليها إلا بعد ثلاثة أيام، إذ كنا في حركة دائمة وزحام هائل في الممرات الجبلية الضيقة إضافة الى آلآف رؤوس القطعان من الماعز والأبقار. ويضيف الراوي:

لآ أظن ان الذين شاركوا في هذه الهجرة سينسوها حتى آخر لحظة في حياتهم. فعلى سبيل المثال: كان العجوز ملا كاليانجي يرافق زوجته وبعد مسيرة طويلة، جلسا ليستعيدا بعض النشاط، فتمددت زوجته على حافة الطريق من التعب، وبعد برهة قال لها الزوج هيا لنعاود السير، وظن انها ستلحق به، لكنها كانت قد فارقت الحياة، إذ اكتشف الآتون من بعدهم انها ماتت عندما حاولوا ايقاظها فدفنوها على قارعة الطريق. ويستطرد الراوي من هذه المسيرة قوله:

نقلنا المدفع الذي استولينا عليه في جبهة دينارته بصعوبة بالغة حتى أطراف كانيا رش على



ثوار الكرد من كردستان الجنوبية الملتحقين بجمهورية مهاباد الكردية يحيطون
بعلم الجمهورية وقد رسمت عليه صورة مصطفى البارزاني بزي الجنرال العام
١٩٤٦

ظهر البغال، لكن استحال حمله عبر الممرات الجبلية الوعرة، فاخفى بين أخاديد الصخور، إلا ان المرتزقة عثروا عليه وأعادوه الى الحكومة العراقية.

سارت الطوابير على سهل (به رازكر) والي كانيا رش ثم الى سيروزه روا والى قرية آري ثم الى منتجعات (كورافا) وكنا نسير بمحاذات الحدود التركية. لقد تفاقمت المعاناة بسبب البرد الذي صادفناه في الجبال العالية في طريقنا الى منتجع (بن ليسي) إضافة الى الجوع والنعاس والأرهاق والخوف على الأطفال ووجهتنا Mergever كانت الجموع الغفيرة تتسارع لترك هذا الموقع القارس البرودة، وكان الأطفال يبكون من شدة البرد اللاذع ولم تكن حمايتهم ممكنة، ودفننا عدداً من موتانا هناك، ولم نصحب معنا ادوات لحفر القبور، فاضطررنا الى دفنهم في المخابئ او الحفر الطبيعية، كما عانت الحيوانات من قلة الأعشاب في تلك الأصقاع النائية... ويختم الكاتب هذه القصة بأن عدد البارزانيون مع حلفائهم عند دخولهم الأراضي الأيرانية ناهز العشرة آلاف شخص، بضمنهم النساء والشيوخ والأطفال، بينهم حوالي ٣٠٠٠ رجل يمكن تجنيدهم...

لكن نبقي مع الراوي الشاهد كاظم شاندري ليكمل قصته يقول:

توجه العديد من البارزانيين بضمنهم شيخ بارزان الى مهاباد. في حين سكن بابو اسحق وملا مصطفى مدينة شنوي، وسكن محمد صديق وشيخ سليمان مدينة نغده، وسكن آخرون مدينة بوكان كما رافقت مئات العوائل حجي طه أميدي للسكن في اطراف مدينة مراغه.

وصلنا الى قرية نوفي وفي سهل (مه ركه فه ر) في كردستان أيران توزعت الحشود الكبيرة من المهاجرين على القري المتناثرة.. لقد اقتضى استيطاننا جميعاً في القرى المتفرقة بعض الوقت. فحل الشتاء الذي لا عهد لنا بمثله. في قرية (عه له بي) حيث منحنا الأغا غرفة لثمانية اشخاص، وكان أبي معنا، وفي إحدى الليالي تساقطت الثلوج بكثرة فأغلقت الباب علينا ولم نتمكن من الخروج، إلي ان هرع أهل القرية لنجدتنا. كان الطعام نادراً جداً ولم تكن لدينا نقود لشراء الأرزاق. كان الأهالي أسخياء معنا لكنهم أيضاً لم يكونوا ميسوري الحال. هلك قطيعنا المؤلف من حوالي خمسين رأس ماعز جوعاً إذ لم يكن بمقدورنا تزويد العلف له. وكنا جميعاً مرضى جراء سوء التغذية والبرد القارص. وكان أبي يقول:

لا أستطيع عمل شئ لكم غير تقديم الماء[٢٢]. لنا ان نتساءل هنا بعد نزوح هذه الجموع الى أيران هل سيكتب لهم الأستقرار والسكينة بعد أن تركوا أراضيهم او بعد اجبرتهم الظروف الى ترك اراضيهم وما يملكون في العراق؟ ام ستبقي السياسة وأحابيلها تلعب بمصيرهم؟

في سياق التوجه الى ايران يشير الأستاذ مسعود البارزاني الى الأتصالات التي تمت مع زعماء الحركة الكردية في ايران ومع المسؤولين السوفيات، وفي ضوء ذلك قرر ملا مصطفى البارزاني مع رفاقه في لجنة الحرية بعد استحصال موافقة الشيخ أحمد البارزاني، التوجه الى أيران حيث يكون بوسع المقاتلين المجربين من مساعدة وترصين الوضع الجديد في كردستان أيران.

يمكن اعتبار ثورة برزان ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ منتهية بدخول البارزانيين أيران في ١١ / ١٠ / ١٩٤٥ عبر المثلث الحدودي بين العراق وتركيا وأيران، وحتى هذه النقطة كانت الطائرات العراقية والبريطانية تلاحق المقاتلين البارزانيين وأسرهم. وفي داخل ايران استقبلوا من اشقائهم الأكراد بحفاوة بالغة وقدموا لهم يد المساعدة.

وثمة وثيقة للحزب الديمقراطي الكردستاني تقول: بناء على أمر من " رئيس جمهورية كردستان " يجب إبلاغ جميع السادة الذين يستضيفون البارزانيين أن يقدموا لهم كل المساعدة الممكنة من كل الوجوه، وأن لا يدعوهم يتضايقون أبداً، وكل من يتخلف عن تنفيذ هذا الأمر يتم إبلاغ القيادة بهويته[٢٣].

لقد استقر البارزاينون بين اشقائهم وفي هذه الأثناء طلب السوفيات من الملا مصطفى البارزاني التواري عن الأنظار بسبب الضغوط التي مارستها كل من بريطانيا والعراق احتجاجاً على ايواء البارزاني وأتباعه، فتوجه البارزاني مع عدد من المسلحين الى منطقة سردشت ونزل في قرية ميراوا ومكث فيها حتي نهاية عام ١٩٤٥ ثم انتقل الى بلدة شنو



قاضي محمد يعتلي منصة ساحة (جوار جورا) في مهاباد ويعلن قيام الجمهورية الكردية، والملا مصطفى البارزاني يقف بملابسه الكردية العراقية البهدينانية المتميزة امام المنصة.

واستقر فيها مع اسرته وأسرة أخيه بابو وبعض أقربائه، بينا نقلت أسرة الشيخ أحمد الى مدينة مهاباد.. ويوم أعلان قيام جمهورية مهاباد دعي البارزاني لحضور الحفل المقام بهذه المناسبة التاريخية، وبعد انهاء المراسيم عاد الى اشنوية، وظل فيها حتى آذار، حيث دعي الى مهاباد وتم الأتفاق على ان يقوم البارزانيون بدورهم في دعم وترسيخ الجمهورية[٢٤].

وكانت لحظة قيام " جمهورية كردستان "

لحظات تاريخية حاسمة في تاريخ الشعوب تتحرك الجماهير بوعي او بنصف وعي في ثورة عارمة، ثم لا تلبث ان تهدأ او تخمد تلك الثورة، ولكن تبقى تداعياتها وتفاعلاتها قائمة لسنين طويلة، ومنها الثورة الفرنسية والثورة البلشفية في روسيا والثورة الأسلامية في ايران وغيرها، وفي هذا السياق تميزت كردستان أيران في اواسط العقد الخامس من القرن الماضي بفراغ سياسي وكان على القوي السياسية القومية الكردية الفاعلة أن تملأ هذا الفراغ.

استدعي قاضي محمد الى تبريز عاصمة حكومة أذربيجان الديمقراطية وكانت الغاية ان يقبل قاضي محمد بتشكيل حكومة كردية ولكنها تحت إشراف الحكومة الأذربيجانية الديمقراطية في تبريز ورفض هذا العرض، وأراد ان يشكل حكومة كردية مستقلة تمتد من مياندواب الى سردشت وعاصمتها مهاباد.

كان الدور الذي سيلعبه البارزانيون مؤثراً في مجرى الأحداث المتسارعة في هذه المنطقة، وانتبه كبار المسؤولين في مهاباد الى دور البارزانيين وأهميتهم في الدفاع عن الجمهورية الفتية.

لقد توسط الشيخ لطيف الحفيد ووجهاء آخرون لدي قاضي محمد كي يعتبر ملا مصطفى البارزاني ممثلاً عن أكراد العراق والأهتمام بالبارزانيين، فاستقبل ملا مصطفى مصحوباً بالضباط الكرد استقبالاً رسمياً في مهاباد وزاروا دوائر الجمهورية والتقوا بوجهاء وأعيان المدينة وأدوا صلاة الجمعة سوية وقاموا بزيارة المدارس ومطبعة كردستان، كما زاروا رئيس الجمهورية قاضي محمد في مقره، وكتبت الصحف الكردية عن هذه الجولة الرسمية، كما ألقى محمد محمود وهو من خريجي الكلية الحربية العراقية كلمة نيابة عن ملا مصطفى يعلن ولائه لقاضي محمد ويصفه بأعظم شخصية كردية... هذا وكانت سلطات الجمهورية الكردية قد خصصت مبني ذي طابقين لملا مصطفى والضباط الكرد.. منهم عزت عبد العزيز وميرحاج أحمد ومصطفى خوشناو ومحمد نجم برواري، وكان يسكن أيضاً في المبنى أسعد خوشوي ومحمد آغا ميركَة سوري[٢٥].

لكي نواكب الأحداث المتلاحقة في مهاباد نعود الى حدث أعلان تشكيل الجمهورية مع أيغلتن الأبن يقول:

شهر كانون الثاني من السنة إنه موسم أشتداد البرد وتساقط الثلوج، ولكن يوم ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ م في مهاباد انفلق النهار عن شمس مشرقة تبعث الدفئ في اوصال هذه المدينة الواقعة على أرتفاع ٤٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وخط عرض ٣٧ شمالاً. في رأب الضحى اجتمع خلق كثير من اهل المدينة ورجال القبائل الزائرين في ميدان " جوار جرا أي القناديل الأربعة " وازدانت الشوارع المؤدية الى هذه الساحة بالأعلام الكردية والنمارق الحمراء والبيضاء والخضراء، والتأم وفد من الوجهاء الحاضرين ميممين وجوههم شطر منزل القاضي محمد القريب من الساحة، ليعود معهم الى الساحة، وهنا يصعدوه على منصبة خشبية نصبت في الركن الشمالي الغربي ليواجه حشداً متعدد الأزياء من الرجال والأطفال، والنساء يتعقبن ما يجري على الساحة من شرفات واسطح المنازل القريبة[٢٦]. وكان من بين الحضور بالأضافة الى أهالي المدينة كان هناك مندوبون يمثلون معظم المناطق الكردية في ايران والعراق وتركيا وسورية بينهم قادة بارزون وعسكريون ومثقفون ورجال الدين ورؤساء العشائر وغيرهم.

كان الحدث الحاسم هو إنزال العلم الأيراني من جميع المباني الحكومية ورفع بدلاً عنه علم كردستان الذي تألف من ثلاثة ألوان الأحمر والأبيض والأخضر وفوقه شمس صفراء وسنابل قمح، فالشمس ترمز الى الحرية والسنابل ترمز الى اهمية التعليم، واختارت الجمهورية الفتية أغنية كردية نشيداً وطنياً لها تقول كلماتها:

يا أيها العدو ما زال يعيش الشعب الذي يتكلم الكردية

لا يقول أحد بأن الأكراد قد انقرضوا.

الأكراد سيعيشون دائماً ولن ينزل علمهم أبداً[٢٧].

في هذه الأجواء المفعمة بالأفراح والعواطف الجياشة اعتلى قاضي محمد المنبر وراح يذكّر مستمعيه بصوته المتأني الرائق بأن الكرد شعب قائم بذاته، يسكن أرضه ويشارك الشعوب الأخرى حقها في تقرير المصير، وإن الكرد قد استيقظوا من سباتهم، ولديهم أصدقاء أقوياء. وإن جمهورية كردية ذات حكم ذاتي قد تأسست في هذه اللحظة بالذات. وفي وسط الهتاف توجه قاضي محمد بالشكر للجنة الحزب المركزية، وفي خطابه الذي استغرق خمس عشرة دقيقة وجد مجالاً لتوجيه الشكر للأتحاد السوفياتي على مساندته المادية والمعنوية ولتهنئة أخوانه الأذربيجانيين الذين حققوا استقلالهم مؤكداً بأنهم سيساعدون الكرد وإن الكرد سيساعدونهم، وما ان أخلي المنبر، حتى ثقب الهتاف طلقات نارية من فوهة ثلاثمائة بندقية إذ خصص خمس إطلاقات لكل واحدة للأحتفال بهذه المناسبة. وليس هناك زيجة او حفل عند الكرد تكمل إلا إذا تخللها دوي الرصاص[٢٨].

في هذه الأثناء أعطي قاضي محمد لقب " بيشه وا" أي الرئيس وشكل إدارة حكومية باسم " هيئه تي ره ئيسي ملي كوردستان، وكانت هذه الهيئة بمثابة هيئة وزارية. وفي ٢٦ / ١ / ١٩٤٦ أعلن القاضي محمد إتمام تشكيل الحكومة الكردية والتي كانت تتكون من رئيس الوزراء و١٣ وزيراً من بينهم:

- حاجي بابه شيخ بوكان رئيساً للوزراء، وهو عالم دين.
- محمد أمين معيني، مهنته تاجر، وزيراً للداخلية.
- أحمد آلهي، تاجر، وزير الأقتصاد.
- كريم أحمد يان كان موظفاً، وزيراً للبريد والبرق.
- صديق حيدري، وزيراً للثقافة.
- حاجي عبد الرحمان الخاني زادة، وهو ملاك ورئيس عشيرة، وزيراً للأعلام.
- محمد ولي زادة وزير عمل.
- خليل خسروي، وزير تجارة.
- حاجي مصطفى داودي، وزير عدل.
- ملا حسين مجدي، وزير صحة.

وكان محمد حسين سيف قاضي وزيراً للحرب وهو ابن عم القاضي محمد، وقد كلف في

الأسراع في تشكيل قوة مسلحة للدفاع عن الجمهورية الفتية، ولقد كان هنالك أعداداً كبيرة في خدمة الجمهورية، ولكنهم كانوا بحاجة الى التدريب والتنظيم، وقد أعطيت هذه المهمة للضباط الكورد الذين التحقوا مع الملا مصطفى البارزاني وذلك في تشرين الثاني من عام ١٩٤٥م. وبات هؤلاء الضباط ذوي الخبرة في القتال جزءاً من قوات الجمهورية فيما بعد، والضباط هم:

١ ـ العقيد مصطفى خوشناو. ٢ ـ المقدم خيرالله عبد الكريم. ٣ ـ العقيد محمد محمود قدسي. ٤ ـ العقيد عزت عبد العزيز. ٥ ـ النقيب بكر خوشناو. ٦ ـ المقدم سيد أحمد. ٧ ـ العقيد مير حاج. ٨ ـ الملازم أول نوري أحمد طه. ٩ ـ الملازم أول جلال أمين. ١٠ ـ النقيب نوري أمين. كما أعطيت رتبة جنرال عدداً من رؤساء القبائل المساندة للجمهورية من بينهم محمد حسين سيف قاضي، وملا مصطفى البارزاني[٢٩].

بالأضافة الى ذلك تعين العديد من البارزانيين كمسؤولين ضمن ضمن الأفواج محمد أمين ميرخان، مامند مسيح،، فارس كاني بوتي، سعيد ولي بك، خوشوي خليل، مصطفى جانكير، صالح كانيالنجي المعروف بساكو كاليالنجي، حيدر بك عارف بك، وهاب محمد علي آغا راوندوزي.

وعن هذا الجيش وإمكانياته المحدودة في أيام الجمهورية الفتية علينا ان نتصور اندفاع الشباب الكردي للدفاع عن جمهوريتهم ويفيد كاظم شاندري وهو أحد المتطوعين في هذا الجيش، بأنه لم تكن هناك مقرات للسكن فاستخدمت مساجد المدينة، ولم تتوفر الأفرشة والمطارح والأغطية، فكان المتطوعون يغلقون النوافذ والأبواب للأتقاء من البرد، ويقول:

في البداية احتفظنا بملابسنا التقليدية إذ لم تكن هنالك بعد ملابس جنود نرتديها. لقد كان الطعام نادراً ورديئ النوعية واقتصر على الرز والطحين وما أشبه. وكانت تلك الأمكانات الموجودة، وكنا جنوداً متطوعين بلا رواتب. لقد قام الضباط الكرد بتنظيم جيش على الطريقة التي تعلموها من البريطانيين في العراق، فقد كانوا خبراء في تنظيم الجيش الحديث الولادة، وتبنوا الأسماء الكردية للمراتب وتشكيلات الجيش الجديد، كان دورهم حاسماً في إعداد الجيش وسط ظروف بالغة الصعوبة، وكنا نتدرب يومياً مرتين في الميدان الواسع الواقع شمال مدينة مهاباد. كان جنود الجمهورية الفتية من البارزانيين اكثر من ألف جندي وكان هذا العدد يزداد يومياً ويختم كلامه بالقول:

أتذكر جيداً ان اول سلاح حملته كان للدفاع عن الجمهورية. كان الضباط ينادون كلاً باسمه، فيتقدم ويردد القسم الذي ينص:



ملا مصطفى البارزاني ١٩٤٥

سأظل مخلصاً لجمهورية كردستان ويضع يده على المصحف الشريف. ثم يتسلم قطعة سلاح مع ١٠٠ طلقة، دون حزام، فكنا في البداية نستخدم أكياساً لوضع الطلقات فيها، ويضيف كاظم شاندري بعد إكمال التدريب كانت فصائل من هذه القوات اتجهت الى جبهة سقز إذ كان يخشى من تهديدات الجيش الأيراني في تلك المناطق.. وكان لهذه الجبهة ثلاث مطابخ وأفران لتزود الجنود بالغذاء... وفي إحدي الليالي سيطرت قوات الشاه على المرتفعات القريبة من قرية كاراوا. وما ان شعر جيش الجمهورية بذلك حتى بادر الى الهجوم، وكان عدداً من القادة البارزانيون على رأس فصائلهم في الجبهة من بينهم: محمد أمين ميرخان ميركه سوري وميرزا آغا ره شو وصالح علي كانيالنجي وسعيد ولي بك وخوشفي سيلكي، والأخير هو أبن خليل خوشوي بطل المقاومة البارزانية في في الثلاثينات. تراجع جيش الشاه بعد ان مني بخسائر فادحة في الأرواح، وتم أسر عدد كبير منهم، كما استولي جيش الجمهورية على الأسلحة والعتاد الجيد، وتابع فلول جيش الشاه حتى أطراف مدينة سقز[٣٠].

إن أعلان الجمهورية لا يكتب لها الأستمراية إذا اهمل امر الدفا ع عنها من الأخطار المحدقة، وكانت هذه المهمة الصعبة في كثير من جوانبها تقع على عاتق البارزانيين، إن تحقيق النصر مهم لكن اهم منه هو امكانية الأحتفاظ بذلك النصر وبمفرداته وأهدافه.

في حديث لغني بلوريان وهو من ضباط جمهورية مهاباد لقناة الجزيرة الفضائية يقول: عند تأسيس جمهورية مهاباد كان ابن عم القاضي محمد سيف القاضي كان هو القائد

العام لجيش كردستان رسمياً، لكن فعلياً كان ملا مصطفى البارزاني هو القائد العام لجيش كردستان، وحينما رجعت الى مهاباد، وكانت مراسيم الأعلان عن جمهورية مهاباد قد بدأت، كانت ساحة جوار جرا مهيأة لإجراء المراسيم، وفي هذه الأثناء كان ملا مصطفى البارزاني واقفاً أمام منصة القاضي محمد وكذلك جماهير حاشدة استعداداً لهذه المراسم، ونحن اصطففنا في مسيرة حاملين علم كردستان، وأدينا تحية العلم أمام القاضي محمد، وهناك أعلن قاضي محمد أقامة الجمهورية.

لقد لعب البارزاني دوراً بارزاً ونشاطاً ملحوظاً في هذه الأحداث وغدا أنصاره البارزانيين بفضل خبرتهم القتالية القوة العسكرية الرادعة بيد الجمهورية الفتية، وإن البارزاني نفسه أصبح جنرالاً ورئيساً لأركان جيشها. وبما انه لم يكن (للأذريين) الأذربيجانيين جيشاً لذا رغبوا بتأسيس جيش موحد مع الأكراد، وعندئذٍ ترأس أركان الجيش الموحد البارزاني نفسه. وفي هذا الموقع ساهم البارزاني في القضاء على أربعة تمردات قام بها أقطاعيون حرضتهم طهران. وفي هذا الوقت أيضاً توحدت المنظمات لجنة الحرية والأمل والثورة والتحرير في تنظيم واحد وفي ١٦ آب ١٩٤٦ انعقد المؤتمر التأسيسي لتكون ولادة " الحزب الديمقراطي - كردستان العراق) وانتخب البارزاني غيابياً رئيساً له، ويقول الكاتب انه من قبيل الصدف ان تكون ولادة مسعود البارزاني في ذات اليوم الذي أسس فيه الحزب، والذي يرأس الحزب الآن[٣١].

السقوط المتوقع

لماذ هذا العنوان السوداوي؟ نعم سقوط جمهورية مهاباد كان متوقعاً، وسميت جمهورية الأحدى عشر شهراً لقد انغمس الأكراد في تصور احلامهم المستقبلية، ناسين او متناسين ما يدور حولهم من صراعات دولية بهدف السيطرة على منابع النفط في تلك الأصقاع، ويبدو ان النفط لم يكن غائباً عن المخيال الكردي فقد ورد في نشيدهم القومي ما ترجمته:

نفطي هو ماء الحياة في سيرت وكرمنشاه،

بابا كَوركَور يعرف اننا نملكه في الموصل ايضاً.

في اعقاب الحرب العالمية الثانية حيث بدأت الأمور تعود الى مجراها الطبيعي في ايران، وطفرت مسألة الحصول على عقود نفطية من اوليات الأهتمامات بالنسبة لبريطانيا والأتحاد السوفياتي، ويبدو ان ان قادة جمهورية مهاباد لم يكونوا قد وضعوا هذه الخلفية التاريخية نصب أعينهم.. ففي الوقت الذي كان السوفيت فيه منهمكين في تحريك بيادقهم في كوردستان وآذربيجان وإعدادهم ليكونوا جاهزين لخوض الجولة المقبلة، كانوا قد حصلوا على امتياز

لاستخراج النفط في شمال ايران كله، إلا ان الحكومة الايرانية استطاعت تأجيل البت النهائي في الموضوع الى انتهاء الحرب.. وكانت الحكومة الأيرانية تستنجد بكل إمكانيات اللعبة السياسية لاستعادة محافظاتها الشمالية ـ الغربية المهددة[٣٢]. واستطاعت ايران في نهاية المطاف في إقناع السوفيات بالأنسحاب، ولم يكن بعد ذلك عسيراً للالتفاف على جمهورية مهاباد والقضاء عليها وهي لم تكمل سنة من عمرها.

لا مرية في ان جمهورية مهاباد انبثقت من إرادة الشعب الكردي، وتطوع الشعب للدفاع عنها، وكانت تحظى بالتأييد السوفياتي، كما ان الجمهورية في عمرها القصير قدمت مكتسبات مهمة للشعب الكردي، وقد تجلي ذلك في الأدارة الذاتية وفي تعميم لغته الكردية وإحياء ثقافته وفي تعزيز المشاعر القومية والكرامة الشخصية الذاتية، ولكن يأتي في مقدمة ذلك التحرر من الخوف من بطش السلطات الأيرانية والخلاص من الظلم والفساد الأداري، الذي كان يدفع ثمنه الطبقة الفقيرة من الشعب. لكن كل هذه الأمور وغيرها لم تشكل سبباً كافياً لصمود الجمهورية وبقائها أمام إرادة الكبار في إبرام الأتفاقيات التي تراعي مصالحهم واستراتيجياتهم، فحالما تبدأ لعبة السياسات الكبيرة تختفي من المسرح الأدوار الصغيرة.

بالعودة الى البداية وبالتحديد في ١١ / ١٢ / ١٩٤٥ م أعلن الحزب الديمقراطي الأذري حكومة جمهورية أذربيجان بقيادة جعفر بيشاوري في تبريز، وبعد حوالي أكثر من شهر كان أعلان جمهورية كردستان في مهاباد، وكان هناك بعض العوامل المشتركة التي ساعدت على قيام الكيانين فيبدوهناك تشابك وتداخل وتشابه بين الكيانين ومصيرهما المشترك. ولهذا نلاحظ بعد ان عكف الأتحاد السوفياتي على الأنسحاب من أيران، كان ذلك أيذاناً بانهيار جمهورية أذربيجان، حيث ان سقوط تبريز المفاجئ كان أيذاناً بقدوم العاصفة واجتياحها لجمهورية مهاباد.

الخلاصة النهائية لهذا المشهد يمكن استشفائه من تطورات الأوضاع والمواقف: لقد كان الأتحاد السوفياتي وراء قيام جمهورية أذربيجان الديمقراطية التي عاصمتها تبريز، وكان شكل النظام في هذه الجمهورية على غرار الجمهورية التي كانت ضمن الأتحاد السوفياتي منها جمهورية أذربيجان السوفياتية التي عاصمتها باكو، وهي تحظي بمساعدة الأتحاد السوفياتي في شتي المجالات، أما جمهورية مهاباد الكردية فكانت موالية للأتحاد السوفياتي نظراً لكونه المصدر الوحيد للمساعدات الضرورية بما فيها الأسلحة، لكنها ليست في منزلة جمهورية أذربيجان الفدرالية.

الي الضفة الآخري كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تنظر الى هذه العلاقات بعين الشك والريبة حيث ان استراتيجية الدوليتين تقضي بعزل الأتحاد السوفياتي ومنع الدول من السير

في فلكه وتقليل نفوذه على الشعوب والأقليات في المنطقة، ولهذا كان السعي الى خلق حكومة مركزية قوية في أيران تقدر من بسط نفوذها على كل المناطق في ايران. وهكذا فإن انسحاب الجيش الأحمر من هذه المنطقة كانت بمثابة دق المسمار في نعش الجمهوريتين فبعد انسحابه أرادت إيران مبرراً لملئ الفرا غ العسكري وللقضاء على الجمهوريتين فزعمت انها تريد إجراء انتخابات عامة والتي ستكون تحت إشراف الجيش.

استفاق الجيش الأيراني من غفوته بعد ان خلت الساحة من القوات الأجنبية في بلاده وأخذ يعد العدة لاستعاده كرامته فينسي الأهانة الكبيرة التي لحقت به خلال فترة الأحتلال، وهو يرى في هذه المرحلة ان مصير البلاد يتوقف عليه كمؤسسة عسكرية وعليه ان يخطو الخطوات اللازمة لاثبات وجوده.

اصدر رئيس الوزراء احمد قوام اوامره في ٢٧ / ١١ /١٩٤٦ الى الجيش باحتلال اذربيجان وكوردستان تحت ذريعة اقتراب موعد إجراء الأنتخابات النيابية ومن الضروري ان تكون ثمة اجواء مناسبة لسيرورة الأنتخابات بشكل طبيعي، فينبغي ان تكون المحافطتين خاليتين من المظاهر المسلحة، وباتت الشكوك بالسوفيات تراود الأكراد حينما عكفت القوات الأيرانية التي كانت تحت أمرة اللواء (همايون) بالأقتراب من حدود الجمهوريتين اللتين تم التخلي عنهما، ولغرض التأكد من موقف السوفيات اسرع وفد كردي في بداية شهر كانون الأول الى مدينة رضائية لمقابلة القنصل السوفياتي (هاشموف) الذي كان حلقة وصل مع الأكراد وهو من المتحمسين لفكرة الدولة الكردية في مهاباد، ومن المؤكد انه يحمل معلومات دقيقة عن الموقف السوفياتي إزاء ما يجري من تطورات عسكرية وسياسية في المنطقة.

لقد حاول المسؤول السوفياتي ان يُطمئن الوفد الكردي، وإن الأمور ستؤول الى نهاية جيدة، وقال:

ان طهران تنوي إرسال وحدات عسكرية رمزية فقط تنحصر مهمتها في مراقبة سير الأنتخابات المقبلة، وبأنهم حال انتهاء هذه الأنتخابات سوف يقومون بالأنسحاب من أراضي الجمهوريتين مرة أخرى، وعلى هذا الأساس اصدر المجلس الحربي المتشكل في مهاباد اوامره الى القوات الكردية بعدم إبداء اية مقاومة للوحدات الأيرانية الزاحفة على اراضيها. إلا ان الأيام القليلة اللاحقة بينت بوضوح ان مصير جمهورية مهاباد كان في الواقع متوقفاً على مصير جمهورية أذربيجان[٢٣].

ولكي نطلع على بعض ما كان يفكر به ملا مصطفى البارزاني في تلك الظروف المعقدة نستفيد من أبو الحسن تفرشيان وهو ضابط أذري التحق مع البارزانيين وكان وثيق الصلة بالشيخ أحمد وبملا مصطفى البارزاني والبارزانيين عموماً وقد شارك في تلك الأحداث،



ملا مصطفى البارزاني والقاضي محمد عام
١٩٤٦

وسبق له ان التقى مع ملا مصطفى البارزاني في مهاباد وهو ينقل عنه هذه الأقوال والتي ربما فيها نقد مبطن لبعض المسؤولين في الحكومة بمن فيهم قاضي محمد وهو ينقل أقوال البارزاني:

لست رئيساً، ولست من بين اولئك الذين يتولون منصب رئاسة أركان الجيش في وقت السلم ويظهرون وقت الحرب فجأة في باكو، أنا وبندقيتي هذه (مشيراً الى البندقية التي يحملها) وما دمت احملها فأنا صاحب الأمر ولست خادماً لأية قوة او حكومة لا للبريطانيين ولا للأمريكيين ولا للروس.

وبعد المزيد من المحادثات معه تبين لي (والكلام لأبو الحسن تفرشيان) ان نظرته السياسية واضحة ومتفتحة الى حد معين، وكان يقول بأسلوب لغوي قديم: إن الوضع العالمي الخاص هو الذي حمل الروس على مساعدتنا، إذ يحتاج الروس الآن الى تواجدنا في المنطقة وبإمكاننا الأستفادة منهم للعمل على استقلال كردستان، أنا لست شيوعياً ولا سيداً إقطاعياً أنا رجل ديمقراطي، وفيما يخص امتعاض ملا مصطفى من الروس يقول: أنا لست جاسوساً ولا خادماً لأحد، انا خادم بارزان وخادم لأمتي[٣٤].

كانت أيران تتحرك سياسياً لكنها كانت تعتمد الى حد كبير على العمليات العسكرية الميدانية لكي تفرض سيطرتها الى كل الأراضي الأيرانية، فكانت تناور بين عمليات عسكرية تكتيكية وبين التفاوض لكسب الوقت والتهيئة لتعزيز قواتها بغية القضاء على القوات الكردية، وفي هذا السياق أيضاً كانت تسعى الى توثيق صلاتها مع العشائر الكردية وإرضائها بالمبالغ المالية لكي تقف الى جانب الحكومة وتعمل ضد قوات الحكومة الكردية من البارزانيين وغيرهم.

لا شك من الأعتراف بالحقيقة وهي ان السقوط المفاجئ للجمهورية الأمل، قد استلود حالة من الأرتباك في القيادة الكردية وبعد الأخذ والرد ومن اجل اتخاذ قرار مصيري حاسم، دعا قاضي محمد في ٦ كانون الثاني الى عقد مجلس شوري كبير في مسجد عباس آغا في مهاباد، لتقرير إما الصمود والدفاع عن مهاباد في وجه القوات الأيرانية التي يقودها همايوني والذي تسانده قوات من المرتزقة من العشائر الكردية المتعاونة مع الحكومة، أو التفاوض بغية الأستسلام والحصول على العفو تصدره الحكومة.

ومن الطبيعي ان يكون ثمة مناقشات حادة ساخنة في تلك اللحظات الحرجة بين مؤيدي الأستسلام وبين معارضيه. ولقد خطب قاضي محمد قائلاً:

إن أذربيجان استسلمت والجيش الأيراني في تبريز ـ أي العاصمة ـ وأرومية، ويقف همايوني بمعية قوات من القبائل الكردية في مهاباد ينتظرون منا جواباً. كما احب ان أعلمكم بأن هناك تحشدات للقوات التركية والقوات العراقية، وإن الروس صامتون، وليس لنا من السلاح إلا القليل، ولكن بعد ان وضعتكم في الصورة أقول ان القرار لكم فإما الأستسلام وإما المقاومة. فأجاب البارزاني قائلاً:

ليس هناك شعب يريد حقه في الحياة إلا وقدم تضحيات. ولكن كان هناك أخرون صرحوا قائلين: إن الدفاع بالأيادي الخالية يعني الأنتحار[٣٥].

لقد كانت النبرة في كلمة قاضي محمد تميل الى الأستسلام، وفعلاً اتخذ قرار الأستسلام وشكل وفد من أعيان المدينة المعروفين بموالاتهم للحكومة للأتصال بالقائد العسكري همايوني لتقديم التأييد والولاء باسم اهالي مهاباد، وسيّر القاضي محمد وفداً آخراً لمناقشة شروط الأستسلام والتمهيد لزيارة يقوم بها قاضي محمد للقائد العسكري همايوني، وفعلاً تمت الزيارة، وأستطاع قاضي محمد ان يقنع همايوني بضرورة منع اعمال السلب والنهب من قبل المرتزقة الداخلين لمدينة مهاباد.

وعلى خلفية هذا الأجتماع دخلت القوات الأيرانية بقيادة همايوني الى مهاباد دون أية

مقاومة يبديها الأكراد، وهذا كان أيذاناً بإسدال الستار على جمهورية مهاباد وكانت بمثابة حلم لذيذ لم يستمر طويلاً.

في الحقيقة ان مصير كردستان كان مقرراً قبل ان يقرره المجتمعون، فالمصالح الدولية كانت الأقوى في مسألة مهاباد، وكانت هذه القضية نقطة في اللعبة الدائرة بين القوى الدولية.

لقد طلبت كل من بريطانيا وأميركا من الأتحاد السوفياتي الأنسحاب من الأراضي الأيرانية، لتنفيذ ما وعد به أبان الحرب بسحب قواته من أراضي أيران، لكن ستالين أصر على البقاء، وكان تهديد ترومان بإلقاء القنبلة الذرية على الأتحاد السوفياتي. ففي أوج هذه الأزمة، في آذار ١٩٤٦ القى كلمته الشهيرة في " هولتون " التي اعتبرت بداية للحرب الباردة بين المعسكر الغربي والمعسكر الأشتراكي، وفي نهاية المطاف اضطر ستالين على التراجع، فأقدم على ذلك بسهولة لقاء صفقة التنقيب عن النفط في شمال أيران، ومقروناً بسحب جيشه من ايران، ولكن بعد سحب الجيش الأحمر من ايران فإن الصفقة لم تتم لأن البرلمان الأيراني لم يوافق عليها[٣٦].

لقد كان الجانب الأيراني لاعباً سياسياً ماهراً في المنطقة، والوضع السياسي في أيران كان وراء دخول قوات التحالف وتأسيس جمهورية أذربيجان وكردستان. وفي عام ١٩٤٥ أزيح عن رئاسة الحكومة الأيرانية حكيم الملك، وحل مكانه أحمد قوام السلطنة الذي أثبت كفاءته وحنكته السياسية واستطاع ان يكون لاعباً ماهراً في السياسة الداخلية والخارجية، فكان الأسلوب الميكافيلي الذي جربه في تحقيق طموحاته.

ساير حزب تودة (الحزب الشيوعي الأيراني) ذات النفوذ في الأوساط الشعبية، فمن أجل احتوائهم أعطاهم بعض المقاعد الوزارية في حكومته. وعلى النطاق الخارجي غادر قوام السلطنة الى موسكو واجتمع مع ستالين وأبدي استعداد حكومته لمنحهم امتياز التنقيب عن النفط في ايران مقابل انسحاب الجيش الأحمر من أيران، وتأييد الروس له لحل مسألتي أذربيجان وكردستان وعدها مسألة أيرانية داخلية. وعلى اثر هذا الأتفاق شكلت الشركة السوفياتية الأيرانية المشتركة، وهي معفية من الضرائب والقوانين الأيرانية، لكن مقابل هذا التساهل أصر السلطنة على موافقة البرلمان الأيراني على الأتفاقية قبل تصديقها لتكون نافذة المفعول.

يوم لم ترق محمد رضا شاه سياسة الأنفتاح والتساهل مع حزب تودة والأتحاد السوفياتي التي انتهجها رئيس الوزراء قوام السلطنة، عمد هذا الأخير الى تبديل سياسته فأخرج وزراء حزب تودة الثلاثة من الوزارة، وعمد الى البرلمان للمصادقة على الأتفاقية المبرمة مع الأتحاد

السوفياتي بعد انسحاب الجيش الأحمر من الأراضي الأيرانية، لكن بعد التصويت فإن البرلمان الأيراني لم يصادق على الأتفاقية المبرمة فشرح رئيس الوزراء الأيراني موقفه قائلاً: ما باليد حيلة عندنا السلطة للديمقراطية، وبهذا الشكل تحايل رئيس الوزراء الأيراني على ستالين كما يتحايل الكبار على الصغار[٣٧].

بخروج القوات السوفياتية كانت أيران قد بسطت نفوذها على أراضيها، وكان القضاء على حكومتي تبريز ومهاباد أمر يسيراً ولم يستغرق وقتاً طويلاً لأنه تم بدون مقاومة تذكر، وكان النتيجة لجوء البارزاني الى الجبال واستسلام القيادة الكردية المهابادية للحكومة الأيرانية.

تعتيم إعلامي

منذ مطلع القرن التاسع عشر بدأت كردستان تشهد اندلاع انتفاضات وثورات مسلحة وكان يجب تغطية هذه الأحداث من قبل الأعلام الأعلام العالمي، لكن الدول التي تتقاسم مصير الشعب الكردي كان يصب في مصلحتها فرض تعتيم أعلامي على مجريات هذه الأنتفاضات والثورات في كل من العراق وتركيا وإيران فقد شهدت كردستان بين ١٧٨٨ و١٩٧٥ اندلاع اكثر من ٢٥ ثورة وانتفاضة وحركة مسلحة ومحاولات استقلالية[٣٨]. لكن في هذه يكون عدد من الرحالة والكتاب قد شقوا طريقهم في هذه البلاد الوعرة ليكتبوا عن معلومات اثنوغرافية عن الشعب الكردي الذي يقطن العراق وأيران وتركيا ومنهم فريزو (Fraizer) ومينورسكي Minorrisky وهاريس (Harris) وعالم الأجناس البروفسور هادون (Haddon)، ورحلة متنكر الى بلاد ما بين النهرين وكردستان وهو سون (Soane) وكانت رحلته عام ١٩٠٩ وتنكر بهوية مواطن ايراني وباسم ميرزا غلام حسين شيرازي، لكن بقيت الثورات والأنتفاضات دون ان يسمح لأخبارها بالتسرب الى الرأي العام العالمي. فكانت قضية الشعب الكردي عموماً يلفها الغموض والتهميش.

أما قضية جمهورية مهاباد فيبدو ان حصار إعلامي قد التف حولها، حيث اشتهرت الجمهورية الكردية بعد موتها. وكتب آرشي روزفلت الأبن مقالة حول جمهورية مهاباد باللغة الأنكليزية في جريدة الشرق الأوسط في تموز ١٩٤٧، وكتاب وليم أيغلتن الأبن بعنوان جمهورية مهاباد جمهورية ١٩٤٦ الكردية وذلك عام ١٩٦٢ ترجمه المرحوم جرجيس فتح الله المحامي سنة ١٩٧٣.

اما الصحف السوفيتية التي كان ينبغي ان تنشر انباء هذه الجمهورية لكنها فضلت الصمت، مع توفر الحقائق من ان الأتحاد السوفياتي كان يدعم ويشجع قيام هذا الكيان، ويبدو انه كان يريد استخدام ورقة الأكراد اداة مساومة للضغط على أيران لتمرير اتفاقيات

النفط بين البلدين ومن ناحية أخرى لم يعط مساحة في صحفه لهذه القضية لكي لا يغيض الحلفاء بريطانيا وأميركا.

هنالك من الصحفيين من يركبون المخاطر والأهوال ويحاولون الوصول الى المناطق الساخنة لالتقاط الخبر المثير والطريف ليصيب الشهرة الواسعة وليثير اهتمام الرأي العام. إن مثل هؤلاء المغامرين كانت توصد امامهم الأبواب. فتفتقر الساحة من الأقلام الحرة وتنفتح للأخبار المطبوخة في دوائر الأعلام الرسمي للبلدان التي تجمعها مصلحة فرض الحصار على اخبار الأنتفاضات والثورات الكردية إلا ما تتناقله الأجهزة الرسمية لهذه الدول.

هوامش وملاحق الفصل السادس:

١ ـ حمد الماجد: طائفية ولا (مهاتير) لها، جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ٣٠ /٠٤ /٢٠٠٧

٢ ـ يوحنا قمير "نيتشة نبي المتفوق " ص ٢٥ منشورات دار المشرق، بيروت ١٩٨٦

٣ ـ صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ص ٨٨ ـ ٨٩ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا ١٩٩٩

٤ ـ فرنسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والأنسان الأخير ص٨٥ مركز الانماء القومي، بيروت ١٩٩٣

٥ ـ الدكتور دينيس كوماريوف:البارزاني وشهادة التاريخ ص ٤١

٦ ـ الدكتور علي عثمان:دراسات في الحركة الكردية المعاصرة، ص ٦٥٢

٧ـ الدكتور علي عثمان: المصدر السابق، ص٦٦٥

٨ ـ وليم ايغلتن الأبن: جمهورية مهاباد ص ٦٢

٩ ـ د. عبد الرحمن قاسملو "كردستان أيران " ص ١٢٢ ترجمة غزال يشيل أوغلو، دار الشموس للدراسات والنشر والتوزيع. دمشق سنة ١٩٩٩م.

١٠ ـ ايوب بارزاني: المقاومة الكردية ص ٢٧١

١١ ـ د. عثمان علي: مصدر سابق ص ٦٦٣

١٢ ـ د. عبد الرحمن قاسملو: كردستان أيران ص٥٠

١٣ ـ أدي شير " كتاب الألفاظ الفارسية المعربة " مادة الأبد، ط٢ دار العرب، القاهرة ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨

١٤ ـ أزاد ديركي: المدن الكردية ص ٨٦ رابطة كاوا للثقافة الكردية: لبنان ١٩٩٨

١٥ ـ وليام أيغلتن الأبن: جمهورية مهاباد الكردية ص ٥٤ ـ ٥٥

١٦ ـ وليم ايغلتن الأبن: المصدر السابق ص ٦١

١٧ ـ وليم ايغلتن الأبن: المصدر نفسه ص ٥٩

١٨ ـ آزاد ديركي: المدن الكردية ص٨٨

١٩ ـ باسيل نيكيتين: مصدر سابق ص٣١٦

٢٠ ـ د. عبد الفتاح علي بوتاني: مصدر سابق، ص٢١٦

٢١ ـ د. عبد الفتاح علي البوتاني: وثائق عن الحركة القومية الكردية، ص ٢١٧

٢٢ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال ص ٢٥١ ـ ٢٥٣
٢٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص ٢٨٧
٢٤ ـ مسعود البارزاني، المصدر السابق، ص ٢٠٤
٢٥ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال ص ٢٥٨
٢٦ ـ وليام ايغلتن الأبن جمهورية مهاباد الكردية ص ١١٩
٢٧ ـ د. عبد الرحمن قاسملو: كردستان أيران ص ٥٢
٢٨ ـ وليم ايغلتن: المصدر السابق ص١٢١
٢٩ ـ الدكتور عثمان علي، دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ص ٧٠٠ ـ ٧٠٢
٣٠ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية ص٢٦٠
٣١ ـ د. دينيس كوماروف: المصدر السابق ص ٤٢
٣٢ ـ كونتر دشنر: احفاد صلاح الدين الأيوبي ص ٢٠٧
٣٣ ـ د. كونتر دوشنر: احفاد صلاح الدين ص ٢١٢)
٣٤ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية ص ٢٧٠ ,
٣٥ ـ د. عثمان علي: مصدر سابق ص ٧٦١
٣٦ ـ د. دينيس كوماروف البارزاني وشهادة التاريخ ص ٤٣
٣٧ ـ د ز دينيس كوماروف: المصدر السابق ص ٤٣).
٣٨ ـ صلاح بدر الدين: القضية الكردية والنظام العالمي الجديد ص ١٤ القضية الكردية والنظام العالمي الجديد " رابطة كاوا للثقافة الكردية، بيروت ط١ سنة ١٩٩٣م.

ملحق وثائقي عن هذه الفترة:

وثيقة رقم ١

١ ـ وثيقة بريطانية عن العلاقات الروسية ـ الكردية وجمهورية مهاباد. عن الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكردية المعاصرة، ص ٧٧٧ وما يليها.

وهي وثيقة تشمل على الحديث الذي جري عن طريق الصدفة في قرية شيخ زينو بين ضابط سياسي بريطاني وهو الكابتن جاكسون وثلاثة من رؤساء العشائر الكردية القادمين من ايران وهم: حمد أمين آغا شنو رئيس عشيرة بيران، وقرني آغا شيخ قلعة رش والشيخ مصلح، أحد أقرباء شيخ عبدالله زينو.

ـ كابتن جاكسون: أين قريتكم في أيران يا آغا؟

قرني آغا: انها في قلعة رش ولكن اسمح لي ان اقول إنها ليست في ايران، إنها في آزربيجان.

ـ كابتن جاكسون: وكيف ذلك؟ اعتقدت ان آذربيجان هي جزء من أيران، وإنها المحافظة الشمالية.

قرني آغا: أوه، ألم تسمع؟ الآن عندنا حكومة مستقلة.

ـ كابتن جاكسون: نعم سمعت شيئاً من ذلك ولكن اليس هناك معارك دامية أيضاً؟

قرني آغا: لا، كانت تلك معارك جولات سريعة وحاسمة ولم يكن هناك أية مقاومة تذكر للقوات الأيرانية في معظم الجبهات.

ـ كابتن جاكسون: يعني هذا انكم كنتم مزودين بأحدث الأسلحة والعتاد فمن أين حصلتم على ذلك؟ هل سرقتم تلك الأسلحة؟

قرني آغا: (يجيب وبكل اعتداد بالنفس) لا بالتأكيد، حصلنا على الأسلحة من اصدقائنا الروس.

ـ كابتن جاكسون: هل ما تقوله حق؟ لأنني كنت اعتقد بأن الروس لا يتدخلون في الأحداث الداخلية في آذربيجان، لأنهم باستمرار يصرون على هذا الأدعاء.

قرني آغا: أوه، نعم ما أقوله هو الحقيقة، أعرف ان الروس يكررون سياسة عدم تدخلهم في الشؤون الداخلية الأيرانية مراراً، ويمكن ملاحظة ذلك في صحف تبريز ورضائية (أوروميـة) ولكن ذلك الأدعاء هو خدعة سياسية لأرضاء الحلفاء. ولكن مثلاً في (.Q.T هذه الموجزات غير معلومة ـ المترجم) زود الروس منطقتنا مهاباد خمسمائة قطعة سلاح وتسعة لوريات من العتاد. في الحقيقة يقوم الروس بتوزيع السلاح والعجلات العسكرية والعتاد بين الكرد بسخاء نادر وفي كل المناطق.

ـ كابتن جاكسون: أين بدأت المشاكل اولاً؟

قرني آغا: أوه في مهاباد. حيث كنا اول من أجبر القوات والمسؤولين الأيرانيين على مغادرة المدينة وحدث الشئ نفسه فيما بعد في المناطق الكردية الأخري.

ـ كابتن جاكسون: إذن الآن عندكم حكومة مستقلة. اعتقد هذا ما تفضلت به قبل قليل.

محمد أمين آغا: لا ولكن قريباً سيكون لنا حكومة مستقلة، لأن الروس قالوا لنا ذلك، ليس هناك بيننا وبين الأذريين أية مشكلة، فالأذربيجانيين يريدون ان يستقلوا في تبريز وستكون هناك حكومة مستقلة في مهاباد. ولكن الترك ـ الأذربيجانيين ـ الذين يشكلون الأغلبية في أذربيجان يريدون حكومة مستقلة واحدة، ويكون مقرها تبريز.

ـ كابتن جاكسون: كيف ستحسم هذه الخلافات بينكم وبين الترك؟

قرني آغا: غادر قائدنا القاضي محمد الى موسكو للتشاور مع ستالين حول هذه الأمور وإنه سيجلب بالتأكيد رداً أيجابياً لأن الروس يتعاطفون مع الكرد ويدعمونهم.

ـ كابتن جاكسون:: يبدو ان قائدكم هنا قاضي محمد رجل مهم جداً اليس هو رئيس كومه له؟

محمد أمين آغا: انحل تنظيم (كومه له) وحل محله الديمقراطي (الحزب الديمقراطي الكردستاني)، ولكن لا زال قاضي محمد رئيساً لنا وإنه قائد عظيم حيث يعرف اللغات الأنكليزية والفرنسية والروسية ولغات أخري.

ـ كابتن جاكسون: هل لكم جريدة محلية في مهاباد؟

قرني آغا: نعم ولقد بدأت الجريدة بالأصدار حديثاً، زودنا الروس بجهاز بالأوراق.

ـ كابتن جاكسون: هل عندكم قيادات مهمة بمستوي القاضي محمد؟

قرني آغا: نعم، يشرف الجنرال مصطفى البارزاني على الشؤون العسكرية في الحكومة وإنه مقرب جداً من الروس، وقد أعطي قاضي محمد له ولرجاله قطع كبيرة من الأراضي حول آشنوية وجمع له ولرجاله حوالي تسعة ملايين ريال أيراني.

ـ كابتن جاكسون: هل يشارك مصطفى البارزاني ورجاله في المعارك الدائرة الان؟

قرني آغا: نعم بالتأكيد.. يشرف كل من أحمد آغا ميركسور والشيخ أحمد البارزاني على المعارك في قاطع رضائية. وأن الملا مصطفى البارزاني يقوم حالياً بالعمليات الأستطلاعية، حيث زار شيناوه قبل يوم وغادر منها الى سردشت أيضاً.

ـ كابتن جاكسون: هل هذا يعني انكم تنون نقل المعارك الى سردشت أيضاً؟

قرني آغا: نعم وكذلك الى سنندج.

ـ كابتن جاكسون: ومتي تصل هذه المعارك الى نهايتها؟

قرني آغا: (وبكل اعتداد في النفس) إن ذلك لن يستغرق طويلاً.

ـ كابتن جاكسون: هل هناك من يتعاون معكم في تلك المعارك؟

قرني آغا: نعم يشترك معنا حمه رشيد خان في تلك المعارك.

ـ كابتن جاكسون: هل حمه رشيد خان حالياً في أيران؟

قرني آغا: هرب حمه رشيد خان مؤخراً الى العراق. وحسب الأدعاءات الروسية إن الأنكليز في العراق هم الذين سمحوا له بمغادرة البلد الى ايران وذلك من اجل تمكينه من بسط نفوذه في المنطقة الحدودية ضد السلطة المركزية في أيران.

ـ كابتن جاكسون: هل عندكم إداريين أكفاء لتولي زمام الأمور في حالة تشكيل الحكومة المستقلة لكم؟

محمد أمين آغا: نعم عندنا الكثيرون منهم. أضف الى ذلك ان الروس وعدونا الكثير من الدعم في هذا المجال.وإن المسؤولين الأداريين السابقين من الأصل الأزربيجاني لا زالوا في المنطقة.

ـ كابتن جاكسون: كيف تستطيعون الأستغناء عن الدعم المالي من الحكومة المركزية. علماً ان السلطات في طهران قد قامت في بتجميد كافة الأموال التابعة لكم في الخزينة المركزية في طهران؟

قرني آغا: نعم نستطيع ان نستغني عن دعمهم، ويقول الروس في حالة اعتراف الحكومتين البريطانية والأمريكية بحكومتنا المستقلة، فإنهم سيقومون بطبع النقود المالية لنا.

ـ كابتن جاكسون: وماذا سيحصل لو لم تقم الحكومتين المذكورتين بالأعتراف بكم؟

قرني آغا: ولماذا لا تعترف الحكومتين المذكورتين بحكومتنا؟ ألم تكرر تلك الحكومتان في اعلامهما مراراً عن استعدادها للأعتراف بالحقوق المشروعة للشعوب الصغيرة؟

ـ كابتن جاكسون: ألا تعتقدون ان بيع محصول التبغ سيكون صعباً هذا العام؟

قرني آغا: نعم نعتقد كذلك. لازالت حكومة طهران ترفض ان تدفع لنا مليوني ريال ثمن التبغ الذي أخذته منا العام الماضي. وترفض لحد الآن شراء محصول التبغ في العام الحالي. ولكن الروس يقولون: إذا رفضت طهران شراء محصول التبغ يقومون هم بدورهم بشراء ذلك وسيدفعون لنا مليوني ريال تعويضاً عن ثمن التبغ الذي رفضت الحكومة دفعه لنا.

ـ كابتن جاكسون: يبدو ان الروس هم الذين يقومون بإدارة الحكومة نيابة عنكم؟

قرني آغا: نعم انهم جيدون جداً، وإن الروس هم أخلص أصدقاء الكرد حيث انهم مستعدون لتلبية كافة متطلباتنا.

ـ كابتن جاكسون: ماذا قدمتم انتم الكرد مقابل كل هذا الدعم؟

قرني آغا: أوه، إنهم حصلوا على امتياز النفط ز

ـ كابتن جاكسون: هل بدأ الروس يفكرون باستخراج النفط من شمال أيران؟

قرني آغا: إنهم جلبوا مؤخراً العديد من المهندسين الى أيران لهذا الغرض.

ـ كابتن جاكسون: ماذا سيكسب الأنسان الكردي العادي من هذه التغييرات في منطقتكم؟

قرني آغا: إنهم سيحصلون على الأراضي التي يملكها ملاكو الأراضي الأغنياء الساكنين في طهران، كما وعدنا الروس ببناء المدارس والمستشفيات والطرق البرية وسكك الحديد.

ـ كابتن جاكسون: هل يعني ذلك انه في المناطق الكردية التي لا تتواجد فيها الأراضي لملاكي طهران ستقوم انت وأمثالك من الأقطاعيين الكرد بتوزيع أراضيكم على الفلاحين؟

محمد أمين آغا: (وبكل حماس) لا نحن لسنا شيوعيين بل ديمقراطيين.

ـ كابتن جاكسون: يبدو لي ان استقلالكم غير كامل ويسيطر الروس حالياً على مصيركم وإنكم مضطرون في الأعتماد المطلق في المستقبل على الروس.

قرني آغا: سيكون هذا الأعتماد لفترة وجيزة ولحين نستطيع الوقوف على رجلينا هذا ما وعدنا به الروس.

ـ كابتن جاكسون: ولكن انتم الآن بين نارين، أعلن الروس مؤخراً انهم سينسحبون من أيران في ألأول من آذار ١٩٤٦م.

قرني آغا: هذا مجرد وعد من الروس، ولكننا على ثقة بأن الروس سيظلون في المنطقة طالما أردنا ذلك.

ـ كابتن جاكسون: من هم القوميات الأخري الساكنة في أزربيجان؟

قرني آغا: هناك الآثوريون والأرمن.

- كابتن جاكسون: ألا تعتقد بأن الارمن في أيران سيهاجرون الى أرمنستان - أرمينيا - السوفيتية؟

قرني آغا: قلنا للروس ان إسكان الأرمن في أرمنستان سيؤدي حتماً الى نقص في السكان وهذا ليس في صالح الحكومة المستقلة. فالروس وعدونا بإبقاء الأرمن في أزربيجان كما وعدونا بإلحاق ثلاث مناطق داخل الأراضي التركية على الحدود الى حكومة أزربيجان المستقلة في المستقبل القريب.

نستنتج من هذا الحوار، أن الأعلام الروسي موفق ومناسب جداً للتأثير في العقلية القبلية الركدية. ووأن هذه العقلية الساذجة التي لا تفكر بالمستقبل وتعيش ليومها، لا تستطيع ان تستوعب سياسة الأنكليز في العراق وإن كانت تلك السياسة صادقة وواقعية في ألمد الطويل. لكن الروس بدورهم يقومون بإعطاء الكرد الوعود المعسولة والتي قد لا تكون معقولة بتحقيق مطالبهم فوراً، لهذا انهم حققوا نفوذاً كبيراً بينهم.

لوقمنا بمقارنة الحماس القومي الصاعد والآمال المنعشة بين الاكراد في أيران بالأحباط والتشاؤم السائدين بين الكرد الساكنين في رواندوز، لأدركنا بأنه ليس من المستبعد ان يحدث تحرك بين الكرد في العراق لتحقيق المطالب القومية.

وثيقة رقم ٢

تقارير بريطانية

تقرير الكابتن جاكسون: ١٣ / ٠٢ / ١٩٤٦ م رواندوز

٢ - وثيقة بريطانية بعنوان روسيا والأكراد مؤرخة في ١٠ / ٠١ / ١٩٤٦ وهي تدعو الى تدارك الموقف واتخاذ سياسة جديدة تجاه الأكراد في الدول التي تقتسم كردستان: أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال ١٩١٤ - ١٩٥٨م. ص ٢٥٥ وما يليها:

واضح الآن تماماً ان روسيا دخلت بلا هوادة حلبة الصراع السياسي في المنطقة، فماذا ستفعل مع الأكراد، وكيف سيكون ردنا؟ يستغل الروس حالياً القضية الأرمنية، ويأتي الأكراد فب المرتبة الثانية. وقد دعت روسيا أرمن المهجر الى ان يرفعوا صوتهم بالمطالبة بقارس وأردهان. وسنسمع من الآن فصاعداً من أكراد المهجر ان الأوضاع السائدة في تركيا وفارس والعراق لا تطاق.

ان التصريح الذي مفاده ان (دولة كردية سوفيتية سيعارضها معظم زعماء الأكراد غير

صحيح. غذ في كل بلدة يطلب الأكراد بصورة عفوية إنشاء المستشفيات والمدارس وحق الحكم الذاتي، وعلاوة على ذلك فهم يطلبون احياء لغتهم وتطوير ثقافتهم. وإن لم تستجب هذه الدول لهذه المطالب الواقعية والمتأصلة في نفوس الأكراد. فبإمكان روسيا اعلان الدولة الكردية في أية لحظة مناسبة تختارها وستستقبل فوراً بالترحاب.

مقترح عمل

يتوجب علينا اتخاذ إجرائين في آن واحد:

١ ـ إعلام روسيا باننا نعتبر الدول الأربع. تركيا وفارس والعراق وسوريا دولاً ذات تأثير أساسي في مصالحنا الحيوية، ولهذا فإننا نميل نحن الى تحرير الأقليات في المناطق التي تتطلب ذلك في تلك الدول.

٢ ـ ولكي نتقدم على هذا الطريق، إذا لم تقم أي من هذه الدول بحل مشكلتها الكردية، وهم لن يستجيبوا لذلك دون ممارستنا ضغوطاً هائلة عليهم، ويعرفون نوايانا الخيرة مقارنة بالآخرين، يجب علينا إقناع هذه الدول باتخاذ المبادرات المتعلقة بالحكم الذاتي المحلي لمواطنيها الأكراد. فنوري السعيد يفضل منح الحكم الذاتي غداً لأكراد العراق، وإذا ما واجه الترك الخيار بين فقدان المقاطعات الشرقية في بلادهم أو التعامل بإنصاف مع أكرادهم، أعتقد انهم سيختارون الحل الثاني.. وستذعن سوريا.. وحتى فارس فإنها ستسعى الى إنقاذ ما تبقي من بلادها.

يمكن تلخيص الأجراءات الواجب اتخاذها في جملة واحدة وهي.. المبادرة قبل فوات الأوان.

وليس هناك سوي إجراءات الأوتونومي المحلي (الحكم الذاتي) حيث مارستها روسيا بنجاح تام في تعاملها مع اقلياتها في القفقاس فجراء هذه الأجراءات تحول الأرمن العنيدون الى أقلية موالية وستثبت هذه الأجراءات أثرها الفعال أكثر بكثير مع الأكراد.

في كل الأحوال ليس هناك وقت للمماطلة، إما ان نقوم نحن بذلك او ندع روسيا تقوم بما تريد.

١٠ كانون الثاني ١٩٤٦ م

وثيقة رقم ٣

بريطانيا مهتمة وقلقة إزاء ما يصدر من الأتحاد السوفياتي اتجاه الأكراد، وكانت السفارات البريطانية في الشرق الأوسط تراقب عن كثب هذا التقارب وفي برقية سرية من موسكو الى

الخارجية البريطانية ومررة الى طهران وبغداد وأنقرة مؤرخة في ٢٤ / ١ ١٩٤٦ ماي بعد ستة أيام من اعلان جمهورية كردستان في مهاباد تقول:

لم ينعكس بعد الأهتمام السوفياتي المتنامي بالمشكلة الكردية في الصحافة السوفياتية. نشرت Moscow News عدد كانون الثاني يناير ٢٦ / ١ / ١٩٤٦ (تصدر باللغة الأنكليزية) مقالة خاصة في شأن الأنتخابات العامة السوفياتية. توحي المقالة بأن السلطات السوفياتية ربما تشعر الآن بضرورة شن حملة دعائية لمصلحة الأكراد على النمط المألوف في أذربيجان وأرمينيا إضافة الى اهتمامها بالحقوق القومية والمطاليب الجورجية.

٢- خصصت المقالة لبطل كردي في الأتحاد السوفياتي مثيم الآن في ارمينيا، وإذا ما انتخب للمجلس السوفياتي الأعلي فسيصبح العضو الكردي الثاني فيه، ولكن هذه ذريعة للتنديد بالأتراك، فاحتلالهم لقارص بعد الحرب العالمية الأولى أجبر العديد من الكرد على الهجرة الى أرمينيا السوفياتية. ويعتبر هذا ايضاً إطراء للمعاملة المتميزة للجالية الكردية في تلك الجمهورية ويبلغ عدد الجالية الكردية في ارمينيا ١٥ ألف شخص. ويذكر انهم خطوا خطوات واسعة في جمع التراث الثقافي وتكونت هناك (انتلجينسيا) فئة كردية مثقفة حديثة.

٣ ـ لم ألاحظ أي شئ مما ورد ذكره اعلاه في الصحافة الناطقة باللغة الروسية، لذا يبدو ان ذلك مخطط لأغراض الدعاية الخارجية.

وتقول برقية أخري من المبعوث البريطاني (Mr. Davis) الى السفارة البريطانية في طهران والذي زار كردستان لجمع المعلومات ومؤرخة في ٤ / ٢ ١٩٤٦م.

فوري وسري

عدت البارحة من سنندج والمعلومات المتوفرة هي التالية:

٢ ـ تم تعيين قاضي محمد رئيساً للجمهورية الكردية وحاج بابا شيخ ايسولو رئيساً للوزراء ورفعوا علماً خاصاً بهم. استدعي قاضي محمد الى تبريز، عاصمة حكومة أذربيجان الديمقراطية ونصحوه ان يشكل حكومة محلية تحت اشراف الحكومة (الديمقراطية) فرفض ذلك قائلاً:

إنه على تفاهم مباشر مع الروس وإن كردستان يجب ان تكون مستقلة وغير خاضعة للحكومة الديمقراطية في تبريز. ولم يكن امام حكومة اذربيجان إلا الموافقة. وتمتد المنطقة الكردية من مياندواب الى سردشت.

٣ ـ عن سماح السلطات العراقية بإفلات حه مة رشيد اغضب السلطات الفارسية في

كردستان. لقد حاول حه مة رشيد في بداية الأمر الذهاب الى مهاباد لينضم الى قاضي محمد، لكن الروس كانوا مرتابين في أمره ورفضوا السماح له حتى بإرسال رسول له الى مهاباد. وبعد التحقيق في أمره اقتنعوا بإخلاصه فمنحوه سيف شرف ومدالية ثم عين قائداً عاماً للقوات المسلحة الكردية في مهاباد. وكما يعتقد يبلغ عدد اتباعه ١٨٠ من الخيالة. وقد عاد احد اتباعه البكزادة الى بنجوين وسلم نفسه الى الحكومة العراقية.

تعيش زوجة حه مة رشيد في داروخان تحت الرقابة الحكومية.

لم يحظ مـلا مصطفى لحد الآن بثقة الروس، وقد غادر مع أخيه مهاباد، وهما الآن في منطقة نغدو، أما اتباعهم فمشتتون في اعداد صغيرة بين قري تلك المنطقة ويعيشون حياة بؤس.

ويعتقد ان اولئك الذين لا تطالهم عقوبة الأعدام بسبب صغر سنهم سيسعون الى العودة في الربيع الى العراق.

٤ ـ عين حاكم عسكري فارسي لسقز بانه. ويبلغ تعداد القوات الفارسية هنالك ٢٥٠٠ مسلح. وهذه القوة مدعومة بالدبابات والمدفعية. ولا توجد طرق مواصلات بين سنندج وسقز بسبب الثلوج، ولكن الأتصالات الهاتفية تعمل بانتظام، ولهذه القوات من المؤونة ما يكفي حتي نهاية شهر نيسان. اقترح الجنرال همايوني أرسال قوات خفيفة من ألحتياط الى ديفان دري خلال الأيام القليلة القادمة.

ليس للتقارير الواردة عن عمليات قام بها الديمقراطيون جنوب وشرق سقز وحتي ديفاندري اية صحة.

إذ لم يبعث لا الديمقراطيون ولا اكراد مهاباد بقوات الى جنوب خط سردشت بانة. سنندج. تكاب. الديمقراطيون في شاهين دز مهددون من قبل مناصري الشاه من الأفشاريين وعندما يسمح الجو بشن العمليات من المتوقع ان يسيطر انصار نظام الشاه.

حصلت مناوشات بين الديمقراطيين والذولفقاريين في زنجان قتل خلالها ستة من الديمقراطيين وقبض على ثلاثة من زعمائهم مع ١٥ بندقية ورشاشتين وعدد من القنابل اليدوية وأرسلت قوة من تكاب وبيجار من الأفشاريين لمساعدة ذو الفقاريين. (أيوب بارزاني: المقاومة الكردية للأحتلال ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨).

الفصل السابع

أعدام قاضي محمد

هل وفت الحكومة الأيرانية بالحفاظ على حياة القيادة الكردية حينما قررت هذه القيادة تسليم نفسها تحت غطاء الشرف الحكومي في الدولة الأيرانية؟ حيث ان الشاه وعده بعفو عام، وكان قاضي محمد يأمل بحل المسألة سلمياً بعد هذا الوعد من الشاه. إلا إن الأحداث اللاحقة أثبتت عكس ذلك.

في ١٥ كانون الثاني دخل همايوني على رأس قواته مدينة مهاباد والملاحظ ان هذه القوات لم تستقبل بحفاوة كما استقبلت في مدينة تبريز، بل لقوا امامهم أبواب موصدة ووجوه صامتة، وحال وصولهم المدينة توجه همايوني الى بيت قاضي محمد وتناول الغذاء معه. لكن بعد يومين بينما كان القاضي محمد في مكتبه لجأت القوات الأيرانية الى اعتقاله ومعه ٢٨ من قادة الجمهورية، وقد أحيل هؤلاء الى محكمة عسكرية التي أصدرت عليهم أحكاماً بالأعدام. وتم تنفيذ هذا الحكم بالقاضي محمد وأخيه صدر القاضي وابن عمه سيف القاضي - وزير الدفاع في حكومة مهاباد - في ساحة (جوار جرا - القناديل الأربعة)، وكان ذلك في ٣٠ آذار عام ١٩٤٧ م وأقدمت القوات الأيرانية على اعدام مجموعات عديدة من كوادر الحزب الديمقراطي الكردستاني الأيراني في مدن أخرى، ومع هذه الأعدامات بدأ عهد من الأستبداد والظلم في كردستان من جديد. فدامت فترة الحرية بين استبداد رضا شاه وبداية عهد ابنه محمد رضا شاه ١١ شهراً، وكأن الشعب الكوردي كان في حلم جميل أيقظته صرخات الواقع المحلي والأقليمي والدولي المر[١].

في المحكمة وقف قاضي محمد مرفوع الرأس وقال في كلمته أمام الحكمة:

انه يدرك منذ البدء ان الموت ينتظره وكان بإمكانه الخلاص فقد كان تحت تصرفه ستة سيارات وجيب وكان يستطيع اجتياز الحدود والنجاة لكن هذه أرضي كوردستان وهنا توجد قبور ستة أجيال من عائلتي.

لقد شملت لائحة الأتهام الكثير من التهم الخطيرة التي بموجبها اصدر قرار المحكمة بحكم الأعدام. ومن هذه التهم:

- التجارة بالنفط مع روسيا دون أعلام الدولة المركزية والحصول على الموافقات الرسمية.
- محاولة تغيير خارطة ايران وفصل الولايات الكردية.
- استحداث علم خاص بجمهورية كردستان يحتوي على شعار المطرقة والمنجل على شاكلة العلم الروسي.
- صك النقود لحكومة كردستان على شاكلة الروبل الروسي.
- تحديد خريطة كردستان الكبري التي تشمل أجزاء من العراق وتركيا وأيران وسورية.
- جلب أجانب الى أيران خاصة مصطفى البارزاني وإسكانهم بدون موافقة الحكومة المركزية.
- تهديد الشاه وإعلان الحرب وتحريض الكرد ضده.
- عقد اتفاقيات مع الحكومة الروسية والتعاون معها ضد أيران.
- إعلان استقلال كردستان واحتلال جزء من أراضي أيران باسم كردستان.
- أرسال بعثات الى روسيا وزيارة بافروف وأجراء المباحثات معه.
- اعتقال وقتل موظفي الدولة.

إن هذه التهم تحمل في طياتها الكثير من التلفيق بقصد تشويه سمعة قاضي محمد وإلصاق به بعض التهم التي ليس لها اساس من الواقع، فلم يكن هناك مثلاً علم كردي فيه



سادس والعشرون من أذار (١٧ كانون ١٩٤٥) العام الايراني ستبدل بالعلم الكردي في دار العدل بمهاباد

المطرقة والمنجل، ولم يجري قاضي محمد أي اتفاق نفطي مع السوفيات، بينما الحكومة الأيرانية هي التي أبرمت مثل هذا الأتفاق، لقد دافع القاضي محمد ورفاقه عن أنفسهم بكل دقة ونفوا التهم الموجهة اليهم، لكن المحكمة العسكرية الميدانية كانت في عجلة من امرها وأصدرت اوامرها، كما ان محكمة التمييز شكلت من الجيش ووافق عليها الشاه وأوصاهم بتأكيد قرار المحكمة الميدانية الأولى. ومن هنا ينبغي ان يكون حكم المحكمة قراراً سياسياً اكثر من كونه قراراً مهنياً بحتاً.

وعن حيثيات المحاكمة نقرأ بعض الوقائع المثيرة التي ينقلها الدكتور عثمان على عن كيومرس يقول:

بما ان القاضي محمد كان مصراً على رد جميع اتهامات المحكمة، صرخ المدعي العام في وجهه، وكلمه بغضب. فغضب القاضي محمد وقال بالفارسية: "إنك تجتر ما اجتر من قبلك" وأضاف إذا لم يكن لكم دين ولا تؤمنون بالله ولا تؤمنون بالحساب والكتاب، فلتكن لديكم ذرة من المروءة.. وبما ان هذه الكلمات تعد اهانة كبيرة عند الفرس، فلقد غضب المدعي العام وقال:

"انتم الكورد لكم صفات الكلاب "... فانتفض القاضي محمد في وجهه قائلاً له: "أنتم الكلاب وأنتم من لا شرف له ولا حياء، لأنكم لا تحترمون أنفسكم ولا الناس ولا القانون، لأنك عديم الشرف ليس بإمكانك إلا إصدار حكم اصدره عديم شرف آخر وأنت تنفذه.... إنني برئ وأقتل من أجل حرية شعبي فتلك نعمة من الله وأفتخر بهذا الموت الشريف... وفي معرض اجابته حول السماح للأجانب مثل الملا مصطفى البارزاني بالدخول الى الأراضي الأيرانية رد القاضي محمد قائلاً:

ليس الملا مصطفى اجنبياً بالنسبة لكردستان، لأن كردستان بيت كل كردي، ثم ان احداً لم يطلب منه المجئ بل انه تحول من جزء من بيته الى جزء آخر... وهنا اخرج العقيد نيكوزادة ـ وهو بصفة المدعي العام في المحكمة ـ قطعة قماش من حقيبته لونها أحمر وأبيض وأخضر وعليها شعار المطرقة والمنجل وقال للقاضي محمد: اليس هذا العلم لحكومتكم وتشكيلاتكم؟ بصق العقيد نيكوزادة على العلم ووضعه تحت قدميه.. فرد القاضي محمد على ذلك التصرف قائلاً:

أولاً ليست هذه راية كوردستان أبداً، لأن رايتنا ليس عليها شعار المطرقة والمنجل، إن تصرفك هذا يدل على قصور عقلك وشعورك فلتطمئنوا، فإن راية كردستان لن تصلها أياديكم حتى تدنسوها وسيأتي اليوم الذي ترفرف تلك الراية على هذا المبنى الذي أُحاكم فيه. لقد



مركز شرطة مهاباد في ١٩٦١

سلمت راية كردستان كأمانة لملا مصطفى البارزاني وسيأخذه من جيل الى آخر...[٢]

ومن حيثيات المحكمة ايضاً نطلع على مقال كتبه (سووره مه ركَه يي) معتمداً نص محاكمة الزعيم القاضي وهو من اعداد بدر الدين صالح، ونقتبس بعض الأسئلة التي يطرحها العقيد عطائي (ولم يوضح الكاتب ما هو دور عطائي في المحكمة، لكن الأسئلة تدور حول العلاقة مع ملا مصطفى البارزاني، ونحاول ان نقتبس بعض ما ورد في المقال وما يخص موضوعنا.

المعلوم ان النقطة السادسة في لائحة الأتهام كانت حول الأتيان بالأجنبي الى أيران ووضع جزء من أرض أيران تحت يده ويقصد بذلك الملا مصطفى البارزاني.

وجه السؤال الى قاضي محمد مفاده: منذ ان ترك البارزاني هذا المكان، هل كان لكم اتصال به؟ وإذا كان قد جري ففي أي يوم كان ذلك وكيف جري؟

قاضي محمد: كانت اتصالاتنا جارية الى ان وصل أطراف (شنو ونغدة)، ولكن منذ ان ابتعد انقطعت اتصالاتنا ولم يعد لي علم به.

ويُسأل: حين كان لك اتصال بالملا مصطفى، ماذا كانت توصياته؟ وماذا كانت خطته لانقاذك؟

قاضي محمد: حاول الملا مصطفى كثيراً ان اصطحبه قبل أيداعي السجن وطلب مني الا اعبر عن فرحي ببراءتي، وصور لي الملا مصطفى الصورة الحقيقية لكم انتم العجم وأفهمني وعرفني على حقيقتكم ومن أنتم.

ساله العقيد عطائي: هل يمكن ان توضح لنا ماذا وكيف كانت الصورة التي رسمها لك عنا؟

قاضي محمد: في الواقع لقد عرفكم البارزاني افضل من أي شخص آخر. قال لي الملا مصطفى: ليس ثمة شعب او أمة مثل العجم (الفرس) فحين يجد في نفسه القوة والسلطة، ليس هناك من هو أشد منه قسوة وظلماً وتجرداً من الضمير، إما إذا كان ضعيفاً فليس ثمة من يجاريه في الظهور بهيئة المتوسل...

العقيد عطائي: ألست نادماً لأنك لم تذهب معه؟

قاضي محمد: إذا لم يحسب الله تعالى هذا الشكل من الموت بمثابة إلقاء نفسي في موضع الهلاك، فلست نادماً.

سؤال: حينما كنت مسجوناً، هل كانت للبارزاني خارج مهاباد أي خطة او تصميم او أي شئ آخر من اجل إنقاذك؟

قاضي محمد: أخبرني البارزاني أنه يستطيع إرسال عدد من اليشمركَه في الليلة التي احددها، ليدخلوا الى المعسكر لانقاذي بأي شكل من الأشكال. كان الملا مصطفى يرغب كثيراً ألا أبقى في السجن وألا أُعدم.

سؤال: ولكن لماذا لم يقم بهذا العمل؟

جواب: انا نفسي لم أرد هذا.

سؤال: لماذا لم تكن راغباً في إنقاذك؟

جواب: لعدة أسباب.

سأله العقيد عطائي: ماذا كانت تلك الأسباب؟

قاضي محمد: في البداية كنت متمسكاً بالوعود والعهود التي ذكرتها، هذا اولاً، وثانياً لكي لا تراق المزيد من الدماء وخاصة من أجلي وأن القتل والقتال كان يقلقاني.

عطائي: هل كنت حقاً قلقاً على حياتك انت ام على البارزانيين او كنت قلقاً على جنودنا نحن؟

قاضي محمد: لا والله، ما كنت قلقاً على نفسي ولا على جنودكم انتم، وإنما كان قلقي على الكرد والشباب البارزانيين. وإلا كنت واضعاً هذا الأمر نصب عيني وكنت اعلم أنني سوف أُقتل وهذه أمنيتي.

العقيد عطائي: هل يمكن ان تقول لنا لماذا كنت قلقاً على البارزانيين الى هذا الحد؟

قاضي محمد: لان الملا مصطفى والبارزانيين هم أمل مستقبل الكرد، وإنني أودعت راية كردستان أمانة بأيديهم، وهم يحافظون عليها وستبقى عندهم الى اليوم الموعود، وهي ليست الراية التي بصق عليها العقيد وداسها بقدمه. آمل من الله تعالى ان يأتي يوم ترفرف هذه

الراية بيد البارزاني مع قوته وقدراته على هذه الدار التي أحاكم فيها الآن وعلى عموم كردستان[٣].

لقد كان القاضي محمد يدرك ما يضمر له المستقبل، وإن دفاعه لا يقدم ولا يؤخر من حتمية النتيجة المحسومة، فكان يتصرف كرجل شجاع دون ان يهاب ما تؤول اليه النتائج.

وعن اللحظات والأجواء التي سادت لحظات الأعدام وذلك يوم ٣٠ آذار ١٩٤٧ م، فنستفيد من الدكتور عثمان نقلاً عن بامشاد الذي يورد تفاصيل دقيقة عن تلك اللحظات، ونلخص فحواها بهذه السطور:

حالما انتهت وقائع جلسة محكمة نقل قاضي محمد وأخويه الى السجن الكائن في الثكنة العسكرية المجاورة لمهاباد، وكانت الأوامر صريحة من طهران بتنفيذ حكم الأعدام فوراً، وفي الصباح الباكر كان موعد تنفيذ الأعدام ـ وغالباً ما تنفذ الأعدامات فجراً ـ لكن السجانة (حراس السجن) قالوا لقاضي محمد وأخويه ان الدولة قررت أرسالهم الى طهران وسيتحركون بعد ساعة وعليهم ان يتهيئوا للسفر، فعمت الفرحة بينهم وأخذوا يتعانقون، ثم جمعوا امتعتهم الشخصية، وكذا نقل كل منهم في سيارة خاصة، لكن ليس الى طهران إنما الى مركز شرطة مهاباد، وحينما دخل القاضي محمد الصالة المعدة له ووجد ضابطاً من الطب العدلي وملا (عالم دين) ونسخة من القرآن، علم القاضي محمد بأن ساعة تنفيذ الأعدام قد دنت، وهكذا أراد ان يكتب وصيته وطلب من الملا الكردي أن يدون وصيته بالكردية لكن الملا رد بأنه لا يتقن الكتابة بالكردية، وفي هذه اللحظة الحرجة لم ينسى القاضي محمد حقوق امته الكردية فقال:

وهذا هو الشر الذي ابتلى به الكورد بأن أبناءه لا يعرفون الكتابة بلغتهم واضطر على إملاء الوصية بالفارسية حيث اوصى للأكراد بتوحيد الصف كما اوصى بتخصيص جزء من ثروته لتعمير المدارس والمستشفيات للكورد. وبعد ذلك امضى ساعتين ونصف في الصلاة وبعد الأنتهاء قال لهم إنه مستعد للأعدام.. ثم اتجه نحو المشنقة بكل هدوء ووقار وصرخ قبل أعدامه:

" تحيا كوردسان ". وأعقبه ابن عمه سيف القاضي الذي رأى جثة قاضي محمد معلقة، وصعد الى المشنقة بوقار وصرخ قبل ان يشنق قائلاً: عاش الرئيس القاضي محمد. وفي الساعة الخامسة فجراً جلبوا شقيقه صدر القاضي، والذي انهار حالما رأى المشانق وطفق يبكي ويقبل أحذية الجنود الأيرانيين، فصرخ في وجهه الملا الكردي قائلاً: اسمع إن هؤلاء الجنود وأنا غير قادرين على إنقاذك وإن الحكم هو حكم المحكمة فتصرف كرجل[٤].

إن قافلة شجرة شهداء الشعب الكردي تنمو باضطراد كنمو كرة الثلج، وبتعاقب الأجيال

تزدهر هذه الشجرة بسموها وكبريائها، وهي ترسل اغصانها وثمارها وأزهارها وعبيرها وظلالها لكي تحجز للشعب الكردي مكاناً تحت السماء الصافية على كوكبنا الأرضي.

البارزاني وجمهورية مهاباد[٥]

في أواسط الستينات زرت بارزان قادماً من القوش سيراً على الأقدام برفقة بعض اصدقائي من البيشمركة، وتراءت لي من بعيد هضاب بارزان وكانت شبه جرداء، لكن ودیانها لا تنقصها المياه الضرورية لأنبات وإنماء الكروم وأشجار الفواكه، وإن صح التقدير فإن المنطقة تناسب تربية قطعان الأغنام والمواشي أكثر من الزراعة. إن صيرورة الطبيعة هذه تكون قد أكسبت البارزانيين الميل نحو الحياة الرعوية، فتربية الأغنام والمواشي تدرّ العناصر الأساسية للطعام والملبس، إنها تعطي مشتقات الحليب وقليلاً من اللحوم، والملابس المنسوجة من الصوف، ويمكن تقدير الحياة الرعوية بأنها حياة كفاف، إذا ما قيست بالحياة الزراعية المستقرة نسبياً، وبرأي المتواضع أن الحياة الرعوية اكثر تطلقاً نحو الانعتاق وفضاء الحرية من الحياة المرتبطة بالزراعة والاستقرار في الارض ومن هنا يمكن اعتبار حياة البارزانيين التي كما قلنا يغلب عليها الطابع الرعوي، بأنها حياة صعبة لا أثر لها للترف، وهنا يتوفر مجال للزعم أن البارزانيين مجبولون على الحياة القاسية وشظف العيش ولهم قابلية على تحمل الجوع والعطش والتعب مع توفر عنصري الأرادة والشجاعة. والتطلع نحو الحرية مهما كان الثمن.

اجتاز ملا مصطفى البارزاني الحدود مع رجاله البارزانيين ليضع نفسه في خدمة الجمهورية الجديدة وليكون حامياً لحدودها، لكن هذه الجمهورية كان لها قصة مأساوية وبقي مصيرها المفجع ومصرع زعمائها على أعواد المشانق ذكري لا تبرح مخيلة قادة الكرد في العراق لاسيما ملا مصطفى البارزاني الذي كان من المحتمل جداً ان يقضي نحبه هو الآخر في ساحة جوار جرا (القناديل الأربعة) مع قادة الجمهورية في مهاباد. لكن كما يصفه أدامسن:

إن ملا مصطفى رجل مقدام مخلص لشعبه حكيم عاقل لكن ليس الى أقصى الحدود، عنيد لا يسلس له قياد، متمرس متعود على النضال والثورة. ما ان استسلم قاضي محمد وأظهر الخضوع حتي شق هو وأتباعه القبليون طريقهم فخرجوا من أيران عنوة وفتكوا وهم في مسيرتهم بأحد عشر من أغوات (مامه ش) وأخيراً بعد مصاعب جمة، اجتازوا شعاب جبال العراق وتركيا ثم أيران ثانية ليبلغوا حمي روسيا في العام ١٩٤٧م، تلكم هي الملحمة البطولية العظمي التي تروي قصة لجوء ملا مصطفى مع برزانييه الأربعمائة والستة والتسعين الى

روسيا مفضلين هذه الهجرة الشاقة على تسليم زعمائهم للسلطات العراقية التي ثاروا عليها بالأصل.. ويختم الكاتب كلامه قائلاً: إن المسيرة البارزانية الكبري والسمعة الأسطورية التي لصقت بزعيمهم، اضرت الكرد أكثر مما احسنت اليهم إذ منحتهم قائداً ربطت أسطورته هذه (إن لم تكن شخصيته) ذوي التفكير السياسي بالعشائريين، على انها خلقت نخبة ممتازة من البارزانيين صارت زعيمة أبرز مجموعة قبائل عسكرية الطابع وأبغضها الى قلوب سائر الزعماء القبليين[٦]. مهما كان راي الكاتب فإن البارزانيين المجربين في القتال وضعوا انفسهم في حماية الجمهورية الكردية الفتية.

لقد كانت هذه القوة تتألف من ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ مقاتل بارزاني فضلاً عن الضباط النظاميين الكورد الذين رافقوا البارزانيين الى كردستان أيران، وكلف ملا مصطفى البارزاني بتاسيس الجيش الكوردستاني وأصبح في نيسان ١٩٤٦ جيش كردي قوامه ١٥٠٠ مسلح بارزاني وثلاثة أفواج نظامية و ٧٠٠ جندي في جيش كوردستان مهاباد وأعطي البارزاني لقب الجنرال. واستطاع البارزاني من جانب آخر من معظم العشائر الكردية الى الأنضواء تحت علم كردستان، ويورد الأستاذ مسعود البارزاني اسماء عشرات القبائل والتي ساهمت بالمقاتلين وبلغ مجموعها ٨٨٠٠ راجل وألفاً وسبعمائة فارس.

إن الجيش الأيراني لم يكن ساكتاً على الأستعدادات الكردية، وفعلاً تقدمت قوة من الجيش الأيراني تقدر بفوجين واحتلت قمة قاراوا ونصبت فوقها رشاشات غطت بنيرانها المنطقة، لكن هذه القوات لم تلبث كثيراً في مواقها فقد تصدي لها الفوج الأول البارزاني بهجوم مباغت عنيف استمر حتي الغروب وأسفر عن استعادة القمة وكان تاريخ معركة قاراوا حسب رواية أيغلتن في يوم ٢٩ / ٤ / ١٩٤٦ لكن محمد عيسي وهو احد المشاركين في هذه المعركة ان تاريخها كان في ٣ أيار أي بفارق أربعة أيام، ومهما كان التاريخ في هذه المعركة أسفرت على خسائر كبيرة تكبدتها القوات الأيرانية، ويقول الأستاذ مسعود البارزاني ان نهر قاراوا حين بين البارزانيين وبين الأستيلاء على بطارية مدفعية كانت منصوبة في موقع متقدم شمال شرق سقز، وكانت نتائج هذه المعركة مقتل ٨٠ جندياً ايرانياً من بينهم عدد من الضباط تركت جثثهم في أرض المعركة ووقع بأيدي البارزانيين ١٢٠ أسيراً، ومن الغنائم سبعة عشر رشاش وبنادق ومدفعان ولم يتكبد البارزانيون أي خسائر تذكر، ونقل الأسري الى مهاباد عبر القري، وكان وقوع الأسري من الأيرانيين بيد المقاتلين أمراً لا يصدق بالنسبة للقروين، وقد أثبتت هذه المعركة كفاءة وخبرة البارزانيين القتالية، كما برهنت على ان البارزانيين ينطلقون في نضالهم بمنظار قومي، وإن كردستان هي ساحتهم النضالية.

لقد دفع هذا الأنتصار الكبير القاضي محمد والملا مصطفى البارزاني بالتوجه الى الجبهة

وتفقد الفوج الذي خاض المعركة وحقق الأنتصار ووجه لهم كلمات الشكر والتقدير وأهدي قاضي محمد مبلغاً قدره ١٤ ألف تومان الى مراتب الفوج.. والي ذلك اليوم لم يكن أبناء على علم بما يستطيع البارزانيون إنجازه في سوح القتال إلا القليل، فرفعت معركة قاراوا من شأنهم لا في أعين أبناء المنطقة وحدها بل في أعين جماهير كردستان[٧].

ومن المساهمات البارزانية الأخرى في حياة جمهورية مهاباد كانت معركة (مل قرني) او (مامة شاه) وكانت هذه المعركة بمبادرة الهجوم الذي شنه الجيش الأيراني في ١٥ / ٦ / ١٩٤٦ م وكان الهدف رد اعتبار القوات الأيرانية المندحرة في معركة قاراوا، فكانت معركة شرسة أظهر فيها الجيش الأيراني عناداً شرساً واستخدم فيها الأسلحة كافة بما فيها الدبابات وأسناد الطائرات الحربية، وأمام المقاومة التي ابداها المقاتلون البارزانيون كسرت حدة الهجوم وتحول المدافعون الى مواقع الهجوم، واندحرت مرة اخرى القوات الأيرانية متكبدة خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات، وبالمقابل أصيب عدد من البارزانيين بجراح واستشهد في هذه المعركة خليل ابن ابراهيم خوشوي وكان يبلغ من العمر ١٩ سنة.

في هذه المعارك أثبت البارزانيون وجودهم ومكانتهم في كردستان أيران، ولكن للحياة سيرورتها، ففي هذه الأصقاع كانت العشائر تنازعها المصالح، فالخلافات على الأملاك والأراضي تطغي على الجانب القومي والسياسي وحتى الأنساني، ويلاحظ البارزانيون بشئ من الغرابة الى العلاقات بين الشيوخ والآغوات من جهة وأفراد العشائر العاديين من جهة اخرى وفي الغالب كانت مبنية على الأستغلال والظلم، وهذا السلوك كان غريباً في العلاقات السائدة بين شيوخ بارزان وأفراد العشيرة.

وربما كان موقف البارزانيين للتدخل في ايقاف الظلم عن الرعايا، ذريعة للتقاعس عن تقديم الأقوات والأرزاق للأسر البارزانية المتواجدة في منطقته، لقد كان البارزانيون مثالاً وقدوة حسنة لأداء الواجب وتنفيذ الأوامر وتحاشي المشاكل، ولكن مع هذا فإن الحقيقة التي تقول إن الأنسان لا يأخذ راحته التامة إلا داخل جدان بيته.

إن الأنسان غريب حتي في بيت أخيه، إنها حقيقة تنطبق في كل الظروف.

بالأضافة الى فقدان البارزانيين لمتلكاتهم وأرضهم فقد كانت الأقدار متربصة لهم. لقد أثر النقص في المستلزمات الطبية ووسائل الوقاية من الأمراض المعدية فوجد مرض التيفوئيد في هذا القوم وسطاً سهلاً للتفشي والفتك بهم وقد اودى هذا المرض بحياة أكثر من (١٥٠٠) شخص خلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٤٦ م، وبسبب غياب الأطباء وتعذر وسائل العلاج فقد أوقع المرض ضحايا من البارزانيين أكثر بكثير مما تكبدوه في سير المعارك

المحتدمة، واستمر تأثير الوباء الى عام ١٩٤٧ م حيث تصدي له قدوم طبيب سوفياتي مع كمية من الأدوية، لكن الحصيلة النهائية كانت(٢٠٠٠) بارزاني بينهم رجال ونساء وأطفال بحيث لم تعد هناك قرية في كردستان أيران لا سيما مناطق مهاباد وأشنوية وبوكان إلا وتجد فيها عدد من قبور البارزانيين، ومع هذه الكارثة فقد وقع على البارزانيين ان يسند اليهم الواجب الرئيسي والأهم وهو الدفاع عن الجمهورية، وكانوا عند حسن ظن اخوانهم الذين أناطوا بهم هذه المهمة، فاصبحوا الذراع الضاربة لجمهورية مهاباد، لا سيما بعد ان تنكصت قوات العشائر المحلية وتقاعست في إداء واجبها.[٨]

العلاقة بين قاضي محمد والبارزاني مصطفى

في عالم السياسة تتفاوت وجهات النظر حول شأن ما، ويذهب المحللون في تفسير الأختلاف بين شتى المذاهب، وفي مجمل العلاقات بين ملا مصطفى البارزاني والقاضي محمد كل فسرها بما تمليه عليه مصلحته.

إن إقحام فرضية وجود اختلاف او بروز تنافس على قيادة الجمهورية بين ملا مصطفى البارزاني والقاضي محمد لم يكن له ارضية على الواقع، فالأكراد في أيران بقيادة قاضي محمد وهو ذروة أعلان الجمهورية الكردية، أعلن عن جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن الأراضي الأيرانية والدليل ان تشكيلة الحكومة التي أعلنها لم تحتوي على وزارة الخارجية، ومن جانب آخر فإن البارزاني صحيح هو أبن الأمة الكردية، لكن هذا الأنتماء لا يعني مطلقاً القطيعة مع كردستان العراق او الوطن العراقي عموماً، وهكذا كان اهتمام البارزاني وتركيز نضاله على الأراضي العراقية، وكحصيلة لهذا الكفاح المرير، كان اكراد العراق يحصلون من الحقوق أكثر من أقرانهم في الدول المجاورة، إن كان على نطاق الحقوق الثقافية او السياسية والأقتصادية، وفي هذا السياق لا يمكن الزعم بوجد منافسة على الزعامة في جمهورية مهاباد.

في الحقيقة كان ثمة رأي لملا مصطفى البارزاني مفاده ضرورة التقرب والتنسيق مع الروس أكثر مما كان يحبذه قاضي محمد. وهذا لا يعد خلافاً بحد ذاته لكي يكون حوله صراع ما، إنه قاضي محمد الذي كلف البارزاني بتأسيس الجيش الكردستاني وهو الذي خلع عليه لقب الجنرال في هذا الجيش، وكان البارزانيون بمثابة السند الذي يستند اليهم.

لقد أدركت الشخصيتان اهمية تمتين الأواصر التي تربطهما من اجل الجمهورية، وإن كل منهما يساهم من جانبه في تشييد هذا الصرح، وإن أي إخلال في في هذه الوشائج سيؤثر حتماً على عملية البناء التي تتطلب تظافر كل الجهود، فكيف بهما وهما يقفان على قمة هرم

المسؤولية؟ ومن هنا نستطيع ان نخمن ان العلاقات كانت صميمية بين الرجلين.

في آخر يوم من حياة الجمهورية بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٩٤٦ حيث كان الجيش الأيراني يحاصر مهاباد قام البارزاني رغم المخاطر المحيقة بالمنطقة بزيارة الى القاضي محمد واقترح عليه عدم تسليم نفسه والصعود معه الى الجبل لمقاومة القوات الأيرانية، ولكن كان للقاضي محمد رأياً آخر... وكان البارزاني يعرف حرص وإخلاص القاضي محمد للكورد، فأراد إنقاذ حياته من الموت المؤكد. وفي أثناء محاكمة القاضي محمد قال وبكل صراحة:

إنه أعطى راية الكورد للبارزاني وهو رجل عظيم وذو اخلاق حميدة... ويستطرد قاضي محمد القول أثناء محاكمته فيضيف: لم يكن البارزاني أجنبياً على أرض كوردستان أيران، بل كان كوردياً يحق له ان يعيش في هذا الجانب من الحدود في مهاباد او في الجانب الآخر في كوردستان العراق. وقد عرض عليه البارزاني وهو في السجن إنقاذ حياته ولكنه لم يرد ذلك. وقد وصف القاضي محمد مصطفى البارزاني بالعبارات التالية:

".. حسناً ولكنني لن أقول أكثر من بضع جمل: الملا مصطفى يتصف بكل صفات الرجولة والكرم والشرف والأنسانية والشجاعة والأقدام والجرأة، والتي اتصف بها من خلدهم التاريخ..[9]

وثمة شهادة أخرى على متانة العلاقة بين البارزاني وقاضي محمد من علي ابن قاضي محمد الذي كان شاهداً على الأحداث، ففي مقابلة صحفية له ينكر علي قاضي محمد وجود أي خلاف او نفور بين أبيه وبين ملا مصطفى البارزاني ويورد هذه القصة كدليل على كلامه يقول:

كنت مرة مدعواً في نغدة لدي أحد الأشخاص فدخلت البيت وذهبت الى غرفة الضيوف، ولما لمحني البارزاني الذي كان حاضراً هناك، وقف على رجليه تكريماً لي واعطاني مقعده قائلاً:

نحن مدينون لكم فأنتم تمثلون القائد.

هذا ولم تكن ثمة وثائق تذكر عن وجود خلاف او نفور بين القائدين التاريخيين ولكن من الطبيعي ان يكون لهما آراء مغايرة في خضم تلك الأحداث الساخنة التي مرت بالجمهورية[10].

وكان اللقاء الأخير بين الزعيمين

في اواسط الأربعينات يكون البارزاني قد ولج مرحلة عمرية يكون فيها قد اكتسب تجارب وعبر من خلال خوضه لمعترك الحياة الذي تميز بالمصاعب والقساوة، فيها خوض المعارك



"جمي صابلاغ" ومهاباد. منزل "قازي محمد" يرى في اعلى الصورة من اليمين ١٩٦١

والتنقل بين الشعاب الوعرة والوديان العميقة والقمم العالية فيها الحل والترحال والأنتقال من منفى الى آخر، فيها الصديق والعدو والخائن، إنها لوحة لحياة نادرة زاخرة بشتي الألوان والدروس والعبر قل مثيلها.

لقد كان البارزاني يدرك من تجاربه انه ليس من الحكمة وضع نفسه او صديقه رهينة بيد العدو مهما كانت الأسباب والبديل عن ذلك هو الأعتماد على القدرات الذاتية مهما كانت متواضعة فهي أفضل من تسليم النفس بيد العدو مهما تظاهر بالعطف والرحمة، انها المساحة الفاصلة بين الحرية وبين الأسر، هذه الدروس تعلمها ملا مصطفى البارزاني في مدرسة الحياة.

ومن هذا المنطلق أراد البارزاني ان يقنع القاضي محمد لكي لا يذهب لقمة سائغة بيد السلطات الأيرانية، وفقدانه ستكون خسارة كبيرة لكردستان التي كرسوا حياتهم من اجلها.

توجه البارزاني الى مهاباد وعقد اجتماعاً مع قاضي محمد والمسؤولين الآخرين للبحث فيما يترتب القيام به إزاء الأحداث المفاجئة، وظهر له ان مسؤولي مهاباد ليس في نيتهم مقاومة الجيش الأيراني، وإنهم سيستسلمون، ولم يكن ثمة من يدافع عن العاصمة سوي البارزانيين فقد تحول رؤساء العشائر الى موقف العداء العلني للجمهورية، وراحوا يعلنون تأييدهم للجيش الأيراني وينتظرون قدومه.

إن هذا الموقف يلخصه الأستاذ مسعود البارزاني عن لسان أبيه ملا مصطفى البارزاني

الذي التقي قاضي محمد للمرة الأخيرة مساء يوم ١٦ / ١٢ / ١٩٤٦ م يقول:

ذهبت الى القاضي محمد واستفسرت منه عما ينوي القيام به شخصياً فأجاب أنه ينوي ان يضحي بنفسه من أجل ان تحقن دماء أهالي مهاباد وأنه سوف يسلم نفسه الى الجيش الأيراني، وقال انه أرسل وفداً الى الجنرال همايونوي يخبره بذلك وطفرت الدموع من عينيه وهو يواصل كلامه: أياك ان تعتمد على أحد غير جماعتك، فكل الذين حلفوا يمين الولاء خانوا وراحوا يتسابقون في أعلان اخلاصهم للجيش الأيراني، وأنصحك بالحذر من رؤساء العشائر الذين سينالون منكم إذا استطاعوا اليكم سبيلاً، ورجائي ان تغادر مهاباد بأسرع وقت لتحاشي الأصطدام مع الجيش الأيراني[١١].

في نفس السياق وهو قيام البارزاني بمحاولة أقناع القاضي محمد بالخروج من مهاباد والأتجاه الى الحدود العراقية إلا ان القاضي محمد أبي الأقتناع بأن حياته ستتعرض الى للخطر إذا بقي. فلم يمكث ملا مصطفى في البلد وأسرع الى الخروج منها. وفي هذا الصدد يقول جرجيس فتح الله في حاشية في كتاب مهاباد، وهو مترجم الكتاب المذكور يقول:

حدثني صديقي المرحوم دكتور (ميرخاص) وكان طبيب أسنان في مهاباد إذ ذاك وهو عراقي الأصل نزح أجداده من بلدة القوش العراقية. قال أن ملا مصطفى جاء مساءً، وطلب منه ان يصحبه الى منزل قاضي محمد للعمل معه على إقناعه بترك مهاباد. فنزلا اليه ولكن دون ان يفلحا في إقناعه. وقال الدكتور ميرخاص أنه كان على شبه يقين بأن السلطات لن تمسه بأذي. وكان يشعر بكرامته وبالخجل من الفرار في وقت المحنة.. ويضيف جرجيس فتح الله، انه لم يتح لي الوقت للتأكد من صحة ذلك من السيد البارزاني شخصياً[١٢].

إن لحظات الفراق تبدو صعبة لا سيما تلك اللحظات التاريخية التي تلوح في الأفق السحب الداكنة حيث يتواري المصير المجهول وراء ها. ولكن مع هذه السوداوية لم يدخل في حساب الملا مصطفى البارزاني تسليم نفسه للسلطات الحكومية في أيران او في العراق، إنه يتنسم رحيق الحرية ولا يمكن تصور الحياة بدونها، فالحرية بالنسبة للبارزاني تعني الحياة وإن فقدت هذه الحرية فلا معنى للحياة بعدها، ومن هذا التصميم الذي لا يلين يقول البارزاني جواباً للقاضي محمد عما ينوي فعله يقول:

سنجمع أهلنا وذوينا وقواتنا في منطقة (أشنويه) و(مه ركَه فه ر) ونتحاشى الأصطدام مع الجيش الأيراني، حتى يحل الربيع ثم نحاول إقناع الحكومة العراقية بإصدار عفو عام عن ذوينا على الأقل، فإن خاب أملنا فسنتوجه معهم الى الأتحاد السوفياتي، لن نستسلم لا للجيش الأيراني ولا للجيش العراقي، ويستطرد البارزاني:

ثم بدأت الح عليه بترك مهاباد ومرافقتنا ووثقته بكلمة شرف مؤكداً بأني لن أتردد عن التضحية بنفسي ومن معي كي لا يمسه سوء لأنه رمز أمة، وقلت له وأنا أنصحك بدوري أن لا تثق بوعود الحكومة الأيرانية وانه ليعز علينا أن يقع أول رئيس لجمهورية كردستان بيد الأعداء أسيراً. ـ وأستميح العذر من القارئ الكريم لهذا الأقتباس الطويل ـ ويستطرد البارزاني:

فنهض القاضي محمد من مكانه باكياً وقبلني وقال:

أدعو الله ان يوفقك ويحفظك ولعل حياتي ستكون فداءً للمواطنين وعاملاً على تجنبهم لبعض ما سينالهم، وتخفف من حدة الأرهاب الذي سينزل بهم، قال هذا وأخرج من جيبه علم كردستان وسلمني أياه وأردف قائلاً:

هذا هو رمز كردستان، أسلمه لك أمانة في عنقك، لأنك في رأيي خير من يحفظه.

ويستطرد البارزاني: وفي جو يخيم عليه الحزن والأسي ودعته وخرجت متوجهاً الى نغدة. وفي اليوم التالي ١٧ / ١٢ / ١٩٤٦ كان دخول الجيش الأيراني الى مهاباد وكان ذلك بعد انسحاب البارزانيين من هذه المدينة. بعد سقوط مهاباد تلاشت آمال الملايين من الأكراد في انحاء كردستان كافة.. واسدل الستار عن الجمهورية الفتية[١٣].

البارزانيون والخيارات الصعبة

كان الجيش الأيراني يحسب ألف حساب للوجود البارزاني في المنطقة ولم يدخل مدينة مهاباد إلا بعد التأكد من خلوها من القوات البارزانية، فقد دخلوا الى المدينة بهدوء وبسر، ولكن قبيل دخول هذه القوات مدينة مهاباد بذل المسؤولون الأكراد جهوداً كبيرة في أتلاف الوثائق والسجلات والصور وأوامر التعيين والبيانات وما له العلاقة في المساهمة بالحركة الوطنية الكردية، وألقيت كل هذه السجلات والمستندات في أتون الحمام العمومي في ثكنات مهاباد وبقيت أكداس رمادها شاهداً، وأخفي ما يمكن إخفائه من الأسلحة الخفيفة، وأخذ منه البارزانيون، والقسم الكبير من هذا السلاح أبقي لتسليمه الى الجيش.. وقد اتخذت كل هذه الأحتياطات لمعرفتهم من ان الحكومة لا ترحم.

في تلك الأثناء كان البارزانيون قد عسكروا الى الغرب من البلدة وفي (نغدة) الى الشمال الغربي في الطريق المؤدية نحو الحدود العراقية، وما هو ضروري لاستمرار البارزانيين على الحياة بالأضافة الى الماء والغذاء فهو السلاح، لأن السلاح هو ضروري لمن يتعامل معك بلغة السلاح.

ولهذا كان اختيار البارزانيين من السلاح الكردستاني في مهاباد قبيل رحيلهم الى نغدة يتألف من ثلاثة آلاف بندقية من أفضل البنادق، إضافة الى مائة وعشرين مدفعاً رشاشاً ومدفعي ميدان ومقدار كبير من الرمانات اليدوية.

إن سمعة البارزانيين القتالية وشجاعتهم قد طار ذكرها في الآفاق، وهكذا نرى الجنود الأيرانيين رغم أنهم كانوا مرهقين من مسيرتهم الطويلة ويعانون من البرد القارس فقد اضطروا الى بناء أبراج مراقبة لضمان سلامتهم والأمن داخل البلدة وللمراقبة الخارجية خوفاً من هجوم يباغتهم به البارزانيون والقبائل الأخرى المسيطرة على تلك الأنحاء[١٤].

في هذه المرحلة كانت الخيارات صعبة أمام البارزانيين، فالظروف انقلبت رأساً على عقب انسحاب القوات السوفياتية، سقوط جمهورية أذربيجان، سقوط جمهورية مهاباد، أنقلاب العشائر وميلها الى الجانب الحكومي، توغل الجيش الأيراني في قري ومدن المنطقة، كل هذه الظروف وغيرها دأبت على تقليص الخيارات أمام البارزانيين وقيادتهم. تركز الأهتمام بصورة رئيسية على تعزيز الدفاعات، فكان إنشاء خط دفاعي بين نغدة ومهاباد ودفاعات أخري، وكان ثمة اتفاق في الرأي في تجنب وتحاشي الأصدام مع القوات الأيرانية إلا في حالة الدفاع عن النفس بغية الأنتظار الى قدوم الربيع وذوبان الثلوج لتصبح الطرق سالكة من أجل العودة الى العراق او التوجه الى الأتحاد السوفياتي، الذي وضع من ضمن الأحتمالات التي يمكن سلوكها إن تعذرت العودة الى العراق.

كما ان القوات الأيرانية كانت تفضل تحاشي الأصطدام مع القوات البارزانية، وقد توقفت عن التقدم نحو نغدة، وكان الجنرال همايوني يأمل في ايجاد حل سلمي للخروج من هذا الوضع، ولقد تم الأتصال بين الجنرال همايوني وملا مصطفى البارزاني وأخيه الشيخ أحمد، وتحقق الأجتماع بين الطرفين في نغدة في بيت احد المتنفذين من التركمان وهو قولي خان قره باباغ وحضر الأجتماع مع همايوني العقيد غفاري. ولقد اوضح الشيخ أحمد للجنرال همايوني أن البارزانيين لا يرغبون مقاتلة الجيش الأيراني، ولا يريدون البقاء في أيران لكنهم يطلبون إمهالهم الى فصل الربيع لتذوب الثلوج وتصبح الطرق سالكة للعودة الى العراق سواء تم ذلك بالأتفاق مع الحكومة العراقية او بدونه.

ولكن هذا الطلب لم يستطع همايوني البت به واقترح ان يسافر ملا مصطفى البارزاني الى طهران لبحث المسألة هناك.

وكان من أمر الشيخ احمد ان وافق على هذا الأقتراح وأمر أخيه ملا مصطفى بالتوجه الى طهران بالرغم ما تنطوي عليه هذه المجازفة فما كان أمام البارزاني سوي الطاعة، وكان

الشيخ أحمد يؤكد ان ملا مصطفى سوف يعود.

سافر البارزاني الى طهران في ٢١ / ١٢ / ١٩٤٦ م وبقي الشيخ أحمد يتولى الأشراف على شؤون العشيرة واتخذت احتياطات دفاعية منها تقسيم القوات البارزانية الى ثلاث جبهات دفاعية، إذ كان الوضع يتطلب الحيطة والحذر بعد سفر ملا مصطفى البارزاني الى طهران.

اما ما كان من شأن البارزاني في طهران فقد استقبل باحترام ونزل في نادي الضباط والتقى بعدد من المسؤولين الكبار وفي مقدمتهم التقى مع الشاه ورئيس الوزراء ورئيس الأركان وغيرهم من المسؤولين. لكن كانت هناك شائعات تتسرب من أن البارزاني قدم الى المحكمة وحكم عليه وعلى مرافقيه بالموت وإن الحكم سينفذ قريباً بهم، وكان الملا مصطفى البارزاني يروي هذه القصة: جائني نوري أحمد طه باكياً. فسألته ما الذي جري؟ فأجاب ان أحد العاملين في النادي أبلغه أن حكم الأعدام قد صدر بحقكم، فقلت له لا بأس عليك بالموت أمر حتمي ولا فرق بين اليوم والغد. وعلي قول الشاعر:

إذا لم يكن من الموت بداً   فمن العجز ان تكون جبانا

ويضيف البارزاني أن نوري قال له: والله أني لا أبكي بسببنا بل على من سيبقي بعدك ثم رجاني أن أطلب من الأيرانيين أن يعدموه قبلي. لقد كانت ايران تؤمن بحقيقة مفادها أن وجود البارزاني في طهران يعتبر رهينة ثمينة، وهي تستطيع فرض إملاءاتها على البارزانيين وليس أمامهم خيارات سوى تنفيذ هذه الأملاءات، فأرسلت الحكومة وفداً الى الشيخ أحمد البارزاني في نغدة ليبلغه قرار الحكومة الأيرانية الذي توصلت اليه وهو تجريد البارزانيين من اسلحتهم ومن ثم نقلهم الى المنطقة المحدودة لهم في محافظة همدان على الحدود الأيرانية العراقية، وإذا احجم البارزانيون عن تطبيق هذا القرار فإن حياة ملا مصطفي البارزاني ستكون في خطر، لكن رد الشيخ أحمد كان حازماً حين رد التهديد بقوله:

أننا لا نخضع للتهديد والأبتزاز وكل فرد من عشيرة بارزان هو مصطفى البارزاني وافعلوا ما شئتم ولن نلقى سلاحنا، وسنحارب الى آخر رجل، هذا الموقف الحازم خيب آمال حكام طهران ولجأوا الى إبداء قدر كبير من المرونة تجاه البارزانيين[١٥].

لقد تصرف البارزانيون بمفهومية الحياة او الموت فالخضوع والأستسلام ربما يعنيان البقاء على قيد الحياة، لكن الحياة منزوعة الحرية لا يعشقها البارزانون، لقد كانت الظروف المحيطة بالبارزانيين صعبة للغاية بعد ان تمكنت الحكومة الأيرانية من بسط سلطاتها على المنطقة، فكان أعتقال قاضي محمد والقيادة الكردية، كما ان الحكومة جردت العشائر الكردية من

سلاحها وأعلنت ولائها للحكومة. ولكن موقف الشيخ أحمد الجرئ الواضح أجبر السلطات الأيرانية الى التريث قبل اتخاذ أية خطوة عسكرية بحق البارزانيين.

عاد الملا مصطفى البارزاني مهاباد يرافقه العقيد غفاري الذي أبلغ همايوني بتعليمات السلطات الحكومية في طهران التي تقضي بنقل البارزانيين فوراً الى همدان، الملا مصطفى البارزاني أبلغهم إن القرار النهائي بهذا الشأن منوط بالشيخ أحمد الأب الروحي لهذه العشيرة. وكان رد الشيخ أحمد رفضه للعرض الأيراني وإنهم (البارزانيين) سيعودون الى العراق حينما تذوب الثلوج وتصبح الطرق سالكة.

لكن السلطات الأيرانية كانت في عجلة من أمرها ففي اواسط شباط وصل همايوني وغفاري الى نغدة لمقابلة الشيخ أحمد وأخيه مصطفى البارزاني واضعين امامهم ثلاث خيارات:

١ـ ان يترك البارزانيون أيران فوراً.

٢ـ أن يسلموا اسلحتهم ويقبلوا بترحيلهم فوراً الى همدان.

٣ـ او ان يستعدوا لمواجهة الجيش الأيراني.



امير اللواء (متقاعد) فضل الله همايوني

كانت نشوة الأنتصار قد عصفت بالقيادة الأيرانية فالقوات الأجنبية قد انسحبت ومعها كان انسحاب الجيش الأحمر الذي كان يؤازر جمهورية أذربيجان الديمقراطية وجمهورية مهاباد الكردية، وتميز دخول القوات الأيرانية الى هذه المناطق دون معارك، وأصبح العائق الوحيد أمامها العشائر البارزانية ذات الخبرة القتالية، وكان الموقف المتخاذل للعشائر وموالاتها للحكومة عاملاً مهماً لتصميم الحكومة بالتصدي للقوات البارزانية.

امام هذا الواقع كان خيار التصدي للقوات الأيرانية بغية الدفاع عن النفس هو سيد الخيارات، فالطرق مكسوة بالثلوج، وإن سلوكها ضرب من الأنتحار لا سيما للأطفال والشيوخ، وتسليم الأسلحة والأنتقال الى همدان أيضاً هو ضرب من الأنهيار والأستسلام، فكان التصميم للدفاع عن النفس ومجابهة القوة بالقوة.

في هذا الجو المشحون بحتمية المواجهة استعد لها الطرفان، فمن جانبه تولى الجنرال فضل الله الهمايوني قيادة العمليات العسكرية يعاونه عدداً من كبار الضباط، ومن جانبهم فإن

البارزانيين عززوا مواقعهم الدفاعية على جبهة نغدة التي يتحصنون فيها وعلى عدة محاور، وكان البارزاني مصطفى قد احتفظ بقوة احتياطية ضاربة وهي تحت امرته مباشرة، ووقعت المعركة الأولى بين البارزانيين وفوج من الجيش الأيراني في قرية نه لوس قرب قرية أشنوية، ومني الجيش الأيراني بهذه المعركة بهزيمة ساحقة حيث قتل آمر الفوج وهو العقيد كلاشي وعدد كبير من الضباط والمراتب واستولى البارزانيون على مقر الفوج وغنموا جميع تجهيزاته وأسروا ثمانين جندياً وضابطاً، وكانت خسائرهم ستة شهداء.

لقد كان هذا النصر الذي أحرزه البارزانيون قد أرغم القيادة الأيرانية على أعادة النظر في خططها ومن جانبهم البارزانيون لم يدخل في حسابهم الأستمرار في القتال، إنما كان اهتمامهم ينصب في ايجاد مخرج من الوضع الذي ألمّ بهم، من ناحية فإن الحكومة العراقية الحت بأن تكون عودة البارزانيين دون قيد او شرط ولم تقبل بالشروط التي عرضها البارزانيون، فكان الأحتمال الأكثر قبولاً هو توجه البارزانيين نحو الأراضي السوفياتية بقصد طلب اللجوء. وبغية استطلاع الطريق والمخاطر المحاقة في هذه الرحلة توجه الملا مصطفى البارزاني في الحادي عشر من آذار الى الشمال، واجتمع مع رؤساء العشائر وحصل منهم على وعود بالمساعدة خلال عبورهم، ولكن دائماً يظهر يهوذا الأسخريوطي[16]** وكان في هذه الموقف المدعو (هويركو) الذي اسرع بالتوجه الى أرومية ونقل ما دار في الأجتماع الى الجنرال همايوني. وعندما عاد (هويركو) لم يكن لوحده بل رجع ومعه فوج من الجيش الأيراني وبعض أتباعه وحاصروا قرية " كَوجار " التابعة لعشيرة " البكَزادة " حيث يتواج البارزاني وكان ذلك ليلة ١٣ ـ ١٤ آذار. في صبيحة اليوم التالي شعر البارزاني أنهم مطوقون ويتحدث البارزاني نفسه عن ذلك فيقول:

حاولت جاهداً تحاشي الأصطدام إذ لم يكن سفري الى تلك المنطقة بنية القتال ولم تكن معي قوات كبيرة، فقد بقيت القوات في مواقعها الدفاعية في الجبهات وحاولت الخروج من القرية والعودة الى منطقة (مه ركه فه ر) دون قتال، ولكن ما ان صرنا خارج القرية حتى انهال علينا الرصاص من التلال المحيطة بالقرية، وكان هويركو ـ وهو أحد اقطاعيي منطقة البكَزادة ـ يركض ورائنا وهو يمتطي صهوة جواده ويصيح بأعلي صوته: لا تهربوا، أما انا ـ والكلام لا زال للبارزاني ـ فقد قررت ان شق طريقي بالقوة والقتال بهدف كسر الطوق المضروب حولنا، ونشب قتال بيننا ولم تمر ساعات حتي تحقق لنا فك الحصار وقتل هويركو وعدد من اتباعه وولي الباقون هاربين وعدنا الى " مه ركَه فه ر " وكانت خسائر البارزانيين شهيدان وعددا من الجرحي[17].

لقد أراد الجيش الأيراني ان يثأر لتلك الخسائر التي مني بها، فعزز القائد الأيراني قواته

للمبادرة بشن هجمات على القوات البارزانية المحصنة.

في ١٨ آذار ١٩٤٧ م شنت القوات الأيرانية هجوماً على كثيفاً على ثلاثة محاور في جبهة أشنوية ـ نغدة وساهم في الهجوم وحدات من الخيالة ومقاتلين من العشائر الكردية مع اسناد من الدبابات والمدفعية، لقد نشب قتال عنيف، ولم يكن هناك تكافؤ بين قوات الطرفين إن كان من الأسلحة والأعتدة او بين الأفراد، وبهذا التفاوت أفلح الأيرانيون في إزاحة البارزانيين عن مواقعهم والأستيلاء عليها حيث نفذت ذخيرتهم وأضر بهم الجوع بعد ان تقطعت سبل أيصالهم العتاد والمواد التموينية والأرزاق.

كتعويض للخسارة التي لحقت بهم يوم ١٨ آذار أفلح البارزانيون بأيقا ع قافلة عسكرية في كمين محكم، على الطريق العام بين نغدة ـ بيرانشهر في قرية قارنة وتكبدت القوات العسكرية الأيرانية خسائر كبيرة بين قتيل وجريح وأسير.

وفي ٢٥ / ٣ / ١٩٤٧ م شنت القوات الأيرانية هجوماً على منطقة "مه ركَه فه ر" وكانت تامل تحقيق النصر على غرار ما حققته في جبهة أشنوية، واستخدمت في هذه المعركة سلاح الطيران بكثافة، ثم تمكنت هذه القوات من الوصول الى إحدى القمم لكنها لم تفلح في المكوث فيها حيث شنت القوات البارزانية هجوماً مضاداً استردت هذه القمة ودمرت تلك السرية المهاجمة، وأسفرت هذه المعركة عن خسائر كبيرة للقوات الحكومية وكان بين القتلى شقيق هويركَو الذي جاء ليثأر لأخيه، كما أسر عدد من العسكريين من بينهم الضابط الملازم جهانياني وكان والده جنرالاً في الجيش، واستثمر هذا الضابط لتخفيف القصف الجوي على مراكز تواجد المدنيين البارزانيين فقد وجه البارزاني إنذاراً الى قائد الجيش الأيراني بأن حياة جهانياني في خطر إذ لم تتوقف الطائرات الأيرانية عن قصف المدنيين البارزانيين، وتوقف فعلاً قصف هذه الطائرات.

لقد كان الجيش الأيراني يهدف من هذه الهجمات قطع طريق العودة أمام البارزانيين، وكان هجومة في الثالث من نيسان عام ١٩٤٧ م آخر هجوم له وتقدم هذه المرة من أورمية لاحتلال مرتفعات نيركي (به ري زه ر) ويقول ملا مصطفى البارزاني: ان هذا الهجوم كان في غاية العنف وأظهر البارزانيون عناداً أكثر من اية معركة أخرى، واستمر القتال من الفجر حتي الغسق، وانتهى بهزيمة القوات الأيرانية بعد ان تكبدت خسائر فادحة جداً. لقد اصيب في هذه المعركة البارزاني نفسه بإصابا تطفيفة. واستشهد عدد من البارزانيين، وقد نجح البارزانيون في صد هجمات الجيش الأيراني، ومنع من الوصول الى الحدود وسد طريق العودة الى العراق، وكان محمد خالد البارزاني يساعد عمه البارزاني في هذه المعارك[١٨].

اوشك الوجود البارزاني في الأراضي الأيرانية على نهايته على نهايته بعد ان طويت صفحة جمهورية مهاباد، وعادت الكثير من القبائل الكردية الى التعاون مع الحكومة الأيرانية، كما اصبح في حكم اليقين التخلي عن فكرة اللجوء الى الأتحاد السوفياتي لاستحالة اجتياز ذلك الطريق الطويل المحفوف بالمخاطر وعدم الوثوق بكثير من رؤساء العشائر الكردية لمواقفها المتسمة بالأنتهازية.

ولم يبقي امامهم سوي خيار الدخول الى العراق ومهما كانت النتائج، ففي ١٠ / ٤ / ١٩٤٧ م، وسبق للحكومة العراقية ان اعربت عن استعدادها لاستقبال البارزانيين دون قيد اوشرط. وهكذا كان دخولهم عبر نهر الكَادر وكان في المقدمة الشيخ أحمد البارزاني ثم كان عبور العوائل، لكن الملا مصطفى البارزاني و٥٦٠ رجل من اعوانه اختاروا طريقاً خطراً ومستقبلاً مجهولاً بالتوجه الى الأتحاد السوفياتي. اما ما كان بشأن من دخل العراق فقد نفذ حكم الأعدام بأربعة ضباط ممن كانوا محكومين غيابياً ونقل البارزانيين الى الجنوب. وربما كان نفذ حكم الأعدام بملا مصطفى البارزاني لو سلم نفسه الى السلطات دون قيد او شرط، ويكتب عن ذلك معروف جياويك في كتاب مأساة بارزان يقول:

سألني المستر ديجبرون ـ وهو مستشار بريطاني في وزارة الداخلية العراقية ـ أتعلم بأسباب زعل سمو الوصي على الملا مصطفى؟ فقلت: لا، قال: لأنه ارتدي ملابس جنرالية الروس، فقلت: أظن أن الذي تأثر أكثر من سمو الوصي هم الأنكليز انفسهم، فماذا عساه ان يعمل وقد طرد من بلاده وطاردته أيران ولم تقبله تركيا، أكان بإمكانه رد هدية ستالين فإذا ما ردها أين يذهب؟ إنه ليس بذي جناح كي يحلق في الاجواء ولا هو سمكة كي يغوص في الماء، ثم قلت له ثق واعتقد لو ان الحكومة العراقية تركته وعفت عنه رغم التجني الحاصل لكان رجع مفضلاً لبس ملابس جندي بسيط، فقال المستشار: وقد أنصف القول:

إن هذا الرجل من الأبطال الذين سيدون التاريخ اسمهم بمداد من ذهب في سجل أفذاذ العالم، ثم قمت وانصرفت[١٩].

فذلكة المعارك العسكرية

علينا في هذه الفقرة اقتفاء أثر البارزانيين وتحركاتهم إذ كان لهم دور أساسي في مجرى المعارك العسكرية والوضع العسكري الدفاعي لجمهورية مهاباد، وفي يوم ١٠ / ١١ / ١٩٤٥ دخلت الآف العوائل البارزانية حوالي ١٠ آلاف شخص بضمنهم ٣٠٠٠ رجل يمكن تأهيلهم كمقاتلين، وكان بينهم اثني عشر ضابطاً وعدداً من المعلمين، ولهم عدداً من الرشاشات ومدفع ميداني واحد غنموها من الجيش العراقي.

في مـهاباد كـان ثمة السـلاح السـلاح الشـخـصي وبمعدل بندقيـة لكل منزل، وبعـد ذلك تم توزيع ١٢٠٠ بندقية لأعضـاء الحزب الديمقراطي الكردستاني وكانت هذه البنادق تعود للدرك الأيراني في الرضـائيـة التي سـبق ان احتلتـهـا قوات الجـمـهـورية الأذربيـجـانيـة ووصلت الى مـهاباد بشـاحنات روسـية. وتكون الجيش المهابادي الذي أريد به ان يكون تحركه تحت أمـرة ضـباطه ويتميز كنموذج عصـري بعيد عن الأسرة والقبيلة ويكون إخلاصـه للوطن والحكومـة، ومهمته الرئيسية الدفاع عن الجمهورية.

في الأسبـوع الثاني من آذار ١٩٤٦ تعرض الجيش الأيراني المرابط في منطقة سـه ردشت الى الجنوب الغربي من حدود الجمهورية الى هجوم شنّه زيرو بك وبعض أتباعه من الهركيين وبمسـاعـدة العشـائر المحلية وكان الهـجـوم الذي شـارك فـيـه نحـو ٢٠٠ مـسلح سـيئ القـيـادة والتنظيم ولم يحرز أي نتائج ولم تأمر به الحكومة.

بعد انسـحـاب الجيش الأحمر أعيد ترميم ثكنات الجيش في مـهاباد ليسـتخـدمـهـا جيش الجـمـهـورية. وفي نيـسـان تم تسليح ١٢٠٠ بـارزاني بالبنادق والمسـدسـات والرشـاشـات والرمـانات من المستودعات التي انشـأها الروس، واعتبر هؤلاء البـارزانيون افضل من الخيـالة الكردية القبلية او من الجنود المستجدين نواة جيش الثورة، وأتخذ هؤلاء مواقعهم الى الشمال من (ساقز) الواقعة الى الجنوب الغربي من مهاباد.

من مشـاكل جمهورية مـهاباد أيضـاً نزاع الحدود بينها وبين جمهورية اذربيجـان الأيرانيـة حـيث كـان تداخل المدن والقـري الأذربيـجـانيـة الكردية، وقـد تكون القناعـة الكردية بـأن يكون سـاحل بحيرة أورمية الغربي الذي يمتد ٩٠ ميل طولاً يجب ان يكون حدوداً لهم. ولأجل قطع الطريق امام أي نزاع عسكري بين الطرفين كانت معاهدة الصداقة المبرمة بين الطرفين برعاية السوفيات وذلك بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩٤٦ م وبعد أبرام هذه الأتفاقية وعودة قاضـي محمد الى مـهـاباد اسـتـدعـي القـادة العـسكريـين والمدنيين وطلب منهم ان يقـسـمـوا يمين الدفـاع عن جمهوريهم. وفي نيسان ١٩٤٦ سافر حوالي ٦٠ طالب للدراسة في باكو على ان تتبعها بعثات اخرى فتعود لتشكل الكادر الذي يسيطر على الوظائف العسكرية والمدنية.

على صـعـيـد الوضـع الميداني العـسكري كـان هناك تحـرك عـسكري أيرانـي باتجـاه القـوة البـارزانيـة في سـاقز وذلك لرفع معنويات الجيش الأيراني، وهـي ترمي أيضـاً الى زرع الرهبـة والخوف في القوات المعادية، واستمر الجيش في تقدمـه حتى وصل قرية قـهرباد الصغيرة ويسـميـهـا الأكراد قـهراوه وهـي قرية جميلة تحف بـهـا الجبـال الجرداء فـأنزل الجنود أثقـالهم وأسلحـتـهـم وجلسـوا يرتاحـون من وعـثـاء السـفـر وكـأنهم في نزهـة، في هـذه الأثنـاء كـان البـارزانيون قد احكموا كمينهم على الموقع، وفتحوا النار من كل الجهات على القوة الأيرانيـة

وكانت الحصيلة مقتل ٢٤ جندي وجرح ١٧ وأسر ٤٠ منهم حيث نقلوا الى مهاباد وعرضوا في شوارعها في سيارات مكشوفة وقد عوملوا معاملة طيبة ثم أطلق سراحهم، رغم ان معركة حقيقية لم تجر، لكنها كانت جرعة معنوية للجمهورية الفتية، وعززت من المكانة العسكرية للمقاتل البارزاني.

أيقنت الحكومة الأيرانية انه لابد من حملة عسكرية عامة وينبغي الأعداد والتهيئة لها لكي تكون ناجحة ولهذا عقدت الحكومة اتفاقية هدنة مع الأكراد بتاريخ ٣/ ٥ / ١٩٤٦ والتي وقعها عن الجانب الكردي عزت عبد العزيز وعن الجانب الأيراني رازمارا. لقد كان البارزانيون يدعون الى تحرير المدن الكردية، وهو ظرف مناسب لجعل الميزان العسكري بجانب القوات الكردية لكن قاضي محمد كان يمنعهم عن ذلك، وهو نفسه يقول عن البارزانيين: أن هذه العشيرة الشجاعة كانت تتحرق شوقاً للهجوم على ساقز والسيطرة عليها لكنني منعتهم عن ذلك. ويبدو ان قاضي محمد كان تحت ضغط الجانب السوفياتي في قراراته.

في ١٠ / ٥ / ١٩٤٦ انسحب الجيش الأحمر من أيران ورأت الحكومة الأيرانية ان تكثف من جهودها للقضاء على الجمهوريتين. فبدأت اتصالاتها بزعماء الأكراد لكسبهم الى جانبها او لتحييد مواقفهم، كما انها رأت ان تصدر الحكومة العراقية عفواً عن البارزانيين ولاسيما ملا مصطفى البارزاني لكي يتسنى لهم العودة الى بلادهم، لكن الحكومة العراقية أحجمت عن صدرو مثل هذا العفو وأرادت تسليم انفسهم دون قيد او شرط ولاسيما الشيخ احمد وأخيه ملا مصطفى البارزاني.

كانت قوات جمهورية مهاباد خليطاً من العشائر الكردية إضافة الى العشائر البارزانية والتي كان يخشى بأسها اكثر من غيرها وذلك لعمق عنصر التضحية والأخلاص في أفرادها، بالأضافة الى خبرتهم الطويلة في المعارك والأشتباكات وتفوقهم في نصب الكمائن لوحدات الجيوش العثمانية ومن ثم العراقية، فكانوا أساتذة بحروب الجبال بدون منازع، فالمعروف عن هذا القوم (البارزانيون) ان لهم قابلية التخفي وعدم الأتيان بأية حركة يكتشفها العدو الى ان تقع كل قوات العدو تحت مرمى بنادقهم. عموماً فإن تشكيلات القوات العسكرية المهابادية في اواسط أيار وعلى الجبهة الجنوبية كانت تصنف على الشكل الآتي وهي كما اوردها أيغلتن الأبن في جمهورية مهاباد ص١٦٤ ـ ١٦٥

- البارزانيون بقيادة ملا مصطفى ١٢٠٠ راجل
- البارزانيون بقيادة الشيخ أحمد (ليسوا في الجبهة) ٩٠٠ راجل

ـ الجلالي والميلاني	٤٠٠ خيال
ـ الشكاك بقيادة عمر خان	٨٠٠ خيال
ـ الشكاك بقيادة طاهر خان ابن سمكو	٨٠٠ خيال
ـ الهركي بقيادة رشيد بك وبه زاده بقيادة نوري بك	١٠٠٠ خيال
ـ الهركي بقيادة زيرو بك	٧٠٠ راجل
ـ أتباع أسرة الشيخ عبد الله كيلاني بقيادة سيد فهيم	٢٠٠ خيال
ـ الزرزه بقيادة موسى خان	٣٠٠ خيال
ـ قره بباغ (تركمان) بقيادة باشا خان وخسروي خان	٥٠٠ خيال
ـ مامه ش من فرع كاكه عبد الله قادري	٤٠٠ خيال
ـ مامه ش بقيادة كاكة حمزة نالوس أمير العشائري	٥٠٠ خيال
ـ بيران بقيادة محمد أمين آغا وقه رني آغا	٣٠٠ خيال
ـ منكور بقيادة عبدالله بايزيدي	٣٠٠ خيال
ـ منكور بقيادة سالم آغا اوجاق	٢٠٠ خيال
ـ منكور بقيادة علي خان وابراهيم سالاري	٤٠٠ خيال
ـ سه ردشت بقيادة كاكه علاء	٢٠٠ خيال
ـ مهاباد كه وورك بقيادة بايزيد عزيز آغا	٣٠٠ خيال
ـ كه وورك ساقز بقيادة علي جوانمردي، ومامند آغا وحجي ابراهيم آغا	٤٠٠ خيال
ـ قبائل متفرقة من سه ردشت	٥٠٠ خيال
ـ السوسه ني (قبيلة)	١٠٠ خيال
ـ مهاباد ودي بوكري بقيادة جعفر كريمي	٤٠٠ خيال
ـ بوكان دي بوكري بقيادة آغوات أيلخانزادة	٥٠٠ خيال
ـ فيض الله بكي من بوكان وساقز	٨٠٠ خيال
ـ أسرة به داغي من ساقز	٢٠٠ خيال
ـ قبائل متفرقة من مهاباد وشاه نديز	٣٠٠ خيال
ـ أتباع حمه رشيد خان ـ بانه	٣٠٠ خيال

ـ متطوعون من مناطق جوانرود وهه ورمان

جنوب الجمهورية	١٥٠ خيال
المجموع الكلي	١٢٧٥٠ مقاتل

من الطبيعي ان هذه التشكيلات كانت بحاجة الى التموين المنظم في العتاد والسلاح والأرزاق فضلاً عن أيصال التعليمات والأوامر الصادرة من القيادة، فكان النظام مطلوباً لكي تؤدي هذه التشكيلات واجباتها كجيش منظم.

في الثالث من أيار ١٩٤٦ وصل أمير اللواء (رازمار) الى جبهة ساقز لتسلم قيادة الوحدات التي تم تعزيزها من الجيش الأيراني بغية التفاوض مع الأكراد لأجل المحافظة على الهدنة وإبقاء خطوط الأمدادات مفتوحة للجيش الأيراني. لكن الجيش الأيراني كان يعد العدة لاحتلال المنطقة وكان يريد ان تكون البداية في احتلال الجبل الشاهق المعروف باسم (مامه شاه)، والذي كان منوطاً بالبارزانيين، وأوضح الجنرال رازمارا لضباطه بأن شرف الجيش الأيراني يتوقف على نتائج هذه المعركة.

في فجر يوم ١٥ حزيران بدأ الجيش الأيراني بالهجوم على الموقع وكان المشاة بمساندة المدفعية والدبابات والغطاء الجوي، وعند الغروب تكمن الجيش الأيراني من احتلال المرتفعات وتقهقرت القوة الصغيرة للبارزانيين، وفقدوا في هذه المعركة خليل خوشوي حيث نقل الى المستشفى بعد إصابته ومات بعد يومين، وكانت خسائر الجيش ٢٢ قتيل و٤٠ جريح، وخاض البارزانيون هذه المعركة كعادتهم المعروفة في المعارك وهي برودة الأعصاب والأنتظار الى ان يصبح الهدف قريباً جداً. والموقف العسكري كان يتطلب قيام بهجوم مضاد، لكن كان ثمة أوامر مسبقة بعدم مهاجمة القوات الأيرانية دون أذن من مهاباد.

عولت الحكومة الأيرانية بشكل كبير على الجانب السياسي للعمل إضعاف حكومة مهاباد ولاسيما في التجاوب الذي كان يبديه قاضي محمد بالتفاوض مع الحكومة، ثم ان الشكوك طفقت تساور القيادات القبلية من امكانية اكتساح القوات الأيرانية في جبهة ساقز لاحتلال بقية انحاء كردستان الأيرانية، وإن الحماس بات يتسرب اليه الفتور والضعف فهم يجهلون ما يخبئ لهم المستقبل في ظل انسحاب الجيش الأحمر وتفاهم تبريز مع طهران، فكانت صفحة المفاوضات هي المطروحة كبديل للعمليات العسكرية ـ على الأقل في هذه المرحلة.

قررت حكومة مهاباد ان تجري مفاوضات هدنة مع القادة الأيرانيين في الجبهة الجنوبية (ساقز وبانه وسه ردشت) وكان ذلك بنصيحة سوفيتية لعلها تفيد في سحب القوات الحكومية من هذه المنطقة. واستمرت الهدنة طيلة اشهر.

في شهر آب سافر قاضي محمد الى طهران لعله يتوصل الى اتفاق يرسي به الى قاعدة شرعية لشبه حكم ذاتي لكردستان في إطار الدولة الأيرانية، واستمر الهدوء في مهاباد شهر آب. في ١٩تشرين الأول شكل قوام السلطنة وزارة جديدة مهمتها وضع حد لثورة القبائل وبدء العملية الدقيقة في اعادة السيادة الأيرانية الى سائر أرجاء المملكة.

في تبريز أذيع بيان يوم ١١ كانون الأول ١٩٤٦ يحث الشعب على المقاومة لكن بعد الظهر نقلت أشاعات ان تبريز أعلنت ولائها لطهران وإن كبار موظفي رجال الدولة (الأذربيجانية) والحزب يفرون شمالاً. وكان ثمة رد فعل عنيف ضد اليساريين في تبريز حتي ان وزير التعليم العالي محمد بيريا لم يسعفه لجوئه الى المستشفي الروسي حيث ان الغوغاء اقتحموا هذا المبني وقبضوا عليه وربطوه بسيارة جيب منطلقة، وكنت اعتقد ان هذا اختراع عراقي لكن يبدو ان الفوضي والغوغاء واحد في كل مكان وزمان. وبعد يومين دخلت القوات الأيرانية مدينة تبريز عاصمة أذربيجان الأيرانية.

لقد اذهل هذا الأنهيار المفاجئ لأذربيجان أكراد مهاباد وكان له تأثيره على انهيار معنوياتهم، فإن كان الجيش السوفياتي عزف عن الوقوف بصف جمهورية أذربيجان، فلا مناص من تخليه عن جمهورية مهاباد.

بدأت كتلة من مسؤولي الحكومة الكردية يفكرون في الفرار وفي الرابع عشر من كانون الأول ذهبوا الى دار قاضي محمد ليطلبوا منه الأنضمام اليهم. في ١٤ / ١٢ / ١٩٤٦ كانت اول مجموعة من المسؤولين الحكوميين والقبليين في طريقها الى مياندواب للأستسلام والمداولة مع الجنرال همايوني، وبعد يومين كان ايضاً قاضي محمد وسيفي قاضي وحاجي باباشيخ في طريقهم بالسيارة الى مياندواب لأعلان ولائهم للجنرال همايوني.

عندما انهارت المقاومة الأذربيجانية في ١١ كانون الأول جمع ملا مصطفى البارزاني حوالي ١٥٠٠ بارزاني ومجموعة أصغر منها تتألف من قبيلتين وانسحب شمالاً نحو مياندواب الى الشمال من مهاباد وهنا سمعه أحد زعماء إيلخانزادة يقول: إن الجيش الأيراني لم يهزم الكرد، بل ان بريطانيا والولايات المتحدة هزمتا الأتحاد السوفياتي.

في ١٧ كانون الأول اقترب همايوني بقواته من المشارف الشمالية الشرقية لمهاباد، وقبلها بيوم أي في ١٦ منه كان ملا مصطفى قد عاد فعلاً الى مهاباد لأقناع قاضي محمد بالخروج والألتجاء الى الحدود العراقية، ولم يقتنع قاضي محمد بذلك فاسرع ملا مصطفى بالخروج من البلدة.

في ١٧ / ١٢ وضعت المدينة رسمياً تحت تصرف السلطات الأيرانية ونجح قاضي محمد في حقن الدماء، لكنه دفع ثمن ذلك حياته.

في ٢٠ / ١٢ قابل ملا مصطفى البارزاني الجنرال همايوني في مهاباد للتداول في شأن البارزانيين، حيث إمكانية عودتهم للعراق بعد صدور عفو عام عن البارزانيين وعن شخص ملا مصطفى البارزاني نفسه.

وبما ان هذه الأمور لا تدخل ضمن صلاحيات الجنرال همايوني فقد سافر ملا مصطفى البارزاني الى طهران للتداول في هذا الأمر، وفي طهران اقتنع البارزاني بما عرف بمشروع (الوند) والذي يقضي بتوطين البارزانيين في منطقة جبال الوند بالقرب من همدان، وعاد البارزاني الى مهاباد في ٢٩ / ١ / ١٩٤٧ للتشاور مع أخيه الشيخ أحمد البارزاني حول المشروع لأنه هو صاحب القرار النهائي.

كان رد الشيخ أحمد انهم يرومون العودة الى العراق والي أراضيهم في بارزان ولا يريدون الأستيطان في أيران. وضع الجنرال همايون امام البرارزانيين الخيارات الثلاثة التي مر ذكرها خيارات.

لايمكن تسليم السلاح، ولا يمكن العودة حالاً لانسداد الطرق من تراكم الثلوج، وبقي امامهم الخيار الثالث وهو الأستعداد للقتال. لقد اعطي شيخ البارزان اوامره بالقتال والدفاع المستميت إن هاجمهم الجيش الأيراني، وهو ينتظر حلول فصل الربيع لكي تذوب الثلوج للعودة الى العراق.

في انسحاب البارزانيون من نغدة وهي الى الشمال الغربي من مهاباد، وأصبح مركز تجمع البارزانيين في اشنوية نحو الى الغرب من نغدة باتجاه الحدود العراقية، وهي آخر ما تبقي من الأراضي المحررة من الجمهورية الكردية.

في ١١ / ٣ / ١٩٤٧ بدأت الحملة العسكرية الأيرانية ضد البارزانيين، وتقدمت هذه القوات من اورومية معززة بالدبابات والمدفعية. ومن جهة الجنوب من نغدة أشنوية شنت القوات الأيرانية حملتها بأمرة قائد العمليات العسكرية الجنرال رازمارا. إن قصة حملة الجيش الأيراني على البارزانيين التي ابتدأت من آذار واستمرت حتي ١٥ نيسان كانت في الواقع ملحمة من الملاحم التاريخية لأمثال هذه الحروب سطرها البارزانيون في تلك الأصقاع البعيدة وفي تلك الظروف الصعبة.

في ٣١ / ٣ / ١٩٤٧ اعدم قاضي محمد وأخيه وابن عمه وساد جو من الأرهاب والخوف في كردستان واشتدت معها وتيرة وشدة الهجومات على القوات البارزانية.

في ١١ من شهر نيسان كانت القوات البارزانية برفقة العوائل في مرتفعات جبال زاغروس على محاذات الحدود العراقية وهي في طريق الأنسحاب نحو العراق.

كان الرأي المرجح بين البارزانيين هو العودة الى الوطن وكان هذا قرار الشيخ أحمد أيضاً

رغم علمه بحكم الأعدام الصادر بحقه، في حين ان ملا مصطفى كان يقول انه سيعدم بعد ٢٤ ساعة عن هو سلم نفسه للسلطات العراقية. وكان تقديراته في محلها.

ويفيد أيوب بارزاني في المقاومة الكردية ص ٣٠٣: انه في ١٧ و١٨ نيسان كان عدد البارزانيين الذين سلموا انفسهم للسلطات العراقية: ١٥٥٠ رجل مع ١٦٨٦ أمرأة و١٣٢٩ طفل. والمجموع كان ٤٥٦٥ نفس، وأن ٥٦٠ رجلاً رافقوا ملا مصطفى البارزاني في رحلته الى الأتحاد السوفياتي، إي ان مجموع البارزانيين العائدين ٥١٢٥ شخص من بين عشرة آلاف شخص توجهوا نحو أيران، أي ان ٤٩ ٪ منهم لاقوا حتفهم بسبب الأمراض او في المعارك وذلك في الفترة الزمنية المحصورة في نهاية عام ١٩٤٥ الى نيسان ١٩٤٧م.

تداعيات العودة الى العراق

كان العفو الذي اصدرته الحكومة العراقية بحق البارزانيين العائدين من أيران يتسم بالغموض وهو يشمل ان يسلم البازانيون انفسهم دون قيد او شرط، وكان الشيخ احمد البارزاني يدرك المخاطر التي تحيق بحياته لكن لم يكن امامه خياراً آخراً بعد تردي الأوضاع الصحية والمعيشية والحياتية لأفراد عشيرته.

لقد كان الشيخ أحمد صريحاً حينما سلم أمره للسلطات الحكومية العراقية وأخبرهم انه يتحمل المسؤولية عن كل ما حصل في السنوات الماضية من القتال ضد الحكومة العراقية وطلب ان يسمح لشعبه بالعودة الى وطنه وأرضه وان يمارس حياته وهو شخصياً يتحمل كل تبعات الموقف.

لقد كان على الجانب العراقي من نهر كَادر على حجازي مدير الشرطة العام، وكان هذا اللقاء الأخير بين ملا مصطفى البارزاني وأخيه الشيخ احمد.

لقد شعر ملا مصطفى البارزاني ان الجو مشبع بروح الأنتقام وأراد ان يثني الضباط العراقيين عن عزمهم التسليم للسلطات العراقية لكنه لم يفلح بإقناعهم جميعاً، فقد اقتنع مير حاج أحمد وعبد الرحمن المفتي فيما أصر كل من: (عزت عبد العزيز ومصطفى خوشناو ومحمد محمود قدسي وخير الله عبد الكريم) على العودة، واختار كل من بكر عبد الكريم ونوري احمد طه وجلال أمين ومحمد صالح ان يعودوا الى بلادهم سراً، ونجوا من الأعدام بينما استشهد الأربعة الأخرون.. لقد نفذ حكم الأعدام بالشهداء الأربعة في ١٩ / ٦ / ١٩٤٧، وأصبح ذلك اليوم، يوم الشهيد في كردستان. ويكتب معروف جياويك في ماساة بارزان:

بعد اعدام الضباط وسوق البارزانيين الى جنوب العراق واجهت المستر (ديجبرون)

مستشار وزارة الداخلية او كما يسمونه (رئيس المفتشين الأداريين) فسالني بقوله:

ما رأيك في شنق الضباط الاربعة؟

فقلت له ولم هذا السؤال بعد ان طواهم الموت والناس في أسف شديد على شبابهم الغض، فسكت، فقلت مستمراً: إن وزارة صالح جبر في إعدامها هؤلاء الضباط ارتكبت خطأين كبيرين الأول: هو ان الدخيل والتائب والمستعطف لا يجوز إعدامه بحكم شرعنا وعرفنا، ما دام قد عرض الطاعة والتوبة.

والثاني، هو ان هذا الأعدام قد ترك غضاضة وانفعالاً شديداً في قلوب ونفوس جميع الأكراد بحيث لا يمكن زوال تأثيره أبداً[٢٠].

اما ما كان بشأن الشيخ احمد فقد نقل الى بغداد ثم البصرة وفي الطريق توقفت السيارة التي تنقله بالقرب من تكريت تنتظر وصول سيارات أخري وهي تحمل موقوفين آخرين من عائلة البارزاني وكان بينهم صادق ابن شقيقه وكان مريضاً لا يقوي على السير. وهنا التفت الشيخ أحمد الى المسؤول الذي يتولي نقلهم الى السجن قائلاً: قلت لكم أنا المسؤول عن كل شئ اتركوا هؤلاء وافعلوا بي ما تشاؤون، انتم أناس بلا أخلاق.. اودع الشيخ السجن مع افراد آخرين من عائلته بضمنهم ولديه محمد خالد وجمال وشقيقه محمد صديق وابن شقيقه صادق بابو. وابن أخيه عبيد الله ملا مصطفى. وحكم على شيخ بارزان بالأعدام شنقاً.

في المنفي بمدينة البصرة جنوب العراق كانت درجات الحرارة عالية حيث ترتفع الى درجة خمسين مئوية بالأضافة الى الرطوبة العالية في الهواء وهناك الرياح التي تسمي محلياً بـ (الشرجي) أي الشرقية وهي محملة بالرطوبة حيث يصعب التنفس، وبمرور الأيام بدأ المنفيون بالأختلاط مع اهالي البصرة وفي الحقيقة ان اهالي البصرة معروفون بطيبتهم واحترامهم للغريب، فنشأت علاقات صداقة مع اهالي البصرة وتعلم العديد من أفراد العائلة البارزانية اللغة العربية وساهمت هذه الحالة بقيام جيل جديد اكثر تعلماً من السابق.

من بين الناجين من السجن او النفي من العائدين البارزانيين كانت زوجة ملا مصطفى ألأخيرة مع ابنها مسعود، ـ وهو يجلس على كرسي رئاسة أقليم كردستان الأستاذ مسعود البارزاني ـ إذ تدخل محمود آغا الزيباري لدي السلطات العراقية والتي سمحت له تقديراً لخدماته بأخذ ابنته الى قريته (نباخي) التابعة للواء الموصل. وينبغي الأشارة هنا الى ان مسعود بقي لدى جده حتي عودة ملا مصطفى من الأتحاد السوفياتي في عام ١٩٥٨ م وقضي سنوات تكوينه، وهي السنوات الثمان الأولى من عمر الطفل، والمعروفة في علم السايكولوجيا بـ The farmative yeas في كنف جده وخاله زبير محمود آغا الزيباري[٢١].

المسيرة التاريخية

اللحظات التاريخية الحاسمة يكون لبصمات القادة والشخصيات المرموقة أثراً كبيراً في صنعها، وكان الشعب الكردي بحاجة الى رمز يجسد آماله ويوحد صفوفه ويقود نضاله نحو احراز مكانة سامية لشعبه. كان ملا مصطفى البارزاني يمثل القائد الكارزمي لشعبه واستطاع ان يبلور حركة تحررية كردية لها استراتيجية سياسية واقتصادية واجتماعية، ومن نافلة القول ان المنتفعين من تقسيم الشعب الكردي لا يمكن ان يقبلوا بهذه القيادة، بل اكثر من ذلك ان تسعى هذه القوي للتخلص من هذه الشخصية بأية طريقة كانت. لقد كان ملا مصطفى البارزاني يدرك هذه الحقيقة، ولهذا كان حذراً من المؤامرات التي تحاك في الظلام وتريد النيل منه.

فيما هو على اعتاب الحدود العراقية برفقة البارزانيين العائدين من أيران، كان يدرك حجم المغامرة إن هو سلم أمره بيد الحكومة العراقية، وفي هذا الصدد يفيدنا المحامي جرجيس فتح الله بأن الحكومة العراقية اصرت على عدم التفاوض مع ملا مصطفى البارزاني، وأصدرت بياناً جاء فيه:

نظراً لأصرار الملا مصطفى وأتباعه على عدم التسليم فإن الحكومة لم تر بداً من اتخاذ الأجراءات اللازمة بحقهم. ومن هذه الأجراءات انها اعلنت الأحكام العرفية في قضائي راوندوز والزيبار وسائر مناطق الحدود المجاورة لأيران وشكلت مجلساً عرفياً بدأ بإصدار حكم الموت غيابياً على ملا مصطفى وزهاء ١١٠ من اتباعه[٢٢].

كانت الحكومة العراقية تعمل على تضييق الخناق على البارزانيين لتصفية حركتهم والقضاء عليها واستئصالها من الجذور بعد تصفية قيادتها، حيث لا تقوم لها قائمة بعد ذلك. ويتجلى ذلك في بيان الحكومة العراقية الذي اصدرته على لسان مدير الدعاية العام في ١٤ أيار ١٩٤٧ جاء فيه:

بعد ان تم استسلام البارزانيين بدون قيد او شرط، تخلف قسم منهم وعلى رأسهم مصطفى البارزاني، ممتنعين عن التسليم ما لم تصدر الحكومة العفو العام عنهم. وفي خلال هذه الفترة تسلل هؤلاء الى العراق من الأماكن النائية القريبة من الحدود التركية، فاصطدموا بأحد المخافر العراقية هناك ونتيجة ذلك قتل أحد أفراد الشرطة.. ونظراً لأصرار هؤلاء على عدم التسليم لم تر الحكومة بداً من اتخاذ الأجراءات اللازمة بحقهم.. وتم اتخاذ اجراءات عسكرية ليس من اجل الحيلولة دون هروبهم الى الأتحاد السوفياتي وإنما لتضييق الخناق عليهم بالتعاون مع السلطات الأيرانية والتركية، ليكون منفذهم الوحيد عبر منطقة جبلية وعرة

تقع في المثلث الشمالي المتخم للحدود الأيرانية ـ العراقية ـ التركية[٢٣].

أجل كان هذا الرأي النهائي للحكومة العراقية، وكان ملا مصطفى يعرف هذه الحقيقة ولكن مع ذلك أراد ان يقوم بآخر محاولة.

يوم ١٥ / ٤ / ١٩٤٧ كان ملا مصطفى مع اثنين من أبناء اخوته هما شيخ سليمان ابن الشيخ الشهيد عبد السلام، وعلي محمد صديق بالقرب من نهر كَادر يودعون عوائلهم وكان لملا مصطفى ثلاث زوجات وتركوا زوجاتهم وأطفالهم بعهدة الأقارب، ثم غادر البارزاني على رأس قوة عسكرية قوامها حوالي ٥٠٠ فرد معظمهم شباب عزاب لم يبلغوا العشرين من العمر.

وما كان من شأن العوائل فقد تم نقلهم الى مخيم في ديانا، وفي هذه الأثناء أراد ملا مصطفى الدخول الى الأراضي العراقية فجمع قواته وخطب فيهم قائلاً:

سوف ندخل أرض العراق بعد لحظات، ونوجه الى الجزء الشمالي من منطقة بارزان، ولا شك ان الحكومة العراقية ستجند كل طاقتها المادية والبشرية وتستفيد من المرتزقة الخونة الى جانب قواتها العسكرية، كذلك ستستعين بحكومتي تركيا وأيران لأبادتنا، أما نحن فيجب علينا ان نتحاشى الأصطدام ما استطعنا، إذ ليس لنا عمق استراتيجي نضع فيه جرحانا ونحن منه على حاجتنا، والعتاد المتوفر لدينا، كما تعلمون، هو الذي يحمل كل واحد منكم حصته فقط، هذه العوامل كلها تفرض علينا المزيد من الضبط والألتزام، وسوف احاول الأتصال بالحكومة العراقية، فربما توصلنا الى حل معقول، إلا ان احتمال النجاح ضئيل جداً، وعندها سنفكر في حل آخر.

أيها الأخوة: إنني سائر الى مصير مجهول لا أدري هل أموت من الجوع؟ او من البرد، او برصاصة من الأعداء، فالموت هو أقرب احتمال بالنظر الى وضعنا، هذا إلا ان الله اقوي وأكبر من كل الأعداء وبالتوكل عليه اخترت التحدي، فليبقى معي كل من يرى في نفسه القدرة على تحمل هذه الصعاب وتحمل هذا المصير، ومن لا يرى في نفسه القدرة على التحمل فإمكانه العودة وتسليم نفسه، وأقول هذا وأنا شاكر وممتن.

فلم يخرج من الصفوف أحداً وأجابوه بصوت واحد، إنهم سيلازمونه مفضلين الموت معه على الحياة بدونه[٢٤]. لقد كان البارزاني صريحاً بما فيه الكفاية مع انصاره ووضع امامهم اسوأ الأحتمالات، بل وضع احتمالات الموت امامهم واكثر من ذلك طلب منهم الأنضباط والتحمل والأقتصاد في المؤن والعتاد، إن هذه المصداقية مطلوبة وهي التي دعت انصاره للتمسك بقيادته والى ربط مصيرهم بمصيره مهما كانت النتائج. والقائد حينما يلمس هذه

الأرادة والأقدام والأخلاص في صفوف رجاله يزيده عزماً وتصميماً على المضئ الى الأمام.

عبر ملا مصطفى البارزاني مع رجاله داخل الحدود العراقية حيث توجه الى منطقة المزوري ولازمت قواته المنطق الحدودية كأجراء امني، ولكي يكون طريق الأنسحاب مأموناً فالعدو يتربص ويحاول استغلال كل ثغرة لكي يضع حداً لقيادة البارزاني. وكان ما يرمي اليه البارزاني في محاولته الأخيرة هو التأثير على قرار الحكومة العراقية، ولكن الحكومة من جانبها كانت حددت موقفها بتصفية الحركة وركزت جهودها على الأعتماد قوتها وعلي اجتذاب العشائر الموالية لها وتسخيرهم للقضاء على ملا مصطفى ورجاله.

وفي هذه الظروف كانت القوة البارزانية بحركة دائمة بين القري البارزانية لكي لا يكشف أمرها من قبل الجواسيس. وإزاء ذلك كان الحكومة تحشد قواتها لشن هجوم على القوة البارزانية المتواجدة في المنطقة.

كانت القناعة باستحالة المقاومة وهي نظير الأنتحار وتجربة خليل خوشوي بقيت تجربة حية اليس نسيانها سبيل من جانب آخر كان شهر أيار مايس قد اوشك على الأنتهاء وهذا موسم تذوب فيه الثلوج وتصبح سلوك الطرق الجبلية أكثر اماناً فصدرت الأوامر ببدء المسيرة التاريخية.

يوم ٢٢ / ٥ / ١٩٤٧ كانت جميع القوات قد وصلت الى قري: دري وباسيا وستوني وغيرها.

كانت عين الحكومة عبر جواسيسها المبثوثين في المنطقة لا تنقطع عن متابعة تحركات البارزاني ورجاله، وعندما علمت بوجود القوة في قرية دري بادرت على إرسال ١٤ طائرة في ٢٣ / ٥ / ١٩٤٧ لقصف القرية، وحسب رواية العديد من رفاق المسيرة كان ذلك القصف أشد قصف جوي تعرضوا له، وأدي الى استشهاد كل من تمو مصطفى بنافي وطه عزيز اسبنداري، وجرح ١٤ آخرين بجراح مختلفة، وكانت حالة اثنان من الجرحي خطيرة ولم يكن بالأمكان نقلهما فطلب البارزاني من مختار قرية بيداو نقل الجريحين الى شيروان وتسليمهما الى الحكومة العراقية[٢٥].

في يوم ٢٤ / ٥ / ١٩٤٧ وصلت القوات البارزانية الى قرية بيداو[٢٦]. كان البارزاني يدرك منذ البداية ان القوة التي ستجتاز هذا الطريق المحفوف بالمخاطر، إضافة صعوبة التنقل بسبب التضاريس الوعرة، كان لا بد من تنظيم ينسق الحركة ويعالج الهجومات التي تتعرض لها القوة اثناء مسيرها، وهكذا كان البارزاني قد قسم قوته الى خمس مجموعات لكل منها قائداً وهم:

١ ـ الشيخ سليمان ٢ ـ اسعد خوشوي ٣ ـ مامند مسيح ٤ ـ محمد أمين ميرخان ٥ ـ مصطو ميروزي.

وكانت خطة البارزاني تتلخص في ان يجري حركة القوة بحيث تكون مجموعة مصطو ميروزي في المقدمة تليها مجموعة مامند مسيح ثم مجموعة محمد أمين ميرخان فمجموعة شيخ سليمان وفي المؤخرة اسعد خوشو يالذي انيطت به مساعدة كل من يتخلف لسبب ما. كانت القوة تفضل ان يكون سيرها عبر أراضي كردستان في الشريط الحدودي بين تركيا وأيران وتفضيل الحدود داخل ايران على التي في تركيا. إن القرى الكردية يمكن الأعتماد عليها افضل من غيرها للتزود بالأدلاء العارفين بمسالك الطرق التي تفضي في نهاية المطاف الى حدود اذربيجان السوفياتية، وكذلك تضمن هذه القرى توفير الطعام ومكان للنوم والراحة اثناء التنقل، وتقدر المسافة التي قطعتها المسيرة بحوالي ٣٠٠ كيلومتر ولمدة اسبوعين من الزمن، أي بمعدل ٢٠ كيلومتر في اليوم وهي مسافة طويلة وشاقة تحت تلك الظروف الصعبة.

يحدثنا أحد المشتركين في المسيرة وهو كاظم شاندري عن الظروف بعد قصف الطائرات وتسليم الجريحين يقول: تحركنا الى قرية (بيدافي، بيداو) الواقعة على الحدود العراقية التركية وكانت مكونة من حوالي ثمانية منازل وكان تعاون القرويين مثالياً، فقد حملوا في الليلة الظلماء ذاتها ما لديهم من معاول وفؤوس وحفروا سلالم في الثلوج التي كانت جاثية على منحدر شاهق من الجبل مما سهل تسلقه. هذا وبالأضافة الى ما قدموه من الطعام والأرزاق للسفر وفتح طريق التسلق فقد زودوا المسيرة بالأدلاء الذين الذين يعرفون المسالك الجبلية خير معرفة.

في اليوم التالي صعدنا الجبل، وتزحلق الكثيرون عند وصولهم الى الطرف الآخر نزولاً الى الوادي بعد ذلك تابعنا المسيرة حتى وصلنا منتجع يسمى (كه فه روكا به نانيا: Goveroka Benanya). كانت الأرض عراء بلا ثلوج في مضارب الخيام. ثم مشينا الى ان وصلنا قرية ماي وكانت مكونة من حوالي خمسة عشر منزلاً، قضينا الليلة هناك وقدموا لنا كل ما لديهم من امكانات الطعام والأرزاق لقد كانوا في غاية الطيبة معنا.. ثم تركنا القرية واجهنا شمالاً ونحن نعبر المروج والسواقي الخلابة... لكننا لاحظنا الجيش التركي قد سد الطريق..[٢٧] في ظل التعاون بين الدول الثلاث من البديهي ان تكون قد وصلت اخبار المسيرة، وإن ملا مصطفى البارزاني مع نخبة من رجاله يشقون طريقهم نحو الأتحاد السوفياتي، وفي هذه الحالة سيفتقر الى المساعدات اللوجستية، وهذه فرصة سانحة للقضاء عليه وعلى رجاله.

في ٢٥ / ٥ / ١٩٤٧ غادر البارزاني ورجاله قرية بيداو وفي مساء اليوم نفسه وصلو قرية باو وكانوا في طريقهم نحو الحدود الأيرانية، وأخبروهم ان اقرب طريق هو (زينا ئاسنكرا)

الواقع بين قضائي كَه فه ر وشمدينان فسلكوه بمساعدة ادلاء قرية باي، شاهدت القوة المتقدمة جنود أتراك يبنون استحكامات على الطريق فاضطرت القوة الى الأختفاء بين الأشجار والقصب الكثيف حول نبع الزاب الكبير المعروف بـ(نهيلا كَه فه ري) وأقبلت طائرات الأستكشاف التركية لكنها لم تعثر على أثر للقوة البارزانية.

إن مخادعة العدو كان ضرورياً للعبور ومواصلة المسيرة ويروى عن البارزاني وهو يصف الحيلة التي لجأوا اليها لتضليل الأتراك بغية اجتياز الموقع يقول:

تحركنا الى مقابل القوة التركية وجعلناهم يشعرون بنا فأخذوا يستعدون لقتالنا، توقفنا عن الحركة وطلبت من القوات ان تتحرك صوب الشرق وعندما يحل الظلام تتوقف ولا تأتي بأية حركة ثم تعود متسللة الى نفس المكان الذي تحركت منه، وانسحبت أنا مع مجموعة صغيرة الى الخلف لندخل في روع الأترك بأننا غيرنا وجهتنا وإننا نقصد العبور الى شرق ذلك الموقع وراقبت القوات التركية، فرأيت انها ارتبكت كثيراً وبعد ساعتين من حركتنا، حزموا تجهيزاتهم وحملوها وأسرعوا الى الممر الشرقي الذي تصوروا أننا سنعبر منه، وعلمت انهم أخلوا مواضعهم الأولية ولم يبق احد منهم فيها[٢٨] وكان بعد اكملت القوة عبورها.

في فجر يوم ٢٧ / ٥ / ١٩٤٧ اكملت القوة عبورها وعندما شعر الجنود الأتراك بذلك كانت القوة قد صعدت جبل سبيريز وكان اطلاقهم النار باتجاه القوة لا تأثير له لأن القوة قد ابتعدت بما فيه الكفاية، وحينما حلقت طائرة تركية كانت القوة داخل الحدود الأيرانية فكان عليها ان تعود أدراجها، لكن القوة لا زالت تتحرك في أراضي كردستان.

في مساء يوم ٢٧ / ٥ دخلت القوة بكاملها اول قرية أيرانية على الحدود وهي قرية (جيرمي) وبعد فترة الأستراحة وتناول ما تيسر من الطعام.

في صبيحة يوم ٢٨ / ٥ / ١٩٤٧ تحركت القوة نحو منطقة البكَزادة.. وكان اغوات المنطقة قد هربوا الى ارومية خوفاً من الأنتقام بسبب مواقفهم السابقة لكن تعليمات صارمة قد صدرت الى القوات بعدم انتزاع أي شئ بالقوة من احد حتى لو كان رغيف خبز وعدم الأساءة في كل الأحوال ,انتقلت القوة الى منطقة الهركيين وقضت القوة في هذه المنطقة الأيام ٢٩ و٣٠ و٣١ / ٥ خاصة في مصايفهم الجميلة وقدم لهم الطعام والخبز بسخاء، وكانت الحكومة الأيرانية قد استدعت جميع رؤساء عشائر المنطقة للتشاور معهم حول نوايا البارزاني وعن إمكانية القضاء عليه، وقد تبرع احدهم وهو رشيد بك رئيس عشيرة الهركي بإيصال رسالة الحكومة الى البارزاني تستعلم منع عن سبب عودته الى ايران وعما ينوي القيام به وإنذاره بوجوب مغادرته الأراضي الأيرانية فوراً، وكان رد البارزاني انه سيرد على

الرسالة بعد أيام ولكنه لم يكتبه أبداً. وفي منطقة الهركيين التحق بالبارزانيين كل من محي الدين بابا زادة من قرية ومن العجم ولافكو (داوود يوخنا) الذي ظل وفياً ومتعلقاً بالبارزاني وعاد معه من الأتحاد السوفياتي.

في الحقيقة عن القوات الأيرانية لم تتغافل عن تحركات القوات البارزانية، ففي صبيحة يوم السابع والعشرين من أيار انبأ قائد القوات العراقية المرابطة على الحدود قيادة الجيش الأيراني بأن البارزانيين اجتازوا الحدود التركية وإن الدلائل تشير الى انهم متوجهون نحو أيران وتأكدت هذه الحقيقة حينما شاهد احد اولاد نوري بك بكزادة اول مجموعة من البارزانيين قرب آبني في وادي (ته ركه ومر) وهذا بدوره قام بإبلاغ الجنرال همايوني الذي كان في ذلك الحين يقوم في (خوي) ينتظر مقدم الشاه في أثناء زيارته أذربيجان لأول مرة بعد عودتها الى ايران، وفي التاسع والعشرين من ايار كان البارزانيون يتقدمون شمالاً تاركين (ته ركه وه ر) داخلين منطقة (سوماي) العائدة لقبيلة شكاك. ولم يفلح الضباط الأيرانيون المعينون للعشائر الكردية الموالية الى دفع رجالهم لقتال البارزانيين. إلا انهم كانوا يتابعون تحركات البارزانيين بدقة ولم يغفلوا عنهم. ويشير أحد تقاريرهم الى ان هؤلاء كانوا يتقدمون ببطء سيراً على الأقدام، دون استثناء حتي ملا مصطفى نفسه. اللهم إلا الجرحى والضروريات فقد شدت على ظهور الخيل والبغال[٢٩].

في مساء يوم ٣١ / ٥ / ١٩٤٧ غادرت القوات البارزاينة منطقة الهركيين متوجهين الى منطقة شكاك.

وفي ٣ / ٦ / ١٩٤٧ غادرت هذه القوات قرية دوستان ومروا بقرى ديلزي وحاجي جفان وكَوزة ره ش. فيما كانوا يمرون بإحدى القرى استولى بعض الأفراد على مقدار من التمر، معبأ بعلب، من دكان أحد العطارين، وتوقف صاحب الدكان على قارعة الطريق وهو يبكي وشاهده البارزاني واستفسر عن سبب بكائه فأدلي اليه بظلامته، وأسرع البارزاني ليدفع له ثمانية عشر دينار وهو مبلغ يزيد كثيراً على ثمن ما اغتصب منه، ثم اسرع البارزاني ليجمع رجاله متوعداً مهدداً بإنزال العقاب الصارم بكل من يقدم على مثل هذا العمل.

من قرية كَوزة رش وصلوا الى قرية هه فلران حيث استقبلوا بترحاب من اهالي القرية، وفي متصف الليل وصلوا قرية بروش خوران وفي هذه القرية كانت هناك مكيدة للنيل من البارزاني والقوة المرافقة له، فقد خف قاضي المنطقة المدعو خليفة صادق للقاء البارزاني وهو يدعي بأنه مرسل من قبل الحكومة، ولكنه من فرط اخلاصه للبارزاني يريد إبلاغه ببعض الأسرار، وهي ان الحكومة الأيرانية قد أرسلت بقوات كبيرة الى المنطقة وسدت كافة المنافذ عليه وإن لدى أيران امكانات هائلة ومع ذلك فإنها من منطلق انساني تعرب عن استعدادها

لمعالجة الجرحي وإرسال المساعدات والأرزاق لكم وتوافق على بقائكم في المنطقة دون ان تتعرض لأحد منكم، وقال انه يريد ان يحدد البارزاني موقعاً ليتم جلب الأرزاق وتسليمها مع طاقم لمعالجة المرضى، لكن من حسن الصدف ان يرافق المبعوث الحكومي خليفة صادق شخص آخر يدعى على الذي همس لأحد مرافقي البارزاني وأطلعه على الحقيقة وطلب منه ابلاغ البارزاني بأن كل ما ادعاه خليفة صادق كذب وخداع، فالقوة الأيرانية لم تصل بعد الى المنطقة وهو ينوي تأخيركم لكي تصل القوة الأيرانية وتأخذ مواقعها، ولا توجد في الطريق قوات سوى بعض المسلحين من العجم في وادي قطور، ومن الأفضل الا تضيعوا الوقت وحثهم على المغادرة قبل وصول القوات، وحينما علم البارزاني بالخطة تظاهر بتصديق رواية خليفة صادق وشكره وترك له اختيار الموقع الذي يراه مناسباً قائلاً إنه سيعمل بنصيحته وسيبقى في القرية بانتظار عودته.

عاد خليفة صادق مسرعاً الى مدينة خوي، ما اسهل الخيانة عندما تموت الضمائر، إنه لقاء بضعة دريهمات يفرط بأرواح مجموعة كبيرة من ابناء قومه وهكذا انطلق الرجل مسرعاً وهو يظن ان حيلته انطلت وبشر المسؤولين الأيرانيين بذلك، وكان الشاه انذاك يزور مناطق أذربيجان وكان يلح على قادة الجيش بضرورة سد الطرق بوجه البارزاني والقضاء عليه مهما كلف الأمر.

ما ان تواري خليفة صادق عن الأنظار حتى شرع البارزاني بإصدار اوامره الى مسؤولي القوات بالأستعداد للأنطلاق مع التزود باحتياط كاف من الخبز نظراً لأن المرحلة ستكون طويلة ومحفوفة بالمخاطر.

كان عليهم اجتياز وادي (قطور ـ قتور) خلال ليلة ٤ ـ ٥ / ٦ / ١٩٤٧ والأنتهاء منه قبل طلوع الفجر، وكانت قد وصلت البارزاني معلومات وافية عن نقاط تواجد القوات الأيرانية، وبغية تفادي الأصطدام مع قوة على الطريق بين بروش خوران والوادي اضطرت القوات الى الألتفاف والدخول الى الأراضي التركية والسير فيها عدة ساعات ثم العودة الى الأراضي الأيرانية.. في الواقع ان عبور وادي (قطور ـ قتور) اشبه بنصر عسكري لامع لأنه أخطر مانع في الطريق، إذ لو كان حدث اصطدام في الوادي لتكبد البارزانيون خسائر فادحة جداً وربما تغيرت الأحداث ولم تجر بالشكل الذي قدر لها[٣٠].

ونعود الى ما كانت تتهيأ له الحكومة الأيرانية حيث كانت ترصد تحركات القوات البارزانية وقد اتضح للجيش الأيراني ان البارزانيين يتجهون صوب الأتحاد السوفياتي، وعندها اصدرت هيئة الأركان العامة أمرها بقطع الطريق عنهم في وادي (قتور ـ قطور) وارسل لهذا الغرض فوجان من خوي في حين زحفت أرتال أخرى الى أقصى الشمال نحو (ماكو) وانقطع

الأتصال ما بين ٣١ أيار و٢ حزيران. وفي خلال هذه الفترة كان البارزانيون قد تحولوا الى الغرب نحو الحدود، ثم عادوا الى ايران، وعند بزوغ شمس الثالث من حزيران شوهدت جماعة منهم شمال قتور لقد تسللوا جميعاً من طوق الأفواج الأيرانية في الليلة الماضية دون ان يشعر بهم أحد[٣١].

إن هذا يفسر لنا مساعي الحكومة الأيرانية في تأخير القوات البارزانية في قرية بروش خوران عندما ارسلت عملائها لأغراء القوات البارزانية في التريث والبقاء من اجل استلام المساعدات الأنسانية من الحكومة الأيرانية ريثما تنتهي الحكومة من ايصال قواتها الى وادي قتور لسد الطريق امام القوات البارزانية لكن هذا الطعم لم يغري البارزاني ورفاقه ولم ينجذبوا نحوه وكانت مناورتهم بالألتفاف والدخول الى الأراضي التركية ومنيت بالفشل الخطة الأيرانية هذه المرة أيضاً.

مرة أخري نعود الى احد المشتركين في المسيرة وهو كاظم شاندري وهو يصف الأمور على طريقته فيقول: كنا نسير علي خط الحدود الأيرانية التركية على وفق ما تمليه علينا مقتضيات أمننا، ووصلنا في ١ / ٦ / ١٩٤٧ قرية ديلزيا، وكنا نتفادى البقاء في القرى، إنما نذهب للتزود بالطعام ونغادر على عجل لمتابعة المسيرة. وفي الثلاث الأيام التالية عبرنا عدداً من القرى ورافقنا الأدلاء لعبور وادي كوتولي وعبرنا النهر الذي كان ينحدر فيه من الطرف التركي الى أيران، إذ كانت مياه النهر ضحلة. ووصلنا قرية كه ليت في ٥ / ٦ / ١٩٤٧ أكلنا في القرية وبعد قليل من الراحة سرنا صعوداً على الجبل الذي يشرف عليها، كانت الثلوج لا تزال جاثية على مواقع من الجبل، وفي اعالي الجبل شاهدنا جبلين شامخين الى الشمال، فأرسل ملا مصطفى يطلب بيجان الذي كان يعرف هذه المناطق وسأله عن هذين الجبلين فقال: اسم الجبل الشامخ الأكثر علواً (كري داغي مه زن) والأصغر منه يسمي (كري داغي بجوك) إنه جبل أرارات، وطريقنا يمر عند الجبل الأقل ارتفاعاً. وعندما سأله كم من الأيام يقتضي الوصول اليه. قال خلال سبعة أيام.

ويستطرد شاندري في وصفه للمسيرة يقول:

نزلنا من الجبل وسرنا حتى وصلنا قرية (الندي) وقرية (بله سوري) وقرية (بله ره شي) في ٦ / ٦ / ١٩٤٧م. بعد تناول الطعام وتزودنا بالخبز، سرنا باتجاه منتجع مشهور يسمي (كوستانا حاجي بك) كان موقعاً خلاباً، من هناك نظرنا الى السهل، فوجدنا عدداً كبيراً من الخيام السوداء منصوبة فيه، فانحدرنا باتجاه هؤلاء الرحل ووصلنا عندهم في ٧ / ٦ / ١٩٤٧ بعدها تركناهم. ووصلنا في الليل قريتين مهجورتين مع كل ما في القرية من أرزاق، فقمنا بالطبخ لأنفسنا. كان اهاليها قد تركوها ولم نعلم السبب[٣٢].

كان جنود وضباط الجيش الأيراني يتفادون التصادم مع القوات البارزانية التي ليس امامها سوى التفاني والأستماتة في القتال وشق طريقها نحو هدفها، لكن الحكومة الأيرانية كانت مصممة على حصر البارزانيين واستسلامهم والقضاء على ملا مصطفى البارزاني، وكانت اوامر التصدي للبارزانيين قد صدرت في ايران من اعلي المصادر في الدولة، حيث اصدر الشاه الذي كان قد وصل أردبيل اوامر تقضي بالأشتباك مع البارزانيين فوراً وانذر القادة الذين يتقاعسون في واجباتهم بتقديمهم الى المحاكم العسكرية، وفي هذا السياق صدرت اوامر من رئاسة أركان الجيش بلهجة أشد، لكن مشكلة الجيش الأيراني كانت تكمن في رصد تحركات القوات البارزانية في تلك الأراضي الوعرة وصعوبة التصدي لها. لكن الأحتكاك بين القوتين كان مقدراً له ان يقع في منطقة غرب خوي بحوالي ٢٥ كيلومتر حيث ارسلت قواتها من ماكو.

يوم ٩/ ٦ / ١٩٤٧ وصلت تعزيزات ضخمة الى ماكو وتوزعت على جميع المسالك بغية قطع الطريق امام القوات البارزانية، ولاشك ان مصير البارزانيين سيتوقف على نتائج هذه المعركة الحاسمة، إنهم قريبين من الحدود السوفياتية وهكذا يجب بذل المزيد من اجل الظفر بهذه المعركة التي تقربهم من الهدف النهائي لمسيرتهم.

قسم البارزاني قواته الى قسمين وبعد استطلاع المنطقة واكتشاف مواضع الجيش الأيراني تقرر القيام بهجوم انتحاري قاد البارزاني شخصياً القوة المهاجمة من كليس كَه ند يعاونه كل من محمد أمين ميرخان ومامند مسيح ومصطو جادر ميروزي، وقاد اسعد خوشفي القوة المهاجمة من آ غ داش يعاونه كل من صالح كانيه لنجي وسعيد ولي بك.

بدأ الهجوم على القوات الأيرانية في جبل سوسوز وسهل ماكو في ٩ / ٦ واستمر حتى ١١ / ٦ دون توقف ورغم ضراوة المعركة وشراستها إلا انه بدا ان لا مستحيل امام الأرادة القوية والأيمان العميق. استطاع البارزانيون في هذه المعركة من تسجيل اروع صفحات البطولة، لقد اختارت الحكومة موقع المعركة باعتباره مناسباً لاستخدام الطائرات والدبابات، وكان املهم ان يظفروا بالبارزاني في هذه المحاولة، لكن الذي حدث ان البارزانيين تمكنوا من زحزحة القوات الأيرانية من موقعهم واستولوا على جسر ماكو وتمكنوا ليلة ١١ ـ ١٢ / ٦ من اجتياز نهر زنكَي ووصلوا قرية هامسون صباح يوم ١٢ / ٦ فبدا وكأن الخطر ابتعد عنهم ولو لأيام. لقد تكبدت القوات الأيرانية خسائر كبيرة في هذه المعركة منها مئات القتلى والجرحى واعداد كبيرة من الأسرى اطلق سراحهم بعد انتهاء المعركة واعطب عدد من الدبابات كما اسقطت طائرة ودمرت بطارية مدفعية وغنم مئات البنادق مع خمسين بغلاً محملاً بالذخيرة والأرزاق وكانت خسائر البارزانيين أربعة شهداء وأربعة عشر جريحاً[٣٣].

نعود مرة اخرى الى كاظم شاندري ليستمر بالحديث عن هذه المسيرة من الزاوية التي يتصورها، إذ ان شاهدي العيان في الأحداث المختلفة غالباً ما يصورون الحدث كل من زاويته التي ينظر منها الى سير الحدث، وفي المسيرة التي نحن بصددها نقرأ عن وجهات نظر مختلفة لكن جميعها تلتقي في صعوبة المسيرة والمخاطر التي احاطت بمختلف مراحلها، يضيف كاظم شاندري قائلاً:

كانت الحكومة الأيرانية على علم بمرور القوات البارزانية فأرسلت بقواتها من ماكو للتصدي لنا. فحصلت معارك في ٩/ ٦/ ١٩٤٧ ورغم اشتراك الطائرات الأيرانية بالقصف، هزمت القوات الأيرانية في المعركة خلال ساعة من الزمن، واستولي البارزانيون على بغال الجيش بحمولتها وتم اسر عدد من الجنود، فقد كنا مسيطرين على مواقعهم ونري جميع تحركات الجيش.

كان علينا عبور نهر (ماكو) الضحل المياه قبل طلوع فجر اليوم التالي، وكان الطريق الى ماكو يمر بمحاذاة النهر، كانت الأراضي المحيطة بالنهر كثيرة الأنحدار، لذا كان علينا العبور على الجسر وشق طريقنا بالقوة، وفي الليل هاجمت القوة البارزانية التي وصلت قرب الجسر على مواقع الحرس الأيراني، فقضوا على عدد من الذين كانوا يتولون حراسة الجسر وهرب الآخرون. وتمت السيطرة على الموقع. لكن خمس دبابات تحركت لأعادة المواقع الأيرانية على الجسر ومنع عبور البارزانيين.

وبدأوا بقصف الموقع فجرح أغلب من كانوا فيه. وتركته القوات البارزانية الى الطرف الاخر مع الجرحى، ووصلت الدبابات فاحتلت الموقع، وهنا كان البارزانيون قد انقسموا قسمين، قسم كان قد عبر النهر والقسم ألاخر لم يصل الى الحافة بعد. لم يصل فصيل شيخ سليمان وفصيل اسعد خوشفي. وساد القلق من جراء ذلك. إذ كان علينا في كل الأحوال عبور النهر بأسرع ما يمكن.

ذكر لنا أدلاؤنا بأن هناك موقعاً ملائماً للعبور ليس بعيداً عن المكان الذي جرت فيه المعركة، فتبعناهم حتي بلغنا ذلك المكان، ولحسن الحظ وجدنا شيخ سليمان واسعد خوشفي قد عبروا النهر. وزال القلق على مصيرهم. نزعنا احذيتنا وعبرنا النهر نحن أيضاً. وأطلقنا سراح ٣ أسري من القوات الأيرانية فعادوا الى مدينة ماكو. واجتمع شمل قواتنا وكان لدينا جريحان مات احدهم في الطريق، لكن القوات الأيرانية فتحت علينا النار وبادلناهم إطلاق النيران، لسوء الحظ استشهد محمد ملا محمد ميركسوري، وتركنا جثته على حافة النهر واتجهنا نحو قرية (هاسون) حيث وصلناها عند الظهر في ١٠ / ٦ / ١٩٤٧م. ويبدو ان القرويين خافوا منا، فتركوا قريتهم عن بكرة ابيهم، وعندما وصلناها دخلنا المنازل وبدأنا بتحضير الطعام

للجميع، دون ان نمد ايدينا على أي شئ يعود الى القرويين عدا الطعام وما نحتاجه للأكل دون اسراف. تناولنا قسطاً من الراحة إذ لم يكن هناك أي خطر من القوات الأيرانية لذا بقينا في القرية حتى اليوم التالي، وكنا نقترب من الحدود السوفياتية.

في ١١ / ٦ / ١٩٤٧ قـامت الطائرات الأيرانيـة بقـصف قـرية هاسـون مما ادى الى استشهاد اثنين من البارزانيين وأصيب آخر بجروح بالغة، دفنا الأثنين في مقبرة هاسون، وما ان بزغت الشمس في يوم ١٢ / ١٩٤٧ حتى واصلنا السير صعوداً في الجبل المشجر الذي يطل على القرية (هاسون)، وفي الساعة الثانية عشر توفي الجريح صالح قرب نبع الماء ودفناه في الغابة وكان هذا آخر شهيد يقدمه البارزانيون في هذه المسيرة. وعاودت الطائرات الأيرانية القصف لكن دون وقوع ضحايا[٣٤].

عن مرحلة المسيرة يوم وصول القوات البارزانية الى قرية هاسون يحدثنا الأستاذ مسعود البارزاني من زاوية أخرى قد لا تكون واضحة المعالم الى بعض المشتركين في المسيرة فيقول:

قرية هاسون تقع شمال ماكو وهي تابعة لعشيرة الجلالي الكردية وفيها استقبل عمر آغا جلالي رئيس العشرة البارزاني ووعد بتقديم المساعدة لكنه لم يف بوعده بل قصد ان يسجل مأثرة خيانية لنفسه بأن يستقدم الجيش الأيراني لمباغتتهم، بلغ الأمر بهذا الخائن ان أمر أتباعه بالنزول من المصايف كي لا يقدموا الخبز والطعام للبارزانيين، ويمكننا القول بأن هذه العشيرة ورئيسها هم الوحيدون الذين خانوا الواجب القومي من بين كل العشائر الأخري التي مر بها البارزانيون في طريقهم الى الأتحاد السوفياتي[٣٥].

وفي هذا السياق ايضاً يؤكد كاظم شاندري فيقول: تحركنا نحو جبل (كري دا غ) وفي ١٣ / ٦ / ١٩٤٧ وصلنا منطقة يتواجد فيها الرحل من عشيرة الجلالي التابعة لعمر آغا. واستغربنا من مواقفهم فقد واجهوا كل طلب منا بعبارة (لا يوجد) كانوا لا يريدون إبداء أية مساعدة لنا مهما كانت بسيطة وشعرنا بأن عمر آغا يريد استدرار عطف الحكومة بالكيد لنا. إلا انه لم ينجح ولم نطمئن لوعوده الكاذبة.

هنا تتفق الروايتان حول عشيرة الجلالي من شاهد عيان كاظم شاندري الذي كان في قلب الحدث، ورواية الأستاذ مسعود، ولابد انه استقاها من والده مصطفى نفسه او من أحد مرافقيه المقربين في هذه الرحلة.

ونمضي في متابعة هذه الرحلة فبينما كانت القوة بين هؤلاء الرحل كان مير حاج أحمد قد غادر مع عدد من الرجال الى الحدود السوفياتية للأتصال بأقرب نقطة حدودية وهي مخفر سراجلو - وهو مخفر سوفيتي يقع في اراضي ارمينيا السوفيتية - وطلب اللجوء منهم وحينما

عاد مير حاج احمد وذكر ان المسؤولين على الحدود قالوا بأنهم سيتصلون بحكومة باكو وهم ينتظرون الجواب إذ ليس من صلاحيات حراس الحدود السماح لهم بدخول الحدود قبل الموافقة على ذلك وإن الجواب قد يتأخر ثلاثة أو أربعة أيام، لكن القوة البارزانية لم تنتظر الجواب حيث عكف البارزانيون على عبور نهر آراس ـ وهو نهر كان يفصل حدود الأتحاد السوفيايتي السابق عن أيران ـ وكان يوم عبور البارزاني للنهر في (١٨ / ٦ / ١٩٤٧ م)، ويقول كاظم شانردي استخدمنا في عبورنا للنهر أخشاب وجلود الحيوانات المنفوخة الطافية، لكن لحسن الحظ عثر أحد البارزانيين المدعو سليم خان بيدودي على موقع ضحل المياه.. وكان ذلك حدثاً في غاية الأهمية، إذ كان أكثرنا لا يعرف السباحة، فاصبح العبور اسهل وأسرع للجميع ولم نضطر الى ترك اسلحتنا.. حيث عبرنا الى الجانب الضفة الأخرى من النهر وسلمنا البغال والأحصنة والأسلحة التي بحوزتنا لموظفي المخفر الحدودي، في حين بقي قسم من الأسلحة على الجانب الأيراني.

لقد ذكر الشئ الكثير عن هذه المسيرة التي كانت محفوفة بالمخاطر من كل جانب فالعدو يتربص من كل جانب وهو يتحين الفرص للأيقاع بالقوة التي ليس لها مسند او ظهير عسكري، ولهذا كانت التضحية والتحمل والشجاعة والحذر هي عوامل مطلوبة لاستكمال المغامرة حتى آخرها. عن هذه الصعوبات يورد دافيد ادامسن قوله:

ما ان استسلم قاضي محمد وأظهر الخضوع حتى شق هو (ملا مصطفى البارزاني) وأتباعه القبليون طريقهم فخرجوا من ايران عنوة وفتكوا وهم على مسيرتهم بأحد عشر من اغوات (مامه رش) وأخيراً وبعد مصاعب جمة، اجتازوا شعاب جبال العراق وتركيا ثم ايران ثانية ليبلغوا حمى روسيا في عام ١٩٤٧ ويمضي الكاتب الى القول:

تلكم هي الملحمة البطولية العظمى التي تروي قصة التجاء ملا مصطفى البارزاني مع برزانييه الأربعمائة والستة والتسعين الى روسيا مفضلين في هذه الهجرة الشاقة على تسليم زعمائهم للسلطات العراقية التي ثاروا عليها بالأصل ويختم قوله:

إن المسيرة البارزانية الكبرى والسمعة الأسطورية التي لصقت بزعيمهم أضرت بالكرد اكثر مما احسنت اليهم. إذ منحتهم قائداً ربطت اسطورته بالعشائريين على انها خلقت نخبة من البارزانيين صارت زعيمة ابرز مجموعة قبائل عسكرية الطابع وابغضها الى قلوب سائر الزعماء القبليين الاخرين[٣٦]. لا ادري ماذا يقصد الكاتب في عبارته الأخيرة في تعميمه غير المنطقي بأن يبغض (سائر الزعماء) القبليين الزعامة البارزانية.

من جانب آخر وتناقلت وكالات الأنباء والأذاعات العالمية نبأ وصول البارزاني ورفاقه الى

الأتحاد السوفياتي ومنها إذاعة لندن حيث قالت: لندن في ١٧ / ٦ / ١٩٤٧ وقعت مصادمة عظيمة بين قوات أيران النظامية والأكراد بالقرب من الحدود الروسية وتمكن القائد الكردي الملا مصطقي البارزاني مع اتباعه البالغ عددهم ٢٠٠٠ مقاتل من العبور الى الحدود الروسية.

وفي ١٩ / ٦ / ١٩٤٧: اعدم الضباط الأربعة في بغداد بينما نجا الملا مصطفى البارزاني من المصيدة بأعجوبة خارقة فوصل روسيا سالماً[٣٧].

العوامل المحيطة بجمهورية مهاباد

جمهورية مهاباد أو كوردستان لها وقع كبير في مخيال الشعب الكردي وقد او تأليف أن اختم هذا الفصل بإلقاء حزمة من الضوء على مختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية.... التى رافقت سطوع وخفوت نجم هذا الكيان الرمز الذي يفتخر الأكراد بتخليدته تحت اسم. جمهورية كوردستان.

عوامل متعددة ساعدت على قيام هذه الجمهورية، واخرى آلت الى سقوطها. وأمام الباحث التطرق الى شتي العوامل التي كان لها دور مؤثر في كينونة وسيرورة هذه الجمهورية التي شكلت حلماً لذيذاً لملايين من الشعب الكردي وكانوا مخمورين بتلك الأحلام التي توارت بعد سطعت شمس الواقع المرير. ونحاول وضع المسالة فوق المشرحة للأستشراف على كل تفاصيلها بدقة وبعيداً عن العواطف.

في زيارته الثانية لباكو على رأس وفد كردي كان قاضي محمد صريحاً مع مضيفيه حينما طلب منهم الحكم الذاتي لكردستان وكان أعلي مسؤول سوفياتي قابلهم وهو باقروف (الذي يلفظ باغيروف)، وهو الذي ضرب مكتبه بقبضة يده وهو يهتف: مادام الأتحاد السوفياتي في الوجود فإن الكرد سينالون حريتهم، وكان جواب قاضي محمد في تلك اللحظة الحاسمة قوله:

إن الشعب الضعيف يرحب بأي يد تمتد اليه، وليس هذا فحسب بل سيقبلها[٣٨].

كان هذا الجو المفعم بالصداقة والوطنية والمودة فرصة سانحة لوضع المطالب الكردية امام المسؤول السوفياتي الرفيع، ورأي فيها قاضي محمد مناسبة لقص حكاية القروي الفقير ذات المغزي والتي تقول:

إن الآغا اهدى قروياً نشيطاً من أتباعه كلباً سلوقياً أصيلاً ليصيد به، وفي اليوم التالي ذهب الفقير الى بيت الآغا ليقدم له شكره ووفير امتنانه، فبالغ الفقير في مدح الآغا، كيف وهو الذي انعم اليه هذه الهدية التي ستنشله من الفقر، وعندما أبلغه الآغا بأن هذه الهدية

بسيطة ولا تستحق كل هذا الأمتنان والشكر العظيمان، فقال الفقير بلباقة: كلا ان هذه الهدية ليست بسيطة، فما دمت قد اعطيتني كلب صيد، فلابد وأنك قررت أيضاً منحي حصاناً أركبه في عملية القنص، وبعد الحصان لابد انك ستؤمن له العلف، وكذلك المسكن للحصان وصاحبه بطبيعة الحال، ولذلك تراني أكثر الناس رضىً. وفي الحقيقة ان القصة مفهومة المغزى، فجمهورية مهاباد ليست في الأعلان فحسب إنما هنالك وسائل ضرورية لبقائها وازدهارها، وفي مقدمة ذلك يأتي السلاح الضروري للدفاع عنها. إن هذه القصة ترشدنا الى حقيقة وهي ان شريان الحياة في هذه الجمهورية منوط بتأييد ومساندة الأتحاد السوفياتي وإن احجم عن تقديم الدعم والعون فإن شريان المانح الحياة في هذه الجمهورية سيتوقف، وهذا ما حدث فعلاً.

لقد رأيت في العوامل التالية أنها لعبت دوراً أن كان ايجابياً او سلبياً في تقرير مصير جمهورية كردستان او جمهورية مهاباد، ويمكن تلخيصها بالآتي:

١ ـ ظروف الحرب العالمية الثانية، حيث كانت تشكل أيران معبراً استراتيجياً لنقل مساعدات من دول الحلفاء الى روسيا، وجرى احتلال أيران سنة ١٩٤١، فكان الجيش البريطاني في الجنوب والجيش الأحمر في الشمال، وكان لسنين الأحتلال الدور الحاسم والفرصة الثمينة في قيام هذه الجمهورية ومن ثم أفولها بعد خروج هذه القوات.

٢ ـ الوضع السياسي في ايران، وانكماش سيطرة الحكومة المركزية على بعض الأقاليم بضمنها اقليم أذربيجان الذي كانت المنطقة الكردية تشغل مساحة كبيرة منها.

٣ـ التحاق البارزانيين تحت قيادة الملا مصطفى البارزاني كمدافعين أشداء عنها. وبعد سقوط هذه الجمهورية نجم عنها مشكلة وجود البارزانيين فكانت عودتهم الى العراق وتوجه البارزاني الى الأتحاد السوفياتي على رأس ٥٠٠ رجل من مقاتليه في مسيرة شبه أسطورية.

٤ـ تجاور وتداخل كردستان ايران جغرافياً مع أذربيجان في ايران، الاكراد يشكلون نسبة عالية من أهل الريف والأذريون يشكلون نسبة عالية من أهل المدن يعملون في وظائف حكومية مسلطين على رقاب الأكراد، وهناك نزاعات لها جذور قبلية على ملكية الأراضي، وأخيراً كان هناك الأنتماء المذهبي فالأذربيجانيين ينتمون الى المذهب الشيعي والأكراد الى المذهب السني.

٥ ـ تأثير الأحزاب السياسية التي نشأت في تلك الظروف والتي كان لها صبغة طبقية متأثرة في النظرية السوفياتية وأخرى قومية تنزع الى المزاج القومي للأكراد، وكان من هذه

الأحزاب حزب كوملي. والحزب الديمقراطي الكردستاني ـ ايران.

٦ ـ النزعة القبلية للشعب الكردي في تلك الحقبة التاريخية، هيمنة الشيوخ ورؤساء العشائر، وميلانهم مع التيار القوي، إن كان للحكومة الأيرانية او لمغازلة التيار القومي الكردي. والأنقلاب مع الرياح لا يشكل أحراجاً لكثير من هذه القبائل.

٧ ـ كان قاضي محمد مشحون بعناصر الأخلاص والتفاني والتضحية في سبيل خلاص شعبه، لكن عنصر الأخلاص ليس كافياً لبلوغ الأهداف، فلابد من الحنكة السياسية والمناورات الدبلوماسية والقدرة العسكرية لكي تكتمل اسباب البقاء والأستمرارية، فتحقيق النصر ليس كافياً ما لم يتجلى ذلك في المحافظة على ذلك النصر. ما فائدة ان تحتل قمة من القمم الأستراتيجية في الوضع العسكري ما لم تشفعها بخطة ناجحة للأحتفاظ بتلك القمة المهمة على الصعيد الأستراتيجي.

لقد رأينا كيف شُرع الناس بإحراق كل سجلات التي تثبت صلتهم بتلك الحكومة التي كانت قبل قليل مصدر اعتزازهم وتضحياتهم، واليوم يحاولون مسح كل تلك الصفحة المشرفة خوفاً من بطش الحكومة الأيرانية المركزية.

٨ ـ تسليم قاضي محمد نفسه بسهولة بيد الحكومة دون مقاومة تذكر، بدعوى الحفاظ على أرواح الناس، إنه لم يستجب لدعوي ملا مصطفى البارزاني باللجوء الى الجبل، لقد كانت خبرة البارزاني فريدة، فقد علمته الحياة ان خير الأصدقاء الأوفياء هو الجبل، ولا يمكن لهذا الجبل الوفي أن يخونه يوماً، ولكن قاضي محمد نبذ هذا الخيار، وتوجه صوب الحكومة التي استعجلت في اعدامه.

٩ ـ لكي نكون منصفين لقاضي محمد لا بد من الأعتراف بأنه كان محاطاً بشبكة المصالح الدولية، وكان يراد به ورقة يستخدمها كل طرف لما يناسب مصالحه ليس إلا.

وفي الشأن الداخلي كان محاطاً بالعشائر التي تتمايل مع الريح كما اسلفنا في الفقرة السادسة. إنها قد تمايلت مع العاصفة في حين قاضي محمد لم ينحني رأسه او يتمايل مع الريح، فقلعته العاصفة من جذوره، فالشجيرة الصغيرة تتمايل مع الريح وتبقى بعد العاصفة في حين الشجرة العملاقة تبقى منتصبة أمام العاصفة وتصمد إلا بعد قلعها من جذورها.

١٠ ـ بتصوري لو أن قاضي محمد اتفق مع البارزاني على المقاومة لكانت النتائج أفضل مما وصلت اليه بدون هذه المقاومة، فعندما تستسلم للحكومة لا احد يسألك عن أهدافك ومطالبك، بينما إذا تقاوم فإن المقابل سيسألك لماذ تقاوم؟

ماذا تريد؟ ومن الطبيعي ان لهذه المقاومة ثمن، وهذا ما أشار اليه البارزاني، إن من يريد شيئاً عليه ان يضحي. وهكذا تنال الشعوب أستقلاها وحقوقها.

١١ ـ لقد كان قاضي محمد بحق شخصية كارزمية، وله ثقافة تعتبر راقية في محيطه، فهو يتقن اللغات الضرورية التي تؤهله للتفاهم مع الأجنبي مباشرة، وله ثقافة دينية يبدو مقبولاً بل مرغوباً من الشخصيات الدينية، وله علاقات جيدة مع ذوي الفكر اليساري وهو متزعم للحزب الرئيسي في بلده، ولهذا لو وضع يده بيد ملا مصطفى البارزاني لقيادة حركة كردية مسلحة في تلك الظروف لكان الشعب الكردي قد حصل على جزءاً وفيراً من حقوقه، أضف الى ذلك ما كانت تملكه الحركة من كمية ونوعية الأسلحة التي تعتبر في مقاييس حرب العصابات بأنها كمية كبيرة من الأسلحة المتطورة في تلك الأيام.

١٢ ـ لم يسع قاضي محمد أثناء توليه الحكم الى تكديس الثروة، ولم يمد يده الى الأموال العامة في حين كان بمقدوره فعل ذلك في ظل غياب الرقابة المالية، وباعتباره أعلى سلطة بيده تصريف الأمور وبضمنها التصرف بأموال الجمهورية الكردية، كما أنه لم يسع الى أسلوب الأنتقام من معارضيه، ولذلك لم ترق الدماء، وكان الوجه السلمي والمعاملة الحسنة للجميع كان الوجه الطاغي لهذه الجمهورية في حين تأسست الى جانبها وبنفس ظروفها جمهورية أذربيجان الديمقراطية التي لجأت الى اسلوب القمع والأرهاب ضد معارضيها.

١٣ ـ من خلال متابعتي لما توفر لدي من المصادر فأستطيع ان أكون رؤية عن قاضي محمد بأن فكره وتصوره للاحداث كان اقرب ما يكون الى مهماتما غاندي الزعيم الهندي، الذي استطاع تحرير شعبه بالقوة الناعمة،إن صح التعبير، ولم يلجأ الى العنف في حياته، ورغم رؤية قاضي محمد المائلة نحو الحوار والسلم، فإنه أسقط في يده، فالهند كانت تتعامل مع دولة اجنبية، ورغم ان الروح الأستعمارية لبريطانيا، لكنها من جانب آخر كانت تميل الى الحكمة والعقلانية في تعاملها مع مستعمراتها، مما اتاح لغاندي ان يسلك ذلك الطريق السلمي في الحصول على استقلال بلاده.

لكن قاضي محمد كان يتعامل كمواطن في دولة ويأمل منها استقلال جزء منها، ثم ان الحكم في ايران لم يكن بمستوي الحكم البريطاني للتعامل معه سلمياً، وهكذا أدت النتيجة الى إعدامه بأقرب فرصة، رغم خطابه السلمي وأيمانه بالعقلانية والحوار وابتعاده عن كل مظاهر العنف. فالمقابل لم يستوعب عقلية وواقعية وإنسانية قاضي محمد، فكان القضاء عليه بأقرب فرصة.

١٤ـ إن العمر الزمني القصير الذي كان من نصيب هذه الجمهورية لم يسمح بتبلور فكرة

واضحة عن ماهية هذه الدولة او الحكومة، بعض هذه الوقائع كانت تشير الى أن أصحابها يريدونها جمهورية ذات حكم ذاتي تتمتع بحقوق يضمنها الدستور الأيراني، وفي هذا السياق بقي صدر القاضي طيلة عمر جمهورية مهاباد ممثلاً لهذه المدينة وما حواليها في البرلمان الأيراني، ولم يطلب منه القاضي محمد الأنسحاب من البرلمان لكي يؤكد استقلالية كردستان.

١٥- كان للعامل الأقتصادي أثره الحاسم في أفول نجم هذه الجمهورية، لقد كان شبح المجاعة يخيم على الشعوب، وكانت البطاقات التموينية للمواد الغذائية الرئيسية تشكل العمود الفقري لمعيشة السكان، فكان هذا السلاح بيد الحكومة المركزية، ثم آل بعد احتلال ايران الى القوات البريطانية والقوات الروسية، فكانت دولة مهاباد عاجزة عن دفع مستحقات البطاقة التموينية، هذا إضافة الى رواتب موظفي الدولة وأفراد الجيش.

١٦- ثمة اعتقاد بأن الأكراد في أيران ليسوا ميالين الى الثورة، وثمة نظرية تفيد بأن الفرس والكرد من عرق واحد، ولهذا السبب كانت علاقات الطرفين طيبة، وبهذا المعنى يقول ديفيد أدامسن: إن كرد أيران هم نسبياً أقل حباً بالقتال حتى في أيام جمهورية مهاباد سنة ١٩٤٦ م، ولم تكن القبائل الكردية في أيران متحمسة كثيراً للدفاع عن حدود هذه الجمهورية، فترك القسط الأكبر من هذا الواجب على عاتق قبائل (ملا مصطفى البارزاني) العراقية. إن كبار الزعماء القبليين أمثال (الشيخ عبد الله أفندي كَيلاني) بقوا على الحياد. وعندما انهارت هذه الجمهورية كان اعتقادهم ان الكرد لقنوا درساً ثميناً لأن أي ثورة كردية حسب زعمهم لا مستقبل لها[٣٩].

١٧ - يورد جرجيس فتح الله في مقدمته للطبعة الثانية لكتاب جمهورية مهاباد عن حكاية رواها له (وليم دوكَلاص) وهو عضو المحكمة الفيدرالية العليا في الولايات المتحدة وحدثه عن رحلاته وتجواله في الأقاليم الشمالية الشرقية من كوردستان تركيا وأيران وينقله فتح الله كما بقي في ذاكرته يقول:

فيما كنا نسعى نحو الحدود لدخول أيران، التقينا بكوردي قبائلي يسير وراء حماره الى جهة الحدود، فثار فضولي ودنوت منه وسألته بمعرفة مترجمي جملة من الأسئلة تتعلق بمهنته وأسرته، ثم خطر ببالي ان أسأله عن وجهته ومقصده فقال بكل بساطة: إني ذاهب لزيارة الولي وقراءة الفاتحة على ضريحه، فقلت له وأين هو ذلك الولي وما هي كنيته؟

أجاب على الفور، قاضي محمد.

يتضح من هذه الحادثة منزلة قاضي محمد بين ابناء الشعب الكردي.

١٨ـ نحن في هذه الفقرات لا نرمي الى دراسة أسباب سقوط جمهورية مهاباد، إنما نشير فقط بإيجاز الى العوامل التي رافقت قيام هذه الجمهورية ومن ثم اختفائها، أما عن اسباب السقوط فيحتاج ذلك الى دراسة مستقلة مفصلة، لكن مثل هذه الدراسة المستفيضة لا تدخل ضمن برنامج هذا الكتاب.

المصادر والهوامش:

١ ـ الدكتور عثمان علي: دراسات في الحركة الكردية ص ٧٦٢

٢ ـ الدكتور عثمان علي: المصدر السابق ص ٧٦٩ ـ ٧٧٠

٣ ـ سووره مه ركَه يي: البارزاني والأعداء، مؤتمر الذكري المئوية ج٢ ص ١١٧٢ ـ ١١٧٣ اربيل ٢٠٠٣م.

٤ ـ د. عثمان علي: مصدر سابق ص ٧٧٥

٥ ـ بتفكيك مصطلح جمهورية مهاباد او جمهورية كردستان، ينبغي ان نواجه تساؤلاً حول ماهية الجمهورية المعلنة، إن كانت بمنعي الدولة التي لها علم، ونشيد ودستور وحكومة ومقومات الدولة في الشأن الداخلي ومعترف بها دولياً واقليمياً، وإن كان مصطلح الجمهورية هنا قريناً لمعني الجمهورية ذات الحكم الذاتي التي كانت منضمن جمهوريات الأتحاد السوفياتي كجمهورية أذربيجان وكازخستان ولتوانيا، او الجمهوريات الصغيرة في الأتحا السوفياتي السابق كأنكوشيا، والشيشان وقرغيزيا وغيرها.ويتطرق الى هذه النقطة الدكتور عثمان علي في دراساته في الحركة الكردية المعاصرة ص ٧٠٥ فيقول: ليس من السهل وصف جمهورية كردستان وصفاً دقيقاً فيما إذا كانت كياناً ذات حكم ذاتي أم حكومة لدولة مستقلة، ويعود ذلك الى الأسماء التي استعملت لتعريف الجمهورية التي توحي بشئ، والتصرفات والتصريحات المتعارضة التي صدرت من بعض المسؤولين والتي توحي بشئ آخر. فقد كتب على العلم الخاص بالجمهورية " دوله تي جمهوري كوردستان ـ دولة جمهورية كردستان " وأيضاً " كوماري ديموكراتي كوردستان ـ جمهورية كوردستان الجيمقراطية " وكتب أيضاً " كوماري مللي مهاباد ـ جمهورية مهاباد الوطنية ".. اما الصحافة الرسمية للجمهورية فاستعملت جمهوري ديمكراتي كوردستان.... إن استعمال عدة اسماء من قبل المؤسسات والشخصيات دليل عدم وجود مرجعية قانونية لحسم هذه المسألة... ويختم الدكتور عثمان علي قوله: لو كان هناك دستور او مؤسسة تشريعية أو وقت كافي في عمرها لأمكن تفنين هذه المسألة وحسمها. أنتهي.

أجل إن عمر هذه الجمهورية القصير كان يشكل لحظة من الزمن، فلو حافظ الشعب الكردي على كينونة هذه النبتة اليانعة لكان من اليسير معالجة هذه الأمور.

٦ ـ ديفيد ادامسن وجرجيس فتح الله "الحرب الكردية وانشقاق ١٩٦٤" ص ٩٦، ستوكهولم ١٩٩٠م.

٧ ـ مسعود البارزاني، البارزاني والحركة التحريرية الكردية، ج١ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

٨ ـ مسعود البارزاني، المصدر السابق ص ٢١٢

٩ ـ د. عثمان علي مصدر سابق، ص٧٣٤

١٠ ـ د. عثمان علي: المصدر السابق ص ٧٣٥
١١ ـ مسعود البارزاني/ مصدر سابق ج١ ص ٢٢٧
١٢ ـ وليام ايغلتن الأبن، مصدر سابق ص٢٠٠
١٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية.. ج١ ص ٢٢٧
١٤ ـ وليم أيغلتن الأبن، مصدر سابق ص ٢٠١
١٥ ـ مسعود البارزاني، مصدر سابق ص٢٣١
١٦ ـ يهوذا الأسخريوطي: التلميذ الذي خان سيده، ولقب بالأسخريوطي تمييزاً له عن يهودا الآخر أحد الأثني عشر، ويهوذا الأسخريوطي هو التلميذ الوحيد الذي لم يكن جليلياً.. وقد أصبح اسمه دليلاً للخيانة.. لقد خصه يسوع ان يكون أميناً للصندوق، ربما لم يكن المبلغ الزهيد الذي استلمه وهو ثلاثين من الفضة هو الباعث الوحيد للخيانة رغم ان المال هو من المغريات الهامة في هذا السلوك، فالعوامل الأخري هي تلك التي يطلق عليها بتدخل الشيطان، وأعتقد ان هذا التأويل يرمي الى ان الشر يكمن في دوافن البشر، وهي جزء من الصراع بين الخير والشر.
١٧ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج١ ص ٢٣٩
١٨ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ص ج ١ ص٢٤٢
١٩ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج١ ص ٢٤٤
٢٠ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج١ ص ٢٤٤
٢١ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية ص٣٠٤
٢٢ ـ وليام أيغلتن الأبن: جمهورية مهاباد، حاشية ص ٢١٦
٢٣ ـ الدكتور فاضل البراك: مصدر سابق ص١٣٩
٢٤ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص٢٤٥
٢٥ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ص ٢٤٩
٢٦ ـ اعتمدنا في هذه المسيرة على التواريخ الواردة في كتاب الأستاذ مسعود البارزاني وهناك تواريخ اخري فيها اختلاف طفيف مقداره يومين حيث ورد مثلاً ان قصف قرية دري كان يوم ٢١ / ٥ في حين ان التاريخ الذي اوردناه هو ٢٣ / ٥ وهذا التباين الطفيف لا يؤثر على مجري الأحداث الواردة في هذه المسيرة، واعتمدت على مصدر واحد في تحديد التواريخ لكي لا يقع القارئ الكريم في الحيرة بسبب اختلافات بسيطة.
٢٧ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية ص ٣٠٦
٢٨ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ص ٢٥٠ ـ ٢٥١
٢٩ ـ وليم أيغلتن الأبن: جمهورية مهاباد ص ٢١٨
٣٠ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج١ ص ٢٥٤
٣١ ـ وليم ايغلتن ألبن: جمهورية مهاباد ص ٢١٨ ـ ٢١٩
٣٢ ـ ايوب بارزاني: مصدر سابق ص ٢٠٧
٣٣ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج١ ص ٢٥٥

٣٤ ـ أيوب بارزاني: المقاومة الكردية.. ص٣٠٨

٣٥ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج١ ص٢٥٦

٣٦ ـ ديفيد ادامسن وجرجيس فتح الله: الحرب الكردية وانشقاق ١٩٦٤، ص ٩٦

٣٧ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج١ ص ٢٥٦ وكذلك ايوب بارزاني: المقاومة الكردية.. ص٣٠٩

٣٨ ـ (وليم أيغلتن الأبن: مصدر سابق ص ٨٩

٣٩ ـ ديفيد أدامسن وجرجيس فتح الله،مصدر سابق ص ١٥٨

من الوثائق التي تتعلق بهذا الفصل رأيت من المفيد نشر المقال أدناه، والتي نقلتها من موقع عرب كورد، اورك

آخر وصية للقاضي محمد رئيس جمهورية كوردستان قبل إعدامه شنقا

تنشر هذه الوثيقة لأول مرة باللغة العربية. عن موقع عرب كورد Arabkurd.org

ترجمة:

محسن جوامير

كاتب كوردستاني

يا أبنائي وإخوتي الأعزاء!

يا إخوتي الذين هضمت حقوقهم!

يا شعبي المظلوم!

ها أنا ذا في اللحظات الأخيرة من حياتي، أقدم لكم بعض نصائحي:

ـ تعالوا أناشدكم بالله أن لا يبغي بعضكم على بعض.. توحدوا وتعاضدوا.. اثبتوا أمام عدوكم.. لا تبيعوا أنفسكم لعدوكم بثمن بخس.. وإنَّ تودّدَ عدوكم لكم محدود، وينتهي حين تتحقق أهدافه.. فهو لا يرحمكم أبدا، ومتي وجد الفرصة واستنفدت أغراضه، فانه ينتقم منكم لا محالة ولا يعفو عنكم ولا يرحم.

إن أعداء الكورد كثيرون، هم ظلمة، مستبدون ولا يرحمون.. وعلامة وطريق نصر أي شعب أو امة، يكمن في وحدتهم وإتحادهم، وكذلك في المناصرة، وإلا فهم يرزحون تحت وطأة المتجبرين.

أيها الشعب الكوردي!

لستم بأقل من أي شعب على وجه البسيطة، إنما انتم في الرجولة والشهامة والقوة متقدمون على كثير من الشعوب التي تحررت.. فالشعوب التي تخلصت من قبضة المستبدين،

هم أمثالكم، ولكن اولئك كانوا متحدين.. كفتكم العبودية.. وإن تحرركم مرهون فقط بالوحدة ونبذ الحسد ورفض العمالة للأجنبي ضد شعبنا.

إخوتي!

لا يخدعنكم العدو.. فعدو الكورد عدو ايا كان لونه وجماعته وقومه.. لا شفقة له ولا ضمير، ولا يرحمكم، ويوقع بينكم الفتنة والتقاتل، ويثير بينكم الأطماع.. وعن طريق الخدعة والأكاذيب، يُحرضُ بعضَكمْ ضد بعض.

والعجم هم أعدي أعداءكم، فهم أكثر ظلما وألعن وأكثر فسقا وأقل رحمة من الجميع.. لا يتورعون عن إقتراف أي جريمة بحق الشعب الكوردي.. وهكذا كانوا دائما، فالبغض والكراهية متأصلان فيهم طوال التأريخ ولحد اللحظة.

أنظروا كيف تعاملوا مع زعماء شعبكم، بدءاً ب " إسماعيل آغاي شكاك " وإنتهاء بأخيه جوهر آغا وحمزة المنكوري وآخرين كثر.. لقد خدعوهم جميعا، حيث تعاملوا معهم بالمرونة واللين في البداية، ومن ثم فرقوا جمعهم وشملهم، وأخيرا قاموا بكل خسة ودناءة بتصفيتهم.. لقد خدعوهم بأن أقسموا لهم بالقرآن، وأوحوا إليهم بأن نية العجم تجاههم صافية وانهم يحسنون صنعا معهم.

ولكن وا أسفاه على سرعة تصديق الكورد الذين إنخدعوا بيمين وعهود العجم التي قطعوها لزعماء الكورد، وكل ما قطعوه لم يتجاوز حدود الكذب والخداع.

لذا، أناشدكم وكأخ صغير لكم بالله، وأقول: إتحدوا ولا تتفرقوا.. وتيقنوا بأن العجم لو منحوكم العسل، فانهم يدسون السم فيه.

لا يخدعنكم قسم وعهود العجم.. فإنهم لو حلفوا يمينا وبالقرآن ألف مرة ووضعوا أيديهم عليه ووعدوكم، حينئذ تأكدوا بأنهم يريدون خيانتكم ومخادعتكم.

ها أنا ذا في اللحظات الأخيرة من حياتي، أنصحكم لله.. أقول لكم بأن ما كنت قادرا على فعله قد فعلته، والله أعلم.. لم أقصر في تقديم النصائح وتبيان الطريق الصحيح.. والآن وفي هذا الوقت والحال، أعيده عليكم واطالبكم بألا تنخدعوا أكثر بالعجم ولا تصدقوا حلفهم بالقرآن ولا بعهودهم وعقودهم، لأنهم لا يعرفون الله ولا يؤمنون به ولا برسوله ولا بيوم القيامة ولا بالحساب والكتاب.. وما دمتم كوردا، فانكم في نظرهم مجرمون ومحكومون، حتي لو كنتم مسلمين.. من اجل ذلك، فإن رؤوسكم وأموالكم وأرواحكم مباح وحلال بنظرهم، ويعتبرون كل ما يقومون به ضدكم هو غزوة.

ما كنت أتمني أن أغادر الحياة واتركم وأنتم تعانون من ظلم هؤلاء الأعداء الحاقدين.. لقد

فكرت كثيرا في ماضينا ورؤساءنا الذين خدعهم العجم باليمين والكذب والحيل ومن ثم ألقوا القبض عليهم وبالتالي قتلوهم.. وقد حدث هذا بعد أن عجزوا عن هزيمتهم والإنتصار عليهم في معارك البطولة ولم يصمدوا أمامهم، فاقدموا وعن طريق الكذب والإحتيال والدجل على خداعهم وبالتالي قتلهم.

أنا أتذكر كل ما حصل لأولئك الزعماء، ولم أثق في يوم ما بالعجم.. وقبل أن يعودوا إلي هنا، وعن طريق الرسائل والتوصيات وإرسال شخصيات كوردية وفارسية، وعدوا وعاهدوا كثيرا ومن دون أي وفاء بهما بأن دولة العجم وعلي رأسها الشاه تريد لهم الخير وليس في نيتها أن تسقط قطرة دم واحدة في كوردستان.. وها أنتم الآن ترون بأم أعينكم نتائج الوعود التي قطعوها.. ولو أن رؤساء القبائل والعشائر لم يخونوا ولم يبيعوا أنفسهم للعجم، لما حصل لنا ولكم ولجمهوريتنا ما حصل.

نصيحتي ووصيتي لكم هي:

أن تحثوا أبناءكم على طلب العلم، فإننا لسنا بأقل من الشعوب الأخرى ولا ينقصنا شئ غير العلم.. تعلموا، حتى لا تتأخروا عن ركب الشعوب.. فالعلم لدي عدوكم هو سلاحه القاتل في وجهكم.

تأكدوا لو أنكم إتفقتم وإتحدتم وأوليتم العلم إهتمامكم، فانكم سوف تنتصرون على أعداءكم نصرا عزيزا.

لا ينبغي أن يُحبطكم ويقضي على عزيمتكم مقتلي ومقتل أخي وأبناء أعمامي، لأنه ومن أجل أن تصلوا إلي آمالكم وأهدافكم، يجب أن يقدِّم الكثير من أمثالنا التضحيات من أجلها.. وأنا على يقين بأن هناك الكثير من الآخرين الذين سوف يُقضى عليهم بالحيل والنفاق.

انا على قناعة بأن هنالك الكثير من الذين هم اعلم وأقدر منا، سوف يقعون في شرك وخداع ومؤامرات الأعاجم.. لكنني آمل أن يكون مقتلنا درسا وعبرة للمخلصين من أبناء الشعب الكوردي.

لدي نصيحة أخرى وهي:

ان ترجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون نصيركم ومعينكم في نضالكم من أجل هذا الشعب.. حينئذ أكون على ثقة بانه سوف يمدكم من عونه.

قد تسألونني لماذا لم أنتصر وأفز؟! وعند الجواب اقول لكم: والله لقد إنتصرت وفزت.. أي نعمة وأي نصر وفوز اكبر من أن أفدي برأسي ومالي وروحي في سبيل شعبي؟!

تأكدوا بأن مطلبي في الحياة كان أن اموت موتة تجعلني وأنا أواجه الله والرسول وشعبي

وقومي، مرفوع الرأس.. إن هذه الميتة هي نصر لي.

أحبائي!

كوردستان هي بيت الجميع.. كما أن كل فرد في البيت يقوم بعمل محدد فيه ولا يحتاج الأمر أن يتدخل الآخر في شأنه، وكذلك الأمر مع كوردستان، فإن مثلها كمثل البيت.. عندما تعرفون بأن عضوا في هذا البيت بإمكانه القيام بعمل ما، دعوه ليعمل، وليس هناك داع ومسوغ لوضع العوائق أمامه او تكتئبوا وتأخذكم الغيرة لكون أحدكم تحَمَّل المسؤولية الكبرى.. لأنه حينما يتحمل شخص ما عملا عظيما ويديره، يعني هذا أنه عالم به ويحمل على عاتقه مسؤولية عظمى أمام هذا الواجب.

تأكد بأن الكوردي أفضل لك.. والعدو يحمل البغض والكراهية في قلبه.. ولو لم اكن أتحمل مسؤولية كبيرة على عاتقي، لما كنت الآن واقفا تحت حبل المشنقة.. لذا يجب ان لا يستبد بكم الطمع تجاه بعضكم.

الذين لم ينفذوا أوامرنا، لم يقتصروا فقط على عدم التنفيذ والطاعة فحسب، إنما عادونا أيضا.. وبما أننا إعتبرنا أنفسنا خداما لشعبنا، فهم الآن في بيوتهم وبين أولادهم، ينامون وهم مرتاحوا البال.. لكننا بسبب كوننا خداما لشعبنا، ها نحن الآن واقفون تحت حبل المشنقة، وأنا بصدد إنهاء آخر لحظات حياتي بهذه الوصية.. ولو لم أكن أتحمل المسؤولية الكبرى، لكنت أغط الآن في نوم عميق.

وهذه النصيحة التي اقدمها لكم، هي أيضا من إحدى المهام التي على عاتقي.. وانا على يقين بأنه لو كان هناك شخص آخر تحَمّل مسؤولياتي، لاصبح هوالآن في مكاني تحت حبل المشنقة.

وأنا الآن ومن أجل أن أرضي الله وطبقا للمسؤولية التي على عاتقي، وككوردي خادم للشعب ومن اجل العمل الطيب (الأمر بالمعروف) قدمت لكم بعض النصائح.. أرجو ان تاخذوا منها لاحقا العبر وان تنصتوا إليها تماما، على أمل أن ينصركم الله تعالي على أعداءكم:

١ـ أن تعتقدوا بالله و (بما جاء من عند الله) وتعبدوه، وتؤمنوا برسوله (صلى الله عليه وسلم) ويكون أداؤكم للفرائض الدينية قويا ومتينا.

٢ـ احفظوا وحدتكم وإتفاقكم في صفوفكم.. لا تقترفوا الأعمال المشينة تجاه بعضكم، ولا تكونوا طماعين ولاسيما عند تسلم المسؤولية.

٣ـ إجتهدوا في رفع مستوى الدراسة والعلم ودرجة تحصيلكم، حتى لا تنخدعوا بالعدو كثيرا.

٤ـ لا تثقوا بالأعداء، ولاسيما العجم، لأنهم يعادونكم بأشكال مختلفة، فهم أعداء شعبكم

ووطنكم ودينكم. والتأريخ أثبت بأنهم يبحثون عن كل ذريعة للإيقاع بكم، ويقتلونكم لأدني سبب ولا يتورعون عن القضاء على الكورد بتاتا.

٥ـ لا تبيعوا أنفسكم للعدو طمعا في بقاء زائل في هذه الدنيا الدنية، لان العدو هو نفس العدو ولا يمكن الإعتماد عليه.

٦ـ لا يخن بعضكم بعضا، لا في السياسة ولا في الأرواح ولا في الأموال ولا في الأعراض.. لأن الخائن ذليل ومجرم عند الله والناس، والمكر السئ يحيق بصاحبه في الأخير.

٧ـ لو أن أحدا منكم تمكن من أداء اعمالكم، فتعاونوا معه، ولا يجعلنكم الإستئثار والطمع أن تقفوا ضده أو لاسامح الله أن تتجسسوا عليه لصالح العدو.

٨ـ المذكور في وصيتي هذه، هو من أجل صرفه على المساجد والمستشفيات والمدارس.. عليكم أن تطالبوه جميعا وتستفيدوا منه.

٩ـ لا تتوقفوا عن النضال والدأب والجهاد، حتي تتحرروا كباقي الشعوب من نير الأعداء.. لا قيمة لمال الدنيا.. لو أصبح لكم وطن وإمتلكتم الحرية وأصبحت أموالكم وأرضكم ووطنكم لكم، عند ذاك يمكن ان يقال بأنكم حقا أصحاب أموال وثروة، وكذلك أصحاب دولة وعزة.

١٠ ـ ما أظن أن لأحد على حق، سوى حق الله.. ولكن لو أن أحدا يعتقد أن له عليّ حق، فإنني تركت ثروة كبيرة، فليذهب إلي الورثة ويأخذه منهم.

ما دمتم غير متوحدين، فإنكم لن تنتصروا.. لا يظلم بعضكم بعضا، لأن الله يقضي على الظالم بأسرع وقت ويخزيه.. وهذا وعد الله من دون زيادة أو نقصان.. الظالم سوف يسقط ويخزي، والله ينتقم من ظلمه.

آمل أن تأخذوا بنصيحتي، وأن ينصركم الله على الأعداء، وأقول كما قال الشيخ سعدي:

مراد ما نصيحت بود و كوفتيم
حوالت با خدا كرديم و رفتيم

يعني:

كان قصدنا مجرد نصيحة وقلنا
وسلّمنا الأمر لله وذهبنـــــــــا

خادم الشعب والوطن
القاضي محمد

الفصل الثامن

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وتداعياتها على القضية الكردية

قبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

إن الثورة التي عايشنا وعاصرنا احداثها في صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ م، كانت خيوطها قد نسجت في الثكنات العسكرية وهي تعتمد بالدرجة الأولى على الأنضباط العسكري الصارم، فتخطيطها وتنظيمها وتنفيذها تجلت في ثناياها بصمات الطابع العسكري، حيث لم يفش موعد ساعة الصفر سوي لنفر قليل من السياسيين وقد تم ذلك قبل يوم او يومين منه التنفيذ. فالثورة في العراق كانت معظم مراحلها التحضيرية من عمل شخص واحد، وقد نفذها الزعيم عبدالكريم قاسم مع العقيد عبدالسلام عارف معاونه الشخصي الذي يثق به.

كانت ثمة عدة مجموعات مستقلة تعمل بعيدة بعضها عن بعض لكنها تعمل في اتجاه واحد، وقد انتظمت هذه المجموعات بالتدريج في ثلاثة مجموعات ثم باثنتين وأخيراً بحركة الضباط الموحدة. ويقول اورين دان:

مجموعتان برزتا في المراحل الأخيرة من هذا الألتحام واحدة انبثقت في الظاهر من خلية الفها المقدم صالح عبد المجيد السامرائي وهو الملحق العسكري العراقي في عمان بعد الثورة المصرية بقليل.. وفي نهاية عام ١٩٥٤ انضمت الى هذه الخلية خلية أخري كان انشأها العقيد عبد الكريم قاسم، وأقرب المتعاونين معه في ذلك الحين هو العقيد اسماعيل العارف.

بعد حين من الزمن انضم الى هذه المجموعة ضابط من صنف المشاة هو العقيد عبد السلام عارف الذي كان تحت امرة عارف وقد تم قبوله بعد الحاح وتوصية خاصة من آمره. والمجموعة الكبيرة الأخري تألفت في أوائل عام ١٩٥٨ وترأسها العميدان محي الدين عبد الحميد وناجي طالب.. واتحدت المجموعتان وانتخب عبدالكريم قاسم، وكان في حينه قد رقي الى رتبة عميد وآمر للواء التاسع عشر، رئيساً للجنة المركزية العليا لحركة الضباط الأحرار التي قادت التشكيل الموحد.. فالأعضاء الأصلاء في هذه اللجنة هم: عبدالكريم قاسم وناجي طالب وعبدالوهاب أمين، ومحي الدين عبد الحميد، واسماعيل العارف، وعبد الوهاب الشواف،

وعبدالكريم الفرحان، ورجب عبدالمجيد ورفعت الحاج سري والعقيد طاهر يحي، ووصفي طاهر، ومحمد سبع[1].

لقد كانت تشكيلة الضباط الأحرار لها طابع قومي اسلامي حيث خلت التشكيلة من أي اسم مسيحي او كردي. فالضباط المسيحيون لم يكن يسمح لهم بالترقية الى رتب عالية.

ربما كان اجتناب مفاتحتهم بسبب حرفيتهم وإخلاصهم لوظيفتهم وصعوبه انخراطهم في عمل تآمري على حكومة وضعت بهم ثقتها. فالمسيحيون رغم ذلك لا يُسلمون عادة قيادات او وحدات، وباعتقادي الشخصي ان الأمر يتعلق بمعتقدات دينية اسلامية. فأغلب الضباط المسيحيين في الجيش العراقي ـ على قلتهم ـ يستخدمون في الصنف الحرفي ويقول جرجيس فتح الله:

انه قلما وصل احدهم الى رتبة عقيد ولا اذكر اكثر من اثنين او ثلاثة وصلوا الى رتبة عميد (زعيم) منذ تأسيس الجيش العراقي في عام ١٩٢١ حتى بلوغه نصف قرن من العمر.

اما باب كلية الأركان وهو الباب الذي يضمن الترقية الى حد كبير. فقد ظل مسدوداً بالنسبة اليهم. إلا حالة شاذة واحدة تتمثل بالعميد (انيس وزير) الذي قبل في كلية الأركان لأن شقيقه الأكبر اللغوي الكبير والأديب المعروف (عبد المسيح وزير) كان صاحب الفضل الكبير على الجيش العراقي باستخراج مصطلحاته التدريبية والتقنية التي يستخدمها الآن. وقد كان هذا الأخ ذا حظوة خاصة عند (نوري السعيد). وقد أحيل هذا الضابط الى التقاعد يوم ١٤ تموز وهو آمر لحامية أربيل.. واعتقل بعد فترة من الزمن[2].

كما ان تشكيلة الضباط الأحرار لم تشمل أي ضابط كردي علماً كان في صفوف الجيش نسبة كبيرة من الضباط الأكراد، وربما كانت ثمة شكوك في إخلاصهم للوطن والعروبة حسب اعتقاد الضباط الأحرار، وبرأيي ان الطابع العام للضباط الأحرار ذو صبغة قومية عروبية مشحونة بطابع اديولجي، وسيعمل هذا التيار للاستحواذ على السلطة بعد انتصار الثورة لكي تقع في احضان الفكر القومي على حساب الفكر الوطني العراقي. الكاتب موسي السيد على له رأي في إبعاد الأكراد عن تكتل الضباط الحرار يقول:

وربما يكون ذلك بسبب تأثر تنظيم الضباط الأحرار في العراق بثورة تموز يوليو ١٩٥٢ في مصر بزعامة جمال عبد الناصر وكذلك بسبب اشتراك عدد من الضباط الأكراد العراقيين في إقامة جمهورية مهاباد، الأمر الذي اضعف الميول بأشراكهم في تنظيم سري ينوي قيادة انقلاب في اوضاع البلاد السياسية والأجتماعية والأقتصادية ومنذ الأيام الأولى للثورة اصبحت المسالة الكردية في العراق موضع مخاوف، على الصعيدين الأقليمي والدولي[3].

اقتنعت اللجنة العليا للضباط الأحرار ان يكون عبد الكريم قاسم الرجل الأول بوصفه هو واضع الخطة ورئيس المنفذين وربما كان هذا القرار بسبب حدة ذكاء عبد الكريم قاسم وإرادته القوية ومقدرته على المخادعة وإخفاء حقيقة ما يبطن وهذه كلها اشياء مهمة ومطلوبة في تلك الأوضاع التي تتطلب الكتمان والسرية، ولكن ربما يكون السبب الأخر للقناعة بزعامته هو انه يأبى دائماً ان يرسي على خط سياسي معين اكثر من دعمه للمبادئ الوطنية والتقدمية بشكل عام، حيث كان كثير من الضباط الأحرار يتبنون وجهات نظر وآراء سياسية متنافرة حول المنهاج السياسي بعد نجاح الثورة. وكان مطلوب من (قاسم) ان يقود لواء مشاة مجحفل حسن التدريب. وهي وحدة مقاتلة ممتازة لا مراء في جدواها وقيمتها القتالية بحسب النظرية العسكرية البريطانية المطبقة في الجيش العراقي، وكان مقر لوائه يقع على مسافة ملائمة من العاصمة[٤].

في عام ١٩٥٧ فقد الضباط الأحرار نجيب الربيعي وهو الضابط الكبير المتعاطف معهم حينما اثار شكوك نوري السعيد، فآثر الأخير تعيينه سفيراً في جدة، وحينما رافقه عبد الكريم قاسم الى الطائرة التي تقله وعده بان يعود وهو رئيس الجمهورية العراقية وهذا ما تم فعلاً.

كانت اجتماعات اللجنة العليا تتواصل برئاسة عبد الكريم قاسم وكانت السرية والكتمان مع تعهدهم بالعمل من اجل الهدف المنشود وهو الأطاحة بالنظام وتأسيس نظام جمهوري، وعن الأدارة المقبلة اتفقوا ان يشكلوا مجلس قيادة الثورة بعد استتباب الأمور ويتم اختيار اعضائه من بين أعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار.

في الحقيقة يمكن ان نعتبر المستقبل غامضاً ولا احد يريد البت به ما دامت الجهود تتركز حالياً على تنفيذ الخطة العسكرية ونجاحها، ومن هذا المنطلق بات عبد الكريم قاسم يضطلع بشؤون الأستعدادات العسكرية اكثر فأكثر، وقام شخصياً بتصريف شؤون الحركة في كل مراحلها الحرجة وعندما ازفت ساعة التنفيذ، يقول عبد السلام عارف: ان اعضاء اللجنة العليا كانوا نائمين جنب زوجاتهم.

لقد كانت مبادرة قاسم أمراً واقعياً وهو لم يستعجل الأحداث والقرار الحركي الوحيد الذي اتفق عليه اجماعاً هو إزالة اعمدة النظام الثلاث بضربة واحدة: الملك فيصل الثاني لم يكن يحسب حساب مؤهلاته الشخصية، إلا انه كان مهماً بوصفه رمزاً لنواة مقاومة محتملة. وولي العهد (عبد الأله) موضع اعتماد ابن اخته ومرشده، ونوري السعيد رئيس وزراء الأتحاد العربي الذي اعتبر المسؤول والممثل الحقيقي لكل ما يقوم النظام عليه وهو الذي انصب عليه حقد المتآمرين وفيه تركز[٥].



اصغر ملوك العالم الملك فيصل الثاني ١٩٣٩ قتل ١٤ تموز ١٩٥٨

في شهر كانون الثاني من عام ١٩٥٧ كان هنالك محاولة للقضاء على اقطاب الحكم الثلاثة اثناء مناورات عسكرية ووجهت الى محل الأجتماع الملكي قذيفة مدفع لكنها اخطأت هدفها وفسر الحدث على انه خطأ غير مقصود.

لكن هذا الحادث يشير اليه العميد ابراهيم حسين الجبوري في مذكراته ويوردها جرجيس فتح الله في معرض الملاحق التي دونها عن كتاب: العراق في عهد قاسم فقد ورد: تقرر أجراء مناورات للجيش في الرطبة في شهر أيار ١٩٥٨ وحضر الملك وولي العهد في آخر صفحة من صفحات المناورات وكان من ضمن البرنامج ان يجري رمي بالمدفعية من ٨٤ مدفعاً. وتقرر ان يوجه واحد منها الى الموضع الذي يقف فيه الملك وخاله على التل. سقطت القنبلة الأولى على مسافة ٤٠٠ ياردة والأخري على بعد ٢٠٠ ياردة، فأمر رئيس أركان الجيش بإيقاف الرمي فوراً. وفتح بعد ذلك تحقيق عهد به الى عبد العزيز العقيلي الذي كان رئيساً للمجلس التحقيقي فلم يسفر التحقيق عن شئ وأغلقت القضية[6].

.... وفي النصف الأول من عام ١٩٥٨ كان ثمة مواعيد أخري للتنفيذ معتمدة على تحركات الجيش. وأخيراً في العاشر من تموز بات مؤكداً بدرجة معقولة ان اللواء العشرين سيترك منطقة بعقوبة متوجهاً الى الأردن عن طريق بغداد خلال أيام قلائل، فبدأ (قاسم) في استعداداته بدقة وانتظام. وكان يعمل بما يمكن وصفه بالسرعة المحمومة، ففي غضون الأيام المعدودة التي سبقت ساعة الصفر الحاسمة اكمل صياغة اوامر العملية الثورية المناطة باللوائين التاسع عشر والعشرين. فكتب البيان الأول. وأتم تأليف الوزارة ومجلس السيادة وفق الخطوط العامة المتفق عليها مع اشياع الثورة المدنيين. ووزع المناصب العليا في الجيش والشرطة والأدارة المدنية والسلك الخارجي... وأدلي لعبد السلام عارف آمر الفوج الثالث من اللواء العشرين بشرح مختصر للجزء المتعلق بالأستيلاء على العاصمة من الخطة العامة، وقد

ادعي عارف فيما بعد بأنه هو وليس (قاسماً) الذي كان صاحب خطة حركة الأنقلاب وعلي ضوء هذه الأحداث التي جرت في ١٣ ـ ١٤ من تموز والعداء الذي ما لبث ان ذرّ قرنه بين الرجلين ـ عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، المؤلف ـ.. ويبدو ان أقرب احتمالاً ان قاسماً الرئيس المعترف به للحركة الأنقلابية والضابط الأقدم الأكثر تجربة من عارف عسكرياً، هو الذي وضع الخطة بتفاصيلها العامة وهو الذي قرر اسناد المناصب للأشخاص في النظام الجديد ومن المحتمل انه بحثها مسبقاً مع عارف[٧].

تنفيذ الخطة

ثمة روايات كثيرة تتناول سرد الأحداث قبيل الثورة وبعدها، وهناك فقرات في سير الأحداث ورد ذكرها في مختلف المصادر ومنها: ان اللجنة العليا كانت تجتمع في الثالث او الرابع من تموز في بيت عبد الكريم قاسم في العلوية ـ وسمي الشارع الذي يقع فيه بيت عبد الكريم قاسم بشارع الزعيم ـ، وكان المجتمعون ينظرون في مسألة التوقيت الدقيق للأنقلاب، واختيار اعضاء مجلس وزراء ومجلس السيادة واشياء أخرى لكن ذلك لم يتم بسبب ان المجتمعين سمعوا قرعاً على باب البيت ودخل شخص مجهول، تحدث على انفراد مع عبد الكريم قاسم ثم ذهب. عندها اعلن قاسم ان الأستخبارات العسكرية علمت بالأجتماع وسوف تلقي القبض على المجتمعين في اية لحظة وسارع قاسم الى التفرق من دون ان يعرفوا إلا بعد الثورة، انه لعب عليهم.

ليس من المعقول ان تستمر الثورة في صيغتها العسكرية وهي تدعي تحرير الشعب ومنحه الحريات، وهي لا زالت حبيسة الثكنات العسكرية، فكانت الضرورة تقضي بالأتصال بالأحزاب السياسية لتفعيل مفهوم الثورة بين الشعب وجيشه، وإن كان الضباط الأحرار قد نجحوا في تكوين تنظيمات عسكرية، فإن الأحزاب السياسية ايضاً كانت تنسق فيما بينها لتشكيل جبهة وطنية تضم القوي السياسية التي كانت ناشطة في الساحة السياسية العراقية في تلك الحقبة من الزمن العراقي.

يقول موسي السيد علي: لقد كان الحزب الشيوعي العراقي والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الأستقلال وحزب البعث العربي الأشتراكي قد نجحوا في إقامة جبهة الأتحاد الوطني، وهذه الأحزاب رفضت جميعها باستثناء الحزب الشيوعي العراقي رفضت ضم الحزب الديمقراطي الموحد في كردستان (هذا هو اسم الحزب الديمقراطي الكردستاني أنذاك بزعامة الملا مصطفى البارزاني). ونتيجة لرفض الأحزاب القومية وجود الحزب الديمقراطي الكردستاني في جبهة الأتحاد الوطني لجأ الحزب الشيوعي الى إقامة تحالف ثنائي مع هذا

الحزب. لأن الأحزاب القومية العربية تجاهلت على وجه العموم الخوض في تعقيدات المسألة الكردية في برامجها وخطابها السياسي قبل ثورة تموز بينما كان الحزب الشيوعي يلعب الدور الأول في الترويج للقضية الكردية، ويضيف بان ذلك ناجم لكون الحزب الشيوعي هو الوحيد الذي يضم الأكراد والعرب وأبناء الأقليات من جهة، وبسبب تكوينه الأيديولوجي من جهة اخري[٨].

كان لأحزاب المعارضة والمؤتلفة في جبهة الأتحاد الوطني نظرات متباينة على القضية الكردية فالحزب الوطني الديمقراطي يؤكد في برنامجه ان الوطن العراقي ميدان للتعاون الحر بين العرب والأكراد وغيرهم من العناصر التي يتكون منها العراقيون، وإن برناج حزب الأتحاد الوطني وحزب الشعب أيضاً يقران بمبدأ المساواة بين العرب والأكراد ودون الأخلال بسلامة الوحدة العراقية، لكن مع هذا نلاحظ اللجنة العليا للضباط الأحرار والتي عقدت اجتماعها في ١٢ حزيران ١٩٥٨ والتي تألفت من عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وعبد الوهاب الشواف ورفعت الحاج سري إضافة الى اعضاء آخرين، حيث تم في هذا الأجتماع الأتفاق على البرنامج السياسي للثورة فنصت المبادئ العامة على ما يلي:

١ـ القضاء على النظام الملكي وإعلان النظام الجمهوري.

٢ ـ القضاء على الأقطاع بسن قانون الأصلاح الزراعي.

٣ ـ تحرير العراق سياسياً وأقتصادياً والخروج من حلف بغداد وإعلان سياسة الحياد الأيجابي.

٤ إصلاح النظم السياسية والأقتصادية وتطويرها لخير مجموع الشعب.

٥ ـ العمل على تحقيق الوحدة العربية في البدء بالوحدة مع الجمهورية المتحدة.

٦ ـ إطلاق الحريات العامة للشعب.

٧ ـ القضاء على الفساد والرشوة والمحسوبية وتطهير الجهاز الحكومي وتسليم إدارات الدولة الى أيدي وطنية نظيفة.

٨ ـ تحرير فلسطين من العصابات الصهيونية[٩].

إن الفقرات اعلاه لم يكن فيها اية إشارة الى القضية الكردية، لكن هذه القضية أكبر من ان يجري تجاهلها او تهميشها، وبعد نجاح الثورة مباشرة كان للمسألة الكردية حضور مؤثر على المسرح السياسي العراقي. وفي المادة الثالثة من الدستور المؤقت الذي اصدرته الثورة في ٢٧ تموز ١٩٥٨ ورد فيها ما يلي:

يقوم الكيان العراقي اساس من التعاون بين المواطنين كافة واحترام حقوقهم وصيانة

حرياتهم ويعتبر العرب والأكراد شركاء في هذا الوطن ويقر الدستور حقوقهم القومية ضمن الوحدة العراقية. وفي هذه الأثناء كانت الثورة قد اصدرت عفواً عاماً عن الأكراد المشتركين في عمليات التمرد بما فيهم البارزانيين والملا مصطفى البارزاني، كما اصدرت صحف سياسية تصدر باللغة الكردية وباتت اللغة الكردية لغة التدريس والمعاملات الرسمية في المنطقة الكردية.

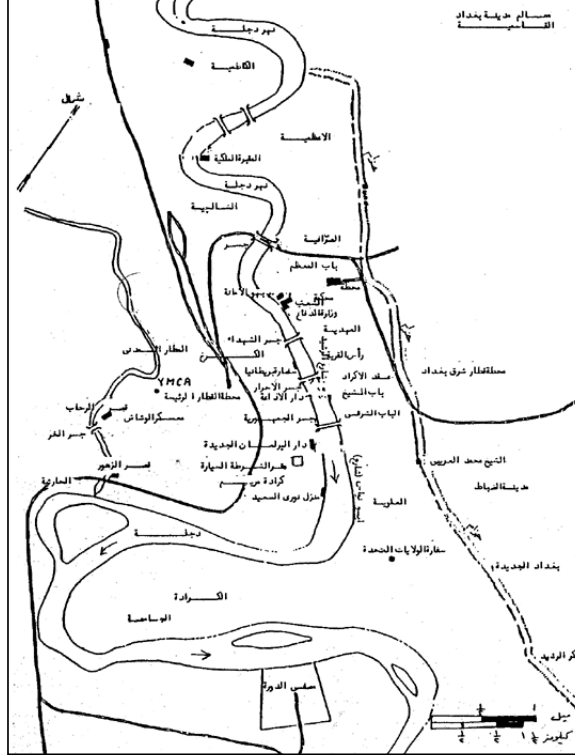
إن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ شكلت منعطفاً تاريخياً في تاريخ العراق المعاصر ولهذا ارى في ان نلقي حزمة من الضوء على تلك اللحظة التاريخية التي حملت في طياتها تداعيات اوصلت العراق الى ما هو عليه اليوم من تمزق ومآسي قل مثيلها في تاريخ العراق الطويل.

كانت الخطة العسكرية تعتمد بالدرجة الأولى على عنصر المفاجأة، وهذا العنصر لا يقل اهمية عن عاملي السرعة والسرية، فكان من الضروري بالمطلق ان تتحرك الوحدات الضاربة من معسكراتها دون ان ثارة شكوك، وانتظار تلك اللحظة المناسبة، كان الحائل دون تعيين توقيت محدد للثورة يندرج بأهمية انتظار اللحظة المناسبة الحاسمة، وهذا الأنتظار كان يخلق بدوره توتراً داخل اللجنة، ويعزي هذا التوتر الى حد غير قليل عن فقدان الشريحة الأصغر عمراً من الضباط الأحرار للصبر. فكان الكثير منهم تواقين للعمل وضجرين من النصائح من التريث والصبر لأقتناص الفرصة المناسبة.

في أواخر حزيران كانت اللجنة العليا تلقت معلومات مفادها ان لواء المشاة العشرين تلقي الأوامر بالتحرك يوم ٣ تموز ثم أجل الموعد الى ٧ تموز ثم أرجئ مرة أخرى الى ١٣ ـ ١٤ تموز ١٩٥٨ باتجاه الأردن انطلاقاً من معسكره في جلولاء مروراً ببغداد ووصولاً الى جسر الخر والذي يقع بالقرب من القصر الملكي، فلاح في الأفق دنو موعد ساعة الصفر. يصف المؤرخ حنا بطاطو تلك الساعات ونوردها هنا مع شي من الأختصار.

عند الساعة ٢١٠٠ من ليل ١٣ ـ ١٤ تموز أخلي لواء المشاة العشرون بقيادة الزعيم الركن أحمد حقي، والمؤلف من ثلاث كتائب كل منها ألف رجل، من معسكر جلولاء وتحرك، والأردن وجهته النهائية باتجاه بغداد التي تبعد مسافة ١٤٠ كيلومتراً الى الجنوب الغربي.

في الساعة ٣٠ , ٢ صباحاً توقف اللواء في بني سعد على بعد حوالي ١٠ كيلومترات من العاصمة بغداد وكما رسم مسبقاً، فقد بدأ العقيد الركن عبد السلام عارف آمر الكتيبة الثالثة عند هذه النقطة من عمله. وبشئ من الحيلة أقنع الزعيم حقي بأن يسبق الوحدة الى الفلوجة، ثم حاول اقنا ع العقيد الركن ياسين محمد رؤوف وهو آمر الكتيبة الثانية بالأنضمام الى الأنقلاب ولما أخفق في إقناعه لجأ الى اعتقاله بمساعدة العقيد لطيف جاسم الدراجي وهو آمر الكتيبة الأولي، وبعد هذا جمع عارف ضباط اللواء وكشف لهم بكلمات مختصرة



معالم مدينة بغداد اواسط الخمسينات من القرن الماضي

وحماسية هدف الحركة والخطة المرسومة لتنفيذها. وكان عدد غير قليل منهم من الضباط الأحرار مما يسر السبيل امام الآخرين للموافقة.

في الساعة ٣٠ , ٤ صباحاً دخل اللواء بغداد، وتوجهت الكتيبة الثالثة التي كانت تحت أمرة عبد السلام عارف نحو الكرخ وكان عليها ان تحتل مبني الأذاعة وبيت نوري السعيد والقصر الملكي، اما الكتيبة الأولى والتي كانت تحت امرة العقيد الدراجي فسارعت الى احتلال قصر الرحاب في الضفة الشرقية واتخذت لها مواقع في النقاط الأدارية الهامة بما فيها وزارة الدفاع. اما الكتيبة الثانية والتي اصبحت بأمرة المقدم فاضل محمد علي فاندفعت نحو الكرخ في الضفة الغربية وحيّدت مركز شرطة السيارة في الصالحية واستولت على مستودعات ذخيرتها.

لقد تم كل شئ حسب الخطة باستثناء هروب نوري السعيد، ويبدو ان الأمير عبد الأله كان عازفاً عن المقاومة ربما لتخوفه بأن يكون قسم من الحرس الملكي، الذي كان يبلغ تعداده حوالي الفين، قد ينضم الى الثوار إن صدرت لهم الاوامر بالخروج الى المقاومة، ويحتمل انه اقتنع او فهم ان اللعبة انتهت وإنه اصبح وجهاً لوجه مع مسار الأحداث التي لا يمكن تغيير مسارها.

لقد كانت الأحداث تتسارع فالحركة مع انبلاج الفجر ودخل الميدان المزيد من الجنود وشرعت الجماهير تتدفق من كل انحاء المدينة الى مسرح الاحداث وتتوحد مع القوات الثائرة.

في الساعة ٧:٤٥ صباحاً، وبعد محادثة قصيرة بين قائد الحرس الملكي ومبعوثي الثوار استتسلم الحرس الملكي.

في الساعة الثامنة صباحاً خرج الملك فيصل الثاني والأمير عبد الأله وبقية اعضاء العائلة المالكة من الباب الخلفي للقصر، مرتبكين، الى الفناء ليواجهوا نصف دائرة من الضباط. بعد لحظات ظهر، ظهر آتياً عدواً من الباب الرئيسي، وفي يده رشاش، الرئيس عبدالستار العبوسي، وكان احد المبعوثين المفاوضين، وأطلق النار فجأة ومن وراء الظهور على العائلة المالكة.

وأدى عمله هذا الى تفجر سيل من الرصاص الذي جاء من كل ناحية ومن كل من كان يحمل سلاحاً. ولم يسقط الى الأرض الملك وجمعه فقط، بل سقط أيضاً ثلاثة من الضباط الذين كانوا يشكلون نصف دائرة. واعترف الرئيس العبوسي، الذي لم يكن عضواً في العصيان من الأساس، والذي جاء الى المكان بعد ان سمع نداء عارف الموجه عبر الأذاعة، للملازم حنظل في وقت لاحق، أنه كان في تلك اللحظة (يمر بنوبة وشعر وكأن غمامة سوداء تغطي رؤيته، وإنه ضغط علي زناد رشاشه بلا وعي ومن دون معرفة بما يدور حوله.

اما نوري السعيد فقبض عليه في اليوم التالي متنكراً بزي امرأة وقتل فوراً، وبعد دفنه، سحبت الحشود الغاضبة جثته ثانية من القبر وسحلتها في الشوارع، مثلها مثل جثة ولي العهد المكروه كراهية عنيفة، ثم شنقت الجثة ومزقت إرباً وأحرقت في النهاية..[١٠]

اما ما كان من أمر عبد الكريم قاسم، فما كاد اللواء العشرون يترك مقره حتى قامت وحدات من اللواء التاسع عشر وبأمر من عبد الكريم قاسم باحتلال مقر الفرقة الثالثة القريب في بعقوبة، وعند أذان الفجر انطلق اللواء التاسع عشر نحو بغداد في اعقاب اللواء العشرين وفي آخر ساعات الصباح دخل الزعيم (العميد) الركن عبد الكريم قاسم العاصمة بغداد بوصفه قائد الثورة ورئيس الحكومة، وكان امام الثورة مهام آنية ملحة ينبغي تحقيقها وهي عرض رسالة الثورة، والمحافظة على الأمن والأستقرار، وتأليف حكومة جديدة، وإزالة آثار الحكم السالف.

الخبر الأول عن الثورة اذاعه عبد السلام عارف* في حدود الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين من صباح يوم ١٤ تموز. في الساعة الثامنة أذيع البيان الأول. وكانت ابرز النقاط في هذا البيان: هو ان البلاد كان يحكمها طغمة فاسدة وضعت نفسها في خدمة الأمبريالية وإن الجيش قام بحركته ضد الطغمة الفاسدة، وهو يتوقع المؤازرة من الشعب ووعد بتأليف حكومة

تنبثق من الشعب على رأس جمهورية شعبية.. تكشف الصياغة المحكمة عن كثير من المبادئ الأساسية التي حاول قاسم جهده التقيد بها حتي النهاية من خلال شتي التحولات في التكتيك والأستراتيجية. إنها الوطنية العراقية في الوقت الذي نوهت الى التضامن العربي.. وظل الجدل يدور حول اليد التي كتبت البيان الأول. فقاسم وأنصاره يدّعون له هذه المأثرة صراحة وضمناً. في حين أكد عارف فيما بعد انه سأل (قاسما) اثناء مواجهته قبل قتله ان يقسم المصحف الشريف بأنه هو الذي كتب البيان وليس (عارفا)، فسكت قاسم ولم يحر جواباً، لكن على اية حال وعلى ضوء تفاصيل تخطيط للثورة، لم يكن من المعقول والمنطق ان يترك قاسم هذه المسألة الحيوية لمرؤوس مهما كان أهلاً لثقته[١١].

هروب نوري السعيد وألقاء القبض عليه

لم يكن نوري السعيد يشغل منصب رئيس وزراء العراق، إنما كان رئيس وزارة الأتحاد الهاشمي وكان في لندن منذ اوائل تموز واستدعي الى بغداد فقرر العودة على جناح السرعة ومن الصدف ان لا يجد مقعد شاغر على طائرة الركاب، وكان هناك طائرة نقل بدون مقاعد للركاب فآثر ركوب طائرة الحمل هذه وجلس الى جانب الطيار حتى وصوله الى بغداد.

ولكي نقع على احداث تلك الليلة والظروف التي ألمّت بنوري سعيد من كتب عصمت السعيد وهي زوجة ابنه صباح نوري السعيد ونحاول تلخيص ما اوردته المؤلفة.

لم يكن في دار نوري السعيد في تلك الليلة سوى الباشا (نوري السعيد) والخدم والسائق الذي الذي كان على موعد لنقله (نوري السعيد) الى المطار للسفر الى لندن برفقة الملك فيصل الثاني.

الصباح الباكر دق وصفي طاهر ـ الذي شغل في وقت سابق مركز المرافق الخاص لنوري السعيد ـ الجرس يطلب مقابلة السعيد بسرعة، ويبدو ان القادم أبلغ نوري السعيد بأن ثمة عملية انقلاب نفذها عبد الكريم قاسم بالأشتراك مع الضباط الأحرار في الجيش العراقي، وإن هناك فرقة متربصة خلف الدار، وإنها تستعد للهجوم على المنزل بعد مدة قصيرة ثم نصحه بالهروب فرواً.. ومضى مسرعاً.

لم يكن امام نوري السعيد متسع من الوقت للتفكير وليس من الحكمة الخروج بالسيارة، فوضع فوق كتفيه معطف النوم، كما دس في جيوب البجاما مسدسين وهرع مسرعاً الى ساحل النهر ولمح قارب صياد مسن كان يجوب النهر يومياً في الصباح الباكر، فناده وأمره ان يحمله الى الضفة الثانية من دجلة، وكان يأمل ان يصل الى وزارة الدفاع، ومن هناك يتصل بقيادة الجيش.

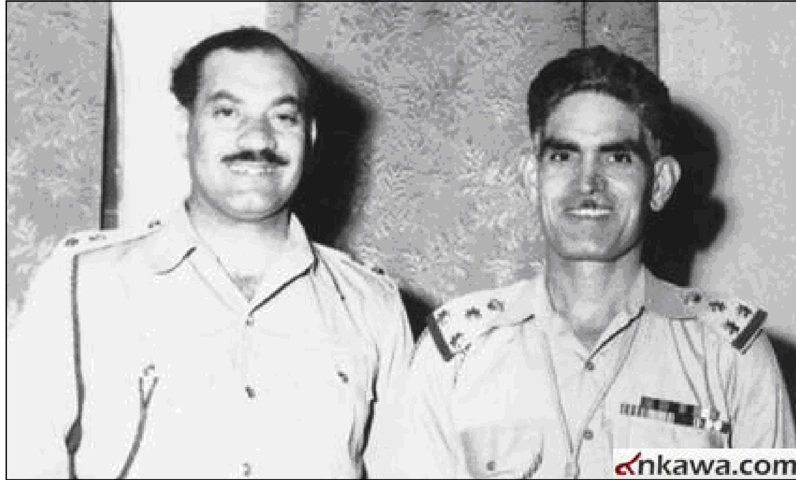
بدأت اصوات قنابل بعيدة تنبعث في سماء بغداد من قصر الرحاب.. ورغم اضطراب الصياد لظهور بوادر انقلاب فقد اذعن للأمر وطلب من نوري ان يرقد في قاع القارب، ثم أسدل عليه شباك الصيد لحمايته حتى لا ينكشف أمره ثم اتجه صوب الضفة المقابلة حتى يغيب عن الأنظار[١٢].

وفي هذه الأثناء اجتاح الجنود دار نوري السعيد، ومع تردد اصوات الرشاشات واصوات القنابل استيقظ سكان المنطقة وهرعوا الى الساحل لمشاهدة الأحداث الطارئة وفي هذه الأثناء رأى نوري من الحكمة العودة الى ضفة الكرادة على ساحل منزل الدكتور صالح البصام المجاور لداره واستقبل وأكرم من اصحاب الدار، لكن المهم تدبير خطة لترحيل نوري الى مكان أمين.

كان هروب نوري السعيد يقلق قادة ثورة تموز ولهذا وعدوا بمكافأة ثمينة لمن يرشدهم الى مكانه.

مساء يوم الرابع عشر من تموز داهمت الشرطة منزل الدكتور صالح البصام وكان معهم الصياد المسن الذي نقله بزورقه، وكان الأعتقاد ان الأمر قد افتضح وإن الصياد يرغب في نيل الجائزة المرصودة، لكن مع بداية التحقيق نفى الصياد ان يكون قد رأي من قبل هؤلاء الأشخاص الذين كان بضمنهم نوري السعيد. لكن المحقق أعاد السؤال وأضاف يقول:

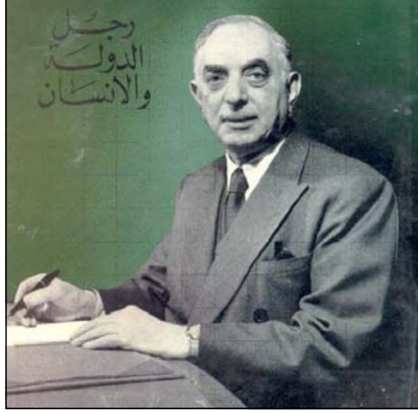
إنك يا بوي تجوب دجلة كل يوم منذ الفجر فلا بد انك رأيت شيئاً جديداً في الصباح. ثم



عبد الكريم قاسم ومرافقه وصفي طاهر، والذي شغل سابقاً المرافق الخاص لنوري السعيد

أخرج صكاً من جيبه ولوح به قائلاً:

امـــامك صك بعــشـــرة آلاف دينار يا بوي، فـاعـتـرف بما تعلم. وهنا اطرق الرجل المسن برأسه الى الأرض، فاضطرب الدكتور البصام وظن ان إغــراء المال أثر في نفس الرجل، وإذا بالصياد يشير الى لحيته البيضاء ويقول:



نوري السعيد

أنظر يا سيدي أتري لحيتي وشيب رأسي؟ إن إحدي قدمي في القبر يا ولدي، كيف يمكنني أن أواجه ربي إذا افتريت في سبيل مال حرام؟ بالله عليك اعفيني عن الجواب يا سيدي، لقد سبق أن قلت لك بأنني لا أعلم شيئاً[١٣]. رغم ان السحابة قد مرت بسلام إلا ان الشبهات باتت تحوم حول اسرة البصام، وعندما اخبر نوري بأن الدار مهددة بالتفتيش طلب منهم الذهاب الى دار الحاج محمود الأستربادي التي تربطهم بأهل السعيد روابط وثيقة، وحينما فتشت دار البصام كان البيت خالياً، وهكذا غاب نوري عن الأنظار، وفي بيت الأستربادي بدأ التشاور في ايجاد طريقة لأنقاذه من الخطر المحيق به من كل جانب.

رحب نوري بالمقترح الذي طرحته زوجة الحاج محمود الأستربادي بنقله الى منطقة البتاويين متخفياً معها ومع خادمتها في سيارة بعد رفع قيود منع التجول في الصباح


الطيار صباح نوري السعيد يمر بطارئرته تحت جسر الأمين في بغداد

فيذهبون الى دار السيد هاشم وهو زوج ابنة السيد محمود الأسترابادي، واستحسن نوري الوصول الى منطقة البتاويين، حيث كان يسكن صديقه الشيخ محمد العريبي فربما يمكنه الوصول اليه متخفياً مشياً على الأقدام، فيندمج مع رجال القبيلة، ويحاول دخول الأراضي الأيرانية.

لقد وصل نوري الى البتاويين دون ان يثير أية شبهات، لكن صاحب الدار امتعض لوجود نوري السعيد في الدار، وأحس نوري السعيد بأن أمر ما يدبر ضده فخرج من البيت ولحقت به زوجة محمود الأسترابادي وخادمتها ومشت المرأتان معه لكي لا ينكشف أمره، وذهب الثلاثة للبحث عن دار العريبي في البتاويين.

لقد انتشر خبر وجود نوري السعيد في البتاويين ووصل الخبر الى الشرطة، ولكون الأهتداء الى معرفة نوري السعيد شخصياً فأرسل عبد الكريم قاسم وصفي طاهر المرافق السابق لنوري على رأس رجال الشرطة حتى لا يلتبس الأمر على الآخرين. وفجأة لمح نوري سيارة شرطة في آخر الطريق، وعندما نزل منها وصفي طاهر.. الحّ نوري على النساء بتركه فأسرعت الخادمة بالفرار، وبقيت أم أمير وهي زوجة محمود الأسترابادي بأمل ان وصفي ربما يحمي الباشا الذي قضى في خدمته عمراً كمرافق.. وتذكّر نوري ما حصل للأمير عبد الأله والتمثيل الشنيع الذي أصاب جثته كما روتها الأخبار.. فأخرج مسدسه من جعبته وأفرغ ما فيه في صدره، فصاحت ام عبد الأمير مستنجدة بصوتها الجهوري، هذا باشتنا يا وصفي هذا أبوك وأبو الكل أنقذوه، كان صوتها يشبه صوت الرجال فظن وصفي انها رجل متنكر في ثياب امرأة فقضي عليها رأساً، وحسب ما أوردته الدكتورة عصمت السعيد أن اولاد السيد هاشم الذين أخبروا السلطات تلفونياً بأن نوري في منزلهم قبض كل منهم مبلغ ٥ آلاف دينار.. ودائماً مع الكاتبة عصمت التي تفيد ان وصفي أخذ الجثة الى وزارة الدفاع وإن عبد الكريم قاسم أمر بدفنها، لكن بعض العناصر المأجورة نبشت القبر في اليوم التالي وأخذت تسحل الجثة في شوارع بغداد الى ان اوصلتها بجوار السفارة المصرية.. [١٤] المزيد من التفاصيل يمكن قراءتها في المصدر المذكور (ص٢٩٥ ـ ٣١٠).

بعد انتصار الثورة

عندما تذهب السكرة تأتي الفكرة كما يقال، في هذه الأحداث كنت في بغداد وكنت في صف الأول المتوسط، وأحد المشاهد الذي علق في ذهني: هو محاولة مجموعة كبيرة من الناس بقلع تمثال رجل راكب على حصان وذلك بالقرب من السفارة البريطانية على ما اعتقد ولا أدري إن كان تمثال الملك فيصل ام تمثال الجنرال مود، وقد أفلحت الجموع اخيراً في ايقاع التمثال

من منصته، وربما كان صبيحة ١٤ تموز عندما كنت في ساحة حافظ القاضي وما اتذكره وقوف شرطي المرور في الساحة ينظم مرور السيارات القليلة، وفي هذه اللحظة كانت سيارة تسير على مهل وهي تسحل وراءها جثة انسان وقيل انها لعبد الأله، وكان احدهم يرفع اصبع بيده ويتباهي ويقول هذه تعود لعبد الأله، وآخرج بيده قطعة صغيرة من القماش ويقول هذا جزء من قميص الملك، المثل يقول: لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها، فتأثير سحل الجثة كان تأثيرها على الذين يشاهدونها، فصاحبها لا يشعر إن حرقت جثته او دفنت او رميت في البحر او مثّل بها، إنما هذه التصرفات تعكس الحالة النفسية والعقلية للعقل الجمعي، ولكن في كل الأحوال مهما بلغت الحشود من الغضب فلا يمكن تبرير تلك الأعمال التي تدخل في عداد الوحشية اللاأنسانية.

كان على الثورة ان تاخذ المسار الطبيعي في تشكيل الحكومة وإصدار الدستور وحفظ الأمن والأستقرار وعودة الحياة الطبيعية، وفعلاً تم تشكيل مجلس السيادة بدلاً عن تعيين رئيس الجمهورية وكان يتكون من نجيب الربيعي وهو ضابط سابق برتبة لواء ومحمد مهدي كبة من حزب الأستقلال وخالد النقشبندي وهو كردي. اما الوزارة فتألفت من:

الزعيم عبدالكريم قاسم رئيس الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة، عبد السلام عارف، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ونائب القائد العام للقوات المسلحة، والدكتور عبد الجبار الجومرد وهو محام ونائب سابق وزيراً للخارجية ومصطفى علي، معلم سابق ومحام، وزيراً للعدل، وابراهيم كبة ماركسي وأستاذ جامعي وزيراً للأقتصاد،الدكتور جابر العمر وهو عميد سابق لكلية الحقوق وزيراً للتربية والتعليم، وناجي طالب من الضباط الأحرار وزيراً للشؤون الأجتماعية، وبابا علي، وزير سابق للأقتصاد، وزيراً للمواصلات والأشغال، فؤاد الركابي وهو أمين حزب البعث وزيراً للأعمار، الدكتور محمد صالح محمود وهو طبيب وزيراً للصحة، وهديب الحاج حمود من الحزب الوطني الديمقراطي وزيراً للزراعة، وصدّيق من حزب الأستقلال وزيراً للأرشاد. ثم بعد اسبوعين أي في ٢٧ تموز صدر الدستور المؤقت... وبذلك اصبح العراق المعاصر لأول مرة يحكم دستورياً من فرد عسكري يجمع السلطات الثلاث في شخصه[١٥].

بعد انتصار الثورة بات معلوماً ان جبهة الأتحاد الوطني كان لها علم مسبق بوقوعها، فالحزب الشيوعي كان على علم بما كان يجري عبر ضباط مقربون الى الحزب، وإن عبدالكريم قاسم نفسه اخبر كمال عمر نظمي، العضو الشيوعي في اللجنة العليا لجبهة الأتحاد الوطني يوم الجمعة في ١١ تموز باليوم المحدد للأنقلاب.ووصل خبر بالمعني نفسه ايضاً الى كامل الجادرجي، رئيس الديمقراطيين، وصديق شنشل، سكرتير حزب الأستقلال، وفؤاد الركابي،



ساحة في بغداد سنة ١٩٦٠

زعيم البعثيين. واتخذت جميع الأجراءات، لقد اتخذت جميع الأجراءات اللازمة لدعم مبادرة الضباط الأحرار، لقد وضع الحزب الشيوعي كل تنظيماته في حالة استنفار ليلة ١٣ ـ ١٤ تموز ملمحاً فقط بطريقة مبهمة الى سبب اتخاذ هذه الخطوة، وكان في ١٢ تموز قد اصدر توجيهاً عاماً الى مسؤولي لجان الحزب الرئيسية، ويبدو كما يعتقد المؤرخ حنا بطاطو انه كان ينظر الى ما بعد ١٤ تموز وعلى ما يلوح في الأفق من نزاع مأساوي مع التيار القومي، ورد في التوجيه:

نظراً للوضع الحرج للأمور، داخلياً وعلي الجبهة العربية، ولأمكانيات تطورها بين لحظة وأخري، وتأكيداً على وحدة الأفعال السياسية لمنظمات حزبنا في حالة الطوارئ المفاجئة في الظروف المعقدة، فإننا نري من الضروري التشديد حالياً في شعاراتنا على ما يلي:

١ ـ الأنسحاب من حلف بغداد، وإلغاء الأتحاد الثنائي مع بريطانيا، ومقاومة مبدأ أيزنهاور.

٢ ـ إطلاق الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب.. وإطلاق المساجين السياسيين.

٣ ـ تبني إجراءات فعالة لحماية ثروتنا الوطنية واقتصادنا الوطني.. وحل المشكلات المتعلقة بمعيشة الجماهير..

٤ ـ تأليف حكومة تتبع سياسة عربية وطنية مستقلة.. وتخدم السلام.. وتحول الأتحاد العربي الى اتحاد حقيقي بين العراق والأردن والتوحد على اساس فيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة...

ونري من المناسب التشديد ايضاً على:

١ ـ ضرورة تجنب الشعارات الملتبسة او المتطرفة او الشعارات التي تمجد هذا الزعيم او ذاك للحركة الوطنية او العربية مما يجعلنا نطلق شعاراتنا الأساسية في الظل ويصغّر نضال الجماهير والجبهة الوطنية. (ويقول الكاتب: في هذا طعن واضح اتجاه عبدة البطل الناصريين).

٢ ـ ضرورة إظهار حذر اكبر تجاه الأنواع المختلفة من المكائد والمؤامرات (يقول المؤلف: في

هذا تحذير من البعث والآخرين نابع من تجربة الشيوعيين في سورية) وتجاه نشاطات عملاء الأمبريالية..

وأخيراً، لابد من العمل على تعبئة اوسع الجماهير الشعبية دعماً للشعارت الصحيحة في اية لحظة وحول الشعارت السامية لحركتنا الوطنية الديمقراطية كمهمة اساسية في كل الظروف[١٦].

في الحقيقة كان هناك عدم تجانس في الأهداف، فالقوي القومية العراقية المتكونة من البعثيين والناصريين والوحدويين الأشتراكيين هؤلاء كانوا متأثرين بزعامة عبد الناصر وهم يستعجلون الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، وكانت مصر تشجع هذا التيار وتثني على الضباط الاحرار وعزمهم الراسخ على تحقيق الوحدة الفورية.

في المراحل الأولى من ثورة ١٤ تموز انتعشت الآمال لكل الأطراف ورجال الثورة والمؤيدين لهم غارقين في مناقشات مثالية ذات مستوي إنساني رفيع هي تتناول قضايا انسانية عامة ومسائل وطنية مهمة، لكن هذه المرحلة الوردية لا تدوم، فالثورة حينما أزالت الحكم وهو العقبة الرئيسية الكأداء عن الطريق يطفو على السطح المهام الجديدة التي تواجه الدولة، فالشخصيات والأحزاب والشيع التي كان يجمعها جامع هو إزاحة الحكم عن الدرب، بات الآن كل فريق يحاول تغيير مجري النهر نحو مزرعته. ومن هذه اللحظة يبدأ التباين والتناقض والتنافس والتنازع، لا بل الى حبك المؤامرات بين احباب الأمس، وتتغير لغة التخاطب الودي، الى التنابز بالألفاظ وكيل التهم وتصل الأمور الى تصفية العناصر التي اصبحت في صف المعارضة اليوم. بالأمس كانوا قلباً واحداً واليوم كل له كيانه الخاص يطمح الى تحقيق آماله وأحلامه غير مكترث بما ينشده الآخرين.

يمكن اعتبار العراق قبيل اندلاع ثورة ١٤ تموز بأنه ناضج سياسياً، فلم يكن كالأمي الذي يباشر بتعلم الحروف الأبجدية، إنما كان قطع شوطاً مهماً في عالم السياسة، فثمة خمسة احزاب سياسية متطورة وهي الحزب الوطني، والأستقلال، والحزب الشيوعي العراقي، والحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب البعث العربي الأشتراكي، إضافة الى النوادي والمنظمات الأجتماعية والنقابات المهنية التي كانت بشكل من الأشكال الوجه العلني لهذه الأحزاب التي كانت ناشطة في العمل السري، إن الدولة في العهد الملكي كانت وصلت الى مستوى جيد من النضوج ومن ترسيخ المؤسسات ومن الحكم المدني، ورغم النواقص التي كانت سائدة فلم يكن هنالك حكماً دكتاتورياً لحزب ما او لشخص ما فكان ثمة وزارات تشكل وأخرى تستقيل، وكان للحكومة مخططات وبرامج إنمائية طموحة تصب كلها في مصلحة تطور البلد وبنائه.

ثورة تموز والمكونات غير العربية

في هذا الكتاب يهمنا ان نلقي الأضواء على العلاقة بين اقطاب الثورة والشعب الكردي وقضيته، لقد تعاطف عبد الكريم قاسم مع الأكراد، وزُعم ان هذا التعاطف ناجم كون والدة عبد الكريم قاسم كردية فيلية شيعية، واعتقد هناك اسباب أخري لتعاطف عبد الكريم قاسم مع الأكراد، وهو الأنقسام في وجهات النظر في سلوك الثورة بعد انتصارها، فالتيار القومي الذي يريد الوحدة الفورية خلق خلافات حادة في صفوف كبار الضباط الذين قاموا بالثورة، ويمكن الزعم بأن عبد الكريم قاسم كان بحاجة الى الأكراد والشيوعيين. لكن يبقي دور الحزب الشيوعي العراقي في دعم المسألة الكردية والمناداة بالأعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي كان له الأثر الحاسم في وضع المسألة الكردية والأقليات العراقية في دائرة الضوء على الساحة السياسية العراقية.

لقد شملت الوزارة الأولى التي شكلها عبد الكريم قاسم بعد انتصار الثورة على وزيرين كرديين وهما: الدكتور محمد صالح محمود وكان وزيراً للصحة، وهو من كركوك ويعمل طبيباً واستقال من الوزارة في ٧ شباط ١٩٥٩. والوزير الآخر هو بابا علي وكان وزيراً للمواصلات وأصله من السليمانية، وهو ابن الثائر الكبير الشيخ محمود البرزنجي كبير مرشدي الطريقة القادرية الصوفية في جنوبي كردستان، تخرج من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة، وكان يميل الى جماعة الأهالي وكان له اتجاهات قومية واضحة لم يشبها استيزاره في العهد الملكي. هذا اضافة الى تعيين خالد النقشبندي (١٩١٦ ـ ١٩٦١) عضواً في مجلس السيادة، وهو سليل اسرة المرشدين الكبار للطريقة الصوفية النقشبندية وتكيتها في بامرني، وهو حفيد الشيخ



مركز بغداد التجاري عام ١٩٥٩

بهاء الدين النقشبندي آخر مرشدي الطريقة العظام، وقد عرف بخلق حميد وقد جمعته مع (قاسم) رابطة المسلك ولم يكن له دور سياسي في العهد الملكي، ولا أثرت عنه مشاعر قومية. اختار السلك العسكري وبلغ فيه رتبة مقدم ركن واضطر الى تركه لاسباب صحية ليجد الطريق معبداً امامه الى الأدارة بسبب نفوذ أسرته الروحي والسياسي فكان متصرفاً للواء أربيل عندما استدعي للعضوية في مجلس السيادة[١٧].

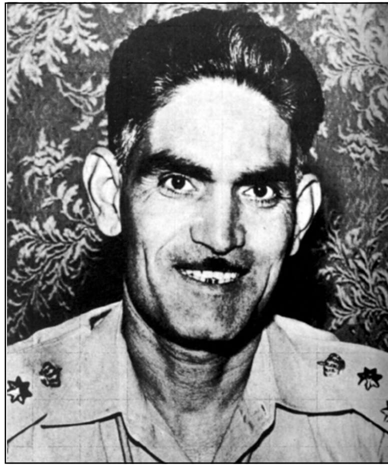
في الحقيقة ان وزارة عبد الكريم قاسم الأولى وبعدها الثانية لم تراع فيها المكونات القومية او الدينية للشعب العراقي، فعلي سبيل المثال لم يكن هناك وزير مسيحي في تشكلية وزارتي قاسم الأولى او الثانية لكن هذه الأقليات لم يخامرها شعور بالغبن او المظلومية، وهذا ما يثبت ان الوضع المستقر وسيادة القانون هي ضمانات لحقوق المواطن، ومهما كان هذا المواطن من الأقليات او من الأكثريات، وحينما ساءت ظروف العراق كان اول من طاله الظلم هو ابن الأقلية.

الحكومة الثانية التي شكلها عبد الكريم قاسم في ١٠ شباط ١٩٥٩ كانت خالية من اسم عبد السلام عارف، ومن أي اسم مسيحي أيضاً وكان فيها كرديين وفيما يلي اسماء طاقم الوزارة مع معلومات مختصرة عنهم كما اوردها المؤرخ حنا بطاطو:

١ ـ الزعيم الركن عبد الكريم قاسم: رئيس الوزراء ووزير الدفاع، وهو من مواليد ١٩١٤ بغداد من أب سني وأم فيلية كردية شيعية، وكان ابن عامل نجارة، وقتل في ٩ شباط ١٩٦٣.

٢ ـ محمد حديد: وزير المالية من الحزب الوطني الديمقراطي، عربي سني، وهو من مواليد ١٩٠٦ في الموصل، وهو من طبقة الجلبيين من ذوي الدخل العالي، ابن تاجر وكان يعمل مدير شركة استخراج الزيوت النباتية واستقال من الوزارة في ٢٣ نيسان ١٩٦٠م.

٣ ـ مصطفى علي، وزير العدل، وهو كردي سني مواليد ١٩٠٠ بغداد، قاضٍ، وينتمي الى الطبقة العاملة وهو ابن عامل نجارة، استقال من الوزارة في ١٦ شباط ١٩٦١ لأسباب صحية.



الزعيم عبد الكريم قاسم قائد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

٤ ـ ابراهيم كبة وزير الأقتصاد والأصلاح الزراعي، عربي شيعي، استاذ جامعي سابق وهو من

مواليد ١٩١٩ بغداد، وهو ماركسي غير مرتبط بالحزب الشيوعي، وينتمي الى طبقة الجلبيين الملاكين ذوي الدخل المتوسط العالي، ابن تاجر، وقد اعفي من منصبه في ١٦ شباط ١٩٦٠م.

٥ ـ هديب الحاج حمود، وزير الزراعة وينتمي الى الحزب الوطني الديمقراطي، وهو عربي شيعي ولد في الديوانية سنة ١٩١٨، وهو ملاك وابن ملاك ومن طبقة الملاكين من ذوي الدخل العالي، واستقال في ٥ كانون الثاني ١٩٦٠م.

٦ ـ الزعيم الركن احمد محمد يحي، وزير الداخلية عربي سني مواليد ١٩١٦ موصل، آمر لواء في الأردن، من الطبقة الصناعية الصغيرة وهو ابن راوتشي، أي صانع الراوات (القرب) وهي اوعية للمياه مصنوعة من الجلد، وقد بقي في الوزارة حتي شباط ١٩٦٣م.

٧ ـ الزعيم الطبيب محمد عبد الملك الشواف، عربي سني، تولد ١٩١٧ بغداد، وكان طبيباً في الجيش وينتمي الى طبقة الملاكين الدينيين ذوي الدخل العالي، ابن ملاك ورئيس لمحكمة الأستئناف الشرعية بقي في الوزارة حتي شباط ١٩٦٣م.

٨ ـ هاشم جواد، وزير الخارجية مقرب من الحزب الوطني الديمقراطي، وهو عربي سني تولد ١٩١١ بغداد، كان ممثل العراق في الأمم المتحدة وينتمي الى الطبقة الوسطي من الأخصائيين، وهو ابن معلم مدرسة، بقي وزيراً للخارجية الى ان سقطت الحكومة بانقلاب عسكري في ٨ شباط ١٩٦٣م.

٩ ـ الزعيم الركن محي الدين عبد الحميد، وزير التعليم، عربي سني، تولد بغداد ١٩١٤، وكان رئيس أركان الفرقة المدرعة الرابعة، وينتمي الى الطبقة العسكرية الوسطي وهو ابن زعيم في الجيش، ولقد بقي في مجلس الوزراء بمهمات ومناصب مختلفة حتي ٩ شباط ١٩٦٣م.

١٠ ـ حسين جميل، وزير الأرشاد، وهو من الحزب الوطني الديمقراطي، عربي سني مواليد بغداد سنة ١٩٠٨، محام، ووزير العدل عام ١٩٤٩، وينتمي الى الطبقة الوسطي للأخصائين، وهو ابن قاض، استقال في في ١٢ شباط ١٩٥٩ بعد ان ألغي قاسم أمره بوقف صدور الصحيفة الشيوعية (اتحاد الشعب).

١١ ـ الزعيم الركن عبد الوهاب أمين، وزير الشؤون الأجتماعية، عربي سني، وهو آمر لواء المشاة ١٤ وينتمي الى طبقة الملاكين الدنيا. ابن ملاك، استقال بسبب المرض في ٢٠ تشرين ألول ١٩٦٠م.

١٢ ـ طلعت الشيباني، وزير التنمية وهو عضو سابق في الحزب الوطني الديمقراطي، عربي شيعي ولادته في قرية الهويدر في محافظة ديالي سنة ١٩١٧ وهو محاضر جامعي،

سابقاً سكرتير اتحاد الصناعات وينتمي الى طبقة الملاكين الوسطي، ابن ملاك متوسط، بقي في الوزارة بمناصب مختلفة حتي ٩ شباط ١٩٦٣م.

١٣ ـ حسن الطالباني، وزير الأتصالات، وهو عضو سابق في الحزب الوطني الديمقراطي، وهو كردي سني، وظيفته قبل الثورة حاكم محافظة، وينتمي الى طبقة المرشدين الصوفيين، من ذوي الدخل العالي. ابن رجل دين، استقال من الوزارة في عام ١٩٦١م.

١٤ ـ الزعيم المتقاعد فؤاد عارف، وزير دولة، كردي سني، ولادته في السليمانية ١٩١٢، وكان آمر لواء المشاة التاسع في الحلة، وهو من طبقة الأسياد (السادة الذين يدعون التحدر من سلالة النبي محمد) الملاكين الوسطي، وهو ابن رجل دين وملاك، استقال في أيلول ١٩٦١ بسبب سياسة قاسم تجاه الأكراد[١٨].

إن هذه الحكومة ايضاً كانت خالية من اسم وزير مسيحي او يزيدي او صابئي، ولكن هذه الأقليات مع تهميشها في التمثيل بالوزارة، لم تشك من الغبن والأهمال، فإن الوطن مستقراً آمناً، ويضمن العدالة للفرد العراقي، مهما كان دينه او مذهبه او قوميته، فلا لزوم للتشبث والتذكير بالأنتماء الديني او القومي او المذهبي إن كان التعامل مع كل التنوعات العراقية بمفهومية الهوية العراقية الجامعة لكل الأطياف العراقية.

تنافر الأهداف

لا ثبات او دوام للصداقة او العداوة في عالم السياسة، لكن ثمة اتفاق على وجود مصالح ثابتة. قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، كان جميع الفرقاء إن كان داخل احزاب الجبهة الوطنية او تنظيمات الضباط الأحرار، كان القاسم المشترك بين الجميع هو إسقاط النظام الملكي وإقامة نظام جمهوري والخروج من حلف بغداد وتضييق عمل شركات النفط الأجنبية وإقامة صناعة نفطية وطنية، وعموماً تحرير العراق من التبعية البريطانية سياسياً واقتصادياً، والخروج من الأتحاد الهاشمي، وفي المقابل تعزيز العلاقات مع الدول العربية لا سيما الجمهورية العربية المتحدة لتصل هذه العلاقات الى الوحدة الفورية.

بعد القضاء على الملكية حان وقت التفاصيل لتطبيق ما كان متفقاً عليه وهنا تطفو الخلافات الى السطح بعد ان كانت مطمورة في طيات الأوراق والأتفاقات، فالحزب الشيوعي العراقي ومعه الحزب الديمقراطي الكردستاني ومعهما الأقليات القومية والدينية لم يكونوا في عجلة من امرهم بشأن الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة وكان يؤرقهم الشأن العراقي بالدرجة الاولي، وطرح شعار التقارب الكونفيدرالي، بدل الأتحاد او الوحدة الفورية التي لم تكن ناضجة بحسب الجبهة التي كان يتزعمها الحزب الشيوعي، كما ان الحزب



وحدة النسيج المجتمعي العراقي بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

الشيوعي يري في تجربة الوحدة بين مصر وسوريا بأنها ضربة لحرية التنظيمات الحزبية، فلم يشأ ان يسود هذا النظام في العراق الذي كان يتمتع بقدر لا بأس به من الحريات السياسية.

فيما الأتجاه الأخر كان فيه الكثير من الضباط الأحرار وكان اتجاههم عربياً اسلامياً اكثر من كونه عراقياً، وكان يمثل الأتجاه القومي العربي في الشارع السياسي الناصريون والبعثيون وغيرهم، وهؤلاء في عجلة من امرهم بشأن الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة التي كانت تضم كل من مصر وسورية.

لقد كان التيار القومي العروبي في العراق موحداً فكرياً وسياسياً حول مقولة انهم عرب ومشاعرهم القومية هي جوهر كيانهم السياسي، ويشكل ذلك المحور الذي يدور حوله خطابهم السياسي وكانت الكاريزما التي يتمتع بها جمال عبد الناصر والتي ساهم في خلقها الى حد ما الأعلام الموجه الكثيف الذي كانت تطلقه ماكنة الأعلام المصرية، والشعارت الثورية التي كانت تفعل فعل الشرارة في إلهاب مشاعر الجموع التواقة الى العمل والتضحية، ويرون في ما يذهب اليه عبد الناصر هو طريق الخلاص لهذه الأمة، وفي هذه الحالة يكون الألتحاق بركب عبد الناصر الذي يعني الأنضمام الى الجمهورية العربية المتحدة كأول طريق لتحقيق احلام الوحدة العربية من المحيط الهادر الى الخليج الثائر.

ولم يكن في الأيام الأولى للثورة تعريف واضح بالقيادة العراقية الجديدة ولم يكن لها ذلك الصيت الأعلامي كالذي كان يحظي به جمال عبد الناصر وهو الرمز الذي يشحن عواطف الجماهير الثورية إن كان في العراق او في عموم ساحة العالم العربي.

انا شخصيا في تلك المرحلة العمرية وكنت حينئذٍ في مرحلة المراهقة كان لاسم جمال عبد

الناصر وقعه العامض السحري في نفسي، وفي الأيام الأولى للثورة التقيت بصديق في سينما بجانب الكرخ واعتقد ان اسمها كان سينما بغداد فأرشدني الى ميدالية مثبتة على صدره وكانت صورة لجمال عبد الناصر، فرجوته ان كان يملك واحدة اخري فاعتذر لكنه اوعدني ان يجلب لي صورة جمال عبد الناصر في اليوم التالي وفعلاً اعطاني صورة جميلة باللونين الأسود وألأبيض فوضعتها على واجهة محفظتي، وبعد أيام حينما كنت انتقل في باص المصلحة رقم ٤ المزدحم بالركاب شعرت بحركة سريعة وفحصت جيبي الخلفي فرأيت ان المحفظة قد اختفت، وكان فيها ثلاثة دنانير وهذا مبلغ مهم في تلك الأيام، وكيف يضيع مني بتلك السهولة، ولا أدري كيف انتني الفكرة فصحت على السائق أن محفظتي قد سرقت، فقال السائق وهل كان فيها مبلغ كبير، قلت كلا يا أخي، لا يوجد فيها أي نقود ولكن فيها اهم شئ عزيز على وهي صورة جمال عبد الناصر، ورأيت جابي النقود يتوجه نحوي لكن في هذه اللحظة أنّبني احد الواقفين وقال لماذا تدعي انها سرقت اليست هذه محفظتك واقعة على الأرض، وكانت صورة جمال عبد الناصر ظاهرة على الغلاف فاخذت المحفظة ولا يعلم سارقها بأن داخلها ثلاثة دنانير لما رماها والحمد لله انطلت حيلتي على السارق الغبي او بالأحري الصورة كانت وراء رجوع المبلغ الذي كان يعادل اكثر من ربع راتبي الشهري يومئذٍ.

نعود الى مسارات الثورة بعد نجاحها، فالمراقب للأحداث كان يترسخ في ذهنه بأن الأندماج مع الجمهورية العربية المتحدة بات وشيكاً. في تعليق لأذاعة بغداد بعد الثورة مباشرة قال المذيع ان الثورة في العراق هي جزء من ثورة الأمة العربية الكبري التي قادها الرئيس جمال عبد الناصر، وكانت تسمع من راديو بغداد هتافات تقول: نحن جنودك يا جمال



خمسينيات القرن الماضي

ووصف الراديو كيف خرج اهل بغداد الى الشوارع يهتفون شعب عربي واحد، جيش واحد، كفاح واحد وجمال العملاق.. وشوهدت دبابة عراقية تجوب شوارع بغداد وفي مقدمتها صورة لجمال عبد الناصر ملصقة بشكل ظاهر علائم كثيرة كانت تدل على قرب الوحدة وعلي انها في متناول اليد[١٩].

بعد ايام من الثورة صرح عبد الناصر ان أي اعتداء على الجمهورية العراقية هو اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة، وتلا ذلك زيارة وفد عراقي على مستوي وزاري برئاسة عبد السلام عارف الى دمشق والتي كان سيصلها عبد الناصر بعد عودته من موسكو، ففي ١٩ تموز ١٩٥٨ ظهر الوفد العراقي مع عبد الناصر وشكري القوتلي في شرفة قصر الضيافة، وألقيت خطب وكلمات تؤيد قيام الوحدة العربية، وكان عبد السلام عارف قد اجتمع مع عبد الناصر على انفراد وسرت إشاعة مؤداها ان (عارفاً قال) لعبد الناصر انه بمبلغ عشرون فلساً وهو قيمة إطلاقة نارية يمكنه تحقيق قيادة العراق نحو الجمهورية العربية المتحدة بالقضاء على (قاسم) وقيل ان رد فعل عبد الناصر كان قوله معلقاً (ياله من طفل)، وأصل الحكاية هو ما ذكره العقيد عبد الوهاب امين في شهادته امام المحكمة العسكرية العليا الخاصة نقلاً عن فائق السامرائي الذي سأل عبد الناصر عن رأيه في (عارف) فقال انه لا يعدو ان يكون طفلاً.

وسبب ذلك هو انهما كانا يتناولان في ١٩ تموز الطعام فراح عبد الناصر يتحدث عن فاضل الجمالي الذي لقيه في مؤتمر باندونغ ممثلاً للعراق في العهد الملكي فأجاب (عارف) بحدة وهو يرمي الشوكة والسكين من يده بقوة، هل تريد ان أقتله؟ طلقة واحدة بعشرين فلساً لا أكثر[٢٠].

هذا وعاد الوفد الوزاري الى بغداد في ٢٠ تموز. لقد استمر التعاون والعلاقات الجيدة بين الطرفين منها تقديم بعض المساعدات العسكرية الى العراق باسم المساعدات الدفاعية وكذلك في الميدانين الأقتصادي والمالي، وفي مجال التعليم عاد المعلمون المصريون الذين طردهم نوري السعيد واستمر تبادل الزيارات، لقد كانت دلائل التعاون في عدة ميادين بين البلدين ودامت نحو ثلاثة اشهر التي اعقبت الثورة.

كانت الأشهر الأولى بل الأسابيع الأولى للثورة تتمخض عن ولادة حالة من التباعد او التنافر وسيكون في البداية القطب الأول يمثله عبد الكريم قاسم والقطب الثاني يمثله عبد السلام عارف، وكان يبرز في خطابه التزمت الديني ومعاداة الغرب، ويلتف حول القطب الأول الشيوعيون والحزب الديمقراطي الكردستاني وينال تعاطف الأقليات الدينية، والقطب الثاني سيلتف حوله القوي القومية، ولم يكسب عطف الأقليات الدينية لأنه كان يطلق تصريحات

تهكمية بحق هذه الأقليات، من أقواله لا حنا ولا ميخا.. وهذه النزعة الأسلامية السلفية لعبد السلام عارف استمرت معه بعد ان تبوأ منصب رئيس الجمهورية بعد اطاحة عبد الكريم قاسم في انقلاب ٨ شباط ١٩٥٨م.

يذكر صديق لي من القوش انه قبل في معهد خدمات الطيران المدني وذلك عام ١٩٦٣ وكان عدد الطلاب المقدمين لهذا المعهد ١٥٠٠ طالب وبعد اختبار المتقدمين قبل ٦٠ طالب فقط، وكان بين هؤلاء الطلبة المقبولين بعض الطلبة من المسيحيين وفي غضون أيام فصل الطلبة المسيحيين جميعهم وكان صديقي بين المفصولين وكان هو اول المقبولين وأرشده مدير المعهد ان يجد له (واسطة) في الأستخبارات العسكرية، وبعد ان توسط لدي شخص له وظيفة رفيعة في الأستخبارات العسكرية، أخبره هذا بأنه توجيه من رئيس الجمهورية عبد السلام بأن لا يقبل مسيحيين في المناطق الحساسة. ولهذا كان له عنصرية دينية ويفرق بين الأديان في العراق المتعدد الأعراق والأديان. فكانت الأقليات تشد أزر الزعيم عبد الكريم قاسم وتؤيده في خطابه الذي يدعو الى التريث في مسألة الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة وينفتح على مكونات الشعب العراقي.

بعد نجاح الثورة أدرك كل من (قاسم وعارف) اهمية الرأي العام ودور الأعلام في توجيه هذا الرأي، ومن جانبه قام عبد السلام عارف منذ الأيام الأولى للثورة بجولة في مدن العراق شارحاً الثورة وأهدافها من وجهة نظره، وبدأ عبد الكريم قاسم باستقبال الوفود الشعبية، وبعد أقل من شهر أي في بداية آذار، خرجت مظاهرة قرب وزارة الدفاع وكانت تهتف ضد الوحدة الفورية، وخطب فيها رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم بعبارات لطيفة، وكان الشيوعيون يخشون الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة التي لم يكن سجلها يحتوي اي نفس من الحرية لهذا الحزب.

وبتشابك مع هذا الهدف وجدوا طريقهم في دعم قاسم الذي كان يخشي إزاحته عن الحكم من قبل عبد السلام عارف بنفس الطريقة التي تمكن عبد الناصر من إزاحة محمد نجيب. في هذا الوقت كان عبد السلام عارف يخطب بمؤيدي الوحدة امام بناية مجلس الوزراء القريبة، مقاطعين خطابه بهتاف نريد الوحدة لا الأتحاد الفيدرالي.

في اوائل شهر آب وبسرعة لا يمكن وصفها بغير السرعة الدرامية بسبب تحولها الفجائي، غيّر عارف من نغمته خطبه، ففي الثاني عشر من آب ندد تنديداً حاراً بموضوع (التقولات الدنيئة) والأشاعات القذرة التي اتهمها بالزعم بوجود (خلاف وبرود بين كريم وسلام) (انهم كذابون لعنهم الله) بعد هذا ازدادت تأكيدات عارف ولاءة، وسمح لقاسم بالتقدم والبروز في حين انسحب هو الى الخلفية ودأب يصرح: إني احييكم باسم قائدنا المقدام..[٢١]

المعروف عن عبد السلام عارف لا يمكن له ان يلجأ الى الهدوء والسكينة بهذه البساطة، فقد استمرت زياراته الى مدن العراق منها البصرة وبعقوبة. في هذه الأثناء صدر مرسوم يعفي عبد السلام عارف من منصبه كنائب للقائد العام للقوات المسلحة، ولكنه احتفظ بمنصبه كوزير للداخلية وفي هذه الأثناء ايضاً نحّي العقيد احمد حسن البكر من عضوية المحكمة العرفية العسكرية، والسبب يبدو لميوله البعثية، وسوف يبقي متقاعداً طلية فترة حكم قاسم وسوف يعود رئيساً للوزراء بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م.

في ٣٠ / ٩ / ١٩٥٨ أجري تعديل وزاري بقرار من مجلس السيادة وبتوصية من رئيس الوزراء بأعفاء عارف من مناصبه الوزارية وتعيينه سفيراً لدي جمهورية المانيا الأتحادية، وقضي أيضاً بإعفاء فؤاد الركابي من منصبه كوزير للأعمار الى منصب وزير بدون وزارة، واعفي الدكتور جابر عمر وزير المعارف من منصبه وهذا المرسوم كان يعني انعطاف سياسي حاد، حيث ان هؤلاء الثلاثة يمثلون التيار القومي.

لم يقبل عبد السلام عارف بهذا التعيين وما يذكر في هذا الصدد ان قاسم وعارف والعميد فؤاد عارف بقوا لوحدهم بعد انصراف الضباط الآخرين من اجتماع دام لساعات طوال، وعلي حين غرة سحب عبد السلام مسدسه فاستدار قاسم اليه وصاح: عبد السلام ماذا تفعل، واستطاع اخذ المسدس منه بمساعدة فؤاد عار ف، وبعد ذلك انضم اليهم محي الدين عبد الحميد قائد الفرقة الرابعة ليسمع قاسماً وهو يقول: ان عارفاً حاول قتله. فاعترض عارف بعصبية وانفعال شديدين صارخاً: أنه أراد قتل نفسه. فرد عليه قاسم: إذن لماذا لم تقم بذلك في منزلك؟[٢٢]

يري التيار القومي في العراق وفي العالم العربي ان العراق ليس للعراقيين انما هو عراق الأمة العربية ويرون في التيارات السياسية العراقية خطراً على مفهومهم القومي. يكتب خلدون صادق الحصري في كتابه ثورة ١٤ تموز وحقيقة الشيوعيين في العراق فصلاً عنوانه ١٤ تموزنا و ١٤ تموزهم يقول:

.. صباح يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ انفجرت الثورة العراقية بالبيان الذي اذاعته القيادة العامة للقوات المسلحة الوطنية من راديو بغداد.. وفي خلال ساعتين كان الجيش والشعب قد اتما سيطرتهما الكاملة على بغداد... في ذلك اليوم، اليوم الأول من ثورتنا، بدأ الصراع بيننا، نحن القوميين العرب في العراق، وبينهم، هم شيوعيو العراق، لماذا؟ لأن نظرتنا لهذه الثورة تختلف تماماً عن نظرتهم لها.. كانت بالنسبة لنا امتداداً وخاتمة لكل ثورات شعبنا العظيم، ولكل كفاحه الدامي الطويل.. لكي نقيم نظام اشتراكي تقدمي، وكان علينا ان نعيد بالعراق الى الركب العربي الذي كان العهد البائد قد عزله عنه. فثورتنا ـ الى جانب كونها امتداداً

طبيعياً لثورات وكفاح الشعب العربي في العراق ـ كانت ايضاً جزءاً عضوياً لا يتجزأ من الثورة العربية الشاملة التي تهدف الى توحيد العرب.. ويمضي الكاتب الى القول:

ولكن ١٤ تموزنا يختلف عن ١٤ تموزهم، فالشيوعيون في العراق لم يروا في ١٤ تموز خاتمة لثوراتنا، لا بد من الأنصراف بعد الأنتصار فيها الى تحقيق اهداف نضال شعبنا.. ان ثورة ١٤ تموز لم تكن نقطة الختام بالنسبة لهم، ولكن حرف الأبتداء..[٢٣]

التيار القومي كان يري ان ثورة تموز قادها بطل قومي مغامر هو عبد السلام عارف لكن الثورة طفقت تنحرف عن مسارها القومي منذ الأيام الأولي، ولقد خدعت الجماهير الشعبية التي اصيبت بهستيريا الأنتصار العظيم الذي تحقق في ساعات من الزمن ويعتقد مفكروا التيار القومي انهم خدعوا بسكرة الأنتصار، يقول الكاتب محمود الدرة:

ذهبت في اليوم السابع عشر من تموز الى وزارة الدفا ع فقابلت عبد الكريم قاسم وقلت له: إن الثورة تنحرف عن أهدافها التي تصورناها في امانينا وأفكارنا.. إن الشعوبية والشيوعية تعمل جاهدة ولم يمض على ثورتنا ثلاثة أيام، لتسرق ثورتنا، وإن الثورة تغض الطرف عن اعمالهم... وأجابني قاسم انه غير شيوعي ولا بعثي. وخرجت منده بوعود غامضة سرعان ما بددتها الأحداث السريعة لتحل محلها مخاوف تتزايد كل يوم بتزايد الفوضي والأنحراف واستسلام القوميين من وزراء الثورة السياسيين الى القدر وغير القدر وعنجهية من اعرف من الضباط القوميين الذين جانبهم بعد النظر، ويمضي الكاتب الى القول:

وهكذا مثلت على ذلك الجزء الغالي من أرض الوطن العربي مسرحية دامية بين القومية العربية وبين اعدائها من شعوبيين وشيوعيين ومتشيعين (من عملاء الأستعمار الغربي) وانتهازيين. بدأت المعركة السافرة يوم ١٤ تموز عام ١٩٥٨ واستمرت قائمة.. الى مطلع ١٩٦٣.[٢٤]

في مثل هذه الخلفية الذهنية يكون قبول الآخر والتعايش معه من المستحيلات، وإن كان العراق يتسع للجميع لكنه لا يتسع لأفكارها. إن الأحزاب السياسية المنخرطة في الجبهة قبل ١٤ تموز، لم يعد بمقدورها تطويق الثورة بغية تغيير لهجتها العسكرية الى خطاب مدني ديمقراطي عام، وكانت ولا زالت مفهومية الأعتراف بالآخر وحقه في العمل والحرية لا زالت هذه المفهومية ملغية من قواميسنا، لقد ايقنت القوي القومية بأنها لا تستطيع مجابهة المد الجماهيري المؤيد لعبد الكريم قاسم وللحزب الشيوعي العرقي، ومن العسير كسب الرأي العام الى جانبها، وهكذا كان قرارها بانتزا ع السلطة عن طريق انقلاب عسكري وهذا التوجه يمثله القوي القومية العروبية ويتبلور هذا الأتجاه بحزب البعث العربي الأشتراكي، الذي قاد

انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م.

إن المفهومية القبلية البدوية الثأرية لا زالت تتأصل في أحزابنا التي كان مآلها الثأر والأنتقام عند المقدرة، وهكذا كان حزب البعث العربي الأشتراكي الذي نفذ مؤامرة اغتيال عبد الكريم قاسم، وكان اجندته تتلخص في الأنتقام منه ومن ثم الثأر من القوي التي ساندته وفعلاً تم له ذلك في ٨ شباط ١٩٦٣، فكانت العمليات الأنتقامية اهم الأعمال التي اشتهر بها هذا الحزب عبر ميليشيات سميت باسم الحرس القومي.

الطرف الآخر للمعادلة في المشهد السياسي العراق كان يمثله الحزب الشيوعي العراقي، الذي اعتبر حكم قاسم حكماً وطنياً معادياً للأمبريالية، وهو في كل الأحوال اهون من حكم قومي ينخرط في وحدة فورية مع الجمهورية العربية المتحدة وما يبيته هذا التيار من معاداة الشيوعية. واعتبر الحزب الشيوعي العراق القيادة العراقية في ظل عبد الكريم قاسم انها برجوازية وطنية معادية للأستعمار والأقطاع. وينبغي الوقوف الى جانبها ضد المؤامرات المحاكة لأسقاطها بالرغم من موقف قاسم في عدم إشراك الحزب الشيوعي بالحكم او حتي منحه إجازة للعمل العلني وبصورة رسمية.

كان الحزب الشيوعي العراقي يري في تحول دفة الدولة العراقية نحو التخلص من المخلفات الأمبريالية والأقطاع في العراق وإرساء قواعد الديمقراطية وانتهاج سياسية خارجية مستقلة وتوطيد العلاقات مع المعسكر الأشتراكي وغيرها من الأهداف والتي يمكن بلوغها عبر تعبئة الجماهير وخوض نضال سلمي دون عنف، ولقد استفاد الحزب بعد إطلاق سراح اعضائه ومؤيديه من السجون بعد الثورة وعودة الكثيرين من الخارج بعد سماح الحكومة بعودة اللاجئين والمبعدين، واستطاع الحزب عبر النقابات والجمعيات والمنظمات الديمقراطية من تنسيق الجهود لخلق رأي عام يساير اجندته السياسية.

كان يمكن تشخيص تجليات واضحة على المشهد السياسي العراقي: فالشعارت القومية ظاهرة في بغداد وتحتكر الساحة في المراكز السنية شمال غرب البلاد فترة من الزمن بعد الثورة. إلا ان الأمر كان مختلفاً في الأقاليم الكردية حيث لم يكن الأستبشار السائد جراء سقوط النظام النظام الملكي ذا علاقة بالرغبة في الوحدة العربية. فقد كانت اللافتات والشعارت.. تمجد وتشيد فحسب بالأخوة العربية الكردية.. وقدر للاقاليم الشيعية في السهول الوسطي والجنوبية ان تتخذ موقفاً سلبياً من نداءات أبواق القاهرة. كذلك لانها كانت بؤرة البؤس الزراعي الذي استعد للترحيب بحرارة بأي شعار قد يرفعه الشيوعيون[٢٥].

كان لأزمتا عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني دوراً في تقارب عبد الكريم قاسم من

الشيوعيين، وقد عين عدداً من الشيوعيين او من أنصارهم في وظائف هامة في الدولة منهم العقيد لطفي طاهر الذي أنيطت به الرقابة العسكرية للمطبوعات وسليم فخري العائد من المنفي بوظيفة مدير الأذاعة والعقيد طه الشيخ أحمد مدير للخطط العسكرية في دائرة الأركان، ووضع جلال الأوقاتي في منصب على رأس القوة الجوية العراقية.. وشكلت فصائل للمقاومة الشعبية لتقف الى جانب الجيش في مهمة الدفاع عن الوطن إن تعرض الى مؤامرة، اشتد الأقبال على التطوع منذ الأيام الأولى للأعلان عن تشكيل هذه الفصائل وكان المتطوعون من الأناث ألأقلية، والذكور الأكثرية، وفي نهاية المطاف استطاع الحزب الشيوعي من احكام السيطرة على هذه الفصائل.

كان التغني بالأخوة العربية الكردية يجري على قدم وساق، إن كان على النطاق الرسمي، لتعزيز الجبهة الداخلية في بوجه التيار القومي الدائم الأخلاص لعبور الحدود نحو العالم العربي. وعلي النطاق الشعبي كان يتعزز خطاب الأخوة العربية الكردية وسط ارتياح الحكومة وتشجيعه. لقد طبقت شهرة الأغنية العربية " هر بجي كورد وعرب رمز النضال " الآفاق وكانت من كلمات الشاعر الكردي زاهد محمد زهدي وغناها المطرب الكردي ايضاً أحمد الخليل.وتقول الأغنية:

هربجي كورد وعرب رمز النضال

من تهب انسام عذبة من الشمال ... علي ضفاف الهور تتفتح الكَلوب
لو عزف عَ الناي راعي بالشمال ... عَ الربابة يجـــاوبه راعي الجنوب
هــــاي خوتنا وتاريخ انكـــتب ... ألنا حافل بالمجد والتضحيات
وهاي خوتنا ومــعــدنهـه صلب ... مـا تهزها العـواصـــف للأبد
أيد بإيد وكَلـــب مشـــدود بكَلب ... حلوة مُرة اثنينّا نعيش الحياة
كَلوبنا تخفق سوا جنوب وشمال ... هربجي كورد وعرب رمز النضال.

من المنعطفات الحاسمة في هذه الفترة كان اعتقال عبد السلام عارف، وكان هذا العمل يفسر على انه تقارب عبد الكريم قاسم من الشيوعيين والصحافة الأجنبية عبرت عن ذلك بأن العراق بات أحمر الصبغة، او بالمد الأحمر، وهكذا كانت انطباعات القوميين ومناصري الوحدة فانتظموا في معسكر المعارضة ليتطور الأمر الى القيام بعصيان عسكري هدفه الأطاحة بقاسم.

من اجل التضامن مع عبد الكريم قاسم انطلقت حشود ضخمة في شوارع بغداد بعيد

اعتقال عبد السلام عارف وفي واحدة من هذه المسيرات كانت تطالب وتنادي بهذه الشعارت:

ـ عاش الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم.

ـ المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

ـ عاشت جمهوريتنا الديمقراطية المتحررة.

ـ اليقظة والحذر من زارعي بذور التفرقة خدم الأمبريالية.

ـ عاشت جبهة الأتحاد الوطني.

ـ تنفيذ احكام الأعدام بحق الخونة والمجرمين دعم للجمهورية.

ـ الثأر للشهداء يتم بشنق الخونة.

ـ حطّم اوكار الخيانة فالشعب وراءك.

ـ الشعب يطالب برؤوس الخونة.

ـ عاش التضامن بين الشعب والجيش.

ـ عاشت الأخوة العربية الكردية.

ـ عاش كفاح الشعب العربي من اجل التحرر والأستقلال.

ـ عاش التضامن بين الجمهورية العرقية والجمهورية العربية المتحدة والدول العربية المتحررة.

ـ على صخرة الأتحاد العربي الكردي تتحطم مؤامرات الأمبريالية.

كان ثمة خصومات وحوادث شغب واشتباكات بين الشيوعيين وخصومهم ومن هذه المناطق مدينة الموصل ومنطقة الأعظمية وفي كركوك حيث يناصب القطاع التركماني العداء للشيوعية من جهة بسبب ميولهم التركية وبصورة رئيسية لأنهم يقرنون الشيوعية بالكرد اعدائهم المتوارثين. وكان عدد من هذه الأصدامات دموي الطابع وبحسب احد التقديرات العراقية المعاصرة لها فقد عشرة أشخاص حياتهم خلال الأسبوع الأخير من شهر كانون الأول ١٩٥٨ وحده[٢٦].

كلام في ثورة تموز ١٩٥٨

لا ريب ان ثورة تموز ١٩٥٨ انعطافة جذرية في تاريخ العراق الحديث، وسيكون الكلام يفتقر الى الدقة إن لم نسلط الضوء الى كل جوانب وزوايا هذه الثورة، فإن بقينا في جانبها العسكري، فإنها ستأخذ قالب الأنقلاب الذي لا يختلف عن اي انقلاب تنفذه زمرة من الضباط العسكريين، وكانت الصورة ماثلة امامنا بعد ان توالت الأنقلابات في العراق بعد هذه الثورة في العراق وفي الدول العربية وفي مناطق اخري من العالم الثالث. فالمسألة باتت بسيطة

بتطويق مبني الحكومة وبمساندة بعض الطائرات والدبابات ثم الهمينة على دار الإذاعة لإذاعة البيان الأول ونشيد الله اكبر الذي كان ينشد مع اول عملية الأنقلاب، لكن ثورة تموز رغم وجهها العسكري فإنها قد الغت نظام الحكم الملكي الدستوري وأرست على انقاضه قواعد نظام الحكم الجمهوري.

في موقف العراق من قطبي الحرب الباردة المتمثل بالمعسكر الأشتراكي تحت زعامة الأتحاد السوفياتي السابق، والمعسكر الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، فكان قرار العراق بالخروج من حلف بغداد منذ اليوم الأول والخروج من المنطقة الأسترلينية بعد ذلك، وفي تعزيز لهذا الأتجاه كان اعترافه بألمانيا الديمقراطية، وعقد معاهدات سياسية واقتصادية وثقافية مع المعسكر الأشتراكي ومع الأتحاد السوفياتي بشكل رئيسي، ومن هذا المنطلق اصبح العراق مستهدفاً من قبل قوي دولية كثيرة، وبمساعدة هذه الدول سيتمكن التيار القومي المتعاون مع حزب البعث من القضاء على ثورة تموز وذلك صبيحة ٨ شباط ١٩٦٣م.

اجل كان هنالك انقسام وتنافر في الأهداف بين التيار القومي العروبي الذي يسعي الى الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، او بالأحري هكذا كانت الشعارات المرفوعة من قبل التيار القومي في العراق، علماً ان هذا التيار لم يحقق الوحدة الفورية لا مع مصر ولا مع غيرها حينما تسلم مقاليد الحكم في العراق ولما يزيد على ثلاثة عقود، فشعارات الوحدة العربية ظلت سجينة الكلام ولم يطبق منها شيئاً على ارض الواقع، هذا التيار وبموازات مع التيار الوطني العراقي إن صح التعبير وكان في مقدمة هذا التيار الحزب الشيوعي العراقي، مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني والرأي العام للمجتمع الكوردي بشكل عام وتعاضد هذا التيار المكونات غير العربية وغير الأسلامية، وكان متزعماً لهذا الأتجاه عبد الكريم قاسم والذي كان احياناً يجامل التيار القومي بالضغط على التيار الوطني الذي يؤيده، لكن في نهاية المطاف لم يتمكن من مسك العصا من وسطها، ومع المكون الكردي تفاقمت الأوضا ع في كردستان ونشبت المعارك في اجزاء واسعة من هذه المنطقة. إن جنوحه وميله الى التيار القومي، لم يسعفه في تجنب المطب الذي دبره له هذا التيار في ٨ شباط ١٩٦٣ كما مر قبل قليل. فكان هو الضحية الأولى بيد رفاق الأمس، وما اشبه الليلة بالبارحة، فقد انقض عبد الكريم قاسم على من ائتمنوه على حياتهم من رجال في الحكم الملكي، واليوم ينقض عليه شركائه ورفاق دربه عبر محاكمة صورية، وكانت روح الأنتقام تسري في عروق رفاقه ليترك جثة هامدة مع بعض اتباعه بعد استسلامهم لشراكئهم في الحكم قبل سويعات.

إن عبد الكريم قاسم رجلاً موهوباً في الفنون العسكرية وفي رسم الخطط وكتم الأسرار

فإنه اثبت انه لم يكن كذلك في فنون السياسة، فإنه بشكل عام طيلة فتره حكمه والذي لم يحاول التحرك نحو حكم إرساء قواعد حكم دستوري وإجراء انتخابات ديمقراطية لانتخاب برلمان وتكوين مؤسسات ديمقراطية، إن هذا التفكير لم نقرأه في خطاب عبد الكريم قاسم السياسي، ولكن من جانب آخر إن مثل هذه الدعوات لاجراء انتخابات ديمقراطية وغيرها من خطوات لأرساء حكم مدني عراق ديمقراطي لم يطرح من قبل اي فصيل سياسي، اللغة السائدة بين مختلف اطراف المعادلة هو التحشيد والأنتقام، وغياب لغة تدعو الى التقارب والتفاهم، فلغة المؤامرة كانت هي السائدة.

إن هذا الوضع المتأزم في اغلب سنين حكم قاسم لم تمنعه من قيام بخطوات وإرساء قواعد لبناء مشاريع عمرانية وخدمية وصناعية وإصلاح زراعي وتطوير الوجه العمراني للمدن وبشكل خاص مدينة بغداد، كما لا ينكر على عبد الركيم قاسم شفافيته ونزاهته في التعامل مع المال العام وتقاربه الكبير من طبقة الفقراء في العراق.

المصادر:

١ ـ (اوريل دان " العراق في عهد قاسم، تاريخ سياسي ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ م " الجزء الأول، ص ٣٣ ـ ٣٤ نقله الى العربية وعلق حواشه جرحيس فتح الله المحامي، دار نبز للطباعة والنشر، السويد ١٩٨٩م.

٢ ـ جرجيس فتح الله المحامي " العراق في عهد قاسم آراء وخواطر ١٩٥٨ ـ ١٩٨٨ " الجزء الثاني، ص ٥٢١ دار نبز للطباعة والنشر السويد ١٩٨٩م.

٣ ـ موسى السيد علي: القضية الكردية في العراق من الأستنزاف الى تهديد الجغرافيا السياسية ص ٣٢

٤ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٣٧

٥ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٤٠

٦ ـ جرجيس فتح الله: العراق في عهد قاسم، آراء وخواطر ج٢ ص ٥٠٠ ـ ٥٠١

٧ ـ أوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٤٠

٨ ـ موسى السيد: القضية الكردية في العراق.. ص ٣٣

٩ ـ موسى السيد: المصدر السابق ص ٣٤ ـ ٣٥

١٠ ـ حنا بطاطو "العراق، الكتاب الثالث،الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار" ص١١١ ترجمة عفيف الرزاز، المكتبة الوطنية الأيرانية،قم، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

١١ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص٥٢

١٢ ـ الدكتورة عصمت السعيد "نوري السعيد رجل الدولة والأنسان" ص ٢٩٧ الناشر مبرة عصام السعيد ـ لندن ١٩٩٢م.

١٣ ـ الدكتورة عصمت السعيد: نوري السعيد رجل الدولة والأنسان ص ٣٠٠

١٤ ـ الدكتورة عصمت السعيد: نوري السعيد رجل الدولة والأنسان ص ٣٠٦

١٥ ـ د. عبد الوهاب حميد رشيد: العراق المعاصر ص ١٣٩ دار المدي للثقافة والنشر، دمشق ٢٠٠٢

١٦ ـ حنا بطاطو " العراق، الكتاب الثالث، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار " ص ١١٣ ـ ١١٤ ترجمة عفيف الرزاز، المكتبة الوطنية الأيرانية، قم، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

١٧ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم، حاشية بقلم المعرب جرجيس فتح الله ص ١٢٧

١٨ ـ حنا بطاطو: العراق: الكتاب الثالث ص ١٥٤ ـ ١٥٥

١٩ ـ أوريل دان: العراق في عهد قاسم ج ١ ص ٩٢

٢٠ ـ اوريل دان العراق في عهد قاسم حاشية بقلم المعرب جرجيس فتح الله ص ٩٧

٢١ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ١٠٥

٢٢ ـ اوريل دان: المصدر السابق ج١ ص ١١١

٢٣ ـ محمود الدرة: القضية الكردية.. والقومية العربية ص ١٤٣

٢٤ ـ محمود الدرة: القضية الكردية ص ١٤٤

٢٥ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ١٣٠

٢٦ ـ أوريل دان: المصدر السابق ص١٤٠

الفصل التاسع

التوازن الصعب

يمكن الزعم بأن العلاقة بين الحزبين الشيوعي والبعث العاملين في السر في العهد الملكي لم يكونا علي وفاق دائم، لكن لم يكن ثمة ما يشير الى استخدام العنف بينهما لكن بعد ١٤ تموز امتد هذا الصراع ليأخذ طابع العنف اللفظي ثم العنف الدموي. الغريب في العراق انه البلد الواسع بأراضيه والغني بمياهه وتنوع تضاريسه والمتعدد في اديانه وأثنياته ولغاته وثقافاته، ويتسع لملايين البشر يعيشون علي اديمه علي مختلف العصور، لكن في الحق السياسي لا يستوعب سوي فكر واحد ولا يقبل بتعدد الأفكار، في تلك الفترة من الزمن ونحن في اواسط القرن الماضي يسود الفكر القومي، والي جانبه الفكر الشيوعي، لكن هذان الفكران او الأتجاهان متنافران ومتنازعان في عالم السياسة علي الساحة العراقية، فكل طرف يطمح لتهميش الطرف الآخر. وكما مر فإن هذه الأرض الطيبة كانت محط الأفكار وتلاقي الشعوب والأمم وتلاقح اللغات والثقافات والأديان علي مر العصور.

في الوقت الراهن ان كل طرف لا يجد نفسه إلا حينما يقطع انفاس الآخر. إن الغاء الآخر إن كان سياسياً او اجتماعياً او دينياً او مذهبياً او فكرياً يقودنا نحو صقيع التصحر والي المغالاة في حب الذات ونبذ الآخر، الحديقة الغناء تزدهر ويزيد رونقها وجمالها باختلاف ألوان الأزهار والرياحين في مشاتلها وتغدو جذابة وجميلة بتنوع أثمارها الطيبة.

بنظري ان عبد الكريم قاسم عراقي وطني أصيل أراد الخير لوطنه وكان مخلصاً في توجهه، كما كان عسكرياً ناجحاً يتقن فن الخطط العسكرية والمعارك الحربية وقد قاتل في كردستان في مطاوي الأربعينات، وكذلك حارب في فلسطين علي ما اعتقد ولا اتذكر أين قرأت حول الموضوع. وعن امانته ونزاهته انه لم يملك قبل استلام دفة الحكم في العراق سوي قميصه ويوم قتل في ٩ شباط ١٩٦٣ بعد ان استمر حكمه ٤ سنوات وستة اشهر و٢٥ يوماً، فإنه لم يملك من حطام الدنيا سوي الملابس التي كان يرتديها. لكن هذه الخصال لم تسعفه في شئ بغية قيادة الدفة السياسية في العراق بعد نجاح الثورة.

لقد ترنح تحت ضغوط التناحرات السياسية، ولم يكن له قرار ثابت متين لكي يتبلور الى

محور وسطي جاذب ويعمل علي تعبئة هذه القوي في اطر سياسية جديدة مقبولة. إن اللعبة السياسية تحتاج الى فن ومهارة التكيف والدبلوماسية والي دروس في الميكافيلية، لكن يبدو ان عبد الكريم قاسم كان يفتقر الى هذه التجربة.

كان المشهد السياسي العراقي يدور حول محورين، القومي (اليميني) والشيوعي (اليساري)، كانت الساحة العراقية بحاجة الى حزب سياسي ديمقراطي او وطني، وكان عبد الكريم قاسم مؤهلاً لقيادة مثل هذا الحزب، لكنه اكتفي بتقريب بعض المناصرين له (قاسميين) بدون ان يكون لهم برنامج سياسي واضح.

بدلاً من وضع ركيزة سياسية واضحة عمد قاسم الى الأستفادة من الصرا ع الدائر لصالح استمرار حكمه وتركيز كافة السلطات في شخصه، وعمد الى خلق توازنات بين القوي المتصارعة بعد فشله في بناء المؤسسات الدستورية.. وبدأت عوامل الصرا ع تتراكم لتأخذ طريقها عملياً علي الساحة السياسية في الموصل وأخذت المعلومات تتسرب الى قاسم بقرب حدوث حركة عسكرية ضده هناك حيث مقر عبد الوهاب الشواف.

كان عبد الشواف أحد الضباط الأحرار.. وتأثر عندما تم إبعاده الى الموصل في اليوم الأول للثورة بعد الغاء تعيينه حاكماً عسكرياً عاماً وعلاوة علي ذلك، كان كغيره من الضباط الأحرار القوميين.. لهم قناعة بابتعاد نظام قاسم عن الأهداف القومية للثورة. قادت الأحداث والتراكمات وبتشجيع من الخارج الى إعلان الشواف للعصيان في ٨ آذار مارس ودون التنسيق مع الأطراف الأخري بحيث لم يجد الدعم خارج منطقته. ولكن رغم مقتل الشواف في اليوم التالي إلا ان المذابح استمرت لغاية ١٢ من نفس الشهر[١].

ان التيار القومي كما هو واضح قد وضع امامه اطاحة حكومة قاسم وكان باكورة المحاولات تلك التي عرفت باسم مؤامرة رشيد عالي الكيلاني. في ٦ / ١٢ / ١٩٥٨ اعلن عبد الكريم قاسم عبر الأذاعة انه قد تم احباط مؤامرة خطيرة كانت ستنفذ في ليلة ٩ / ١٠ ولا نريد الى الدخول في تفاصيل المؤامرة حيث قضي عليها وهي في مهدها، وكان الفشل مقدراً لها حيث كانت تفتقر الى السرية المطلوبة، وكانت تتلخص باتفاضة عشائرية في الجنوب يدعمها عدداً من ضباط الجيش، وتمكنت استخبارات الجيش من اختراق خيوط المؤامرة ووضع اليد علي بعض المبالغ المزمع توزيعها علي بعض العشائر، وقدم الضباط المسؤولين عنها الى محكمة المهداوي في جلسة سرية، وقررت المحكمة ثبوت التهمة علي كل من الضابطين عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني وحكمت عليهما بالموت شنقاً وبرأت ساحة رشيد عالي الكيلاني، لكن الأخير سوف يقدّم مرة أخري لمحكمة المهداوي بموجب المادة الثانية، وفي حاشية يورد فيها جرجيس فتح الله عن تواطؤ جرت احداثه في آخر لحظة يقول:

وكان الشاهدان هذه المرة عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني الذين انقلبا الى شاهدي أثبات، حيث انقذا جلديهما مقابل خدماتهما للوقوف في منصة الشهادة ضد المتهم، فقد نشرت صحيفة اخبار اليوم في ٧ شباط ١٩٥٩ انه حين أخذ عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني الى محل التنفيذ وعندما وضعت انشوطة المشنقة حول عنقيهما وُعدا بالأبقاء علي حياتيهما إذا ما قدما دلائل اثبات ضد رشيد عالي الكيلاني فانهار كليهما والرواية صحيحة. وقد حكمت المحكمة بتاريخ ١٧ كانون الأول على رشيد عالي الكيلاني بالموت شنقاً[٢].

حركة الشواف

إن كانت حركة رشيد عالي الكيلاني محكوم عليها بالفشل لأنها لم تكن تحمل مقومات النجاح من ناحية التنظيم والتأييد الشعبي وغير ذلك من الأسباب، لكن يبدو ان حركة عبد الوهاب الشواف كان يعقد عليها الآمال واحتمال نجاحها، وهناك مجموعة عوامل كانت في صالح هذه الحركة. لكن مع هذا كان فشلها سريعاً.

كان عبد الكريم قاسم يريد ان يحافظ على كيان عراقي، وهو يقول ان العراق جزء من الكل وليس جزء من الجزء بالأشارة الى كون العراق جزء من الأمة العربية وليس جزء من الجمهورية العربية المتحدة، وفي طرف آخر من المعادلة وهو علاقة عبد الناصر السيئة بالحزب الشيوعي السوري كان صداه يتردد علي الحزب الشيوعي العراقي ومخاوفه من البطش الذي قد يصيب تنظيماته إن تحققت وحدة فورية. وإن كان عبد الكريم قاسم يري في الشيوعيين حلفاء له للوقوف بصفه ضد المؤامرات، فهذا سبب آخر يدفع الجمهورية العربية المتحدة للتخلص من قاسم وتبديله بشخصية قومية موالية لتوجهات عبد الناصر.

وعلي نطاق تنظيم الضباط الأحرار الذين شعروا بغبن يوم تم استبعادهم من قمة الهرم الحاكم، فكان مقرراً ان يشكل مجلس (قيادة الثورة) ثوري يضم الضباط الأحرار، لكن مثل هذا القرار لم يصدر فكان تجاهل الضباط الأحرار، وقطف ثمرة النصر كان من نصيب الضباط القريبين من قاسم وعارف علي حساب استبعاد الضباط الآخرين مما خلف استياء والشعور بالمرارة لدي لفيف من الضباط الأحرار ومن بينهم العقيد عبد الوهاب الشواف، الذي كان ينبغي ان يشغل منصب الحاكم العسكري، لكن موقف عبد السلام منه ابعده عن هذا المنصب، وكان يأمل بعد إبعاد عبد السلام عارف عن مناصبه يأمل في ان يرد اليه اعتباره ويطمح الى ان يخلف عارف في منصبه كوزير للداخلية، لكن ذلك لم يحدث.

ما عرف عن الأتجاه السياسي للشواف كانت له ميول يسارية، لكن البعثيين والقوي القومية الأخري استغلت امتعاضه واستيائه من الحكم فالتفت حوله وكان في هذا التحالف ايضاً

رؤساء عشائر كردية وعربية يحدوها الأمل في ايقاف تنفيذ الاصلاح الزراعي الذي حد من سلطتهم.

يقول عنه حنا بطاطو انه كان عشية الثورة برتبة مقدم ركن، مدير فرقة التدريب في مديرية التدريب العسكري في وزارة الدفاع وهو مواليد بغداد ١٩١٦م. عربي سني وينتمي الى طبقة الملاكين الدينيين ذوي الدخول العالية وهو ابن ملاك أراضي ورئيس محكمة النقض الشرعية، وتخرج من الكلية العسكرية وكلية الأركان ومدرسة كبار الضباط في ديفايزس من انكلترا، وعين آمر حامية الموصل في ١٤ تموز ١٩٥٨ وحتى ٨ آذار ١٩٥٩ عندما قاد ثورة في تلك المدينة وقتل خلالها[٣] وهو من الضباط الأحرار الذي عين آمراً لحامية الموصل، واعتبر ذلك نوع من النفي لا يستحقه.

كان اختيار الموصل لتنفيذ الحركة باعتبارها حصناً قومياً ومحافظاً في الوقت عينه، كما ان نفوذ الحزب الشيوعي ضعيف نسبياً لا سيما داخل المدينة نفسها فالثقل العددي هو في صالح القوي القومية، كما إن العديد من ضباطها وقفوا الى جانب العصيان وبعد ذلك فإن قربها من سوريا والأستفادة من امتداد الحدود بين البلدين هذه عوامل رجحت من اهمية اخيار الموصل للقيام بالعصيان.

لقد حاول الحزب الشيوعي فتح عيني عبد الكريم قاسم علي المؤامرة التي تحاك علي قدم وساق والتي تتمركز في مدينة الموصل، وقد ارتأى الحزب الشيوعي استباق الأحداث فعين يوم ٦ آذار موعداً لتجمع انصار السلام في مدينة الموصل، وكان يراد بهذا التحشيد الجماهيري هو إغراق المدينة بمؤيديهم، والحكومة اعتبرت الأجتماع مناسبة وطنية، وسهلت أمور السفر من بغداد الى الموصل بتخفيض سعر بطاقات السفر بالقطار، لكن ماكنة الأعلام في الجمهورية العربية المتحدة بالغت في تقدير الأعداد القادمة الى الموصل حيث أشارت الى رقم ٢٥٠ ألف، فأين ذلك القطار الذي ينقل هذه الأعداد الهائلة، والأجتماع عقد في ملعب رياضي يتسع لعشرين الف شخص.

إن مهرجان انصار السلام كان بمثابة إبلاغ رسالة إنذار الى الشواف، وتقوية مواقع القوى اليسارية في المدينة وشد أزرهم. لقد سارت الجموع القادمة الى المدينة في الشوارع هاتفة:

زعيمنا الأوحد عبد الكريم قاسم، ماكو زعيم ألا كريم.

في صباح يوم ٧ آذار غادرت هذه الجموع مدينة الموصل. لقد كان بقية يوم السابع من آذار مليئة بالمظاهرات والمظاهرات المضادة التي تزايد التوتر فيما بينها تدريجياً، وفي الساعة

الثانية بعد الظهر تدفق البعثيون ومؤيدوهم من النبي شيت، بقيادة فاضل الشكرة، عبر شارع فاروق وهاجموا عدداً من المكتبات اليسارية ومقهى علي الحجّو، مكان لقاء الشيوعيين، وأحرقوها كلياً، وفي وقت لاحق حوالي الساعة الرابعة وبالقرب من مكتب البريد اصطدم البعثيون الذين عزّزوا الآن بأتباع عائلة كشمولة الذين كان كثير منهم مسلحين ـ بالشيوعيين الذين خرجوا من حي المكاوي وعلي رأسهم عباس هبالة وصحب العراك إطلاق نار ووقوع إصابات وتدخل الجيش وفرض منع التجول[٤].

خيوط المؤامرة كانت تمتد الى رفعت الحاج سري في بغداد الذي وافق على المباشرة بالحركة والى ناظم الطبقجلي في كركوك والذي نصح الشواف بالتريث وضبط النفس. وكان من ضمن الشبكة المقدم عبد الله ناجي آمر قاعدة الموصل الجوية الذي كلف بضرب اهداف منتخبة في بغداد.

في الثامن آذار كانت هناك محاولات لنصب محطة الأذاعة المنقولة من سوريا باءت بالفشل وضاع وقت ثمين بالبحث عن خبير يتولي إصلاح الخلل وضمان عملها. وفي الوقت ذاته أنجز الشواف بالتعاون الرئيس الاول المتقاعد محمود الدرة صياغة بيانه الأول الى الشعب العراقي وفي ذات الوقت استدعي القوميون من سائر مناطق الموصل وأحيائها الى معسكر الغزلاني بحسب قواعد معدة سلفاً.. ثم وزعت عليهم الأسلحة وبزات عسكرية وأعيدوا الى المدينة لتشكيل المفارز في مناطق مختارة.. وقد باشر ضباط من مقر اللواء باعتقال عدد من أبرز انصار السلم وشيوعيي الموصل واقتيادهم الى الي القلعة الحجرية في المدينة ووضعوا تحت حراسة مشددة وعوملوا معاملة وحشية[٥]. وقتل الضباط الموالين للشواف عدداً من الاسرى الذين وقعوا في ايديهم ومنهم كامل قزانجي وهو مسيحي قوميته كلدانية.

إن الأكراد لم يسلموا من هذا الأعتقال باعتبارهم محسوبين على الجبهة المناهضة للقوي القومية والوحدة الفورية وفي تقرير مفصل لعريف كردي اسمه صديق عبد العزيز يرفعه لقيادة حزبه عما جرى للضباط اثناء حركة الشواف ونقتطف شئ من هذا التقرير الذي يسلط الأضواء داخل المعسكر الذي انتفض ليعلن ثورة في العراق ويسعى لأسقاط الحكم ونقتبس فقرات من هذا التقرير:

في يوم ٥ / ٣/ ١٩٥٩ صدر الأمر الى اللواء بأن تبقى جميع قطعات موقع الموصل في حالة الأنذار بسبب مجئ انصار السلام يوم ٦ / ٣ الى الموصل وفي ٧ / ٣ الساعة الثانية بعد الظهر انتهي الأنذار...

في صباح يوم ٨ / ٣ / ١٩٥٩ رأيت ان معسكر الثكنة الحجرية مطوق من جميع الجهات..

وعلمت أن ضبـاطاً وطنيين موقوفين داخله منذ منتصف الليل وأمامي وقّف الضابطان الملازم الأول يوسف ميران والرئيس سالم ويضيف:


العقيد عبدالوهاب الشواف

انني دخلت السجن ايضاً تحت تهديد السلاح من قبل الملازم الخائن كامل اسماعيل، وعندما دخلت السجن رأيته مملوء بضباط الصف الوطنيين، وفي الغرفة المجاورة لغرفتنا جمع من المدنيين الموقوفين أيضاً. وبعد ذلك نقلنا الى مكان آخر في المعسكر وكان عددنا حوالي ٦٥ شخص اغلبنا من الأكراد وكان الطعام ممنوع علينا والماء وحتي الخروج الى المرافق فوضعوا لنا صفائح فارغة لذلك. وفي مساء يوم ٨ / ٣ دخل علينا الملازم الخائن خيرالله عسكر وقال لنا بالحرف الواحد: نحن لسنا عبد الكريم قاسم بل نحن سنقتلكم رمياً بالرصاص.. ثم أشار الى رئيس العرفاء صالح من الهندسة وقال له: طبعاً انت رئيس الخلية (ستالين عليك) كم خلية عندك؟

ويضيف صاحب التقرير: وقلت له إنك كنت عندنا قبل يومين في دورة التعبئة وخدمناك وعلمناك وهل سترمينا جزاء بالرصاص جراء اتعابنا؟ فقال: انتم ضباط الصف ليس عليكم ذنب وإنما جري توقيفكم للأمن والسيطرة فقط. ويمضي التقرير الى القول:

وخرج الضابط الخائن بعد ان كاد يقتلنا رمياً بالرصاص برشاشته الخطرة. ويضيف التقرير انه في الساعة الثامنة والنصف صباحاً من يمو ٩/ ٣ / ١٩٥٩ رأينا اربع طائرات نوع (الفلي) في سماء الموصل ففرحنا.. فرأينا الطائرات تتجه نحو مقر الخائن الشواف برتل منفرد وانقضت واحدة بعد أخري وعندها سمعنا انفجارات قوية جداً ورأينا دخان أسود كثيف في السماء من مقر الشواف، وبعد ذلك ذلك اشتدت قعقعة الرشاشات وكان صوت الرمي يقترب شيئاً فشيئاً من معتقلنا في الثكنة العسكرية وفيها معتقل للضباط والمدنيين.. وفي صباح يوم ١٠ / ٣ تم لنا السيطرة علي المكان فتوجهنا الى المدينة وخلال يومين تم تطهير البلدة بصورة جيدة[٦].

ما حدث في الموصل في تلك الأيام كان مشهداً دراماتيكياً كل ينظر اليه من زاويته فيتردد اسم حركة وانقلاب وثورة ومؤامرة وتمرد، وتهمة الخيانة جاهزة من كل الأطراف لألصاقها بالطرف الآخر بغية تبرير غريزة الأنتقام، وكان الضحايا يتساقطون من كل الأطراف في مستنقع الحقد والكراهية مع غياب عناصر التسامح والعقلانية والحرية.

ان ثورة الموصل رغم وجود تعاطف قطاعات شعبية منظمة ومسلحة ومتحمسة والمساعدات الخارجية، لكن يبدو انها كانت تفتقر الى التنظيم والتنسيق والأنضباط والسرية أيضاً. إن محطة الأذاعة تأخرت في بثها، وقد استطعت في القوش التقاطها وكان بثها غير واضح ومتقطع، فلم يكن له تأثير يذكر على من يسمعها فالأرتباك واضح من خلال إذاعة الأخبار والبيانات وبرقيات التأييد.

إن حركة الشواف كان لها وقع سلبي على اغلب الجماهير باستثناء بعض المناطق من العراق وفي مقدمتها مدينة الموصل، فالقوي القومية في هذه المدينة بين الضباط العسكريين وشيوخ العشائر وتنظيمات حزب البعث والقوي المؤيدة لجمال عبد الناصر كانت منظمة ومتماسكة لها رؤية واضحة واستراتيجية معلومة وهي الأنقلاب علي حكم عبد الكريم قاسم وإقامة حكم عراقي قومي ينظم الى الركب العربي الذي كان بقيادة عبد الناصر. والقوى الأخرى كانت تقف خانة معاكسة.

من الواضح هناك برنامجان ليسا متعارضين فحسب إنما متصارعين، ويكاد يدخل في دائرة المستحيل مفهوم الألتقاء مع الطرف الآخر. لتشخيص الجبهات المتصارعة وعمق خلافاتها نشير الى ما سطره محمود الدرة وهو مفكر قومي إذ يحدد القوي العراقية التي يضعها في خانة الأعداء يقول:

إن عربي العراق ليعلم اكثر من أي عربي آخر ان خسارته لمعركته تعني ضيا ع عربي المستقبل، إنه مدرك وقدر خطورة مسؤوليته التاريخية في تقرير مصير الأجيال العربية القادمة، ومستقبل امته السياسي، علي أرض العراق. ولذلك لم يرهبه السحل ولا حمامات الدم ولا عمليات الأبادة الجماعية، في الموصل وكركوك ولم يرعبه تدمير جهازه الزراعي والأقتصادي، ولا تبديد ثرواته وخيراته، ولا اعتقال عشرات الالاف من شبابه. لم يخفه الحزب الشيوعي العراقي ولا حلفاؤه الشعبيون والأستعماريون بمقاومتهم الشعبية، وحماة الجمهورية، ومحاكم القصاب في الموصل وحسن الركا ع في الحلة والمهداوي في بغداد، ومصطفى البارزاني في جبال كردستان ولا جميع منظماتهم الديمقراطية.. بأسمائها ومسمياتها الرنانة بكل القوي التي دعمتهم ووجهتهم ـ صينية كانت ام روسية أم غربية... وها هي القوي الشيوعية تنكفئ خاسئة الى جحورها، والشعوبية تتنصل من مسؤولياتها، والمتشيعة، والأنتهازية.. والرجعية وعملاء الغرب...[٧]

نحن ننظر الى تلك الحوادث بالمنظور الراهن أي بعد نصف قرن ولا نري مسوغات لتلك الأعمال، لكن في ذلك الوقت كل فريق يرى الحق بجانبه ويرفض مبدئياً كل ما يتعدى حلول الوسط.

نعود الى مجريات ومصير محاولة الأنقلاب التي قادها الشواف. فإنها لم تحظ بتأييد شعبي، فقد خرجت مظاهرة نظمها البعثيون في جانب الكرخ من بغداد، وخارج الموصل لم يكن لها تأييد يذكر في الأوساط الشعبية. لكن انضم الى حركته حاميتي عقرة وعمادية في كردستان، لكن العقيد رفعت الحاج سري والزعيم الركن ناظم الطبقجلي الذي كان رئيس شواف المباشر لم يبادرا الى تعضيد حركته، ثم ان العقيد عبد الوهاب الشواف افتقر الى تأييد وحماس الجنود والمراتب التابعين له، ويفترض ان جنوده سيطيعون أوامره عندما باشر في تطهير الموصل بوسائل عسكرية، ولكنه وجد نفسه هنا في موقف بالغ الخطورة، فانقلابه كان انقلاب الضباط الذين حقدوا على قاسم لعدم إشراكهم في تشكيله مجلس قيادة الثورة.

يضاف الى ذلك الى ان معظم جنود الفرقة الثانية هم كرد لا يثقون بالقومية العربية أو لا تعني شيئاً بالنسبة اليهم... فعندما دنت ساعة الأمتحان وجد الشواف نفسه محاطاً بأقلية متحمسة من الضباط وأغلبية معتدلة مذعنة، دون ان يكون لديه قطاع محكم محكم من الأفراد والمراتب يمكن الركون اليه.. حتى عندما بدئ بتحريك القطعات الى المدينة ضد التظاهرات، ظهرت حالات عصيان علي الأوامر. وما ان أقبل ليل الثامن من آذار حتى انطلق عدد كبير من مجموعات الجنود بقيادة ضباط صفهم يهتفون لقاسم في الشوارع ويطالبون بالأقتصاص من الخونة[٨].

وكان الى الجانب الآخر بالأضافة الى القوي العسكرية المنظمات الشعبية اتحاد الطلبة والجمعيات الفلاحية وانصار السلام ورابطة المرأة.. الخ.

في الحقيقة استطاع المتمردون السيطرة على مدينة الموصل لوحدها وكان ذلك بعد اخضاع فوج الهندسة ونزع سلاحه واعتقال آمره المقدم عبد الله الشاوي وثلاثة من ضباطه مع عدد من ضباط صفه، ولكن مع هذه السيطرة كانت الرياح تسير بعكس ما مصلحة سفن المتمردين ففي هبوط ليل ٨ آذار باتت السماء ملبدة بالأقدار المشؤومة التي ستواجههم. فبعد قصف الطائرات لمقر الشواف وقضائه وهناك روايات عديدة حول اسباب وفاته:

في قصف مقر قيادة اللواء الخامس جرح الشواف بجرح طفيف فسارع الى المستشفى، ولكن جنوداً من فوج الهندسة ـ حسب رواية الشيوعيين ـ اكتشفوه وقام أحدهم وهو محمد يوسف، بطعنه بخنجره فرماه أرضاً، وعندها اختطف رشاشه وأطلقه تكراراً عليه مخمداً انفاسه، ورواية أخرى لدي القوميين تقول: بأنه قتل في غرفة تغيير الملابس على يد خادم طبي كردي، ورواية ثالثة تقول: انه قتل بأيدي أربعة جنود وبناءً على أوامر تلقوها من الرئيس أول الجوي أحمد حبيب. وفي نفس الوقت سار جنود من فوج الهندسة، مسلحين بالعصي وقضبان الحديد الى السجن العسكري في معسكر الحجرية وأطلقوا سراح الضباط وكل

المعتقلين الشيوعيين، ولكنهم لم يتمكنوا من إنقاذ قائدهم عبد الله الشاوي الذي كان قد صرع بيد محمود عزيز، معاون الشواف وعثر كذلك على زعيم أنصار السلم كامل قزانجي ميتاً[٩].

تلك الأحداث اصبحت من جزء من الماضي. لقد كنت في دور المراهقة وكان يكمن في دواخلنا حماس واندفاع من أجل الدفاع عن الزعيم عبد الكريم، بادرت من الصباح الباكر مع الصديق حميد بالتوجه نحو الموصل سيراً علي الأقدام، وليس معنا قطعة سلاح وليس لنا نقود لدفع اجرة السيارة، وبعد ان قطعنا حوالي عشرة كيلومترات لمحنا سيارة اجرة قادمة من القوش نحو الموصل أشرنا لسائقها بالتوقف، وجد لنا السائق مكان في صندوق السيارة الذي كان يجلس فيه شخصاً آخراً، فجسلنا ثلاثتنا القرفصاء في صندوق السيارة الى ان وصلنا الى الموصل، ووعدنا السائق ان نعود معه في المساء، لكن هذه المرة جلسنا فوق سقف السيارة على (السيبابة). وفي الموصل رأينا المسلحين من العشائر الكردية وآخرين من العرب وكل الأقوام ونهتف معهم بحياة الزعيم، وبعد ان اشتد بنا العطش والجوع نصحونا بالذهاب الى الثانوية الشرقية او الثانوية المركزية لا اتذكر الأسم بالضبط، وفعلاً وجدنا هناك أرغفة الخبز الموصلي اللذيذ ومعه التمر (قزبي) المكوم على الأرض، ويبدو ان العمليات كانت في حكم المنتهي إذ لم نسمع إلا أصوات طلقات متناثرة قليلة لا تشكل طلقات مقاومة او هجوم.

لكن قبل هذا يحدثنا قائد لقوة من المقاومة الشعبية مهدي حميد وهو ملازم كردي سابق في المدفعية من السليمانية كان مؤيداً للملا مصطفى البارزاني سنة ١٩٤٥ وأصبح عضواً في الحزب الشيوعي العراقي سنة ١٩٤٨ ثم نزيلاً للسجون الملكية الى ١٩٥٨ ويقول في روايته للأحداث:

ازداد قتال الشوارع حدة ساعة بعد أخرى. وأطبق الرعب على الناس وكانت هنالك خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، كما يحصل في هذه الظروف عند تلاشي السلطة والأنضباط. في هذه اللحظة الحرجة حصل ان ارتديت بزة عسكرية وحملت رتبة ملازم.. وتوجهت الى مخفر للشرطة وأخبرت رئيسه ياسين درويش بأني ضابط من وزارة الدفاع وإني مكلف بالتعاون معه، فرحب الرجل وأبدي استعداده لمساعدتي بشكل تام وزودني برجال شرطة وبالذخيرة اللازمة. وأثبت صاحب القريشي، مدير الأمن، تعاونه ووضع تحت تصرفي مكتبه وغرفة أخري.. في هذه الأثناء كان رجال من الشعب، وأبناء قبائل بالالاف وجنود هجروا وحداتهم وآخرون يتدفقون الى مخفر شرطة.. كان اول وأهم ما علي ان أفعله هو ان أمسك بزمام الأمور وأن أنظم المقاومة الشعبية وأحتواء إطلاق النار والتخفيف من الخسائر في الرواح والممتلكات.

ويمضي مهدي حميد الى القول: خلال وجودي في مركز الشرطة حصلت في المدينة

أحداث مؤسفة جداً، إذ كانت هناك تهجمات على حياة الأشخاص بدافع الكراهية الشخصية او انطلاقاً من رغبة بالثأر او بسبب نزاعات عائلية او على اساس انهم حملوا السلاح ضد الحكومة او انهم ساعدو المتمردين. وارتكبت هذه الأفعال من قبل عناصر سيئة النية وغير ذات ارتباط سياسي من قبل الجنود الذين خرجوا عن النظام والأنضباط[١٠].

من نافلة القول ان غياب سلطة الحكومة ساهمت بشكل كبير الأنفلات الأمني وحثت البيانات الحكومية المواطنين الى ترك واجب المحافظة على الأمن الى الجهات الحكومية المسؤولة. لقد قدر عدد ضحايا هذه الأحداث بخمسة آلاف شخص وهذا رقم مبالغ به جداً، ومنهم من قدرها بالمئات، لكن المعروف ان خسائر الشيوعيين اقل بكثير من خصومهم.

ثبت في استمارات الطب العدلي في المستشفى الجمهوري ب (٦٧) شخصاً. لقد أكد عريف الأجتماع أقيم في ذكري الانقلاب سمة ١٩٦٤ والذي اقيم في ملعب الموصل الذي شهد اجتماع انصار السلم في سنة ١٩٥٩.. وأتي عريف الحفل وهو يوسف كشمولة احد الضباط المحكومين في عام ١٩٥٩ وذكر اسماء القتلى واحداً بعد آخر، كما ثبت ذلك العدد من القضايا التي فتحت بهم في زمن عبد الكريم قاسم وحوكم العشرات جراها بعد انقلاب الثامن من شباط، وأدلى العقيد شمس الدين عبد الله رئيس المجلس العرفي العسكري الذي حاكم المتهمين للزبيدي وهو مؤلف كتاب ثورة ١٤ تموز، وعنده الخبر اليقين، بأن مجموع القتلى من القوميين بلغ ٤٧ شخصاً فحسب ص٤٤٣ في حين يجعلهم العميد خليل ابراهيم حسين ٧٢ مدنياً مدخلاً فيهم من قتل خارج الموصل و١٧ ضابطاً قومياً وأربعة ضباط صف.. وبمقابل ذلك كان عدد من راح ضحية الأشتباكات من العسكريين من الطرفين ما لا يزيد مجموعه عن ٩٥ قتيلاً، لكن التهويل في عدد الضحايا كان من صنع الأعلام في الجمهورية العربية المتحدة[١١].

كان ثمة تدخل واضح من قبل الجمهورية المتحدة المتحدة في الشان العراقي والتآمر عليه بقصد قلب نظام الحكم لكن الغريب ان عبد الكريم قاسم لم يحاول بأي شكل من الأشكال التطرق الى اسم عبد الناصر وزجه في المشكلة وكأنما كان يتقصد في تجنب ذلك والمقابلة مع مندوب مجلة التايم وليم ماكهيل:

ماكهيل: ما رأيك بالأسباب التي دفعت عبد الناصر الى توجيه هجومه على الجمهورية العراقية وقيادته؟

قاسم ـ أنا شخصياً لم اهاجم احداً ما. وربما هم انفسهم يعرفون اسباب هذا الهجوم السافر على العراق.

ماكهيل: أبوسع العراق إقامة علاقات صداقة مع ج. ع. م مع وجود عبد الناصر على راس النظام؟

قاسم ـ إن الشعبين المصري والسوري! هما شقيقان ولن نتركهما. المعتدي سيعود الى رشده لأننا لا نحمل شيئاً ضده وعلاقتنا ستكون جيدة حتماً مع كل البلاد التي لا تضمر لنا سوءاً.

ماكهيل: هل هناك أمل بمقابلة بين سيادتك وبين عبد الناصر لتسوية الخلافات؟

قاسم ـ إننا بدأنا بدأنا في بناء مجتمع افضل من ذلك المجتمع، وأنت الآن تشاهد نتائج هذا البناء.. سواء تمت المقابلة التي تعنيها ام لم تتم فنحن نواصل عملنا..

ماكهيل: اتعتقد بوجود خطر كبير يتهدد البلاد؟

قاسم ـ كان الخطر موجوداً يتهدد البلاد خلال الأشهر الستة بعد الثورة. لكن بعد ذلك وفي الوقت الحاضر ليس هناك أي خطر. ذلك لأن الشعب قد اتحد وهو مصمم علي الدفاع عن الجمهورية وعن مكتسبات الثورة الى آخر قطرة من دمائه... ـ وحول انقلاب الشواف ـ يقول قاسم: الحركة الأخيرة في الموصل دبرت في الخارج، إضافة الى الحملة ألأعلامية الظالمة ضد العراق، التي تهدف الى تضليل البسطاء.

ماكهيل: هل ينوي العراق.. قيادة الدول العربية؟

قاسم ـ لسنا نريد ان نقود أحداً، إننا سنتعاون مع تلك الشعوب على اساس السيادة الكاملة ولكل شعب الحق والحرية المطلقة في إقامة النظام الذي يرتأيه.. لقد ولى ذلك الزمان حيث يفرض الأفراد حكمهم علي الشعب[١٢].

قد يتيح مقدار المسافة الزمنية (نصف قرن) على تلك الأحداث التي سجلت احداثها وكان ضحاياها من العراقيين من مختلف الأديان والأعراق، بان نتناول الموضوع بعقلية حيادية بعيدة عن التعصب والأنفعال فيكون جميع الأطراف قد تحملوا جزءاً من المسؤولية ومن المؤكد ان تدخل الأطراف الخارجية وتأجيجها للصراع كان له أثره على مجمل الأحداث. إن كان اثناء تلك الأحداث او ما حدث من تداعيات بعد إخماد التمرد، فلا يمكن تبرير تلك الأعمال سواء التي قام بها اعوان شواف من ضباط ومدنيين او العمليات الأنتقامية التي حدثت بعد القضاء على حركة الشواف.

من الطبيعي ان تؤدي تلك الأحداث الدامية الى الأحتقانات والتي عمقت العداء بين الأحزاب العراقية وبين القوميين وعبد الكريم قاسم، ويقول مسعود البارزاني: انه من الأخطاء الكبيرة التي عمقت العداء كانت موافقته على أعدام ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري رغم

كونهما متواطئين مع الشواف إلا انهما لم يشتركا فعلياً في الحركة، وكانا من الضباط الأحرار اللامعين ويتمتعان بتقدير واحترام الشعب والجيش. وتدخل البارزاني لدى عبد الكريم قاسم ونصحه بعدم الموافقة على تنفيذ حكم الاعدام بحقهما، وكان البارزاني يزور أخاه الشيخ أحمد البارزاني في مصيف هوري في ذلك الوقت وأرسل ابن أخيه صادق خصيصاً الى بغداد لنقل رسالة البارزاني الى عبد الكريم حول الموضوع ويخلص الأستاذ مسعود البارزاني الى موقف صريح يقول:

لقد كانت أحداث الموصل من اولها الى آخرها بداية مرحلة جديدة للصراع الدموي، ولا احد ينجو من اللوم ومن المسؤولية: القوميون والشيوعيون والكرد، جميعهم أخطأوا بحق أنفسهم وبحق بلدهم وشعبهم، لقد أخطأوا بحق العراق[١٣].

تداعيات عاصفة

إن غابت العقلانية وانزوي التعقل وهيمنت غيوم الحقد والكراهية مولدة روح الأنتقام والعنف حينما يغيب اي معني للتفاهم والتسامح والتعايش، هكذا كانت الأشهر القليلة التالية لأحداث الموصل تشهد إرهاصات لاستيلاد احداث دامية أخري، وهذه المرة كانت أرض مدينة كركوك التاريخية والتي تخزن في باطنها ثروة من الذهب الأسود ويتعين ان تكون هذه الثروة مصدر نعمة ورخاء ومحبة ووئام لقاطني هذه المدينة، لكن المدينة كانت تنتظرها أحداث دامية لينقلب وجهها التسامحي الجميل الى احداث دامية عمقت الشرخ بين مكونات النسيج المجتمعي لهذه المدينة.

وفي مجريات المشهد العراقي بعد ثورة ١٤ تموز تعرض عبد الكريم قاسم الى شتي الضغوط الداخلية والخارجية بقصد تغيير سياسته لصالح هذا الفريق او ذلك الحزب. وكان اعنف هذه الضغوط يمثله التيار القومي ولم يكن التيار السياسي الأسلامي قد تبلور بعد ليأخذ دوره الرئيسي في الساحة السياسية العراقية.

إن الضغط الذي طال عبد الكريم قاسم من القوي القومية العربية، كان ينعكس علي القوي التي وضعت في الجانب الآخر من المعادلة السياسية العراقية وهي الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني، حيث ان الأنفتاح علي التيار القومي ومغازلته ومحاولة كسب وده كان يعني الأنغلاق علي التيار اللاقومي إن صح التعبير والضغط عليه.

في مدينة كركوك كان ثمة عامل التركيب الاثني الذي يلعب دوره علي سياق الأحداث في المدينة وفي المنطقة. وهذا العامل هو احتواء النسيج المجتمعي المديني علي الأقلية التركمانية والتي تشكل رقماً مهماً في هذه المدينة.

وكان هذا القوم في زمن الدولة العثمانية يعتبرون جزء من الأغلبية التركية الحاكمة وكان لهم نصيب كبير من الوظائف والأعمال التجارية مما ولد طبقة ارستقراطية بارزة مهيمنة على اقتصاد المدينة، وبعد قيام الحكم الوطني الملكي في العراق استمر ولائهم لتركيا لكن مع مرور الوقت بات هذا القوم ينسجم مع الواقع الجديد ليصبحوا جزء من نسيج المجتمع العراقي.

علينا ان نحسب حساب حقيقة مفادها ان الحكومات في العهد الملكي كانت تحت هيمنة الضباط العراقيين الذين عملوا في الجيش العثماني والذين تخلوا عن خدمة تركيا في الحرب العالمية الأولي وانخرطوا في خدمة عائلة الشريف حسين خصوصاً في عهد ابنه فيصل الأول منهم نوري السعيد وجعفر العسكري وغيرهم ولهذا يمكن الزعم ان نفوذ الأقلية الأثنية (العرقية) التركمانية استمرت في مركزها المتميز في العهد الملكي ولعل توزيع الأملاك والعقارات في بعض مناطق كردستان يبرز هذه الحالة فمنطقة أربيل كانت تضم ٦٥ قرية يسكنها الأكراد، ولكن لا أقل من ٤٥ من تلك القري كانت مملوكة لواحد او آخر من أعيان أربيل، الذين كانوا في معظمهم من اصل تركماني من ناحية العرق.

وفي أربيل نفسها كان التركمان ينتمون الى الشريحة الثرية، وكانت مقرات سكنهم تقوم على قمة رابية مستديرة.. بينما كان الأكراد الذين يشكلون ثلاثة أربا ع السكان ويشكلون ـ كقاعدة ـ القسم الأفقر من السكان، يعيشون بشكل عام في منازل تحيط بسفح الرابية من شرقها وجنوبها[١٤].

في كركوك ايضاً كانت طبقة الملاكين من التركمان او ممن نسبّوا انفسهم الى التركمان وهم ليسوا كذلك، ويقول حنا بطاطو: كان ملاك الأراضي الكركوكيون الذين كان اكثرهم ثراء من التركمان او الأكراد الذين يصنفون انفسهم تركماناً يملكون الأراضي الزراعية في المنطقة المالحة، على امتداد الزاب الصغير وفي الضواحي الغربية لكركوك، ولكن العرب هم الذين كانوا يعنون بأراضيهم وأغنامهم. وفي الموصل كان أسياد الأرض الكبار من العرب المسلمين بشكل رئيسي، بينما كان عدد غير قليل من فلاحيهم في القرى المحيطة من الآراميين المسيحيين[١٥].

إن صورة الواقع في مدينة كركوك يكون اكثر وضوحاً إذا اخذنا بنظر الأعتبار خلفية التكوين الأثني لهذه المدينة، فالتركمان الذين كان لهم امتيازات في العهد الملكي، سوف لا يتحمسون لتأييد الحكم (الحكم الجمهوري) الذي نال من بعض امتيازاتهم الموروثة، وسيشار اليهم على انهم يتآمرون لأسقاط الحكم على اعتبار انهم ناقمين على الحكم الجمهوري الذي يخطط لأعادة النظر في توزيع الأراضي التي تملكها الأرستقراطية التركمانية ورجال اعمالها وتجارها وإعادة توزيع هذه الأراضي، ثم التصميم على الأبتعاد عن سياسة الأحلاف ومنها

حلف بغداد الذي كان يشغل عضويته انقرة وبغداد، وفي هذا السياق يكون للتركمان ـ او على الأقل ـ الطبقة التي فقدت امتيازاتها في العهد الجديد لها موقف، إن لم يكن مناواً فإنه غير ودي من الثورة.

ومن الطبيعي ان يكون هنالك تركمان كثيرين فقراء وأيضاً وقلة من الأكراد ميسوري الحال وبعد ثورة ١٤ تموز اتخذ الحقد لنفسه شكلاً سياسياً مميزاً لأنه، واستناداً الى رئيس شرطة كركوك يقول: مع تأسيس الجمعيات والتنظيمات والنقابات، انظم معظم الأكراد اليها.. أما التركمان فقد تجمعوا كلهم تحت الراية القومية التركمانية[١٦].

في هذا السياق سيكون الأكراد بأغلبيتهم الساحقة مناصرين لثورة ١٤ تموز وإنهم يقفون صفاً واحداً مع الحزب الشيوعي العراقي الذي له صوت مسموع في عموم العراق وفي ارجاء كردستان ايضاً، وطفقت مهمة المحافظة على الحكم من المهمات الرئيسية التي تكفّل بأعبائها الحزبين الشيوعي والبارتي (الحزب الديمقراطي الكردستاني)، وكان الشعار المميز المطروح في الساحة السياسية يقول:

على صخرة الأتحاد العربي الكردي تتحطم المؤامرات الأستعمارية والرجعية. ولكن ازعج الشعارات العفوية الغريزية التي أطلقها الغوغاء في تلك الفترة، كان الشعار: ماكو مؤامرة تصير والحبال موجودة.

قبل هذه الأحداث وكخلفية مساعدة لشحن الأجواء، كان ملا مصطفى البارزاني في أحدى زياراته على مقر الفرقة الثانية ونزل في نادي الضباط في تشرين الثاني ١٨٥٨ حاول احد الضباط الطورانيين ويدعى (هدايت ارسلان) وضع قنبلة زمنية في طائرة الهيلوكبتر التي كانت ستقل البارزاني، إلا ان المؤامرة فشلت بعدما علم بها أحد الضباط الكرد. وبعد ذلك مباشرة اصيب الضابط الطوراني المذكور قضي بنوبة قلبية.. وانتشر خبر هذه الحادثة في كركوك بسرعة البرق وكاد ان تقع كارثة دموية إلا انه تمت السيطرة على الموقف[١٧].

قرر الشيوعيون والديمقراطيون وحزب البارتي ان تنطلق مسيرة واحدة في شوارع كركوك وتكون تحت قيادتهم على انها مسيرة الجبهة الوطنية، لكن التركمان اصروا على ان يكون لهم مسيرة خاصة، وفي ظروفنا الحالية يمكن الحكم بأن اتفاقاً بين الأطراف كان يمكن إبرامه بغية اجتياز المشكلة، لكن يبدو ان العقلية والقناعات الراسخة كانت عصية على التفاهم للخروج بتلك الأزمة من أجواء الأحتقان السياسي والأثني فوقع ما وقع من الحوادث الدموية. ونلاحظ في عشية الأحتفالات بالذكرى الأولى لثورة ١٤ تموز كان الوضع في المدينة شديد التوتر، وهو قابل للأنفجار في تلك الأجواء المشحونة بالأحقاد والكراهية وكان احتفالات ١٤

تموز تلك الشرارة التي اشعلت نار الفتنة في هذه المدينة لتسود لغة الأنتقام في جيشانات غريزية للحقد العرقي والتي استمرت ١٤ ـ ١٦ تموز ولم تتوقف الهيجان والفوضى الا بعد وصول الوحدات المدرعة القادمة من بغداد والحبانية في ١٧ تموز لأعادة الأمن والأستقرار وكانت بقيادة العقيد عبد الرحمن عارف ورئيس الجمهورية فيما بعد.

حصيلة هذا الأعمال نهب وتدمير ١٢٠ من المنازل والمقاهي والمخازن. أما بالنسبة الى الضحايا فقد كتب رئيس الأمن في ٢٠ تموز ان عدد القتلي المعروفين وصل الى ٣٢ لكنه قدر وجود ٢٠ قتيلاً آخراً دفنوا في أمكنة أخري.. وفي ٢ آب جعل قاسم الرقم ليصل الى ٧٩ ولكنه عاد في ٢ كانون الأول، وبعد شفائه من من جروح طلقات اطلقها عليه اعضاء حزب البعث، فقلص الرقم الى ٣١ شخصاً فقط قتلوا فعلاً، وإن الخطأ نجم عن ان كل جثة صورت مرات عديدة من زوايا مختلفة.[١٨]

ينبغي الأقرار ان تعزى هذه الأحداث الى طبيعة تلك الأزمنة من أفعال القسوة القصوي، والمغزي يكمن في سقوط ٣١ شخصاً وباستثناء ثلاثة منهم، وكل الجرحي الـ ٣٠ باستثناء ٦ منهم كانوا من التركمان، وإن كل الـ ٢٨ المدانين بالتطرف والذين أعدموا في ٢٢ حزيران ١٩٦٣ وباستثناء ٤ منهم كانوا أكراداً[١٩].

لا شك ان مسيرات الفرح والأبتهاج تحولت الى مسيرات دموية ومأسوية ويقول الأستاذ مسعود البارزاني انها سجلت نقطة سوداء في تاريخ الأخوة الكردية التركمانية. لقد خرجت السيطرة من يد الجميع وتحولت المدينة الى ساحة قتال حقيقية ساعد قائد الفرقة الثانية داوود الجنابي على إشعال الفتنة أكثر بدلاً من ان يعمل علي إخمادها،، كما يفرض عليه واجبه، فقد أطلق العنان لجنود الفرقة الثانية ومنتسبي المقاومة الشعبية ان يتصرفوا حسب أهوائهم، وتلكأ الفرع الثالث للحزب الديمقراطي الكردستاني في القيام بدوره لأخماد الفتنة كذلك فعل اصحاب الشأن من التركمان فحدث ما حدث ويذهب االأستاذ مسعود البارزاني الى القول:

في كل زمان ومكان يجب محاربة الأفكار الشوفينية والعنصرية وعلى الشعب الكردي أن يكون القدوة في ذلك لأنه لأنه يعرف اكثر من غيره مضار هذه الأفكار، ويجب ترسيخ الفكار الديمقراطية في المجتمع الكردي وضرورة التعايش الأخوي مع القوميات الأخري[٢٠].

حينما وضعت الحوادث الدموية اوزارها كان الحزب الشيوعي العراقي اكثر الخاسرين في الساحة السياسية العراقية،بالرغم من القناعات التي تفيد ان قيادة الحزب الشيوعي لم تكن ضالعة في تدبير تلك الأحداث لكنها تتحمل مع كل الأطراف المسؤولية في ذلك الجو الملوث

بغياب القانون، وكانت هذه انعطافة لعبد الكريم قاسم لكي يدير ظهره للحزب الشيوعي العراقي، وربما كان يتأمل ان يخطب ودّ القوي القومية ففي التاسع من تموز توجه عبد الكريم قاسم لافتتاح كنيسة مار يوسف الكاثوليكية للشعب الكلداني وفوجئ راعي الكنيسة والحضور حينما أبدي الزعيم عبد الكريم قاسم رغبته في إلقاء خطبة بهذه المناسبة، وطفق في هذه الخطبة يندد بالقسوة والتعصب الأعمى الذي رافق الأحداث الأخيرة في كركوك، وقال:

ان الفوضويين الذين اطلقوا العنان لحقدهم وضغينتهم هم المسؤولين، وإنه يجب عليه ان يسحقهم وإن كان شديد للأخذ بسياسة الشدة.. إن لم يعودوا الى جادة الصواب ويسلكوا سلوكاً انسانياً.. وحذر بصورة خاصة الجيش جنوداً وضباطاً من ان لا يطيعوا ـ بعد اليوم ـ اوامر إلا تلك تصدر اليهم من ضباطهم ومن القيادة العليا، وأضاف يقول: لم يعد بالأمكان خداع الجندي البسيط بعد الآن، وإن البرئ لن يؤخذ بجريرة المعتدين الفعليين.. وعفا الله عنا سلف[٢١].

لكن هل افلح عبد الكريم قاسم في استمالة القوى القومية الى جانبه بعد ان بادر الى توسيع الهوة بينه وبين الحزب الشيوعي العراقي بعد ان اعتقل المئات منهم وعطل فعالية المقاومة الشعبية وأغلق فروع اتحاد الشبيبة الديمقراطي ومكاتب لاتحاد العام لنقابات العمال وسرح المئات من العسكريين من ذوي الميول الشيوعية وغيرها من الأجراءات؟ إن عبد الكريم قاسم كان مخطئاً في تصوراته فالقوميين وبشكل خاص البعثيين كان لهم هدف واحد هو إزاحته من كرسي الحكم والإحل محله، وسوف لا تفيد ما يتخذه من قرارات لتلطيف الأجواء مع هذه القوي حتي لو كان علي حساب خصومهم الشيوعيين فقد اتخذوا قرارهم بإسقاطه، كما كان هو وزملاؤه قد اتخذوا قراراً نهائياً بإسقاط الحكم الملكي وكانوا يتحينون الفرصة المناسبة لذلك فحسب. إن الفقرات التالية تثبت إخفاق عبد الكريم قاسم في اهدافه.

محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم

في حوالي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأربعاء الموافق السابع من تشرين الأول ١٩٥٩ قطعت الإذاعة العراقية برامجها الأعتيادية لتعلن خبر تعرض الزعيم عبد الكريم قاسم الى محاولة اغتيال آثمة التي جرت احداثها قبل ساعة من إذاعة البيان وإنه قد اصيب في الكتف والذراع وجرت المحاولة على شارع الرشيد في منطقة رأس القرية.

كانت هذه المحاولة مقرراً لها من قبل القوى القومية وفي مقدمتها حزب البعث قبل عصيان الشواف وبعده، لكن الرأي الأرجح بحسب تقديرات القوي القومية ان الحزب الشيوعي وحلفائه سيتمكنون من ملاء الفراغ في السلطة إن هم أقدموا على اغتيال عبد الكريم قاسم

في تلك الظروف وتكون العملية بمثابة تقديم الحكم هدية للحزب الشيوعي الذي يحظي بتأييد الشارع العراقي مع قوة مهمة في الجيش - على الأقل - على نطاق طبقة الجنود وضباط الصف. هذه كانت تقديرات القوي القومية وحزب البعث إذا ما اكتفوا باغتيال عبد الكريم قاسم دون وجود خطة شاملة لاستلام زمام الأمور.

بالرغم من تبدل الأهواء عند عبد الكريم قاسم في توجيه ضربات تسوية ضد الشيوعيين وهو ما يرضي المتشددون القوميون، لكن هذه الفرضية لم تستمر بعد تنفيذ احكام الاعدام يوم ٢٠ ايلول بحق الزعيم الركن ناظم الطبقجلي والعقيد رفعت الحاج سرّي و ١١ ضابطاً لهم اتجاه قومي لدورهم في ثورة الموصل التي تزعمها العقيد عبد الوهاب الشواف، فشكلت هذه الأنعطافة القشة التي قصمت ظهر البعير، فرجحت كفة الرأي الذي يقول بتنفيذ محاولة الأغتيال.

في الساعة السادسة والنصف من مساءً يوم الأربعاء ٧ / ١٠ / ١٩٥٩ انهال على سيارة (قاسم) وابل من نار الرشاشات والرمانات أثناء مرورها في طريقها الى وزارة الدفاع قاصدة حفل استقبل في دار البعثة الدبلوماسية لألمانيا الشرقية في الباب الشرقي وتم الهجوم في رأس القرية.. قتل السائق وأصيب الرائد قاسم الجنابي مرافق قاسم بإصابات خطيرة. ونفذت رصاصة في كتف قاسم اليسري، وقام سائق تاكسي بنقله الى مستشفي دار السلام.. وبقي فيها حتى اوائل كانون الأول وأردي أحد المهاجمين وهو عبد الوهاب الغريري برصاص بعض رفاقه وليس بنار قاسم كما ادعي هو وتركت جثته ملقاة على قارعة الطريق[٢٢].

فشلت المؤامرة وشهدت شوارع بغداد مظاهرات صاخبة حيث تدفقت الجموع بعد دقائق من إذاعة الخبر، وعلى العموم لم تشكل هذه المؤامرة اية خطورة على الحكم. باشرت محكمة الشعب بتاريخ ٢٦ /١٢/ ١٩٥٩ بمحاكمة ٧٨ متهماً في هذه القضية ومنهم ٢١ حوكموا غيابياً وأغلبهم بعثيون وبضمنهم كل القيادة القطرية لحزب البعث تقريباً، اما الذين نفذوا عملية الأغتيال بصورة مباشرة هم أياد سعيد ثابت وهو من اسرة موصلية معروفة ومن ولادة بغداد سنة ١٩٣٣ وخالد علي صالح الدليمي وهو من الرمادي وولد ببغداد سنة ١٩٣٤م، واحمد طه العزوز وسليم عيسي الزيبق وعبد الحميد مرعي وسمير عزيز النجم وعبد الوهاب الغريري، وفي موقع الأسناد لهؤلاء من فرقة التنفيذ كل من صدام حسين التكريتي وعبد الكريم الشيخلي وحاتم العزاوي، وقد اصيب الأولان منهما بجراح، واستطاعا الهروب الى سوريا[٢٣].

إن الحزب الشيوعي بعد هذه المحاولة استطاع ان يعيد شئ مكانته، لكن يبدو ان خبرة



سيادة الزعيم عبدالكريم قاسم اثناء فترة علاجه في مستشفى السلام
يحيط به اعضاء اللجنة الطبية المسؤولية عن معالجته واثنان من مرافقيه

عبد الكريم قاسم في اللعبة السياسية كانت سطحية ولم يتقن فنونها. فبعد عملية الأغتيال مباشرة كان صداها رد الفعل عند قاسم ليشن حملته (الكلامية) ضد البعثيين والتشهير بهم وبأفعالهم، وفي هذه الفترة ايضاً وبعد سكوت طويل على الشتائم الرخيصة لشخصه من قبل صوت العرب وغيرها من الأذاعات، باشر بتوجيه سيلاً من الأهانات الى القاهرة وعلى قيادة جمال عبد الناصر، وفي هذه الأثناء طرح قضية الكويت ثم كان تشويش العلاقات مع ايران.

وفي مجمل علاقاته مع الحزب الشيوعي العراقي استمر في توجيه جرعات من الضغوط عليهم بقصد إضعافهم، ربما كان هاجسه يدور حول تصوره بنواياهم بالقيام بانقلاب عليه، فاستعدادهم وقدرتهم علي قبر المؤامرة وهي في مهدها لابد انهم يمتلكون قدرة على إزاحته متي شاؤا، وربما كان هذا التصور وراء استمراره بالخطوات التي استهدفت اضعاف نفوذهم، كان رفض منح إجازة للحزب الشيوعي، ومنح الأجازة بنفس الأسم لحزب صنيع الحكومة، واحدة من الخطوات التي يستنبط منها انه يدير ظهره لهذا الحزب وعزز نهجه هذا في فرض الحظر على جريدتهم طريق الشعب في بعض محافظات الجنوب ثم كان الحظر عليها في بغداد بموجب قانون المطبوعات الذي كان يسري مفعوله في العهد الملكي. واتبع هذه الخطوة حملة لغلق المنظمات والنقابات وجمعيات الفلاحين وبعد ذلك اللجوء الى زج كوادر هذه المنظمات في السجون.

في المقابل كان عبد الكريم قاسم يحث الخطى للتقارب مع التيار القومي، ففي قضية المؤامرة علي حياته صدرت الأحكام في ٢٥ شباط ١٩٦٠ القاضية بالموت على ستة من

المتهمين الحاضرين وعلى ١١ متهماً غائباً بالعقوبة نفسها. فالملفت انه لم ينفذ بالموت أي حكم. في ٢٦ آذار وقع قاسم قراراً أثبت فيه يوم ٣١ منه للتنفيذ في الساعة الرابعة صباحاً. وفي ٢٦ منه ايضاً صدر مرسوم جمهوري بتنفيذ حكم الموت الصادر علي الشيوعي الشاب منذر أبو العيس الذي اصدرت حكمها عليه محكمة عسكرية عرفية قبل خمسة أشهر، ثم بعد منتصف الليل وفي الساعات الأولى من يوم ٣١ آذار ظهر قاسم علي لوحة التلفزيون وسمع صوته من الراديو على غير موعد ليعلن عن تأجيل تنفيذ احكام الموت (ليكون ذلك عبرة لمن اعتبر)، واستطرد موضحاً اسباب اتخاذ هذا القرار. فقال انه شخصياً قد تنازل عن حقه الشخصي من هؤلاء القتلة تنازلاً تاماً وإنه لم يوافق على احكام الأعدام إلا بناءاً على مقتضيات المصلحة العامة وإكراماً لذكرى سائقه القتيل... وإن اعمارنا جميعاً بيد الله..[٢٤]

إن عبد الكريم قاسم لم يسع لتمهيد موازنة ايجابية بين الفرق المتصارعة فبدلاً من جمع شتات هذه القوى وحثها ودفعها لنبذ احقادها وبلورة مشروع وطني شامل يجمع الجميع حول محوره السياسي بقي موقفه سلبياً ومتفرجاً على الصراع الدائر من ذهنية ان الصراع هذا يعزز مكانته ويقوي مركزه بعض إضعاف تلك الأطراف.

ثمة راي آخر مفاده ان عبد الكريم قاسم لم يكن بالحنكة السياسية التي تؤهله لتأيس حزب وطني سياسي معتدل يستقطب كل القوى المعتدلة في العراق، وكان مثل هذا الحزب مع شعبية عبد الكريم بمقدوره ان يمتص شرائح كثيرة من القوي المستقلة والخارجة عن الأحزاب الأخري. كما ان عبد الكريم قاسم لم يسع الى بناء دولة مؤسسات لكي يبقي بناؤها صامداً لا تهزه رياح الأنقلابات العسكرية الطارئة، لكن عبد الكريم قاسم بلع طعم الأنفراد بالسلطة وحلاوة الشعور بالعظمة حينما كان المراؤون والمداحون يكيلون له آيات الأعجاب ويخلعون عليه ألقاب العظمة، واستمرأ هذا النهج الذي اوقعه بأوهام السيطرة الفردية كزعيم اوحد علي مقاليد الأمور، وبقي يراهن على عملية الموازنة بين القوي المتصارعة ولم يعمل بجدية علي إطفاء هذه الجذوة التي ظلت مشتعلة الى ان وصلت اليه فاحترق بنارها، فبقي في نهاية الشوط دون سند يسند ظهره فكان سقوطه في ٨ شباط ١٩٦٣ أيسر من نجاحه في ١٤ تموز ١٩٥٨م.

الأغتيالات وقصتي الحقيقية

في صفحات العنف العقائدي السادي الذي خيم على العراق ظلت صفحة الأغتيالات التي جرت حوادثها على ارض الموصل، مطوية، لم تسلط عليها الأضواء من قبل المؤرخين والباحثين، حين تقييم الفترة التي حكم بها عبد الكريم قاسم، وشخصياً لم أفلح في ايجاد

مصدر يسعفني في مبتغاي للكتابة عن تلك الفترة باستثناء المحامي جرجيس فتح الله الذي كتب عن تلك الأحداث بشئ من الأستطراد.

كانت ذروة الصراع العقائدي حينما بدأت عمليات الأغتيالات في الموصل علي إنها انتقاماً من الشيوعيين علي خلفية أحداث الشواف، وما كان يبعث علي الأحباط والأسي هو موقف الحكومة الذي اتسم باللامبالاة من تلك الأحداث الدموية، حيث لا تحقيقات ولا ملاحقات ولا محاكمات للقتلة.

كان حزب البعث ذو نفوذ محدود من ناحية قاعدته الأجتماعية، بعكس الحزب الشيوعي الذي كان له قواعد عددية مهمة في صفوف الجيش والنقابات والطلبة والشباب والعمال والفلاحين.. لكن الملفت للنظر ان حزب البعث رغم حجمه الصغير فهو اكثر الأحزاب العراقية مهارة في مجال الأستيلاء على السلطة والتي عرفت بالأنقلابات العسكرية فلم تكن (الأنقلابية) مجرد فكرة نظرية من أفكار ميشيل عفلق فحسب بل هي حزء جدي من تراث وممارسة حزب البعث ويقول الكاتب سلام عبود:

في سنوات حكم عبد الكريم قاسم خاض نشطاء هذا الحزب تجربة غنية مليئة بالجرأة والتحدي للسلطة، مارسوا خلالها كل صنوف التدريب على العمل التغييري العنفي وبهيئة تصفيات فردية، اغتيالات صدامات جماعية منظمة، قيادة اضرابات طلابية وتمردات عسكرية، متوجين ذلك بحركة ١٤ رمضان التغييرية الدموية والتي وضعتهم على رأس السلطة بالتعاون مع القوميين وبعض فئات العسكريين[٢٥].

المحامي جرجيس فتح الله يطلق على تلك الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣ بفترة الأرهاب الأعظم في الموصل ويقول ان ضحايا هذه الأغتيالات فاقت مجموع الضحايا في محاولة انقلاب الشواف وأحداث كركوك الدموية مجتمعة، وكان طرفي المعادلة في هذه الأحداث ينحصر في الذين فتكوا بالضحايا وهم من المعسكر القومي وضحايا عمليات الأغتيال ويحسبون على معسكر اليسار.

ويبدو من سير الأحداث ان تعتيماً اعلامياً قد فرض او اتفق عليه من كل الأطراف، فعبد الكريم قاسم وحكومته لم تحرك ساكناً بغية وضع حد لتلك الأعمال، فكانت الساحة وكأنها غابة فيها ذئاب وحملان، ولا راعي لتلك الحملان لدرء الخطر عنها ولعل الحادث المروع الذي صادفني في مدينة الموصل في تلك الفترة يكشف مدي تغاضي الحكومة وإطلاقها يد العصابات في اقتناص وتصفية من يشاؤون دون عقاب.

كان تحمسي واندفاعي في تلك الفترة بتوديع دور المراهقة الى فترة الشباب، وكانت في

القوش تصلنا جريدة الحزب الشيوعي " اتحاد الشعب " وكنت مولعاً بقراءتها وأقوم بتوزيعها على المشتركين احياناً باعتبار ان ذلك يعتبر جزءاً من الأخلاص للوطن والشعب والزعيم والحزب الذي تفتحت عيوننا عليه وكان عمري يومئذٍ حوالي ١٧ سنة. انقطعت الجريدة عن القوش لامتناع السواق عن جلبها ولعدم وجود من يوصلها من المكتبة الى كراج القوش في الموصل، فتبرعت انا المخلص والفدائي بجلب الجريدة، واستهجنت الذين يخافون من جلبها، وركبت بالسيارة الى الموصل مع السائق المرحوم كليانا جونا كريش. فقلت له: في المساء سأعود معك الى القوش، لكن سيكون معي رزمة من جريدة اتحاد الشعب، فوافق الرجل على ان اقوم انا بجلبها من المكتبة الى الكراج - ذهبت الى المكتبة لا يحضرني اسمها لكني وصلتها بعد عبوري للجسر القديم ومشيت حوالي عشرة دقائق، ولف لي صاحب المكتبة اعداد ثلاثة أيام حيث كانت باقية عنده لعدم استلامها من قبل السواق.

أخذت الرزمة في يدي وكانت ملفوفة بأوراق خالية من اية كتابة. وحينما وصلت الى كراج نقل الركاب الى القوش، وضعت الجرائد في غرفة فارغة مهملة فيها بعض الأطارات القديمة المتروكة، وذهبت الى المدينة وأجرت دراجة هوائية مع صديق حيث كان يعرف صاحب المحل. وفي المساء حسب الموعد رجعت الى كراج القوش.

أخذت مكاني في الحوض الأمامي حيث كان السائق، ويجلس في صفه رجل مسيحي ليس من القوش وفي الحوض الخلفي عائلة القوشية. وضعت رزمة الجرائد على المقعد الأمامي الذي كنت جالساً عليه أنا والشخص الذي بجانبي. وبعد ان تحركت السيارة بضعة أمتار، وأصبحت خارج الكراج على الشارع العام وقبل ان تنطلق، أقبل شاب على السائق وأوقفه عن مواصلة السير قائلاً له وبنبرة حادة: أين جرائد اتحاد الشعب؟

فأنكر السائق وجود أية جريدة في سيارته وقال للشاب إن لم تصدق يمكنك تفتيش السيارة.

فقال له الشاب:

أنزل وافتح لنا صندوق الأمتعة، نزل السائق من السيارة ثم انزل الركاب من الحوض الخلفي أما انا فقد بقيت جالساً في مكاني، وفي هذه اللحظة فتح شاب وسيم الباب الأمامي وهو يأمرني انا والشخص الجالس بصفي بأن ننزل من السيارة، بقيت جامداً في مكاني، والرجل الذي بجانبي يحثني على النزول، وكيف انزل ورزمة الجرائد نغطيها انا وهذا الشخص بجانبي، ولهذا لم امتثل للشخص يجلس بجانبي فاضطر الى النزول من باب السائق فباتت الرزمة ظاهرة للشاب الواقف امامي والذي يأمرني بالترجل من السيارة.

كان الموت ماثلاً امامي ولم يعد هناك متسع من الوقت للخوف، كما لم يكن هناك متسع للتفكير المنطقي، فلم يكن استعداد نفسي مسبق لهذا الموقف، وفي الحقيقة لا سبيل منطقي لدرء الخطر في تلك اللحظة، إلا المقاومة بالسلاح، ولكن من اين السلاح، وحتى لو كنت احمل مسدساً فلا اعتقد يجدي نفعاً، وأنا الغريب في غابة اجهل طرقها وأزقتها. الأن الأمر بات في حكم المنتهي فلماذا الخوف؟ فإن لم يكن من الموت بدّا فمن العجز ان تكون جبانا.

كان تفكيري يتركز في كيف اقاوم؟ وهي محاولة يائسة مع أربع او خمس شباب مسلحين لا يردعم راد ع.

إن رزمة الجرائد وهي بصفي بعد نزول الراكب المجاور بات جزء الكبير منها ظاهراً للشاب الذي يأمرني بالنزول، وكانت رجلي اليمني على الأرض واليسري في السيارة حينما قلت للشاب في لحظة توقف عندي التفكير ولا أدري كيف أتصرف، وإن لحظة الموت قادمة لا محالة، حيث لا يتجرأ احد من تقديم أي نوع من المساعدة لي وفي هذه اللحظة حيث تبدد الخوف فلا فائدة منه كما ان التوسل في تلك الحالة لا يجدي نفعاً، فقلت للشاب بشئ من اللاأبالية ولم تكن مقصودة من عندي قلت له:

أقول لك ليس لدي أية جرائد. ولا أدري ماذا حصل للشاب بعد هذه اللحظة، حيث كانت رزمة الجرائد ظاهرة أمامة، وهنا بدرت من هذا الشاب بادرة لم اتوقعها، فأمرني ان اجلس في مكاني وقفل الباب الأمامي للسيارة وأمر أصحابه الأربعة بالكف عن تفتيش السيارة إذ قال لا يوجد جرائد بالسيارة وأمر السائق ان يتحرك لكن احدهم قال للسائق، لو عثرنا علي الجرائد في سيارتك، لأحرقناك مع سيارتك.

إن هذا الحادث بقي عالقاً في ذهني ولم أجد تفسيراً لموقف الشاب الوسيم الذي شاهد الجرائد بام عينيه وأمر أصحابه بالأنصراف، واتضح فيما بعد ان (جايجي) الكراج واسمه حامد كان يعمل في جهاز الأمن، وهو الذي اوصل الخبر عن وجود الجرائد، لكن السؤال يبقي قائما وهو ما علاقة رجل الأمن بعصابات الإغتيال وما سر هذا الشاب الذي انقذ حياتي وحياة صاحب السيارة من كارثة حقيقية؟ فهذا اللغز ما زال عاصياً على التأويل.

واليوم أفكر بهذا الحادث واعتبره تصرفاً أحمقاً من طيش الشباب كاد يؤدي بحياتي وربما حياة السائق المسكين وهو صاحب عائلة، ثم لماذا سمح لي الحزب بهذا التصرف؟ إنا كنت في مقتبل العمر وفي الحقيقة كنت لا زلت بعيدا عن الفترة المتسمة بالنضوج فيتكامل وعي الأنسان اجتماعياً وسياسياً ويتمكن من تقدير خطواته ليتجنب العثرات ويكبح اندفاعات الشباب الحماسية والعاطفية في اتخاذ القرارات بمعني آخر ان يحل خطاب العقل محل

خطاب العواطف الجياشة. وهل كان على الحزب الشيوعي، على الأقل في القوش، ان يفكر بمثل هذه التحليلات للحيلولة دون اندفاع الشباب؟

إن أطلاق الحرية للقتلة لممارسة لعبة الموت لا بد ان يكون وراءها ممولون وسلطة مشجعة او على الأقل سلطة تغض الطرف عما يجري وهناك من يعزي هذه السياسة الى عبد الكريم قاسم الذي تبني سياسة الموازنة ويقول جرجيس فتح الله:

في هذه الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ارتفع معدل القتلى وسجلت ثلاثة عشر جريمة قتل في يوم واحد، فقد ناهز عدد الضحايا المئتي ضحية، لكن الحكومة وعبد الكريم قاسم بالذات لم يكن مستعداً لوقف جريان الدم، ولو كان يريد لما اقتضى الأمر منه إلا جملة واحدة منه وربما يكفي منه تهديد ووعيد في واحدة من خطبه او بيان صادر من من الحاكم العسكري ترافقه اجراءات وقائية أخرى كالقاء القبض على عدد من الأوباش المشتبه بهم واحتجازهم او نفيهم وقد فعل ذلك في مناسبة أخرى، ولم يكن هناك مبرر لاغفالها هنا[٢٦].

غاب القط العب يا فأر، فإن غاب خطاب الدولة انطلق خطاب الحركات، وفي مدينة الموصل التي كانت مسرحاً مفتوحاً للأغتيالات، ومن يحالفه الحظ في الخروج من المدينة سلمت روحه ولا خوف عليه لقد طبق مبدأ من خرج منها فهو آمن، والحق يقال فلم يخضب القتلة ايديهم بدم أمرأة رغم وجود ناشطات وربما اعتبر مثل هذا القتل بعيداً عن مفهوم الرجولة.

لقد تبلور في المدينة مصطلحا الديمقراطي والوطني مقابل قومي وعربي وحينما شاءت السلطة بتقليم أظافر قوي اليسار انطلقت القوى القومية في برنامجها وطبقت نظريتها في مفهوم الأخلال القومي وإنزال عقوبتها بمن تنطبق عليه إحدى التهم الواردة في النقاط التالية وكما قلت بعد غياب سلطة الحكومة او بعد تغاضي هذه السلطة عما يجري امام اعينها في وضح النهار. وهذه نماذج فيما كان يعتبر من الجرائم بحسب قانون العقوبات الموصلي كما اوردها المحامي جرجيس فتح الله:

ـ ضحك متشفياً عندما اذيع نبأ اعدام الضباط المشاركين في حركة الشواف.

ـ سبب طرد فلان القومي من وظيفته.

ـ كان في سلوكه محاباة للشيوعيين والديمقراطيين. وعرف بعرقلته معاملات غيرهم اثناء تأدية وظيفته.

ـ كان يرتدي بزة رجال المقاومة الشعبية مع شاراتها.

ـ شوهد في اجتماع انصار السلم يهتف هتافات استفزازية.

ـ كان يثبت حمامة سلام علي صداره.

ـ شيوعي خطر.

ـ شوهد في المسيرة الفلانية يتقدم المواكب.

ـ كانت ناشطة في رابطة النساء.

ـ يعامل او تعامل الطالبات القوميات بخشونة في المدرسة.

ـ كان يهتف مطالباً بإعدام الخونة وبحياة قاسم في تظاهرة أيار (عيد العمال العالمي).

ـ حمل لافتة من لافتات الحزب الشيوعي.

ـ من أقرباء (فلان) الشيوعي البارز.

ـ يشتم القوميين العرب.

ـ يهزء بجمال عبد الناصر.

ـ ضد الوحدة العربية. لكن بمرور الوقت فقدت هذه التهم اهميتها وأصبحت الأغتيالات مصدراً للابتزاز والربح وإن بقيت متسربلة بثياب القومية وبدعوى تصفية الشيوعيين[٢٧].

هكذا ترك عبد الكريم قاسم الحبل على الغارب للقوي التي تمارس الأرهاب على الشعب، وهو بدوره كان يساهم بتشديد الضغوط على القوي الوطنية التي كان هدفها المحافظة على الثورة ومكتسباتها، وكان تدهور الوضع يسري في كل انحاء العراق وكانه متجه نحو حتمية السقوط فالسنتين الأخيرتين من حكم عبد الكريم قاسم اكتنفها ركود سياسي. لكن في المقابل كان المتآمرون الذين يسعون الى إطاحته قد قويت شوكتهم، فالعفو الذى شمل الذين تآمروا على حياتهم، والعفو الصادر بحق عبد السلام عارف، واتجاهه لضرب القوي اليسارية التي كانت تسانده، وحركة الأكراد التي اندلعت في جبال كردستان كل هذه الأوضاع لم تحرك قاسم لتقييم الأوضاع وتدارك الأمور قبل انفلاتها فكان انقلاب ٨ شباط الذي صادف في ١٤ رمضان وكان المصطلح الذي اطلقوه على حركتهم هو (عروسة الثورات).

انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣

من المؤكد ان القائمين بالحركة الأنقلابية في ٨ شباط لا يقبلون بنعتها بالأنقلاب او بالمؤامرة، إنها ثورة بل هي عروسة الثورات. وبغية التواصل مع الحدث لا مندوحة من العودة الى احداث مهدت الطريق لنجاح الأنقلاب بيسر وسهولة.

كان حزب البعث يخطط للوصول الى القصر الجمهوري واستلام الحكم وهذه استراتيجية لا لبس فيها، وإن العمل التكتيكي اليومي وتحالفاته مع القوي الأخرى تتبلور جميعها في تحقيق هذا الهدف، ونتيجة خبرته في هذا الصدد أيقن ان التعاون الوثيق مع الضباط

الأحرار، الخبراء، في الوصول الى القصر الجمهوري هو افضل السبل لتحقيق الهدف المنشورد، فيكون استخدامهم رؤوس رماح يشرعها الجيش ويعززها ويكملها العمل الجماهيري الذي يتكفل به حزب البعث.

وكانت على هذا الأساس ولادة المجلس لقيادة الثورة في نهاية عام ١٩٦١. وكان البعثيون المشتركون في هذا المجلس من علي صالح السعدي المنتخب قبلها بوقت قصير سكرتيراً لقيادة القطر العراقي ومن طالب حسين شبيب وحازم جواد الذي تمكن من الأحتفاظ ولملمة بقايا خلايا الحزب ,ايقافه علي رجليه بعد هروب اغلب قادته الى سورية بعد حادث اغتيال عبد الكريم قاسم. وفي المجلس المذكور ايضاً الدكتور مسارع الراوي وحمدي عبد المجيد والضباط المتقاعدين عبد الستار عبد اللطيف وعبد الكريم مصطفى نصرت. والمقدم صالح مهدي عماش الذي كان في الخدمة حتى أحيل علي التقاعد قبيل ١٤ رمضان ببضعة أيام. وكان في مجلس قيادة الثورة من كبار الضباط منهم عبد السلام عارف الذي اطلق سراحه من السجن قبل فترة قليلة والعقيد طاهر يحي مدير الشرطة السابق، والعقيد أحمد حسن البكر الذي كان عضواً في المحكمة العسكرية مدة شهرين بعد ١٤ تموز، ومع انهم كانوا قد أحيلوا علي التقاعد لكنهم بقوا علي اتصال وثيق بالضباط الآخرين ولهذا يعتبرون اعضاء في مسلك الضباط من كل ناحية خلا المفهوم التكنيكي[٢٨].

في آذار ١٩٦١ لجأت الحكومة الى زيادة أسعار البنزين المستخدم اساساً في سيارات الأجرة (التاكسي) في حين لم ترفع سعر الديزل واعتبر السواق انها ضربة موجهة اليهم دون غيرهم، ولهذا خرجوا في تظاهرات في الشوارع وكانت مبادرة من تنظيمات حزب البعث لتبني هذه المظاهرت وقيادتها فأضرمت النيران في الباصات الحكومية وحطمت السيارات الخاصة، وأغرقت بغداد بنشرات مذيلة باسم حزب البعث داعية الى الثورة، لكنها لم تلق تجاوب عام، فأخمدت من قبل الشرطة التي كان يساندها الجيش. وربما كان هذا بمثابة امتحان لاستعراض القوة التي ينبغي عليها القيام بمهام اصعب في قابل الأيام.

في مجري الأيام كان واضحاً التدهور الأقتصادي، ثم اعلان الحرب على الأكراد الذي كان سبباً في إضعاف الحكومة، وتقوية الجبهة المناهضة لها المتمثلة في هذه الفترة بحزب البعث العربي الأشتراكي الذي بدأ يرص صفوفه بقصد الأطاحة بعبد الكريم قاسم.

في مطلع ايار ١٩٦٢ دعي علي صالح السعدي الى مؤتمر سري يعقد في بغداد والترتيب لانتخاب (قيادة القطر العراقي. للتحضير فوراً لاعداد انقلاب علي الحكم في بغداد وكانت القيادة التي استمرت الى يوم الأنقلاب في ٨ شباط ١٩٦٣ وكما يلي حسب حنا بطاطو:

علي صالح السعدي أمين عام ـ سكرتير الحزب، وهو كردي فيلي شيعي مستعرب وهو من مواليد ١٩٢٨ بغداد اصله من هبهب، وهو خريج كلية التجارة، وكان سابقاً عضو في حزب الأستقلال.

وحازم جواد وهو عربي شيعي تولد ١٩٣٥ في الناصرية وهو مطرود من المعهد العالي للمعلمين لأسباب سياسية.

وطالب شبيب وهو عربي شيعي مواليد الرميثة سنة ١٩٣١، مهندس حيث اتم ٣ سنوات في كل الهندسة في جامعة لندن، وكان سابقاً عضواً في الحزب الشيوعي ١٩٤٨ ـ ١٩٥١م.

وحمدي عبد المجيد وهو عربي سني ولادته بغداد عام ١٩٢٩ وهو خريج المعهد العالي للمعلمين ويعمل مدرس ثانوي.

وكريم شنتاف، وهو عربي سني مواليد ١٩٣٤ الرمادي وخريج كلية الفنون، وأبوه كان يعمل سائق شاحنة.

ومحسن الشيخ راضي عربي شيعي مواليد النجف سنة ١٩٣٤ مطرود من كلية الطب لاسباب سياسية وكان مؤيداً لحزب الأستقلال.

وحميد خلخال، وهو عربي شيعي مواليد الهندية سنة ١٩٣٢ خريج المعهد العالي للمعلمين ويعمل مدرس ثانوي، وهو من طبقة فلاحية ابن فلاح.

وفيصل حبيب الخيزران، وهو عربي سني، مواليد ١٩٢٧ في قرية الشوهاني التابعة لمحافظة ديالي، وهو خريج كلية الحقوق ويعمل محام، وكان سابقاً عضو في حزب الأستقلال وتقرر في المؤتمر القومي الخامس للبعث المعقود في حمص عام ١٩٦٢ تجميد الخيزران[٢٩].

في الطريق المباشر نحو استلام الحكم بوشر في تنفيذ الخطة في ٢٤ كانون الأول ١٩٦٢ بأعلان اضراب للطلاب القوميين في الثانوية الشرقية في بغداد بمبادرة من حزب البعث وكان هذا الأضراب شرارة لاندلاع الأضراب في المدارس الثانوية وبعد ذلك في الجامعة، وكانت تحت حجج واهية لكنها في الحقيقة كانت ترمي الى إرباك الحكومة وتحويل انتباهها عن الجيش الذي يخطط الى الأنقلاب.

إن هذه التحركات لم تكن خافية على الحزب الشيوعي وربما لم يكن يحيط بكل خيوطها ،وكانوا يوجهون نداءاتهم الى الحكومة لكي تجري التطهيرات اللازمة في صفوف الجيش، وإطلاق سراح الاف المعتقلين والمساجين السياسيين، ومن المؤكد ان الحزب الشيوعي العراقي كان يشم رائحة المؤامرة وإن كان الأمر كذلك بحيث احاط بخيوط المؤامرة فلماذا بقيت حركته مشلولة او شبه مشلولة امام اندفاع الضباط العسكريين والمدنيين الذين تعاونوا

معهم في الهيمنة على المناطق الحساسة التي كانت تشكل العماد العسكري للحكومة وهي وزارة الدفاع ومعسكر الرشيد، حيث استطاع المتآمرون من تحييد المنطقتين منذ الساعات الأولي للأنقلاب.

كان تحذير الشيوعيين لقاسم شديد الدقة ولكنه استتبع إحالة بعض المتورطين الى التقاعد في ٦ كانون الثاني، بمن فيهم المقدم جابر حسن حداد والمقدم صبري خلف من سلاح المدرعات. في المجال الفني العسكري البحت فقد اعطيت الأوامر لافراغ مشعات (رادياتورات) الدبابات التابعة للكتيبة الرابعة من الماء بعد كل جولة تدريب، وهو ما كان يعني تجميد الدبابات في اماكنها كلياً من الناحية العملية. لكن قلب المؤامرة لم يمس، لقد أجّل موعد الأنقلاب الى ٢٥ شباط اول ايام عيد الفطر. لكن قاسم لجأ الى في الثالث والرابع من شباط الى إحالة المزيد من الضباط الى التقاعد، وقبض علي على صالح السعدي أمين القيادة القطرية للبعث، والمقدم صالح مهدي عماش، عضو المكتب العسكري البعثي لذلك، وخوفاً من مزيد من الأعتقالات، قرر القادة الذين ما زالوا طلقاء تنفيذ ضربتهم يوم الجمعة في ٨ شباط[٣٠].

وفي غضون أيام قليلة من بعد تنفيذ خطة الأنقلاب في ٨ شباط تمت تصفية عبد الكريم قاسم والقيادة الموالية له لتبدأ صفحة جديدة من تاريخ العراق والتي سيتتعاقب عليها عقود من السنين يكون اشهر سماتها ثقافة العنف وهي مستمرة الى يومنا هذا.

نجاح الأنقلاب وتداعياته المأساوية

قد يكون من السهل القول بأن الكيل الذي تكيلون به لغيركم يكال لكم هذا ما ينطبق الى حد ما في تلك الأحداث، يوم جاء عبد الكريم قاسم ورهطه الى الحكم على ظهر دبابة وبقوة السلاح، ويكون هو نفسه ضحية لنفس السلاح وبنفس الأسلوب، لكن المثير للأهتمام في هذا الأنقلاب ان تجري تصفيته على يد رفاق الدرب يوم تنفيذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م.

كان المقرر ان تنفذ الخطة يوم ٢٥ شباط ويبدو ان عبد الكريم قاسم كان يملك قائمة باسماء المتآمرين المدنيين والعسكريين وبدأ فعلاً بإنزال ضربته حينما القي القبض على ثلاثة اعضاء قياديين وهم سعدون حمادي وصالح مهدي عماش وعلي صالح السعدي، فكان القرار الى جانب تقديم موعد الأنقلاب خوفاً من استفحال أمر الأعتقالات فكان القرار على المثل الشعبي ان (يتغدوا به قبل ان يتعشى بهم). فكان ينبغي إنقاذ الموقف فعينت الساعات المبكرة ليوم الثامن من شباط أي يوم ١٤ رمضان الذي يصادف يوم الجمعة موعداً لتنفيذ الخطة حيث يكون عبد الكريم قاسم خلال هذه الساعات ـ الذي يعمل ليلاً عادةً ـ

نائماً في منزله الذي يقع في العلوية في شارع فرعي عرف(بشارع الزعيم) فالشوارع قليلة الأزحام بالسيارات والمارة، وإن الضباط الجاهلين بأمر المؤامرة سيقضون إجازاتهم مع عوائلهم وأصدقائهم فتشكل الجمعة يوماً مناسباً للأقدام وتنفيذ الخطة.

في خطوة اولى لتنفيذ المخطط، وصل عبد السلام عارف في حدود الساعة الثامنة صباحاً الى مقر كتيبة الدبابات الرابعة في ابو غريب، وانضم الى العقيد احمد حسن البكر واستقل كلاهما دبابة وضعها آمر الكتيبة خالد مكي الهاشمي تحت تصرفهما فعادت بهما الى بغداد دون ان تعترض سبيلهما دورية خفيفة التقت بهما. وتوجها الى الأذاعة القريبة من ضفة دجلة اليمني، اما ما كان من أمر مكي الهاشمي فقد جمع كتيبته واندفع خلفهما وقبيل ان يصل رتل دباباته البطئ مناطق اهدافه كانت السنة نار الثورة قد امتدت وتعالت في ارجاء العراق.

كان ضباط من حرس الأذاعة ضالعين في المؤامرة وسارع الباقون الى تأييدهم فتمت السيطرة علي بناية الأذاعة والأجهزة لتغدو جاهرة ومهيئة لأذاعة خبر قيام الثورة، كان من قادة البعث الموجودين في الأذاعة حازم جواد، وطالب حسين شبيب وهناء العمري وهي خطيبة علي صالح السعدي.

في حوالي الساعة التاسعة صباحاً حوّمت طائرة مقاتلة قاصفة نفاثة من نوع (هاكر هنتر) تعود الى السرب السادس في الحبانية حوّمت فوق مطار معسكر الرشيد وزرعت مدرجه بالقنابل لكي لا يكون هذا المدرج صالحاً لانطلاق طائرات السرب التاسع إن قرر طيارو السرب ـ وهم من اليساريين الموالين لعبد الكريم قاسم ـ المشاركة في القتال بطائرات الميك ١٩ وبهذا القصف شلت حركة طائراته ومنعت من الطيران والأشتراك في مقاومة الأنقلابيين. وفي غضون دقائق قليلة من قصف مدرجات معسكر الرشيد العسكري بدأ هجوم جوي بنطاق أوسع علي مقر قاسم في بناية وزارة الدفاع على الضفة اليسرى من دجلة وفيها ايضاً مقر رئاسة الأركان العامة. هذه الوزارة وهي قلب النظام الخفاق بكل معني الكلمة ـ كانت محصنة تحصيناً قوياً وهي وافرة السلاح وفيها حامية قوامها الفان من الجنود تقريباً من مرتبات اللواء التاسع عشر[٣١].

وهكذا فإن موقع وزارة الدفاع كان اهم عثرة امام الأنقلابيين فانطلقت الطائرات المقاتلة من قاعدة الحبانية بقيادة منذر الونداوي لتدك مواقع وزارة الدفاع وانضم ايضاً المقدم حردان التكريتي بطائرة ميك ١٧ من كركوك ليستمر القصف حوالي الساعتين وأفلحت المدافع المضادة للجو بإسقاط واحدة من الطائرات المغيرة. لكن قبل ذلك كان ثمة خطوة هامة وهي اغتيال جلال الأوقاتي قائد القوة الجوية، وفي حوالي الساعة الثامنة والنصف صباحاً بينما كان يقود سيارته مع ابنه الصغير وما ان ترجل من السيارة حتى وقفت الى جانبه سيارة

أخرج ركابها مسدساتهم مطلقين النار عليه وأردوه قتيلاً وأختفى المهاجمون بسرعة، واعتبرت هذه العملية ساعة الصفر بالنسبة لمدبري الأنقلاب.

في الساعة التاسعة وأربعين دقيقة صدر البيان رقم واحد لزعماء الأنقلاب الذين اتخذوا تسمية المجلس الوطني لقيادة الثورة، وقد اعلن في هذا البيان انه: بعون الله تم وضع حد لنظام عدو الشعب عبد الكريم قاسم. والقيادة الجديدة تدعو الى وحدة الشعب العراقي وتدعيم الأخوة العربية الكردية وحقوق الأقليات ودعم حكم القانون الى آخره من الشعارات التي تهدف الى استرضاء مكونات الشعب العراقي وفي مقدمتهم الأكراد.

في هذه الأثناء جاءت الأخبار: بأن الطاغية والخائن المجرم قد قتل علي ايدي ضباط ورجال وزارة الدفاع، وكانت هذه أكذوبة فقاسم في هذه اللحظة كان في بيت امه لينطلق نحو وزارة الدفاع في سيارة مصفحة مخترقاً طريقة عبر شارع الرشيد وسط الحشود التي كانت تحييه وتطالبه بالسلاح للذود عنه وعن مكاسب ثورة ١٤ تموز، وهي تنشد بإيقاع واحد (ماكو زعيم ألا كريم)، واستطاع الوصول الى وزارة مبني وزارة الدفاع في حوالي الساعة العاشرة والنصف، وفي مكتبه ناقش مع اقرب معاونيه وهم وصفي طاهر وعبد الكريم الجدة وفاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد الذي كان من الزعماء الشيوعيين ويشغل منصب مدير التخطيط العسكري، وكان رأيه (طه الشيخ) أحمد ان يتحركوا بدلاً من انتظار مصيرهم وحث عبد الكريم قاسم علي ضرورة توزيع الأسلحة الخفيفة والذخائر علي الحشود المتجمعة في الخارج، لكن هذه الأفكار لم تجد صدي لها عند قاسم.

كانت الجماهير المهتاجة في الساحة امام وزارة الدفاع والحشود التي حيت قاسم في شارع الرشيد استجابة لنداء وجهه الشيوعيون الذين نزل عليهم الأنقلاب كما نزل على قاسم نزول الصاعقة.. وفي النقطة التي وصلت اليها الأمور لم يكن لسقوط قاسم ان يعني إلا أعطاء الحرية المطلقة لأعدائهم وإطلاق المشاعر المعادية للشيوعية من عِقالها[٣٢].

لقد كانت هذه العمليات بعلم من المخابرات الأمريكية التي كانت تسعى الى إخماد انفاس الشيوعيين في المنطقة والعالم، وكان استبعاد الشيوعيين من الحركة امر ضروري باعتبارهم اهم مناصري الأكراد، ويقول جون كولي في كتابه التحالف ضد بابل:

انه تم ذبحهم بواسطة البعثيين وبمساعدة وكالة الأستخبارات الأمريكية، فكان هنالك إذاعة سرية في الكويت بثت الى المتآمرين البعثيين في بغداد اسماء قائمة تضم اسماء الشيوعيين الموجودين هناك حتى يتم إلقاء القبض عليهم وإعدامهم.. وبعد ذلك اعترف كريتشفيلد[٣٣] لوكالة انباء اسيوشيتد برس، ان المخابرات المركزية الأمريكية كانت على علم

بحدوث ذلك الأنقلاب قبل وقوعه بستة اشهر.. وحسب رواية السكرتير العام لحزب البعث علي صالح السعدي، الذي كان مسؤولاً عن عمليات الأعدام الجماعي لمؤيدي قاسم، أعلن قائلاً: لقد جئنا الى السلطة في قطار المخابرات المركزية الأمريكية[٣٤].

إني كاتب هذه السطور كنت ضمن تلك الطوابير البشرية التي تحتاج الى قيادة او توجيه، وكان تواجدنا في ساحة التحرير ولا ندري ما هو المطلوب منا لنفعله، واستطعت ان اجمع حوالي عشرة اشخاص وأقنعتهم بأن نذهب الى مركز الشرطة ونطلب منهم السلاح، ولكن ضد من نستخدم هذا السلاح؟ وتبرع احدهم بأن يرشدنا الى مركز شرطة قريب وهو بين شارع السعدون وشارع ابي نواس، وفعلاً وصلنا الى المركز وأرشدنا حارس المركز الى ضابط المركز، الذي تكلم معنا برفق وقال نحن ايضاً نريد الدفاع عن الحكومة، ولكن كيف؟ وأقنعنا الرجل انه لا يستطيع ان يسلم سلاح المركز لأي شخص يطلبه، ونحن لا نحمل أية رتبة عسكرية في سلك الشرطة او الجيش. وهكذا قفلنا راجعين الى الجموع المحتشدة والتي عكفت على التفرق، وعدنا نحن الى بيوتنا لننتظر المصير المجهول بعد إذاعة البيان رقم ١٣ من الحاكم العسكري العام بإبادة الشيوعيين.

في الليلة التالية القي القبض علي من قبل الحرس القومي، وفي صباح اليوم التالي أخلي سبيلي، وهذه قصة سأرويها في فصل آخر يوم التحقت بالثورة الكردية.

في حوالي الساعة العاشرة صباحاً اصدر الحزب الشيوعي بيان الصقت نسخ منه على الجدران كما وزعت نسخ منه باليد، وكانت لهجة البيان قاسية وشديدة الأنفعال يقول:

اسحقوا المؤامرة الرجعية الأمبريالية.. الى السلاح.. وختم البيان الى الأمام! الى الشارع! اسحقوا المؤامرة والمتآمرين، وبعد اكثر من ساعة اعقب ببيان آخر والذي اختتم بمقطع يقول: الى السلاح! بادروا الى الهجوم في كل جزء من بغداد والعراق لسحق المتآمرين عملاء الأمبريالية.

إن الحزب الشيوعي كان اعزلاً ولم يكدس سلاحاً كما فعل خصومه ولهذا رغم النشاط المتميز للعنصر المدني في هذه الحركة، لكن لم يكن له التأثير الحاسم علي نتيجة سير الأحداث فالجماهير المحتشدة بأسلحتها الساذجة من الهراوات والعصي لا يمكن ان تقاوم الأسلحة النارية، في الوقت الذي حجبت السلطة حتي آخر لحظة الأسلحة النارية عن هذه الجموع.

اما الجانب العسكري فإن كانت هناك بعض المبادرات المتفرقة فلم يكن لها تاثير يذكر علي تسارع الأنهيار، ففي معسكر التاجي على مسافة عشرة أميال شمال بغداد وقع قتال مع

وحدة عسكرية تمكن الأنقلابيون في نهاية المطاف من السيطرة على محطات الرادار الهامة فيه، وحدثت محاولة ضعيفة للمقامة في معسكر الوشاش نظمها ملازم اول شيوعي لكن هذه المحاولة لم تجد نفعاً، وحدثت محاولة أخرى في معسكر في بعقوبة وكانت أكثر جرأة حيث اشترك فيها حوالي ثلاثين جندياً مع بعض المدنيين ولكن تم إخمادها ايضاً، وكل هذه المحاولات لم تكن تؤثر على النتجية وعلى سير المعركة في محيط وزارة الدفاع.

كان القصف الجوي مستمراً على وزارة الدفاع، ولم يهدأ إلا بعد ان احكمت القوات الأرضية مواضعها في حدود وزارة الدفاع، وكانت دبابات العقيد نصرت قد وصلت الى الساحة خارج وزارة الدفاع حوالي الساعة الحادية عشر والنصف صباحاً فأقامت الأتصال مع الحرس القومي ثم تابعت للتعامل مع الجماهير التي يقودها الشيوعيون. وبكلمات العقيد نفسه فإن االقوة المهاجمة واجهت صعوبات عديدة في إبعاد هؤلاء الناس عن طريقها وعن وزارة الدفاع. وحاولت القوة في البداية تهدئتهم بوسائل مختلفة.. ولكنها لجأت في النهاية الى الحزم والعنف كانسة إياهم بعيداً وسقط المئات بمن فيهم محمد شيختم وأعضاء آخرون كثيرون من الحزب الشيوعي[٣٥].

إن العمل الذي تقوم به الطائرات والدبابات يشكل عمليات تمهيدية لعمليات أهم وأخطر وهي زحف المشاة لتصفية المقاومة التي كتب لها البقاء بعد القصف. إن الحصار الذي فرض على وزارة الدفاع لم يكن محكماً فكان فيه ثغرات تسنى لمن أراد الأفلات بالخروج من هذه الثغرات وهذه الحالة لم تكن في صالح عبد الكريم قاسم، فمن اصل ١٥٠٠ رجل الذين كانوا تحت تصرفه داخل وزارة الدفاع لم يبق غير ١٠٠٠ رجل يقفون على أقدامهم، حيث قتل او اصيب الآخرون او ـ حسب اعداء قاسم ـ هربوا من المعركة.

في الساعة الثالثة بعد الظهر بدأت تجربة القوة الحاسمة معركة مقر عبد الكريم قاسم، إذ بدأ المشاة عملهم بعد ان انهت الطائرات والدبابات عملها، كان قاسم متحصن بشكل جيد في الجانب االشرقي للوزارة، ولهذا ركز المهاجمون على إخضاع الجناح الغربي للوزارة، وكانوا يناوشون بما يكفي الأشغال في الجناح الشرقي، وكانت مهمتهم صعبة اما المقاومة الشرسة.

في الساعة الخامسة والنصف مساءً من ٨ شباط أعلن العقيد نصرت ان كل المقاومة توقفت وكان هذا اعلاناً استباقياً، إذ كان المدافعون قد ارتفعوا الى مستوى مهمتهم وقاتلوا بشراسة من أجل كل شبر من الأرض، وكان علي الأنقلابيين لابد من استدعاء المزيد من التعزيزات وسفك الكثير من الدماء قبل اخضاع الجناح الشرقي، ولم تنته المعركة إلا ظهر اليوم التالي ٩ شباط. وافاد المقدم طه في وقت لاحق ان رجاله اضطروا الى تطهير الغرف واحدة بعد أخرى والى اللجوء عند لحظة معينة الى الخداع صائحين: ماكو زعيم ألا كريم،

لكي يتمكنوا من التقدم، واضاف: انه لدي تفحص اوراق عبد الكريم قاسم بعد الأستيلاء على مكتبه اكتشف انه كان يوزع راتبه بانتظام على بعض الأسر المحتاجة في بغداد[٣٦].

إن العدد القليل الذي بقي متحصناً معه في البناية تعرفوا عن طريق راديو صغير ان عبد السلام عارف هو قائد الأنقلاب وإنه قد عين رئيساً للجمهورية، وطاهر يحي الذي نصب رئيساً للأركان العامة، ورشيد مصلح حاكم عسكري عام وفي حدود منصف الليل انتقل قاسم وبرفقته المهداوي وطه الشيخ أحمد والملازم كنعان خليل حداد الى قاعة الشعب المجاورة، تاركين عبد الكريم جدة آمر الأنضباط العسكري، ووصفي طاهر كبير مرافقيه جثتين هامدتين تحت الأنقاض، وتفيد بعض الروايات ان الرجلين قضيا انتحاراً بدلاً من الأستسلام.

مساء ٨ شباط اتصل عبد الكريم قاسم بعبد السلام عارف مذكراً اياه بما كان بينهما من عشرة وزاد وملح، لكن الأخير رفض مبدأ ـ عفا الله عما سلف ـ الذي كان يسترشد به عبد الكريم قاسم. في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل قرر عبد الكريم قاسم الذهاب الى معسكر الرشيد، لكنه عدل عن ذلك فجأة ودخل غرفة آمر الأنضباط واستغرق في النوم، وقبل ان ينام أمر بكتبة بيان الى الشعب عن لسانه.. ولكن في هذه الأثناء ازداد القصف عنفاً وعدل عن الخروج من وزارة الدفاع.

ونشير الى المكالمة الهاتفية التي أجراها عبد الكريم قاسم مع عبد السلام عارف وقد نشرت في كتاب اسماعيل عارف في كتابه أسرار ١٤ تموز. حيث يقول ان التقى بأحد الضباط الصغار الذين تسني لهم سماع المكالمة التلفونية الأخيرة بين الرجلين ويقول المتحدث:

كنت الضابط المكلف بخفارة في الإذاعة يوم ٩ شباط في حدود الظهر رنّ جرس التلفون فالتقطته وسمعت صوت قاسم يقول: أين عبد السلام؟ أريد ان أكلمه، فأسرعت لأخبره حيث كان جالساً مع الضباط وأعضاء مجلس قيادة الثورة، فهب من مكانه مسرعاً الى التلفون في غرفة مجاورة... واسرعت الى غرفتي وأخذت اتنصت الى الحديث. ويمضي الضابط الى القول عن الحديث بين الرجلين:

عبد الكريم قاسم: عبد السلام لقد انتصرتم. وانتهى دوري وأنا أريد ان أرحل خارج العراق حقناً للدماء. اعطوني كلمة شرف.

عبد السلام: والله يا كريم هذا ليس بيدي بل بيد الأخوان مجلس قيادة الثورة وهو الذي يقرر، الآن لم يبق زعيم أوحد.

عبد الكريم قاسم: تذكر إني حفظت لك حياتك. وانا قدمتك وغفرت لك كل ما قمت به تجاهي وتجاه البلد.

ـ هذا خارج الموضوع استسلم وسنحاكمك.

ثم جرت مجادلة وكان أحدهما يقاطع الآخر. أخيراً قال عبد الكريم قاسم:

ما هي شروطكم؟

ـ تخرج من قاعة الشعب وترفع يديك وتسلم سلاحك وتنزع عنك رتبتك وشارت القيادة.

ويجيبه قاسم بحدة: إن هذه الرتبة حصلت عليها بجدارة واستحقاق..

ويقاطعه عبد السلام عارف:

أنت محال على التقاعد، مجلس القيادة احالك على التقاعد، وانا الآن اعلى منك رتبة...[٣٧]

نستمر بتغطية الساعات الأخيرة لعبد الكريم قاسم مع ما اورده المحامي جرجيس فتح الله الذي بدوره يعتمد علي بعض المقابلات مع اشخاص كانوا في قلب الحدث اقتباس من من كتاب اسرار ١٤ تموز لاسماعيل عارف.

عندما عاد يونس الطائي للأنقلابيين وينقل وجهة نظر قاسم، حلق قاسم ذقنه وغير ثيابه واتصل مجددا بعبد السلام عارف عارضاً عليه الأستسلام. واخذ الضباط الذين برفقته مواضعهم على شرفات قاعة الشعب وقد وجهوا اسلحتهم الى وسط القاعة. دخل جميع الضباط الذين كانوا يطوقون وزارة الدفاع مع بعض الجنود الى قاعة الشعب، وعندما أراد الضباط المحيطون بقاسم إطلاق النار على الداخلين منعهم قائلاً:

لا ترموا، لا أريد مجزرة، إنهم أبنائي.. وفي تلك الساعة من يوم السبت الموافق ٩ شباط سلم عبد الكريم قاسم نفسه وكذلك فعل الضباط الذين اختاروا البقاء معه.. فأصعد عبد الكريم قاسم وطه الشيخ احمد الي دبابة لوحدهما. وأصعد قاسم الجنابي وفاضل عباس المهداوي وكنعان خليل حداد الى مدرعة. واتجهوا جميعاً الى دار الأذاعة والتلفزيون، وعن تلك اللحظة يروي قاسم الجنابي يقول:

عندما وصلنا الى الأذاعة ساد الحاضرين من الجنود والضباط المحيطين بالبناية وجوم وخيم علي الجو صمت الأموات، فكنت إذا رميت أبرة على الآرض سمعت رنينها. فنزل عبد الكريم قاسم من الدبابة وتسلمه بعض الضباط يتقدمهم المقدم عبد الستار عبد اللطيف وحاولوا درء الأعتداء والإهانة عنه[٣٨].

وفي مقال لجريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠٠٨ للكاتب سمير عطا الله بعنوان دولة الأذاعة، وهو عنوان لكتاب كتبه ابراهيم الزبيدي، ويقول عطا الله عن لحظات سقوط عبد الكريم قاسم: لا ادري بماذا اصف الكتاب دولة الأذاعة: مانع؟ مدمر؟ عاتم؟ مفزع؟ مقلق؟ يذكر بكل ما يجب ان ينسى.. ويضيف عن اللحظات الأخيرة في مبنى الأذاعة

عن عبد الكريم قاسم وفاضل عباس المهداوي، رئيس أشهر المحاكم العربية:

عند نزول المهداوي من الناقلة هجم عليه جمع غفير من العسكريين والمدنيين واهالوا عليه بصاقاً وضرباً بالأيدي والأرجل والأحذية، ورأيت الدم يسيل على وجهه ويغطي رقبته. ثم جاءوا بوصفي طاهر، المرافق الأقدم للزعيم، وهو في انفاسه الأخيرة، فألقوه في الممر الجانبي للمبني. وما زلت أذكره وهو يلتقط انفاسه الأخيرة.

والشئ بالشئ يذكر ففي نفس المقال يروي الكاتب عن الزبيدي: كيف طلب منه عبد السلام سنة ١٩٦٤ تسجيل خطاب سيلقيه عن محاربة الأكراد، وراح الرئيس يمضي في الكلام الممل والكلام الفارغ والألفاظ السوقية السخيفة المخجلة. هو يجيب وأنا اسأل نفسي: ماذا سأفعل بهذا الخطاب؟ كيف سنذيعه على الناس؟ وقبل ايام كانت قد سرت إشاعة عن انقلاب دبره القوميون، فقال الرئيس: (ما ظل علينا غير العربنجية. والله اللي يمدّ رأسه منهم أقصه بقندرة[٣٩].

معظم حوادث التاريخ يكتبها المنتصرون ولعل المثل الأفريقي القائل: ما دامت النمور لا تمتلك مؤرخيها، فإن حكايات الصيد ستظل تمجد الصيادين. أجل هكذا تبقى تلك الساعات الأخيرة لعبد الكريم قاسم ورفاقه يرويها المنتصرون. لقد حاول عبد السلام عارف ان ينتزع في تلك اللحظات الحرجة اعترافاً من قاسم بأنه هو (عارف) الذي كتب البيان الأول لثورة تموز، فكانات إجابات قاسم غامضة.. حول الموصوع.

ونمضي مع اسماعيل عارف الى نهاية الحدث ليقول:

عندما دخل عبد الكريم قاسم تطلع الى وجوه الحاضرين فرداً فرداً فشحن الجو بهستيريا عاطفية وصاح بعض الضباط: أين رفعت (الحاج سري)؟ أين ناظم (الطبقجلي)؟.. الخ

فقال قاسم: إنني خدمت الشعب وبنيت لهم دوراً، وساعدت الفقراء وشكلت محاكم دستورية.. احتدم النقاش بينه وبين الضباط الأنقلابيين ٤٥ دقيقة ثم احتدم النقاش بينه وبين عبد السلام عارف.. لم يفقد قاسم رباطة جأشه وشجاعته وعند الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر السبت ٩ شباط، اقتيد عبد الكريم قاسم وفاضل عباس المهداوي وطه الشيخ أحمد وكنعان حداد الى استوديو التلفزيون وبلغوا بقرار المجلس الوطني لقيادة الثورة بإعدامهم رمياً بالرصاص واعتبرت المناقشة التي جرت محاكمة شرعية ورفضوا وضع عصابة على اعينهم.. فوجهوا نار اسلحتهم الى صدورهم فماتوا لساعتهم وعرضت جثثهم على شاشة التلفزيون[٤٠].

هناك روايات كثيرة حول الساعات الأخيرة لعبد الكريم قاسم وهي مأخوذة من أقوال عبد

السلام عارف، ولكن في هذا المقام نكتفي بما أوردناه وفيه كثير من المنطق والمعقولية، لكن ماذا كان مصير جثة عبد الكريم قاسم بعد القضاء على حياته؟ إذ يبدو ان الأنقلابيين حرصوا على عدم ترك أي أثر له، ففي منتصف الليلة التي ختم بها على حياة قاسم نقلت جثته الى منطقة معامل الآجر الواقعة بين بغداد وبعقوبة. وحفرت له حفرة ووضع فيها ببزته العسكرية وأخفيت معالم الحفرة.. لكن أحد العمال شاهد ما جرى فاستعان برفاق له ليحملوا الجثة ويدفنوها في موضع ما بين المجمعات السكنية العمالية في المنطقة.. ولم يبق الخبر طي الكتمان وبلغ ذلك سلطات الأمن التي قامت بإلقاء القبض على المشاركين في العملية وأحالتهم الى المحاكم وقضت عليهم بأحكام ثقيلة، ثم استخرجت الجثة ووضعت في غرارة أثقلت بكتل من الحديد وألقيت من فوق جسر ديالي في نقطة اتصال بغداد ـ سلمان باك.. بذلك كان حظ قاسم من تربة العراق أقل بكثير من حظ الحكام الذين قضي عليهم صبيحة الرابع عشر من تموز.. الذين نقلت رفاتهم الى المقبرة الملكية وأعيد دفنها باعتناء[٤١].

احجم عبد الكريم قاسم عن إصدار الأمر بتسليح الالاف من مؤيديه وعن قيادتهم لقمع الأنقلاب وكان ذلك تحت ذريعة عدم الرغبة في إراقة الدماء، ولكن هل موقفه هذا عمل على حقن الدماء حقاً؟

الحقيقة والواقع يخالف هذا الزعم فأعداد القتلى بعد نجاح الأنقلاب فاق كل التصورات، ورغم عدم توفر احصاءات رسمية محايدة، وهناك قتلى حرص ذويهم عدم الأعلان عنهم خوفاً من ان تنالهم يد الأنقلابيين، وفي تقديرات الشيوعيين، أن لا أقل من خمسة آلآف مواطن قتلوا في القتال الذي جرى من ٨ ـ ١٠ شباط وخلال الأصطياد الشرس للشيوعيين من بيت الى بيت في الأيام التي تلت. أما البعثيون فيقدرون خسائر حزبهم بثمانين شخصاً.. وقدر مراقب دبلوماسي أجنبي.. ان مجموع القتلي حوالي ١٥٠٠ ويتضمن هذا الرقم ما يزيد على مئة جندي سقطوا داخل وزارة الدفا ع، وشيوعيين كثيرين[٤٢].

ماذا يعني استلام الحكم؟ هناك مثل عراقي يقول: العفو عند المقدرة، فماذا كان الثأر والأنتقام عند المقدرة، فهذا ليس من الأنسانية والشهامة بشئ، ويقول الكاتب رشيد الخيون في مقال له في الشرق الأوسط بتاريخ ٢٣ / ١ / ٢٠٠٨:

.. فقد نسوا ما اقترفه في جولتي سلطتهم ١٩٦٣ و ١٩٦٨ م، ولم تسمع منهم مفردة: آسفين! لا على الأولى ولا الثانية. ونأتي بما سجلته دفاتر قادة أصلاء لهم دفاترهم.

كتب أكرم حوراني عن أمين عام الحزب علي صالح السعدي، وكان الأخير يتردد اليه عند تواجده ببغداد (لقد أصبح إنساناً محطماً ما ان يستعرض ما مضى من أحداث ثورة الثامن من شباط في العراق، حتى ينفجر باكياً.. إنه كثيراً ما يستيقظ في الليل فزعاً على صراخ

المعذبين، ومن أغرق في نهر دجلة)... وبالجملة خلال التسع أشهر قتلوا وهتكوا بفظاعة، وعادوا يسمون ٨ شباط (عروسة الثورات).

ويرى الأستاذ مسعود البارزاني ان اهم اسباب سقوط عبد الكريم قاسم بسهولة بيد الأنقلابيين مرابطة جيشه في كردستان والقطعات التي كانت في بغداد كانت في الغالب موالية للمتآمرين، فالقتال انحصر تقريباً في وزارة الدفاع ولم تبادر قوات اخرى للدفاع عن الحكم، ويعبر البارزاني عن قناعته بأنه رغم سوء عمله مع الأكراد إلا انه (عبد الكريم قاسم) أسمى وأعلى كثيراً من أولئك الذين قاموا بالأنقلاب في شباط. ويروي الأستاذ مسعود البارزاني عن لقائه مع صالح مهدي العماش وزير الداخلية في ١٣ آذار ١٩٧٠ بعد اعلان اتفاقية آذار، وسأله: لماذا قتلتم عبد الكريم قاسم ولم ترسلوه الى خارج العراق؟ وكيف كان موقفه عندما جئتم به الى دار الأذاعة؟ فأجاب عماش:

في الحقيقة إننا لم نجر له محاكمة، وكان مجلس قيادة الثورة يتداول في مصيره عندما سمعت دوي صليات من بندقيات اوتوماتيكية.فخرجنا نستطلع الأمر لنجد عبد الكريم قاسم والمهداوي وطه الشيخ أحمد جثثاً هامدة مزقها الرصاص. كان أمر بإعادمهم العقيد عبد الغني الراوي دون أذن منا فقد أمر جنوده بفتح النار والقضاء عليهم[٤٣].

كان البعث حاذقاً في حفظ دروس نيكولو ميكافيللي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧ م) وعن مقولته ان الغاية تبرر الوسيلة، فكانت غاية البعث القصر الجمهوري ومن اجل هذه الغاية لم يعدم اسلوباً لم يستنفذه، الى ان تحقق له هذا المرام، لكن لم يتسم بالتجربة الكافية للمحافظة على الحكم لفترة طويلة في ضوء لجوئه الى عمليات القتل والأنتقام والغدر، فكان بمقدور البعث ان يبقى لفترة أطول مما بقي في حالة استخدام الأمثل للموارد البشرية والطبيعية في بلد يملك مقومات الأستقرار والتطور كالعراق. لكن ذلك لم يحدث فالبقاء كان شيئاً آخراً في ذهن القيادة البعثية: العمل كجهاز وقاية في الخارج، وكجهاز وقاية في الداخل. إنه أسهل الطرق وأكثرها صلفاً واعتلالاً وبشاعة وجهلاً. لكنه الطريق الأكثر ملائمة لمحتوي القيادة البعثية العراقية، التي تجمع بين البطش السياسي والشعارات القومية الوهمية وممارسات بلطية الشوارع في وحدة مثالية[٤٤].

بلورت تشكيلات الحرس القومي كقوة منظمة ضاربة للأعداء الحقيقين والمفترضين وهي تحت قيادة النقيب الطيار منذر الونداوي، والأعتقالات والتصفيات الجسدية تجري وفق جداول مهيئة إن كان من القيادة الشيوعية او من قواعد الحزب الشيوعي او الناس الأبرياء الذين يشك بأنهم شيوعيون، وجرى أنقاذ ما يمكن إنقاذه بالأختفاء او باللجوء الى كردستان. ويوم سقوط البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ كانت السجون العراقية تضم بين جدرانها ٧٠٠٠

شيوعي وهذا العدد ربما قد زاد عن ١٠٠٠٠ في وقت سابق، وأكثر من هذا، فخلال المدة القصيرة من حكم البعث صدرت اعلانات بإعدام ١٤٩ شيوعياً وربما الروحية التي ينظر بها الى عمليات القتل الطرافة التي رواها العقيد محمد عمران، العضو السوري في القيادة القومية للبعث، أثناء المؤتمر القطري السوري الأستثنائي للحزب عام ١٩٦٤ م، حيث قال:

بعد المؤامرة الشيوعية ـ وربما كانت هذه انتفاضة معسكر الرشيد في ٣ تموز ١٩٦٣ ـ طلب احد ضباط الجيش العراقي أعدام ١٢ شيوعياً ولكنه أعلن امام عدد كبير من الحاضرين أنه لن يتحرك إلا لأعدام خمسمائة شيوعي ولن يزعج نفسه من أجل اثني عشر فقط. كان العدد الفعلي للمساجين الشيوعيين الذين حرموا من الحياة أعلى بكثير من العدد المعلن رسمياً[٤٥].

بمرور الأيام اصبح تشكيلات الحرس القومي هي الآمر الناهي في شؤون البلد، وعكفت هذه القوات علي نشر الأرهاب والذعر بين المواطنين، وأصبحت لهم صلاحيات، وباتت كلمتهم تعلو على سلطة القانون وتحدوا أوامر السلطة، مما خلق تذمراً في صفوف ضباط الجيش القوميين الذين قاموا بانقلاب ٨ شباط، وهكذا كان يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ موعداً لتصفية هذه التشكيلات وذلك بالأنقلاب الذي تزعمه عبد السلام عارف وتسلم بيده السلطات الكاملة، وصدر في وقتها كتاب اسمه: المنحرفون، والكتاب يبين الجرائم التي ارتكبت بحق المواطنين على يد الحرس القومي.

وفي كردستان لجأ الحزب الديمقراطي الكردستاني الى رفع مذكرة الى عبد الكريم قاسم حول خطورة الوضع في كردستان، لكن عبد الكريم قاسم رفض المذكرة وحاول إخضا ع الشعب الكردي بقوة السلاح ومن اجل ذلك زاد الحشود العسكرية في هذه المنطقة.

وكان رد الحزب الديمقراطي الكردستاني على تردي الأوضا ع هو الأعلان عن الأضراب العام في كردستان يوم ٦ أيلول ١٩٦١ م لكن عبد الكريم قاسم يبدو انه كان بانتظار حجة لكي ينفذ ما كان يفكر به ويعتقد انه الصواب.

كان الأجراء الأول هو إغلاق الحزب الديمقراطي الكردستاني وكان ذلك في ٩ أيلول ١٩٦١ وجاء ذلك في تصريح لوزير الداخلية لجريدة العهد الجديد حيث أفاد ان الوزارة أصدرت أمراً بغلق الحزب وفروعه ومنعه من ممارسة أي نشاط.

كما اصدر الحاكم العسكري اوامره باعتقال وحجز وفصل عدد كبير من الموظفين والمواطنين الأكراد من اعضاء الحزب، وأردفت الحكومة مع هذه الأجراءات حملتها العسكرية بضرب تجمعات الأكراد في ٩ أيلول بالمدفعية والطائرات وفي ١٠ أيلول بدأ هجوم عام على المنطقة. عندئذٍ رفع الحزب الديمقراطي الكردستاني شعار إسقاط الحكم الدكتاتوري

القاسمي. وهكذا يكون الحزب قد مارس نشاطه مدة ١٤ سنة بصورة سرية دون إجازة وواصل نضاله في تلك الفترة.. ثم أجيز عام ١٩٦٠ ولم يمر وقت طويل حتي أغلقه عبد الكريم قاسم وذلك في ٩ أيلول ١٩٦١م[٤٦].

المصادر والهوامش:

١ ـ د. عبد الوهاب حميد رشيد: العراق المعاصر ص ١٤٥
٢ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص١٦٩
٣ ـ حنا بطاطو: العراق، الكتاب الثالث ص ٩٢
٤ ـ حنا بطاطو: العراق الكتاب الثالث ص ١٩٣
٥ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٢١٨
٦ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٢ ص٣٠٠ وما يليها من نص وثيقة تحت رقم ٤٠ في نفس المصدر ص ٣٠٠
٧ ـ محمود الدرة: القضية الكردية.. ص ١٤٥
٨ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص٢٢١
٩ ـ حنا بطاطو: العراق، الكتاب الثالث ص ١٩٥
١٠ ـ حنا بطاطو: المصدر السابق ص ١٩٦
١١ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم، حاشية بقلم المعرب ص٢٢٦
١٢ ـ أوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص٢٤٤
١٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٢ ص ٨٩
١٤ ـ حنا بطاطو: العراق، الكتاب الأول ص٦٦
١٥ ـ حنا بطاطو: المصدر السابق ص ٦٧
١٦ ـ حنا بطاطو: الكتاب الثالث ص٢٢٤
١٧ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج٢ ص ٩٤
١٨ ـ حنا بطاطو: المصدر السابق، الكتاب الثالث ص٢٢٩
١٩ ـ حنا بطاطو المصدر نفسه ص٢٢٩
٢٠ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج٢ ص ٩٤
٢١ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص٢٨٤
٢٢ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٣٢٠
٢٣ ـ جرجيس فتح الله المحامي: العراق في عهد قاسم ج٢ ص٧٨٠
٢٤ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص٣٢٤
٢٥ ـ سلام عبود: ثقافة العنف في العراق، منشورات الجمل، المانيا ط١، ٢٠٠٢ ص ١٣٣
٢٦ ـ جرجيس فتح الله: العراق في عهد قاسم ج ٢ ص ٨٢٣
٢٧ ـ جرجيس فتح الله: المصدر السابق ج٢ ص٨٣٢ ـ ٨٣٣

٢٨ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٤٥٤

٢٩ ـ حنا بطاطو: العراق ك٣ جدول صفحة ٢٨٤

٣٠ ـ حنا بطاطو: العراق، مصدر سابق الكتاب الثالث ص ٢٨٧

٣١ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٤٥٨

٣٢ ـ حنا بطاطو: العراق ك٣ ص٢٩١

٣٣ ـ كريتشفيلد: جيمس كريتشفيلد يصفه جون كولي بأنه مقاتل الحرب الباردة الممتاز، وكان له دور فاعل في الأنقلاب البعثي عام ١٩٦٣ والأنقلاب الذي تلاه في تموز ١٩٦٨ والذي اتى بصدام الذي اتاح له السلطة والأستبداد.

إن قدرات ومواهب كريشتفيلد، كرئيس دائرة مخابرة وكجندي ودبلوماسي، وضعته في قلب اللحظات الترايخية طوال نصف قرن من الزمان... انضم الى الجيش وأصبح واحداً من بين اصغر الذين يحملون رتبة العقيد في الجيش سناً في الحرب العالمية الثانية.. وقد تقلد اعلى الأوسمة نظير اعماله العظيمة اثناء الحرب وقد ترك الجيش والتحق بالمخابرات سنة ١٩٤٨م. وخدم فيها لمدة ستة وعشرين سنة.

قبل ان ينتقل كريتشفيلد الى ساحة ميدان الشرق الأوسط، كان يتباهى بأنه كان يغطي كل شئ من اليونان الى بورما. وكان يرأس قسم اوروبا الشرقية وجنوب آسيا في المخابرات المركزية في اوقات مختلفة.

تعرف كريشفيلد على صدام لاول مرة باعتباره احد المنشقين العراقيين، والذي يمكن ان يساعده في القضاء على الشيوعية في العراق، من خلال التقارير التي تلقاها من دائرة المخابرات المركزية الأمريكية في القاهرة، حينما كان صدام في منفاه هنالك، كان صدام دائم الأتصال بالمتآمرين البعثيين الموجودين في بغداد. وكتب حنا بطاطو يقول: ان بعض البعثيين العراقيين كانوا يداومون على الأتصالات السرية مع ممثلين للسلطات الأمريكية.

سياسات قاسم كانت تحظي بدعم الحزب الشيوعي دقت نواقيس الخطر في واشنطن، وكان مدير المخابرات المركزية الأمريكية، ألان دالاس يطلق علي الوضع القائم في العراق في وقتها: بأنه اكثر الأوضاع خطورة في العالم، وإن القضاء عليه حكم قاسم يعني القضاء علي الشيوعيين وبذلك هو ضد السوفيات. وحينما وقع انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ كانت واشنطن علي علم بذلك، وقال حينها كريشفيلد: إننا يجب ان نفهم السياق الزمني ومدي الخطر الذي كنا نواجهه. هذا ما اقوله للذين يقولون ان رجالكم في المخابرات المركزية الأمريكية هم الذين صنعوا صدام حسين. {جون كولي: التحالف ضد بابل، تلخيص من ص ١٥١ وما بعدها}، نخلص الى القول ان هذا الرجل كان مهندس الأحداث في منطقتنا تلك الفترة وكان يدير الأمور من وراء الستار وبفعالية كبيرة، الملاحظ انهم صنعوا صدام حسين وهم الذين حشدوا الجيوش لاسقاطه في ٩ نيسان ٢٠٠٣م.

٣٤ ـ جون كولي: التحالف ضد بابل ص ١٥٦

٣٥ ـ حنا بطاطو: العراق ك٣ ص ٢٩٥

٣٦ ـ حنا بطاطو: المصدر السابق نفسه

٣٧ ـ جرجيس فتح الله المحامي: العراق في عهد قاسم ج٢ ص ٥٩٥ ـ ٥٩٦

٣٨ ـ جرجيس فتح الله المحامي: العراق في عهد قاسم ج٢ ص٨٩٧

٣٩ ـ اشتهر عبد السلام عارف في خطبه الارتجالية بعبارات غريبة يستخدمها في مناسبات عدة ومنها:

ـ لا اقطاع بعد اليوم، لا تفاوت ولا طبقات ولا جلالات ولا معالي وفخامات بل حرية وعدل ومساواة.

ـ هدف واحد جمهورية واحدة امل واحد، غاية واحدة قومية واحدة مبدء واحد، حزب واحد ألا ان حزب الله هم المفلحون.

ـ بحضور الأمام البدر ولي عهد اليمن.. أيها الأخوة.. هذا بدركم، هذا رسول الحرية من أرض اليمن السعيدة.. ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها.. صدق الله العظيم.

ـ جمهورية خاكية عراقية شعبية وطنية اشتراكية تحررية استقلالية الجمهورية العراقية... إنها في خدمتكم.

ـ باسم أخينا الأكبر بطل العروبة والسلام والترر اهديكم تحية جمال عبد الناصر فليحي أخونا جمال لقد حملني اشواقه وتحياته وبذل كل ما عنده في خدمتكم. (حاشية بقلم المعرب في كتاب: العراق في عهد قاسم ص١٠٣).

ـ إن جمهوريتنا اشتراكية، وطنية، إلهية، خاكية لا قصور، ولا دور، لا حاكم ولا محكوم، لا احزاب لا كتل، أمة واحدة وحزب واحد.

ـ لا شرقية ولا غربية، لا جنوبية ولا شمالية، لا جوني ولا جون بول، وإنما حمد وحمود، لا أقطاع بعد اليوم، لا قصور، لا ثلاجات، لا تلفزيونات، لا تفاوت، لاطبقات ولا جلالات وفخامات بل حرية وعدل ومساواة.

ـ في اليوم التالي للأفراج عن الشيخ احمد البارزاني في ٢١ / ٠٧ / ١٩٥٨ قام بزيارة عبد الكريم قاسم واعلن ولاءه لحكومة الثورة أما عبد السلام لم يحضر المقابلة ونقل عنه معلقاً لو كان حاضراً اللقاء لقال له:

(كاكه برو برو). مسعود البارزاني: البارزاني وحركة.. ص٤٣

٤٠ ـ جرجيس فتح الله المحامي: العراق في عهد قاسم ج٢ ص ٨٩٩

٤١ ـ جرجيس فتح الله: العراق في عهد قاسم ص ٩٠٢ ـ ٩٠٣

٤٢ ـ حنا بطاطو: العراق ك٣ ص ٢٩٨

٤٣ ـ مسعود البارزاني "البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ثورة ايلول ١٩٦١ ـ ١٩٧٥ ص٨٢ أربيل، ٢٠٠٢م.

٤٤ ـ سلام عبود: ثقافة العنف في العراق ص ١٣٧

٤٥ ـ حنا بطاطو: العراق ك٣ ص٣٠٤

٤٦ ـ هادي حسن عليوي: الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية ص ١٤٦. بيروت ٢٠٠١م.

الفصل العاشر

قيادة ملا مصطفى البارزاني لثورة ١١ أيلول ١٩٦١ م

كان لظهور شخصية مثل شخصية البارزاني
ضرورة تاريخية في عصر نهوض الحركة
التحررية الكوردية. وفي هذا المنحي نشأت
ظاهرة من أروع الظواهر في كوردستان وهي
أن العصر أنجب بما له من رسالة عظيمة
وصعبة في آن معاً، بطلاً خارقاً، مصيره
أشبه بمصير شعبه في تفرده، وعلي استعداد
للتضحية بكل ما لديه في سبيل قضية تحرير
شعبه. وعموماً يمكن لنا اختزال حياة مصطفى
وما قام به في عبارة واحدة وهي:
" حياة وهبت للنضال "
شاكرو محوي[١]

الرياضي الذي يرمي الى القفز العريض او العالي عليه الرجوع الى الخلف ثم معاودة الجري قبيل الأقدام على القفز. وهذا ينطبق على عالم السياسة فلكي نسلط الأضواء على ثورة أيلول ١٩٦١ م التي كانت تحت قيادة ملا مصطفى البارزاني لا بد من العودة خطوات الى الوراء لنصل الى الأرضية التي تمخضت في رحمها الثورة الكردية.

أرضية سياسية مطلوبة

الموضوعية تقول: على المرء ان لا يحمل العربة فوق طاقتها، لكن تبقي للضرورة احكامها، ففي مفهوم ثورات الشعوب، ان لا ثورة بدون تضحيات، والتضحيات هذه تزرع الأمل أمام الشعوب، وجاء في مقولة كردية:

إن وجد ثمة طريق، فلا يهم إن كان طويلاً.

إن وجدت ثمة مخاضة، فلا يهم إن كانت عميقة.

إن وجدت ثمة عذراء، فلا يهم ان بلغت من العمر عتياً.

إن كان ثمة حامل، فلا يهم إن تأخر وضعها.

إن فلسفة التشبث بالأمل هي جزء من فلسفة الحياة بقصد السيرورة بالأسترشاد بكوكب سامي يرسل أنواره البعيدة دليلاً على بقاء النور وديمومته.

ولكي نبقى في حقل الثورة الكردية فبالرغم من وعورة الدروب السياسية كتضاريس كردستان الجغرافية وشعابها العاصية، فإن الأمل باقٍ، والقيادة الكردية واعية ان لا مناص من سلوك الطريق المؤدي الى التحرر والأنعتاق. وحينما تختار القيادة الكردية طريق المقاومة العسكرية فإنها لا تعدم الجوانب السياسية الضرورية.

إن المسألة القومية العرقية لها تأثير كبير في تشكيلات الدول في الأزمنة الحديثة، وقد يكون التقسيم والتفكيك هو الحل الأمثل لضمان التعايش السلمي بين مكوناتها، وقد تكون تجربة تفكيك وتقسيم الأتحاد السوفياتي ودول اشتراكية أخرى نموذجاً لهذه الفكرة. إن الوعي القومي قد نشط بعد تيار الحداثة الغربية. إن الوعي القومي بحسب عالم الأجتماع غلنر هو احد المحددات الرئيسية لديناميكية التحديث، وورد في مقال للسيد ولد أباه بعنوان " التجزئة القومية حلاً " الشرق الأوسط اللندنية في ٨ / ٣ / ٢٠٠٨ يقول: ان النمو الأقتصادي والأجتماعي يولد بذاته الوعي الخصوصي ويكرس العقلية الفردية والأعتماد على النفس، والدولة الحديثة عندما تخلق علاقة مباشرة بين الأفراد والحكومات تضعف الروابط التقليدية للوحدات الأجتماعية الوسيطة كالأسرة والملة، مما يولد فراغاً شعورياً تسده النزعة القومية. وفي نفس المقال يخلص مولر الى القول:

أن الباحثين في الشؤون السياسية والأجتماعية يميلون غالباً الى النظرة السلبية للتجزئة القومية، متناسين أنها كانت عامل الأستقرار الأساسي في أوروبا، وشرط التحول الديمقراطي فيها، مشدداً على ان النزوع القومي مظهر من مظاهر التحديث وقوة دافعة له، ولذا من الطبيعي ان يتزايد تأثيره في بقية العالم. بل ان العولمة الجارية تؤجج هذا النزوع بدل التقليل منه، بما تطرحه من إشكالات تتصل بالهوية والخصوصية.

في علم الثورات الحربية كانت تجسيد الشخصية الكارزمية أمراً لا مناص منه وهذا ما قام به نهرو ولينين وماو تسي تونغ وعبد الكريم قاسم وغاندي ومانديلا وغيرهم، وفي الثورة الكردية كانت هذه الحالة مطلوبة، واستطاع ملا مصطفى البارزاني ان يجسد هذه الشخصية



ملا مصطفى البارزاني مع نجله
أدريس البارزاني عام ١٩٦٣

وأن يتفاعل مع شعبه ويكسب وده. وإن مجتمعاً مثل المجتمع الكردي الذي تستحوذ فيه العلاقات العشائرية على المساحة الكبيرة من علاقاته، من الصعوبة بمكان ان تكتفي بالعمل السياسي البحت دون الأتكاء على اخلاقيات روح العشيرة من عوامل قرابة الدم والمصاهرة والنخوة والشجاعة والشرف والكرم وهلم جراً من التقاليد التي يمكن للثورة ان تستخدمها وتبلورها وتطورها بقصد سكبها في الأناء القومي الشامل.

لقد جسد ملا مصطفى البارزاني الشخصية الكارزمية فكان زعيم الشعب الكردي قاطبة من غير منازع وقد تجسدت في شخصيته معالم الشجاعة والأخلاص والتضحية والتواضع والمثابرة على العمل.

لقد اختار ملا مصطفى البارزاني قضية شعبة لتكون البوصلة التي تحدد اتجاهه في حياته النضالية الزاخرة بالأحداث، وكل ما يحيط به يضعه في المعادلة التي احد طرفيها مصلحة الشعب الكردي، فاعداء القضية الكردية هم اعداؤه، واصدقائها ومناصريها هم اصدقاؤه، وهي معادلة لا تقبل التأويل ولا تحتاج الى عمق فلسفي.

لقد اجمع معظم الصحفيين الأجانب إن لم يكن جميعم علي صفات قيادية يتسم بها ملا مصطفى البارزاني وأجمعوا علي تواضعه وبساطة معيشته، ولم يتنصل من المسؤولية يوماً، ولم يدعي العصمة، وإنما اثناء العمل الدؤوب الطويل كانت احتمالات الخطأ والصواب واردة، لقد قاد نضال شعبه عبر طريق شائك ومعقد، وكان يوماً يحالفه النصر وآخر يصيبه الأخفاق.

لكن في نهاية الشوط كان قد نحت في قلوب أبناء شعبه مكاناً سامياً، فاصبح رمزاً خالداً لهذه الأمة. يكتب عنه رينيه موريبس الصحفي الفرنسي الذي زار المنطقة في اواسط الستينات من القرن الماضي يقول:

إنه آخر سيد حرب عظيم في عصرنا هذا، انسلخ عن حقبة تاريخية نبيلة ليجد نفسه تائهاً حائراً في عصرنا هذا. وطني صلب وجندي لا يشق له غبار أدخل في رومانية ثوار كل الثورات ذلك الوقار والهيبة المطمئنين للزعيم الشرعي. إنه في هذا الشرق يجسم كل طارف وتليد من الحكايات، وكل ما يغريك بالأسطورة وقسوة التاريخ. ويضيف الكاتب في مكان آخر يقول: كان ملا مصطفى البارزاني لا ينام إلا لماماً ونشاطه وحيويته الفائقان لا يفتران ليلاً ونهاراً يستقبل دون تريث الكوادر العسكرية والحزبية وأعضاء المكتب التنفيذي وأبسط رجال البيشمركة مثلما يستقبل الوجهاء وعلية القوم سواء بسواء، إنه يريد ان يلم بكل شئ وكل حدث فينتظر ليلياً مقدم ابنه أدريس الذي أعتاد تقديم تقرير عن نشاطه وتلقي الأوامر منه ـ كان ذلك أثناء معركة راوندوز، هندرين الشهيرة التي ابتدات في ١٢ آذار ١٩٦٦ ـ وكل المحادثات التي يجريها والمؤتمرات التي يعقدها تتسم بالبساطة والبعد عن التكلف فمجلسهم الدائم هو الأرض العارية او المفروشة بالأبسطة،وأقداح الشاي هو المنظر الترف الوحيد..[٢]

إن هذا القائد أيقن بحدسه ان العمل العسكري سيكون أعرجاً إن لم يتفاعل مع العمل السياسي ويتكئ على عكازتين العملية السياسية والعمل العسكري.

المقاومة العسكرية، تحتاج الى رجال وسلاح وعتاد وتموين وأرضية صالحة، إنها عوامل متشعبة متباينة. حتى العمل العشائري الذي ينطلق من مبدأ الطاعة العمياء فلابد توفر إدارة تدير الشؤون المختلفة في هذه العشيرة فما بالك بثورة تتناول مصير شعب، ينبغي إقناع الناس بهدف معين وقيادتهم للقتال او للتبرع بالأموال من أجل هذا الهدف، فالثورة تحتاج الى مقاتلين وطباخين ومسؤولي الأرزاق والى وسائل النقل والى جمع المعلومات والى آخره من القائمة الطويلة التي تجعل الثورة قادرة على البقاء والأستمرارية. إن كل هذه الأعمال وغيرها منوطة بالحزب السياسي الذي يتولي القيام بهذه الأعمال ويساعده في هذا المسعي اتحادات ونقابات ومنظمات اجتماعية تكون واجهة لهذا الحزب لسهولة الأحتكاك بالجماهير وتعبئتها وكسب عطفها ودعمها لأهداف الثورة. والثورة الكردية لم تكن استثناءً من هذه القاعدة، والقائد ملا مصطفى البارزاني كان يدرك اهمية العمل السياسي ولهذا سعى الى تكوين حزب يعي هموم شعبه ويعرضها في المحافل السياسية الأقليمية والدولية.

بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها كان من اهم نتائجها اندحار النازية وانفتاح آفاق رحبة امام الشعوب للتطلع الى الحرية. في المشهد السياسي العراقي في اعقاب هذه

الحرب نلاحظ عام ١٩٤٦ انبعاث الحياة الحزبية العلنية، لكن بقي العمل السري من نصيب أحزاب لم يحالفها الحظ في الحصول على الأجازة للعمل العلني، وقد فشل الحزب الشيوعي في الحصول علي إجازة لحزب التحرر الوطني الذي أراده واجهة علنية له، وكان هناك أيضاً أحزاب سرية منها في المنطقة الشمالية وهي:

ـ حزب روزكاري كوردي.ويسمي جبهة الخلاص او خلاص الأكراد، الذي تأسس من الحزب الشيوعي الكردي ومن بعض أعضاء حزب هيوا ومن الأكراد المستقلين، والهيئة المؤسسة لهذا الحزب قالت في بيان ان هدفها:

توحيد وتحرير كردستان الكبرى، ولموقع الحزب في العراق فإن الحزب يكافح من اجل تحرير العراق من نفوذ الأستعمار. ويعمل علي تكوين علاقات مع الدول الديمقراطية، والسعي لنيل الأستقلال الذاتي لكردستان... ولكن هذا الحزب لم يستمر طويلاً رغم قيامه بفتح فروع له في الالوية الشمالية وأصداره لجريدة روزكاري السرية، ففي ١٦ آب ١٩٤٦ حل الحزب نفسه بناءً على الدعوة لتأسيس الحزب الديمقراطي الكردي، وفعلاً انضم الى الحزب الجديد[٣].

ـ حزب شورش وسمي حزب الثورة وهو ولا يختلف نظامه الداخلي عن نظام أي حزب شيوعي ولكنه يبدو ان تأسيسه هو من اجل تعبئة الشعب الكردي، لكن الحزب الشيوعي العراقي لم يكن راضياً بتأسيس حزباً شيوعياً خاصاً بالأكراد.

في هذه الفترة أيضاً كان انبثاق الحزب الديمقراطي الكردستاني، ففي النصف الأول من عام ١٩٤٦ عقد الملا مصطفى البارزاني ورفاقه سلسلة من الأجتماعات في مهاباد بأيران والتي تمخضت عن تأسيس الحزب الديمقراطي الكردي، واصدر البارزاني بياناً دعا فيه جميع الوطنيين الأكراد الى الأنخراط في الحزب الجديد، وكان البارزاني يتأمل توحيد المنظمات الكردية في العراق: شورش وروزكاري و " كومه لي زك أي عصبة الإحياء الكردي " الذي خاطب البارزاني بقوله: إنه زعيم تحرير كردستان. وسوف تصبح هذه الأحزاب قاعدة أساسية للحزب الجديد، ومن اجل ذلك أوفد ملا مصطفى البارزاني حمزة عبدالله المحامي الى العراق لهذا الغرض وقد أفلح الرجل في مهمته حيث اتصل بقادة أحزاب شورش ورزكاري وغيرهم من الشخصيات الكردية.

لقد تشكل الحزب الجديد باسم الحزب الديمقراطي الكردي وعرف بالبارتي وعقد مؤتمره التأسيسي (الأول) في بغداد في ١٦ آب (أغسطس) ١٩٤٦ م، وكان ذلك في دار سعيد فهمي مدير القسم الداخلي لكلية الهندسة. لقد حضر المؤتمر ٣٢ مندوباً يمثلون يمثلون حزبي روزكاري وشورش المنحلين وناقش المؤتمر المنهاج والنظام الداخلي للحزب، وتم اختيار اسم "

بارتي ديموكـراتي كـورد ـ الحـزب الديمقـراطي الكردي " وهو على غـرار اسم الحـزب الديمقراطي الكردستاني في ايران وقد أعطي له هذا الأسم لما له من تأثير طيب على نفوس غالبية الشعب الكردي في كافة أجزاء كردستان.

لقد انتخب المؤتمر لجنة مركزية متكونة من ١٥ عضواً وهم السادة:

ملا مصطفى البارزاني رئيساً للحزب، الشيخ لطيف الشيخ محمود النائب الأول للرئيس، كاكة زياد آغا النائب الثاني للرئيس. وكل من حمزة عبد الله ومير حاج أحمد والدكتور جعفر محمد كريم والمهندس علي عبدالله وصالح اليوسفي وعبد الكريم توفيق ورشيد عبد القادر ورشيد باجلان والملا حكيم خانقيني وعوني يوسف وطه محي الدين معروف اعضاء في اللجنة المركزية وإن السيد عبد الصمد محمد احتياط.

أما المكتب السياسي فقد تم انتخاب اعضائه من اللجنة المركزية كالآتي " حمزة عبد الله سكرتيراً للجنة المركزية، والدكتور جعفر محمد كريم وعلي عبدالله وعبد الكريم توفيق ورشيد عبد القادر[٤]. قرر الحزب إصدار جريدة حزبية باسم روزكاري وكان عددها الأول في ايلول ١٩٤٦ واستمرت حتى عام ١٩٥٦ حيث اصدر الحزب بديلاً عنها تحت اسم " خه باتي ـ كردستان " وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اصدر الحزب جريدة خه بات ـ النضال، حيث كان عددها الأول العلني في ٤ نيسان ١٩٥٩ وبعد نشوب المعارك في كردستان العراق في ايلول ١٩٦١ احتجبت خابات عن الصدور.

أتذكر في سنة ١٩٦٨ ان مقر هذه الجريدة كان العيواضية في بناية متواضعة، وعندما تركت صفوف الثورة الكردية وسافرت الى بغداد كان لي رغبة شديدة بمواصلة الدراسة، وكان علي ان انهي دراستي الأعدادية، بعد تركي لمقاعد الدراسة حوالي ست سنوات ولكني لم أعثر علي الثانوية التي تقبلني بسبب تركي لمقاعد لهذه المدة الطويلة أي من سنة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ الدراسية الى سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ م وسألت عن ثانوية النجاح المسائية في البتاوين التي كنت طالباً فيها، فقيل لي انها أقفلت ابوابها وإن وثائق طلبتها في مديرية تربية بغداد، وحينما أردت الحصول على وثيقة مدرسية من هذه المديرية، كان السؤال الطبيعي أين كنت في هذه الفترة الطويلة فإن كنت في السجن نريد كتاب من إدارة السجن.

لقد كانت فترة وقف القتال بين الثورة الكردية والحكومة العراقية، وقلت لهم إنني كنت في صفوف الثورة الكردية، وإنني الآن أريد ان أواصل دراستي وكان طلبهم مني هذه المرة كتاب تأييد من الجهات المختصة التي سلمت نفسي اليها.

وكان ردي إنني لم اسلم نفسي الى اية جهة، ولكن هناك قرار من مجلس قيادة الثورة

بأعفاء الطلاب المشتركين بحوادث الشمال والسماح لهم بمواصلة الدراسة.

وكان جواب الموظف المسؤول حسناً: عليك بجلب تأييد من وزارة شؤون الشمال تؤيد اشتراكك طيلة هذه السنين في حوادث الشمال.

ولم يكن امامي سوي التوجه الى مقر هذه الوزارة الكائن في الباب الشرقي مدخل شارع الجمهورية، إن لم تكن الذاكرة قد خانتني. وفي الوزارة قيل لي كيف نعرف انك كنت منخرطاً في صفوف الثورة الكردية دون أية كتاب يؤيد ذلك؟ وأرشدوني الى جريدة التآخي ـ حيث ان خابات، بدل اسمها الى التآخي ـ وعلي ما اتذكر كان رئيس التحرير هاشم عقراوي، وشرحت له وضعي الدراسي، وعن حاجتي الى كتاب يؤيد انخراطي في صفوف الثورة الكردية علماً أنني كنت مع توما توماس وهرمز ملك جكو، التابعين لهيز حسو ميرخان في منطقة بهدينان ثم سألني بعض الأسئلة ليتأكد من صحة ادعائي، وبعدها زودني بكتاب الى وزراة شؤون الشمال التي بدورها زودتني بكتاب الى مديرية التربية، وهذه منحتي فرصة الدوام لمدة سنة واحدة وتحديداً في ثانوية مسائية. وهكذا كانت لي فرصة في إكمال الدراسة الأعدادية بعد كتاب جريدة التآخي. وبعدها واصلت دراستي الجامعية على نفقة الحكومة العراقية في الأتحاد السوفياتي السابق.

مؤتمرات الحزب والصراعات الداخلية

قد يكون من الصواب الأعتقاد ان الصراع داخل أي حزب سياسي هو امر حتمي لا بد منه لا سيما إذا كان هذا الحزب حزب قومي حديث التأسيس، فالمحور السياسي القومي يستقطب حوله شتي الفئات من الطلبة والعمال والفلاحين والتجار وملاكي الأراضي والموظفين... ومن الطبيعي ان ينجلي في جسم هذا التكوين التباين والأختلاف في وجهات النظر فكل يسعي الى تحقيق اجندته والتي تلائم مصالحه، ثم يتطور ذلك الى الخلافات فصراعات وربما يؤدي ذلك الى الأنشقاق داخل صفوف الحزب.

والحزب لا تهدده الأنشقاقات الداخلية فحسب، لكن هناك الملاحقات البوليسية وعليه يتخذ الحزب جانب الحيطة والحذر فينظم اعضائه ومؤيديه في خلايا تنظيمية سرية، وإن تنظيم الحزب الديمقراطي الكردستاني يشبه الى حد كبير تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي.

الخلية الحزبية هي اللبنة الأولي وتتكون من ٣ ـ ٥ اعضاء ينظمها عضو تعينه لجنة الفرع او المنطقة، ويبقي العضو مرشحاً قرابة ستة أشهر لحين ان يكتسب عضوية الحزب، ومن الجائز ان يؤجل اكتسابه للعضوية اكثر من هذه المدة حسب ما تقرره اللجنة المحلية في المنطقة. ويلي اللجنة المحلية لجنة المنطقة او لجنة الفرع، وهي متكونة من أعضاء اللجان

المحلية ويكون تعدادها اعضائها بين ٥ ـ ١١ عضو وهؤلاء ينتخبون من بينهم مسؤولاً عنهم لكن هذا بدوره يكون معاوناً للمشرف الفعلي المنتدب من قبل اللجنة المركزية.

يعتبر المؤتمر الوطني اعلى سلطة في تنظيمات الحزب ويتكون من اعضاء اللجنة المركزية الأصلاء والأحتياط وممثلين منتخبين عن جميع اعضاء منظمات الحزب بالنسبة الى التي تعينها اللجنة المركزية ويلي المؤتمر الوطني ما يعرف بالكونفرانس وهناك كونفرانس محلي وآخر أوسع ويعقد هذا الأخير عند حصول تغييرات سياسية هامة او خلافات داخلية خطيرة على نطاق اللجنة المركزية وينبغي البت بحلها على نطاق الكونفرنس.

وتأتي اللجنة المركـزية وهي اعلي سلطة تنفيـذية بعـد المؤتمر وهي تتكون من الرئيس وسكرتير اللجنة واعضائها، ويبلغ تعداد اللجنة المركزية في الحزب الديمقراطي الكردستاني ٢١ عضواً ويضاف اليهم ستة اعضاء احتياط ويتم من بين اعضاء اللجنة المركزية انتخاب الأعضاء الستة للمكتب السياسي ويتم أيضاً انتخاب سكرتير اللجنة المركزية وهو ايضاً سكرتير المكتب السياسي.

لكن على رأس الهرم التنظيمي للحزب يأتي رئيس الحزب. وهو ما ينفرد به الحزب الديمقراطي الكردستاني عن غيره وهو بطبيعة الحال رئيس اللجنة المركزية ويتم انتخابه في المؤتمر الوطني، وهو الذي يترأس اجتماعات اللجنة المركزية والمكتب السياسي ولصوته الأرجحية عند تساوي الأصوات[٥].

إن تنظيم الحزب الديمقراطي الكردستاني يختلف عن حزب البعث العراقي الذي له روابط تنظيمية مع تنظيمات البعث في الأقطار العربية، أما الحزب الديمقراطي الكردستاني فهو حزب محلي عراقي لا يرتبط تنظيمياً بالاحزاب القومية في عموم كردستان.

لقد عقد الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ ونعني بهذا الأسم الأسماء الواردة في المؤتمرات، وهو حزب نفسه وإن اختلفت التسمية قليلاً ـ عدة مؤتمرات بالأضافة الى المؤتمر الأول وهي:

- عقد الحزب الديمقراطي الكردي مؤتمره الثاني في آذار مارس ١٩٥١ م في بغداد وناقش اوضاعه الداخلية والوضع السياسي في العراق وكردستان.
- عقد الحزب مؤتمره الثالث في مدينة كركوك وذلك في ٢٦ كانون الثاني يناير ١٩٥٣، وكان علي رأس جدول أعماله مناقشة ظهور التكتلات والأنشقاقات في صفوفه.
- في ٢٣ تشرين الأول اكتوبر ١٩٦٠ عقد الحزب مؤتمره الرابع.

في المؤتمر الثاني سنة ١٩٥١ اتخذ قراراً بعدم اسناد المسؤوليات الحزبية الى حمزة عبد

الله لشكوكهم فيه بعد اعتقاله من قبل السلطات وخروجه، ولقد تمرد حمزة عبدالله علي قرارات وتوصيات الحزب فتقرر تجميد عضويته في صيف عام ١٩٥١م. لكن حمزة عبدالله انشق عن الحزب وكون حزباً باسم " الجناح التقدمي للحزب الديمقراطي الكردي ".

انعقد المؤتمر الثالث في كركوك في ٢٦ / ١ / ١٩٥٣ وتقرر في هذا المؤتمر طرد حمزة عبدالله من الحزب، كما حمل الحزب أفكار الماركسية اللينينية وقرر المؤتمرون تغيير اسم الحزب من من بارتي ديمكراتي كورد الى بارتي ديمكراتي كوردستاني عيراق، اي الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ العرق.

وتقرر تأليف المنظمات الديمقراطية ولا سيما اتحاد طلبة كردستان. وبدل اسم جريدة الحزب رزگاري الى " خبه بات ـ النضال ".

لقد تم في هذا المؤتمر انتخاب خمسة عشر عضواً الى اللجنة المركزية برئاسة مصطفي البارزاني وأنيطت سكرتارية الحزب الى أبراهيم أحمد.

يقول الدكتور خليل جندي عن حمزة عبد الله انه كان محامياً بارعاً واستطاع اسقاط التهم عنه حينما اعتقل عام ١٩٤٩ وكان هذا مدعاة لاتهامه بأنه من رجالات الأنكليز، ثم من ناحية أخرى حريصاً على العمل بسرية ولم يكن يكتب شيئاً باسمه، ومما زاد من تسعير الهجوم عليه هو افلاته من قبضة الحكومة في زاخو وعودته الى السليمانية فاسرعت اللجنة المركزية الى تجميده عام ١٩٥١.



صورة تجمع عبد الكريم قاسم مع زعماء اكراد عام ١٩٥٩ م من اليمين، أمين بك جوانروبي، عزت بك جوانروبي، محمد بك وكيل جوانروبي، الزعيم عبد الكريم قاسم، ملا مصطفى البارزاني، ملا محمد قاضي زاده.

أثناء زيارة جلال الطالباني الى الأتحاد السوفياتي كان قد حمل بعض التوصيات من مصطفى البارزاني الى قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني مفادها ان لا يعامل حمزة عبدالله كمتهم بل ان يعامل كشخص وطني مخلص وأن يعاد الى صفوف الحزب[٦].

اشترك الحزب الديمقراطي الكردستاني في النشاطات الجماهيرية على الساحة العراقية فكان يشترك بفعالية في المتاهرات والأنتفاضات وكان الحزب يسعى الى اسقاط الحكم الملكي وتحرير العراق من المعاهدات والأحلاف وإقامة حكم ديمقراطي، وكان يسعى الى ترسيخ معاني الأخوة العربية الكردية وكافة الأقليات المتآخية في عراق موحد.

ساند الحزب انتفاضة الفلاحين في أربيل عام ١٩٥٣ وطالب في مذكرة له بتوزيع الأراضي الى الفلاحين وإلغاء نظام دعاوي العشائر، وإطلاق سراح العمال والفلاحين المحتجزين والسجناء السياسيين وإطلاق الحريات الديمقراطية وفسح المجال للتنظيم الحزبي والنقابي.

حينما وقع العدوان الثلاثي على مصر أواخر عام ١٩٥٦ ساند الحزب شعب وحكومة مصر وقاد عدة تظاهرات شاركت فيها الشبيبة الكردية وجماهير كردستان وأعلنت جريدة الحزب وقوف الجماهير الكردية ضد العدوان واعتباره عدواناً عليها ودانت موقف حكومة نوري السعيد باعتقالها الأحرار من العرب والأكراد. من جهة اخري لقد آمن الحزب بالعمل الجبهوي وسعي حثيثاً الى المساهمة بالجبهة من خلال الحزب الشيوعي.

كان العدوان الثلاثي على مصر حافزاً لتقارب الأحزاب السياسية العاملة على الساحة العراقية وتشكلت جبهة بين هذه القوى سميت " جبهة الأتحاد الوطني " في اوائل عام ١٩٥٧ تم تشكيل اللجنة العليا لجبهة الأتحاد الوطني، وقد اصدرت هذه اللجنة بيانها الأول الذي تضمنت اولي فقراته إزاحة حكومة نوري السعيد وإجراء انتخابات حرة والخروج من حلف بغداد " السنتو " وتنسيق سياسة العراق مع الدول العربية المتحررة وغيرها من المطالب المهمة التي تخص الشعب في تلك المرحلة، لقد طلب الحزب الحزب الديمقراطي الكردي الموحد الدخول عضواً في الجبهة عند تشكيلها فرُفض طلبه وجاء الأعتراض من قبل حزب الأستقلال وحزب البعث وقد قدمت لذلك أسباب منها ان قيادة الحزب هي عشائرية وإن رئيس الحزب عميل بريطاني كما اعترض علي ان للحزب أهداف انفصالية مخلة بالوحدة العراقية لأنه يرفع شعار حق تقرير المصير وإنه لا يؤمن بفكرة الحياد الأيجابي وقد صرح بذلك علناً في أدبياته.

إن هذه التهم لم يكن لها اساس من الصحة فرئيس الحزب وهو ملا مصطفى البارزاني لم يكن له أي تأثير مباشر علي الحزب لوجوده في الأتحاد السوفياتي قبل حوالي عشر سنوات، ووجوده في هذه الدولة طيلة هذه المدة ينفى صفة العمالة لبريطانيا. أما رأي الحزب في دول عدم الأنحياز فلم يؤمن بهذه النظرية فإما ان يكون مع الشرقي او مع المعسكر الغربي..

ورفض بذلك العملية التي سكها جمال عبد الناصر، فاتفق ان يكون تمثيل (البارتي) في الجبهة من خلال الحزب الشيوعي العراقي[٧].

كان الحزب ينسق نشاطاته مع القوى السياسية في العراق، وكان يؤمن بعراق ديمقراطي وهو الضمانة لنيل الحقوق لكل أطياف الشعب العراقي بما في ذلك حقوق القومية الكردية. الى جانب ذلك لقد نجح الحزب في نشر الوعي القومي الديمقراطي في كردستان ومن اهم منجزاته أنه بنضاله وبالتلاحم مع جماهير كردستان حافظ على الهوية القومية الكردية ومن مدرسة البارتي تخرج الآلاف من الكوادر الكفوءة التي تبوأت مراكز قيادية في البارتي وفي قيادات الأحزاب التي تأسست فيما بعد.. واليه يعود الفضل في إفشال مخططات الشوفينيين والرجعيين العرب والكرد في جر ثورة ايلول الى حرب عربية كردية[٨].

لقد حاول الحزب الى توسيع علاقاته الخارجية وقد أجري وفد حزبي مفاوضات مع قادة سوريين امثال أكرم الحوراني وعبد الحميد السراج وقدم الحزب مذكرة الى الوفد المشارك في مؤتمر التضامن الشعوب الآسيوية ـ الأفريقية الذي عقد في أواخر عام ١٩٥٧ تضمنت مطالب الشعب الكردي في التحرر.

في ٩ /١ / ١٩٦٠ تقدمت الهيئة المؤسسة المبينة أدناه بطلب الى وزارة الداخلية العراقية لمنحهم الموافقة علي تأسيس حزب تحت اسم " الحزب الديمقراطي الكردستاني " ووافقت الوزارة علي الطلب وكانت الهيئة المؤسسة متكونة من السادة:

ملا مصطفى البارزاني، وأبراهيم أحمد، وعمر مصطفى ، وعلي عبد الله، ونوري شاويس، وحلمي على شريف، وشمس الدين المفتي، وملا عبد الله إسماعيل، وصالح عبد الله اليوسفي.

هذا وحدد الحزب أهدافه بالنقاط التالية:

١ ـ يناضل الحزب من أجل صيانة الحريات في الجمهورية العراقية وتوطيدها. وتوسيع وتعميق اتجاهها الديمقراطي علي اساس الديمقراطية الموجهة التي تضمن إطلاق الحريات الفردية والعامة كحرية إبداء الرأي، وحرية الصحافة وحرية المعتقد، وحرية التنظيم الحزبي والنقابي لسائر الوطنيين.

٢ ـ ممارسة أقسي الحزم والشدة ضد أعداء الجمهورية تقوية القدرة الدفاعية للقوات المسلحة الوطنية لحماية مكاسب الشعب.

٣ ـ النضال من اجل صيانة السلام والسير على هدي قرارات مؤتمر باندونغ وميثاق الأمم المتحدة.

٤ ـ النضال من اجل تعزيز علاقات الأخوة والصداقة بين الشعبين العربي والكردي وسائر الاقليات القومية.

٥ ـ العمل علي توسيع قاعدة الحقوق القومية للشعب الكردي ضمن الوحدة العراقية ومحاربة الأنفصالية.

لقد وافقت الوزارة على إجازة الحزب.. وعقد الحزب مؤتمره الرابع في ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٦٠ حيث تقرر في هذا المؤتمر طرد حمزة عبدالله ومعه أقرب معاونيه من الحزب علي اعتبار انهم خونة، وإعادة انتخاب ابراهيم أحمد سكرتيراً عاماً. ولم يعارض البارزاني في ذلك ولكنه لم يعضده. ولما جرت عملية التصويت، صوّت الأخير لأربعة فقط من أصل ١٥ عضواً من مجموع اللجنة المركزية[٩].

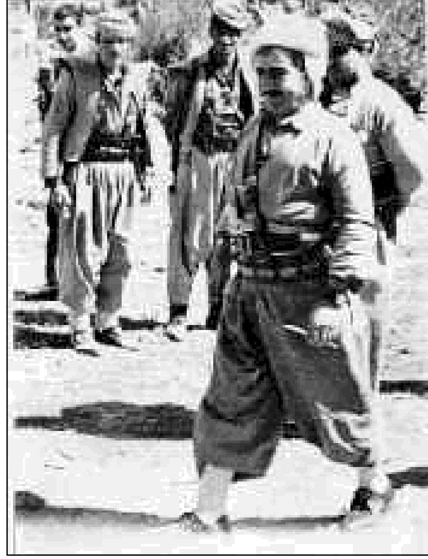
تطورات المسألة الكردية في عهد قاسم

مرحلة مهمة قطعتها المسالة الكردية خلال الفترة ١٤ تموز ١٩٥٨ الى ٨ شباط ١٩٦٣ م، وفي فصل سابق تطرقنا بشئ من الأسهاب الى الابعاد الجديدة التي طرأت علي المشهد السياسي العراقي وفي مقدمتها الصراع الذي اتسمت محطات كثيرة منه بالعنف والدموية بين الأتجاهات الوحدوية العربية من جهة وبين الشيوعيين والأكراد من جهة اخرى وموقف حكومة عبد الكريم قاسم الذي قلت عنه انه كان خاطئاً في توظيف هذا الصراع لاعتقاده بأن هذا الحياد ـ الذي اعتبرته كان حياد سلبي ـ كغطاء وقائي من وقوع المؤامرة على حكمه.

وأثبتت الوقائع ان عبد الكريم قاسم لم يكن لاعباً بارعاً في اللعبة السياسة، إذ لم يوفق في الحفاظ على التوازن الذي لم يكتب له الديمومة والاستمرارية، وهكذا انتهى حكمه لتنفتح الأبواب امام واقع مرير قوامه فقدان الأستقرار وهيمنة الأفكار القومية الشمولية فكانت الحروب الداخلية والخارجية والتي لا زال الشعب العراقي يعاني من نتائجها.

علينا ان نعترف ان الحركة الكردية بعد تموز ١٩٥٨ قد اتخذت ابعاداً جديدة إذا سعينا الى مقارنتها بالأوضاع التي كانت سائدة قبل ثورة تموز، حيث باتت الثورة اشد تنظيماً وأكثر قوة من ناحية السلاح ونوعيته وأوسع انتشاراً من ناحية المساحة الجغرافية.

في تموز ١٩٦١ قدم البارزاني مذكرة الى الحكومة العراقية تطالب بحكم ذاتي واسع للأكراد وقد رفضت الحكومة العراقية مطلب البارزاني وبدأت تظهر حوادث صغيرة هنا وهناك ضد مراكز الشرطة او الوحدات العسكرية الى ان اعلنت الثورة الكردية في ١١ ايلول ١٩٦١ وفي الحقيقة ان الجبهة الواسعة التي كان يجمعها هدف الأطاحة بالحكم الملكي بات



ملا مصطفى البارزاني بحراسة البيشمركه

كل فريق يتطلع الى تحقيق اهدافه، وفي ظل انعدام التنسيق بين القوى المختلفة وغياب الحوار الوطني بينها أفرز تلك الأحتقانات ووصلت الى حد التصادم العسكري بين حلفاء الأمس.

يرى صبحي عبد الحميد في اسرار ثورة ١٤ تموز انها قد اخفقت في تحقيق اهدافها في الفترة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ والسبب لا يعود الى افتقارها الزعيم القائد فقط، بل يعود ايضاً الى التطاحن الحزبي والعقائدي الذي اعقبها، فلقد انهارت جبهة الأتحاد الوطني التي كانت تضم الأحزاب الوطنية. وأخذ كل حزب يطالب بتطبيق مبائه وأهدافه، ولقد أدى ذلك الى انقسام ضباط الثورة انفسهم.. فأخذوا يتآمرون فيما بينهم ويتآمر بعضهم على بعضهم الآخر. وولد ذلك كله حالة من عدم الأستقرار العام ووقوع عدة محاولات انقلابية فاشلة، وتحويل شمال العراق الى أرض للنزف البطئ والمديد، وتوج ذلك بانقلاب عام ١٩٦٣[١٠].

من المسلمات التي يتفق عليها كثير من الساسة والمفكرين الأكراد هي إقرارهم بأن حكومة عبد الكريم قاسم كريمة وسخية بمنح الأكراد ولأول مرة المزيد من الحقوق والأستقلالية، لقد نصت المادة الثانية من الدستور العراقي المؤقت على أن العرب والأكراد شركاء في الوطن، ويكون التفسير القانوني، ان من حق الشريك ان يفسخ عقد الشراكة متى يشاء، إذا ما عارضت تلك الشراكة مع مصالحه وسيادته، ومن الطبيعي ان يكون ثمة توجهات قومية عربية مناهضة لمثل هذه الحلول. إن من لا يسرهم تواجد الشخصية الكردية المستقلة في المنطقة أخذت أقلامهم المأجورة ودسائسهم تسعّر العداء وتدعو الحكومة العراقية الى القضاء على الحركة الكردية الأنفصالية، وتروج لحل المسألة الكردية في العراق ليس عن طريق الأعتراف



الهواية المفضلة للبارزاني لعبة الشطرنج

بالحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي بل بتجاهلها وصهر الشعب الكردي في بودقة العروبة والأمة العربية، مما ادى الى يقع عبد الكريم قاسم رئيس الجمهورية العراقية (عبد الكريم قاسم كان رئيس الوزراء ـ المؤلف) تحت تأثير هذه الطروحات الحاقدة، حيث حاول في عدد من خطبه ان يقنع الرأي العام (بأن الكرد عرب من حيث الأصل) كما دعم اتجاه التصادم مجموعة من الأقطاعيين الكرد الذين تضرروا من تطبيق قانون الأصلاح الزراعي ومباشرتهم بتحدي قرارات الحكومة العراقية[١١].

لايمكن ان تكون حالة الأقتتال بين الأخوة مقبولة من شرائح كثيرة في المجتمع العراقي، فإذا نغوص في وقائع وسوسيولوجيات المجتمع العراقي حتماً سندرك التنوع والأمزجة المختلفة، وإنه لا مندوحة من خلق اجواء الأستقرار والوئام ليبقي هذا التعدد متماسكاً بلاصق الوطن الواحد، مع الحرص على إدامة الأجواء النقية التي يتعامل بها الأقليات والأكثريات في ظل الدولة الواحدة وتحت شعار سيادة النظام والقانون على الجميع دون تمييز.

لكن الرياح لا تهب دائماً بما تشتهي السفن، وفي سماء حالة العلاقة بين الحكومة العراقية والحزب الديمقراطي الكردستاني تشكلت طلائع السحب السوداء. الحالة الميؤوس منها بالنسبة لحكومة قاسم كانت يشترك فيها الحزب الديمقراطي الكردستاني وملا مصطفى البارزاني. بدأت جريدة خه بات تعبر عن خيبة املها صراحة بنشرها للسلبيات اليومية التي تبدو وكأنها موجهة ضد الجانب الكردي، من قبيل ان كردستان لا تنال حصتها العادلة من مشاريع الأعمار، كما ان الشعارات التي سمحت بها الحكومة لاحتفالات ١٤ تموز تجاهلت القومية الكردية، وإن مجموعة من العمال الأكراد طردوا من العمل في مؤسسات حكومية

بسبب انتمائهم للحزب الديمقراطي الكردستاني.. وفي شهر تشرين الثاني ١٩٦٠ قدم ابراهيم أحمد الى المحاكمة بوصفه صاحب امتياز خه بات بتهمة إثارة النعرات القومية وبث التفرقة بعد نشره لمقال في الجريدة تحت عنوان: الأمة الكردية والمادة الثانية من الدستور العراقي المؤقت.

ويظهر ان المقال كان له وقع شديد على قاسم فقد كان عظيم الإعجاب بدستوره هذا، لا يفتأ يذكره ويستشهد به في خطبه ويعتبره آية في البلاغة وإعجازاً في الأيجاز. فضلاً عما أحدث المقال من ضجة كبيرة في اوساط واسعة من الجمهور الذي صدم بحقيقة كانت مجهولة منه، قصرت معرفقتها علي عدد قليل من المثقفين والباحثين المهتمين.. وقد استدعي ابراهيم احمد الى مقر وزارة الدفاع وخضع لاستجواب حاكم التحقيق التابع لمكتب الحاكم العسكري.. واخلى سبيله بعد ربطه بكفالة[١٢].

وصلت الأمور الى تخوم القطيعة بين الحكومة والحزب الديمقراطي الكردستاني حينما اضطر الحزب الى عقد اجتماع اللجنة المركزية في بغداد لكن بصورة سرية بعيداً عن عيون السلطة، ثم كان اعتقال بعض اعضاء الحزب ومنهم من اختفى عن الأنظار او رحلوا الى كردستان. ومحاولة اخيرة قدم الحزب في شهر حزيران ١٩٦١ نداءاً أخيراً الى عبد الكريم قاسم حول تدهور الأوضاع لكن لم يتلق جواباً لندائه.

إن فكرة الحرب كانت منبوذة من الطرفين فمما لاشك فيه ان كلاً من قاسم وملا مصطفى البارزاني ما كانا يريدان ان تنشب حرب صريحة، الى ان اصبحت حقيقة واقعة. ومن المؤكد ان كل منهما كان يعزو الى الآخر نوايا عدوانية ضده، وعلى هذا الأساس كان من الأمور المسلمة عند ملا مصطفى والحزب الديمقراطي الكردستاني ان تحريك قاسم قطعات الجيش الى الشمال في صيف ١٩٦١ إنما هدف الى القيام بهجوم واسع النطاق علي المنطقة التي يحتلها البارزانيون. من جهة أخرى قد يمكن ان يغتفر لقاسم اعتقاده بأن الهجمات التي تعرضت لها مخافر الشرطة والحاميات المنعزلة حينذاك إنما جرت بأمر من ملا مصطفى[١٣].

في محاولة أخيرة وربما متأخرة لرأب الصدع ولأيقاف تدهور الأوضاع نحو الحرب يصف ملا مصطفى البارزاني ظروف قصف بارزان حيث يفيد بأنه كان في مسجد القرية حينما بدأت الطائرات بالقصف بارزان وحاول تصحيح الخطأ فأرسل برقيتين متتاليتين الى عبد الكريم قاسم يعلمه انه في بارزان ولا نية له في رفع السلاح ضده وطالباً ان يلجأ الى حل المشكلة سلمياً لكن القصف الجوي استمر في اليوم التالي، ووصلت بارزان أنباء بأن المرتزقة من قبيلة الزيبار يتهيأون للزحف الى بارزان.. وبعد حديث مع نخبة من رجاله وفيهم عدد من أعضاء الحزب وجلهم من مقاتلي العام ١٩٤٥ الذين رافقوه الى الأتحاد السوفياتي وعادوا

معه. اجتمع بأخيه الشيخ أحمد وهو زعيم العشيرة الفعلي الروحي والزمني وأمره مطاع من الجميع ولا يستثني منه ملا مصطفى نفسه. فأذن له بالخروج وخروج كل من يريد من أبناء شبان بارزان من الجيل الثاني. وباتوا ليلهم حسبما يقال في الكهوف وشعاب الجبال القريبة مع بقية أهالي بارزان الذين أجبرهم القصف على ترك منازلهم نهاراً. وكانت هذه القوة النواة الحية في الثورة[١٤].

إن المواطن العراقي الذي يهمه بالدرجة الأولي امن بلده واستقراره، لكي يعيش حياة اعتيادية طبيعية تقلقه أجواء الأقتتال بين الأخوة، ومن هنا نقرأ عن الأستاذ مسعود البارزاني الذي يعترف بصراحته المعهودة إذ يقول:

كنت في قرارة ضميري اتمني ان لا تنشب ثورة أيلول في عهد قاسم، وإن قدر لها ان تنشب فلتكن قبل عهده او بعده.. ان إحساس نابع بالفضل العظيم الذي ندين به لهذه الشخصية التاريخية وأنا أقصد الشعب الكردي عموماً والعشيرة البارزانية بشكل خاص.

إن الثورة التي قادها عبد الكريم قاسم كانت سبباً لتحرير لتحرير مولانا الشيخ احمد من السجن بعد قضائه احد عشر عاماً فيه.. كما كان حكم الأعدام قد صدر غيابياً بحق ملا مصطفى البارزاني.. فتم إلغاء الحكم وإبطاله في اعقاب ثورة ١٤ تموز وعاد ملا مصطفى البارزاني ورفاقه من أرض المنفى واستقبلوا استقبال الأبطال الأحرار ولقوا حفاوة من النظام الجديد[١٥].

لقد كان عبد الكريم قاسم عراقياً قبل أي انتماء آخر فكان مخلصاً لشعبه العراقي دون تفرقة او تمييز بين الأنتماءات الأثنية او الدينية، وهو الذي اصر على وضع المادة الثالثة من الدستور العراقي المؤقت التي تنص علي شراكة العرب والأكراد في الوطن العراقي الواحد، ومواقفه الوطنية العراقية جلبت اليه نقمة الضباط القوميين والقوى السياسية القومية التي عملت المستحيل في سبيل التخلص منه باعتباره حجر عثرة في سبيل تحقيق الوحدة العربية، لكن بعد القضاء عليه وسيطرة القوى القومية وعلى رأسها حزب البعث، فإن هذه القوي لم تحقق أية وحدة عربية فيبدو ان الشعارت كانت للأستهلاك المحلي لا أكثر.

تلقى ملا مصطفى البارزاني دعوى من الحكومة السوفياتية لحضور احتفالات ثورة اكتوبر الأشتراكية وسافر يوم ٥ تشرين الأول ١٩٦٠ الى موسكو ومكث هناك حتى اواسط كانون الثاني ١٩٦١ وحينما عاد الى بغداد بدأت الشكوك تراود عبد الكريم قاسم من ان البارزاني يضمر أمراً ينوي القيام به ضده، وقد حاول البارزاني مقابلته لازالة الشكوك لديه لكن عبد الكريم قاسم تلكأ بذلك الى شهر شباط حيث تمت المقابلة، ولقد حاول البارزاني إقناع قاسم



اللواء الركن عبد الكريم قاسم ومسعود البارزاني
وعمره ١٣ سنة

بأنه مع البارتي لا يضمران أي سوء اتجاهه، لكن يبدو ان قاسم لم يقتنع فارتأى البارزاني بمغادرة بغداد الى بارزان.

كان البارزاني قد اخذ عهداً من القادة السوفيات بمساعدة ثورة الشعب الكردي على خلفية تردي الأوضاع في العراق بفعل ضغط القوى القومية إن كان في المؤسسة العسكرية او على نطاق الأحزاب السياسية ذات التوجه القومي.

يبدو ان البارزاني قد نجح في إقناع الكرملين بمساعدة الأكراد فيما إذا اطيح حكم عبد الكريم قاسم. لقد وعدوا البارزاني بإرسال أسلحة وأعتدة كافية بالطائرات وإنزالها في موضع يعينه البارزاني.. لكن التنفيذ لم يتم بسبب عوائق سياسية وفنية، وأخيراً استقر الرأي على ان تخصيص مبالغ كافية لشراء السلاح والعتاد من مصادر أخرى في منطقة كردستان عن طريق مهربي الأسلحة الدوليين، وكانت السفارة السوفياتية همزة وصل بين البارزاني وموسكو، وعن طريقها كانت المبالغ المرصدة ويتم أيصالها الى بارزان، والمسؤول المباشر في هذه الصفقة هو السكرتير الأول في السفارة المدعو ناسكوف[١٦].

في مناسبات كثيرة تثار علاقة البارزاني واتصالاته الدولية وتوضع في دائرة العمالة لتلك الأوساط الدولية منها على وجه الخصوص اتصالاته مع الأتحاد السوفياتي السابق او مع بريطانيا او اسرائيل او امريكا اوايران، وجميع هذه الأتصالات توضع بصيغة تهمة العمالة لجهة من هذه الجهات التي اشرت اليها وهي ان تحركه يجري بإيعاز من تلك الجهات، وفي مرحلة انبثاق ثورة ايلول ١٩٦١ يشار الى ان البارزاني قام بثورته بأوامر من بريطانيا. ويذكر الدكتور فاضل البراك:

ان البارزاني كان قد مهد للتعاون بينه وبين بريطانيا حينما ابدي تذمره للسفير البريطاني في بغداد اثناء لقاؤهما في إحدي الحفلات الرسمية ثم أردف ذلك بزيارة للسفارة البريطانية لإبداء استعداده للتعاون ضد حكم قاسم.. ويضيف البراك ان قاسم كان قد انزعج من البارزاني عندما وصل الى مسامعه ان البارزاني أخذ في التردد علي السفارة البريطانية. الأمر الذي أكده فيما بعد مصدر آخر ويضيف ان السفير البريطاني استحصل على رسالة موقعة من البارزاني يطلب مساعدة البريطانيين، وقام السفير بإيصال الرسالة الى قاسم لكي تبدأ بعد ذلك فترة من القطيعة بين الأثنين[١٧] وقبل هذا قد قرأنا عن انزعاج قاسم من زيارة البارزاني لموسكو واتصاله بالقادة السوفيات لحملهم على مساعدة الشعب الكردي. وإن كان البارزاني قد اتصل بهذه الدول وغيرها فيجب الأقرار بأن اية حركة تحرر وطني تمر بمختلف المراحل وتستفيد من كل الأمكانات المتاحة ومن الطبيعي ان الحركة الكردية ليست مستثناة من هذه القاعدة وإن الضجة التي كانت تفتعل حول علاقات البارزاني بهذه الجهة او غيرها فإنه مضطر لهذه الأتصالات حينما تصل قضية شعبه الى أبواب موصدة بوجهه.

إن دور الشريف حسين حيث يعتبر رمزاً من رموز الأحياء العربي كان يتعاون مع الأنكليز فإن كان ثمة تشهير بسبب هذه الأتصالات كما يفرضها الدكتور فاضل البراك، فإن خارطة بلدان الشرق الأوسط والعالم العربي الأسلامي بعد انهيار الأمبراطورية العثمانية هي من رسم الأنكليز والفرنسيين. هل كان حينذاك علماء الجغرافيا والطوبوغرافيا؟ وهل كانت ثمة مطابع وآلات لأصدار الخرائط في جميع أرجاء المنطقة، ثم من كان يتحكم بمصير المنطقة وشعوبها؟ ومن أنجح الثورة العربية الكبري؟[١٨]. لماذا كان لبريطانيا وفرنسا الحق في رسم حدود الدول العربية بعد تفكيك الأمبراطورية العثمانية واليوم يصبح اتصال القيادة الكردية بهذه الدول وغيرها من المحرمات؟

أليس الأنكليز والألمان والفرنسيون والروس ومن بعدهم الأمريكان هم الذين وضعوا دستور عصبة الأمم، ومن بعدها هيئة الأمم؟ أليست هيئة المم المتحدة والدول الأعضاء فيها، وبينها الدول التي تقتسم كردستان، تحافظ علي الحدود القائمة بل وتقدسها وتصونها هذه الحدود

التي وضـتـهـا مـعـاهدة سـايكس وبيكو عـام ١٩١٦.. أليست الخـارطة التي وضـعـهـا كل من سايكس وبيكو، هي المتداولة حتي الآن في مدارس دول المنطقة ومعاهدها؟[١٩]. إذن فنحن أمام تناقضات في الأدعاء فما هو حلال علينا هو حرام لغيرنا. ومن الطبيعي ان تكون هذه الحالة غير مقبولة، وإن ظاهرة إلصاق التهم كالتخوين والعمالة هي من الحجج التي يتخندق من يفتقر الى الحجة الواقعية ولمن يبتعد عن المنطق.

بات وشيكاً النزاع المتفاقم بين القوى الكردية الديمقراطية ـ القومية ونظام حكم قاسم، وجرت حملة معادية على صفحات الجرائد الحكومية، وفي نهاية عام ١٩٦٠ اشتد النهج الحكومي المعادي للأكراد، حيث دعت صحيفة الثورة الرسمية الى وضع حد للمغازلة مع الكورد وصهر الأمة الكردية في بوتقة الأمة العربية، وجاء في المقال ما يلي:

إن كل من ينتمي الى العرق الكردي والزنجي (؟) او الأرمني، لكنه يعيش في دولة عربية فهو عربي حسب ما يمليه الواقع. ورداً على مثل هذه الهجمات كتبت صحيفة خابات تقول: أن الشعب الكردي يوصم بالعار دعوات الأنصهار والدمج الرامية الى القضاء على الكورد وكردستان، فالكورد ليس بوسعهم ان يرغبوا وحدة لا تجلب لهم سوى العبودية والحرمان من حقوقهم القومية ونفي وجود امتهم، ولا تجلب لهم سوى الحديد والنار وأغلال السجن[٢٠].

البروبكندا القوية للقوى والأوساط القومية الشوفينية باتت تروج لجهة ان الأتحاد السوفياتي يحاول تشجيع الأكراد على التمرد والأنفصال، وإن زيارة البارزاني الى موسكو تدخل في هذا المخطط، ويبدو ان عبد الكريم قاسم بات يصدق تلك المزاعم وشرع يدير ظهره للحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني، وأصبح سهلاً للوقوع في الفخ القوى القومية التي تآمرت على إزاحته والقضاء عليه في نهاية المطاف.

لقد طلب البارزاني من اسماعيل عارف وزير المعارف ان يرتب له لقاء مع عبد الكريم قاسم بغية اطلاعه على الموقف المتأزم في كردستان، وفي الحقيقة هناك من يسعى الى تعكير وتأزيم العلاقات وتعقيدها للأجهاض على العلاقات الروابط المتينة بين الشعبين العربي والكردي، مما يخلق ظروف مواتية لتمرير المؤامرات للقضاء على الحكم.

وكان البارزاني قد أفلح بلقاء عبد الكريم قاسم، لكن ما يؤكده البارزاني، أن قاسم لم يفسح المجال لتوضيح ما يتعلق بالأوضاع المتأزمة في كردستان حيث يقول:

كلما حاولت الحديث يغير الموضوع الى امور أخرى وبعد ان قاربت الساعة منتصف الليل دعاني لأرافقة بجولة في بغداد فتجولنا في ضواحي العاصمة في الأحياء الفقيرة حتى الساعة السابعة صباحاً ثم عدنا الى وزارة الدفاع فودعته ولم اوفق في مفاتحته بما أردت، فأرجو (يطلب من اسماعيل عارف) ان تتوسط ثانية لتحديد موعد لي لمقابلته وتحضر معنا

أنت (يقصد اسماعيل عارف)، وإذا تعذر ذلك أرجو ان تخبر وزير الداخلية ليوافق على إسقاط جنسيتي وأسافر الى الهند وأترك العراق لأنني اتعرض لضغط كبير ويتهمني أتباعي بالتقاعس في الدفاع عنهم ولا يسعني ان أرتكب عملاً ضد الثورة[٢١].

ثمة عوامل اوحت لعبد الكريم قاسم بان باستطاعته تركيع الأكراد فمن ناحية كونه ضابط عسكري يضع الحلول العسكرية في المقام الأول، كما يجب ألا نغفل عن البروبغاندا التي كان للأعلام الرسمي وتقارير مديرية الأمن العامة عن كردستان والقوي التي كانت تتربص للقضاء عليه كان يسعدها ان تتأزم علاقات قاسم مع الأكراد، وكانت هذه الدعاية تصور لقاسم ان الحكومة اولت عنايتها بالقومية الكردية وأعطت لها اكثر مما تأخذ منها.. مما أدى الى مضاعفة كبرياء هذه القومية وغرورها.. وإن قادة الحركة الكردية ما هم إلا قطاع طرق ولصوص مجرمون شقاة.. وإن البارزاني يعيش على ما يسرقه من القبائل وهولا يختلف عن قطاع الطرق او قراصنة البحار.. أما مطالب الحركة الكردية فباطلة، لأن حكمة الثورة قائمة بواجبها الوطني المقدس ,إن الزعيم أحرص أنسان على مصلحة الشعب من أي أنسان آخر يدعي ذلك[٢٢].

في خضم التطورات المتلاحقة والتي كانت باتجاه تدهور العلاقات بين عبد الكريم قاسم وقوى اليسار من القوى الكردية والحزب الشيوعي العراقي. فقد لجأت الحكومة الى غلق مقرات الحزب الديمقراطي الكردستاني ومطاردة واعتقال اعضائه وقد اختفى بعضهم وآخرين نجحوا في الوصول الى كردستان وفي آذار ١٩٦١ صدر قرار من الحاكم العسكري بلإلغاء ترخيص جريدة خابات.

مع تطورات الأوضاع اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني، وقررت في هذا الأجتماع رفع مذكرة الى عبد الكريم قاسم لضرورة تدارك الأوضاع قبل استفحالها.

إن غياب الديمقراطية يؤثر في البداية على مجمل اوضاع الأقليات نحو الأسوأ ولتفادي هذه الحالة يشير الحزب الديمقراطي الكردستاني في مذكرته لعبد الكريم قاسم عن الدرك التي آلت اليه اوضاع الأكراد ولأجل إنقاذ البلاد من الخطر المحدق يطالبون الحكومة باتخاذ الأجراءات السريعة منها:

- سحب القوات المرسلة في الآونة الأخيرة الى منطقة كردستان وإعادتها الى مقراتها الأصلية.
- سحب رؤساء الادارة والأمن والشرطة والمسؤولين الذين كان لهم دور بارز في الحوادث الأخيرة.
- أعادة الموظفين المبعدين والمنقولين في كردستان الى اماكنهم، وتعيين المتصرفين والقائمقامين

ومدراء النواحي للمدن الكردية من الأكراد المخلصين للجمهورية وللأخوة العربية الكردية.

- تطبيق المادة الثالثة من الدستور العراقي المؤقت بصورة كاملة.
- إطلاق الحريات الديمقراطية وإنهاء فترة الأنتقال.. وإجراء انتخابات حرة مباشرة وإلغاء الأحكام العرفية وتصفية آثارها.
- جعل اللغة الكردية لغة رسمية في جميع الدوائر الرسمية في منطقة كردستان.
- إزالة جميع سياسات التفرقة العنصرية المتبعة بحق الأكراد.
- إطلاق زراعة التبغ من قيد الدونم في الأماكن الصالحة للزراعة.

وطالبت المذكرة بإجراءات اقتصادية كمعالجة البطالة والقضاء علي الغلاء وتعديل قانون ضريبة الأرض، وكانت هذه المذكرة بتاريخ ٣٠ / ٧ / ١٩٦١ م (للمزيد حول مقررات هذا الأجتماع راجع مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ ص ٤٥٥).

بدايات الثورة

لا مندوحة من الأقرار بأن بداية الثورة الكردية وانطلاقها كان يغلب عليه الطابع العشائري، فالعشيرة بنظامها المتماسك وعمقها التاريخي يجعل من العسير اهمال جانبها والقضاء عليها، وتتبلور هذه الصعوبة في المجتمع الكردي أكثر من غيرها. إن جغرافية كردستان الجبلية العاصية قد عمقت جذور السلوك القبلي مما يتعسر قيادتها، وبهذا الصدد يقول ابن خلدون في مقدمته:

ان الأوطان الكثيرة القبائل، قل ان تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء، وأن وراء كل رأي منها هوي وعصبية تمانع دونها فيكثر الأنتفاض علي الدولة والخروج عليها في كل وقت، وأن كانت ذات عصبية لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة[٢٣].

تبقى العشيرة الكردية اكثر رسوخاً وتقوقعاً على نفسها بفضل التضاريس الجغرافية فيصعب معها لمّ شملها وخضوعها لسلطة مركزية.

وفي بداية الثورة الكردية كان من الطبيعي ان تكون العوامل القبلية أقوى من الروابط القومية والوطنية، وهناك التنافس والتناحر بين العشائر المجاور وأحياناً التناحر ضمن العشيرة الواحدة او بين افخاذها، وهذه الحالة كان لها التأثيرات القوية على بداية الثورة الكردية وحتى على مجمل سيرورتها عبر السنين الطويلة. إن هذه العشائر - في الغالب - تحركها مصالحها، ويغلب على سلوكها الميلان مع الجانب القوي، ولكن ينبغي ان نعلم ان



البارزاني في معاقل جبال كردستان
سنة ١٩٦٣

شرائح كثيرة من هذه العشائر يهمها الشعور القومي والوطني وتؤمن في مبادئ الثورة، ويجري حراكها وفق هذا المنظور، وهناك عشائر كردية كثيرة تتحرك في هذا الأطار ولنا في عشيرة البارزاني ما يؤيد هذه النظرية.

العداء بين العشائر لها دورها في موقف العشيرة فإن التحقت هذه العشيرة مع الثورة الكردية فإن العشيرة الخصم تلتحق بالحكومة، والعكس صحيح. وهناك موازنة تجري في العشيرة الواحدة فرئيس العشيرة الموالي للحكومة يسمح لأخيه بالألتحاق في صفوف الثورة، وإن خسارة اية جهة سوف لا تفقد العشيرة كل اوراقها، وهكذا تبقى الحسابات العشائرية قائمة، ولكن يبقى لها دور كبير في مجمل سيرورة الثورة.

ينبغي في كل الأحوال الا نهضم حق العشيرة الكردية وما قدمته من تضحيات جسام وخاض مقاتلي العشائر معارك طاحنة، وجسدوا الشجاعة والبسالة في المعارك التي خاضوها، وشكلوا الدرع القوى للثورة في مواقف كثيرة وكما يقول مسعود البارزاني بأن جمهرة العشائر التي آمنت بمبادئ الثورة والتحقت بصفوفها قد اظهرت جدية وحمية وتضحية واستعداداً للقتال يضاهي ما بدر من اعضاء الحزب ليصدق فيهم قول المثل السائر ((المدفأة أحر من نارها)) وقد جرى هذا الأنقلاب الأعظم بعزمهم الصادق على القتال على

اختلاف النوايا والأغراض، ومع انهم ما كانوا يتصورون قط بأن أجل الثورة سيمتد الى هذه الفترة الطويلة ولا تكون بمثل هذه الشدة والعنف[٢٤].

تباينت التسميات والمصطلحات التي الصقت بمختلف فصائل الصراع، فالمقاتلين الأكراد في صفوف الثورة الكردية في نظر الحكومة هم متمردون وعصاة، والأكراد الموالين للحكومة والذين انخرطوا في صفوف القوات غير النظامية التي تحارب الثورة هم فرسان صلاح الدين والعرب المنخرطين في القوات غير النظامية لمحاربة الأكراد هم هم فرسان خالد ابن الوليد، اما المحاربين بصفوف الثورة فإنهم يطلقون على انفسهم مصطلحات: الثوار، الأنصار، لشكر، وبيشمركة، والأسم الأخير هو الذي طغي على بقية الأسماء وشاع استخدامه عبر وكالات الأنباء المحلية والعالمية. اما الأكراد الملتحقين بالقوات الحكومية فيطلق عليهم مصطلح المرتزقة والثوار الأكراد يطلقون عليهم مصطلح الجاش وهو تصحيف لمفردة الجيش لكن اريد به مصطلح مخفف من لفظة الجحش، ويطلق على هذه القوات على العموم مصطلح (جتا Chata) وهي القوات غير النظامية، وسوف استخدم هذه المفردة للتعبير عن التشكيلات الكردية غير النظامية التي كانت تعمل مع القوات الحكومية ضد الثورة الكردية.

ثمة أمور أخرى فإن قادة الثورة الكردية يعلمون بتفاصيلها اكثر من معلوماتي المتواضعة حينما كنت في صفوف الثورة في مطاوي الستينات، وفي يوم كان مقرنا في دير الربان هرمز، رافقت المرحوم أمين عبي وهو كردي شجاع من بيرموس. وخرجنا من الدير باتجاه القوش وكانت حوالي الساعة الرابعة مساءً، ولم يصرح لي أمين وجهتنا، واعتقدت اننا ذاهبون الى القوش، لكن علينا ان ننتظر اكثر من ساعتين لكي تغيب الشمس وندخل القوش. لكن قبل خروجنا من وهدة الدير بدأنا نتسلق الجبل نحو ربية في قمة جبل القوش الى الجانب الشمال الغربي وكان في هذه الربية قوات (الجتا) التابعين لعبد الله الشرفاني من مريبة، فاستغربت الأمر هل سنهجم على الربية؟ ولماذا نحن الأثنين فقط؟ وهل هناك قوة أخرى تحيط بالربية لا أعلم بها؟

كل هذه الأسئلة راودتني ولم استفسر من أمين عن هدفنا، ولكن أنزلت الرشاش من كتفي وحملته في يدي. فلاحظ ذلك أمين وقال: أحمل سلاحك على كتفك ولا داعي لحمله بيدك. وبعد قليل وصلنا الى (الجتا) وكان الترحيب الحار وشربنا الجاي، وتفاهم أمين معهم باللغة الكردية، وعلمت انهم يتكلمون عن كميات الحنطة وعن بعض الأعتدة بضمنهم أشار الى الرشاش الروسي (دكتريوف) الذي كان معي. وعن حاجتنا الماسة الى هذا العتاد.

والملاحظ هنا ان كثير من اوساط هذه التشكيلات كانت توصل الى الثورة أرزاق وأعتدة، منها بدافع وطني وأخرى بدافع نفعي مادي.



ملا مصطفى البارزاني سنة ١٩٥٨ بعد
عودته من الأتحاد السوفياتي

اراد الحزب الديمقراطي الكردستاني اختبار قوته في ضوء الظروف المستجدة على الساحة فاعلن ان يكون يوم السادس من أيلول يوم إضراب عام في انحاء كردستان، فأغلقت الأسواق ابوابها وعطلت المعامل والورشات وسارعت الحكومة الى كسر الأضراب بالقطعات العسكرية المرابطة في المنطقة.

في يوم ١٠ ـ ١١ أيلول قرر عبد الكريم قاسم تحريك قطعات من الجيش الجيش العراقي المرابط في كركوك في مسيرة سلمية باتجاه السليمانية تهدف لفتح الطريق ولعرض القوة امام التجمعات العشائرية، وفعلاً تم فتح الطريق بسهولة. وكانت القوات الحكومية تتقدم بسهولة في مختلف المناطق منها السليمانية وأربيل ودهوك ولاذ الثوار بشعاب الجبال القريبة من المدن. لقد كان هذا التقهقر بمثابة الأنذار لمراجعة الأوراق ولوضع خطة عسكرية مدروسة لمواصلة العمل العسكري.

في مجمل الخطة الحكومية كانت منطقة بارزان تشغل حيزاً كبيراً في خطتها الرامية الى بسط نفوذ الحكومة في كل أرجاء كردستان. ولكن يبدو ان لمنطقة بارزان خطة اخري تختلف عن مثيلاتها،ففي ١٦ أيلول أي بعد قيام الثورة الكردية بأيام حاول عبد الكريم قاسم إعطاء درس قاس لبارزان وهكذا بدأت طائرات الميك ١٥ و١٧ بقذف حممها على قرية بارزان وبعض القري المجاورة الآمنة، واستمر القصف لمدة سبعة أيام متتالية فخربت البيوت واشتعلت

الحرائق، أما اهالي القرى فلهم تجربتهم، حيث يتركون منازلهم في غرة الفجر ويعودون اليها بعد غياب الشمس، فالطيارين في تلك الفترة لم يتدربوا علي القصف الليلي. فكان الناس الأبرياء يخلدون الى الراحة في قراهم في الليل آمنين من القصف الجوي.

بعد ان حققت القوات الحكومية النجاحات في الجبهات المختلفة توجهت الى منطقة بارزان فبعد القصف الجوي المركز عكفت القوات الأرضية منها قوات نظامية وأخري (للجتا). وكان الخطة العسكرية تتلخلص بالزحف نحو بارزان من محورين. الأول من الجنوب الغربي أي من عقرة الى سري عقرة مروراً بسهل النهلة ثم الى جبل بيرس وبعد عبور نهر الزاب الكبير تتوجه القوات نحو بارزان.

أما المحور الآخر وهو محور الجنوب الشرقي من رواندوز ميركسور ثم تلتقي مع القوات الأخرى لاحتلال بارزان.

كانت معركة البارزانيين معركة مصيرية، ففي قاطع ميركسور المواجه للرتل الثاني كان محمد أمين ميرخان ميركسوري في القيادة وقد نجح في وقف زحف القوات العراقية علي حدود مزني. لكن اعنف المعارك حدثت في (دشتة دنهلة) أي سهل نهلة او وادي نهلة حيث كانت هذه القوات تحت أمرة ملا مصطفى البارزاني مباشرة، لكن هذه القوات كانت تفتقر الى أجهزة لاسلكية كافية لقيادة وتنسيق العمل علي هذه المساحة الواسعة، وفي هذه المعركة حوصر ملا مصطفى البارزاني مع عشرين من المقاتلين حصاراً محكماً إذ ألفي نفسه واقعاً بين الجاش (الجتا) وبين القوات النظامية وكانت نجاته اشبه بمعجزة وأستشهد قائد حرسه الخاص الشجاع ميرزا آغا رشو شيرواني.. وبقيت جبهة بارزان وحدها ميداناً للعمليات العسكرية بعد ان خيم الهدوء علي باقي الجبهات.. وفي بغداد عقد عبد الكريم قاسم مؤتمره الصحفي المعروف في الثالث والعشرين من أيلول ١٩٦١ معلناً نهاية الثورة او (التمرد) كما وصفه٢٥.

تحييد بارزان لمصلحة الثورة

بقيت منطقة بارزان وحدها ميداناً للعمليات العسكرية حينما خيم الهدوء على سائر مناطق كردستان، وبعد ان أدركت الحكومة اهمية منطقة بارزان كثفت من جهودها لاحتلالها معتقدة ان القضاء على بارزان يعني نهاية القضية الكردية، وكان من رأي الشيخ أحمد البارزاني بعد المداولة وتبادل الرأي مع أخيه ملا مصطفى البارزاني ان تبقى بارزان منطقة حياد ومن أجل ذلك يعلن عن وقف القتال في جبهة بارزان تمهيداً لأجراء مفاوضات مع حكومة عبد الكريم قاسم، مع اخلاء منطقة بارزان من قواعد البيشمركة. ومع الموقف الجديد الذي حصل في منطقة بارزان طلب عبد الكريم قاسم من شيخ احمد البارزاني القدوم الى بغداد ثم شرعت

قوات الجيش العراقي بالدخول الى منطقتي ميركسور وبارزان، وكان من ضمنها فوج من اللواء الثالث المشاة بقيادة العقيد وهبي، وقوات اللواء الخامس بقيادة العميد (الزعيم) حسن عبود، وكان لهذا القائد موقف نبيل. إذا تجمع شمل العوائل البارزانية من كل المناطق الى ميركسور وبارزان، وفي هذه الأثناء كانت هناك محاولات لإذكاء العداوات القديمة بين البارزانيين وبين فصائل (الجتا) الذين يرافقون وحدات الجيش الداخلة الى المنطقة.

وقد هم بعض قوات (الجتا) من السورجيين والزيباريين بإيقاد نار الفتنة والأعتداء على البارزانيين إلا ان العميد حسن عبود اتخذ موقفاً حازماً وحال بينهم وبين ذلك، امر بطردهم من المنطقة ومن هنا كان منشأ العداء بين هذا القائد العسكري وبين بدرالدين علي وهو المسؤول عن (الجتا) في تلك المنطقة. وحفظ البارزاني لحسن عبود هذه المأثرة فحال بينه وبين المصير الذي بيته له الحكام البعثيون بعد حكم الأعدام الذي اصدروه بحقه عندما جاءوا الى الحكم في الثامن من شباط ١٩٦٣ وحفظ له حياته. لم ينسى البارزانيون لهذا القائد تلك المأثرة وهم يذكرونها له دوماً[٢٦].

اعتبرت الحكومة تحييد بارزان نصراً معنوياً واستراتيجياً كبيراً، واحترمت السلطة تعهد الشيخ احمد بإشاعة الهدوء والأستقرار في المنطقة فأقدمت الحكومة على سحب القوات العسكرية من هذه المنطقة، والي جانب ذلك فقد كان ثمة اتفاق وتفاهم بين ملا مصطفى وأخيه الشيخ أحمد ان تبقى هذه المنطقة بعيدة عن العمليات القتالية حتى إذا فشلت المفاضات مع الحكومة، وقد تبين فيما بعد، كم كانت هذه الخطوة صائبة وأسدت للثورة ولديمومتها فوائد جمة. لقد خلت المنطقة من قوات (الجتا)، اما القوات الحكومية بموجب الأتفاق بين الشيخ أحمد وعبد الكريم قاسم فإن وجودها سيكون مؤقتاً، وفعلاً أجليت هذه القوات من المنطقة فيما بعد لتكون ما يطلق عليها منزوعة السلاح، او خارج نطاق العمليات العسكرية ويوم احتاج ملا مصطفى البارزاني لعبور نهر عند منطقة مندان للتوجه نحو منطقة سوران، كان من المتعذر قطع تلك المعابر لتحشد قوات حكومية فكان البارزاني ان اضطر الى خرق الأتفاق مع الشيخ أحمد حيث سمح لقواته بالعبور من منطقة بارزان وكما سيأتي في فقرات قادمة.

يبدو ان كل الأطراف: الحكومة والفصائل الكردية المسلحة بقيادة ملا مصطفى البارزاني وأخيه الشيخ احمد البارزاني، كل طرف من هذه الأطراف كان يرى في هذا الوضع يصب في مصلحته، فالحكومة ترى في منطقة بارزان بأنها من المناطق الساخنة وتحييدها عسكرياً يكون في صالحها.

ثمة جانب يتعين علينا ملاحظته وهو ارتباط الفرد البارزاني بالآصرة العائلية وحرصه على ان يأخذ وضع العائلة ويحاول ان يؤمن لها قدراً ممكناً من الأستقرار والمعيشة، وقد لا حظنا



الشيخ احمد البارزاني وملا مصطفى البارزاني اللقاء في بغداد عام ١٩٥٨

في هذا الجانب كيف كانت هجرة البارزانيين الجماعية بضمنها المقاتلون والنساء والأطفال، وكيف ان ملا مصطفى البارزاني حينما قابل أحد الألاقشة عنّفه لأنه نجا بنفسه تاركاً عائلته، ومن هذا المبدأ فإن المحافظة علي العائلة يعتبر اولويات الثورة الكردية، ويقول بهذا الصدد جرجيس فتح الله المحامي:

بالنسبة للثوار فقد بقيت عائلاتهم بأمان وهم بها على دوام صلة وبينها أسرة ملا مصطفى، أما بالنسبة الى قاسم الذي كان يعشق المظاهر، ولاسيما ما يتعلق بهيبته كان قانعاً راضياً بأن يبدو زعيم بارزان الأكبر بقريته وعشيرته مخلصاً له يرسل اليه برقيات التهاني في المناسبات كغيره من زعماء القبائل الكردية، وأن يبدو ملا مصطفى وكأنه منشق بأفراد قلائل من باقي العشيرة. ولاشك ان الشيخ احمد البارزاني الذي بلغ أراذل العمر (توفي سنة ١٩٦٩) ونال منه السجن لم يكن في وضع يساعده علي حمل السلاح الذي يعني تشريد نساء العشيرة وأطفالها.. علماً ان الشيخ أحمد بقي طول حياته يشك في حكومات بغداد وحسن نياته بعشيرته وبالكرد. أن يفرد قاسم بعطف خاص او يعلق على سياسته أملاً. ويختم فتح الله كلامه بقوله: يمكن التأكيد بأن ملا مصطفى ما كان يستطيع ان يخطو خطوة واحدة خارج بارزان لو لم يعطه الشيخ (خدان) بارزان الضوء الأخضر[٢٧].

المصادر وملحق وثائقي:

١ ـ شاكر محوي: البارزاني وشهادة التاريخ، مقال بعنوان: الأسم الذي اصبح رمزاً للنضال ص١٤٥

٢ ـ رينيه موريبيس " كردستان او الموت ص ١٣٣ و ص١٣٠ ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، دراسة وتحليل جواد ملا، مطبوعات، كردولوجيا، لندن ١٩٨٦م.

٣ ـ (هادي حسن عليوي " الأحزاب السياسية في العراق ص ١٣٩.

٤ ـ هادي حسن عليوي " الأحزاب السياسية ص ١٤١

٥ ـ هادي حسن عليوي " المصدر نفسه ص ١٤١

٦ ـ الدكتور خليل جندي " حركة التحرر ص ١٠٢

٧ ـ جرجيس فتح الله: العراق في عهد قاسم ج٢ ص ٧٣١

٨ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٢ ص٣٦

٩ ـ هادي حسن عليوي: الأحزاب السياسية في العراق ص ١٤٥

١٠ ـ موسى السيد علي: القضية الكردية في العراق من الأستنزاف.. ص٤١

١١ ـ جواد ملا: كردستان والكرد وطن مقسم وأمة بلا هوية.. ص٨٨ تقديم د. جمال نبز، دار الحكمة، ط ٢ لندن سنة ٢٠٠٠م.

١٢ ـ جرجيس فتح الله المحامي: العراق في عهد قاسم ج٢ ص ٨٤٢

١٣ ـ أوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٤١٩

١٤ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٤٢٠

١٥ ـ اوريل دان: االمصدر نفسه ج١ ص ٤٢٠

١٦ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية الجزء الثالث ج٣ ص ٢٢

١٧ ـ د. فاضل البراك: مصطفى البارزاني.. ص ١٧١

١٨ ـ صلاح بدر الدين: القضية الكردية والنظام العالمي الجديد ص ١٢٩ ـ رابطة كاوا للثقافة الكردية، بيروت ط١ سنة ١٩٩٣م.

١٩ ـ صلاح بدر الدين: القضية الركدية والنظام العالمي الجديد ص ١٢٩

٢٠ ـ م. س. لازاريف وآخرون: تاريخ كوردستان، ترجمة د. عبدي حاجي ص ٢٧٩ اربيل ٢٠٠٦

٢١ ـ خليل جندي: حركة التحرر الوطني الكردستاني ص١١٥ ـ ١١٦

٢٢ ـ د. عبد الفتاح علي يحي البوتاني: وثائق عن الحركة القومية.. ص ٧٤

٢٣ ـ مقدمة ابن خلدون ص ١٤٧

٢٤ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٢٤

٢٥ ـ مسعود البارزاني: البارزاني ج٣ ص ٢٩

٢٦ ـ مسعود البارزاني: البارزاني وحركة ج٣ ص ٣٢

٢٧ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ حاشية ص٤٢٣

ملحق وثائقي للمرحلة منذ انبثاق ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الى سقوطها يوم ٨ شباط ١٩٦٣م.

الوثيقة رقم ١

ـ من صحافة ثورة ثورة ايلول ١٩٦١م.

بعد ان اغلقت الحكومة جريدة خه بات / النضال / اضطر الحزب الديمقراطي الكردستاني الى أصدار منشوراته وصحفه بشكل سري، فصدرت جريدة صوت كردستان في آب ١٩٦٢ من قبل تنظيمات البارتي وباللغة العربية وكانت على شكل كراس. لقد مجدت هذه الجريدة ملا مصطفى البارزاني والثورة الكردية وانتقدت اعمال الحكومة العراقية.وما جاء في العدد الأول منها في آب ١٩٦٢م.

ـ لتخفق عالياً وعلى الدوام راية حزبنا المجاهد.. (ألأفتتاحية).

ـ الرأي العام العالمي يتابع باهتمام تطورات ثورة شعبنا البطل ضد الكتاتورية والرجعية.

ـ ذكري ثورة بارزان تلهمنا النضال الدائب في طريق المجد والشرف لنيل حقوقنا الديمقراطية العادلة.

ـ مقتطفات من مجلة منظمة حزبنا في اوروبا.

ـ تحية الى أرواح شهداء فصائل الأنصار الوطنية في كردستان.

ـ البارزاني يهنئ بن خدة (رئيس وزراء الجزائر حينذاك). ومن الشعارت التي نشرتها الجريدة وبالخط العريض هذا الشعر:

النصر لثورتنا الظافرة بقيادة البارزاني.

... واشارت الجريدة الى وصول العدد الأول من مجلة منظمة البارتي في اوروبا والصادر في مايس ١٩٦٢.. ومن أهم ما نشرته هذه المجلة مقررات اللجنة المركزية للبارتي في اجتماعها الأخير، والأنذارين الموجهين من قبل قائد الفرقة الثانية الى بارزان وأهالي كويسنجق، بتدميرها وكافة القرى المحيطة بها تدميراً تاماً إن لم يخضعوا لأوامر حكومة عبد الكريم قاسم.

ومن الخبار الداخلية التي نشرتها المجلة الرسالة التي وجهها المقدم بكر عبد الكريم الى

زوجته بمناسبة التحاقه بالثورة الكوردية والرسالة مؤرخة في ٥ تموز ١٩٦٢ نقتطف منها الفقرة الآتية " في الوقت الذي يقصف فيه العدو الغادر المناطق الكوردية بمختلف الأسلحة الفتاكة ويضرم النار في في قرى وقصبات كوردستان أري من العار والخيانة ان اتجول في شوارع بغداد وأنام في فراش وثير واخواني البطال يصارعون العدو ويخوضون معه معارك ضارية، وإنه من المخجل حقاً ان أحمل رتبة هذه الحكومة الغادرة، فعليه قررت التخل يعنها والأشمئزاز منها والتوجه نحو جبال كوردستان والألتحاق بفصائل الأنصار للنضال في سبيل الحرية او الموت دونها.. " (الدكتور عبد الفتاح علي يحي البوتاني: وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية ص ٦٠١ ـ ٦٠٢).

الوثيقة رقم ٢

المصدر: (عبد الفتاح على يحي البوتاني " وقائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية " ص ٩٧ ـ ٩٨).

مديرية شرطة لواء الموصل

القلم السري / العدد: ٦٢٤٣ بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٩٦١

الى متصرف لواء الموصل

م / وضع المخافر في منطقة الحركات

كتابكم ٢٧٤٩ في ١٠ / ١٠ / ١٩٦١

ندرج لسيادتكم أدناه المخافر والمراكز التي لا زالت في يد العصاة المتمردين والتي استردت منهم في مناطق الحركات للتفضل بالعلم.

المقدم اسماعيل عباوي مدير شرطة لواء الموصل

منطقة العمادية

١ ـ مركز كاني ماسي........................ بيد المتمردين

٢ ـ مخفر جلكي .... بيد المتمردين

٣ ـ مخفر سر زير .... بيد المتمردين

٤ ـ مخفر أوره .... بيد المتمردين

٥ ـ مخفر كري .... بيد المتمردين

٦ ـ مخفر وركل............................ بيد المتمردين

٧ ـ مخفر بيبو .... بيد المتمردين

٨ ـ مخفر نيروك سيتو.................... بيد المتمردين

٩ ـ مخفر نيروه عليا..................... بيد المتمردين

١٠ ـ مخفر بنكار .... بيد المتمردين

١١ ـ مخفر سوري......................... بيد المتمردين

١٢ ـ مخفر هاريك........................ بيد المتمردين

١٣ ـ مخفر سيان.......................... بيد المتمردين

١٤ ـ مخفر بيري.......................... بيد المتمردين

١٥ ـ مركز بامرني......................... استرد من المتمردين

١٦ ـ مخفر الداودية....................... استرد من المتمردين

١٧ ـ مخفر اسواره توكا.................. استرد من المتمردين

١٨ ـ مخفر قصركي....................... استرد من المتمردين

منطقة زاخو

١ ـ مركز السندي....................... لا زال بيد المتمردين

٢ ـ مركز سناط.......................... لا زال بيد المتمردين

٣ ـ مخفر مارسيس...................... لا زال بيد المتمردين

٤ ـ مخفر هوريز .... لا زال بيد المتمردين

٥ ـ مخفر دشناخ......................... لا زال بيد المتمردين

٦ ـ مخفر بهنونة.......................... لا زال بيد المتمردين

٧ ـ مخفر كشان........................... لا زال بيد المتمردين

٨ ـ مخفر نزاور............................ لا زال بيد المتمردين

٩ ـ مخفر درنق............................ لا زال بيد المتمردين

١٠ ـ مخفر قره غوله..................... لا زال بيد المتمردين

منطقة دهوك

١ ـ مركز زاويتة........................... استردت من المتمردين

٢ ـ مركز مانكيش........................ استردت من المتمردين

٣ ـ مركز زاخو.............................. استردت من المتمردين

٤ ـ مركز السليفاني........................ استردت من المتمردين

٥ ـ مركز الكلي .... استردت من المتمردين

٦ ـ مخفر فيشخابور...................... استردت من المتمردين

وثيقة رقم ٣

وهذه الوثيقة تنقل تصورات احد الأسرى الذين اطلقت الثورة سراحهم، وهو يدخل الأمن والأطمئنان الى قلوب الذين يحققون معه، وهذا واضح عما ورد في الوثيقة. نفس المصدر السابق ص٩٩

لاسلكية طارئة جداً

الي الداخلية. الحاكم العسكري العام. راح، سكرتير سيادة الزعيم. ض ر القيادة العامة فق٢، طيران دفاع والحركات، الأستخبارات، الشرطة العامة، الأمن العامة، متصرف كركوك، متصرف أربيل، متصرف السليمانية، قائمقام العمادية، قائمقام زاخو، مدير شرطة لواء الموصل.

من ـ متصرف لواء الموصل

الرقم ٣١٤٣ بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٩٦١

إن آخر النباء تدل علي ان الملا مصطفى وعصابته قد اتجهوا نحو الغرب وأخلوا جميع القرى التي سبق وأن احتلوها وأطلقوا سراح اسيرين كانا قد القوا القبض عليهما في قرية هيسي.. ويقول احد الأسرى من النيروه، ان اتباع الملا بان معنوياتهم منهارة وهم في أسوأ حال ويبلغ عددهم مع العوائل حوالي السبعمائة.. ويقول ايضاً لقد طلب الملا من الحكومة الأيرانية قبوله كلاجئ سياسي فرفض طلبه واتصل بالحكومة التركية لنفس الغرض فرفضت ايضاً، فاتجه نحو سوريا وهو لا يدري هل انها ستستقبله او بالعكس.. مكرر قائمقام العمادية لأرسال قوة من الموالين بالسيارات الى بامرني والسندي لقطع الطريق عليهم وتعقيب فلولهم بغية تأسيرهم او القضاء عليهم.. مكرر قائمقام زاخو لنفس الغرض.

علي مدير الشرطة ارسال خمسة عشر سيارة لوري الى العمادية الآن لنقل الموالين والشرطة غير النظامية الى بامرني والسندي.

مكرر الى فق٢ نري من المستحسن القيام بالأستطلاع الجوي على منطقة انسحابهم صباح الغد.

انبئونا.. ونرجو من الداخلية ابلاغ مضمون هذه البرقية الى المراجع المختصة اعلاه ونرجو من متصرفية كركوك ايلاغ مضمونها الى فق٢

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

وثيقة رقم ٤

هذه الوثيقة تبطل مفعول الوثيقة السابقة التي تميزت بمعلومات ساذجة أخذ بها المتصرف مع اعلى المستويات العسكرية والمدنية في المنطقة وهذه الوثيقة تقول: المصدر السابق ص١٠٠

لاسلكية طارئة جداً

الي / فق٢ رئيسي

للمعلومات ـ الداخلية، قائمقام الشيخان، قائمقام دهوك، آمر ف١ احتياط الموصل.

من ـ متصرف لواء الموصل

الرقم ٣٧٧ بتاريخ ٢٢ / ٢ / ١٩٦٢

برقية قائمقام الشيخان ٧٨٢ في ٢٢ / ٢ احتل الشقاة القرى المحيطة بمريبا وقطعوا الطرق والمسالك عنها. ما زالت المصادمات مستمرة بين قواتنا في مريبة والموالين من جهة والمتمردين من جهة ثانية.

يطلب آمر فص٦ في مريبا نجدتهم بإرسال قوات عسكرية ومدرعات لأنقاذ الموقف.. نرجو اتخاذ الأجراءات الفورية لتدارك الموقف وضرب المتمردين بشدة وإعلامنا..

مكرر قائمقام الشيخان وآمر فص٦ مريبا اتصلنا بالمراجع المختصة حول موقفكم ستصلكم الطائرات، استعملوا الشقق الأرضية ستقوم الفرقة بتنفيذ طلباتكم.

نرجو من الداخلية ابلاغ حل هذه البرقية الى الرماجع المختصة ومن قائمقام دهوك ابر غ حلها الى ل١١ وآمر قوات الشرطة في دهوك ومن آمر ف١ احتياط الموصل اعاطها بالجفرة الخاصة بكم الى فص ٦ في مريبا حالاً.

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

وثيقة رقم ٥

التحرير سري للغاية (المصدر السابق ص١٢٠)

العدد ق. س / ٩٩٥ الحاكم العسكري العام

التاريخ ١٣ / ٧ / ١٩٦١ وزارة الداخلية

الموضوع / معلومات

يؤخذ من اللغط والهمس الذي يدور في المنطقة بأن احداث جديدة ستقع في المنطقة الكردية بمناسبة ١٤ تموز، وهناك شائعات لم تتأكد صحتها بان البارتيين ومن يتبعهم من العناصر الفوضوية يساندهم اليزيديين سيعلنون الأنفصالية إن عاجلاً او آجلاً وفقاً لمخطط منظم من قبل البارتيين الذين يتبعون الفكرة الأنفصالية. هذا وبناءً علي المعلومات التي استقصيناها ان البعض من رجال القرى، أخذوا يتسللون الى المناطق التي يشاع فيها بأن اصطدامات مسلحة ستقع بين البارتيين والعناصر الكردية المناوئة لهم.

كما ان المعلومات المستقاة لدينا ان العناصر المناوءة للحركة البارتية مستعدة للوقوف بجانب الحكومة بإجراءاتها في حالة حصول شئ مما ذكر اعلاه وإنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي في حالة وقوع أي اعتداء عليهم او على السلطات الحكومية، هذا ولا زلنا مراقبين عن كثب للتأكد مما يستجد في الموضوع.

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم (٦) (المصدر السابق ص ١٢١)

الي / وزارة الداخلية

للمعلومات: رئاسة اركان الجيش، الحاكم العسكري العام، الأستخبارات، الأمن العام، الشرطة العامة، القوة بغداد، متصرفية اربيل، قيادة فق٢، آمر جحفل ل١١، مدير شرطة الموصل، آمر قوات الشرطة في الموصل

من / متصرف لواء الموصل

الرقم: ١٣٢٨ بتاريخ ١٠ / ٩ / ١٩٦١

تدور إشاعات قوية بأن البارتيين سيعلنون العصيان ليلة ١١-١٢ / ٩ / ١٩٦١ في كافة الأقضية الشمالية.

إننا نميل الى تصديق هذه الأشاعات لأن الأعمال التي قاموا بها منذ يومين ستؤيد ذلك..

حاولوا يوم أمس قطع طريق دهوك الموصل واليوم قطعوا طريق الموصل زاخو وطريق الموصل العمادية.. كما وإن العصاة يقومون باحتلال المناطق المشرفة على الطريق العامة في جميع هذه المناطق.

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ٧

(المصدر السابق ص١٢٤) وهي حول تصدي قوات الثورة لفصائل (الجتا) الموالين للحكومة.

من متصرف اربيل الى الداخلية

العدد ٢٤٠٩ بتاريخ ١٤ / ١٠ / ١٩٦١

الموقف مساء يوم ١٤ / ١٠ في منطقة برادوست القتال مستمر بين الملا مصطفى البارزاني وبين الهركيين وبرادوست وموقفهم دفاعي لتوارد النجدات الى الملا مصطفى، وبلغ مسلحيه أكثر من ٨٠٠ مسلح ولا تزال النجدات تتوارد من منطقة شيروان وبارزان.. الشيخ احمد البارزاني يطلب أيقاف العشائر لجلب اخيه وهو يراوغ دوماً لاكتساب الوقت وأخيه يقاتل خارج منطقة بارزان.

في باقي انحاء اللواء الموقف هادئ، يرجى من الداخلية تكرار مضمونها الى المراجع المختصة، مكرر متصرف كركوك لأعطاء مضمونها الى فق٢ وأمن كركوك، مكرر متصرف لواء الموصل، مكرر متصرف لواء السليمانية للعلم.

الوثيقة رقم ٨

المصدر نفسه وهي حول نفس الموضوع في القتال الناشب بين الثوار الأكراد و(الجتا) الموالين للحكومة.

من متصرف اربيل الى الداخلية

العدد ٢٤٥١ بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٩٦١

الموقف لمساء يوم ١٦ / ١٠ في برادوست، لا زال لاقتال يدور بين العشائر الموالية وبارزان.. في صباح هذا اليوم هاجمت قوة فتاح هركي قرية كردكل وتمكنت من احتلال بعض الربايا وأعطت خسائر قتلى اثنان وجرحى اثنان وخسائر بارزان ستة اشخاص وتمكن الشقاة من الأحتفاظ في مواقعها في كولك وبنوك، وعصر هذا اليوم تقدمت قوة رشيد لولان من منطقة خواكورك وحاصرت الشقاة في قرى سيفخان وبيوك ودراجة وتمكنت من السيطرة

على جهة الحدود لمنع هروب الشقاة الى ايران..

قوة محمود خليفة تقدمت نحو خواكورك وتمكنت قوة هركي من طرد الشقاة من قريتي كوردين وكوالين وطردتهم نحو قريتي بيران وبابكة..

في خوشناو قام الشقاة بضرب قرية كونة فلوسة ودلوها وتقدر قوتهم بمائة مسلح قدموا من رانية. يرجى من الداخلية تكرار مضمونها الى المراجع المختصة، مكرر كركوك لاعطاء مضمونها الى فق٢ مكرر متصرف الموصل مكرر متصرف السليمانية للعلم.

الوثيقة رقم ٩

إن هذه الوثيقة تبين مدى اهتمام الجهات الأمنية بجمع المعلومات عن المنتمين الى حزب البارتي، وكان ذلك قبل اندلاع المعارك، ويبدو ان المعلومات كانت يجري جمعها قبل مدة طويلة من هذا التعميم الذي يقول:

الي قائمقامي الأقضية كافة عدا الموصل ,..

من ـ متصرف لواء الموصل

العدد ١٠٢٦ بتاريخ ٢٤ / ٧ ١٩٦١

أخبرونا اليوم عن اسماء الأشخاص المنتمين الى الحزب البارتي والذي يخشي منهم علي امن الجمهورية، يصلنا الجواب قبل انتهاء الدوام الرسمي.

سري جداً

صورة منه الى قائمقام الموصل لنفس الغرض رجاءً

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ١٠

صورة كتاب مديرية شرطة تلعفر المرقم ٣٢٤ في٣١ / ٧ / ١٩٦١ (المصدر السابق ص ١٢٦ ـ ١٢٧).

الى ـ مدير شرطة لواء الموصل

الموضوع / شراء أسلحة مهربة

نحيط سيادتكم علماً بأننا استخبرنا موثوقاً من ان بعض الأكراد البارتيين ومن عشيرة المزوري التابعين لجماعة عبد العزيز الحاج ملو يترددون الى قصبة تلعفر والقرى المجاورة

ولدي التحقيق السري ظهر انهم يحضرون الى منطقة تلعفر بقصد شراء الأسلحة بواسطة اولاد من عشيرة الجرجرية ويقوم كل من المهربين رحنا فرج من سكان محلة حسكوي وعلو ابراهيم توركي من سكان محلة الصوفي قصبة تلعفر بشراء الأسلحة لهم وقد اوعزنا الى معاون شرطة تلعفر بالأهتمام للقبض علي المشتبه بهم وأجراء التحريات الأصولية بعد استحصال موافقة حاكم التحقيق بدور الأشخاص الذين يتعاطون بيع وشراء ألسلحة في تلعفر للتفضل بالعلم ونرجو:

١ ـ الأمر الى معاون الشيخان بالتحقيق الدقيق الذي يسلكه الشخاص من عشيرة المزوري بقصد الوصول الى تلعفر عدا الطريق العام وعدم فسح المجال لهم.

٢ ـ الأمر الى مدير شرطة البلدة بتحديد مراقبة التفتيش في نقطة باب سنجار وعلى الطريق العام المؤدي الى الشيخان والتأكد من هوية الأشخاص القاصدين تلعفر (وإلقاء القبض ـ المؤلف) على المشتبه بهم والتحقيق معهم عن اسباب مجيئهم وفق المادة (٢٤) من الأصول.

٣ ـ نرجو التوسط بمفاتحة الجهات المسؤولة حول ابعاد رحنا فرج وعلة ابراهيم تروكي علماً ان تحقيقاتنا ومراقبتنا مستمرة بالمحافظة على الأمن والنظام.

التوقيع / محمد وجيه فليح

مدير شرطة تلعفر

صورة الي:

مدير أمن لواء الموصل ـ نرجو الأمر بزيادة مراقبتكم في قصبة تلعفر.

قائمقام قضاء تلعفر ـ للعلم وتأييد ما جاء بالفقرة الثالثة اعلاه رجاء.

معاون شرطة تلعفر ـ إشارة لمكالمتنا الشفهية اليوم يرجى الأهتمام بالتحقيق والقبض على المشتبه بهم وأعلامنا نتيجة تحرياتكم والأيعاز الى مأمور مركز زمار لمراقبة المعابر ضمن منطقة مركزه.

معاون الشورة ـ نرجو الأهتمام بما جاء اعلاه ومراقبة المعابر الموجودة ضمن منطقتكم وإعلامنا.

معاون مسلحات تلعفر ـ يرجي الأيعاز الى نقطتي التفتيش في الكسك وحكنة للقبض على المشتبه بهم للتعاون معنا في هذا الشأن.

الوثيقة رقم ١١

من متصرف لواء الموصل الى / الداخلية (المصدر السابق ص١٢٩)

العدد ١٣٧١ بتاريخ ١١ / ٩ ١٩٦١

أخبرنا قائمقام العمادية تلفونياً بأن مدير ناحية نيروه وريكان السيد رشيد طالباني قد قتل وفراش الناحية. أخذت التحشدات تزحف نحو العمادية وهي على وشك السقوط بأيدي العصاة. نرجو الأيعاز الى القوة الجوية ووحدات الجيش بوجوب القيام فوراً بالعمل لانقاذ القضاء والموظفين. ابؤونا وقد أبرقنا بهذه المعلومات الى الحاكم العسكري العام وفق٢ وجحفل ل١١ لمستعجليتها.

نرجو اخبار المراجع الأخرى بذلك.

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ١٢

الي وزارة الداخلية ورئاسة اركان الجيش ومدير الحركات وقائد الفرقة الثانية وآمر جحفل١١ وللمعلومات قائمقام العمادية (المصدر السابق ص ١٣٠)

من متصرف لواء الموصل

الرقم ١٤٠٤ بتاريخ ١٢ / ٨؟ / ١٩٦١

الحاقاً ببرقيتنا ١٤٠١ في ١٢ / ٩ فيما يلي برقية قائمقام العمادية فوق العادة في ١٢ / ٩ نقطة تبتدئ اننا محاصرون ولدينا الربايا في المستشفي والسراي الحكومي والمدرسة المجاورة له وبناية البلدية المقابلة للسراي، أما باقي بيوت القصبة فإنها مملوءة بالمتمردين وقد اشتد رميهم علينا بعد انصراف الطائرات خاصة في البيت المقابل للمستشفي ودار القائمقام والدور الأخري المجاورة لحوض الماء شمال المدينة وهو اعلى بيت في المنطقة ويشرف على المدينة وقد قتل مؤخراً أحد افراد شرطة القضاء في البيت المقابل لدار القائمقام كما اصيب المعاون عبد الهادي عباس الوعاب في القوة وشرطي آخر من المحلية بجراح في نفس الدار المقابلة لدار القائمقام، نرجو إعادة القصف الجوي علي الدور والأسراع بأرسال قطعات عسكرية والعتاد اللازم والأرزاق على ان تصلنا هذا اليوم، موقفنا حرج للغاية. أنقذونا منتظرين نقطة انتهت، وبناء على ما جاء فيها نرجو أوامركم السريعة بتركيز القصف الشديد على القصبة ما عدا الأماكن المبينة في برقيتنا ١٣٨٨ في ١٢ / ٩ مع تزويد المدافعين بالعتاد والأرزاق جواً وانبائنا.

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الفصل الحادي عشر

الأنطلاق من الصفر

ايقنت الحكومة العراقية ان الثورة الكردية قد وأدت وهي في مهدها او قبل ولادتها، وكان ملا مصطفى البارزاني قد فكر ملياً في كيفية ولادة الثورة وإخراجها الى الوجود، وهي عملية تحتاج الى حكمة وأقدام وتضحية، وليس معقولاً ان يتقهقر المقاتلون بهذه البساطة مع اول إطلاقة للقوات الحكومية.

وكان لابد من مراجعة الذات والتعرف علي الأمكانات الحقيقية لتشكيل نواة تكون قادرة علي الصمود وشق طريقها نحو البقاء والأستمرارية، وهكذا أخذ ملا مصطفى البارزاني طريقه الى أقصي الشمال نحو قرية سيدان الواقعة الى شمال غربي بارزان حيث وصلها في العشرين من تشرين الأول، وأمر بأن يجتمع سائر فصائل البيشمركة في تلك القرية فكان عددهم حوالي الف مقاتل.

إن هذه اللحظة قد تكون شبيهة بتلك التي صمم فيها خوض غمار المسيرة التاريخية نحو الأتحاد السوفياتي في اواسط الأربعينات من القرن الماضي حيث خاطب رجاله بأنه يسير في طريق محفوف بالمخاطر ومن يريد ان يربط مصيره معه فليتبعه ومن يريد النجاة لنفسه



استقبال العشائر الكردية لملا مصطفي البارزاني في قلعة دزه عام ١٩٦٣

فليذهب الى حال سبيله. أجل كان يومذاك في العقد الخامس من عمره لكنه اليوم في العقد السابع، لكن تبقى المبادئ والأهداف وهموم المسؤولية التي تبعث في دواخله روح العزيمة والتصميم على مواصلة الطريق و لا سيما إنه اليوم على أرض الوطن، وهكذا استهل ملا مصطفى كلامه في الأجتماع بقوله:

أيها الأخوان: أنا شخصياً لا أعلم ماذا يخبئ لي المستقبل. على اني سأواصل المقاومة بأقصى ما أمكنني ولن أبارح كردستان. وفي حالة استنفاذ آخر مجهودي وعندما لم يعد في مقدوري المواصلة فسأتوجه الى سورية. ها إني كما ترون اخترت الموت ومن يختار الموت فليبق معي. وأضاف: وسأسير في هذا الطريق قدماً وليس معي غير ما أحمله من سلاح وعتاد ودراهم قليلة وهذا كل ما أملك. أولئك الذين يتحدون الخوف والجوع والبرد فليبقوا. ومن لا يتوقع مني شيئاً فليبق لأنني مثلكم لا املك مالاً ولا سلاحاً. وختم كلامه بقوله: أما اولئك الذين لا طاقة لهم باحتمال ما اوضحته من المتاعب فليذهب الى حال سبيله وعند الله ثوابه لفرط ما تحمل وتعب في سبيله. واريد أن أضيف الى هذا قولي نحن أمة مسلمة كردية مظلومة وجب علينا الدفاع عن حقوقنا وكرماتنا وسيكون من دواعي فخرنا وشرفنا ان نضحي بأرواحنا فداء لحرية شعبنا وفي هذه الأثناء التفت الى حسين جرجيس بيندورويي وهو من رفاقه الذين صحبوه الى المنفى في الأتحاد السوفياتي وكان قد أناف على السبعين وقال له:

أي حسين، لقد تقدمت بك السن فاذهب الى بيتك واسترح ولينب عنك أولادك. فرد عليه حسين قائلاً:

ملا مصطفى إني مع هؤلاء ولن أتحرك من موضعي ولن أعود الى بيتي. أما إذا رغبت أنت ان تعود الى منزلك فاذهب رافقتك السلامة[1]. هذا وقررالجميع المواصلة والبقاء مع ملا مصطفى البارزاني حتي النفس الأخير. وهكذا كانت هذه بداية حسنة إذ ان النوعية في تلك المواقف الصعبة مطلوبة أكثر من الكمية. فكان ان اتخذ البارزاني قراره بالأنطلاق نحو أرض كردستان لتحريرها.

طفقت العشائر وأبنائها لا تكتفي بإعلان ولائها فحسب إنما تقاطر رجالها بسلاحهم للأنضمام الى الثورة وكان في مقدمتهم ماقدمته عشيرة نيرويي، ثم كان هناك آخرون من عشائر: كَوران ومزوري زيري وبرواري زيري وآميدي، وهكذا كان بمقدور القيادة ان تنظم صفوفها ويجري توزيعها على المناطق في بهدينان. كما أعطيت اوامر صارمة وصريحة الى البيشمركة مع تعليمات ينبغي التقيد بها وهي:

١ ـ اجتناب دخول القرى بأية ذريعة كانت خشية تعرضها للقصف الجوي.

٢ ـ يمنع منعاً باتاً اغتصاب أي شئ، او انتزاعه بالقوة من أهالي القرى.

٣ ـ إطاعة الأوامر الصادرة من قيادتهم دون اعتراض او تردد.

٤ ـ عدم تبديد العتاد من غير طائل والأقتصاد التام بالذخيرة.

٥ ـ اتخاذ الأحتياطات التامة من القصف المدفعي والجوي.

٦ ـ الحرص على اختيار نقاط ضعف في العدو ومن ثم مهاجمته فيها.

٧ ـ ممنوع قتل الأسير او أيذاؤه أو إهانته بأي شكل كان.

٨ ـ ضرورة التعاون المتبادل بين مجموع القوات والمبادرة الى مساعدة قوة لقوة أخرى مشتبكة في قتال، ومن الضروري ان يلجأ الى حرب الأنصار بمجموعات صغيرة بهدف تقليل حجم الخسائر[٢].

تركزت العمليات في البداية في منطقة بهدينان وكان شتاءً ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ قاسياً على القوات الحكومية وفصائل (الجتا) الأكراد الملتحقين مع الحكومة في هذه المنطقة حيث تم تطهير مناطق كاني ماسي وتمت السيطرة علي منطقة برواري بالا ولم يعد وجود للسلطة المركزية هناك وكانت الخطة تقضي بتثبيت مقرات للبيشمركة في المناطق المحررة وتوسعت المناطق المحررة بفضل التحاق العشائر الكردية بالثورة منها الكَلي والسندي ودوسكي السفلى وبرواري السفلى، وكانت مساحة واسعة تمتد من حدود بارزان والحدود الدولية ونزولاً الى عشائر الريكان والنيرويي (ناروا وريكان) وبروالري السفلى والدوسكي العليا والكَلي والسندي فهذه المنطقة باتت تحت سيطرة البيشمركة ورغم سيطرة قوات البيشمركة على ناحية سرسنك لكن تبقي معركة كلي زاويتة هي أكثر أيلاماً بالنسبة الى القوات الحكومية حيث تكبت خسائر فادحة وأطاحت بمصداقية الأعلان الحكومي الذي زعم انه قضي على الحركة الكردية وهي في مهدها.

لقد كان لمعركة زاويته وقع كبير على القوات الحكومية ونقرأ عن ذلك ما كتبه المقدم سعيد حمو احد أمراء أفواج اللواء الحادي عشر يقول عن تلك المعركة:

لعلي لا أبالغ إن قلت بأن معركة زاويته كانت واحدة من المعارك الفاصلة في تاريخ ثورة أيلول منيت فيها القوات الحكومية ولأول مرة بمثل هذه الخسارة العظيمة في الأرواح والمعدات[٣]. لقد كانت هذه الأنتصارات حافزاً لرفع المعنويات وتطلب مراجعة الأوراق ووضع خطة واضحة للعمل، فدب النشاط في صفوف الحزب بعد ان ارتفعت المعنويات وعقد اجتماع للجنة المركزية للحزب في قرية عودالان وقرر في هذا الأجتماع تبني الشعار المركزي لحزب القائل:

الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان.



الخارطة رقم – ٢ تبيّن المناطق التي تّم تحريرها في ثورة أيلول

مفاوضات غير مجدية

الأستمرار بالنهج العسكري تكاليفه باهضة ويحمل في طياته مخاطر جمة ولهذا قد يكون التفاوض سبيلاً اسلم لإنهاء المشكلة وعدم استفحالها، ولهذا وافق عبد الكريم قاسم على ما قام به أحمد صالح العبدي رئيس أركان الجيش بتكليف العقيد حسن عبود آمر اللواء الخامس في الموصل بتولي مهمة التفاوض مع قائد الثورة الكردية ملا مصطفى البارزاني، وكان ذلك بتاريخ ١٧ / ١٢ / ١٩٦١م. عينت الحكومة للمفاوضين محلاً للأجتماع قريباً من سرسنك، إلا ان البارزاني لم يحضر في المكان المحدد بل بقي في موضع قريب من قرية بامرني، فبينما كان حسن عبود سالكاً طريقه نحو مكان الأجتماع كانت الطائرات العسكرية تحلق فوق سيارته العسكرية، وكان إرشاد الطائرات يتم من جهاز في سيارته، وعلم من ضابط ركنه ان ذلك يجري بمقتضى التعليمات الأمنية المبلغة اليه من وزارة الدفاع، وهكذا كان من بارزاني ان اضطر الى تبديل موضع الأجتماع كتدبير وقائي وطلب من عبود بصورة جازمة ايقاف عمل الجهاز والتحول الى سيارة أخرى الى ان وصلا الى القصر الملكي في سرسنك حيث حصر اللقاء بين الطرفين. وفي هذا الأجتماع عبر البارزاني عن استيائه عن

النعوت التي يطلقها عليه قاسم مثل: أجير، عميل، امبريالي، رجعي، خائن.. وقال البارزاني انه مستعد لترك العراق الى اية جهة يريدها قاسم بعد منح الأكراد حقوقهم لكي يتأكد عبد الكريم قاسم بأني لا أطلب لنفسي أية زعامة ولا يريد انفصال كردستان عن الجسم العراقي.

لكن المثير في هذه المفاوضات أن القصف الجوي بدأ عند بداية موعد الأجتماع لكنه تركز على المكان الذي كان متفقاً عليه في البداية. وبعد ان انتهاء المفاوضات استدعي حسن عبود الى بغداد وجرى له استجواب دقيق ومهين وسجن في وزارة الدفاع، وكان قاسم يتردد عليه في السجن إذ قال له في إحدى مقابلاته:

ـ حسن! أتقول إنك مخلص لي؟

أجل يا سيدي مخلص.

ـ كيف تقول مخلص في حين أنك لم تحاول قتل البارزاني أثناء اجتماعك به؟

كيف يتسنى لي قتله يا سيدي؟

ـ اسحب مسدسك واقتله.

إني اجتمعت به للمفاوضة تحت علم أبيض ولو حاولت أيضاً لما استطعت لأننا كنا محاطين بالحرس المسلح من كل الجهات. وكيف استعمل المسدس وقد تركوه معي تقديراً واحتراماً لي؟

تبين ان قاسم كان وراء القصف الجوي لمكان الأجتماع ليهلك فيه البارزاني ومفاوضه حسن عبود، ولهذا كان تقدير البارزاني صائباً في ان هناك مؤامرة على حياته[٣]. لاشك انه تفكير عسكري بحت حيث ان العقل العسكري سرعان ما يطفر الى ذهنه اولوية الحلول العسكرية ويرى فيها انها تختصر الطريق لحلحلة المنازعات.

لقد ارسل عبد الكريم قاسم وفداً آخراً يتكون من بعض رؤساء عشائر بشدر وكان ذلك يوم ١٥ آذار عام ١٩٦٢ وكان قد أصدر قبل هذا التاريخ بأيام عفواً عاماً عن المشتركين بحوادث الشمال، لقد افهم ملا مصطفى الوفد المفاوض ان الأمر لا يتعلق بخلافات شخصية، إنما الأمر منوط بالأستجابة للمطالب الكردية وضمان حقوقهم. وهكذا اخفقت المفاوضات تاركة المجال للحلول العسكرية.

التحرك نحو مناطق جديدة في كردستان

كانت منطقة دشتا دنهلة (سهل نهلة) وجبل عقرة المشرف عليها يحملان اهمية عسكرية استراتيجية كبيرة. في شمال هذه المنطقة تقع قرية دفريّي الحصينة وكان فيها مقر حسو

ميرخان، لكن في هذه السطور نكتب عن تحرير هذه المناطق حيث تنتشر في دشتا دنهلة القرى المسيحية الجميلة، لقد كانت هذه المنطقة غابات ووديان وأراضي تنتشر فيها الحيوانات المفترسة كما ذكر لنا اهالي المنطقة وهم من المسيحيين الأثوريين الذي هاجروا اليها في اعقاب الحرب العالمية الأولى، وكانت منطقة غير صالحة للسكن لكنهم جعلوا من هذه المنطقة حديقة غناء وسوف آتي الى ذكر هذه المنطقة في مناسبة أخرى.

في شهر نيسان ١٩٦٢ تم تحرير منطقة نهلة باسرها وجبل سري عقرة وكانت هذه المنطقة مهمة كما قلنا من الناحية العسكرية ويستذكر الأستاذ مسعود البارزاني فيقول:

ولا يفوتني قط ان اسجل تقديري وشكري لأهالي القرى المسيحية، بسبب ما قدموه للثورة من خدمات جليلة وما أظهروه من تفان غير متوقعين مكافأة عن خدمة فصائل البيشمركة كما انهم تطوعوا كأدلاء وبسبب هذا نالهم الأذى الكبير من السلطة وتعرضت قراهم الى القصف الجوي الأنتقامي المستمر كما لقوا من الجاش (الجتا) الأمرّين. وبحلول شهر أيار ١٩٦٢ كان اقليم بادينان بأسره في قبضة الثورة باستثناء مراكز الأقضية وبعض النواحي تطبيقاً للأوامر والمقررات المتخذة بتحاشي احتلال المراكز الكبيرة المأهولة بالسكان[٥].

بعد الأنتصارات المتلاحقة على الأرض في منطقة بهدنان كان من الطبيعي وحتمية تكامل الثورة لابد من التوجه الى منطقة السوران، لكن قبل ذلك وضع ملا مصطفى البارزاني القواعد التنظيمية للأشراف العسكري في منطقة بهدينان فلابد من تقسيمها الى وحدات وتكليف القادة بتسلم المهام فكان التنظيم الأداري والاشراف العسكري والحزبي في بهدينان كما يلي:

١ ـ أسعد خوشوي قائداً عاماً في الأقليم.

٢ ـ محمد أمين ميرخان قائد القوات الضاربة تحت إشراف البارزاني المباشر وحاجي بيروخي الى جانب مصطفى نيرويي وعريف ياسين وكَكَو ميركسوري وحسن خال همزة وشريف عبد الله وملا أمين معاونين له.

٣ـ علي خليل قائداً لمنطقة دهوك بمعاونة فارس كورماري.

٤ـ حسو ميرخان دولومري قائداً لمنطقة الشيخان، وغازي حاجي ملو وهرمز ملك جكو وعمر آغا دولومري وشكر عبدال شيخكي معاونين له. ويستدرك الأستاذ مسعود البارزاني عن سبب إناطة المسؤوليات بالبارزانيين فيقول:

إن القادة الذين عينهم البارزاني كانوا كلهم رفاق مسيرته الى الأتحاد السوفياتي وساهموا في معارك ١٩٤٣ و١٩٤٥ ومعارك الدفاع عن جمهورية كردستان في مهاباد



ملا مصطفى البارزاني والي يساره قادر محمد صالح والي يمينه محمد شميراني ثم أسعد خوشوي وفي الخلف يقف الشاعر هزار موكرياني (١٩٧١).

وأثناء المسيرة اكتسبوا خبرة قتالية بالأضافة الى العلوم العسكرية التي تعلموها من الدورات العسكرية في الأتحاد السوفياتي عام ١٩٤٨ فكانوا بمثابة معلمين للجيل الجديد[٦]. وكما قلنا ان البارزاني غادر الى منطقة السوران وكان ينتابه الأرتياح حيث ان مجموع البيشمركة في هذه المنطقة قد تجاوز الخمسة آلاف مقاتل بعد ان كانت الأعداد في البدايات شبه متواضعة، ولا شك ان الأنتصارات المتلاحقة قد عززت من المعنويات فكان ذلك حافزاً لأنضمام المجموعات إن كانت من العشائر او من الأفراد.

في الساعة السادسة مساءً من يوم ٢١ /٥ / ١٩٦٢ اصد البارزاني أمراً لقواته بالتحرك نحو الشرق باتجاه جبل برادوست وكان عليهم عبور نهر الزاب في الليل لبلوغ مرتفعات الجبل قبل بزوغ الفجر ليكون بالأمكان الأحتماء بتضاريسه نهاراً، إن الأستطلاعات عن أماكن عبور بعيدة عن انظار القوات النظامية و(الجتا)، وعندما تعذر ذلك كان لابد من التوجه نحو المعبر الوحيد الذي يقع في منطقة بارزان المحرمة بموجب الأتفاق المبرم مع الشيخ أحمد، لكن العبور تم بنجاح دون أي عراقيل من القوات الحكومية المرابطة القريبة.

وعن هذه المرحلة يحدثنا الأستاذ مسعود البارزاني حيث كان يخوض امتحان التأهل للبقاء بصفوف الثورة وهو كان يبلغ من العمر حوالي ١٦ سنة، ويقول:

بعد ان بلغنا الضفة الثانية للنهر كان امامنا تسلق المرتفع الذي يفضي بنا الى وادي سورانكي وفيه عين ماء تعرف بـ (كانيا كيندلا)، وقبل المباشرة بالصعود ناولني الوالد بندقيته الخاصة قائلاً:

لو تمكنت من حملها طوال المسافة فساقول إنك تستحق ان تكون بيشمركة. ويضيف مسعود: تسلمتها منه وأردفتها معلقة بعاتقي، وباشرت الصعود مع طائفة من البيشمركه في مقتبل العمر أيضاً.. وواصلنا الصعود دون توقف وشاع السرور في نفسي وقد أخذت شرط الوالد مأخذ الجدّ وكان تنفيذه عندي من السهولة بمكان. كنت متلهفاً للبرهنة له على صلابة عودي ومقدار تحملي المشاق.

عندما بلغ البارزاني الموضع وانضممت اليه التفت اليّ وقال مبتسماً: بارك الله فيك حقاً إنك كبرت وأنت كفوء، حقاً نجحت في الأمتحان. ويختم مسعود كلامه بعد قناعة الوالد بقدرته يقول: لاَ أدري كيف اصف مقدار ما تملكني من السعادة عند سماعي ثناء الوالد[٧].

من الطبيعي ان ملا مصطفى في تلك المرحلة كان قد بلغ من العمر حوالي ٦٠ سنة وكان يريد من أولاده ان يتحملوا جزءاً من المسؤولية وقد كان حدسه صحيحاً، إذ سيتدرب ذلك الشاب اليافع في مدرسة الحياة وسينال قسطاً من الدراسة وسيأخذ مهاماً كبيرة في صفوف الثورة وسيتحمل هموم شعبه وسينال منزلة كبيرة بين شعبه الكردي لينتخب اول رئيس لأقليم كردستان انه الأستاذ مسعود البارزاني.

في فترة احتدام المعارك في بهدينان كانت المنطقة الوحيدة التي شهدت نشاطاً عسكرياً دون ان تلقى بظلالها الى مناطق سوران، إلا حينما انتقل ملا مصطفى البارزاني الى اليها حيث دب النشاط في سائر مناطق كردستان ووقع الأختيار علي منطقة بالك كمقر للقيادة لموقعها المتوسط من كردستان ويعتبر الجبلان هندرين وزوزك بمثابة سدين طبيعيين دفاعيين، وحينما اصبح طريق راوندوز (طريق هاملتون) بيد الثوار، وجدت مخافر الشرطة في كل من ناحية كَلالة ورايات وحاجي عمران نفسها مطوقة وليس امامها سبيل سوى ترك مقراتها واللجوء الى مخفر قلعة رايات المنيع. لقد بنيت جدران هذه القلعة في العهد الملكي بالحجر والسمنت ويتوسطه بئر ماء، والقلعة تتسع لأيواء فوج كامل وهي بمثابة قلعة حصينة للقوات الحكومية في تلك المناطق العاصية، وهكذا تقاطرت قوات الشرطة وضباطها ومدير ناحية بالك وموظفيه على هذا الموقع الحصين.

في اليوم الرابع من حزيران ١٩٦٢ حوصرت القلعة من قبل قوات البيشمركة وطلبوا من القوات الحكومية بداخلها الأستسلام. لكن القوات داخل القلعة رفضوا الأستسلام واستنجدوا بالسلطة طالبين النجدة، وبدورها الحكومة كخطوات لفك الحصار أرسلت طائرات لقصف مواقع البيشمركه الذين يحاصرون القلعة وألقت، اخرى تلقى الأرزاق والعتاد بالمظلات لكن في اكثر الاحيان كان تخطأ في تقديرات فتقع فريسة سهلة لقوات الثوار وبعد اسبوعين من الحصار سيرت بعض قواتها من رواندوز نحو رايات لكنها لم تفلح في الوصول اليها وحاولت



الأستاذ مسعود البارزاني رئيس أقليم كردستان

الحكومة إرسال قوات (الجتا) لكنها فشلت ايضاً في هذه المحاولة. وعندما بدأت قوات البيشمركه بحفر نفق تحت الأرض بغية وضع عبوة ناسفة في جدار الحصن، حينئذٍ قرر المحاصرون الأستسلام فرفعوا العلم الأبيض ليستسلموا يوم ١١ تموز ١٩٦٢م.

في هذا الموضع التقيت بواحد من شهود عيان كان حاضراً لهذه الواقعة وهو اشرف عزت العمادي ويقول ان ملا مصطفى البارزاني أمرنا بتطويق المعسكر المحصن وهو على شكل قلعة ودام الحصار ما يقارب الشهر لكن لم يكن هنالك بوادر التسليم حيث كان داخل المعسكر السمؤولين الحكوميين منهم مدير الناحية ومعاونين وضباط شرطة، ويستطرد اشرف عزت وهو من المحاربين القدماء من بداية ثورة آذار، انهم اي البشمركة كانوا في بناية الكمرك التي يفصلها عن القلعة الشارع وبعد ان طال التطويق دون ان ان يستسلم من بداخلها، كان اللجوء الى حفر نفق تحت الشارع يوصل الى المعسكر وكان هذا العمل من اقتراح وتنفيذ شخص اسمه بيجان وهو كردي من ايراني ومن اللذين رافقوا البارزاني الى الأتحاد السوفياتي السابق، وبعد ان افلحنا بحف النفق دخل بيجان ومنه انذر من بداخل المعسكر بأنه ملغوم وسيفجر بهم إن هم اصروا على عدم الأستسلام، وهكذا استسلم من بداخل المعسكر دون إطلاق رصاصة واحدة ويمضي محدثي اشرف الى القول: انهم غنموا اسلحة خفيفة وجهاز لا سلكي، ويقول ان ملا مصطفى البارزاني قد اهداني مسدس روسي رقم ٩، ويختم كلمه ان مدين الناحية ومعاونين في الشرطة ارسلوا الى سجن (بتواتا) الذي كان يشرف عليه علي شعبان البارزاني.

استقر الوضع الأستراتيجي بيد الثورة الكردية وذلك بعد انتقال البارزاني الى منطقة

سوران وكان قراراً حكيماً بالتوجه نحو هذه المنطقة المهمة من كردستان، فبعد ظهور البارزاني في كَلالة، حيث حوفظ على هذا الوضع حتى نهاية حكم عبد الكريم قاسم.. إذ بقي الريف الكوردي الممتد من الحدود السورية حتى حافة حقل نفط خانقين، وهو على شكل هلال بطول ٣٠٠ ميل وبعرض ٧٠ ميل، بيد الحركة الكوردية وبقي الجيش العراقي يسيطر عموماً على المدن والقصبات، وكانت الطرق الرئيسية التي يستخدمها الجيش دائمة التعرض لكمائن البيشمركَه[٨].

إن سيطرة قوة الثوار على هذه المساحات الشاسعة قد وضع قوات (الجتا) في موقف لا يحسدون عليه، فما ان حل فصل الشتاء عام ١٩٦٢ طفرت امامهم مشكلة حرمان مواشيهم من المرعى والمأوى، لاسيما بعد ان قررت الحكومتان الأيرانية والتركية بالأتفاق مع الحكومة العراقية لإعادة اللاجئين العراقيين، لكن هذه الحكومات لم يكن بمقدورها إبداء المساعدة لهذه العشائر بالعودة الى مراعيها، فاضطروا في آخر الأمر بالأتصال بملا مصطفى البارزاني والأعتذار له لكي يسمح لهم بالعودة عبر المسالك التي اعتادوا عليها والتي اصبحت تحت سيطرة قوات البيشمركة. وبعد السماح لهؤلاء بالعودة كان من بينهم من بقي على ولائه للحكومة، وآخرين اعلنوا ولائهم للثورة وقدموا خدمات جليلة للثورة ومنهم فتاح آغا الهيركي وابنه اسعد آغا.



الواقفون من اليمين: طاهر أغا عقراوي ـ مسعود البارزاني ـ زكي عقراوي ـ أشرف عزت آميدي
الجالسون من اليمين: عزت عقراوي ـ خليل دسكو البارزاني ـ نيهاد ملا مصطفى البارزاني ـ سنة ١٩٦٧

شهدت الثورة الكردية وانطلاقها في ايلول ١٩٦١ انتصارات عسكرية مشهودة علي الأرض لقد كان النصر الذي تحقق في معركة كَلي زاويته امتداداً لزخم الأندفاع الحماسي الجماهيري وكان هذا النصر بمثابة جرعة لرفع المعنويات وزيادة التفاؤل في تحقيق المزيد من الأنتصارات، كما ان تحرير المزيد من الأراضي الكردية قد وضع قيادة ملا مصطفى البارزاني والحزب الديمقراطي الكردستاني امام مهما جديدة يبنغي النهوض بها، واتسعت مساحة الفكر التحرر القومي وخطابه علي حساب الأفق العشائري.

في نهاية عام ١٩٦٢ وجدت الثورة ان قواتها تسيطر علي مساحات استراتيجية هامة فعكف الجيش الثوري يبسط نفوذه علي الحدود الأيرانية العراقية بدءاً من خانقين حتي حاجي عمران، والحدود العراقية التركية من دالانبر حتي زاخو ولم تجد نفعاً محاولات الحكومة بإعادة هذه المواقع، إن هذا الواقع قد عزز من مكانة البارزاني وقوات البيشمركَة بين شرائح المجتمع الكردي وأصبح الأنتساب لقوات الثورة يعني الفخر والشرف. وهذا يعني الشئ الكثير بالنسبة للمجتمع الكردي الذي يتأصل فيه مفهوم شرف الأنتساب الى القبيلة. فحينما تتبرع المرأة بما تملك من الحلي للثورة ويقوم الفلاح البسيط بتقديم شئ من محصوله ومن مواشيه للثورة وهكذا تكون مساهمة الموظف والطبيب والصيدلي والعامل والطالب وكل في مجال اختصاصه وهذا يعطي للثورة بعداً شعبياً واسعا وهذا بحد ذاته يضمن سيرورة الثورة وديمومتها في أرضية مجتمعية قانعة بأفكار الثورة وأهدافها.

أصداء الثورة

التعريف بقضية شعب لا بد من مد جسور وقنوات التعريف بتلك القضية وفي ضوء تجارب حركات التحرر الوطني، يحمل الأعلام اهمية قصوى للتعريف بماهية القضية لكي تكسب الرأي العام الأقليمي والدولي الى جانبها. وفي حالة الثورة الكردية لا ريب انها كانت بحاجة ماسة الى كسب الرأي العام في العراق وفي الدول العربية والعالم.

في المشهد السياسي العراقي بعد نجاح ثورة ١٤ تموز تميزت العلاقة بين الأحزاب بالتذبذب إذ ما فتئ كل طرف يختار طريقه لتحقيق اهدافه، وبالنسبة لعلاقة حزب البارتي والثورة الكردية بصورة عامة بمجمل الأحزاب لم تكن عدائية، غير انها لم تكن ودية مع القوى القومية وفي مقدمتهم حزب البعث فهذه القوى بمجملها لا يكنون ذرة من العطف لأماني الأكراد، وكان التنافر من مفهوم الحكم الذاتي للأكراد وتؤرقه نظرية الأنفصال، فطرح مزيد من الحقوق القومية للأكراد يعني الأقتراب من حافة الأنفصال، لكن حينما وضع البعث في خطته الأطاحة بعبد الكريم قاسم بدأ يغازل الأكراد ويسرف في إغداق الوعود لمنح الأكراد

الحكم الذاتي وغيره من المطاليب وكان القصد واضحاً حيث كانوا بحاجة ملحة الى تحييد ثقل الجانب الكردي ومن تأثيره في الموازنة السياسية العراقية فيما إذا افلحوا في إطاحة قاسم.

اما الحزب الوطني الديمقراطي الذي تعرض للأنشقاق وأرغم قائده كامل الجادرجي على الأعتزال فقد ظل موقفه غامضاً واستمر في لوم قاسم على سياسته التي ادت الى رفع الكرد للسلاح. إلا ان الحزب الوطني التقدمي الذي أنشأه محمد حديد بعد الأنشقاق وقف دائماً في صف قاسم وشجب الثورة الكردية ودعا الى اخذها بالشدة[٩].

اما موقف الحزب الشيوعي الذي كانت تربطه بعلاقات نضالية وطيدة مع الحزب الديمقراطي الكردستاني ومع احتفائه الحار بقدوم البارزاني والبارزانيين من المنفى في الأتحاد السوفياتي، ومن الجانب الثاني إسناده التقليدي لحكم عبد الكريم قاسم باعتباره ضد الأمبريالية وضد الأحلاف العسكرية وصاحب قانون الأصلاح الزراعي.. وانطلاقاً من هذه البديهة تكون الثورة الكردية مصدراً لتهديد الحكم الوطني، علماً ان الثورة رفعت نفس المطاليب التي كان يرفعها الحزب الشيوعي لمنح الحقوق القومية للأكراد ولكل الأقليات العراقية ولكنه في تلك المرحلة كان وجد نفسه محرجاً وكأنه بين شقي رحى، والمنطق وأحداث اثبتت بأن لو كان للحزب الشيوعي موقف حاسم مع الأكراد ربما تمكنوا من استلام الحكم دون إراقة دماء وكان عبد الكريم قاسم تحفظ له حياته ولا تهان كرامته كما فعل به رفاقه الذين انشقوا عنه وقاموا بانقلابهم في ٨ شباط ١٩٦٣، لكن موقف الحزب الشيوعي العراقي اتسم على مدى عقود لا سيما بعد ثورة ١٤ تموز اتسم بمزيد من الطروحات النظرية والتحليلية دون ان يكون له استراتيجية لقيادة الأحداث والتأثير بها بما ينسجم مع واقع الشارع العراقي.

في البداية استنكر الحزب الشيوعي انطلاق الثورة الكردية، وقد اصدر الحزب الشيوعي العراقي فرع كردستان بياناً في اواخر تشرين الأول ووزعت نسخ منه في مدينة السليمانية وأطرافها وألقت ظلالاً قاتمة على اتجاه الثورة، والطريف في الأمر، ان هذه رزمة من هذه البيانات كانت في طريقها الى بغداد لتوزيعها هناك، لكن في الطريق ألقي القبض على حاملها وأرسل الى بغداد مخفوراً، ومثّل امام مدير الأمن العام عبد المجيد جليل، الذي لم يضيع الوقت بقراءة البيان واكتفى بوجود توقيع الفرع الكردستاني للحزب الشيوعي ولأن مصدره السليمانية، فترك المقبوض عليه تتقاذفه الأيدي والأرجل لكماً وصفعاً وركلاً، وهرع الى وزارة الدفاع بغنيمته، قرأ قاسم البيان بدقة وتمعن. وفوجئ مدير الأمن بزعيمه يأمر بإطلاق سراح المقبوض عليه فوراً وإعادة البيانات اليه وبطبع اكثر ما يمكن من النسخ من البيان وتكليف

رجال الأمن في مديريته بتوزيعها في انحاء بغداد![10]. إنها صفحة من غرائب صفحات السياسة حينما يبادر رجال الأمن الى توزيع بيان الحزب الشيوعي، ويبدو ان عبد الكريم قاسم يأمل من تأجيج الخلاف بين الحزبين الشيوعي والبارتي باعتبارها جزءاً من لعبة التوازن السياسية والتي اثبتت الأيام فيما بعد انها لعبة فاشلة أودت بحياة عبد الكريم قاسم والأطاحة بحكمه.

بعد الأنتصارات التي حققها الثوار الأكراد ومناصرة الجماهير الكردية، حدث انعطاف في خطاب الحزب الشيوعي فبادر الى القيام بحملة لجمع التواقيع على مذكرات ونداءات تدعو الى وقف الأقتتال بين الأخوة واللجوء الى طريق الحوار والتفاوض لوضع الحلول السلمية، واتذكر انني اشتركت في مظاهرة جماهيرية ورفعنا اللافتات المطالبة بوقف الحرب وكان محل تجمعنا في الشوارع المحيطة بالباب الشرقي ربما كان هدف المظاهرة الوصول الى وزارة الدفاع. وكنا نهتف " السلم في كردستان يا شعب طفّي النيران " لكن بعد قليل من انطلاق المظاهرة فرقت من قبل قوات الأمن وهم يستعملون الهراوي في تفريق المظاهرة، ولا أدري كيف تخلصت من أفراد الأمن القريبين مني، حيث دخلت في فرع من الفروع المؤدية الى البتاوين.

ومن الفعاليات السلمية أيضاً اتذكر كانت هناك حملة لجمع التواقيع التي تطالب بوضع حدد للأقتتال بين العرب والأكراد ورفعت مذكرة الى الحكومة العراقية تطالب بوقف القتال وحقن الدماء وقعها ٣٦ ألف مواطن بينهم العمال والتجار والمثقفين والطلاب والتجار ومن مختلف مناطق بغداد وجاء في هذه المذكرة المقدمة الى عبد الكريم قاسم:

نحن جماهير بغداد نؤيد التصريحات والنداءات التي صدرت عن ممثلي القوى الوطنية من حزبيين ولا حزبيين ونشاركهم نداءاتهم لأحلال السلام في ربوع كردستان حيث يتعرض شعبنا عرباً وأكراداً لشتي المآسي نتيجة استمرارالقتال في حين يتربص الأستعمار وعملاؤه لاستغلال الثغرات في صفوف القوى الوطنية لضرب استقلالنا الوطني. لذا فإننا نهيب بكافة اطراف القوى الوطنية لا سيما السلطة للعمل على حل الأزمة في كردستان سلمياً.[11]

لكن شعار السلم في كردستان لم يكن يلائم والفكر القومي وكانوا يرون في عبد الكريم قاسم هو الذي اعطى الفرصة للمغامرين والطامعين من الأكراد كي يقسموا الوطن على حد قناعتهم فيقولون:

اما شعار (السلام في كردستان) الذي رفعه الشيوعيون في العراق.. ورددت صداه اكثر من عاصمة عربية فهو يعني شعار (الأستسلام لا السلام) ويعني بمفهومنا القومي والوطني

شعار الموت لشعب العراق.. والخنجر الذي يقطع به رأس العراق لينفصل عن جسده.. ولن يحدث لنا هذا ابداً سواء رضيت دولة كبرى او دول صغرى أم لم ترض، فنحن أدرى بمصالحنا وبوطننا من الاخرين[١٢].

مع الزيادة في الضغط على الحزب الشيوعي وزج اعضائه ومؤيديه في السجون كانت سياسة الحزب الشيوعي تميل الى مغازلة الثورة الكردية والى الأعتراف بحق الشعب الكردي، وبعد الأحداث الدموية التي رافقت انقلاب ٨ شباط، كان الحزب الشيوعي العراقي قد رمي بثقله الى جانب الثورة الكردية حامياً نفسه من الملاحقة الدموية ومدافعاً أميناً عن الثورة الكردية.

إن النظام السياسي الأقليمي والدولي هو ترتيب زمني يخضع لموازنات دقيقة تحددها مراكز القوي والتحالفات الأجتماعية والأقتصادية والسياسية، لكن في الشأن الكردي يبدو جلياً بوجود نظام اقليمي يتعاطف معه النظام الدولي بغية خلق استقرار اقليمي تتعاون عليه الدول القومية الثلاث، بافتراض ان العنصر الكردي هو معكر ومشوش، فبوجود هذا الأقليم يكون التعاون قائم بين هذه الدول في حالة إن كان ملزماً باتفاقيات او حتى بدونها. فالدول الثلاث العراق وأيران وتركيا ترى مصلحتها واستقرارها بتحجيم قضية الشعب الكردي وتجزئتها وتقسيمها بما ينسجم ومصالح هذه الدول.

غلق نافذة الإعلام

لعل الجانب الأعلامي كان واحداً من المحاولات المشتركة التي سعت اليها الدول الثلاثة بغية فرض القيود علي الأعلام الكردي، وتسريب الأعلام الرسمي لهذه الدول الذي في كل الأحوال يعرض وجهة نظر احادية.

من المؤكد ان كل طرف يؤسس غطاءاً اديولوجياً مقنعاً لممارساته وإنه يسعي لتطبيق الخير والمنفعة ولكن الخير والشر والمنفعة والمفهوم الأخلاقي كلها تعابير نسبية ولا يمكن لأي حزب او مسؤول سياسي ان يتجرد من ثقافته او مصلحته حين تفسيره لهذه المفاهيم. ومن هذا المنطلق كان الدور للصحافة الحرة وللأعلام المستقل الذي يتسم بالمهنية ويسلك هذا السلوك الكثير من المغامرين الذي يتحملون المخاطر والصعاب للحصول على الخبر الطريف او المؤثر بدافع تحقيق السبق الصحفي لتحقيق الشهرة ولتثير الأهتمام على اوسع نقاط.

إن الحصار المفروض علي كردستان قد اعاق وصول مثل هؤلاء الصحفيين البارعين في الوقت الذي كانت الثورة علي احوج ما يكون الى من ينقل اخبارها ويذيع ما يدور في هذه المنطقة من الأنتفاضات والثورات. كان الأعلام الرسمي يسرب اخباراً عن تلك الحرب

الصغيرة التي تخوضها مجموعات سياسية كردية في جبال كردستان العراق، ولا سبيل لمتابعة تفاصيلها إلا ما تجمعه البعثات الدبلوماسية في دول الجوار او ما يتسرب من جهات ذات الشأن ولا يجد من هذا سبيلاً الى العلن والنشر الأ الأقل بفضل علاقات شخصية بين هذا الدبلوماسي او ذاك بصحفيّ ما وبجريدة ما، وفي اثناء ذلك كان ثمة عدد لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة من طلاب جامعيين كرد متحمسين يطرقون ابواب هذه الصحيفة الأوروبية او تلك ويتوسلون بهذا الصحفي او ذاك علهم يجدون من يقدم من بينهم على مغامرة التسلل الى كردستان.

يذكر جرجيس فتح الله المحامي ان احدهم كتب الى قيادة الحركة ينبئ بإنفاق مبلغ طائل من المال على دعوة للصحفيين في واحد من أكبر فنادق نيويورك كانت الحركة بأمس الحاجة الى كل فلس منه، عله يغري الصحفيين بشد الرحال الى منطقة العمليات والكتابة عن الحرب[١٣].

استهوت فكرة الرحيل الى منطقة كردستان اوائل الستينات من القرن الماضي ووصل وأفلح بعضهم بالوصول الى هذه المنطقة متحدين الأهوال والصعاب ومنهم ديفيد آدامسن وريشار اندريك والصحفي الشهير دانا آدم شمدث مراسل جريدة نيويورك تايمس وحققها برحلة من سوريا ولم يكشف سر الطريق الذي سلكه،ومهما كان فإنه هذا الصحفي قد قضي ردحاً من الزمن مع الثوار الأكراد عام ١٩٦٢ وكتب كتابه المشهور بعنوان: رحلة الى رجال شجعان وقام بترجمته جرجيس فتح الله المحامي ونشر في بيروت عام ١٩٧١م. وقد حاز هذا الكتاب على جائزة أحسن كتاب سنوي في الولايات المتحدة ووجدت مقالاته عن الثورة الكردية طريقها الى النشر في الصحف الأمريكية المشهورة مثل جريدة نيويورك تايمس وكريستيان ساينس مونيتر، ولكن مع هذا يمكن الزعم ان الثورة لم تأخذ نصيبها من التغطية الأعلامية رغم جسامة الأحداث والمعارك الناشبة والدماء المراقة.

كان لصدي الثورة الكردية وقع كبير علي الأكراد العاملين في الدوائر الحكومية وفي صفوف الجيش، في حقبة الثورة ما بعد شباط ١٩٦٣ والتي سنأتى الى ذكرها في الفصل القادم كان معنا في صفوف فالبيشمركة احد الزملاء وكانت امه تعمل في المستشفى في الموصل وكانت هذه المرأة ترسل لنا الأدوية وضمادات الجراح كلما سنحت الفرصة بذلك، ومن الطبيعي ان يقوم الأكراد بمساعدة ثورتهم بما تسمح بها مواقعم وكان الطلبة الأكراد يلعبون دوراً مهما في هذا المنحى.

اما ضباط الجيش والجنود فيبدو ان لمكانة الثورة وقع كبير في نفوسهم وثمة نص رسالة وجهها للبارزاني لفيف من ضباط الجيش تقول الرسالة:



صورة للبارزاني يتمنطق الخنجر الكردي

.. نحن الضباط الأكراد الموجودون في معسكرات الجيش إذ نقدر جهودكم الجبارة في تحرير وطننا العزيز من أيدي الدكتاتورية الفاحشة، كلنا رغبة واشتياق للأنضمام الى صفوف فصائل الأنصار الجبارة للعمل تحت قيادتكم جنوداً مخلصين لبلوغ اهدافنا القومية السامية. وتضيف الرسالة:

زعيمنا لقد أجرينا لحد الآن محاولتين للأفلات من معسراتنا والأنضمام الى صفوف فصائل الأنصار إلا انه مع الأسف الشديد عارضتنا عقبات حالت دون بلوغ هدفنا بسبب المراقبة الشديدة من قبل العيون والجواسيس.. زعيمنا نحن لا نتردد من القيام بأي عمل داخل المعسكرات يؤدي الى نتائج طيبة ولكن مع الأسف كثرة الجواسيس والمراقبة الشديدة علينا تحول دون ذلك، ولكن هنالك معسكر مازنة حيث يوجد من الفوج الثالث لواء الثالث عدد غير قليل من الجنود الأكراد الطيبين والذي يسمح عددهم بالقيام بأية حركة داخل المعسكر وهم منظمون تنظيماً جيداً ومستعدون لتلبية الأوامر.. وقد وقع هذه الرسالة الملازم المدفعي رشيد يونس والملازم المدفعي طاهر علي والملازم المشاة طارق محي الدين والملازم ضابط إعاشة جمال محمود بك والملازم ضابط الرواتب طاهر شيخ رؤوف والملازم المشاة محمد سعيد أكرم والملازم المدفعي اسماعيل نادر[١٤].

مراحل الحرب الكردية الى ٨ شباط ١٩٦٣

كما مر خلال الفقرات السابقة لم يكن يرغب بهذه الحرب أي من قطبيها الحكومة العراقية والقوى الكردية المتمثلة بقيادة ملا مصطفى البارزاني والحزب البارتي، لكن وقعت الفأس بالرأس كما يقال ولا بد لكل طرف ان يستعد لها ويخوض غمارها ويطلق مبرراتها من وجهة نظره.

إن شئنا سبر اغوار المفكر القومي الكردي، الذي يتجاوب مع الراهن، فيحاول اقناعنا ان مراميه تنحصر في منح شعبه حقوقه اللغوية والأقتصادية والسياسية ضمن الدول التي تتقاسمه، فلا اعتقد ان هذا المفكر يتسم بكل المصداقية وهو غير صادق مع ذاته أيضاً، فإن أي قومي كردي في قرارة نفسه يتطلع الى التحرر القومي التام غير الناقص، ولكن القيود تكبله فتمنعه من التفكير بصوت عال. وعلمته تجربته المريرة والطويلة بالحياة ان يقتصد من مطالبه ويحوّر هذه المطاليب مع ما تسمح به الظروف الموضوعية، فيوماً تقتصر علي مطاليب اقتصادية بحتة، وفي مرحلة اخري كانت تطرح الحقوق اللغوية والتمثيل في راس الهرم الحكومي وفي مناسبات أخري كان يطرح الحكم الذاتي.

وهذا بالضبط ما كان يفكر به ويعمل بموجبه ملا مصطفى البارزاني خلال رحلته الطويلة وهو يمسك دفة القيادة عبر اليم العميق فيوما كان هذا البحر هادئاً وسطحه كالمرآة فتندفع سفينته بهدوء وانسجام وأيام أخري كثيرة كانت السماء ملبدة بغيوم سوداء فتهب الرياح العاتية وتتعالى الأمواج فتعصف بتلك السفينة وتتقاذفها وتصبح قضيته وكأنها الريش في مهب الريح، لكن تبقى القيادة الحكيمة هي التي تضبط الدفة مع البوصلة التي تتجه ابداً نحو الهدف الرئيسي.

بعد ان عاد ملا مصطفى البارزاني الى مسقط رأسه بارزان اصبح الشخصية المهيمنة في كردستان لكن طفت علي مشهد العلاقات الكردية الكردية الخلافات الحزبية وتجددت الخلافات القبلية التاريخية بين البارزانيين والزيباريين وحلفاؤهم. وهكذا كان امام البارزاني التصدي لهذه القبائل قبل ان يستفحل خطرها وهذا يعني الوقوف علي ارض محررة امينة.

أما المرحلة الثانية التي انطلقت في ايلول ١٩٦١ كانت تحرير منطقة بهدينان وبعدها التوجه نحو الشرق والجنوب الشرقي ما وراء راوندوز. قابلت الحكومة الأنتصارات التي حققتها الثورة بوضع الخطط العسكرية بغية استعادة المناطق فهيأت الأمكانات العسكرية اللازمة لشن سلسلة من الهجومات العسكرية المعززة بأسناد من الدبابات والقوة الجوية.وكانت البداية في شن الهجوم علي منطقة زاخو وكان الثوار في هذه المنطقة تحت

قيادة عيسى سوار، الجدير بالملاحظة ان المناطق غالباً ما كانت تأخذ اسم القائد الذي يدافع عنها وكل معركة يبرز اسم من الأسماء من الذين اتسموا بالشجاعة في الدفاع او في الهجوم وهذا هو شأن الشعب الكردي الذي يمجّد ويطيع الشخص الشجاع. فالأكراد يولون اكبر قدر من الأحترام للجرأة الفردية ولا يفتأون يلهجون بذكر فلان من الأنصار الذي توسم بالبطولة والشجاعة.

لقد قام عيسى سوار بعملية كان لها صدي كبير في المنطقة حينما توجه نحو شركة عين زالة حيث كانت مقر شركة برتش بتروليوم لاستخراج النفط وهي الى الجهة اليمني من دجلة وفي خطة محكمة بين الجهاز الحزبي وبين البيشمركة وفي ليلة ١٠ ـ ١١ تشرين الثاني ١٩٦٢ كانت عين زالة بيد البيشمركة لعدة ساعات، وكانت حصيلة العملية عدد من الأسري ومن بينهم مدير الشركة (ديرك دانكورت) مع اثنين من المهندسين العاملين من الجنسية البريطانية.

لقد بعث البارزاني برقية تهنئة الى عيسى سوار، وأمره ان يرسل أسراه الأجانب الى مقره ففعل واستقبلهم البارزاني محتفياً بهم وهيأ لهم وسائل الراحة وأطلق لهم الحرية في التجوال حيثما شاؤوا، ويقول مسعود البارزاني ان مدير الشركة دانكورت فقد ساعته أثناء الهجوم فخلع البارزاني ساعته من معصمه وقدمها له على سبيل التعويض ويسر الأستاذ مسعود قصة الساعة التي اهداها والده، أنها في الحقيقة تعود له فيقول:

اشتريتها لنفسي بمبلغ أكرمني به الوالد بمناسبة احرازي الأولوية في امتحان الأول متوسط.. وعندما شاهدها الوالد لفت نظره الى الأرقام الفوسفورية المضيئة في الظلام، وظهر السرور علي وجهه فاستبدلها بساعته التي كانت سعرها يفوق سعر ساعتي، وزاد عليها مبلغ قدره عشرون ديناراً، وكان الوالد يذكر ذلك على سبيل الفكاهة ولا يغفل عن كيل الثناء لتلك الساعة التي اخترتها ذاكراً أرقامها المضيئة[١٥]. لقد كان لهذه العملية صدى أعلامي واسع باعتبارها قد مست المصالح النفطية، وهذا ما كانت تحتاجه الثورة بغية لفت الأنظار اليها، والى الأوضاع السائدة في كردستان.

لقد استمرت المعارك في هذه المنطقة حوالي شهرين من الزمن وكانت المبادرة بالهجوم بيد القوات الحكومية وتشكيلات (الجتا)، وفي نهاية الأمر بادرت قوات البيشمركة الى حالة الهجوم لتلحق خسائر كبيرة بالقوات الحكومية.

إن مسألة إنزال الخسائر بالقوات المعادية وحجم الخسائر تعتبر جزءاً من آلية الحرب، حيث ان هذه الخسائر يكون لها دورها في رفع المعنويات، وأحياناً، بل في كثير من الأحيان، يكون هناك مبالغة في تقدير خسائر العدو مقابل التقليل من الخسائر الذاتية. وفي هذه المعركة التي

شن البيشمركة في قاطع زاخو هجوماً مباغتاً يومي ٧ و٨ آب ١٩٦٢ بأنه تم تدمير فوج كامل وقتل آمر الفوج العقيد مجيد سبع وتم إسقاط طائرة حربية نوع فيوري سقطت في قرية آفكي وتم إحراق ثمانين شاحنة عسكرية واربع مدرعات وتم أسر أربعة ضباط و١٧٣ جندي بالأضافة الى الغنائم الأخري من مدافع صغيرة وبنادق اوتوماتيكية وصناديق العتاد..

يقول ديفيد أدامسن عن قلة خسائر الجانب الكردي قياساً بالخسائر من الجانب الحكومي.. ليس في قلة خسائرهم (الأكراد) ما يدعو الى الأستغراب والدهشة. فالقتال من اعالي الجبال ضد جنود سيئي القيادة لا حماسة لديهم او غير مدربين تدريباً جيداً، يمكن قلة من الرجال مسلحين بالبنادق وبعتاد وافر من الصمود مدة غير محدودة وقتل اضعاف ما يقتله العدو منهم. والمصفحات والمدرعات لا جدوى منها في الجبال والطائرات محدودة التأثير مع رجال ذوي عزم وتصميم، ثمة نظاماً يشد الكرد بعضهم الى بعض شداً محكماً الآن. نظام وانضباط أدق من ذلك الذي كان في العشرينات والثلاثينات (من القرن الماضي) عندما كان خصمهم يحقق انتصارات رخيصة سريعة عليهم بمجرد إلقائه بضع قنابل على القرى. وتلك خطة حربية لضمان السيطرة علي القبائل استنبطها اللورد ترجارد (Trenchard، وهو احد مؤسسي القوة الجوية البريطانية) وطبقتها القوة الجوية الملكية البريطانية[١٦].

المشهد العسكري الذي اصبح شبه مستقراً في هذه المرحلة وقبل سقوط حكم عبد الكريم قاسم هو الهيمنة على المناطق القروية والأرياف وعلى المناطق الجبلية العاصية والى حد ما على الطرق التي تشكل الشريان الرئيسي في ايصال التجهيزات اللوجستية للقوات الحكومية. وفي المقابل كانت المدن والقصبات والقرى التي تقطنها القوات الكردية الموالية للحكومة (الجتا) كانت تحت سيطرة الأدارة الحكومية وكانت منطقة بارزان تشكل نقطة حياد بين القوات الحكومية والثورة الكردية.

إن الثورة الكردية في هذه الحالة قد اوجدت لها شخصية وكيان على أرض الواقع فمن حالة الصفر انتقلت الى حالة رقم محسوب وصعب على رقعة من الأرض المحررة بإدارة قيادية كردية.

لقد استقرت الأوضاع بعد آذار ١٩٦٢ على واقع يبدو ان الأطراف قانعة به، فالريف الكردي بيد الثورة الكردية والمدن والقصبات بيد الحكومة وتحييد منطقة بارزان. كان ثمة تنسيق بين القوات الكردية في المناطق الجغرافية فالقطاع الشمالي الغربي او لنقل منطقة بهدينان هي تحت امرة البارزاني المباشرة وقطاع شرقي او منطقة سوران الى جنوب تخوم (آكو) تحتله قوات الحزب الديمقراطي الكردستاني المنتظمة تحت قيادة جلال الطالباني الذي تحول بسرعة من حزبي سياسي وصحفي الى منظم عسكري كفوء وقائد ميدان[١٧].

في هذه المرحلة تحمل الثورة الكردية في طياتها عنصري الديمومة والبقاء مع جانب آخر هو افتقار الثورة الى السلاح والتجهيزات اللوجستية والي الرجال والي المواد الغذائية والملابس وافتقار الثورة الى الأسلحة الثقيلة، وهناك ناحية مهمة وهي الأفتقار الى الأطباء والأدوية ومعوقات أخرى كصعوبة التنقل وعدم وجود مقر قيادة ثابت وغيرها من الضرورات العسكرية لأبقاء الثورة مستمرة، لكن هذه النواحي كان لها ما يقابلها لتلافي تلك العوامل. منها ان تغيير مقر قيادة الثورة الكردية واختيار معاقل عاصية يعتبر إجراء عسكري لتفويت الفرصة علي القوات الحكومية في استهدافه جوياً او برياً.

ومن عوامل التغلب على العوائق هو كفاءة المقاتل الكردي وخفته وسرعة انتقاله في الوهاد والشعاب العاصية، فالطبيعة الجغرافية في المنطقة كانت تشكل نقطة ضعف للقوات الحكومية المهاجمة فيما تشكل نفس التضاريس نقطة قوة للمدافع الكردي المتحصن في معقله.

يحمل المقاتل الكردي السلاح الخفيف وهذا يساعدة في سرعة الحركة في المناورة والألتفاف والمباغتة. ويحصل على سلاحه وعتاده من عدة مصادر، فإن توفرت الأموال فيمكن الحصول عليه من الأسواق الحرة في الشرق الأوسط وبالأخص بيروت وكذلك من قوات (الجتا) الذين يسربون كميات من الأعتدة الى مقاتلي الثورة بغية تحقيق الأرباح او من جهة التعاون، وفي الحقيقة كانت معضلة النقص في العتاد أشد خطورة من النقص في السلاح، ولا يمكن التفكير بمقاومة شجاعة وحاسمة دون توفر العتاد اللازم وفي سنين انخراطي بالثورة الكردية كان جل تفكيري هو كيفية الحصول على العتاد، وكان الأقتصاد في الرمي يشكل نقطة رئيسية في الأشتراك بمعركة ما. فأمام عدو يمطرك بوابل من الرصاص من كل جهة ونحن نفكر في الأقتصاد بكل طلقة نرميها، لأنه لا يمكن تصور المأساة التي تبقيك وسلاحك في المعركة دون عتاد تدافع به عن نفسك. كان الأستيلاء على مقرات ووحدات الجيش (والجتا) يعنى الأستيلاء على مستودعات وأكداس السلاح، وهذا بحد ذاته يعتبر مصدراً مهماً لديمومة الثورة.

اما الحصول على مواد الطعام والكساء فلم يشكل صعوبة كالتي يشكلها العتاد والسلاح، فالمنطقة شبه مكتفية ذاتياً وكانت القصبات المتاخمة والتي تتعاطف مع الثورة الكردية كانت مصدراً مهما لتسرب هذه المواد وكانت القوش تشكل واحدة من هذه المصادر. كما ان اعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني داخل العراق وخارجه كانوا يقومون بحملات جمع التبرعات للثورة. وكانت الأدوية تسرب الى مناطق الثورة ايضاً وهي حاجة ضرورية لا مناص من توفرها في علاج المقاتل والمريض من ابناء الشعب الكردي الذين كان يفرض عليهم حصار اقتصادي بما فيه حصار دوائي.

وصفت قابليات الكرد الحربية كثيراً. القبليون الكرد شجعان، مرحون، لا يعرفون الكلل، مدربون علي استعمال الأسلحة النارية الخفيفة منذ نعومة أظفارهم، مناسبون تماماً للقتال الذي فرض عليهم، وكقاعدة فإن الكردي متفوق كثيراً على الجندي العربي القادم من السهول رغم ما يميزه من التدريب الأفضل والأنضباط العسكري[١٨].

كان الجيش العراقي يواجه ثورة الأكراد بقواته الأرضية والجوية بالتعاون مع فصائل (الجتا) من القبائل المتعاونة مع الحكومة وفي مقدمتها الزيبار والبرادوست. إن طول مدة الحرب بات يدور في شبه روتين ولم يرتق الى معارك استراتيجية حاسمة، فكان الجيش متحصناً في معسكراته محافظاً على عملية الحصار الأقتصادي على المنطقة وفي اوقات من فصل الشتاء ونتيجه الحصار المفوض عليه من قوات البيشمركة كانت الحكومة تلجأ الى تزويد هذه الوحدات بالأرزاق عن طريق الجو، وهي عملية فاشلة إذ بعض الأحيان تكون هذه الأرزاق من نصيب الثوار إذا اخطأت الطائرة في هدفها فيقول الثوار: ويرزقكم من حيث لا تدرون.

يمكن اعتبار القوة الجوية التي داومت في تحمل المجهود الحربي حيث كانت الغارات الجوية تتوالي على القرى التي يسيطر عليها الثوار الأكراد، فتنطلق الطائرات منذ ساعات الصباح، وعادة ما تنطلق طائرة واحدة في اجواء القري فتصلي بمدافعها الرشاشة كل ما يتحرك من الأنسان والمواشي والقطعان وأحياناً تستخدم القنابل والصواريخ، ولاشك ان هذه الطائرات لا يمكن ان تحرز نصر عسكري بهذا القصف لكن يبدو انها تهدف الى ترويع السكان في هذه المنطقة.

في هذه المرحلة اكتسبت قيادة البارزاني منزلة سامية وبات القتال ضده عملاً لا يشرف صاحبه في عين الكردي فالقتال الى جانب الحكومة فقد بريقه في معاني الرجولة، فالقتال الى جانب الثورة بات شرفاً عنوان الوطنية للمواطن الكردي.

في اوائل شباط عام ١٩٦٣ تحرك البارزاني نحو منطقة قلعه دزه، إذ علم بأن بعض الأغوات قد اتفقوا سراً مع السلطة لطرد اعضاء الحزب وقوات البيشمركة من المنطقة، ومن اجل ذلك وصلت قوات الجيش الثوري الكردي الى منطقة قلعه دزه وكان ذلك يوم ٤ شباط ١٩٦٣ وفي السابع منه تحرك ملا مصطفى البارزاني من قرية (ساركي) في وادي (دوله رقه) قاصداً قلعه دزه. ووصل قرية (بيرانة رش) ليلاً. وفي صباح اليوم التالي وقع انقلاب الثامن من شباط. وخف جلال الطالباني مسرعاً للقاء البارزاني هناك وكان حينذاك ومنذ عام ١٩٦٢ معه، والمعروف ان قيادة الثورة والبارتي كانا علي صلة سابقة بالمتآمرين في بغداد.. اما آغوات الميراودلي قاطبة فقد قابلوا البارزاني في قرية (دوكَكمان) معلنين ولاءهم للثورة ولم

يكن لديهم من سبيل غير هذا حتي ولو لم يقع ذلك الأنقلاب[١٩].

ستكون هنالك هدنة مع الأنقلابيين وستتبلور المطاليب الكردية الى مفهوم الحكم الذاتي ولا يلبث ان يتجدد القتال وتستمر المعارك وهذا ما سنتطرق اليه في الفصل القادم.

المصادر مع ملحق وثائقي

١ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية ج٣ ص٣٥

٢ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج٣ ص٣٦

٣ ـ مسعود البارزاني: المصدر نفسه ج٣ ص ٤٦)

٤ ـ الدكتور خليل جندي: حركة التحرر الوطني ص ١٣١

٥ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج٣ ص٥٣

٦ ـ مسعود البارزاني: المصدر نفسه ج٣ ص ٥٤

٧ ـ مسعود البارزاني: المصدر نفسه ج٣ ص٦٠

٨ ـ د. عبد الفتاح علي البوتاني: وثائق عن الحركة.. ص١١٤

٩ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة... ج٣ ص٣٥٨

١٠ ـ جرجيس فتح الله: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٨٦٦

١١ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج٣ ص ٤٧٣

١٢ ـ محمود الدرة: القضية الكردية.. ٢٧٤

١٣ ـ ديفد أدامسن وجرجيس فتح الله: الحرب الكردية وانشقاق ١٩٦٤ م، ص٧

١٤ ـ مسعود البارزاني: البارزاني الحركة التتحرية الكردية ج٣ حاشية ص٧٤

١٥ ـ ديفيد ادامسن وجرجيس فتح الله: الحرب الكردية وانشقاق ١٩٦٤ ص ٢٠٩

١٦ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٧٧

١٧ ـ اوريل دان: العراق في عهد قاسم ج١ ص ٤٢٤

١٨ ـ اوريل دان (العراق في عهد قاسم ج٢ ص٤٢٦

١٩ ـ اوريل دان (العراق في عهد قاسم ج٢ ص٤٢٦

الوثيقة رقم ١

صورة كتاب معاون أمن عقرة المرقم ١٧٣ /ه في ١٥ / ٢/ ١٩٦٢

سري للغاية ومستعجل

الي - قائمقام قضاء عقرة

الموضوع - الشقاة المتمردون

أعلمنا هذا اليوم من نعتمد عليه بأن ما يقارب (٨٠٠) ثمانمائة مسلحاً من الشقاة المتمردون تركوا منطقة برزاري بالا، وأنقسموا الى قسمين نصفهم أي (٤٠٠) مسلحاً ذهب الى قري ناحية اتروش في منطقة قضاء الشيخان والنصف الأخر وصل الى منطقة (بني كَاره) في العمادية والقريبة والمحاددة لقري هلوره وباني وبياض الواقعة بمنطقة قضائنا، وفي نيتهم سيتوجهون الى قري ناحية دينارتة خلال الأيام القليلة القادمة وذلك لضرب العشائر الموالية للحكومة كعشيرة الشرفاني والزيباريين وغيرهم ممن يخالفونهم في مبدأئهم وعقيدتهم البارتية ونهب قراهم وسلبها خاصة وإن الأرزاق قليلة لديهم في منطقة بروارى بالا، لقصف معظم تلك القرى من قبل الطائرات بعد احتلال المتمردين لها واضطرار اهلها لترك قراهم، هذا من جهة ولأشغال القوات المسلحة مستغلين كثرة وجود القوات المسلحة بمنطقة العمادية ودهوك وقلتها بمنطقة الشيخان وقضائنا.

يترأس هؤلاء الشقاة كل من عبد الواحد حاج ملو ومحمود جمانكي وأسعد خوشوي، هذا وإننا قائمون بمراقبة الوضع عن كثب ومتخذين الحيطة والحذر وسنعلمكم بكل ما نحصل عليه من معلومات بهأ الشان للتفضل بالمعلومات رجاءً.

صورة منه الى / مدير امن الموصل - ارجة التفضل بالمعلومات.

خزعل علي الخليل معاون امن عقرة (المصدر السابق ص ١٣١).

الوثيقة رقم ٢

الي متصرف الموصل

من قائمقام الشيخان

العدد ٧٨٢ في ٢٢ / ٢ / ١٩٦٢

فيما يلي برقية آمر فص٦ مريبا بلا في ٢٢ / ٢/ ٦٢ تبتدئ الآن وقد اكملوا احتلال كافة القري من الجهات الأربعة، وقطعوا الطرق والمسالك، لقد انقطع عنا كل شئ.لا زالت المصادمات مستمرة انقذونا انقذونا بالجيش بالمدرعات وهم يطلبون منا التسليم، ولكن سنقاتل حتي آخر قطرة من دمائنا لأثبات كرامة الحكومة، انقذونا اليوم وإلا انتهي كل شئ، وعلى الأكثر ستكون هذه آخر برقية بيننا وبينكم انتهت.

للتفضل بالعلم وتدارك الموقف بصورة عاجلة، مكررآمر فص٦ مريبا ستصلكم القوة الساحقة بصورة عاجلة مع الطائرات نأمل صمودكم ببسالة وشرف وإعلامنا بمقفكم رجاءً. (المصدر السابق ص١٣٢)

المستلم: اكرم مصطفى

الوثيقة رقم ٣

لاسلكية

الي / فق٢ رئيسي

للمعلومات ـ الداخلية، قائمقام العمادية

من ـ متصرف لواء الموصل

الرقم ٢٠٥ بتاريخ ٣٠/ ١ / ١٩٦٢

يؤخذ من برقية قائمقام العمادية ٦٤ في ٢٩ / ١ بأن الملا مصطفى قد اوعز بتوزيع السلاح على مؤيديه من قرى النيروه والوسكان وايتوت ورشاوه المحتلة وأوعز اليهم ان يكونوا علي استعداد وان اتباعه بازدياد في الوقت الحاضر يرجي الأطلاع.

مكرر الداخلية نرجو ابلاغ مضمونها الى الجهات المختصة في بغداد.

مكرر قائمقام العمادية نرجو استقصاء اخبار الشقاة بدقة وأعلامنا بكل ما يتصل بكم. (المصدر السابق ص١٤٣).

الوثيقة رقم ٤

الى الفرقة الثانية مكرر آمر جحفل ل١١

وللمعلومات رئاسة اركان الجيش والداخلية

من / مترف لواء الموصل

الرقم ١٣٧٩ بتاريخ ١١ / ٩ / ١٩٦١

الحاقاً ببرقياتنا ١٣٦٠ و١٣٧١ و ١٣٤٧ و ١٣٦٤ في ١١ / ٩ اصبح الوضع في العمادية ودهوك كما جاء في البرقيات التي وصلتنا في الساعة ١٦٠٠ كما يلي:

طوق العصاة قصبة العمادية وحاصروها من جميع الجهات وأعلن القائمقام منع التجول وقد انقطع الأتصال عن ناحية نيروه ريكان ولم يعرف مصير فصائل الشرطة الموجودة فيها.

الحالة في دهوك اصبحت اسوأ منها في العمادية حيث اصبح العصاة على بعد كيلومترين من القصبة وقد تجمعوا باعداد كبيرة.. أن الموقف اصبح لا يحتمل أي تأخير وإن الأمر يتطلب القيام بإجراء حازم وحاسم من قبل قوات الجيش والطائرات وذلك بقصف العصاة وضربهم ضربة قاضية مع ارسال قوات كافية فوراً من الجيش الى مناطق دهوك وزاخو.. هذا ما نرجو اصدار اوامركم به فوراً لأنقاذ الموقف المتدهور وإننا منتظرون إجراءاتكم بفارغ الصبر.. مكرر قائمقام دهوك، العمادية للعلم.(المصدر السابق ص١٤٩).

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

وبعد ان ساءت الأحوال في منطقة عمادية كان علي متصرف لواء الموصل ان يستنجد بإرسال الطائرات لأنقاذ الموقف وهذه الوثيقة تعكس تلك الحالة.

الوثيقة رقم ٥

الي قيادة الفرقة الثانية ورئاسة اركان الجيش والأستخبارات العسكرية وآمر موقع الموصل، وللمعلومات الداخلية وقائمقام العمادية.

من / متصرف لواء الموصل

إلحاقاً ببرقيتنا في ١١ / ٩ أعلمنا قائمقام العمادية ببرقيته الطارئة ٨ فوق العادة في ١١ / ٩ المرسلة في الساعة ١٨٣٠ ان المصادمة ما زالت مستمرة بشدة مع العشائر التي تتقدم بأعداد كبيرة والتي اشرفت علي قصبة العمادية من جهتيها الشمالية والغربية.. وإذا لم ترسل القوات العسكرية اللازمة هذه الليلة لانقاذها فإنها ستسقط بيد العصابات وسيكون مصير

جميع من فيها من الموظفين والشرطة الموت فنرجو اجراءاتكم الفورية والعاجلة..

وكذلك الموقف في منطقة بيبو فإنه خطر جداً ويقول مأمور مركز بيبو في برقيته الطارئة ان العصابات المعتدية ستزحف الى مركز الناحية للسيطرة عليه هذه الليلة وهو يستنجد بإرسال الطائرات والقوات اللازمة لأنقاذهم..

انبؤونا وقد تبلغنا بقطع العصاة الماء والكهرباء عن العمادية ايضاً (السابق ص ١٥٠).

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ٦

لاسلكية طارئة

الى / فق٢ مكرر آمر جحفل ل١١ في دهوك، مكرر قائمقام العمادية، للمعلومات ـ رئاسة أركان الجيش، الحركات، الأستخبارات الداخلية.

من / متصرف لواء الموصل

رقم المنشئ ١٤١٥ التاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٦١

في آخر برقيتين طارئتين لقائمقام العمادية موجهتين في الساعة ٢٠٠٠ و٢١٣٠ ان نجدات أخرى للمتمردين قد وصلت العمادية وزحفت الى القصبة تحت ستار شديد من النار توجهه الى القوات المدافعة عن القصبة.. اصبح موقف المدافعين حرج وخطير للغاية بسبب نفاذ عتادهم وأرزاقهم وازدياد عدد الشقاة المهاجمين.. يقول القائمقام ان مصير قواته الفناء بعد لحظات إن لم تسعفه الطائرات بالقصف وتزوده بالعتاد والأرزاق..

تقول آخر برقية للقائمقام وصلت في الساعة ٢٢١٥ ان الشقاة مزودين بمدافع الهاون والرشاشات.. نرجو تدارك الوضع بما تنسبون فوراً وإنبائنا إجراءاتكم، مكرر قائمقام العمادية لأعطاء مواقفكم الى قيادة الفرقة الثانية وآمر جحفل ل١١ في دهوك اختصاراً في الوقت.

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ٧

لاسلكية

الى فق٢ وآمر جحفل ١١

للمعلومات، الداخلية ورئاسة اركان الجيش والأستخبارات العسكرية وقائمقام العمادية.

من / متصرف لواء الموصل

الرقم ١٤٠٩ بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٩٦١

الحاقا ببرقيتنا ١٤٠٤ في ١٢ / ٩ فيما يلي برقية قائمقام العمادية الطارئة فوق العادة في ١٢ / ٩ تبتدئ- واصلت الطائرات القصف بالرشاشة غير مجدي، الصواريخ والقنابل هي الفعالة.. أخليت القصبة من النساء والأطفال عدا الشقاة نرجو قصفها، واهمها الدار العالية المنفردة المجاورة لحوض الماء والبناية الطويلة العالية المقابلة للمستشفي والتي تقع بجانب الدار التي قصفتها الطائرة الأولي بالصواريخ بالنسبة الى اتجاه الطائرة عند قصفها تلك الدار وكذلك المنارة التي تشكل خطراً جسيماً علينا والتي لا زالت قائمة نأمل ان يكون القصف مساء هذا اليوم لنكون بمأمن حتى تصلنا القوة. ونرجو اصدار اوامركم المقتضية بهذا الشأن. (المصدر السابق ص ١٥٢).

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ٨

لاسلكية

الى/ فق٢ مكرر قائمقام العمادية

من / متصرف لواء الموصل

رقم ١٤١٩ بتاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٦١

نرجو تركيز القصف على جميع دور قصبة العمادية حيث ان العصاة يحتلونها حالياً.. عدا الأماكن التالية حيث فيها قطعاتنا، السراي،المدرسة المجاورة، البلدية مقابل السراي، المستشفى.. لا توجد فائدة من قصف اطراف القصبة او الطريق العام.. نرجو الأستمرار بالقصف بدون انقطاع..

انبؤنا، مكرر قائمقام العمادية برقية فرقة العمادية ١٣ /٩ (السابق ص١٥٢).

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

ويبدو ان القصف الجوي بالرشاشات لا يفي بالغرض فالمطلوب التركيز على الصواريخ والقنابل. وهذا ما يطلبه المتصرف.

الوثيقة رقم ٩

الى فق٢ مكرر آمر جحفل ل١١ في دهوك وطيران دفاع والحركات العسكرية، للمعلومات قائمقام العمادية.

من / متصرف لواء الموصل

الرقم ١٤٦٩ بتاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٦١

الموقف في العمادية خطير جداً والأجراءات مقتصرة علي قصف الطائرات فقط وبشكل لا يؤدي الى النتيجة المتوخاة فهو يخفف الضغط علي قواتنا لمدة قصيرة وأثناء الغارات فقط ويلجأ المتمردون الى إخفاء انفسهم ثم يعودون ثانية بشكل انتقامي وبشدة.. نرجو اوامرك الفورية السريعة بقصف دار القائمقام والمستشفي وكافة الدور المقابلة في القصبة وأن يكون القصف هذا اليوم بالصواريخ والقنابل فقط لأن القصف بالرشاش لا يجدي نفعاً. (السابق ص١٥٣).

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ١٠

لاسلكية طارئة

الى فق٢ طيران دفاع، الحركات، للمعلومات قائمقام العمادية

من / متصرف لواء الموصل

الرقم ١٥٦٩ بتاريخ ١٥ / ٩ / ١٩٦١

نظراً لتجدد هجمات العصاة علي قصبة العمادية صباح وظهر اليوم فإن ذلك يدل على بقاء العصاة متغلغلين بالمدينة والوديان المجاورة.. نرجو إعادة القصف ثانية للحفاظ على موقف العمادية الذي تحسن نسبياً من هجمات العصاة الذين أخذوا يتجمعون.. نرجو استثناء دار القائمقام من القصف حيث يمكن لقواتنا اتخاذ ربيئة عليه.. نرجو قصف قرية جلكي ايضاً.. مكر قائمقام العمادية وقد طلبنا ببرقيتنا هذه إسعاف طلبكم ببرقيتكم الطارئة فوق العادة ٥ في ١٥ / ٩ والأيعاز الى الربيئة التي احتلت دار القائمقام بوضع اشارة. (السابق ص١٥٤).

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ١١

لاسلكية طارئة

الى فق٢ طيران دفا ع. الحركات، للمعلومات: الداخلية، رئاسة أركان الجيش، الأستخبارت العسكرية، الشرطة العامة، الأمن العامة، آمر جحفل ل١١ في دهوك، قائمقام العمادية.

من / متصرف لواء الموصل

الرقم ١٦٣٩ بتاريخ ١٦ / ٩ / ١٢٩١

نشير الى برقية قائمقام العمادية ف/ ٢ في ١٦ ـ ١٧ / ٩ ونرجو إصدار اوامركم الفورية والحازمة بإنقاذ الموقف وتخليص قواتنا الموجودة في عمادية من العصاة المتمردين وإنبائنا.. مكرر الداخلية ـ تفيد الأنباء الواردة الينا ان المتمردين والعصاة جردوا معظم اسلحة الفصائل والمراكز والمخافر وبضمنها مدافع الهاون والقنابل اليدوية والمفرقعات الموجودة في سركوز في برواري بالا العائدة الى بعثة وزارة الصناعة للتنقيب عن المعادن وقد وجدت بعض القطع منها قريبة من سراي العمادية لم تنفجر..

إن المتردين أخذوا يتحشدون للقيام بهجوم جديد على مركز القضاء وقد طلب قائمقام العمادية تعزيز القوات في العمادية بإرسال النجدات العسكرية ولو عن طريق الأنزال إذا تعذر أيصال القوات براً. (السابق ص ١٥٥).

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

الوثيقة رقم ١٢

العدد/ بلا بتاريخ ١٧ / ٢ / ١٩٦٢

الى سيادة الافضل متصرف لواء الموصل المحترم

من جلال الدين الشيخ نوري البريفكاني

المعروض لسيادتكم

إن كافة اهالي القري المجاورة لقريتنا بريفكا حتي مركز ناحية اتروش قد تركوا قراهم ولم يبق احد سوى قوتنا في بريفكة فقط، مع العرض اننا لا نترك قريتنا الى ان نفدي بأرواحنا وأرواح جماعتنا البالغ عددهم ١٥٠ مسلح ونحيط سيادتكم بأن اعتمادنا على الله وعلى ذاتكم الشريف وشفقتكم علينا كما شاهدنا حتى الآن.. فعليه الرجاء التفضل بإصدار أمركم السامي بتزويدنا ١ ـ فصيل شرطة ٢ ـ أربعة رشاشات وأنا متعهد لمحافظتها

وتسليمها للحكومة ٣ ـ لاسلكي ٤ ـ مسدسين تنوير ٥ ـخمسة خيم ٦ ـ أرسال العتاد عند مباشرة المصادمة وقطع طرق المواصلات بواسطة الطيارات لكي لا يصير مصيرنا مثل جماعة كلحي آغا الريكاني عند نفاذها، والأمر لسيادتكم.. مكرر قائمقام الشيخان لتأييد معروضاتنا اعلاه.(السابق ص ١٨٤).

الجدير بالملاحظة في هذه الوثيقة ان هناك عداوة بين هذه القرية والمزوريين في المنطقة وهم من المتعاطفين مع الثورة الكردية. وأتذكر اننا كنا في نمر بهذه القرية في مطاوي عام ١٩٦٣ وكانت بيد الثورة الكردية (المؤلف).

وفي برقية مؤيدة لهذا الطلب من قبل متصرف لواء الموصل الى قائمقام الشيخان وآمر قوات الشرطة في دهوك وقائمقام دهوك ومدير شرطة الموصل يقول:

إن قرية بريفكا مهددة باحتلال العصاة لها انتقاماً من اهلها، ونري بأن ترك الموالين بهذا الوضع الخائف المضطرب ليس من المصلحة بشئ.. لذا نرجو تدارك الموقف وتزوريدهم بما يمكن تزويده اليهم من مطاليبهم.... (السابق ١٨٤ ـ ١٨٥)

عبد اللطيف الدراجي

متصرف لواء الموصل

وثيقة رقم ١٣

الجمهورية العراقية

سري للغاية

من آمرية لواء المشاة الحادي عشر

الرقم / ١١٥٣ بتاريخ ٢٣ / ٣ / ١٩٦٢

الى قيادة فق٢

الموضوع / تفاصيل حادث التعرض علي القافلة العسكرية في مضيق جالوك.

١ ـ وقوع الحادث

آ ـ في الساعة ٨٠٠ من يوم ١٨ / ٣ / ١٩٦٢ تحرك فصيل مشاة بأمرة الملازم يحي جاسم من ف٣ ل١١ من سرسنك مع مدرعة وناقلة، وفصيل مشاة مع مدرعة وناقلة من بامرني بأمرة الملازم غالب طالب السعد مع المحطة اللاسلكية والمجس الجوي، و– ند وصولهم سواره توكه استصحبت القافلة معها جماعة ف٢ ل١١ وكان فصيل مشاة بأمرة الملازم محسن ابليش وتوجهت القافلة الى دهوك...

ب ـ بالساعة ٩٣٠ وصلت القافلة الى مضيق جالوك احداثيات ٩٢٩٣ وعند توغل القافلة بالمضيق فتحت نيران الرشاشات والبنادق وهاون ٢ عقدة على القافلة من الجانبين وعلى اثرها ترجل المراتب من العجلات وتبادلوا اطلاق النار مع العصاة.

ج ـ أخبر آمر القافلة اللواء بالموقف وقد تم الأتصال بمقر الفرقة حول تأمين الأسناد الجوي للقافلة، وفعلاً حضرت القوة الجوية خلال نصف ساعة من وقوع الحادث وباشرت برمي تجمعات العصاة علي جانبي مضيق جالوك.

٢ ـ الأجراءات

عند وقوع الحادث تحركت قوة النجدة مؤلفة من جحفل سرية مشاة زائداً فصيل مع رعيل مدرعات بقيادة مجيد سبع ووصلت القوة الى محل الحادث بالساعة ١٢١٥ وترجلت القوة حال الوصول الى المضيق وتمكنت من احتلال كتفي المضيق وفي الساعة ١٥٠٠ انقطع الرمي وانسحب الشقاة... وقد اخلي قسم من الخسائر بطائرة هيلوكبتر من مانكيش وتمكنت من الأستيلاء على مدفع هاون ٢ عقدة كان العصاة يستخدمونه في الأصطدام، وكان تعاون القوة الجوية رائعاً جداً وقد عادت القوة مع القافلة بالساعة ١٧٠٠ تاركين عجلة مقلوبة وقد انسحب فصيل الحماية العائد فـ١ ل١١ الذي كان في الأخير الى جحفل سرية مانكيش بالنظر لقرب المسافة.

٣ ـ قوة العدو وتسليحه

آ ـ يتسلح الشقاة ببنادق البرنو والرشاشات الخفيفة التي استولوا عليها ومدافع الهاون ٢ عقدة والرمانات اليدوية.

ب ـ تقدر قوة الشقاة بـ ٣٠٠ مقاتل ويعتقد بأنهم جماعة عيسو البارزاني ورشيد سعيد دوسكي.

ج ـ احتل الشقاة المضيق في ليلة ١٧ ـ ١٨ / ٣ بعد ان كانوا موزعين في القرى القريبة: دركلي، وبراش، وباكيرات، ومرابة.

د ـ كان الشقاة يرتدون الخوذ الفولاذية وحقائب الظهر والزمزميات اثناء المعركة.

٤ ـ الخسائر

آ ـ قواتنا

خسائر الأشخاص راجع الملحق آ (وحسب هذا الملحق فإن الخسائر ٢٧ قتيل بينهم اثنان من الضباط وعدد الجرحي ٣٢).

خسائر العجلات والأسلحة راجع الملحق ج (وفي هذا الملحق فإن خسائر الجيش في هذه المعركة ٢ رشاشة برن و٤ غدارة سترلنك وبعض العتاد)

ب ـ خسائر الشقاة

تقدر خسائر الشقاة بـ ٣٥ قتيلاً و٢٠ جريحاً تركوا في ساحة المعركة وقد تم اخلائهم ليلاً بعد انسحاب القوة وخسائرهم من السلاح مدفع هاون مع نجادة عتاد وقنبلتين هاون حية.

ج ـ التلطيف والمكافأة

في الوقت الذي نشكر ونقدر جهود منتسبي وقوة النجدة علي تضحيتهم نرجو الوحدات أخبارنا بأسماء الذين أبدوا شجاعة وتضحية اثناء الواجب لغرض تلطيفهم.

الزعيم علي العاملي

آمر لواء المشاة الحادي عشر

صورة منه /.. للمزيد المصدر السابق ص ١٨٥ ـ ١٨٨).

الوثيقة رقم ١٤

العفو العام عن إخواننا في شمال الوطن

لقد اصدر سيادة رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة اللواء الركن عبد الكريم قاسم اوامره بمناسبة عيد الفطر المبارك بالعفو العام دون قيد او شرط عن ابناء الشعب في شمال الوطن وطلب من كل واحد منهم ان يكون جريئاً فيذهب الى أقرب سلطة إدارية او عسكرية ليسجل اسمه في سجل المجاهدين لمحاربة الأستعمار، لأن المستعمرين والطامعين يعملون المؤامرات والدسائس ليفرقوا بين ابناء البلد ويضعفوا قوتهم وإيمانهم ولكن الشعب العراقي البطل يعرف مؤامرات الأستعمار ومكائده وسوف يفوت الفرصة عليهم بعزم وإيمان.

إخواننا ابناء الشعب الكرام، لقد طلب الزعيم الأمين أن تجمعوا شملكم وتوحدوا صفوفكم لمحاربة أعداء الوطن وتتركوا الحقد والضغينة فيما بينكم كما أمر سيادته بتشكيل لجنة تذهب الى المنطقة الشمالية لتنظيم الكشوف والمواصفات لتعمير القري المخربة لكي يعود الخير والهناء والسعادة للجميع، ورجا سيادته الخير والتوفيق والعزة والأباء والفخر والشمم لأبناء الشعب كافة. (مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص٤٦٣).

قيادة الفرقة الثانية / في ٧ آذار ١٩٦٢

الوثيقة رقم ١٥

رسالة من عمر مصطفى الى البارزاني

روستي في ١١ / ٧ / ١٩٦٢

استاذي العزيز ملا مصطفى البارزاني

تحية كردية حارة

بالأمس لكم رسالة بينت فيها كل الأوضاع هنا، لقد كتبت بأنه بعد الساعة ١١٥ بعد منتصف ليلة ٩ـ١٠ / ٧ / ١٩٦٢ قامت قوات الجحوش بشن هجوم شديد من كل الجهات، البشدريون الذين أخذوا علي عاتقهم حماية (حصار روستي) لم يكونوا قد حصنوا مواقعهم وخاصة تلك المسيطرة علي مواقعنا التي تبدأ من اسفل (حصار) باتجاه روستي. لقد اشتبك البيشمركه مع الجحوش لكن المواقع في اعلي (حصار) أثرت على مقاومة رفاقنا، وقد جرح الكثيرون منا وقتل احد افراد جماعة محمد آغا ويدعى حمه على. وبالنتيجة تركت جماعة محمود آغا مواقعها على المرتفع ونزلت الى الأسفل مما أدي بنا الى التفكير بالأنسحاب لأنهم يسيطرون علينا سيطرة محكمة. فانسحبنا مضطرين الى المضيق الواقع خلف القرية لأنه موقع وسط ضمن سلسلة من المواقع الأخرى التي هي تحت سيطرة الشيخ حسين، وهدفنا ان نصل اليهم عسى ان نتوصل الى حل آخر.

أضرم الجحوش اليوم النار في دار قادر آغا، وضعنا الآن ليس على ما يرام، فأطفال قادر آغا وذويه تركوا القرية وقادر آغا بصحبتنا. قام محمود آغا وجماعته بمغادرة المكان وحاولت دون جدوى حملهم على العودة وقد ألححت عليهم كثيراً بأن لا يرحلوا ولكن دون جدوي ولا أدري الى اين ذهبوا فربما عادوا الى بيتوين.

الوضع هنا ليس جيداً الآن إذا لم نقم باستعادة (حصار) فأحيطكم علماً أن قوة محمود كاواني ستكون في خطر لأن العدو سيهاجمها من فوره وسيباغتها وستتمكن الشرطة والعسكر من النزول من مضيق (بيشه) بسهولة لاحتلال كَلالة والطريق المبلط وسيهاجم قسم منهم محمود، فإذا امكن نرجو ان ترسلوا قوة من البارزانيين لأستعادة (سَري حصار)، ولو تمكن البارزانيون المرابطون في مواجهة الصوفية ان يهاجموهم ويشاغلوهم، فمما لا شك فيه ان الهركيين والصوفيين في هذه المنطقة لن يتمكنوا من التقدم أكثر، كما ان جماعة الشيخ حسين والبشدريين ما زالوا يحتفظون ببعض المواقع في (سَري حصار). وإن عدداً من رفاقنا البيشمركه المنسحبين لم يلتحقوا بنا بعد.

الوضع هما هو كما بينت لكم أعلاه وإن لم ترسلوا لنا قوة إسناد جيدة فإن الوضع سيكون

أسوأ. واعلموا أننا قتلنا عشرين جحشاً. والذخائر التي بحوزتنا قليلة جداً لا سيما الروسية والأنكليزية. يرجى إرسال بعض الذخائر لنا.

نحن بانتظار أوامركم، قادر آغا وجميع الأخوة هنا يبلغونكم السلام.

ملاحظة:

١ ـ القوة التي أرسلناها الى محمود كاواني بقيت عنده ولم تعد الى الآن.

٢ ـ اعتقد ان قوة سيارة ترافق قوات الجحوش، لأن غالبيتهم يحملون الرشاشات الروسية والبندقيات الروسية. (المصدر السابق ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨)

صغيركم / دبابة

الوثيقة رقم ١٦

قائد الفرقة الثانية / الزعيم محمود عبد الرزاق

سيادة ملا مصطفى البارزاني المحترم

إن الرغبة في إعادة السلام والأستقرار في الشمال رائد كل مخلص لبلاده. لذلك قررت الأجتماع معك في المكان والوقت الذي تقرره أنت على شرط ان يكون بعيداً عن منطقة القتال ويحضره وهاب آغا بن محمد علي آغا. إن التفاهم الودي نحو سعادة الشعب وصيانة القانون والعمل بإخلاص مع السلطة الوطنية سوف يحل بسهولة جميع الأمور الأخرى.

تقبلوا فائق احترامي (المصدر السابق ص ٤٧٢).

الزعيم محمود عبد الرزاق

قائد الفرقة الثانية في ٦ / ٧ / ١٩٦٢

فائدة: أشرف عزت العميدي، حالياً مقيم في اوسلو عاصمة النرويج

الفصل الثاني عشر

مسيرة الثورة الكردية من الحكم البعثي الأول الى الحكم البعثي الثاني

رغم ان عبد الكريم قاسم شن حربه الظالمة
الكردي بكل ما جرته من مآس وويلات عليه
وعلي الشعب العربي ايضاً، فإني أقولها هنا
أن مقتله لم يخلّف في نفسي أي
شعور بالأرتياح والسرور.
وقناعتي هي انه رغم سوء عمله معنا
فإنه اسمى وأعلى كثيراً من أولئك
الذين قاموا بالأنقلاب في شباط
(مسعود البارزاني)

الدهاء السياسي

ثمة من يقول ان السياسة هي فن الممكن، وآخر يري انها علم وفن، وثالث يقول إنها نشاط توظف كل الوسائل المتاحة بما فيها الخداع والسرقة والكذب المهم ان تكسب في النهاية. لكن هناك من يقول ان برنامجي السياسي بسيط وهو ان اصل الى الحكم. وحول هذا المحور كانت تدور عجلة القيادة في الأحزاب والقوى القومية في العراق. وهي تتطلع الى الوصول الى سدة الحكم وبغية ذلك تناور وتتعاون مع من تعتبرهم اعداء بل وتضمر لهم المكيدة بعد استلام الحكم ولهذا نقول انهم يعلمون من اين تؤكل الكتف كما يقال.

اصدرت حركة القوميين العرب في ٢٢ آذار ١٩٦٢ بياناً ادانت فيه تعثر الحكومة وتساهلها في القضاء على الثورة الكردية ويمضي بيانهم الى القول: إن شهداء العروبة الذين خروا صرعى برصاص الغدر والخيانة التي احكم خيوطها المجرم عبد الكريم قاسم، ففي الوقت الذي تقوم عصابات مصطفى البارزاني الأنفصالية المجرمة بحرق القري وتخريب الطرق.. يعلن عبد الكريم قاسم عفوه بدون قيد او شرط عن المجرمين القتلة ويرسل لهم بالطائرات

العسكرية المؤن والأرزاق.. ويتساءل البيان: لماذا يمنع القطعات العسكرية من ضرب العناصر المتمردة؟ ولماذا لم يسمح للطائرات بضربهم بالصواريخ والقنابل؟ ولماذا لم يحاسب الذين اشتركوا مع المجرم مصطفى البارزاني أمثال طه البامرني وأحمد البارزاني وغيرهم؟ ويختتم البيان بقوله: عاش نضال شعبنا العربي من أجل القضاء على حكم قاسم الشعوبي، والمجد والخلود لشهداء العروبة والبيان موقع من حركة القوميين العرب[1].

في نفس السياق ورد في جريدة (الأشتراكي) وهي لسان حزب البعث في العراق في تصريح لمصدر قيادي في أيلول ١٩٦٢ بعنوان " حول الحركة المشبوهة في الشمال " يقول:

إن الحركة المسلحة التي قامت في شمال العراق منذ اكثر من عام اصبح استمرارها يمثل خطراً ليس على استقلال البلاد، وحسن العلاقات بين الشعبين العربي والكردي فحسب، بل على وجود العراق.. فقيادة الحركة المسلحة بتاريخها الملطخ بالدماء والمتصف بالأعتداء ونياتها العدوانية التي افصحت عنها مراراً وبغضها الأعمى يجعلها محلاً للشبه والأتهام.

إن نفس الصحيفة تكتب اثناء إجراء مفوضات سرية مع القيادة الكردية في تشرين الثاني ١٩٦٢ فأوردت مقالاً تحت عنوان مخاطر الحركة المشبوهة في الشمال وموقف قاسم جاء فيها:

إن الحركة المسلحة على الرغم من انها معادية للحكم القاسمي الا انها بسبب ارتباطاتها واساليبها واتجاهاتها لا يمكن ان تعتبر جزء من الحركة الوطنية في العراق.. وعلى الرغم من اعتقادنا بأن طرفي الفتنة (عبد الكريم قاسم) وقيادة الحركة المسلحة (بارتي وإقطاعيين) لا يمثلان رغبة الشعبين العربي والكردي ولا يعبران عن مطالبهما[2].

إن هؤلاء سيصبحون اصدقاء الثورة الكردية والمثل العراقي يقول: مع هكذا اصدقاء لا تحتاج الى اعداء. وبالفعل سوف تثبت الأحداث ان هذه كانت مناورة سياسية ذكية ماكرة لتثبيت الأقدام ومن ثم الوثوب على الخصم، أجل ساد الوئام والسلام في المنطقة لكنه كان سلاماً هشاً لم يصمد طويلاً إمام إرادة الحرب المبيتة.

إن من يكتب مثل هذا البيان سيكون مستعداً للتعاون مع من يسميهم انفصالين ومجرمين ومتمردين ويطلب ضربهم بالقنابل والصواريخ ويعطيهم كلام شرف بأنه سيلبي كل مطالبهم، وهذه الحالة تبلور النظرة الميكافيلية في ان الغاية تبرر الوسيلة. فالغاية الى استلام الحكم ولا بأس ان يكون اعداء الأمس أصدقاء اليوم فبدلاً من ضربهم بالصواريخ والقنابل شرعوا الجلوس معهم علي مائدة المفاوضات.

كثير من العوامل ساعدت الأنقلابيين في إطاحة عبد الكريم قاسم، اهمها عوامل الضعف

والوهن التي ألّت بالحكومة منها الموقف العدائي من الحكومة من قبل القوى القومية التي كانت تتآمر للأنقضاض عليها، ورد فعل الحكومة على هذا الموقف كان التساهل والتسامح وعفا الله عما سلف.

في مساحة كبيرة من كردستان كانت قطعات الجيش منشغلة ومنتشرة بين الجبال والوديان ويوم الهجوم على وزارة الدفاع في ٨ شباط عام ١٩٦٣ كان هذه القوات بعيدة عن مسرح الأحداث الساخنة، فلم يكن لها دور فعلي في مواجهة القطعات المتمردة في بغداد. وهكذا انفردت تلك القوات بالهجوم المركز الأرضي والجوي على مراكز حساسة مثل الأذاعة والتلفزيون ووزارة الدفاع ومعسكر الرشيد..

من الناحية السياسية عمد عبد الكريم قاسم الى خلق نموذج لتوازن القوى بعدم ترك الحبل على الغارب لأية قوية سياسية تحاول احتكار الشارع، ولا بأس من تضارب هذه القوى فيما بينها وهو يري ان هذه الحالة تعمل على إضعاف الطرفين على فرض ان الحكومة تكون الجانب القوى، ولترجمة هذه النظرية الى الواقع حارب الشيوعيين وكتم انفاسهم مقابل مغازلته للقوى القومية، فعلى نطاق قوي الأمن الداخلي وهو جهاز حكومي مهم، كان لهذا الجهاز دور رئيسي في السماح لهذه القوي بالعمل السري حيث كان لها (الأمن) موقف غض الطرف والسكوت حيال نشاطات هذه القوي خلال السنتين الأخيرتين من حكم قاسم، فكانت ميليشيات حزب البعث لها تدريب كامل وكانت متهيئة للنزول الى الشوارع يوم الأنقلاب واتخذت لها اسم الحرس القومي.

في المشهد السياسي العراقي كانت للحركة الكردية تأثيراتها الفعالة في إنهاك الحكومات وإضعاف الجوانب العسكرية والسياسية واستنزاف قدراتها الأقتصادية، وقد لعب هذا الجانب الدور المؤثر في نجاح الأنقلاب العسكري في ٨ شباط.

لكن هذا العامل سيبقي قائماً ومساهما بشكل مباشر او غير مباشر في سقوط عدة حكومات عراقية وفي نجاح اكثر من انقلاب على الحكومة المركزية في بغداد. بسبب تعثر هذه الحكومات في حلحلة المعضلة الكردية، والسبب الرئيسي في تفاقم هذه القضية كان غياب الديمقراطية عن المشهد السياسي العراقي، وكان الحل العسكري في مقدمة الحلول التي تؤمن بها هذه الحكومات التي استملت زمام الحكم عن طريق انقلابات عسكرية.

هكذا فقد عبد الكريم قاسم الكثير من شعبيته بين أي تكتل جماهيري قادر على التأثير في الموازين، فكانت هناك قطيعة كاملة بين قاسم والأحزاب السياسية والمنظمات والجمعيات، وهذا الوضع المتردي ساعد الأطراف السياسية ذات التوجه القومي التي كان يجمعها هدف

الأطاحة بحكم عبد الكريم قاسم، فيتربصون لانتهاز اي ظرف ملائم لاطاحة قاسم، وكان انقلاب ٨ شباط حلقة من حلقات التآمر على حكم قاسم والذي كتب له النجاح، لقد ساهم في الأنقلاب حزب البعث العربي الآشتراكي وحركة القوميين العرب وحركة الأشتراكيين الوحدويين، إضافة الى كتلة عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر العسكرية.

ورغم مشاركة جميع جميع الأتجاهات القومية العربية الفاعلة أنذاك فإن حزب البعث أدي الدور الأول في الأعداد لإطاحة عبد الكريم قاسم ومن ثم احتلال مواقع السلطة مع كتلة عبد السلام عارف العسكرية، لكن منذ الأسابيع الأولى للأنقلاب ظهرت جرثومة انقلاب آخر، إذ لم يكن الأنسجام متوافراً بين كتلة الجنرالات وبين الأحزاب السياسية[٣].

قبل إطاحة عبد الكريم قاسم كان ثمة اتصالات بين البعث وهو الذراع الأقوى في انقلاب ٨ شباط وبين الحزب الديمقراطي الكردستاني وقيادة الثورة الكردية، وحدثت هذه الأتصالات عبر الضابط طاهر يحي عن طريق صديقه الضابط الكردي المتقاعد كريم قرني، وكان المطلوب من الأكراد إلتزام الهدوء وعدم التعرض للقطعات العسكرية وإرسال برقية تأييد للثورة الناشئة في وقت مبكر، مقابل منح حكم ذاتي للأكراد (اوتونومي) بعد نجاح الثورة.

لقد كان كل طرف في هذه المعادلة يتوخي الفائدة من وراء هذا التعاون، فقيادة الثورة الكردية سئمت الأوضاع ورأت في تبديل الحكومة ربما يفتح باب جديد لتحقيق اهدافها، كما ان وقف القتال سيكون فسحة لالتقاط الأنفاس والخلود الى الراحة والأستفادة من أجواء السلم وإنهاء الحصار الأقتصادي وتصريف تبوغ المزارعين الأكراد الذي يعتبر دخلاً مهماً للفلاح الكوردي.

على الجانب العسكري كانت هذه الهدنة، في اعقاب نجاح الأنقلاب، فرصة سانحة لأعادة انتشار القوات الكردية، حيث اعادوا بسط سيطرتهم علي مناطق كانوا قد تركوها في عهد عبد الكريم قاسم.

كانت حكومة البعث التي كان يرأسها عبد السلام عارف منهمكة في مطاردة الشيوعيين وتصفيتهم وفق البيان رقم ١٣ السيئ الصيت الذي اصدره الحاكم العسكري العام والذي أباح فيه لأعضاء حزب البعث وأنصارهم والحرس القومي في قتل الشيوعيين وإبادتهم في كل مكان.

كان جرحاً بليغاً اصاب الشيوعيين وحلماً رهيباً استمر بشكل وآخر الأشهر التي يمسك بها حزب البعث زمام السلطة، فالحكام الجدد يحملون حساباً يريدون تسويته بحماستهم الثأرية، فعاملوا المناطق التي وقفت في وجههم وكأنها بلد عدوّ. فانتشرت قوات الحرس

القومي ووحدات من القوات المسلحة تمشط البيوت وأكواخ الطين.. وجرى إعدام كل شيوعي حقيقي او مفترض، لأبدائه أقل مقاونة او لمجرد الأشتباه بنيته في المقاومة. وازهق عدد الذين اعتقلوا بهذه الطريقة السجون الموجودة فتم تحويل النوادي الرياضية ودور السينما والمساكن الخاصة وقصر النهاية وجزء من شارع الكفاح في الأيام الأولي الى معسكرات اعتقال، وكانت الأعتقالات تنفذ بموجب قوائم موضوعة سابقاً[٤].

هذا من ناحية ومن جانب آخر كانت الحكومة مشغولة ايضاً في مسألة تحقيق الوحدة الثلاثية مع مصر وسوريا والتي طبلت القوى القومية وحزب البعث لها كثيراً، ولم يتحقق شئ من هذه الوحدة في نهاية المطاف سوي الشعارات التي كانت طاغية علي إعلام هذه الفئات.

كما ورد في بداية هذا الفصل بدأت الأتصالات بين التيار القومي وقيادة الحركة الكردية منذ ان كان هذا التيار يندد بعبد الكريم قاسم لأنه لا يستخدم القذائف والصواريخ من الطائرات لضرب الأكراد، وكان باكورة هذا الأتصال قد نفذه العقيد طاهر يحي في مطاوي عام ١٩٦٢ وكان جواب الأكراد ايجابياً على هذه الدعوة على ان تنفذ مطالبهم.

أرسل طاهر يحي في آب ١٩٦٢ رسالة الى الحزب الديمقراطي الكردستاني يطلب فيها تشخيص ستة اسماء لشخصيات كردية للمشاركة في الحكومة المقبلة بعد إطاحة قاسم، وتم اقتراح اسماء:

بابا علي، وفؤاد عارف، وبكر كريم، وعمر مصطفى، وجلال الطالباني، وعلي العسكري.

لقد كاان طاهر يحي في هذه الفترة خارج صفوف حزب البعث وبعد انضمامه الى هذا الحزب استمرت اتصالاته مع الأكراد والتنسيق معهم.

المعروف عن علاقة الحزبين البعث والديمقراطي الكردستاني كان عنصر التحفظ والتوجس يخيم على مجمل علاقاتهما حتى الأمس القريب، والأمر يعود الى بشكل كبير الى المنطلقات النظرية للحزبين وما شاب علاقتهما من التوتر واللإنسجام. كان البعث يرى في الحزب الديمقراطي الكردستاني رديفاً او صديقاً مقرباً للحزب الشيوعي العراقي الذي يضمر له العداوة ويتحين الفرص للأنتقام منه. من جانبه كان الحزب الديمقراطي الكردستاني يتوجس خشية من التعاون مع حزب البعث الذي يقترب فكره من الفكر الفاشي ويشك ان يكون في مقدوره حل مسألة القومية الكردية على اسس ديمقراطية. لكن يبدو ان هذه المرحلة أوجدت قاسماً مشتركاً بين الطرفين وهو هدف القضاء علي حكومة قاسم وهو مطلب مرحلي، وبعدها كل يسعي في طريقه وهذه الحالة مكررة في التاريخ حينما يجتمع الفرقاء من مختلف المشارب والمذاهب علي هدف واحد وبعد تحقيقه يفترقون كل في طريقه.

كان البعثيون كرماء في وعودهم للأكراد فيكشف احد المفاوضين الأكراد النقاب عن مجريات الجلسة المعقودة بين الحزبين البعث والديمقراطي الكردستاني قبل الأنقلاب بأيام قليلة أي في ٤ شباط ١٩٦٣، حضره عن الجانب الكردي صالح اليوسفي وشوكت عقراوي، وحضر عن البعث علي صالح السعدي الذي أكد على الأعتراف بالحكم الذاتي للشعب الكردي وذهب الى القول: أن البعث لا يفكر بدائرة الحكم الذاتي فحسب، وإنما ينطلق في تفكيره الى حق تقرير المصير والأستقلال الناجز وإن رجال البعث لا يمكن ان يكونوا قوميين صالحين إن لم يفكروا على هذا المستوي. وان حزب البعث سوف يساعد الكرد على تحقيق كردستان الكبري[٥].

وفاءً بوعدهم بادر الأكراد في الساعات الأولى لاعلان الثورة في ٨ شباط الى إعلان تأييدهم وتعزيزاً لذلك توجه كل من صالح اليوسفي وفؤاد عارف وشوكت عقراوي الى المجلس الوطني لقيادة الثورة في مبني الأذاعة في بغداد وبعثوا برقية تأييد باسم الحزب الديمقراطي الكردستاني وفي اليوم ذاته أمر ملا مصطفى البارزاني قواته بإيقاف القتال على طول الجبهات. في التاسع عشر من شباط ١٩٦٣ وصل جلال الطالباني مع وفد مرافق له الى بغداد لأجراء المفاوضات مع الحكم الجديد.

بادر الحكم الجديد بإصدار بيانه الأول وعلى نمطية الأنقلابات العسكرية كان سرد كل مثلبة من مثالب النظام المهزوم والتاريخ دائماً يكتبه المنتصرون، وهكذا كان البيان الأول في صباح يوم ٨ شباط ١٩٦٣ الذي كان مذيلاً باسم المجلس الوطني لقيادة الثورة. جاء فيه:

لقد تم بعون الله القضاء علي حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهترة التي سخرت موارد البلد لتطمين شهرتها وتأمين مصالحها فصادرت الحريات وداست الكرامات وخانت الأمانة وعطلت القوانين واضطهدت المواطنين..لقد تحملنا مسؤولية القضاء علي الطغمة الفاسدة التي تسلطت على ثورة الشعب والجيش فأوقفت مسيرتها وعطلت انطلاقتها...

نحن نسعى الى تحقيق هدفين: الأول تحقيق وحدة الشعب الوطنية، والثاني تحقيق المشاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وإردارته، ولابد لأنجاز هذين الهدفين الآنيين من اطلاق الحريات وتعزيز مبدأ سيادة القانون... إن الحكومة الجديدة ستعمل على إطلاق الحريات الديمقراطية وتعزيز مبدأ سيادة القانون وتحقيق وحدة الشعب الوطنية بما يتطلب لها تعزيز الأخوة العربية الكردية، بما يضمن مصالحهما القومية ويقوي نضالهما المشترك ضد الأستعمار واحترام حقوق الأقليات وتمكينها من المساهمة في الحياة الوطنية.. للمزيد انظر (محمود الدرة: القضية الكردية والقومية العربية ص ١٧٤ ـ ١٧٦).

لقد كانت تركيبة المجلس الوطني تتكون من عناصر عسكرية حزبية ومن عناصر مدنية حزبية أيضاً وكان علي رأس هذه التشكيلة المشير الركن عبد السلام محمد عارف وشغل منصب رئيس الجمهورية وهو قومي مستقل ناصري الميول كما انه غير بعثي لكنه صديقاً لهم قبل ان ينقلب عليهم.

عبد السلام محمد عارف عربي سني مواليد ١٩٢١ بغداد وأصله من سميكة محافظة الأنبار ومن عائلة متوسطة ابن تاجر اقمشة دراسته الكلية العسكرية ١٩٣٨ ـ ١٩٤١، شغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ونائب القائد العام للقوات المسلحة منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. أعفي من منصبه الأخير في ١٢ أيلول ١٩٥٨ ومن مناصبه الأخري في ٥ تشرين الثاني.

حوكم بتهمة محاولة اغتيال قاسم وحكم عليه بالأعدام ثم اعفي عنه وأطلق سراحه في تشرين الول ١٩٦٢م.

رئيس جمهورية من ٨ شباط ١٩٦٣ وحتي مقتله بتحطم طائرة عمودية في ١٣ نيسان ١٩٦٦م.

ـ ومن الأعضاء العسكريين في مجلس قيادة الثورة الزعيم أحمد حسن البكر، وهو رئيس الوزراء للفترة ٨/٣ /١٩٦٣ ـ ١٧ / ١١ / ١٩٦٣ عضو المكتب العسكري للبعث وعضو القيادة القطرية وبعد ذلك عضو القيادة القومية.

الجدير بالذكر ان انتماء البكر للبعث لم يكن في شبابه وهو من مواليد تكريت سنة ١٩١٤ ونقتبس من من حاشية للمحامي جرجيس فتح الله: العراق في عهد قاسم ص٨٨٤ وجاء عن لسان البكر قوله:

كنت قد اعتقلت في سنة ١٩٦٢ مع جماعة من البعثيين التكارتة وغيرهم.لكني لم أختلط بهم وبقيت معزولاً عنهم، فجاء (الأولاد) أليّ مرات عديدة يريدون لي الأنخراط في الحزب، بقولهم: أنت كبيرنا ومقدم العشيرة ولا يليق ان تبقى منعزلاً عنا في حين كان من الواجب ان تقودنا. فأجبتهم والله يقولون ان البعثيين ملحدون ولا يؤمنون بالدين وأنا رجل مسلم أصوم وأصلي... وقالوا لي بإمكانك ان تأتي الى ردهتنا فترى كيف نقوم بالصلاة وقد ذهبت فعلاً فشاهدتهم يقيمون صلاة الجماعة (لعله كان طعماً اصطيد به. فقد كان البكر العسكري الوحيد الذي حمل رتبة عميد عند إحالته على التقاعد بعد ١٨ تشرين ١٨ تشرين) عندئذٍ قلت لهم (والكلام دائماً للبكر) قيدوني، وسأله رئيس المجلس عما يعني بكلمة قيدوني فأجاب يعني سجلوني عضواً في الحزب.

احمد حسن البكر عربي سني وهو من طبقة صغار الملاكين.

ـ الفريق الركن صالح مهدي عماش وزير الدفاع من ٨ شباط الى الي ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٣، عضو المكتب العسكري للبعث وعضو القيادة القطرية وعضو القيادة القومية وهو بعثي من سنة ١٩٥٢، عربي سني من بغداد مواليد ١٩٢٥ وعائلته من طبقة المقاولين الزراعيين الدنيا ابن ضمّان، أي الذي يضمن ناتج الأرض قبل الموسم.

ـ المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف وشغل منصب وزير المواصلات منذ ٨ شباط الى ١٧ تشرين الثاني في ١٩٦٣، وهو عضو المكتب العسكري للبعث، وهو عربي سني مواليد الأعظمية سنة ١٩٢٦ وهو ابن مدني في وزارة الدفاع.

ـ أمير اللواء طاهر يحي رئيس الأركان العامة من ٨ شباط حتي ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٣، بعثي اسمياً منذ ١٩٦٢ وهو سني من مواليد بغداد سنة ١٩١٤ واصله من تكريت وهو ابن تاجر حبوب، وهو الذي بادر الى الأتصال بالقيادة الكردية قبل مجئ البعث الى الحكم عام ١٩٦٣م.



في الصورة ملا مصطفى البارزاني مع طاهر يحي سنة ١٩٦٧ ويظهر في الصورة بالزي العربي الحاج شاكر وهيب الدوري رئيس عشائر الدور. وصديق البارزاني.

ـ العقيد الركن عبد الكريم مصطفى نصرت وهو قائد الحرس القومي ٨ ـ ١٨ شباط. قائد الفرقة المدرعة الرابعة، وهو بعثي منذ اواخر الخمسينات وهو عربي سني من مواليد بغداد سنة ١٩٢٦ وهو ابن ضابط في الجيش.

ـ الزعيم الركن عبد الغني الراوي قائد القوات المسلحة في محافظة الرمادي لأسبوع واحد بعد ٨ شباط وقائد الفرقة المدرعة الثالثة من ١٦ شباط الى ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٣ وهو صديق البعث بمشاعر اسلامية قوية، وهو عربي سني مواليد ١٩٢٤ بغداد لكن اصله من راوه. ابن استاذ لغة عربية اصبح فيما بعد محامياً.

ـ العقيد الركن خالد مكي الهاشمي، مدير الفيلق المدرع، ومعاون رئيس الأركان من آذار الى ١٧ تشرين الثاني وهو بعثي من سنة ١٩٦٠ مواليد ١٩٢٦ بغداد وهو ابن ضابط في الجيش العثماني.

ـ الزعيم الجوي الركن حردان التكريتي قائد سلاح الجو من ٢٨ شباط الى ١٨ تشرين الثاني، بعثي منذ ١٩٦١ وهو عربي سني مواليد تكريت سنة ١٩٢٥ وهو ابن شرطي.

ـ الرئيس الركن انور عبد القادر الحديثي، وهو سكرتير المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد ٨ شباط، بعثي من سنة ١٩٦٠ عربي سني من حديثة مواليد ١٩٢٧ وهو ابن تاجر.

أما اعضاء مجلس قيادة الثورة من المدنيين وحسب جداول حنا بطاطو في كتابه العراق ج٣.

ـ علي صالح السعدي، شغل مناصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ووزير الرشاد، وهو امين عام القيادة القطرية للبعث حتى ٢٦ أيلول وعضو القيادة القومية للبعث حتى ١١ تشرين الثاني وعضو المكتب العسكري لحزب البعث من شباط الى ١١ تشرين الثاني.

ـ حازم جواد، وزير دولة من ٨ شباط الى ١١ أيار. وزير الداخلية والشؤون الرئاسية ١٣ /٥ ـ ١٣ / ١١ عضو القيادة القطرية للبعث حتي ١٣ تشرين الثاني، عضو القيادة القومية للبعث حتى ٢٦ تشرين الأول. عضو المكتب العسكري للبعث من شباط الى ١٣ تشرين الثاني.

ـ طالب شبيب، وزير الخارجية ٨ / ـ ١٣ / ١١، عضو القيادة القطرية للبعث حتى ٢٦ ايلول، عضو القيادة القومية حتي ٢٦ تشرين الأول، عضو المكتب العسكري للبعث من شباط الى ٢٦ أيلول.

ـ حمدي عبد المجيد عضو القيادة القطرية للبعث حتي ٢٦ ايلول. أمين عام القيادة القطرية للبعث ٢٦ / ٩ ـ ١١ / ١١ وأيضاً عضو القيادة القومية للبعث حتى ١١ / ١١ ووزير العمل والشؤون الأجتماعية الى ٧ /١١ ـ ١١ / ١١.

ـ كريم شنتاف، عضو القيادة القطرية للبعث حتى ١٣ تشرين الثاني ورئيس تحرير جريدة الجمهورية حتى ١٣ تشرين الثاني.

ـ محسن الشيخ راضي عضو القيادة القطرية للبعث حتى ١١ تشرين الثاني وعضو القيادة القومية من ٢٦ / ١٠ ـ ١١ / ١١.

ـ حميد خلخال، وزير العمل والشؤون الأجتماعية ٨ / ٢ ـ ٦ / ٦ / ١٠. وزير الأشغال العامة والأسكان ٧ / ١٠ ـ ١٧ / ١١، وعضو القيادة القطرية للبعث حتى ٢٦ ايلول.

ـ هاني الفكيكي، عضو القيادة القطرية للبعث ٢٦ / ٩ ـ ١١ / ١١ وهو عربي شيعي من ام سنية ولد في بغداد سنة ١٩٣٦ ابن محام، وكان عضو في حركة انصار السلم سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٤م[٦].

الحوار بين النظام الجديد والقيادة الكردية

بادر الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ وفق اتفاق مسبق ـ الى تأييد الحركة المسلحة ضد قاسم، فأرسلت برقية تأييد منذ الساعات الأولي لما اشتهرت بمصطلح (تلاحم الثورتين). وفي التسلسل الزمني لمرحلة المفاوضات كان الأكراد سباقون الى المبادرة فبعد عشرة أيام من الأنقلاب ذهب جلال الطالباني على رأس وفد الى بغداد وباشر حواراً مع المسؤولين الحكوميين والحزبيين من البعث.

في هذه الأثناء توجه وفد من الحكومة العراقية برئاسة على صالح السعدي لزيارة كل من القاهرة والجزائر، وقد أقنع كل من جلال الطالباني وفؤاد عارف لمرافقة الوفد الرسمي، وقبل الوفد الكردي الدعوة علي مضض حيث ان مهمتهم تنحصر في التفاوض في بغداد لكن قبول الفكرة لم تكن سيئة رغم ان ملا مصطفى البارزاني صرح بأنه ارسل جلال للتفاوض في بغداد وليس في العواصم العربية، والمسألة يمكن النظر اليها على انها نوع من التجاوب والمسايرة والمناورة السياسية لكن رأي البارزاني كان يتسم بالصواب فحصر المشكلة في افقها خيراً انتشارها وتفرعها الى جهات عديدة، والبارزاني يرى انها مناورة وإلا لماذا ينتقل حل المشكلة الكردية الى مصر وسوريا؟ مع العلم ان عبد الناصر قدر الموقف الكردي على ما يبدو وأشار الى قبول الحكم الذاتي للأكراد وأعلن موافقته علي أي حل تقدمي ممكن الوصول اليه عن طريق المفاوضات بين الطرفين واتخذ احمد بن بلا نفس المموقف في ذلك الحين[٧].

كان اول وفد حكومي رسمي وصل الى (جوارقرنة) برئاية طاهر يحي الذي اصبح رئيساً لأركان الجيش وعضواً في مجلس قيادة الثورة وكان بصحبته كل من بابا علي الشيخ

محمود، وفؤاد عارف ومعهم العميد فتاح سعيد الشالي. قام البارزاني بتسليم رئيس الوفد نسخة من مشروع قانون الحكم الذاتي المطلوب. لقد قال البارزاني في هذه المفاوضات بأنه سيكون صريحاً الى حد الخشونة، وأضاف بانه من وجهة نظره فعلى الرغم من ان العرب والأكراد عاشوا سوية خلال التاريخ فإن الحقيقة تبقي ان العرب والأكراد لا يزالون شعبين مختلفين وعليه انصحكم بإعلان الحكم الذاتي كشرط أساسي لإنهاء القتال وقد احتوت المطالب الكردية:

١ ـ ان تعترف الحكومة بحق الكورد في الحكم الذاتي على الفور، وان ترسل نسخة من هذه الوثيقة ومن الدستور الجديد الذي يجسدها الى الأمم المتحدة.

٢ ـ ان تضم كردستان العراق مناطق ممتدة الى تركيا شمالاً وأيران شرقاً وسوريا غرباً وسلسلة جبال حمرين جنوباً.

٣ ـ ان تكون اللغة الكردية هي اللغة هي اللغة الرسمية في كردستان ولغة ثانية في سائر انحاء العراق.

٤ ـ ان يكون هناك نائب كوردي لرئيس الجمهورية وأن تعطي كردستان مجلس وزراء خاص ومجلس تشريعي خاص بها واشترط تعيين وزراء دولة أكراد للوزارات المركزية وأن تضم الوزارت المركزية وأي مجلس وطني قادم نسبة عادلة من الأكراد.

٥ ـ تشكيل وحدات مسلحة في داخل القوات المسلحة تتألف من الأكراد فقط. وان تتألف هذه الوحدات من الصنوف كافة، القوة الجوية، الدروع، المشاة، الهندسة، المدفعية.. الخ.

٦ ـ إقامة مؤسسات عسكرية في كردستان مماثلة لتلك الموجودة في الجمهورية العراقية.

٧ ـ أن لا تقل حصة كردستان عن ثلثي الواردات النفطية.

٨ ـ تشكل حكومة ذاتية لتقوم بتوقيع اتفاقية مع الحكومة المركزية تغطي هذه المطالب[٨].

طرح المشروع على مجلس قيادة الثورة، لكن يبدو ان الحكومة الجديدة استثقلت حجم المطالب المعروضة عليها من قبل القيادة الكردية، ورأت من الحكمة ان ترسل وفداً شعبياً لمحاولة التخفيف من سقف المطالب، لاسيما وأن ملا مصطفى البارزاني كان قد انذر الوفد الرسمي قبل عودته بأنه سيستأنف القتال إن لم تستجيب الحكومة الى المطالب الكردية وضرب أجلاً أمده نهاية آذار ١٩٦٣ بل لمح في تهديداته انه سيعلن استقلال كردستان ويفصلها عن العراق ولأجل ان يدعم تهديده استدعي رجاله من إجازاتهم وأمرهم بالأستعداد لمواصلة الحرب.

وأمام هذا الموقف بادرت الحكومة الى إرسال الوفد الشعبي الذي لا يمثل الحكومة، وضم

الوفد كل من الشيخ محمد رضا الشبيبي ووزير سابق في حكومة نوري السعيد، وهو زعيم حزب الجبهة الشعبية المنحل سابقاً، والمحامي فائق السامرائي نائب رئيس حزب الأستقلال المنحل سابقاً وكان سفير العراق السابق في القاهرة، والمحامي حسين جميل احد زعماء الحزب الوطني الديمقراطي المنحل سابقاً وهو وزير سابق في حكومتي نوري السعيد وعبد الكريم قاسم، والمحامي فيصل حبيب الخيزران احد أقطاب حزب البعث الحاكم وسفير عراقي سابق في موسكو وسكرتير سابق لحزب البعث، والدكتور عبد العزيز الدوري عميد جامعة بغداد، وزيد أحمد عثمان محامي كردي وعضو سابق في مجلس النواب الخاص بالأتحاد العراقي الأردني وهو من الشخصيات الكردية. وقد قابل الوفد ملا مصطفى البارزاني في (جوارقرنة)، وبعد عودة الوفد كان جواب الحكومة على تلك المطالب قد اوجزته عبر بيان من مجلس قيادة الثورة بتاريخ ١١ / ٣ ١٩٦٣ الذي جاء فيه:

بيان المجلي الوطني لقيادة الثورة في تحقيق اهداف المواطنين الأكراد.

عاش العرب والأكراد إخواناً تربطهم تربة وعقيدة ومصلحة، ولم يعكر صفو هذه الأخوة إلا الأستعمار والعملاء.

جاءت ثورة ١٤ تموز لتحرير الشعب، وكان مما أكدته الأخوة العربية الكردية كما نص الدستور المؤقت، ولكن الأرهاب والأنحراف في عهد الطاغية عبد الكريم قاسم شمل الأكراد كما شمل العرب، وأحل الفتنة محل الألفة، والريبة محل الثقة، وجلب الويلات على البلاد، وقامت ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك لتزيل الأنحراف وتؤكد مبادئ الحرية والعدالة، وتري من تعاون العرب والأكراد والقوميات الأخري أساساً لوحدة العراق.

ولما كان من اهم أهداف الثورة ايضاً إقامة جهاز عصري يأخذ بأحسن الأساليب في الأدارة والحكم، ولما كان اسلوب اللامركزية اسلوباً تحققت فائدته بالتطبيق في مختلف انحاء العالم لذلك وآخذاً بهذا الأسلوب وانطلاقاً من مبادئ الثورة التي اعلنت في بيانها الأول تعزيز الأخوة العربية الكردية بما يضمن مصالحها القومية، ويقوي من نضالهما المشترك ضد الأستعمار، واحترام حقوق الأقليات الأخري وتمكينها من المساهمة في الحياة الوطنية، لذلك فإن المجلس الوطني لقيادة الثورة يقر الحقوق القومية للشعب الكردي على اساس اللامركزية. وسوف يدخل هذا المبدأ في الدستور المؤقت والدائم عند تشريعهما كما ان لجنة مختصة سوف تشكل لوضع الخطوط العريضة للامركزية[٩].

بغية تنسيق الجهود والخروج برأي شامل يستقطب رأي النخبة الكردية في هذا الامر الخطير الذي يمس مصلحة الشعل الكردي، وباعتبار ان الحكم الذاتي وما طرحته الحكومة

الجديدة من مفهوم اللامركزية وغيرها من الشؤون عندئذٍ ارتأي ملا مصطفى البارزاني استشارة المكتب السياسي مع عدد كبير من الزعماء الوطنين الأكراد، وقد حضر هذا الأجتماع لفيف من ممثلي المنظمات السياسية والشعبية والمهنية ومن كل انحاء كردستان، وكان هذا الأجتماع في مدينة كويسنجق بتاريخ ١٨ ـ ٢٢ / آذار / ١٩٦٣ وبلغ عدد الحاضرين حوالي ٢٠٠٠ كردي من بينهم ١٦٨ مندوباً رسمياً من مختلف انحاء كردستان، كما حضر هذا الأجتماع عدداً من العرب والتركمان الذين يقطنون كردستان، وطرحت في هذا الأجتماع نتائج المفاوضات مع الحكومة ومع الوفد الشعبي، وافق المؤتمر علي اسماء الوفد الكردي الذي سيفاوض الحكومة ويقدم المذكرة التي صيغت في مؤتمر كويسنجق.

كما ان المؤتمر تمخض عن إصدار بيان للحزب الديمقراطي الكردستاني يتضمن التشكيلات التي يراها الحزب لمفهوم اللامركزية ويمكن ايجاز مواده المنشورة والنقاط المهمة التي وردت في الفقرة التالية.

في مؤتمر كويسنجق الموسع تبلور رأيان حول الموقف من السلطة الجديدة، والأول يتمثل فيما ذهب اليه جلال الطالباني والمكتب السياسي من ان إشعال المجابهة العسكرية مع الحكم الجديد يحمل في طياته مخاطر جمة على افتراض ان الحكم الجديد يتمتع بتأييد عربي وأمريكي وبريطاني وأيراني وتركي، وهذا يعني المجابهة مع هذه الدول، لكن ملا مصطفى البارزاني كان يري ان مرور الوقت يصب في صالح الحكومة التي تبيت خططها وتكمل استعداداتها لشن هجومها وهو يرى ان توحد القوى الكردية كفيل بإفشال خطط الحكومة وعلي الثورة ان تأخذ بيدها زمام المبادرة.

في ختام مؤتمر كويسنجق كان هناك تقريراً مفصلاً وقدم علي شكل مذكرة للحكومة وجاء في الديباجة ان ان الأتحاد الأختياري الأخوي أفضل من طريقة الضم القسري، وفي هذا الأتحاد يتطلب الأعتراف وإقرار الحقوق لمكونات هذا الأتحاد وهي إشارة بضرورة الأقرار بالحكم الذاتي لكردستان كطريق للأعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي على ان يدرج ذلك في نصوص الدستور العراقي المؤقت ومن ثم بالدستور العراقي الدائم ويأتي في اولي فقرات هذه المذكرة: بان الجمهورية العراقية دولة موحدة مؤلفة من القوميتين الرئيسيتين العربية والكردية المتمتعتين بحقوق متساوية، وقد عبرتا عن إرادتيهما استناداً الى حق تقرير المصير في العيش معاً.

وجاء في المذكرة انه علي الحكومة ان تبادر الى إعلان العفو العام لكل السجناء والمعتقلين الذين كانت تهمتهم العلاقة مع الثورة الكردية، كما ينبغي علي الحكومة اعادة المفصولين الى وظائفهم ورفع الحصار الأقتصادي المفروض على منطقة كردستان، وبغية خلق ظروف طبيعية

في المنطقة علي الحكومة سحب القطعات العسكرية منها وإرجاعها الى ثكناتها العسكرية في معسكراتها الأصلية.

في الجانب السياسي لعموم العراق، كما قلنا الحكم الذاتي لكردستان والديمقراطية للعراق فدعت في مذكرتها الى وضع اسس لانتخاب برلمان يمثل الشعب.

يبدو ان المذكرة الكردية كانت بعيدة عن واقع الحال العراقي، إذ ان الحكومة الجديدة معنية بالمشروع القومي العربي وهو الخيار الأستراتيجي والذي لم يتأسس على مفاهيم الديمقراطية بكل معطياتها الفكرية والسياسية والأجتماعية. ولهذا كانت القيادة تسير في طريق والحكومة تسير في منعطف آخر والأيام ستثبت ذلك.

لعل النقطة المثيرة للجدل كانت دائماً في تحديد جغرافية المنطقة الكردية التي يشملها الحكم الذاتي وفي فقرة من فقرات المذكرة تقول تشمل منطقة كردستان الوية السليمانية وكركوك وأربيل والأقضية والنواحي التي تسكنها اكثرية كردية منها اقضية زاخو، دهوك، عقرة، العمادية، شيخان، سنجار وتلعفر وهذه الأقضية كانت تابعة لمافظة الموصل، ومندلي وخانقين من محافظة ديالى (ونحن نتكلم عن سنة ١٩٦٣). لقد جاء في المذكرة أيضاً ان يكون نائب رئيس الجمهورية كردياً وأن يجري انتخابه من قبل الأكراد وبالطريقة التي يجري فيها انتخاب رئيس الجمهورية العراقية.

وفي فقرة أخرى ان يكون هنالك دستور لمنطقة كردستان يتضمن الحقوق الثقافية والأجتماعية والأقتصادية والحريات الديمقراطية والدينية للمواطنين من الأقليات: كالتركمان والآثوريين والكلدان والأرمن وغيرهم من الطوائف الدينية والعنصرية، مع ضمان مساواتهم التامة في الحقوق والواجبات مع ابنا القوميتين العربية والكردية وضمان تمثيلهم في المجلسين التشريعي والتنفيذي والأجهزة المختلفة وبنسبة عادلة، ووردت في المذكرة تفصيلات أخري تطرقت الى نواحي الحياة الأقتصادية والسياسية والأدارية. وكان الوفد الذي سلم هذه المذكرة في بغداد يتالف من: جلال الطالباني رئيساً للوفد وأعضاء هم صالح اليوسفي وحبيب محمد كريم وشاخوان نامق وعبد الحسين فيلي وصمد محمد وبابكر بشدري وعكَيد صديق وشيخ حسين خانقا ومسعود محمد ومصطفى عزيز.

لقد قامت الحكومة بإلقاء القبض على اعضاء الوفد باستثناء رئيس الوفد جلال الطالباني وحبيب محمد كريم حيث كانوا قد غادروا بغداد قبل ذلك. وفي صيف ١٩٦٣ أخلي سبيل كل من مسعود محمد وشيخ حسين خانقا وصمد محمد وبابكر بشدري وكلفوا بنقل رسالة من الحكومة الى بعض رؤساء العشائر والمكتب السياسي برغبة الحكومة في إجراء حوار معهم

بدون البارزاني، أما الباقين فبقوا في المعتقل الى هدنة شباط ١٩٦٤ حيث اطلق سراحهم.. للمزيد حول هذه المذكرة راجع (مسعود البارزاني: البارزاني والقضية الكردية ج٣ الملحق رقم ١٢ ص ٤٨٣ ـ ٤٨٨).

نظام الأدارة اللامركزية

لأول وهلة يبدو ان الحكومة قد استجابت للمطالب الكردية في الحكم الذاتي، ولكن الحكومة ارادت ان تتنصل من منح الأكراد حكم ذاتي مميز عن باقي المناطق العراق، وبغية الألتفاف على الهدف الرئيسي والمتمثل في حل معضلة قائمة في منطقة ساخنة وهي كردستان العراق لجأت الحكومة الى إصدار نظام الأدارة اللامركزية في العراق، واعتبرت هذا القانون هو حل للمشكلة الكردية، علماً ان الحكومة تستطيع إصدار قرارات خاصة تؤول الى حل المشكلة الكردية القائمة في منطقة محدودة من العراق.

لقد صادق مجلس الوزراء في الأول من حزيران على مشروع الأدارة اللامركزية وقد جاء في مقدمة المشروع: ان نظام اللامركزية يقصد به تقسم العراق إدارياً الى محافظات تتمتع كل منها بدرجة كافية من حرية العمل في إدارة شؤونها تحت إشراف الحكومة، وتعين حدود كل محافظة بقانون فتكون المحافظة هنا اكبر من اللواء المعروف كما تكون هناك مجالس في القرى والمدن العراقية وتسمى: مجلس القرية، مجلس الناحية، مجلس القضاء، مجلس اللواء، وأخيراً مجلس المحافظة.

يكون المحافظ هو المسؤول الأول ويجري تعينه وفق مرسوم جمهوري ويعتبر بحكم منصبه مسؤولاً امام الحكومة عن جميع شؤون محافظته وهو رئيس لمجلس المحافظة الذي يتألف بدوره من اعضاء منتخبين بالأقتراع السري المباشر، وأعضاء معينين يتم اختيارهم من السلطة بمرسوم جمهوري. ومن مجلس تنفيذي من رؤساء الدوائر في مركز المحافظة، ويعين أعضاؤه ورئيسه بقرار من مجلس الوزراء، أما نائب الرئيس فينتخبه أعضاء المجلس من بينهم[١٠].

يتعين على مجلس المحافظة بموجب القانون المذكور ان يمارس سلطته بمختلف نواحي الحياة التربوية والصحية والعمرانية والتجارية والشؤون الأجتماعية والزراعة والري والأسكان والمواصلات والأتصالات.. وهو أي المجلس مسؤول امام الحكومة ليثبت لها ان الأجهزة الأدارية تقوم بواجباتها وفق سياق سياسة الحكومة.

لقد اعيد النظر في التقسيم الأداري لبعض الألوية لاسيما في المنطقة الكردية، وحسب ما يورده الكاتب محمود الدرة:

انه تم اقتطاع قضاء جمجمال الكردي من لواء كركوك وألحق بلواء السليمانية الكردي.، كما اقتطعت من لواء الموصل خمسة أقضية كردية هي: زاخو ودهوك والعمادية وعقرة والزيبار ويتألف منها لواء باسم لواء دهوك.. وتألفت محافظة باسم محافظة السليمانية، وهي مركز القومية الكردية وقاعدة إشعاعها.، وتتألف هذه المحافظة من لواء السليمانية ولواء اربيل ولواء دهوك، وتشير التقسيمات الأدارية الجديدة الي، ونقتبس دائماً من محمود الدرة يقول:

ا ـ محافظة الموصل مركزها الموصل وتتألف من لواء الموصل، ناقصاً الأقضية الخمسة التي فصلت عنه.

ب ـ محافظة كركوك مركزها مدينة كركوك وتتألف من لواء كركوك ناقصاً قضاء جمجمال الذي فصل عنه.

ج ـ محافظة بغداد: مركزها بغداد، وتتألف من الوية بغداد والرمادي وديالي والكوت.

د ـ محافظة الحلة: مركزها مدينة الحلة وتتألف من ألوية الديوانية والحلة وكربلاء.

ه ـ محافظة البصرة: مركزها البصرة وتتألف من الوية البصرة والناصرية والعمارة[١١].

فيما سبق من الأسطر قرأنا ملاحظة الكاتب الذكية حول مدينة كركوك حيث يقول في الفقرة باء ان محافظة كركوك هي المدينة ناقصاً قضاء الجمجمال الكردي. في هذه الفقرة يجري نسف الذروة التي تعتبر المحور الأصلي في الخلاف بين الحكومات العراقية والثورة الكردية التي تعتبر كركوك عاصمة لها فيما الحكومات على العراقية حاولت تغيير معالم المدينة العراقية، هذه المدينة التي يكمن في باطنها اكبر الحقول النفطية في العالم. ولو اشار الكاتب الى وصف المدينة بأنها متعددة الأعراق كان في ذلك اقرب الى القبول بدلاً من فصل قضاء جمجمال الكردي عنها، وكأنها بذلك باتت عربية خالصة كالحلة والعمارة. إن مشكلة كركوك بقيت قائمة الى اليوم وهي من اعقد المشاكل العراقية ويصرح مبعوث الأمم المتحدة الى العراق السيد ستيفان دي ميستورا في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٢ نيسان ٢٠٠٨ يقول:

وترى الأقلية الكردية التي تسيطر علي اقليم كردستان الشمالي ان كركوك عاصمة تاريخية لها. أما العرب الذين شُجعوا على الأستقرار هناك خلال عهد الرئيس السابق صدام حسين فيريدون ان تظل المدينة تابعة لحكومة بغداد المركزية ويصرح دي ميستورا لوكالة رويترز انه: ينبغي حل (وضع) كركوك من خلال صيغة سياسية يشعر فيها الجميع سواء الأغلبية ام الأقلية بالراحة.. وتابع قائلاً:

ما من شك في ان كركوك هي منطقة حيوية بالنسبة للعراق والمنطقة. كما اصبحت رمزاً لما

يمكن ان يكون مصالحة وطنية او صراعاً كبيراً محتملاً يشهد تدخلاً اقليمياً..

أجل إن مشكلة كركوك كانت وستبقى قائمة دون حلول جذرية، وهي كانت تشكل محور معظم المحادثات الجارية بين الحكومات العراقية والثورة الكرديـــة وسيأتي الأشارة الى ذلك في الفصول القادمة.

بيان رقم ١٣ بإبادة الشيوعيين

في العودة الى الأرضية السياسية التي سبقت الأحداث الدامية في ٨ شباط ١٩٦٣ وما بعدها. وفي تحليل موقف الحزب الشيوعي في عهد عبد القاسم كان يدعو الى الأشتراك في السلطة (حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي)، وكان الحزب يقوم بعمل جماهيري وهو عمل سياسي تحريضي يهتم بالقول اكثر من الفعل، ولكن يشعر المقابل (المنافس له) بشئ من الرهبة والخوف. بينما العناصر القومية كانت تتدرب علي السلاح وهي مستعدة لسلوك كل سبل التغيير لنيل السلطة.

إن كانت الأشياء تقاس بنتائجها فإن الجماهيرالواسعة الملتفة حول الحزب الشيوعي سواء أكانت في التنظيمات المباشرة للحزب او عبر المنظمات والجمعيات الديمقراطية، فقد اثبتت النتائج مدي هشاشة تلك التنظيمات وعدم قدرتها على الصمود امام العاصفة حينما هبت. وإن كان مجال للأختيار في الحالات العصيبة فإن (النوع) المدرب خير من (الكم) الذي يغدو عالة حين اشتداد الأزمات.

كان الشيوعيون في مسعاهم للأستيلاء على القاعدة الأجتماعية وهي الفكرة الرئيسية للشيوعيين للعمل السياسي، هذا السلوك أدى الى تحول الحزب الشيوعي الى قوة دعائية هائلة.. وتعويضاً عن إحساس الحزب بعجزه عن الوصول الى السلطة بالأنقلاب او بالمشروع الديمقراطي، فقد فضل الحزب اللجوء الى وسيلة أخري، وهو الذي لا يفضل الأنقلاب العسكري ضد حليف، فضل طريق الشراكة في الحكم وهي فكرة تطابق في شكليتها فكرة الجبهات الوطنية في البلدان الأشتراكية وهي الفكرة نفسها التي دفعت بعض الأحزاب الوطنية ذات الخبرة البرلمانية والفكر الليبرالي الى الوقوع في فخ اقتسام السلطة الأمر الذي قاد الى تمزق وحدة هذه الأحزاب واختفائها من المسرح السياسي، كحزبي الأستقلال والحزب الوطني الديمقراطي، الذين اسهمت شدة التقاطب والعداء بين اليسار الشيوعي والمد القومي في ضياع صوتيهما تماماً[١٢].

كان بيان البعثيين يقضي بإبادة الشيوعيين، والبيان لا يحتاج الى تفسير او تأويل وهو صريح وواضح وما اعقب هذا البيان من اغتيال وقتل واعتقال واحكام الأعدام كان يعني

حرفياً بأننا امام نظام هتلري الذي يبرر اعمال الأبادة تحت ذرائع الأختلاف الديني او السياسي او العرقي ومهما كانت الذريعة فإنها تعتبر جريمة ضد الأنسانية.

هذا البيان المرقم ١٣، والعراقيين متشائمين من هذا الرقم اصلاً، يعطي صلاحيات لاعضاء حزب البعث وذراعهم العسكري ميليشيات الحرس القومي بأن يبدوا الشيوعيين في كل مكان.

لقد صدر هذا البيان في اليوم الثالث للأنقلاب ونشر نصه في جريدة الوقائع العراقية الرسمية في ١٥ شباط ١٩٦٣ وكان بتوقيع رشيد مصلح الحاكم العسكري العام والذي سوف يعدم ايضاً على يد انقلابي ١٧ تموز ١٩٦٨ وبتهمة التجسس، وهذا نص البيان:

نظراً لقيام الشيوعيين العملاء شركاء عبد الكريم قاسم في جرائمه بمحاولات يائسة لأحداث البلبلة بين صفوف الشعب وعدم الأنصياع الى الأوامر والتعليمات الرسمية، فعليه يخول آمرو القطعات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي بإبادة كل من يتصدي للأخلال بالأمن، وإننا ندعو جميع ابناء الشعب المخلصين للتعاون مع السلطة الوطنية بالأخبار عن هؤلاء المجرمين والقضاء عليهم[١٣].

في ركام الهستيريا التي عمت حزب البعث بالقضاء على الشيوعيين القي القبض علي سلام عادل (حسين الرضي) وهو سكرتير الحزب الشيوعي وعلى عدداً من اعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي وأعدموا بعد تعذيب، ولا يمكن ان نتطرق الى كل ما تعرضت له قواعد الحزب الشيوعي من الأعضاء او من مؤيدي الحزب من القتل والتنكيل.

أمام هذه الهجمة الشرسة لم يكن امام من افلت من الملاحقات سوى ان يمم وجهه شطر كردستان آملاً ان يجد الملاذ الآمن في كنف الثورة الكردية. على العموم إن كان موقف الحزب الشيوعي في البداية سلبياً من الثورة الكردية، لكن مع مرور الوقت أمسى هذا الموقف يتغير، ففي مرحلة اشتداد القتال رفع الحزب الشيوعي شعار وقف القتال في كردستان وقام بنشاطات وفعاليات كثيرة لتحقيق هذا الهدف.

لكن هذا المنحى وبمرور الوقت وتدهور الأوضاع كان الحزب الشيوعي يتقرب باتجاه الثورة الكردية خطوات وفي عين الوقت كان يبتعد عن الحكومة مع مرور الأيام.

كان المخرج الوحيد للخلاص من الموت المحقق هو التوجه الى منطقة كردستان، وأنا شخصياً كنت واحداً من هؤلاء آملاً في ان اساهم في الثورة الكردية اولاً والخلاص من تلك الأوضاع في العراق ثانياً. وسأتطرق الى هذا الموضع في فصل خاص.

من المفاجأة ان بعض الملتحقين بالثورة من الشيوعيين الهاربين من الموت في مدن العراق لم تمنح لهم اسباب الأمن والأمان في مناطق كردستان وكان هنالك نظرة متباينة حول هذا

الموضوع بل مختلفة كلياً فخط المكتب السياسي بزعامة سكرتير الحزب ابراهيم أحمد الذي كان متعاطفاً مع السلطة الجديدة وتحت ذرائع مفادها ان الثورة ليس في مقدورها محاربة هذه السلطة التي يساندها الغرب والدول العربية، ويبدو انهم يؤيدون عمليات التنكيل بالشيوعيين، حيث عمم ابراهيم أحمد برقية حث فيها تنظيمات حزبه المدنية والعسكرية علي ملاحقة الشيوعيين في كردستان والذين حملوا السلاح للدفاع عن انفسهم ضد السلطة الدموية، فقد شن انصار المكتب السياسي في منطقة ككله سماق قرب بحيرة دوكان وفي مناطق (شانه ده ري) بين حلبجة ودربندخان والسليمانية والحدود الأيرانية، حارب انصار المكتب السياسي حوالي ٤٠٠ من الشيوعيين، صرعوا قسم منهم وأسروا البعض الآخر، كما قاتلت نفس القوات مجاميع الشيوعيين الفارين من إرهاب النظام في مناطق كركوك[١٤].

الحال يختلف لمن التحق بمنطقة بهدينان حيث كانت اوامر ملا مصطفى البارزاني تقضي باستقبالهم وعدم التعرض لهم وسمح لهم بالنشاط السياسي وبعد ذلك كان لهم نشاط عسكري ملحوظ. في منطقة بهدينان مع توماس كان سلاحنا يقتصر علي السلاح الشخصي لكل منا وأنا شخصياً القادم من بغداد لم يكن والدي في القوش يملك سلاحاً، وحينما التحقت مع الثوار في منطقة بسقين لم املك سلاح، وفي المعركة الأولي فوق جبل القوش أعطاني توما توماس مسدسه وكان هو يملك بندقية نوع انكليزي، وفي المعركة الثانية سلمت لي بندقية انكليزية جيدة.

عن المعاملة السيئة يتحدث عزيز محمد وهو سكرتير الحزب الشيوعي العراقي حين لقائه مع ابراهيم أحمد في ماوت حين ان الأخير بخل عليه بالعون والرعاية ثم صرفه بما يشبه الطرد، ولكن هذا الجفاء والبرود في المعاملة تبددا وزالا حينما التقى عزيز محمد مع ملا مصطفى البارزاني الذي استقبله بحفاوة وبسط عليه وعلى اعضاء حزبه الرعاية والحماية وأمن لهم كل حاجة. وفي معرض احترام البارزاني لشخصية عزيز محمد يقول مسعود البارزاني:

إن ما أذكره بهذا الصدد أنه حينما حاول عزيز الحاج إحداث صدع في الحزب الشيوعي وطلب المجيء الى كردستان فأذن له واقبل صحبة حبيب محمد كريم في آذار ١٩٦٨ الى ديلمان، وطلب من البارزاني دعماً، رفض طلبه ونصح بالعودة الى حزبه وأعرب البارزاني عن استعداده للوساطة في الأمر. ويضيف الأستاذ مسعود قوله: ان البارزاني قال لنا بعد اللقاء، عليكم ان تتذكروا دائماً إني أدعم الجانب الذي يكون فيه عزيز محمد. أدركوا ذلك جيداً[١٥].

اصداء لموقف البارزاني كانت متباينة فقد اعتبر البعثيون هذا الموقف عملاً عدوانياً زاعمين انه يأوي عناصر معادية للحكومة ويسمح لهم بالعمل والنشاط المعادي لها. وعلي نطاق

مخالف كان لموقف البارزاني صدى طيباً في الدول الأشتراكية والأتحاد السوفياتي السابق، مما حدا بالقوي القومية اطلاق لقب (الملا ألأحمر)، الجدير بالذكر ان هؤلاء انفسهم نعتوه في مناسابت اخرى بالعمالة لبريطانيا وامريكا والأستعمار..

من الأمور التي نطلع عليها مؤخراً هي انعدام وجود رأي موحد حول القضية الكردية بين اعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي، فقد كان بعضهم يعارض توجه القوميين الأكراد لرفع السلاح بوجه الحكومة منهم زكي خيري ومحمد حسين ابو العيس وربما آخرون، وبعضهم الآخر يحرض علي العمل المسلح كما كان يفعل جمال الحيدري، لكن الخطاب المعلن للحزب الشيوعي كان يقوم علي اساس انه رغم ان الحزب الشيوعي يؤيد الحقوق القومية للشعب الكردي فإنه لا يؤيد ان ترفع الحركة القومية الكردية السلاح لتحقيقها، لأن الحزب كان يري ان هذه الحرب هي صراع بين فئتين وطنيتين.. سيدفع احدهما، او كليهما الى احضان الأمبريالية او القوى الرجعية في المنطقة وإن بإمكان النضال الجماهيري غير المسلح علي اساس العمل في جبهة وطنية ان ينتزع من حكومة قاسم مطالب جوهرية في حقل الديمقراطية، ومنها الحكم الذاتي[١٦].

هاجس الأحتفاظ بالحكم

القوي الحاكمة لم تعدم وسيلة تعتقدها مهمة للمحافظة علي الحكم، وإن شبح المتآمرين يؤرقهم، وفي التخلص من خصومهم الشيوعيين وظفوا كل الطرق وكان آخرها توظيف الدين في الشأن السياسي للانتقام من الخصوم السياسيين، فالأنتقام من الشيوعيين كان يجري تحت مظلة عدداً من الفتاوي، فرغم ان بعضهم قد عبر عن عدم ارتياحم لهذه المجزرة، لكن يبدو ان بعضهم ذهبوا الى حد تكليف عبد الغني الراوي، وهو عضو مجلس قيادة الثورة، بتطبيق الشريعة الأسلامية بحق الشيوعيين باعتبارهم كفرة ملحدين مرتدين طبقاً لفتوى للسيد محسن الحكيم. واستحصل من الشيخ مهدي الخالصي فتوى من الكاظمية بهذا الخصوص ومن السيد محسن الحكيم فتوى مماثلة مع التمييز بين من آمن بها ومن لم يرجع عنها وبين من اعتبرها تقدمية.. كان يراد بهذه الفتاوي قتل اكثر من احد عشر الف معتقل على حد قول عبد الغني الراوي في مذكراته.[١٧]

أتقن حزب البعث لعبة الوصول الى القصر الجمهوري وبحق كان كثير الدراية بتلك الدروب التي تفضي اليه لكنه فشل في الأمتحان ولم يتعلم دروس المحافظة على السلطة، ومن المستبعد ان يعمد البعث الى الأسلوب الديمقراطي في إجراء انتخابات حرة نزيهة لتكون منبثقة من الشعب، ونظريته اعتمدت الأسلوب التقليدي في العالم الثالث بالأعتماد على حكم



آذار ١٩٦٣ في قرية جوارقورنه، البارزاني يتوسط الصورة والى يساره طاهر يحي
وعلي حيدر سليمان وجلال الطالباني

مركزي متشدد معتمداً على عدد من الأذرع الأمنية والعسكرية وعلى النطاق السياسي كباقي النظم الكليانية التي تعتمد تنظير الحزب الواحد او الحزب القائد.

لقد كان حكم البعث بعد ٨ شباط يرهب الناس بفعل اعمال البطش والتنكيل، لكن هذا الحزب وذراعه المباشر الحرس القومي لم يكونا هانئين في عيشهم، فكانت تؤرقم مسألة الأحتفاظ بالسلطة ومسألة التصدي للمتآمرين واعتقدوا ان الشعب المقمع يتربص لهم في كل منعطف، وهكذا لم يكن لهم صديق، وحتى خطابهم التاريخي القومي الوحدوي والذي كان حجر الزاوية في خطابهم السياسي للجماهير خفت حدته ولم يعد له ذلك الحس الحماسي الثوري بعد الأتصال بسوريا ومصر وفتور العلاقات.

وعلى نطاق الداخل فالمسألة الكردية التي كان الأنقلابيون يغدقون الوعود قبل نجاح حركتهم، باتوا يتراجعون امام جدية المطالب الكردية والتي كان في مقدمتها الحكم الذاتي، وكان ابتدا ع الحكم اللامركزي لكل مناطق العراق ومحافظاته جزءاً من التهرب من مفهوم الحكم الذاتي الذي يقر بمطالب قومية بحتة لقومية اخرى تراصف القومية العربية في عرينها الوطن العربي.

بعد ان ثبتت اقدام الأنقلابيين كانت الهدنة الهشة مع الأكراد في مهب الريح، هذا ما تثبته الأشهر وربما الأسابيع المقبلة لاستئناف العمليات العسكرية في المناطق الكردية وبكل ما للحكومة من قوة.

لقد اشتهر في هذه الحقبة الحرجة من تاريخ العراق مكتب عرف بمكتب التحقيق الخاص، وأنيطت مسؤوليته بناظم كزار واتخذ مقرا له في قصر النهاية (قصر الملكي المعروف بقصر الرحاب سابقاً) ـ وما يحيط بشخصية ناظم كزار فإنه سيكون مدير الأمن العام وبرتبة عقيد وسيتآمر علي قيادة البعث في في الحكم الثاني للبعث بقيادة احمد حسن البكر وصدام حسين وسيعدم كزار في ٨ تموز ١٩سنة ١٩٧٣ م ـ في قصر النهاية هذا كانت اساليب القمع والتعذيب التي يتعرض لها السياسيون اثناء التحقيق، وعن الحوض المملوء بحامض النتريك المعروف في العراق بـ (تيزاب) وهو الماء الملكي وذلك لاذابة الجثث للتخلص منها.

لقد طبع بعد سقوط النظام البعثي الأول كتاب للسيد نعمان ماهر الكنعاني وهو ضابط قومي سابق ووزير في حكم الأخوين عارف كتاباً عنوانه " المنحرفون " أتى فيه على تفاصيل يقشعر من هولها البدن عن جرائم اقترفها الحرس القومي ومكتب التحقيق الخاص هذا الذي يشرف عليه ناظم كزار.. إن اليوم الذي شاهد ولادة هذين الجهازين هو ليس من الأيام التي تفتخر بها البشرية ولا يذكره التاريخ إلا بشعور من الخجل والعار. كان فاتحة لأيام سود متعاقبة على أديم العراق تتواصل لتنحدر به من سوء حال الى أسوأ[١٨].

الأوضاع نحو التردي

في ٣٠ آذار وصل وفد كردي برئاسة الطالباني الى بغداد ويبدو ان الحكومة كانت منشغلة في محادثات الوحدة مع سوريا ومصر، وتفادياً لأي إشكال محتمل حول القضية الكردية في ظل المتغيرات المحتملة بتوقيع الوحدة بين تلك الدول العربية، ارسل الوفد الكردي في بغداد مذكرة الى رئيس وأعضاء الوفد العراقي المتجه الى القاهرة لأجراء مفاوضات الوحدة، وجاء في المذكرة:

أولاً ـ فيما إذا بقي العراق بدون تغيير في كيانه يقتصر مطلب الشعب الكردي في العراق على تنفيذ البيان الصادر من الجمهورية العراقية بشأن الحقوق القومية للشعب الكردي علي اساس اللامركزية.

ثانياً ـ فيما إذا انضم العراق الى اتحاد فيدرالي يجب منح الشعب الكردي حكماً ذاتياً بمفهومه المعروف غير المتأول ولا المضيق عليه.

ثالثاً ـ فيما إذا اندمج العراق في وحدة كاملة مع دول عربية أخري يكون الشعب الكردي في العراق أقليماً مرتبطاً بالدولة الموحدة وعلي نحو يحقق العلاقات الوثيقة بين الشعبين الشقيقين نحو مستقبل أفضل[١٩].

كانت العلاقات قد تدهورت بين الحكومة العراقية والوفد الكردي المفاوض، إن رئيس الوزراء احمد حسن البكر رفض مقابلة الوفد الكردي والوفد من جانبه هدد بالعودة الى كردستان، لكن طاهر يحي أقنع الوفد بالعدول عن قراره والعودة الى المفاوضات في الأول من أيار.

ولدي استئناف المفاوضات بين الوفدين كان تحديد منطقة الحكم الذاتي من ابرز قضايا التي طغت على سطح الخلافات. الوفد الكردي اصر على ان كركوك وخانقين ينبغي إدراجهما في منطقة الحكم الذاتي، لكن الحكومة سمحت لمقاطعة جمجمال بالأنضمام الى كردستان فحسب، اما بالنسبة لأكراد خانقين فلهم الحق في استعمال اللغة الكردية كلغة رسمية الى جانب اللغة العربية. وبموجب التقسيم الجديد حسب نظام اللامركزية الذي اشرنا الى تقسيمه قبل قليل فإن المنطاق الغنية بالنفط قد اقتطعت من منطقة الحكم الذاتي، ولما رفض الوفد الكردي هذا التقسيم وبغية المناورة ورفع المسؤولية عنهم قرر زعماء البعث ان يسافر الطالباني مرة أخري الى القاهرة مع الوفد الحكومي لعرض المطالب الكردية الى عبد الناصر مباشرة ولتبيان حسن نيتهم فتحوا باب وزارة الداخلية قسم الجوازات يوم عيد الأضحي وأصدروا جوازاً لجلال الطالباني رئيس الوفد الكردي والذي رافقه شوكت عقراوي.. وقد رأت القاهرة في مطالب الأكراد بأنها معقولة واعتبروا اية محاولة لحل المشكلة الكردية بالقوة بأنها محض حماقة ولم يوافقوا على انفصال الأكراد ولم يعتقدوا ان الأكراد انفصاليون.. ولأول مرة يظهر جانب من الصحافة العربية عطفاً ما على الكورد، عاد الطالباني الى كردستان دون ان يمر من بغداد. أما باقي الوفد الكردي المتبقي فقد ادخل تحت الأقامة الجبرية..[٢٠]

رفضت الحكومة مطالب الأكراد وأمست اكثر تشدداً بعد الأعلان عن اتفاق اولي بصدد قيام دولة فيدرالية بين العراق وسورية ومصر وكان ذلك في ١٧ نيسان ١٩٦٣ وهذه الدولة اعلن عن قيامها رسمياً في ٣٠ أيلول ١٩٦٣، ورغم ان الأكراد عدلوا مطالبهم بعد اعلان قيام هذه الدولة لكن ذلك لم يسعفهم من مغبة قيام بداية حصار اقتصادي على المنطقة والتي اعقبها هجوم عسكري كاسح علي هذه المنطقة الكردية برمتها.

يُعزي فشل المفاوضات الى اسباب عدة في مقدمتها ادلجة القومية العربية ووضعها فوق المصلحة الوطنية العراقية وهذا ما كانت تؤمن بها القيادة الجديدة التي كان لها توجه قومي عروبي، كما ان عدم ايمان هذه القيادة بالأسلوب الديمقراطي والركون الى اسلوب البطش والأرهاب طريقاً لأثبات اركان الحكم، وبعد ان استقرت الأوضا ع لهم، عمّ الأعتقاد السائد بضرورة إنهاء المشكلة الكردية بالعمل العسكري وهو المفضل لدي القيادة التي يشكل محورها العسكريون والأحزاب القومية وفي مقدمتها حزب البعث. وكان ايضاً من يقول ان شروط الأكراد كان تعجيزية ومن الصعوبة بمكان تطبيقها، لكن في كل الأحوال لو كانت الحكومة

تؤمن بالحل الديمقراطي كانت تستطيع تذليل الصعاب، وتجنب العراق المزيد العنف وإراقة الدماء.

استئناف القتال

كانت السحب الداكنة تتلبد في السماء منذرة بقدوم أيام عصيبة، فالحكومة كانت في فترة المفاوضات تتهيأ على قدم وساق للقيام بحملة عسكرية على المنطقة، وفي هذه الفترة كانوا يتصلون بزعماء العشائر العربية والكردية مع ما يجري من تسليحها وتزويدها بالمال، وقد شكلت في هذه الفترة الفصائل المسلحة من العشائر الكردية تحت اسم فرسان صلاح الدين ومن القبائل العربية تحت اسم فرسان خالد ابن الوليد، هذا إضافة الى قوات الحرس القومي التي لها شأن كبير في عمليات القمع في المدن والقري والحواضر العراقية.

في هذه المرحلة من القتال طرأ عنصر جديد علي سير المعارك، إذ بعد اعلان قيام الدولة الأتحادية في ٣٠ ايلول ١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق، أتاح ان تشترك في القتال الدائر وحدات من الجيش السوري في القتال ضد الأكراد، إذ دخلت قوات اليرموك السورية (قوامها اربعة آلاف مقاتل) الأراضي العراقية في ١٢ حزيران ١٩٦٣ وخاضت اولى معاركها ضد قوات مصطفى البارزاني في الرابع عشر من الشهر نفسه وطهرت قضاء دهوك من المسلحين الاكراد في الخامس والعشرين منه[٢١].

لم تكن الأجراءات الحكومية ضافية عن أعين الثورة الكردية والتي كانت من جانبها تتهيأ وتجري التحصينات الدفاعية اللازمة لمواجهة الموقف الآيل الى الأنفجار بين لحظة وأخرى.

قسمت كردستان الى مناطق عسكرية دفاعية وأنيطت مسؤولية كل منطقة بقائد عسكري وعلى طول الجبهة والتي تكونت من القطاعات التالية:

- قطاع خانقين في أقصي الشرق اسندت قيادته الى حلمي علي شريف وهو عضو اللجنة المركزية للبارتي.

- قطاع كَرميان وشوان وسورداش بعهدة جلال الطالباني وهو عضو المكتب السياسي للبارتي.

- قطاع بنجوين وشارباجير وشهرزور بقيادة على العسكري وهو عضو المكتب السياسي للبارتي.

- قطاع قلعة دز ورانية وكوية بعهدة عمر مصطفى دبابة[٢٢] وهو عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني ايضاً.

ـ قطاع سفين ودشتي هولير (سهل أربيل) بعهدة محمد آغا ميركسوري.

ـ قطاع سبيلك وبرادوست ودولي (وادي) بياو بعهدة العقيد الركن عبد الكافي النبوي.

ـ قطاع رواندوز وبالك وسيدكان بعهدة المقدم الركن عزيز عقراوي.

ـ قطاع أكري (عقرة) وشيخان بعهدة حسو ميرخان دولومري.

ـ قطاع دهوك بعهدة علي خليل.

ـ قطاع العمادية بقيادة سرلشكر بادينان أسعد خوشوي.

ـ قطاع زاخو بعهدة عيسى سوار.

ورسم ان يكون مقر الأدارة العام في بيتوانه ومسؤوله علي شعبان[٢٣].

ما كان يغري النظام العراقي في تلك المرحلة كما ورد هو الأشتراك الفعلي لقطعات من الجيش السوري في العمليات العسكرية الفعلية وقد اشتهرت هذه القوات بأنها كانت تمارس سياسة الأرض المحروقة، وعلى يد هذه القوات سوف يقتل هرمز ملك جكو في ٢ / ١٢ / ١٩٦٣. وعلى الصعيد نفسه كان النظام الجديد قد انهى مشكلة الكويت ولو وقتياً كما اتضح إذ بعد حوالي ثلاثة عقود سيغامر الرئيس العراقي صدام حسين باجتياح الكويت، لتشكل مسماراً في نعش الحكم الثاني لحزب البعث في معرض استيلائه على الحكم في العراق.

فقد اعترف العراق بدولة الكويت وعلى اثر هذا القرار سحبت الحكومة العراقية القوات العراقية المرابطة علي حدود الكويت فحشدت ثلاث فرق منها في المنطقة الكردية.

أصدر الحاكم العسكري العام في المنطقة الشمالية قراراً في ١٢ أيار ١٩٦٣ اعتبر كردستان منطقة عسكرية ومحرمة علي الأهالي، وفي العشرين منه اصدر الحاكم العسكري العام اوامره بفرض الحصار الأقتصادي على كردستان.

كان ملا مصطفى البارزاني في طريقه الى قرية سريشمه والطريق اليها يمر بالقرب من خليفان التي يتمركز فيها احد افواج اللواء الثالث، وفي هذه الأيام لم يكن القتال قد استؤنف رسمياً فلا زالت العلاقات والأتصالات قائمة، ومن منطلق تفادي أي مشاكل تحدث بسبب عبور البيشمركة في تلك المنطقة أرسل البارزاني رسالة الى آمر اللواء الثالث منبئاً أياه انه وأتباعه المقاتلين يعتزمون عبور الطريق الى الجهة الأخرى، لكن البارزاني تسلم من العميد عبد الرحمن التكريتي يقول عنها مسعود البارزاني انها عجيبة بكل ما تحمله من سخف ورقاعة فتقول الرسالة:

لا مانع لدينا من العبور لكن عليكم ان تسلموا سلاحكم لنا ورافقتكم السلامة

وكان على البارزاني ان يضع خطة لعبور المقاتلين الى الجانب الثاني وبعد العبور يكون

الأجتماع في قرية كلكين المشرفة على خليفان ومنها الى سريشمه وبعد ذلك تم توزيع القوات، وفي الخامس من أيار كانت قوات المقاتلين الأكراد تتمركز على مشارف خليفان والقوات الحكومية من كل جانب، وكان طريق المواصلات الرئيسي للقوة ضمن مدى مرمى نيران البيشمركه وهي مهيأة لصدور أي أمر من البارزاني لبسط السيطرة التامة على المنطقة وصدق مثلنا القائل: "المطرقة أدرى بموضع المسمار، كوتەک دەزانى قۆناغ لە کوێیە"[٢٤].

إن استئناف الهجوم على المنطقة الكردية لم يأت دون مقدمات فقد بدأت بوادر الأضطهاد والتنكيل في عدة مدن ومنها مثلاً الجريمة التي اركبتها القوات الحكومية في مدينة السليمانية وغيرها من المدن والقرى ضد الناس الآمنين، وقد صرح صالح مهدي عماش في حينها ان ما يقوم الجيش العراقي الآن هو عبارة عن نزهة وطنية. وبموجب هذه النزهة وقبيل اعلان الحرب في ١٠ حزيران ١٩٦٣ بيوم واحد بدأت تلك الحملة الظالمة على المواطنين في المنطقة، ففي مدينة السليمانية القى القبض على ٥٠٠٠ مواطن وقد اختير منهم ستة وثمانون حيث دفنوا احياء وسوّى الأخدود الذي دفنوا به وبعد زوال حكم البعث وقيام الهدنة بين الثورة ونظام عبد السلام عارف، فسح المجال لأزاحة التراب عن هذا القبر الجماعي وإخراج الجثث، فوجد حوالي نصف العدد كان يرتدي ثياب النوم والبجامات دليلاً على انهم أخذوا من بيوتهم عنوة حيث لقوا مصرعهم[٢٥].

في منطقة القوش التي اصبحت ملاذاً آمناً في تلك الأيام السوداء لرجال هاربين من بغداد وغيرها من مدن العراق كانت نوعاً ما بعيدة عن سطوة سلطات الحرس القومي، فكان هؤلاء القادمين الى القوش ينامون في المدينة ليخرجوا منها نهاراً متحصين بجبلها.

كان في هذه الفترة قد تقدم حسو ميرخان وهو من البارزانيين الذين رافقوا البارزاني في رحلته الشهيرة الى الأتحاد السوفياتي السابق، وفي هذه الفترة عينه البارزاني آمراً لهيز العقرة والشيخان كما مر قبل قليل. ويقول توما توماس في اوراقه بان حسو ميرخان تقدم نحو الموصل واحتل جبل مقلوب ليقيم فيه مقراً له في دير مار متي، مما ساعد في لجوء رفاق منظماتنا في مدينة الموصل وأطرافها اليه، ومنهم مصلح الجلالي، وعادل الصبحة، وأمين زنكنة، وحسن عقراوي ورفاق تلعفر وكبة وشريخان والقاضية واغلبهم من التركمان[٢٦]. لقد تعرض هذا الموقع القريب من الموصل الى الهجوم يوم ٢٦ / ٦ قامت قوة من الجيش والجتا بشن هجوم واسع على مواقع البيشمركة في جبل مقلوب وقد قرر حسو ميرخان الأنسحاب الى منطقة شمكان على سفح جبل بيخير وتبع هذا الأنسحاب قيام القوات الحكومية بتمشيط دشت عين سفني والسيطرة على الطرق المفترضة سلوكها من قبل البيشمركه.

وحينما انسحب حسو ميرخان من جبل مقلوب اصبحت القوش في خط المواجهة الأول.

وكان جبلها مأواً لثوار الاقشة ولآخرين قدموا من مناطق مختلفة من العراق. كان طبيعياً ان يلجأ شباب القوش الى الجبل في مثل تلك الأيام السوداء الى الحصن المنيع الذي يحتضن القوش، لقد كان الأختيار على وهدة (كلي) بسقين (زيوكا) وهي من المناطق المفضلة للملتحقين والهاربين من بطش السلطات وذلك نظراً لوعورة الأودية والشعب.. ولوفرة مناهل المياه العذبة، فتكونت قاعدة عسكرية تبناها الحزب الشيوعي، ورغم اختلاف القادمين اليها من مناطق مختلفة إلا ان اعتمادها من المؤن والأرزاق كان يركز على ما يجود به اهل القوش[٢٧].

اصبحت القوش كما مر في الخط الأمامي ودأبت الحكومة على تجريد حملات تأديبية ليس على جبلها فحسب وإنما على الناس الآمنين فيها. في يوم ٩ حزيران ١٩٦٣ حينما بدأت الحملات العسكرية والتي اعلن عن قيامها في اليوم التالي.

دأبت الحكومة علي تبرير مباشرتها بالعمليات العسكرية لأنها أطلقت سراح المعتقلين السياسيين من الأكراد وعملت على فك الحصار الأقتصادي عن المنطقة وأعادت المفصولين من الأكراد الى وظائفهم، ونسي البيان ان هذه الأجراءات لا تعني منح الحقوق بما فيها الحكم الذاتي، وكانت التهم التي وجهت للقيادة الكردية أنها هذه القيادة تدعو الى الأنفصال، وهي ايضاً عملت على ايواء الشيوعيين وامتنعت عن تسليمهم للسلطات الحكومية، واوردت عدداً من الأعتداءات على مراكز الشرطة ودأبت الحكومة تسمى الثوار الأكراد بالأنفصاليين حينما أقاموا بعض نقاط التفتيش على بعض الطرق في المنطقة وأوردت في بيانها حوالي ٢٣ حادث رأت ارتأت السلطات الأنقلابية انها تشكل اسباباً كافية لاستئناف القتال والهجوم على المنطقة وبعد ديباجة طويلة يقول البيان الحكومي:

بالنظر لما تقدم وحرصاً منّا على حماية المواطنين في المناطق الشمالية وإعادة الأمن والأستقرار الى ربوع الوطن ليتسنى للحكومة الوطنية تنفيذ جميع ما جاء في المنهاج المرحلي للمجلس الوطني لقيادة الثورة وبناءً على إرادة الشعب في حماية استقلاله ووحدته الوطنية من عبث الخونة الرجعيين الأنفصاليين قررنا المباشرة بتطهير المناطق الشمالية من فلول البارزانيين وأتباعهم اعتباراً من هذا اليوم، كما قررنا اعتبار كافة المناطق الشمالية منطقة حركات فعلية. ويمضي البيان الى القول:

إن المجلس الوطني لقيادة الثورة لينذر هذه الزمرة الخائنة الخارجة على إرادة الشعب ووحدته الوطنية ان تلقي السلاح خلال ٢٤ ساعة من إذاعة هذا الأنذار وتعلن تاييدها للحكم الوطني الديمقراطي الشعبي لتجنب المنطقة ويلات القتال وليعمل الجميع على بناء وطنهم الحر المزدهر، وإلا فإن المجلس يحمل هذه الزمرة كافة النتائج المترتبة على مواقفها الخيانية، ويختم البيان بدعوة المواطنين لمساعدة القوات المسلحة والسلطات الحكومية للقضاء على هذه الزمرة

الخائنة والإخبار عن كل من تسول له نفسه مساعدتها بأي شكل من الأشكال[٢٨].

لقد كانت الحكومة جادة في القضاء على الثورة الكردية وكان يغمرها التفاؤل فهي من الناحية السياسية والعسكرية قد حشدت كل الأمكانات. لقد منحت صلاحيات واسعة للقيادت العسكرية في المنطقة من القائد العام مروراً بقائد فرقة المشاة للأستفادة من القانون رقم ١٨ لسنة ١٩٣٥ بخصوص الأوضاع الأستثنائية، ويحق للقادة العسكريين في مناطق العمليات من تشكيل محاكم عسكرية تصدر احكاماً فورية بحق الأكراد، وفي معرض فرض حجر اعلامي على ما تصرح به قيادة الثورة الكردية بات الأعلام الحكومي هو المؤثر لوحده في الساحة الدولية واستطاعت الحكومة من الفوز بعدد كبير من العقود العسكرية وفي مقدمتها العقود المبرمة مع الأتحاد السوفياتي السابق بالرغم من توفر المعلومات لديه عن التنكيل الذي تعرض له الشيوعيين على يد النظام. كما حصل النظام الجديد على سربين من طائرات الهوكر هنتر ذات التأثير الكبير في قصف التضاريس الجبلية الوعرة، كما زود النظام باسلحة من اسبانيا وباكستان وغيرها.

لقد أشرنا قبل قليل الى مساهمة لواء اليرموك السوري الذي كان تحت قيادة اللواء فهد الشاعر وهو من اقطاب حزب البعث السوري وتمركزت هذه القوات بالدرجة الأولى في قضائي زاخو ودهوك، وكانت ثمة جهود لأظهار المعركة وكأنها معركة قومية وكانت هناك مساعدات وتأييد من الجزائر واليمن الشمالي فكانت هذه المواقف تعتبر مصدر استقواء للحكومة للنظام العراقي، وما لاحظناه في وقتها عن القوات السورية أنها كانت تتبع سياسة الأرض المحروقة، وكان المعروف لدينا نحن البيشمركة ان القوات العراقية كانت لا تغادر معسكراتها في الليل لكن القوات السورية كانت تتحرك في الليل وهي التي قتلت الشهيد هرمز ملك جكو، وسنتحدث فيما بعد عن هذا الشأن، هذا إضافة الى امتداد سيرورة التعاون التقليدي بين العراق وتركيا وأيران في مضمار محاربة الثورة الكردية وخنقها ووأدها في مهدها.

لقد التقطت أجهزة الأنصات الكردية برقية لا سلكية موجهة للفرقة العسكرية الأولى والثانية، تتحدث عن الأتفاق مع السلطات الأيرانية والتركية للسماح بطيران الدولتين داخل الحدود العراقية لاستطلاع اماكن تحشدات المقاتلين الأكراد، فتقول البرقية:

يرجي تبليغ كافة القطعات العراقية في منطقة الحركات الفعلية بعدم التصدي او التعرض للطائرات التركية والأيرانية. وبغية التنسيق سيصل قريباً ضابطي ارتباط، أحدهما من الجيش التركي والآخر من الجيش الأيراني.. يستصحب كل منهما جهاز لا سلكي لتأمين التعاون مع قطعاتنا وبهذا الصدد يذكر مسعود البارزاني تعليق والده قائلاً: لو كان لدي

جهاز إذاعة (راديو) لأعلنت الآن وعلى التو استقلال كردستان فبعد كل هذا ماذا يريدون ان يفعلوا بنا؟[٢٩].

لقد سميت هذه العملية بعملية دجلة حيث تعاونت الدول الثلاث للتصدي للثورة الكردية، وقد تمركز الضابط التركي في مدينة كركوك فيما اتخذ الضابط الأيراني مقراً له في الموصل، وفي وقتها كتب الصحفي المصري محمد حسنين هيكل في حزيران ١٩٦٣ يقول: عهد في الوقت الحالي مهمة كشف أماكن تمركز الكورد لقيام الجيش العراقي بقصفهم الى الضباط الأيرانيين والأتراك ـ فالأيرانيون كانوا في الموصل والأتراك في كركوك، وكان بحوزتهم أجهزة إرسال جرى بواسطتها تنظيم الأتصالات المتبادلة بين الأقسام المختلفة. وكان الضباط العراقيين والأيرانيين والأتراك يقومون في بغداد بتنسيق العمليات العسكرية ضد الكورد، كما قدم حلف السنتو العسكري من جانبه الدعم ومساندة الأجراءات المتخذة ضد الحركة الكوردية[٣٠].

اشتداد المعارك

يبدو ان الحكم كان ينتظر لحظة اندلاع المعارك ليفرغ جام غضبه على المنطقة فقد لجأت الحكومة الى سياسة الأرض المحروقة فهدمت القرى الكردية بالمدفعية والطائرات وحرقت المزروعات والغابات بواسطة قنابل النابالم وأطلقت النار على المواشي والأهالي وعلى كل ما يتحرك علي الأرض.



القائد ملا مصطفى البارزاني شباب اليوم قادة الغد: الى يساره مسعود البارزاني والى يمينه إدريس البارزاني ثم صابر البارزاني في كويسنجق ١٩٦٣

أما تحركات الجيش فإن الخطة لم تكن بعيدة عن التي تحرك بها الجيش في عهد عبد الكريم قاسم، فكان التركيز هذه المرة ايضاً على جبهة عقرة في جبل بيرس بغية الوصول الى بارزان حيث يعتقدون كالمرات السابقة بأن احتلال بارزان يعني نهاية الثورة.

أنيطت هذه المهمة بفرقتين عسكريتين، وكان تطبيق الخطة بإشراف مباشر من وزير الدفاع صالح مهدي عماش ورئيس أركان الجيش طاهر يحي، أما عبد السلام عارف دأب على زيارة الجبهات لتقوية المعنويات.

كان جبل عقرة يشكل موقع امامي استراتيجي عسكري فاحتلاله يعني الأستشراف على دولي (وادي) نهلة أو (دشتة د نهلة) كما هي معروفة لنا، وقطع هذه الدشت يعني الوصول الى جبل بيرس، ومن هناك يصبح ممهداً للوصول الى بارزان عن طريق مدينة بلي. ولهذا كانت الثورة قد وضعت نخبة مختارة من قواتها للدفاع عن هذا الموقع الأستراتيجي وأوكلت مهمة الدفاع عنها الى ملا شني قرطاس بيداروني ومعاونه عمر آغا دولمري وحادي حسكو وغزالي ميرخان وأخيه حسو ميرخان وهم ممن صحب ملا مصطفى الى الأتحاد السوفياتي، وكانوا على رأس ثلاثمائة وخمسين من نخبة مقاتلي البشمركه.

لقد اشتركت القوات الحكومية بكل قوتها في هذه المعركة، وفي ليلة ١٥ ـ ١٦ حزيران كانت المدفعية تدك المواقع المحصنة لقوات البيشمركه وفي الصباح الباكر عكفت الطائرات على قصف تلك المواقع، وليس للبيشمركه ما يصد تلك الطائرات، وبعد تلك الحملة المتواصلة للقصف الجوي بدأ المشاة بالتقدم نحو مواضع البيشمركة بالأشتراك مع قوات (الجتا)، وحينما لم تستطع القوات إحراز المزيد من التقدم عاودت المدفعية قصفها الكثيف على المنطقة، وبعد ذلك القصف افلحت القوات الحكومية في السيطرة علي قمة غرب الجبل ومنها انطلقوا بحركة التفافية لتضطر قوات البيشمركة الى الأنسحاب بعد ان اوشكت ذخيرتها على النفاذ[٣١]. لا ريب ان التفوق اللوجستي والعددي والتسليحي للقوات الحكومية كان ظاهراً للعيان ولهذا حسمت المعركة لصالحها.

لابد من تدارك الموقف واتخاذ موقف دفاعي جديد للتصدي للقوات الحكومية المتقدمة وبدوره فإن ملا مصطفى البارزاني الذي كان في طريقه الى برادوست عدل عما كان مقرراً واتجه مسرعاً نحو جبل بيرس وبمعية قوات إضافية، فعقد العزم على المقاومة واتخذت قوات البيشمركة مواقعها علي قمم بيرس، ولكي يجري إشغال القوات الحكومية لتخفيف الضغط على بيرس تقوم قوة بقيادة عمر آغا بالتوجه الى منطقة الشوش لضرب القوات الحكومية من الخلف، وقوة أخرى من البيشمركه بقيادة حادي حسكو تتوجه نحو كلي زنطة لتهديد القوات الحكومية من الجهة الشرقية، وتهديد مواصلاته، وفي الوقت ذاته أصدر البارزاني أمراً للعقيد



بارزاني والى يساره علي عبدالله وحبيب محمد كريم ثم نافذ جلال وصالح اليوسفي الى يمينه. حاجي عمران – حزيران ١٩٦٦ قبيل إعلان بيان ٢٩ حزيران

عبد الكافي بتحكيم سبيلك وتشديد الضغط على اللواء الثالث الذي كان مطوقاً من قبل قوات البيشمركه في منطقة خليفان[٣٢].

في هذا الوقت كانت القوات الحكومية تشن هجوماً على قوات البيشمركة بقيادة عمر آغا دولومري في منطقة شوشو شرمن، حيث ان موقعها كان يقلق القوات المندفعة نحو الأمام باتجاه مرتفعات جبل بيرس، وفي هذه المنطقة اندحرت القوات الحكومية وكاد قائدها العقيد صعب الحردان يقع في الأسر لولا إصابة عمر آغا بجراح وأنشغال البيشمركه في إخلائه، وفي غيابه ناب عنه في الجبهة هرمز ملك جكو البطل الشهم، وفي يوم ٢٧ حزيران تكرر هجوم القوات بشكل شامل لكنه باء هذه المرة ايضاً بالفشل وأتذكر اننا اشتركنا في هذه المعارك مع هرمز ملك جكو قرب شوشو شرمن، ورغم تكرار الهجوم إلا ان النتيجة كانت واحدة وهي الفشل.

نشبت معارك أخري في جبل هيبت سلطان وكانت القوات الحكومية هذه المرة بقيادة سعيد حمو، وفي المقابل كانت المقاومة الكردية بقيادة عمر دبابة، ومنيت القوات الحكومية رغم تفوقها بخسائر كبيرة.

كانت هناك قوات اخري تتقدم نحو سبيلك في طريقها نحو بارزان حيث قامت الفرقة الأولى باحتلال جبل بيرس والفرقة الثانية احتلت سيلك وكلي علي بك وواصلت القوتان زحفهما نحو البارزان وكان بين قائدي الفرقتين منافسة علي من يكون قصب السبق في احتلال بارزان.

عبر جسر عسكري نصبته طائرات الهيلوكبتر علي نهر الزاب قرب بلي تمكنت القوات الحكومية مع العربات والتجهيزات العسكرية مع قوات (الجتا) من عبور الجسر على الضفة الأخري قبالة بارزان، وكان في هذه الأثناء الملا مصطفى البارزاني مع عدد قليل من رجاله قد عبروا النهر تحت جنح الظلام الى قرية (آلكه) على سفح بيرس مقابل ريزان ويصف مسعود البارزاني ذلك الموقف الصعب الذي تحتل امامهم ضفتي النهر قرب بلي وهم على مبعدة حوالي ٢ كيلوميتر عن القوات الحكومية المحتشدة والمسلحة بأحدث الأسلحة فيما هم يعانون من قلة العدد إضافة رداءة الأسلحة ويبدو انها كانت حالة من الأكتئاب والأحباط وهي حالة مأسواية ان تفشت بين المقاتلين الذين ينبغي ان يتسموا بمعنويات عالية ليتغلبوا على التفاوت الواضح في القدرات اللوجستية، ويضيف: حقاً انه لموقف عصيب لأمثالي وانا في مثل ذلك العمر، إذ أرى امامي البيشمركه وقد تدنت معنوياتهم بعضهم منشغل في حفر قبور الشهداء وآخرين متكئون علي جذوع الأشجار ولا يأتون بحراك، وكان انين الجرحي يسمع من كل جهة وليس هناك من يعالجهم.. في هذه الأوضاع السيئة التقطت برقية تقول ان القوات المتقدمة ستشن هجوماً يوم ٤ آب للزحف على بارزان، ويختم الأستاذ مسعود كلامه يقول: رايت البارزاني في غاية التأثر لقلة حيلته في إمكانية الدفاع، إذ لم يكن يملك القوة الكافية لصد الهجوم على قريته ومسقط رأسه، ولم يكن هناك يوم أسوأ من هذا اليوم الذي مني به الجيش الثوري بهزيمة كبرى لا مراء فيها[٣٣].

على القائد الناجح ان يحاول ان يخرج النور من رحم العتمة وهو الذي يزرع الأمل والأرادة بدلاً من القنوط واليأس وأن يعرف كيف يخرج من النفق المظلم الى نعمة النور والشمس وهذا الموقف يحتم على القائد ان يكون في المقدمة لكي يصبح قدوة للأقتداء به. في هذه المواقف واللحظات الحاسمة ينبغي اتخاذ القرارارت القرارات الصعبة، فما كان من البارزاني إلا واستدار الى البيشمركه وقال:

إني ذاهب للدفاع ومن شاء ان يتبعني فليفعل. قال هذا وبدأ بالمسير، وعندها قام حسين محمد آغا ميركسوري وقال: نفسي فداك. لن ندعك تنطلق وحدك ولعل في هذا الجمع من يتبعك ونحن نتعهد لك بأننا سنخوض غمارها مهما كانت تفوق قوة العدو وإن لزم الأمر فلن ندعه يعبر إلا على جثثنا. فانضم شيت سركيري، ونهض حادي حسكو ثم أحمد حاجي تاتكي ومحمود شفان شاندري وعلي سليمان هوستاني ومصطفى احمد هوستاني.. وهكذا اصبح الجميع كتلة واحدة مصممين على الذود مهما كانت التضحيات فأقاموا خطاً دفاعياً بين بله وبارزان علي التلول المسماة (ملان)[٣٤].

يوم الرابع من شهر آب بدأت الطائرات والمدفعية الأرضية قصفها الشديد للتلال المحيطة

القريبة من بارزان وبعد ذلك تقدمت القوات العسكرية (والجتا)، وكان المدافعون يقاتلون باستماتة وقد استمرت هذه المعركة اكثر من عشر ساعات وارتدت القوة المهاجمة على اعقابها، لكن تصريحات المسؤولين الكبار كانت تعكس واقعاً مغايراً للواقع ففي ١٥ آب أدلى الرئيس عبد السلام عارف بتصريح مثير يقول فيه:

تم دحر الخائن بارزاني بضربة خاطفة وجهتها قطعاتنا العسكرية اليه ولعصابته، ولاذ بالفرار الى الحدود الأيرانية العراقية[٣٥].

بعد هذه المعركة تحولت القوات المهاجمة نحو جسر ريزان وهنا ايضاً لم تحرز القوات الحكومية، رغم تفوق امكاناتها، أي تقدم على الأرض ومنيت بخسائر كبيرة في الأفراد والمعدات. وتكررت الهجمات في نفس المنطقة دون ان تحرز اية نتائج تذكر لكن تحت لهيب المدافع وقنابل الطائرات افلحوا في تدمير البيوت في قرية بارزان.

لقد كانت آخر معركة في جبهة ميركسور هي معركة جسر (جمه) وكان ذلك في ١٧ ايلول ١٩٦٣، وكان اللواء ابراهيم فيصل الأنصاري مشرفاً عليها، وحسب المعارك التقليدية في البداية يجري تمشيط المنطقة بقصف جوى وأرضي، ثم يبدأ تقدم القوات وفي هذه المعركة تكبدت القوات الحكومية (والجتا) خسائر كبيرة، وهذه المعركة دفعت بقائد الفرقة ابراهيم فيصل الأنصاري لكي يرسل برقية الى رئيس أركان الجيش وذلك بتاريخ ٢٠ / ٩ / ١٩٦٣ يقول فيها:

لقد نجحت قطعات الفرقة الثانية البطلة والقطعات المتجحفلة معها من تطهير معظم منطقة بارزان (ميركسور ـ شيروان) من الخونة. وذلك بعد معارك استمرت طيلة شهري آب وأيلول بعد تضحيات جسيمة. ودافع البارزانيون عن منطقتهم دفاعاً مستميتاً ولم يتركوا شبراً واحداً دون دماء.

اقترح عقد اجتماع بحضور وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش وجميع قادة الفرق لدراسة الموقف ووضع خطط المستقبل قبل حلول فصل الشتاء. واقترح البحث عن حل سلمي لأني أتوقع ان يستعيد العصاة تنظيم قواتهم ومواصلة القتال ولا يجوز ان نزج بقطعاتنا في القتال في فصل الشتاء وحتى الربايا في هذه المنطقة الوعرة تنطوي على مخاطرة كبيرة. انبئونا (مسعود البارزاني ج٣ هامش ص١١٤).

ومن المعارك التي اشتهرت في هذه المرحلة كانت معركة تحرير جبل متين، حيث كانت القوات الحكومية قد احتلت قمم هذا الجبل بعد معارك استمرت من ٢٠ / ٨ الى ٤ / ١٠ لكن في ليلة واحدة أجبرت القوات الحكومية على الأنسحاب منه بعد معركة خاضها عيسى سوار



البارزاني والى يساره طاهر يحيى رئيس الوزراء والعميد الركن إبراهيم فيصل الأنصاري قائد الفرقة الثانية والعميد عزيز الچلبي قائد قوة فائز – والى يمينه عبدالرزاق سيد محمود محافظ السليمانية – خَلَكان ١٩٦٤

ومعاونه على هالو مع اربعمائة من مقاتلي البيشمركه الأشداء، وكانت هذه المعركة فاصلة وكان لها تأثير كبير لرفع معنويات المقاتلين وغنموا على اسلحة ومعدات كثيرة.

من خلال سير المعارك وضراوتها وطول امدها، تبين ان للقيادة العسكرية ان المسألة ليست بتلك البساطة، فالعسكر حساباتهم عسكرية بحتة، وهي مقارنة الأفراد والأسلحة والتجهيزات، ولا يحسبون أنهم يحاربون شعباً تمتد جذوره الى الأرض وسيقاتل امامهم قتالاً مستميتاً، وهكذا اسقط في ايديهم فحسابات الحقل لم تطابق حسابات البيدر.

كان لبرقية قائد الفرقة الثانية فيصل الأنصاري صدى مقبول لدي قيادة الجيش والحكومة، فسمح رئيس اركان الجيش طاهر يحي بالأتصال مع الشيخ احمد، وبدوره الشيخ احمد تداول مع اخيه ملا مصطفى البارزاني وكانت الموافقة على وقف اطلاق النار شريطة ان ينسحب الجيش من منطقة بارزان وتم ذلك فعلاً حيث اكملت انسحابها في اواسط تشرين الأول ١٩٦٣ وقد تمتعت بارزان بهدوء وكما كانت في عهد عبد الكريم قاسم.

من الملاحظات التي يجدر ذكرها ان سير ضراوة المعارك في مناطق بارزان لم يكن لها الصدي المطلوب في منطقة سوران لما يفترض ان تلجأ الى مشاغلة القوات لتخفيف الضغط على منطقة بارزان، وما يعرف ان القيادة العسكرية المباشرة في هذه المنطقة هي تحت امرة المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني، وقد تشكل هذه الخطوة سحابة قاتمة في طريقها الى التوسع والأنتشار في سماء الثورة الكردية في المرحلة القادمة.

المصادر والهوامش وبعض الوثائق التاريخية:

١ ـ الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني: وثائق عن الحركة القومية الكردية ص ١٨٩ ـ ١٩٠

٢ ـ د. خليل الجندي: حركة التحرر.. ص١٣٥ ـ ١٣٦

٣ ـ موسى السيد علي: القضية الكردية في العراق ص ٤٢

٤ ـ حنا بطاطو: العراق ج٣ ص٣٠٠

٥ ـ الدكتور خليل الجندي: حركة التحرر الكردستاني.. ص ١٣٢

٦ ـ حنا بطاطو: العراق ج٣ ص ٣٢٠ ـ ٣٢٣).

٧ ـ الدكتور علي الجندي:حركة التحرر الوطني ص ١٣٩

٨ ـ لدكتور عبد الفتاح علي البوتاني: وثائق عن الحركة ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣

٩ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ هامش صفحة ٨٥ ـ ٨٦

١٠ ـ محمود الدرة: القضية الكردية.. ص ٢٠٠

١١ ـ محمود الدرة: القضية الكردية.. ص ٢٠٢

١٢ ـ سلام عبود: ثقافة العنف في العراق ص١٣٤

١٣ ـ عزيز سباهي: عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي ج٢ ص ٥٤٤

١٤ ـ الدكتور خليل جندي: مصدر سابق.. ص١٣٧

١٥ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج٣ ص ٨٨

١٦ ـ عزيز سباهي: عقود من تاريخ الحزب الشيوعي.. ج٢ ص٥٠٧

١٧ ـ عزيز سباهي: المصدر السابق.. ج٢ ص ٥٦٩

١٨ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج٣ ص٩٠

١٩ ـ الدكتور خليل جندي: المصدر السابق.. ص١٤٣

٢٠ ـ الدكتور خليل الجندي: المصدر نفسه ص ١٤٦

٢١ ـ موسى السيد علي: القضية الكردية في العراق ص ٤٨

٢٢ ـ عمر دبابة وهو لقب لعمر مصطفى، وكان محامياً يمارس مهنته في بغداد وظفر بلقبه هذا (دبابة) في ايام التلمذة اثناء المظاهرات بعيد الحرب العالمية الثانية. فقد طاردت الدبابات مظاهرة طلابية كبيرة في شوارع بغداد فما كان منه (كما زعموا لي) إلا ان قفز الى إحداها وقتل سائقها. لكن جرجيس فتح المحامي يؤكد بطلان هذا التحليل، ويقول فتح الله في هامش علي هذا الموضوع إن هذا اللقب لصق بعمر مصطفى منذ ان اطلقه عليه رفاقه في المدرسة منذ صباه ولصق به بسبب بروزه في الفعاليات الرياضية وفي المظاهرات السياسية الطلابية حيث يتقدم الجميع ومستعداً للأشتباك عند الحاجة وكم اكد لي ذلك شخصياً (ديفيد آدامسن: الحرب الكردية وانشقاق ١٩٦٤ ص ٢٥٤).

٢٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني ج٣ ص ٩٢

٢٤ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة... ج٣ ص٩٤

٢٥ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ ص ٩٦
٢٦ ـ من اوراق توما توماس: الورقة رقم ٣ من موقع الناس الألكتروني.
٢٧ ـ حبيب تومي: القوش دراسة انتروبولوجية اجتماعية ثقافية ص ٢٥٠ مطبعة الديوان، بغداد ٢٠٠٣م.
٢٨ ـ مسعود البارزاني:البارزاني.. ج٣ ص ٥٠٢ ـ ٥٠٦
٢٩ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية.. ج٣ ص ٩٨
٣٠ ـ لازارايف وآخرون: تاريخ كوردستان ص ٢٨٩
٣١ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ١٠٠
٣٢ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة... ج٣ ص ١٠١
٣٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة..ج٣ ص ١١٤
٣٤ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ ص ١١٠
٣٥ ـ لازاريف وآخرون: تاريخ كردستان ص ٢٩١

ملحق وثائقي:

الملحق رقم ١

من عضو المكتب السياسي جلال الطالباني الى البارزاني. (مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٤٩٦ ـ ٤٩٨).

بغداد في ٦ / ٤ / ١٩٦٣

سيدي العزيز حضرة ملا مصطفى

تحية ثورية حارة

في رسالتي السابقة عرضت عليك ما جري. وفي هذه الرسالة ابعث اليكم بالمزيد من المعلومات:

١ ـ المفاوضات متوقفة الآن لأن الوفد الشعبي أراد الأستفسار من الحكومة عن كونه ممثلاً عنها ام إنه مجرد واسطة خير فنحن يجب ان نفاوض الحكومة او ممثلين عنها. ونهتقد ان الحكومة أرسلت الوفد الشعبي لأنها لا تريد خوض محادثات مباشرة معنا أو انها تريد توزيع المسؤوليات وربما تريد ان تقول بأن مطالبنا كثيرة لا يمكن تحملها لتلتقي تبعة استئناف القتال علينا فيما بعد.

٢ ـ كان من المقرر ان نلتقي رئيس الوزراء ليلة أمس، لكن اعتذروا زاعمين ان رئيس الوزراء سيتفرغ لنا اعتباراً من يوم السبت وسيكرس لنا كل وقته، إلا اننا علمنا في الصباح انه سيسافر الى القاهرة.

٣ ـ بثت الحكومة إشاعات بين المواطنين والأحزاب والشخصيات تفيد ان مطالب كثيرة وإننا متشددون في التفاوض. وقد بث حسن جميل الكثير من هذه الأشاعات مسنداً التهمة اليّ وإنني متشدد ومغرور وأتحدث بلغة القوة. في حين اننا لم نقدم مطالبنا اليهم تحريرياً حتي الساعة وذلك لسببين:

ا ـ أردنا كشرط مسبق إطلاق سراح المعتقلين ورفع الحجز عنهم.

ب ـ عندما ذكرت لهم اننا نريد ان تكون وزارات الخارجية والدفاع والتجارة الخارجية والمالية

والعدلية مركزية (مع ذكر ملاحظاتنا بشأن المقترح) ,ان تكون بقية الوزارات لا مركزية، ثارت ثائرة فائق السامرائي وقال إن هذا المقترح غير وارد أصلاً ولا نقبل حتى مناقشته. وقالوا إنهم سيبدأون المحادثات من مستوي المتصرفيات وأن تكون إدارة الألوية لا مركزية. وذكرناهم إن إلغاء تسمية الحكم الذاتي لا يعني إلغاء مضمونه.

٤ ـ في الحقيقة إنهم استغلوا المشروع الذي قدمه سيادتكم اليهم في جوار قورنة (وقد طلبت منك حينها عدم إعطاءهم المشروع) للدعاية ضدنا. وهم يقولون لأهل الموصل إن الكورد يريدون جعل الموصل كردية. ويوقولون للاخرين إن ما يريده الكور يتجاوز الفيدرالية فهو ليس مجرد حكم ذاتي.

فالحكم الذاتي في أي بلد لا يعني وجود جيش مستقل.

٥ ـ يطالبوننا الان بتقديم مشروع واري ان نتقدم بمشروع يتضمن الحد الأدنى من مطالبنا وتكون صياغته بعبارات غير متشددة، للأسباب التالية:

أ ـ قد لا تتمكن الحكومة الحالية بسبب من ضعفها وخلافاتها الداخلية ومناقشاتها المتعلقة بالوحدة مع مصر وقد يستغلون مشروعاً متشدداً للدعاية ضدنا.

ب ـ وفيما يتعلق بالدعاية في الخارج فإن المشاريع المتشددة ليست في صالحنا. فكل الدول: أمريكا وانكلترا والمانيا لا تعارض منح مطالب الكورد المعقولة سلمياً. لذا يجب ان تتحمل الحكومة المسؤولية في حالة انقطاع المفاوضات فنظى بتعاطف الغرب والشرق بطبيعة الحال يقف ضد الحكومة العراقية.

ج ـ إن بالأمكان ان نتقدم بمطالبنا في حالة الوحدة او الأتحاد أيضاً، ولكن تحت الغطاء الآتي:

إذا بقي العراق على حاله فإننا نطالب بالخطوط العريضة للمركزية. أما إذا حصل اتحاد عربي فإننا نطالب بالمضمون الواسع للحكم الذاتي وبأسمه. وفي حالة الوحدة العربية نطالب بأن نكون الأقليم الرابع الى جانب اقاليم سوريا ومصر والعراق. أي ان تكون كردستان الأقليم الرابع. فإذا قدمنا مشروعاً من هذا القبيل مزيناً بالعبارات المنمقة فسوف نتمكن من نيل تعاطف الخارج والداخل. إضافة الى ما ذكرت، ينبغي ان نتطرق الى مسائل الديمقراطية والأنتخابات والدستور الديمقراطي للعراق.

هذا، وفيما يأتي عرض لمواقف الأحزاب القومية العربية:

١ـ حزب الأستقلال، التقينا عدة مرات بكل من صديق شنشل ومهدي كبة. ويريان ان الحكومة الحالية ضعيفة جداً لا تستطيع حل المسألة الكردية ولا العربية.

لذا يجب التباحث مع ناصر حول المسألة الكردية، ويدعوننا الى الأتفاق معهم في المطالبة بالحقوق الديمقراطية والأنتخابات للعراق ككل وحل المسألة الكردية ضمن ذلك الأطار.

٢ـ حزب الجادرجي: يقولون ان استئناف القتال سيكون بمثابة كارثة. وإن علينا تقديم مطالبنا تحريرياً وبشكل لا يخرج عن حدود المعقول، لكي لا تستغل ضد الكورد.

٣ ـ حركة القوميين العرب: يقول بأن الكورد شعب يحق له ان تكون له دولة ولكن ليس الآن وينبغي ان تمنح الحقوق القومية الآن على ان لا تكون انفصالاً. وتقول انها مستعدة للتعاون معنا ضمن هذا السياق. وتطالبنا بتقديم مشروع معقول للحقوق القومية يطالب باللامركزية.

وفيما يلي مقترحاتي الخاصة:

١ـ تقديم مشروع للامركزية يضم الحد الأدني من المطالب. ٢ ـ تقديم مشروع بمطالبنا لما بعد الوحدة وعلى النحو الذي اسلفت.

٣ـ الأتصال بناصر وتمهيداً لذلك وجهت رسالة الى مؤتمر القاهرة تقول انه كان من المفترض سؤال لاشعب الكردي عن رأيه ومراعاة مطالبه تلافياً لحصول ما قد لا يقبله الكورد مستقبلاً، وإن الكورد ليسوا ضد الأتحاد العربي فنحن نرغب في ان يحقق العرب ما يصبون اليه على ان يمنحون حقنا.

التقينا أمس سفير الجمهورية العربية المتحدة وحملناه تحياتكم الى ناصر وقلنا له ان يبلغ ناصر بأن الحكومة الحالية لا تمثل الكورد ويجب الأخذ برأي الكورد في قضية مصيرية كهذه وفصلنا له ما نريد في حالة الوحدة او الأتحاد.

ختاماً أرجو منكم الرد علينا سريعاً وترشدونا الى نفعل وكيف نخطو، وأن نبقي هنا او نعود. ودمتم. الأخوة جميعاً يبلغونكم تحياتهم.

صغيركم مام جلال ٦ / ٤ / ١٩٦٣

الملحق رقم ٢

محضر لقاء عبد الناصر مع الوفد الحكومي العراقي والوفد الكردي. (مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٤٩٩ ـ٥٠١).

السيد علي صالح السعدي: اما الموضوع الذي نرغب ان نعرضه على سيادتكم بعد ذلك، فهو قضية الأكراد وسشرحها لكم الأخ صالح مهدي عماش:

الفريق صالح مهدي عماش: اعتقد ان سيادتكم على إلمام بالمشكلة من الناحية التاريخية.

أما بالنسبة الى صورتها الأخيرة، فلا شك ان عبد الكريم قاسم كان من العوامل الرئيسية التي تسببت في إثارتها ونموها في الوقت الحاضر..

لقد اجتمعنا مع مندوبي الآكراد وناقشناهم في مطالبهم، وقد فهمنا منهم في الأجتماع الأخير إنهم يهدفون الى الأستقلال الذاتي. وقد حاولنا ان نقنعهم بأننا سنحقق مطالبهم في المستقبل. إلا انهم طلبوا ضمانات. كما ابلغناهم اننا نعلن حقوق الشعب الكردي، وإننا على استعداد ان نعقد معهم اتفاقاً سرياً على اننا سنمنحهم الكيان الذاتي عندما يتم الأتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة.

يا سيادة الرئيس.. هذه القضية عربية، وليست محلية. كما إننا لسنا سياسيين. كذلك فاستئناف القتال معهم قد يثير تحرك الأنكليز او الشيوعيين في المنطقة. لذلك رأينا ان نعرض عليكم المشكلة.. وفي نفس الوقت فالأكراد يطلبون النصيحة الشخصية منكم.

الرئيس جمال عبد الناصر: اود ان اوضح لكم ان الأنكليز والأيرانيين سيعملون دائماً ضدكم، وهم على استعداد ان يتحالفوا مع الشيطان.

الفريق صالح مهدي عماش: اوافقك يا سيادة الرئيس.

الرئيس جمال عبد الناصر: لا شك ان مبدأ الحكم الذاتي خطير، كما انه قد يجر على سوريا نفس المشكلة. والذي اتخيله بانه حل معقول هو الحكم المحلي، او بمعني أدق الأدارة المحلية.

السيد علي صالح السعدي: سيادة الرئيس.. معنا ضمن الوفد من الأكراد، الوزير فؤاد عارف.. وجلال الطالباني من الحزب البارتي. وقد طلبا منا مقابلتهم ووفاقناهم على ذلك. وأرجو تحديد ميعاد لهما.

الرئيس جمال عبد الناصر: باكر إنشاءالله الجمعة بعد الصلاة نجتمع مع الوفد الرسمي بأكمله. وفي المساء يمكن ان أجتمع مع المندوبين الأكراد لمدة ساعة، من الساعة السابعة والنصف، لأني مقيد بموعد بعد ذلك. وإن تطلب الأمر اجتمع معهم مرة أخري.

وفي المساء وطبقاً للموعد المحدد اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر بالوفد الكردي... مع السيدين فؤاد عارف وهو وزير عراقي وجلال الطالباني من الحزب البارتي. وقد دار بينهم ـ حسب المحضر الرسمي للأجتماع ما نصه:

الرئيس جمال عبد الناصر: ابلغني الوفد العراقي رغبتكما في مقابلتي، وقد وافقت. وأنا علي استعداد لسماع ما تريدون.

السيدفؤاد عارف:.. وقد دخل في تفاصيل كثيرة عن القضية الكردية منذ نهاية القرن

التاسع عشر الى الآن. وانتهي في انه في نهاية عهد قاسم، تمت اتصالات بين الأكراد وبين زعماء ثورة ١٤ رمضان، واتفق الجانبان على الثورة. وعلى ان يظهر في البيان الأول او الثاني لها ما ينص علي الأعتراف بالحكم الذاتي للأكراد.

السيد جلال الطالباني: سيادة الرئيس، اود ان اضيف الى حديث السيد فؤاد عارف النقاط التالية:

١ ـ يوجد في داخل الحزب البارتي الكردي صراع يمتد من اقصي اليمين الى اقصى اليسار.

٢ ـ في الساعات الأولي من ثورة ١٤ رمضان، وقبل إتمام السيطرة، وقبل ضمان النجاح، ساعد اعضاء حزب البارتي الكردي عملياً في نجاحها واستمرارها.

٣ ـ إن قيادة ثورة ١٤ رمضان وعدت الأكراد وعوداً صريحة بمنحهم الحكم الذاتي.

٤ ـ لقد بدأ الروس في التدخل في هذه القضية وأعلنوا في إذاعتهم الكردية الدعوة حمل السلاح.. والثورة ضد ثورة العراق.

٥ ـ عرضنا على زعماء الثورة العرقية عدة امثلة خارجية لنوع الحكم الذاتي مثل الهند ويوغسلافيا وسويسرا..

سيادة الرئيس، لإننا نثق فيكم ونثق في كلامكم. ولذلك طلبنا ان نحضر اليكم، كما طلبنا منكم ضماناً، بأي وعود يعطونها.. تأكيداً من سيادتكم شخصياً.

الرئيس جمال عبد الناصر: أحب ان أقول لك أولاً، إنني ضد اية عملية انفصالية في أي وطن عربي. وستقاوم الجمهورية العربية أي اتجاه من هذا النوع مهما كانت الظروف. والآن لدي بعض الأسئلة أريد إجابات عليها:

ـ ما هو معني كردستان؟

السيد جلال طالباني: كل مكان فيه الأكراد وهي أماكن معروفة محددة.

الرئيس جمال عبد الناصر: ماذا تقصدون بالحكم الذاتي؟ وهل لديكم تفصيلات عما تقصدون به؟

السيد جلال الطالباني: لا توجد لدينا تفصيلات محددة في هذا الموضوع. وإنما ما نقصده بوجه عام ان تكون الرئاسة والخارجية..والدفاع.. والمالية، مركزية. وأن يكون في كردستان مجلس تنفيذي وتشريعي، كما هو الحال في إحدى ولايات الهند. وأن يكون المجلس التنفيذي مسؤولاً عن تنفيذ ما تقرره الحكومة المركزية.

الرئيس جمال عبد الناصر: السؤال الثالث، ما صحة البيان الذي صدر منذ اسبوع من

لجنة الأكراد في سويسرا، والذي تضمن مطالبة الأكراد في النفط، وبعدم التصريح في دخول الجيش العراقي في كردستان وتعيين رئيس حكومة كردي.

السيد جلال الطالباني: لا صحة ـ ياسيادة الرئيس ـ فيما ورد في هذا البيان، وهو صادر عن بعض الطلبة الأكراد في سويسرا. وفيهم شيوعيون. ولا يخفى على سيادتكم ان تأخير حل المشكلة يؤدي الى زيادة التطرف وأؤكد لكم يا سيادة الرئيس، رداً على ملا حظاتكم، أن الأكراد لا يرغبون ولا يسعون كلياً الى الأنفصال. كما نلح بأن تحل المشكلة بأسرع ما يمكن، خشية ان تتطور الأمور المحلية فجأة وتحدث مشاكل كبرى، وتؤثر القوى الخارجية عن طريق الروس او الأمريكان او غيرهم في الموقف. وكلما ما نخشاه او يستأنف القتال مرة أخرى، ولا يجوز ان يحدث ذلك كلية، فأننا جميعاً مسلمون... وتاريخنا.. وتاريخ صلاح الدين الأيوبي يحتم علينا جميعاً ان نتآخى.. ونتلاقى.

الرئيس جمال عبد الناصر: شكراً لكم على هذه التفصيلات. وإني آسف لارتباطي بموعد آخر جاء وقته الآن، وسأجتمع مع إخواننا العراقيين باكر.. وقد اتحدث اليكم مرة أخري في هذا الموضوع بعد اجتماعي بهم.

الملحق رقم ٣

بمناسبة توقيع الهدنة في ١٠ شباط ١٩٦٤ اصدرت الحكومية العراقية البيان التالي: (مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ هامش ص ١٢٨ ـ ١٢٩).

باسم الله الرحمن الرحيم

بناءً علي مقتضيات المصلحة العامة، ولاستجابة إخواننا الأكراد لما جاء في نداء الملا مصطفى البارزاني ورغبة منا في إعادة الحياة الطبيعية الى الجزء الشمالي من وطننا الحبيب ووضع حد لمحاولات الستعمار وأذنابه وقطع دابر المستغلين والمتصيدين وحقناً للدماء البريئة وبناءً على ما تمليه علينا مصلحة الوطن العليا قررنا ما يلي:

أولاً ـ إقرار الحقوق القومية لإخواننا الأكرد ضمن الشعب العراقي في وحدة وطنية واحدة متآخية وتثبيت ذلك في الدستور المؤقت.

ثانياً ـ إطلاق سراح المعتقلين والمحتجزين والمحكومين بسبب حوادث الشمال، وإصدار العفو العام ورفع الحجز عن الأموال المنقولة وغير المنقولة عن الاشخاص الذين سبق ان حجزت أموالهم.

ثالثاً ـ إعادة الأدارات المحلية الى المناطق الشمالية.

رابعاً ـ إعادة الموظفين والمستخدمين.

خامساً ـ رفع القيود المفروضة على تسويق المواد المعاشية على اختلافها.

سادساً ـ الشروع بإعادة تعمير المنطقة الشمالية فوراً وتشكيل اللجان المختلفة لتذليل الصعوبات التي تعترضها حول التقيد بالأعمال الروتينية مع ملاحظة تعويض المتضررين.

سابعاً ـ تعويض اصحاب الأراضي الذين غمرت أراضيهم من جراء سدي (بوخان وزربنجخان أي دوكان ودرندخان) تعويضاً عادلاً.

ثامناً ـ تتخذ التدابير بما يضمن إعادة الأمن واستقرار المنطقة الشمالية وإننا نهيب بإخواننا الأكراد العودة الى الحياة الطبيعية لينعموا ببركات هذا البلد وتوحيد الصف الوطني تجاه مؤامرات الأستعمار وأذنابه، وليعلم إخواننا الأكراد بأننا سنعمل علي ما يضمن حقوقهم المشروعة شأن بقية المواطنين في الجمهورية العراقية والله من وزراء القصد.

تاسعاً ـ على كافة الوزارات ذات العلاقة إصدار المراسيم والأوامر والتعليمات المقتضية تنفيذ ما جاء في هذا البيان.

التوقيع: عبد السلام محمد عارف

رئيس الجمهورية

وهذا بيان ملا مصطفى البارزاني الجوابي

تلبية لرغبة السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف بالمحافظة علي وحدة الصف الوطني وحقن الدماء البريئة وإنهاء إقتتال الأخوة، ولثبوت حسن النية عند السلطة الحاكمة قررنا المبادرة الى إيقاف إطلاق النار والطلب الى إخواني العودة الى محلات سكناهم والأنصراف الى اعمالهم الحرة الكريمة وبهذا ينفسح المجال للسلطة الوطنية للمبادرة الى اتخاذ الأجراءات الكفيلة بإعادة الحياة الطبيعية والأمن والأستقرار الى المنطقة وتتهيأ الفرصة لأقرار الحقوق القومية للمواطنين الأكراد ضمن الشعب العراقي في وحدة وطنية واحدة وإرساء الأخوة العربية الكردية على امتن القواعد بما يصونها من الوهن ويحصنها من دسائس المستعمرين والمتصيدين والطامعين، وليعلم الجميع أن سيادة القانون وتأمين الأمن والنظام في المنطقة كفيل بحل كل معضلة مهما كانت مستعصية.

فليسدد الله خطي المخلصين ويكلل جهودهم بالنجاح فيما يريدونه للشعب والوطن من وحدة وسؤدد وازدهار والله وراء القصد.

التوقيع: البارزاني مصطفى

الفصل الثالث عشر

الأنقلاب الثالث لعبد السلام عارف

في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣

إن استمرار الأوضاع غير الطبيعية في كردستان وما تستنزفه العمليات العسكرية من نفقات باهضة، فيكون تأثيرها السلبي على موارد الدولة وعلى معيشة المواطن ناهيك عن نهج النظام الموغل في كبح الحريات الأجتماعية والسياسية الديمقراطية، فكان الحكم في طريقه الى الأبتعاد عن مكونات الشعب المختلفة وتوسعت مساحة التذمر من الأوضاع الشاذة مع مرور الوقت.

من جانب آخر ينبغي الا نهمل الخلاف الناشب ين قطبي الحكم داخل صفوف الجيش والشعب، منها الخلاف بين القوى القومية الناصرية وبين حزب البعث. وعامل آخر وهو تذمر الضباط العسكريين لا سيما الغير بعثيين منهم من تدخل قوات الحرس القومي بشؤونهم، فاستغل عبد السلام عارف هذه العوامل لكي يبادر الى الأنقلاب يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣



ملا مصطفي البارزاني بالزي الكردي والي يساره طاهر يحي وعلي سليمان وجلال الطالباني في جوارنة قورنة آذار عام ١٩٦٣ م

فأزاح حزب البعث عن السلطة، وكان هذا الأنقلاب الثالث الذي شغل عبد السلام عارف مركز الصدارة في التخطيط والتنفيذ.

القيادة الجديدة تحاشت ذكر كلمة كردستان وروجت لفظة الشمال وهي مفردة جغرافية ليس إلا، وإخواننا الأكراد، وتقول ان للاكراد حق المواطنة وهم متساوون مع بقية المواطنين.

لقد كان عبد السلام عارف يستصغر مقام الأقليات الدينية وحتى القومية، ويوم اطلق سراح الشيخ احمد من السجن، استقبله عبد الكريم قاسم بحفاوة وتقدير ولكن عبد السلام محمد عارف لم يحضر تلك المقابلة ونقل عنه انه لو كان حاضراً في اللقاء لقال له: كاكه برو برو. والمعني واضح.

وفي مناسبة أخرى ورد في هامش عن الدكتور عبد الفتاح البوتاني يقول: من الثابت تاريخياً ولدى المؤرخين كافة ان عبد السلام عارف كان من أشد المعارضين لعودة البارزاني الى العراق، حتى انه هدد الوفد الذي قابله لبحث مسألة عودته برئاسة ابراهيم احمد، عندما كان وزيراً للداخلية في ايلول ١٩٥٨ قائلاً:

إن العهد الجمهوري ليس كالعهد الملكي وحذرهم من القيام بأية حركة او تمرد وإنه سوف يشوي البصل على آذانهم إذا تحركوا كما كانوا يفعلون في العهد الملكي[١].

ونعود الى مجريات الأنقلاب الجديد ففي هذه المحاولة شاركه شقيقه عبد الرحمن عارف وغيره من الضباط الموالين له من قيادة البعث، وبعد هذا الأنقلاب اصبح عارف سيد البلاد، وكان هذا الأنقلاب يتسم بطابع فوقي.. ومن المميز ان البرنامج الحكومي الجديد بعد الأنقلاب والصادر في ٢٦ كانون الثاني لم يأت فيه كلمة واحدة عن المسألة الكوردية، وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ أدلى الرئيس عارف بتصريح دعي فيه الكورد الذين يقاتلون ضد الحكومة الى إلقاء السلاح والأستسلام[٢].

لكن هذه التوجهات لم تكن بمنأى عن محاولات اخري تهدف الى تهدئة الأوضاع، فالفصل هو الشتاء والحاجة تقضي بتهدئة الأوضاع وهذه التهدئة ستذوب مع ذوبان الثلوج على جبال كردستان. والشعب الكردي والثورة الكردية كانا ايضاً بحاجة الى فسحة من الزمن لتهدئة الأوضاع لالتقاط الأنفاس وهي تعتبر استراحة محارب، كما ان للهدنة مردود اقتصادي للفلاح لاتاحة الفرصة لصرف المخزون من تبوغهم حيث يشكل التبغ المحصول الرئيسي في اقتصادهم الزراعي وكما روعي ذلك في مفاوضات سابقة.

بعد الأنقلاب بفترة وجيزة أي في شهر كانون الأول وصل كل من جلال الطالباني ونوري شاويس الى مقر البارزاني في كلالة، وفي ١٦ من هذا الشهر (كانون الأول) ١٩٦٣ وصل اسكندر الأرمني وهو صاحب صيدلية في السليمانية ومن الأصدقاء القدامى للبارزاني في

فترة النفى الى السليمانية عام ١٩٤٣ واجتمع بالبارزاني وسلمه رسالة من بابا علي الشيخ محمود رسالة مفادها انه التقى مع رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية وأبديا رغبتهما بالحوار مع القيادة الكردية لحل المشاكل العالقة بالطرق السلمية، ورحب البارزاني بهذه البادرة وأبدي استعداده لاستقبال الوفد الحكومي على ان يصل هذا الوفد الى رانية، لكن السلطات الحكومية رأت في ان يتوجه وفد كردي الى بغداد، ويبدو ان الحكومة تخشى إرسال وفد الى مناطق الثورة فيجري حجزه كرهينة لاطلاق سراح آخر وفد كردي مفاوض زجت الحكومة اعضائه في السجن بعد استئناف المعارك.

واخيراً وافقت الحكومة على إرسال الوفد الحكومي المفاوض الى رانية لكن المفاجئات في ذلك كانت وجود الشيخ أحمد البارزاني على متن نفس الطائرة التي أقلت الوفد وكانت هذه فكرة عبد السلام عارف ليضمن عودة الوفد مع ممارسة الضغط على القيادة الكردية للتخفيف من مطالبهم.

كان الوفد الحكومي برئاسة العميد عبد الرزاق سيد محمود محافظ السليمانية وكذلك العميد عبد العزيز جلبي والعقيد سالم قائد موقع السليمانية،فيما تالف الوفد الكردي من السادة نوري صديق شاويس وجلال الطالباني والعقيد عبد الكافي النبوي ومسعود محمد وعباس ما مند آغا.

لقد توصل الوفدان الى الصيغة النهائية للبيان المشترك مع اختلاف في صياغة فقرة، إذ كان عبد السلام عارف وسائر أعضاء الوفد يصران على صيغة تقول:

(تقر الدولة بحقوق المواطنة للاكراد)

في حين ان الوفد الكردي المفاوض وبتأييد من البارزاني يري ان تكون الصيغة النهائية تقول:

(وتقر الدولة بالحقوق القومية للاكراد)

ومن اجل ذلك سافر الوفد الحكومي الى بغداد يوم ٧ شباط ١٩٦٤ وعاد الى المنطقة بعد الموافقة على الصيغة التي ارادها الوفد الكردي فتم التوقيع على اتفاقية الهدنة في العاشر من شباط.[٣]

بعد هذه الهدنة سادت اجواء من الأستقرار والطمأنينة الى النفوس، حيث بادرت الحكومة الى تعويض الفلاحين الذين غمرت مزارعهم مياه سدي دوكان ودربندخان وأطلق سراح المعتقلين من الجانبين كما اطلق سراح الوفد الكردي المفاوض والذي كان برئاسة صالح اليوسفي.

في هذه الأثناء شهدت مناطق الثورة حركة ملحوظة حيث زار المنطقة رجال الأعلام والصحافة والوفود الرسمية الحكومية لمسؤولين كبار ففي ١١ آذار ١٩٦٤ وصل العميد رشيد مصلح وزير الداخلية على رأس وفد كان يضم عبد الرحمن عارف شقيق رئيس الجمهورية وهو بمنصب نائب رئيس أركان الجيش، وابراهيم فيصل الأنصاري قائد الفرقة الثانية.

في الأول من ايار وصل وفد آخر برئاسة عبد الرحمن عارف وكانت الغاية استرجا ع المدافع الثقيلة التي غنمها المقاتلون الأكراد. في الثاني من حزيران ١٩٦٤ وصل رانية وفد كبير يرأسه طاهر يحي رئيس الوزراء وكان البارزاني في استقباله ويبدو ان قادة الثورة الكردية يرون في طاهر يحي انه اكثر تجاوباً من غيره في القيادة مع حقوق الشعب الكردي، وكانت المفاوضات مع الوفد تدور في الأساس حول تعديل الدستور المؤقت الذي كان خالياً من عبارة صريحة تشير الى وجود الشعب الكردي وحقوقه، لكن يبدو ان طاهر يحي لم يف بوعده حول تعديل الدستور.

ضجة في صفوف قيادة الثورة

في التجارب التاريخية للأحزاب السياسية وثورات الشعوب، فإن الأنشقاقات تعتبر حالة شاذة عن القاعدة،، لكن الحالة الأستثنائية هذه لها وجود ملحوظ في كثير من تجارب الشعوب، والثورة الكردية لا تشذ عن هذه القاعدة رغم اننا وصفناها بالحالة الأستثنائية، فهناك قيادة البارزاني العسكرية التي تستثمر كل الأمكانات المتاحة بما فيها العلاقات العشائرية التي لها دور كبير في معظم حركات التحرر، والي جانب هذا العامل ثمة الروابط الحزبية التي تسعي الى الأنتقال من مرحلة العشيرة الى الرابطة الحزبية السياسية والتي تعتبر مرحلة متطورة وتقتضي نشر الثقافة والوعي بين افراد العشيرة لكي ينتقل ولا ئهم لمفهوم الحزب والقومية والدولة بدلاً من الأسرة والقبيلة.

باعتقادي ان الثورة الناجحة للشعب الكردي يتعين ان تستثمر هذه العلاقات مجتمعة دون اهمال واحدة منها. ان استمرارية الثورة وطول امدها والتغيرات الطارئة التي تحيط بالثورة وتباين المصالح، والسعي المستمر في تسعير الخلافات وتأجيجيها بغية إضعاف الثورة من الداخل كل هذا ساهم في نمو اتجاه يسعي لأي انقسام في جسد الثورة الكردية. إنها مرحلة تاريخية يتعين تسجيلها بحلوها ومرّها من اجل اخذ الدروس والعبر، ومن المؤكد ان الحكومة تفرك كفيها فرحاً في هذه المناسبات التي توفر لها الكثير من الجهود التي تبذلها من أجل إضعاف الثورة.

في تصنيف قد يبدو واقعياً بوجود قطب او جناح عسكري يقوده الملا مصطفى البارزاني،

وإن الجناح المدني للثورة يمثله الحزب الديمقراطي الكردستاني، وفي هذه الفرضية يتعين الألمام ان البارزاني كان قد انتخب رئيساً للحزب السياسي الذي قلنا انه يمثل الجناح المدني، وإن المعادلة التي تقول ان الجناح العسكري ينبغي ان يخضع للحزب السياسي قد لا ينطبق في الحالة التي نحن بصددها فإضافة الى كون البارزاني رئيس الحزب والقائد العسكري للثورة نستطيع ان نضيف الى ذلك انه يمثل شخصية براغماتية في مصلحة شعبه ويتمتع بكارزمية ملحوظة وجاذبة لشرائح كثيرة من الشعب الكردي وهي تتعبد في محراب الرجولة والشجاعة والأخلاص العشائري، وفوق ذلك هو يحمل كفاءة اكثر من غيره في تحقيق التقارب مع العالم الخارجي وهذا شأن هام تفتقر اليه الثورة وهي محاطة بأسوار عالية لعزلها عن العالم الخارجي، الذي كان يري فيه ملا مصطفى البارزاني اهمية قصوي لكسر قيود الأغلال التي يفرضها الجيران على سيرورة وكينونة هموم ومعاناة الشعب الكردي.

إن القيادة الحزبية وفي مقدمتها ابراهيم احمد الذي تميز بخلفية ثقافية واكاديمية، وهو الذي تزعم فكرة انتشال الثورة من محيطها الأجتماعي العشائري الى فضاء الممارسة الحزبية، وهو يرى في الخطوة الأولى لذلك في انتزا ع القيادة من البارزاني وتسليمها الى الكادر الحزبي. وفي الحقيقة من الصعوبة بمكان ان يجري تطبيق هذه النظرية بقرار حزبي، إن هذه المسائل يجري تطبيقها بالحراك الأجتماعي ومع تطور الثورة ومع زيادة الوعي وتترك هذه المسائل للتاريخ.

خلفية الرغبة في نزع القيادة من البارزاني بحسب ابراهيم احمد واعضاء المكتب السياسي ان البرزاني كان متساهلاً مع القيادة الجديدة التمثلة بعبد السلام عارف وطاهر يحي وإنه اكتفى بالحد الأدني من المطالب الكردية، ولكن هذا الأدعاء لا يخالف الواقع حينما اصر البارزاني على الوفد الحكومي برئاسة طاهر يحي ان على الحكومة الجديدة تعديل الدستور المؤقت لكي يشير بوضوح الى وجود الشعب الكردي والقومية الكردية في العراق.

إن الذي يسمع تصريحات عبد السلام عارف يستشف ان هذا الرجل لا يمكن ان يوافق على اقرار الحقوق القومية للشعب الكردي، وإن لم يكن له في انقلاب ٨ شباط مسيطراً بشكل كامل على مركز القرار، فإنه بعد تصفية البعث والحرس القومي بات عبد السلام عارف هو المسيطر بشكل كامل على القرارات المهمة لا سيما التي تتعلق بشكل وآخر بالقضية الكردية من الناحية السياسية والعسكرية، صحيح يرغب الرجل بوضع حدّ للأقتتال لكن على اية أسس وما هي التفاصيل وهذا هو المهم؟

قبل ثمانية اشهر كان عبد السلام في اثناء جولاته في المواقع العسكرية في المنطقة يحث الجنود على تطهير المنطقة من الخونة والمجرمين، وفي خطبة له في نادي الضباط بكركوك،

دعا ضباطه الى تطهير شامل للخونة وأكد ضرورة القضاء على المتمردين قضاءً تاماً، وإن اللواء نايف حمودي ابلغ المراسلين والصحفيين ان المقاتلين الأكراد أبدوا استعدادهم لتسليم اسلحتهم للجيش العراقي، وسيسلم بدلاً من هذا السلاح بنادق صيد، وفي هذا السياق صرح قائد الفرقة الثانية ابراهيم فيصل الانصاري ان البارزاني يحل وحداته المقاتلة بالتدريج.. وإنه يصفي قواته. ولم يعد ثمة حركة بارزانية والجيش يسيطر علي جميع الأراضي العراقية وعن هذه الحالة يتحدث شمدت في تقريره الصحفي الذي نشره في حينه انه لقي جلال الطالباني فأكد له بأن المسألة هي اكثر من مجرد اتفاق لوقف القتال وإن الكرد ما زالوا يحتفظون بسلاحهم كالسابق ولم يسلموا قطعة واحدة منه[٤].

في وقت بات تبادل الأتهامات وبوادر الأنشقاق تلوح في الأفق في وقت كانت الثورة الى احوج ما يكون الى رص الصفوف، وكان اقوي الأصداء لهذا التباين واختلاف في وجهات النظر هو المؤتمر الحزبي (الكونفرانس) الذي عقد من ٤ نيسان الى التاسع منه في (ماوه ت). لقد سبق هذا المؤتمر تهيئة فكرية تتركز على التقليل من اهمية قيادة البارزاني للثورة الكردية.

افتتح ابراهيم احمد الكونفرانس الذي حضره ممثلون عن جميع فروع الحزب الخمسة الى جانب معظم اعضاء اللجنة المركزية وبلغ عدد المندوبين سبعة وستين مندوباً، اما الغائبون عن هذا الأجتماع فهم كل من جلال الطالباني وعمر مصطفى وصالح اليوسفي وشمس الدين المفتي وعبد الحسين الفيلي وهاشم عقراوي وناهدة شيخ سلام[٥].

كان هناك عامل آخر له تأثير حاسم على سير الأحداث وهو وجود الضباط العسكريين من ذوي الرتب العالية (بين مقدم وعقيد) الملتحقين بالثورة بعد انقلاب ٨ شباط وهؤلاء قد سلمت لهم قيادات في مختلف الجبهات، إلا ان صلاحياتهم كانت محدودة فالقيادة الحقيقية كانت بيد أمراء الهيزات وهم المندوبون السياسيون الذين عينهم المكتب السياسي للقواطع والجبهات المختلفة فالكلمة الأخيرة كانت لهؤلاء، فكان ذلك سبباً في استياء الضباط الملتحقون بمرور الزمن وشعروا بأنهم كمية مهملة فوجدوا في الخلاف فرصتهم وجرت انقلابات عسكرية علي المكتب السياسي انتهزها البارزاني فثبت هؤلاء الضباط كل في موقعه ببيان قُرأ على الوحدات[٦].

نعود الى ما جرى في الكونفراس إثر هذه التطوارت على الأرض ففي اليوم التالي للأجتماع اقترح المكتب السياسي على المندوبين اتخاذ قرار بالصيغة التالية:

بما ان البارزاني ما زال يستخدم صلاحياته كرئيس للحزب وقائداً للثورة وبما ان ذلك يلحق بكليهما ضرراً خطيراً ويهدد كيانهما فإن المؤتمر يقترح تجريده من صلاحياته كافة،

وعزله. وحاز هذا القرار على واحد وستين صوتاً من اصل ٦٨ صوتاً.. وصوت ضده مندوبوا بغداد الفرع الخامس للحزب بقيادة السنجاري، حيث اقترح هؤلاء إرسال وفد الى البارزاني[٧].

يبدو من سير الأحداث ان الكونفرانس قد تسرع باتخاذ قرار عزل البارزاني، إن شخصية البارزاني الكارزمية ليس من اليسير تهميشها بقرار حزبي، فشخصية البارزاني وتأثيرها لها مساحة وأبعاد اطول وأبعد من أحداثيات الحزب. ولأنقاذ الموقف وافق المجتمعون على مقترح بإرجاء العمل بقرار التجميد وتأليف وفد لمقابلة البارزاني لاستطلاع موقفه، وكان الوفد يتألف من جلال عبد الرحمن ومصطفى كه ريكار عن الفرع الثالث كركوك وعلي السنجاري عن الفرع الخامس بغداد، وطاهر بابان عن الرابع السليمانية، وأسعد عن الفرع الثاني أربيل، سافر الوفد الى (سه نكَه سر) وقابل البارزاني، وبالأعتماد علي ما دونه ديفيد ادامسن وجرجيس فتح الله عن مقابلة الوفد للبارزاني يمكن اختصار ما جرى بين البارزاني ووفد الكونفرانس الحزبي بالأسطر التالية.

يقول السنجاري: يبدو ان البارزاني كان مطلعاً على تفاصيل ما جرى في الكونفرانس وطلبت منه ان يحسن استقبال اعضاء الوفد، فبان عليه الغضب وأجاب بحدة:

من اهنت في الماضي؟ إني احترم الناس جميعاً. وسئل اثناء الأجتماع عن سبب اعلانه وقف اطلاق النار وتجاوبه مع عبد السلام عارف. فقال:

حكومة البعث السابقة شنت علينا كما تعلمون حملة إبادة بكل معني الكلمة.. لقد تحمل شعبنا كثيراً من المشاق والمآسي وليس هناك من يقف الى جانبنا ويساعدنا في محنتنا، قالت لي الحكومة الجديدة انها ستنظر في مسألة تمتعنا بحقوقنا، ولم أر بأساً من الأستماع اليها كما استمعنا الى من سبقها، ما الذي يجعلنا نقاتل إن وصلنا الى أهدافنا والوقت بجانبنا على كل حال.

وسئل أيضاً هل صحيح انك تريد حل الحزب؟ قال:

الحزب أنا مؤسسه فكيف أهدم ما بنيته بيدي؟ عندما كنت في ايران أرسلت اوراقاً بيضاء مذيلة بتوقيعي لكل من حمزة عبد الله وابراهيم أحمد ليكتبوا عن لساني ما شاؤوا لمصلحة الحزب. إني لا أريد اكثر من إعادة النظر في قوام المكتب السياسي. وارغب في ان ينزل (ابراهيم) عن منصب السكرتارية وأن ينزاح عدد من اعضائه ويقوم جلال الطالباني بمهام السكرتارية العامة مؤقتاً لحين انعقاد المؤتمر. واستدرك قائلاً:

إني لا أرغب في ان يتم انتخاب مندوبي المؤتمر المقبل بعيداً عن تأثير المكتب السياسي ومن

دون إشرافه على ان يمثل فيه مختلف القطاعات والأتجاهات الفكرية والسياسية ولا مانع من حضور كل عضو حزبي. وبطبيعة الحال كان من العسير ان يحضر كل اعضاء الحزب.. وحينما عاد الوفد من (ماوه ت) كان الأجتماع قد ختم اعماله وعاد كل مندوب الى مقره.. وكان المكتب السياسي يأمل ان يبعد نفسه وان يرغم البارزاني على انتهاج السبيل التي أرادها بتأييد مخاوف الشعب الكردي من وجود صفقة استسلامية[٨].

في هذا المقام لا يمكن الى الجهر بالسؤال الذي يقول: كيف يسمح البارزاني لنفسه بعقد مثل هذه الصفقة ويبيع قضية شعبه والتي افني عمره في سبيلها وربط مصيره بمصيرها؟

نعود قليلاً الى قدوم الوفد العراقي الكبير الذي ترأسه طاهر يحي وكان من اعضاء الوفد ايضاً قائد الفرقة العميد الركن ابراهيم فيصل الأنصاري والعقيد هادي خماس مدير الأستخبارات العسكرية ووزير الداخلية صبحي عبد الحميد ومتصرف السليمانية عبد الرزاق الرحيم، والوزير فؤاد عارف ووزير آخر.

في هذه المحادثات آثر مـلا مصطفى البارزاني الصمت وخول ابراهيم احمد وجلال الطالباني وممثلوا العشائر الكردية وهم عباس مامند آغا وشيخ حسين بوسكين وبابير آغا بشدري وكاك حمه زياد آغا كويسنجق وغيرهم، وكانت النقطة التي ركز عليها هو ان يرد ذكر الشعب الكردي في الدستور العراقي المؤقت ويسجل الكاتب نقاط تبدو مضحكة اكثر من ان تكون مفاوضات جدية بين طرفين، ويذكر جلال الطالباني ذلك بقوله:

في مجري المحادثات كنت اتكلم استطراداً عن مناظر الطبيعة في جبال كردستان. فنط العقيد هادي خماس يعلق بعصبية وبالعربية العراقية الدارجة بقوله: (ها كول مو انا انفصالي، وبعد ذلك تدعي انك غير انفصالي؟)

قلت: لا غبار على هذه الكلمة.

قال خماس: هذه إشارة واضحة ترمز الى دولة كردية مستقلة ولحركة انفصالية.

فقمت بشرح التعبير بقولي: إنها كلمة مركبة من (كرد) و(ستان) وتعني بلاد الكرد وهذا مصطلح عتيق استعمله المؤرخون والجغرافيون قبل ان تكون هناك حركة كردية، وهناك في ايران مثلاً محافظة ستان باسم محافظة كردستان دون ان تعني بالتأكيد حركة انفصالية وهناك ايضاً وحدة في الجيش الأيراني باسم (لشكر ستان). ويضيف جلال الطالباني: عبثاً حاولت إقناعه بأن الكلمة لا تعني بالضرورة الدعوة الى تأسيس دولة كردية مستقلة، لكنه اصر بأن هذه الكلمة هي رمز لحركة انفصالية كردية وإن ترديدها يقصد به السعي الى هذه الغاية[٩].

في ضوء تعثر المفاوضات تقرر ان يبقى الوفد الحكومي ليلة أخرى وفيها يقوم الوفد الكردي بتهيئة مقترحات لعرضها على الحكومة ويذكر هنا ان البارزاني أرسل صالح اليوسفي ليوصي كل من ابراهيم احمد وجلال الطالباني بأن يتصلبا في موقفهما حول المطالب الكردية لكن يبدو ان الوفد قد فسر هذه التوصية بأنها للأيقاع بالوفد او ربما ليتخذ منهما رأس رمح ولهذا كان وفد الحزب المفاوض اكثر مرونة وتساهلاً في مطالبه بعكس ما كان مطلوب منه. بعد صياغة المقترحات في الليل تليت على رئيس الوزراء واعضاء الوفد فعلق غاضباً:

الآن تأكد لي بأنكم (يقصد جماعة الحزب) أعداء السلام في شمال العراق.

أجابه ابراهيم احمد قائلاً:

انا لا اهتم كيف تنظر الى ما دامت ثقة الشعب بي قائمة.

وتهيا رئيس الوزراء لمغادرة غرفة الأجتماع وهو يقول:

كل من يقبل بهذه الشروط فهو خائن.

وعندما انذراه كل من جلال الطالباني وابراهيم احمد بقولهما ان المكتب السياسي على استعداد للقتال، فأجاب:

ـ انتم لا تزيدون علي عشرة.

ـ أخطأت بهذا فالشعب معنا.

اجابهم رئيس الورزاء:

انتم لا تتمتعون حتى بثقة البارزاني ومساندته ألا فلنسأله الآن.

ابتسم البارزاني وقال بلهجة ظاهرة السخرية:

أطلب من والدنا المحبوب عبد السلام محمد عارف ان يصدر عفواً عنا نحن المجرمون هذا كل ما اطلبه لا أكثر[١٠].

للركون الى تداعيات الأنشقاق يتعين العودة الى خلفية تراكمية تعود الى بعض التأويلات النظرية، وفي الحقيقة لا أري في هذه التراكمات مسائل مبدأية بقدر ما كانت وقائع شخصية. كان ابراهيم احمد رجل قانون وأدب وثقافة راقية، وكان يعتقد انه احق من غيره باستلام دفة القيادة في الحزب وحتى الثورة، وحتى لو اقتنعنا بالحجة، لكن ينبغي ان يتم ذلك عبر عملية ديمقراطية من خلال مؤتمر ووفق لوائح النظام الداخلي لهذا الحزب، وليس حسب فرضيات كادر يوردها من كوادر الحزب مهما بلغت ثقافته او منصبه.



البارزاني في معاقل الثورة الكردية العام ١٩٦٣
وعلى يساره نجله مسعود

بعد انهيار جمهورية مهاباد انضم ابراهيم احمد الى الحزب البارتي وكان ذلك في حزيران ١٩٤٧ وكان حمزة عبد الله في هذه الأثناء سكرتيراً للحزب وهو اول امين عام للحزب لكنه عرف بميوله نحو خطاب الحزب الشيوعي، فافلح ابراهيم احمد من تجميده ومن ثم إقصائه عام ١٩٥٣ لكن بعد عودة ملا مصطفى من منفاه في الأتحاد السوفياتي والأستقبال المنقطع النظير له من قبل الجماهير رضخ ابراهيم احمد للأمر الواقع وأصبح البارزاني رئيساً للحزب دون منازع، ويقال عن ابراهيم احمد في هذه المرحلة انه بدأ يناور لوضع قواعد وأنظمة داخلية للحزب تحد من صلاحيات رئيس الحزب الملا مصطفى البارزاني، وفي هذه الفترة ايضاً اشتهر ابراهيم احمد بكثرة لقاءاته بالبعثيين والقوميين العرب، ثم تحول بعد ذلك للأتفاق مع الشيوعيين حينما فشلت مؤامرة البعثيين على عبد الكريم قاسم، ونتيجة هذه المواقف، تمكن حمزة عبد الله من استعادة منصبه في الحزب[١١].

بعد هذه الفترة كان ملا مصطفى البارزاني يوضح لحمزة عبد الله ان يكون له سلوك مستقل عن خطاب الحزب الشيوعي لكنه دأب على الأستمرار في نهجه ما يميز في خضوعه للحزب الشيوعي العرقي، وخسر منصبه ثانية. وفي تشرين الأول ١٩٥٩ عقد الحزب مؤتمره الأول ليعاد انتخاب ابراهيم احمد لأمانة الحزب وبمباركة من الملا مصطفى البارزاني.

حينما اندلعت ثورة ايلول ١٩٦١ احجم ابراهيم احمد عن الأشتراك في الثورة وفوق ذلك سافر الى كردستان لمنع اعضاء الحزب من الأشتراك في الثورة بزعم ان الظروف ليس مواتية بعد، وفي هذا الصدد حاول ابراهيم احمد استمالة جلال الطالباني الى جانبه لكنه لم يفلح بذلك فاضطر الى الألتحاق بثورة أيلول وكان دوره فيها هو دور المنظر الأديولوجي.

يكاد يكون حزب البارتي الذي خرج متعافياً بعد الملاحقات التي طالته في عهد عبد الكريم قاسم، او يمكن الزعم ان الأضرار التي اصابته كانت اقل من تلك التي لحقت بالأحزاب الأخرى، وكان يجب استثمار هذه الناحية لتقوية الحزب ولكن يبدو ان ابراهيم أحمد كما يقول الدكتور عبد الفتاح البوتاني انه انساق وراء طموحه الشخصي حتى إذا كان على حساب التفريط بوحدة الثورة الكردية.. وعلى الرغم من مناشدة العديد من الشخصيات الوطنية والقومية الكردية فقد أحدث انشقاقاً كبيراً في الحزب بحجة ان البارزاني فرط بحقوق الشعب الكردي وإنه تخلى عن مبدأ الحكم الذاتي لكردستان وإنه سيعمل على حل الحزب والبيشمركة، كل ذلك لمجرد موافقته على وقف اطلاق النار مع الحكومة في ١٠ شباط ١٩٦٤ تلك الأتفاقية التي ستعقبها أمور كثيرة يتم التداول مع الحكومة وهي اكثر بكثير من اتفاقية وقف إطلاق النار، على حد قول جلال الطالباني حينذاك[١٢].

من مجريات الأمور إن الرياح لم تجر بما يلائم اشرعة المكتب السياسي الذي كان محوره ابراهيم احمد، وإن الذريعة التي اريد بها كسب المعركة ضد البارزاني انه اوقف القتال مع الحكومة بصفقة مالية قدرها ربع مليون دينار مع كمية من البرتقال والتفاح، لا يمكن للبارزاني ان يبيع قضيته بهذا المبلغ او مهما ارتفع الثمن، وعندما جاء وفد الحزب لاستجلاء الأمر كانت إجابة البارزاني على مقترحات الكونفرانس كالآتي:

١ ـ ليس بالأمكان تغيير القادة العسكريين المعينين حديثاً وسيبقون في اماكنهم.

٢ ـ تترك الحرية للبيشمركه في اختيار الجانب الذي يعملون فيه.

٣ ـ يجب عقد مؤتمر الحزب في مدة اقصاها ١٠ / ايار ١٩٦٤م.

٤ ـ يكون عدد ممثلي المكتب السياسي في اللجنة التحضيرية للمؤتمر مساوياً لعدد ممثلي رئيس الحزب (البارزاني).

٥ ـ لا مانع من قيام اعضاء اللجنة المركزية عمر مصطفى دبابة وجلال الطالباني ونوري شاويس وصالح اليوسفي وعلي عبد الله وناهدة شيخ سلام وجلال عبد الرحمن بتمشية أمور اللجنة المركزية لحين انعقاد المؤتمر. ومن المفارقات هنا يقول مسعود البارزاني: ان البيشمركه الذين انيطت بهم حراسة الكونفرانس أسرعوا بالألتحاق بالبارزاني، وإن

صالح شيره وهو من الكوادر المعروفين بالتعليقات الساخرة، فقد نهض في الاجتماع الذي تقرر فيه تجميد البارزاني قال: ها نحن قد جمدنا البارزاني. لكننا مطوقون ببيشمركه البارزاني فهل لأحد منكم ان يهدينا الى طريق العودة الى بيوتنا؟[13]

لكن يستشف من تطور الأحداث انها كانت تسير باتجاه التباعد بين الطرفين ويبدو ان الأنشقاق كان في طريقه الى التوسع مع مرور الأيام وتداعي الأحداث. هذا كان يجري رغم محولات فردية لشخصيات كردية تحاول رأب الصدع وتضييق فجوته، حيث سافر وفد كردي من بغداد يتكون من السادة فؤاد عارف ومجيد على وفتاح سعيد الشالي والدكتور عبد الرحمن، ورؤوف احمد ورشيد عارف، وعلى اثر زيارة الوفد تقرر تجميد الخلافات وأن تبدأ صفحة جديدة وعلى اسس تم الأتفاق عليها منها:

- ن لا تباشر قوات الثورة في القتال وان يكون لها موقف الدفاع عن النفس. - أن تنبثق لجنة تحضيرية لعقد المؤتمر السادس للحزب.

- أن ينقل مقر المكتب السياسي من ماوه ت الى رانية ليكون بمعية البارزاني.

لكن ملا مصطفى البارزاني شعر بأن المكتب السياسي لا زال يشن حملة تثقيف بين اعضاء الحزب للنيل من قيادة البارزاني والتقليل من دوره في قيادة الثورة.

كانت التهيئة لعقد المؤتمر السادس للحزب تجري على قدم وساق وفي مجري تفاقم الخلافات وتصاعد نبرة التهديد، وهنا يقول مسعود البارزاني ان ابراهيم أحمد ارسل تهديداً للبارزاني مفاده:

لو انجرّ الى قتال فسأجعله قتالاً بين سوران وبادينان، ويضيف مسعود البارزاني قوله: لم أر الوالد تجتاحه سورة من الغضب كتلك التي رأيته فيها وهو يتلقى التهديد فكان جوابه على التهديد قوله: هذا عهد مني إني لن اؤدبك أنت ومن يلحق بك إلا بأبناء سوران المخلصين.. ومع هذا ارسل البارزاني بمدة كافية قبل انعقاد المؤتمر في الأول من تموز ٩٦٤ أشعاراً للمكتب السياسي يطلب منهم الحضور لكنه لم يتلق جواباً[14].

في يوم انعقاد المؤتمر في قلعة دز ارسل المكتب السياسي كلاً من على عبدالله وسيد عزيز شمزيني وتوجس البارزاني الخشية من محاولة لتخريب المؤتمر فأمر باعتقالهما الى حين انفضاض اعمال المؤتمر، لقد ابرق المكتب السياسي الى المؤتمر السادس برقية جاء فيها:

ان الأجتماع المزمع عقده، لا يمكن ان يحرز صفة المؤتمر للحزب، لأن النظام الداخلي يقضي بأن تقوم اللجنة المركزية بالدعوة اليه والأشراف عليه وليس في النظام الداخلي ما يشير الى انفراد رئيس الحزب به، وعلي هذه الفرضية سيكون كونفرانس ماوه ت ايضاً غير

ذي وجه قانوني على اعتبار النظام الداخلي يحصر حق الدعوة اليه برئيس الحزب.

لقد انعقد المؤتمر السادس بموعده والذي تقرر فيه:

طرد السادة التالية اسماؤهم من الحزب وهم كل من: ابراهيم احمد، نوري شاويس، عمر مصطفى دبابة، سيد عزيز سيد عبد الله شمزيني، جلال الطالباني، علي حمدي، عبد الرحمن ذبيحي، علي العسكري، احمد عبد الله، حلمي علي شريف، محمد حاج طاهر، ملا عبد الله اسماعيل (ملا ماتور)، نوري أحمد طه، وعلي عبد الله.

اما اعضاء اللجنة المركزية الجديدة فهم:

ملا مصطفى البارزاني رئيساً، حبيب محمد كريم (سكرتيراً)، الدكتور محمود عثمان، الدكتور فؤاد جلال، هاشم حسن عقراوي، رمضان عقراوي، عزيز عقراوي، اسماعيل ملا عزيز، اسماعيل عارف، يدالله فيلي، فاتح محمد بكَ، صالح عبد الله اليوسفي، نعمان عيسى، علي سنجاري، وعمر شريف.[١٥] بطبيعة الحال ان المكتب السياسي لم يعترف بالمؤتمر او بمقرراته.

كان للمؤتمر السادس تداعيات اخرى فقد اصدر المؤتمر قراراً بإلزام المكتب السياسي بإعادة ممتلكات الحزب التي من بينها المطبعة والأذاعة. لقد اقترن ذلك بتحرك عسكري ايضاً حيث تم تطويق المقاتلين من المكتب السياسي في ماوه ت فلجأت القوات المطوقة الى التقهقر والأنسحاب نحو الحدود الأيرانية، وكان البارزاني قد حذر قواته من اللجوء الى القتل ويفضل ان يترك لهم منفذ للفرار وإخلاء المواقع.

وصل البارزاني ماوت في ١٨ تموز ١٩٦٤ وفي ٢٦ منه توجه نحو بنجوين. دخل مقاتلي المكتب السياسي الحدود الأيرانية، لكن في ١٧ تموز عاد هؤلاء الى مناطق من انحاء بنجوين واحتلوا بعض المواقع واشتبكوا مع البيشمركة ووقعت ضحايا بين الطرفين، وأمر البارزاني القوات المتيسرة له بالتوجه نحو جوارته وبنجوين حيث كانت هناك برقية من العقيد ملا نوري معروف يطلب فيها من البرازاني إرسال نجدة، والبارزاني نفسه توجه نحو المنطقة حيث وصلها في ٢٢ آب.

آثرت قوات المكتب السياسي الأنسحاب الى داخل ايران، وقد انذر البارزاني السلطات الأيرانية بأنه سيجتاز الحدود الأيرانية ويشعل ثورة في كردستان أيران إن عبر هؤلاء الحدود، وكان يمكن ان يشكل ذلك مصدر استنزاف للثورة الكردية إن عبر المقاتلون من داخل ايران لضرب قوات الثورة ومن الأنسحاب الى داخل ايران.

إن الحكومة العراقية التي كانت علاقاتها متوترة مع ايران أرسلت وفداً حكومياً الى جوارتة

ليتصل بالبارزاني تبلغه استعداد الحكومة لمؤازرته ضد التدخل الأيراني، ولكن البارزاني لم يطلب مثل هذه المساعدة. داخل الحدود الأيرانية قامت قوة عسكرية ايرانية بجمع السلحة من مقاتلي المكتب السياسي ثم نقلوا بسيارات عسكرية الى مدينة سقز الكردية ومكثوا فيها شهرين، وأسكن القياديون في طهران ووضعوا تحت رقابة امنية دقيقة، أما المقاتلون فنقلوا الى مدينة همدان وأسكنوا جميعاً في مصنع مهجور لعود الثقاب، وكان عددهم يضاهي الستمائة عندما عبروا الحدود. إلا ان نصفهم تقريباً آثر العودة والألتحاق بقوات الحركة الكردية المسلحة[١٦].

إن الأختلاف في وجهات النظر مسألة طبيعية وضورية على ان يتم تداولها عبر التفاهم والحوار الديمقراطي المثمر، لكن الأختلاف الذي نحن بصدده خرج من منطقه التفاهم والنقاش ليلامس تخوم العنف واستخدام السلاح، يمكن قراءة ذلك في عبارة موجزة وهي الأختلاف في طريقة التفكير بين قيادة البارزاني والمكتب السياسي، فملا مصطفى البارزاني كان ابن العشيرة وانطلق من بيئتها نحو فضاء السياسة والعمل العسكري والأداري وكان ما تعلمه من مدرسة الحياة يفوق على ما تعلمه في المدرسة إن كان في العراق او دراسته في الأتحاد السوفياتي. ثمة مقولة تفيد، بأن ما تعلمناه في المدرسة او الجامعة علينا بمواجهة الأختبار والأمتحان لما درسناه، لكن في مدرسة الحياة فإننا نواجه الأمتحانات العسيرة ومنها نستخلص الدروس والعبر وفي شخصية البارزاني وفي مسلسل عمله الطويل على مدي عقود من حياته ظل يراهن علي بديهيات منها ان يكون له رجال مخلصين مستعدين للتضحية، وأن تكون الشجاعة عنوان العمل العسكري، وأن يكون ثمة مركزية مشددة في ربط الهيكلية العسكرية والسياسية للثورة. إن هذه العوامل الذاتية رغم اهميتها ستكون عاجزة عن الأستمرارية المطلوبة، إن لم يكن للثورة معين من الخارج يأخذ بيد الثورة حينما تتعثر.

وهو يرى ان ينظر في الأفق الى ابعد من الجار القريب ـ وإن كان لهذا الجار مصلحة سيتعاون معه، وإلا سيلفظه عند الحاجة، أي ان كردستان ستبقى ورقة تأليب ضد الجيران وتمزثق هذه الورقة ورميها حين انتفاء الحاجة اليها، ولهذا اراد البارزاني بحدسه الغريزي ان يكون له اصدقاء يتعاملون مع قضية الشعب الكردي كقضية شعب وليس كورقة ضغط موسمية.

يقول عن ايقافه للقتال مع حكومة البعث وبعدها حكومة عبد السلام عارف ان الولايات المتحدة طلبت منه هذا الموقف والذي يتلخص في ان ما يمكن الحصول بالمفاوضات لا داعي لخوض المعارك من اجله، ولهذا تعرض للنقد واللوم من معارضي سياسته.

في الضفة الأخرى من المعادلة فيها المكتب السياسي والذي يبدو ان لابراهيم احمد نفوذ



البارزاني عام ١٩٦٣ ويظهر عن يمينه إدريس البارزاني وعن يساره صالح بك ثم مسعود البارزاني

كبير في المجال التنظيمي والتثقيفي والتنظيري، والحزب رغم ايمانه بأن لأطار العشائرية تأثيرها الفعال في التكوين البيئي الأجتماعي لابن القرية والى حد ما على ابن المدينة،فإن الحزب يرغب في تجاوز هذه المرحلة والأنخراط في قالب الحزب باعتباره مرحلة تتخطي مرحلة الوشائج القبلية، الى الأواصر القومية والوطنية التي يمكن اختزالها في هذه المرحلة بالأرتباط القومي الذي يضم كل العشائر دون تمييز.

لكن هل يسلم الأرتباط القومي من تأثير القبيلة المتجذر؟ إن واقع الحياة في العالم الثالث ومنها الشعب الكردي لا يمكن ان يتخطى هذه المرحلة بيسر وسهولة، وعبر فترة قليلة من الزمن. في هذا الإطار اعتقد ابراهيم احمد ومعه اغلبية اعضاء المكتب السياسي، إن حملات التوعية والتثقيف كافية بأن تجعل اعضاء الحزب والبيشمركه وشرائح كبيرة من الشعب الكردي ان تنتفض وتعلن تأييدها للمكتب السياسي في حملته لتحييد دور ملا مصطفى البارزاني في الحزب والثورة عبر قرارات اتخذت من قبل اغلبية اعضاء المكتب السياسي.

وفي نفس السياق لابد من الأشارة الى ما آلت اليه الأمور بين المكتب السياسي القديم والبارزاني، ويستفاد عرض الأستاذ مسعود البارزاني ان عباس آغا مامند كان يقوم بدور مزدوج ولكنه سلبي حينما ينقل الى اعضاء المكتب السياسي ان البارزاني يضمر لهم شراً وفي الجانب الآخر ينقل للبارزاني بأن لهؤلاء صلات بالنظام في بغداد وتقضي المصلحة نقلهم من (دوله رقة) الى منطقة كَلالة. وفي هذا الشأن ايضاً نقل لهم مامند ان نقلهم الى كَلالة يعني نهايتهم فاختار هؤلاء الأنتقال الى معسكر الحكومة باستثناء نوري شاويس وعلي عبد

الله ونوري احمد طه حيث بقوا مع الثورة.

لقد استغلت الحكومة ثقلهم السياسي ومعرفتهم بدقائق الثورة، وطبيعي ان يكون لهم تأثير سلبي علي مسيرة الثورة وعرفوا بـ (جتا) عام ستة وستين. وفي هذا المقام نقول ان فقدان الثقة كان وراء اعتقداهم بأن البارزاني في طريقه الى تصفيتهم، وهذه الشكوك زرعها في نفوسهم من كان يحاول وضع الملح على الجرح كما يقال بدلاً من ان يداويه ويحاول رأب الصدع في بنيان الثورة الكردية.

الخلاصة النهائية اسقط في يد المكتب السياسي وكانت شخصية وكارزمية ملا مصطفى البارزاني اقوى وأعمق من قراراتهم حتى وإن كانت بموافقة الأكثرية في هذه المكتب، لأن القرار اولاً وأخيراً هو بيد المقاتلين البيشمركة وأعضاء ومؤيدي الحزب على امتداد الساحة الكردية وفي عموم العراق.

في كل الأحوال ومهما كان الأنشقاق محدوداً فإن حملات التشهير وتبادل الأتهامات ضد بعضهم البعض كان لها ابلغ الضرر بالقضية الكردية، وكان المنشقون فيما بعد قد اتخذوا اسم الجلاليين نسبة الى جلال الطالباني لكن بعد بيان آذار فإن الذين انشقوا عن الحزب اثر اتفاقية ١٠ شباط ١٩٦٤ كانوا اقلية غير مؤثرة وقد اعترفوا بخطأهم فيما بعد، فقد صرح جلال الطالباني فيما بعد قائلاً:

هناك شئ واحد يجب ان نقوله وهو ان المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني بعد (١٠ شباط ١٩٦٤) وقع في خطأ باعتقادهم ان البارزاني قد انسحب وأنه يبعثر ثورته وسيحل البارتي.. ويفسر قوله هذا انهم عادوا الى احضان الحزب بعد ١١ آذار ١٩٧٠ عندما انتزع الحكم الذاتي لكردستان[١٧].

بعد ان استقر الوضع، كما كان متوقعاً، لقيادة ملا مصطفى البارزاني وضع اسس تنظيمية جديدة للحزب وجيش الثورة وارسى قواعد تنظيمية جديدة، وقد عقد اجتماع موسع ضم اعضاء اللجنة المركزية وكوادر الحزب مع الوية البيشمركة والعسكريين البارزيين والمثقفين البارزين ورؤساء العشائر وكان اهم ما توصل اليه هذا الأجتماع هو انبثاق ما عرف بمجلس قيادة الثورة. والذي ترأسه البارزاني ودخل في قوامه اعضاء اللجنة المركزية وأمراء الألوية وعدداً من رؤساء العشائر وعضوين من قيادة الحزب الشيوعي واثنين من رجال الدين المسيحيين. أما المكتب السياسي لحزب البارتي فقد كرس للنهوض بالأعمال الحزبية، وشكل ايضاً مكتب تنفيذي يزاول المسؤوليات الأدارية وهو اشبه ما يكون بمجلس الوزراء، اما قيادة الجيش فكانت منوطة بالبارزاني مباشرة، وهكذا كان ثمة قيادة واحدة لعموم كردستان العراق.

اما تشكيلات جيش الثورة فقد كان تنظيمها علي الشكل الآتي:

القائد العام: ملا مصطفى البارزاني.

رئيس الأركان: نوري ملا معروف.

الجيش (لشكر = جيش، جند، عسكر، فيلق) الأول في بهدينان قائده اسعد خوشوي وهو يتـألف من لواء زاخـو ويكون بقيـادة عيـسى سـوار، ولواء دهوك، بقـيادة علي خليل، ولواء الشيخان بقيادة حسو ميرخان دولمري.

الجيش (لشكر) الثاني في اربيل وقائده رشيد سندي وهو يتـألف من لواء سفين بقـيادة طاهر علي والي، ولواء كاوا في منطقة بشدر بقيادة حسو ميرخان زازوكي، ولواء بيتوانة بقيادة علي شعبان.

الجيش (لشكر) الثالث في السليمانية وكركوك بقيادة المقدم عزيز عقراوي، ويتألف من لواء خبات بقيادة عبد الوهاب الأتروشي، ولواء قرداغ بقيادة فاضل طالباني، ولواء رزكَاري بقيادة طارق احمد.

أما تشكيلات الحزب فإن المكتب السياسي المركز والفروع الخمسة هي على التوالي، في الموصل ودهوك، وأربيل وكركوك والسليمانيـة وبغداد، اما منظمات الحـزب في الخارج فهي مرتبطة مباشرة بالمكتب السياسي. وجرى إقرار تشكيلات المجالس التنفيذية وغيرها من التنظيمات الأدارية[١٨].

لقد وضع البارزاني بصماته على البنية الداخلية للثورة وإدارتها عسكرياً وسياسياً، إنه يعلم مدي اهمية وحدة التنظيم في تلك المرحلة، وإن كانت تؤخذ بعض المآخذ على البارزاني من استخدامه الواقعة الميكافيلية في تحقيق الغاية فلا مناص من سلوكها، إن أي رجل سياسة او زعيم قوم او قائد وطني، وإن كان البارزاني يتعرض للنقد واللوم من خصومه ومعارضيه، فإنهم ليسوا ابرياء من تلك التهم وهم لا يعدمون وسيلة يستخدمونها لتحقيق غاياتهم.

البارزاني حينما يهادن الحكومات المتعاقبة لفترة من الزمن، لا شك انه يرى مدى اهمية تلك الفترة لالتقاط الأنفاس إذ لا يوجد شعب علي الأرض يرغب ان تكون ارضه مستباحة لعمليات عسكرية دائمة مع ما تحمله هذه العمليات من تبعات القصف الأرضي والجوي والحصار الأقتصادي وانعدام ابسط الخدمات الضرورية من علاج وتعليم وكهرباء ومحروقات وغيرها من الخدمات التي باتت طبيعية ومألوفة ومطلوبة في الأزمنة الراهنة.

إذا كانت الأحداث يحكم عليها من نتائجها فإن ايقاف القتال مع حكومة عبد السلام والذي



مسعود البارزاني – كويسنجق اذار ١٩٦٣

كان سبب الخلاف مع المكتب السياسي وكان حجة لاتهام البارزاني بالتواطؤ مع الحكومة وإنه بصدد بيع القضية الكردية، فإن الشخص الأول المعارض لهذا النهج وهو ابراهيم احمد نراه يتراجع عن مزاعمه.

ويورد جرجيس فتح الله عن لقاء له مع ابراهيم احمد في طهران وسأله عن رأيه عن بيان آذار ١٩٧٠ والذي وقعه ملا مصطفى البارزاني يقول:

لم يكن عندي شك في ان البارزاني يرعي مصلحة شعبه بإخلاص ولكن بالشكل الذي يراه. وإنه لا يساوم عليها. وقد تأكد هذا لي عندما تحدى إرادة الشاه الذي حاول جاهداً ان يحبط اتفاقية آذار بالمزيد من الدعم له وبشتى الوعود فأصر هو على عقد الأتفاق لأن فيه مصلحة شعبه.[١٩]

وبعد اشهر أثبتت مجريات الأمور ان البارزاني لم يكن ينوي بيع القضية الكردية بمبالغ من المال، ولا يريد تسريح قوات البيشمركه ولا تسليم السلاح الى الحكومة، لقد اراد ان تكون الفترة استراحة محارب فحسب، ويقول جرجيس فتح المحامي:

كان منطلق البارزاني اولاً واخيراً يأمل في المساندة الخارجية المادية والمعنوية للحركة القومية الكردية بأي شكل كان شريطة الا يضع في عنق الحركة الكردية أغلالاً فلا تستطيع الفكاك منها فيما بعد، وأن لا يفقد معها حرية التحرك والمناورة السياسية.. وهو يدرك ان بقاء الحصار السياسي العالمي عليها ستبقى ضعيفة في نفسها وذاتها إن لم يقيض لها اليد التي تنتشلها وتخرجها الى الضياء الكوني وهذا لا يتأتي الا بالأسناد الخارجي[٢٠].

في الحقيقة ان البارزاني كان يعلق الآمال علي تجسير نوع من العلاقات مع الولايات

المتحدة الأمريكية، ويرى ان العلاقات التي كانت متينة في اوقات كثيرة مع الأتحاد السوفياتي، لم تؤدى الثمار التي كان يصبو الى تحقيقها لشعبه، وكان ايقاف القتال مع الأنقلابيين في ٨ شباط ١٩٦٣ وبعد ذلك مع حكومة عبد السلام عارف، وحسابات المكتب السياسي الذي افرز الأنشقاق في مطاوي ١٩٦٤ هو تمسك البارزاني بوقف القتال بمثابة تنفيذ رغبة الولايات المتحدة وهو يعلق امالاً كبيرة علي بناء تلك الجسور وفي هذه الحالة ايضاً تبقى الخيارات العسكرية مفتوحة، وهذا ما حصل في نهاية المطاف حينما ايقن ان حكومة عبد السلام ليست جادة في تلبية المطالب الكردية فكان استئناف القتال.

لقد قابلنا البارزاني في اواسط ١٩٦٤ في رانية وكنت مع زميلين لي من الپشمركه وكانت لنا رغبة في مواصلة الدراسة ان استمرت اوضاع وقف إطلاق النار، فأجابنا بأن نحافظ على سلاحنا وعتادنا فسنكون بحاجة اليه قريباً. وسآتي على هذا الموضوع في فقرة خاصة من هذا الفصل.

استئناف القتال

يتعين الأقرار بأن الخلفية الفكرية والسياسية لرئيس الدولة والحكومة عموماً لها دورها الرئيسي في مسار الحكومة وتوجهاتها وتطبيقاتها على الأرض و لا سيما إذا علمنا ان هذه الحكومة جاءت عن طريق انقلاب عسكري وليست حكومة منتخبة وفق اسس ديمقراطية، إن الحكومات التي تناوبت على حكم العراق في تلك الفترة الزمنية هي من الطراز العسكري الذي يغلب على تفكيره التوجه القومي ولا مكان للفكر الديمقراطي الليبرالي التي يستند على ركائز الأنتخابات الحرة وعلي منح قدر كبير من الحريات للأقليات الدينية والعرقية، ويقول الرئيس عبد السلام عارف في إحدى خطبه:

إننا لن نعطي لهم (الأكراد) شبراً واحداً من ارض وطننا، فالوطن العربي يبقى وطناً للعرب.

في ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٤ استقالت وزارة طاهر يحي ليشكل وزارة جديدة لكنها اكثر تشدداً من الوزارة المستقيلة في المسالة الكردية، وفي ضوء تدهور الأوضاع وازدياد الخروقات، أرسلت الحكومة الجديدة وفداً حكومياً برئاسة وزير الداخلية صبحي عبد الحميد وذلك في ١٧ كانون الأول ١٩٦٤ وعرض الوفد علي البارزاني نقاطاً معينة لتدارك الموقف واجتناب القتال، وبدوره ارسل البارزاني باعتباره رئيس مجلس قيادة الثورة الكردية، وفداً الى بغداد في ١٠ كانون الثاني ١٩٦٥ وعرض على الحكومة العراقية مقترحات جديدة. وهكذا تبادلت الوفود في هذه الفترة لكنها لم تقدر من تفادي المواجهة لتباين واتساع الهوة بين



البارزاني والشيخ لطيف الحفيد في قلعة دزه عام ١٩٦٤

الطرفين فعادت كردستان ميداناً لمعارك طاحنة وليبدأ فصل جديد من اعمال العنف.

كان شهر شباط إيذاناً لبدء مناوشات واشتباكات متقطعة في مختلف المناطق لكن نبرة إيقاعها كان يشتد مع ذوبان الثلوج وانقشاع فصل الشتاء، وفي آذار تكون الساحة قد اندلعت فيها المعارك وتتوسع رقعتها.

من المستجدات الطارئة علي هذه المرحلة موقف شاه ايران والذي في البداية اراد التقرب من ابراهيم احمد، بيد ان الشاه ادرك بقصور تأثير احمد علي الساحة الكردية او العراقية ولهذا عمل علي خلق وشائج مع ملا مصطفى البارزاني وهو الطرف الأقوى في التأثير على الساحة السياسية العراقية، وأرسلت الحكومة الأيرانية الى البارزاني، ممثلها العقيد على مدرّسي وهو كردي من مهاباد ومعه جهاز لا سلكي وبغية فتح باب التعاون ارسل أربعة مدافع هاون عيار ٨١ ملم مع ٥٠٠ بندقية من طراز برنو وفي تموز من نفس العام ارسل اربعة مدافع اخرى من نفس العيار وأربعة هاونات اخرى من عيار ١٢٠ ملم وكثير من العتاد، واصدر الشاه أمراً بالسماح بمعالجة الجرحى في مستشفيات أيران ويضيف مسعود البارزاني قوله: للتاريخ اقول حاول البارزاني بشتي الطرق الحيلولة دون تجدد القتال، وقد بعث برسالة الى جمال عبد الناصر والى السوريين يطلب التدخل للحيلولة دون نشوب القتال مجدداً[٢١].

الحكومة من جانبها كانت تبني ترسانتها من الأسلحة وتحشد قواتها ومع تحسن المناخ

تكون القوات الحكومية قد هيأت نفسها لهجوم كاسح في المنطقة وفي ٣ نيسان ١٩٦٥ أخذ الجيش العراقي يقوم بعمليات عسكرية واسعة النطاق ضد الثوار الكورد، وبإجراءات تأديبية ضد السكان المسالمين. فقد شارك نحو ١٥٠ ألف عسكري في هذه العمليات. وشملت الحرب جبهة تمتد ٥٠٠ كيلومتر بدءاً من زاخو وحتى خانقين، وكما كان فيما مضي، لم يحقق الجيش العراقي نجاحاً سوي التنكيل بالسكان الكورد العزل، بينما رد المقاتلون في المقاومة الكردية بنجاح على القوات العراقية خلافاً لما اعلنه عارف حول الأنتصارات الباهرة على الكورد على حد زعمه.[٢٢]

في محاولة لاشاعة الرعب وترويع الناس ومن باب استعراض القوة لكسر المعنويات فقبيل المباشرة بالمعارك دأب النظام على إرسال طائرات تتجول في سماء كردستان دون ان تقصف المواقع وربما كان بعضها بهدف الأستطلاع، وفي اواسط نيسان حشد النظام قوة هجومية كبيرة تتألف من اربعة الوية مع قوة من (الجتا) بحوالي ١٠ ألاف عنصر وقد استمرت المعارك حول هذا الجبل حوالي خمسين يوماً ولجأت الحكومة الى إغراء الجتا بأن خصصت مبلغاً من المال لاحتلال كل موقع والسعر محدد حسب اهمية الموقع الأستراتيجي، ولكن البيشمركة استبسلوا في الدفا ع عن مواقهم، وتراوحت عمليات القوات الحكومية بين تقدم واحتلال في بعض المواقع وبين هزيمة في مواقع اخري ويوم زار عبد السلام عارف قاطع شقلاوة واستقبله آمر اللواء الرابع العميد الركن عيسى الشاوي وقال له:

كان بنيّة اللواء تقديم هدية لمقدمكم ولم نجد شيئاً أثمن من جبل سفين وها نحن نقدمه اليكم بعد تطهيره من الخونة وتحريره وبهذه المناسبة نظم الشاعر الكردي مام هزار قصيدة عنوانها " أي شاوي، جبل كردستان لا يمكن ان يُهدى " لقد أرسل البارزاني برقيات تهنئة للمقاتلين ولقادتهم مثمناً تضحياتهم ونجاحهم في إحباط نوايا العدو وخططه[٢٣].

وكانت ثمة معارك اخرى تخوضها القوات العراقية اضافة الى قوات (الجتا) مع قوات البيشمركه ومنها معارك جبل بيرمگرون ومعارك قردا غ القريبة من كركوك وآبار النفط ومعارك ازمير وجوارتا، وغيرها من المعارك، وكان ما يتكرر في هذه المعارك ان القوات الحكومية تتقدم بزخم كبير بعد القصف المدفعي من الأرض ومن الجو ثم تتقدم قوات الجتا وقوات المشاة، ويحدث ان تحتل هذه القوات موقعاً او اكثر للبيشمركه ثم تعاود قوات البيشمركة الهجوم المعاكس لتحتله مجدداً وهكذا كانت سياسة الكر والفر تتكرر في كثير من المواقع المتنازع عليها.

لكن تبقى المعارك التي حدثت في جبهة رواندوز تتميز بأهمية كبيرة في تلك المرحلة، فقد كانت قوات البيشمركه هي المبادرة بالهجوم وتميزت العملية باستعداد واف للهجوم على



أدريس البارزاني
(١٩٤٤ ـ ٣١ / ١ / ١٩٨٧)

معسكرات الجيش في خليفان، وعلي جبل كورك بقصد السيطرة على كَلي علي بك، والهجوم على معسكر خليفان وديانا وقد استخدم في هذه المعارك المدافع الثقيلة حيث بدأ القصف المدفعي على المعسكرات في الساعة الخامسة والنصف عصراً وفي الساعة التاسعة مساءً بدأ الهجوم على هذه المواقع بوقت واحد، وتكبدت القوات الحكومية خسائر كبيرة في الرجال والمعدات والمواقع حيث كان لعنصر المدفعية تأثير كبير. وفي هذه الأثناء وخوفاً من تبعثر واستنزاف قوات الثورة آثر ملا مصطفى البارزاني على الأكتفاء بتحكيم خطوط الدفاع وشدد علي التحلي باليقظة، والرد بقوة على كل هجوم تشنه القوات الحكومية.

كان ادريس البارزاني يقوم بالأشراف على العديد من هذه الجبهات ويظهر ذلك من رسائله الى اخيه مسعود البارزاني حيث يكتب التفاصيل الكاملة عن سير العمليات في مختلف الجبهات وتبدأ هذه الرسائل بسرد المعلومات من اَواخر نيسان ١٩٦٥ عن مختلف العمليات العسكرية في تلك المناطق، ومنها مثلاُ يشير الى قيام المدفعية الجبلية الكردية بقصف مطار بامرني يومي ٦ و٧ من أيار وفي رسالة أخري يحث اخيه مسعود لنقل العائلة الى مكان آخر حيث بقائهم مدة طويلة في مكان واحد يعرضهم الى الخطر حتى لو كان المكان محصناً. من الأطلاع علي هذه الرسائل يمكن استخلاص معلومات قيمة عن الوضع العسكري للثورة وعن سير العمليات في تلك المناطق (للمزيد راجع: مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٥٣٨ ـ ٥٤٧).

مصرع عبد السلام عارف

نستفيد من موقع ويكبيديا لاستجلاء بعض الغموض الذي المّ في ظروف مقتل هذه الشخصية التي كان لها دور في التاريخ العراقي المعاصر، وكان يحتل المركز الثاني بعد شخصية عبد الكريم قاسم في تخطيط وتنفيذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وكانت شخصيته عبدالسلام عارف تتميز بالأندفاع والشجاعة وحب المغامرة لا يلوي على النتائج مهما بلغت من الخطورة.

اطاح بالنظام الملكي، ثم انقلب على شريكه في الثورة عبدالكريم قاسم وأطاح بحكمه في ٨ شباط ١٩٥٨ ثم كان انقلابه علي شركائه البعثيين وذراعهم العسكري المتمثل بالحرس القومي في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣م.

توفي عبد السلام عارف مساء يوم ١٣ نيسان ١٩٦٦ اثر سقوط الطائرة التي كان يستقلها بمعية بعض الوزراء ومرافقيه للقيام بجولة تفقدية في محافظات الجنوب، وكانت الطائرة نوع هيلكوبتر سوفيتية الصنع طراز مي Mi حينما سقطت وهي في طريقها بين القرنة والبصرة وسقطت في ظروف غامضة، لكن بجولة في محرك كوكل نعثر علي مقال بقلم الاستاذ طلال آل طلال علي موقع الموسم وتحت عنوان " شاهد عيان علي قصة سقوط طائرة الرئيس عبد السلام محمد عارف " يقول الكاتب انه ضابط سابق في الجيش العراقي وهو شاهد عيان في منطقة الحادث، ويقول:

أننا بُلغنا بوصول الرئيس عبد السلام عارف الى البصرة، وقبل وصوله بيومين حطت في مطار البصرة المدني طائرتي هليوكوبتر مع طاقم إدامة. وصل عبد السلام عارف الى البصرة



عبدالسلام محمد عارف (٢١ / ٥ / ١٩٢١ ـ ١٣ / ٤ / ١٩٦٦)

وتناول طعام الغداء ثم قام بزيارة موقعية ومؤسسات كانت مدرجة في برنامج الزيارة على ان يكون موعد زيارة منطقة النشوة في القرنة يوم ١٣ / ٤ / ١٩٦٦ حيث وصلها مساءً، ولا زلنا نلخص ما ورد في المقال، يقول: ان الرئيس استرسل في خطابه في النشوة ولا أحد يتجرأ على مقاطعة الرئيس لابلاغه بأن الليل اخذ يرخي سدوله، فساد الظلام، وبعد انتهاء الخطاب توجه عارف والوفد المرافق له الى الطائرة لتقلع في طريقها نحو مطار البصرة المدني.

بعد دقائق من إقلاعها وهي تطير على مستوي متوسط دخلت الطائرة في مطبات وجيوب هوائية شديدة يرافقها غبار كثيف وزاد الظلام الأمر سوءاً حيث فقط قائدها خالد محمد نوري السيطرة عليها وفعلت التيارات الهوائية فعلها في سحب الطائرة وبسرعة نحو الأرض حيث ارتطمت بشدة مما أثر علي خزان الوقود فحدث حريق اثناء الأرتطام بالأرض، فسبب هذا الحريق في احتراق أبدان الركاب بصور مختلفة لكن يمكن التعرف على اصحابها. ويمضي الكاتب الى القول: انني حضرت مكان الحادث وسمعت لشريط التسجيل بين قائد الطائرة وبرج المراقبة التي دلت على ما يعانيه الطيار من ارتباك شديد بسبب انعدام الرؤيا والعاصفة الترابية، وتوصلنا الى ان الطائرة لم تنفجر في الجو ولم يكن هناك تخلخل في مروحة الطائرة كما روج في وقتها، ولذلك كان سقوط الطائرة قضاءً وقدراً.

وما يهم بحثنا ان وفاة عبد السلام عارف بهذه الطريقة المفاجئة، ابقى الأبواب مشرعة امام مراكز القوى وتياراتها لاستغلال الوضع وملئ الفراغ الناجم بعد هذا الحادث وكان هناك تيار عسكري وقفوا الى جانب رئيس اركان الجيش وهو اللواء عبد الرحمن شقيق عبد السلام عارف وتيار مدني وقفوا الى جانب عبد الرحمن البزاز وتياره المنادي بإقامة نظام برلماني مشابه للنظام الملكي وهو يدعو للأنفتاح نحو الغرب.

في شأن الثورة الكردية، كان عبد السلام محمد عارف يحتفظ ببعض العلاقات الودية مع شخصيات كردية مدنية وعسكرية، وأراد حل المعضلة الكردية وفق سياقه الفكري والسياسي وعقد اتفاقية ١٠ شباط ١٩٦٤ مع الأكراد ومنح بموجبها حقوق ثقافية ومنحهم اسهامات في الحكم وبعض الأنجازات الأخرى، لكن منح الأكراد الحقوق القومية المتمثل بالحكم الذاتي، لم يكن بمقدور عبد السلام عارف ان يهضم هذه النظرية ويطبقها على الأرض، وفي الحقيقة ينبغي منح هذه الحقوق بإطار ديمقراطي يغطي الوطن العراقي برمته، لقد تعلمنا من التجربة والواقع وما مر على القضية الكردية وما سيمر عليها في عقود قادمة ان هذه الحقوق لا يمكن تحقيقها إلا في ظروف ديمقراطية ليبرالية وهذا ما اكدته التجربة حيث ظلت هذه المعضلة عالقة الى ان تدخلت اميركا وحلفائها حينما حددت ملاذ آمن للأكراد في مناطقهم، وتعزز وضعهم في إدارة شؤونهم بعد إطاحة الحكم الدكتاتوري في ٩ نيسان ٢٠٠٣م.

عبد الرحمن عارف والقضية الكردية

يتفق كل الساسة والمراقبين على ان عبد الرحمن عارف كان ذو شخصية متسامحة ويتميز بالهدوء والأعتدال، بعكس شخصية شقيقه عبد السلام عارف، وهو يحاول الوقوف على مسافة واحدة من الجميع، وبهذه الميول التوفيقية حاول إرضاء جميع التيارات، وهذا لا يرضي المزاج السياسي القومي العراقي فكان الأنقلاب عليه كما سيأتي في نهاية هذا الفصل.

بعد ان غيب الموت المفاجئ عبد السلام عارف اجتمع مجلس الوزراء لتعيين رئيس الجمهورية، وقد ترشح لهذا المنصب كل من العسكريين عبد الرحمن عارف وعبد العزيز العقيلي، والمدني عبد الرحمن البزاز، لقد كان عبد الرحمن عارف يستأثر بتأييد عبد الناصر لجهة انه سيواصل ما بدأه شقيقه في مشروع الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق. وهكذا انسحب عبد الرحمن البزاز الفائز بفارق صوت واحد الذي اجرته القيادة العراقية، وكان ذلك تلبية لاصرار التيار العسكري علي انتخاب عبد الرحمن عارف لرئاسة الجمهورية. لقد شغل عبد الرحمن عارف منصب رئيس الجمهورية اعتباراً من ١٦ نيسان ١٩٦٦ الى ١٧ تموز ١٩٦٨م. اما عبد الرحمن البزاز (١٩١٣ ـ ١٩٧٣) فقد استمر في منصبه كرئيس الوزراء حيث كان قد عين في هذا المنصب منذ عام ١٩٦٤ في عهد عبد السلام عارف واستمر في منصبه بعهد شقيقه عبد الرحمن عارف، والمعروف عن عبد الرحمن البزاز انه اول رئيس حكومة مدني منذ اطاحة الحكم الملكي في تموز ١٩٥٨م.

كان عبد الرحمن عارف يوم حادث سقوط الطائرة الذي اودي بحياة شقيقه في زيارة الى موسكو، فبادر الى قطع زيارته وقفل عائداً الى بغداد، وحينما التأم مجلس الدفاع والوزراء المدنيون وبدأ الخلاف حول الترشيح وإذ ذاك نهض العقيد سعيد صليبي آمر موقع بغداد وقال وهو يلوح بمسدسه:

عبد الرحمن عارف رئيس الجمهورية والمخالف سأنشر دماغه نشراً بهذا المسدس، فقضي بذلك علي كل خلاف وقدم العقيلي استقالته وخرج من الوزارة، وكلف البزاز ثانية بإعادة تشكيل الوزارة واختار اللواء الركن شاكر محمود شكري خلفاً للعقيلي كوزير للدفاع[٢٤]. إن هذه الصيغة لها تاريخ عريق في التراث العربي الأسلامي فعندما اراد معاوية بيعة يزيد ابنه وليأخذ للعهد، كثر الأخذ والرد وانقسم الناس بين مؤيد ومعارض، فقام واحد وخطب قائلاً:

امير المؤمنين هذا وأشار الى معاوية، فإن مات فهذا، وأشار الى يزيد. فمن أبي فهذا. اشار الى السيف. فقال له معاوية: اجلس فأنت سيد الخطباء.

عرف عبدالرحمن عارف بهدوئه وصمته وجنوحه الى السلام والوئام مع جميع الفرقاء،

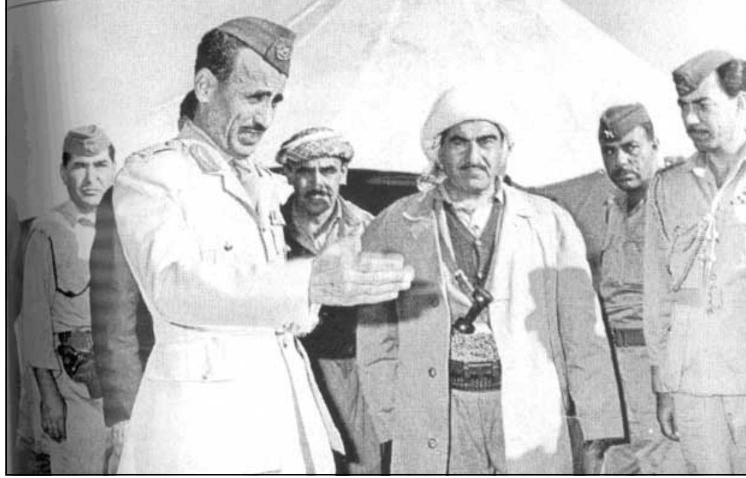


في لقطة تجمع بين عبد الرحمن عارف مع ملا مصطفى البارزاني

وكان هذا سلوكه مع الأكراد حينما بدأ رئاسته بعقد مؤتمر صحفي في ١٨ نيسان ١٩٦٦ وناشد فيه الأكراد علي المحافظة علي وحدة البلاد والتعاون مع اخوانهم العرب في حفظ وحدة البلاد، وقد اتصل بالقيادة الكردية في كلاله ليفتح صفحة جديدة من المفاوضات ورحبت القيادة الكردية بهذه المبادرة، لكن يبدو ان كفة المعادلة كانت راجحة لجهة الحل العسكري الذي اراده تيار الصقور في تركيبة الجيش والسلطة المدنية.

كانت هناك خطة عسكرية واسعة محكمة معدة سابقاً، وقد اجلت بسبب حادث الطائرة الذي اودى بحياة عبد السلام محمد عارف وقد عرفت الخطة باسم " توكلت على الله " والتي وضعها عبد العزيز العقيلي حينما كان وزيراً للدفاع في الوزارة الاولي لعبد الرحمن البزاز في عهد عبد السلام عارف. ورضخ عبد الرحمن عارف لفكرة تنفيذ الخطة العسكرية وعدل عن الحل السلمي وكان يغريهم عامل آخر ايضاً وهو انضمام مجموعة المكتب السياسي القديم الى جانب الحكومة والشرخ الذي سببه الأنشقاق على جسم الثورة.

كان لعبد العزيز العقيلي نظرية تقول انه يمكن القضاء على الثورة الكردية إذا تم القضاء على ملا مصطفى البارزاني، ولم يكن يؤمن بالحلول السلمية، وهو يرى ان هذه الثورة تكلف خزينة الدولة مبالغ كثيرة فينبغي القضاء عليها لتوفير هذه المبالغ. وبموجب خطته التي وضعها وهو وزير الدفاع بانه يمكن القضاء على الثورة الكردية خلال اسبوع، لقد ايد رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز هذه الخطة، وفي نفس الوقت كسياسي محنك كان يؤمن بأن الثورة يمكن القضاء عليها سلمياً، ومع هذا وافق على تنفيذ الخطة العسكرية، ولكنه اضطر



البارزاني وعبد الرحمن عارف وبينهما عبد الرحمن القاضي برزيوه ١٩٦٦

الى اللجوء للحلول السلمية كما سيتضح فيما بعد.

في الوزارة الثانية التي شكلها عبد الرحمن البزاز سلم وزارة الدفاع الى شاكر محمود شكري بدلاً من العقيلي، ورغم ذلك فإن الخطة التي رسمها العقيلي " توكلت علي الله " للهجوم علي المنطقة ظلت سارية المفعول وهي تنتظر التنفيذ، إذ كان المخطط ان يباشر بتنفيذها في ليلة ١٥ ـ ١٦ من نيسان ١٩٦٦ لكن حادث الطائرة المروحية الذي اودى بحياة رئيس الجمهورية في ١٣ نيسان ولذلك أرجئ تنفيذها لبعض الوقت.

الهجوم الواسع

عكفت الحكومة على تحشيد قواتها لتباشر بهجوم واسع النطاق على مساحة واسعة مستغلة تفوقها العسكري في المعدات والرجال وسيطرتها الكاملة على اجواء المعارك وباستخدام الطيران الحربي دون الخشية من وجود مقاومات ارضية، وعموماً فالتفوق العسكري يرجح كفة القوات الحكومية بمعظم مفاصلها العسكرية الصرفة.

التاريخ يعيد نفسه والمشهد يتكرر، الطائرات العسكرية تلقي بحممها والمدفعية الأرضية تدك المواقع دون رحمة والمدن والقرى في كردستان ساحة مفتوحة للعساكر وهي تتحمل تبعات حرب لا رحمة فيها لقد كان هذا الواقع المأساوي قد حرك قلم الشاعر العربي الفلسطيني محمود درويش ليكتب قصيدة " معكم " ليغني فيها لكردستان، يقول فيها:

معكم.. معكم قلوب الناس

معكم عيون الناس

معكم عبيد الأرض

معكم أنا.. معكم أبي وامي

معكم عواطفنا.. معكم قصائدنا

ويستمر..

في أرض كردستان حيث الرعب يسهر والحرائق

الموت للعمال إن قالوا لنا ثمن العذاب

الموت للزراع إن قالوا لنا نور الكتاب

الموت للأكراد إن قالوا لنا حق التنفس والحياة

ونقول بعد الآن فلتحيا العروبة

مرّي إذن في أرض كردستان.. مرّي يا عروبة

هذا حصاد الصيف هل تبصرين؟

لن تبصري إن كنت من ثقب المدافع تبصرين[٢٥].

تركزت خطة توكلت على الله لاعطاء دور كبير لجماعة المكتب السياسي الكتلة المنشقة من الحزب الديمقراطي الكردستاني، ومعهم آغوات المنطقة.

اما على النطاق العسكري فيقوم الجيش بالهجوم على جبلي زوزك وهندرين في منطقة راوندوز ويفصل مناطق السليمانية وأربيل وكركوك عن مناطق الموصل ودهوك... وفي حال فشل الخطة الأولى يبدأ العمل بالثانية وهي الأعتراف بالمكتب السياسي كممثل للاكراد وعزل البارزاني وستقوم الحكومة العراقية بتنفيذ أي طلب تتقدم به الحكومة الأيرانية في حال وقوفها ضد البارزاني. وبذلك توجه اليه ضربات من كل الجهات٢٦.

في ليلة ٢ ـ ٣ / ٥/ ١٩٦٦ بدأت القوات الحكومية بهجومها على جبلي هندرين وزوزك، وكما يظهر من خارطة المنطقة، فإن الجبلين يشرفان على طريق هاملتون الذي يشق منطقة بالك.

كما كان متوقعاً بدأ الهجوم بتوجيه حمم النيران التي تطلقها المدفعية من الأرض والطائرات من الجو، اشتدت المعارك علي جبل زوزك وإن سيطرت القوات الحكومية على بعض المواقع في الجبل المذكور فإن ثمن احتلالها كان باهضاً. لكن في جبل هندرين اختلفت

الآية حيث تقدم الجيش دون ان يلقى مقاومة تذكر. كان ذلك انعطافة مهمة في صالح الحكومة، إن الجزء الأول من الخطة كتب له النجاح، في الجانب المقابل ترك هذا الوضع إحباط وقنوط في صفوف البيشمركه، وكان لابد من التحرك وإنقاذ الموقف، وإلا ستؤول الأمور الى ما هو اسوأ حيث حققت القوات الحكومية بتقدمها العسكري هذا هدفها في عزل منطقة سوران عن بهدينان عسكرياً، واصبحت كلاله الهدف التالي.

كان احتلال جبل هندرين بتلك السهولة إيذاناً بدق ناقوس الخطر، وحينما وصل الخبر الى القائد ملا مصطفى البارزاني، أمر نجله ادريس البارزاني بالتوجه حالاً الى المنطقة لاستجلاء الموقف ولشحذ الهمم للأستعداد للتصدي لأي تقدم آخر في المنطقة، وإنه أي البارزاني في طريقه الى المنطقة، وهو لا يتورع في خوض المعركة بنفسه حينما يشعر بخطورة الموقف.

وصل ادريس البارزاني الى الجبهة واجتمع بالقادة الميدانيين، واتفق الجميع وتعهدوا على الصمود وعدم ترك المواقع مهما بلغت التضحيات. كانت جبهة هندرين تتميز بخصوصية سياسية، حيث ان الجزء الأعظم من الدفاعات كانت تقع على عاتق وحدات من الحزب الشيوعي، وحينما جرى الأنسحاب المباغت، أمسوا يتلهفون لخوض معركة فاصلة ومهما بلغت التضحيات فلابد من إثبات الوجود ورد الأعتبار هذا ما سعي الى تحقيقه بقية البيشمركه في المنطقة.

وصل البارزاني الى المنطقة واجتمع في ١١ أيار واجتمع مع الرؤساء والقادة لتدارس الموقف العسكري على جبهة هندرين ورسمت خطة للهجوم على ان تكون ساعة الصفر في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم ١٢ ايار وكان التفاؤل يغمر الجميع مع التصميم بغية إعادة السيطرة على جبل هندرين.

لقد مهد للهجوم بقصف مدفعي من المدافع المتوفرة للثورة وأعقب هذا القصف هجوماً واسعاً، وكان لهذا الهجم المباغت نتائج آنية حيث بدات الوحدات العسكرية المتمركزة في هذه المواقع بانسحاب عشوائي تاركين وراءهم الكثير من الأسلحة والمعدات.

يحدثنا الأستاذ مسعود البارزاني عن التقاط مكالمة لا سلكية بين قائد الفرقة الأولى وآمر اللواء الرابع ننقل نصها:

قائد الفرقة آمر اللواء الرابع: الموقف سئ جداً. لكني لا أملك التفاصيل.

قائد الفرقة: عالجوا الموقف فوراً. استعينوا بقوات الأحتياط وبقصف جوي، انبئونا بسرعة.

أمر اللواء: طيب

آمر اللواء الرابع يسأل المقدم ابراهيم عن الموقف وهو آمر أحد افواج اللواء. فيجيب

ـ سيدي الموقف سيئ الى اقصي حد.. لم يعد لأوامري وحثي للصمود أُذن تسمع.

آمر اللواء الرابع: وجهوا نيران مدافع ٧٥ ملم و٢٠ ٤ , ملم اليهم.

آمر الفوج سيدي قبل اكثر من نصف ساعة وقعت هذه المدفعية بيد العصاة وهم يستخدمونها ضدنا.

آمر اللواء الرابع: اصمدوا في مواقعكم سأبعث بقوات الأحتياط وطائرات هواكر هنتر ومدفعية (خمسة خمسة).

آمر الفوج: والله لا فائدة قط، حتي لو استخدمتم قنابل نووية، احتل العصاة كل المواقع ولم يبق بيدنا شئ، وقد اقترب الآن الهجوم من مقري.

آمر اللواء الرابع: حسناً ماذا لديك من معلومات عن الأفواج الأخرى؟

آمر الفوج: منذ مدة انقطع الأتصال بيننا ولا اعلم بأي شئ عنهم.

آمر اللواء الرابع: مقدم ابراهيم أثبت في موقعك إنك من الأبطال، ستأتيك النجدة فوراً.

آمر الفوج: سيدي أؤكد لك لا فائدة من التعزيزات، ها ان الهجوم قد وصل مقري ولا استطيع بعد الآن الإتصال بك.

ثم انقطعت المكالمة، لقد عثر في مكان الحادث بعد احتلاله دفتر يوميات لأحد الضباط برتبة نقيب، وما سجله ان معركة هندرين في ايامها الأولي فقد ختم سرده لتقدم قواته بهذه العبارة " اللهم أفرجها علينا وعلى هؤلاء العصاة المساكين"[٢٧].

لقد قيل الكثير عن معركة هندرين، والأكراد يسعدهم ان يذكروا اسم او اسماء القادة الذين صمدوا او برزوا في ميدان الشجاعة في كل معركة، وفي هذه المعركة ايضاً برزت اسماء لقبوا بأبطال هذه المعركة وهم فاخر ميركه سوري وفارس قره داغي وملا عبد الله عثمان وأدريس البارزاني وآخرين، وقد دخلت معركة هندرين في سجل المعارك الحاسمة في تاريخ الشعب الكردي وكانت ثمرة التلاحم بين فصائل الأنصار الشيوعيين وإخوانهم البيشمركه من الحزب الديمقراطي الكردستاني. اهم نتائج هذه المعركة كان الأقرار بفشل خطة " توكلت على الله " التي بنى عليها آمال عريضة بجهة القضاء على الثورة الكردية بعملية عسكرية حاسمة توفر على الحكومة اللجوء الى طريق المفاوضات.

اتفاقية ٢٩ حزيران

المراقب للأحداث في منطقة كردستان العراق تترسخ لديه قناعة مفادها: ان جميع الحكومات التي تعاقبت علي الحكم في العراق بعد تأسيس الدولة العراقية في اوائل العشرينات من القرن الماضي، كانت تلجأ بصورة وأخري الى القضاء علي الحركات الكردية بالقوة العسكرية وحينما يصيبها الإخفاق والعجز ترجئ الآلية العسكرية الى حين، للشروع في المفاوضات والتفاهم وفي الفترة التي نحن بصددها لم يختلف السيناريو عما سبقه في العقود السابقة، وخلاصته ان تشن حملات عسكرية لا هوادة فيها مع حملة إعلامية بإن هذه الحملة هي ضد متمردين وعصاة وخارجين عن القانون وانفصاليين.. ثم لا تلبث ان ينقلب هؤلاء جميعاً ـ بعد فشل الحملة العسكرية طبعاً ـ الى اخوة في الدين الواحد والوطن الواحد، واليوم كما قلنا يتكرر نفس السيناريو.

في هذه المرة بادرت الحكومة برئاسة عبد الرحمن البزاز بفتح قنوات الأتصال مع ايران لكسبها وحثها على العدول عن تقديم العون والمساعدات للثورة الكردية، مقابل تنازلات عراقية لأيران، وهذا ما سوف يتبلور في معاهدة الجزائر بين العراق وأيران عام ١٩٧٥ وسنتطرق الى ذلك في الفصل القادم.

في مناورة التفاف أخرى عمدت حكومة البزاز لفتح قنوات تفاوض مع اعضاء المكتب السياسي المنشق عن القيادة الكردية، وأرادت ان تبين للبارزاني انه ليس الممثل الوحيد للشعب الكردي. وأمام هذا الواقع وافقت قيادة البارزاني على التفاوض مع الحكومة العراقية لحل المسألة سلمياً.

أرسلت الحكومة الى كَلاله في ١٥ حزيران وفداً يتألف من شخصيات كردية، وأعقبه في ٦/١٨ /١٩٦٦ وفداً شعبياً كبيراً مخولاً من قبل رئيس الجمهورية، وأقترحوا ان يتوجه وفد كردي الى بغداد وتم ذلك فعلاً ففي ٢٢ حزيران حيث وصل وفد كردي الى بغداد واجتمع مع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وفي اعقاب هذه الأتصالات المكثفة صدر بيان الأتفاق المعروف ببيان التاسع والعشرون من حزيران ولإضفاء الأهمية على البيان قام البزاز نفسه بإذاعة البيان وعلي اثره توقف القتال.

لقد احتوي البيان المذاع على ١٢ مادة وعلي ثلاث مواد سرية وهي موافقة الحكومة على استحداث محافظة دهوك والسماح لحزب البارت بالعمل علناً وإعطائه الحق في إصدار جريدة يومية في بغداد، وإعلان عفو عام تدريجي عن المعتقلين وعن المطلوبين. اما المواد التي اعلنت فهي:

١ ـ اعترفت الحكومة اعترافاً قاطعاً بالقومية الكردية في الدستور المؤقت المعدل.. فأصبح العراق يضم قوميتين رئيسيتين " العربية الكردية " وسيتساوي العرب والأكراد في الحقوق والواجبات.

٢ ـ إن الحكومة مستعدة لاعطاء اهمية لوجودها الحقيقي في قانون المحافظات على اساس المركزية.

٣ ـ تعترف الحكومة باللغة الكردية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المناطق التي تقطنها اغلبية كردية..

٤ ـ تعتزم الحكومة إجراء انتخابات برلمانية ضمن المهلة التي حددها الدستور المؤقت..

٥ ـ وتعلن الحكومة بأن الكورد سيشاركون اخوانهم الأكراد في جميع مناصب العامة وفقاً لنسبة عددهم بما فيها الوزارات والدوائر العامة والمناصب القضائية والدبلوماسية والعسكرية مع أخذ مبدأ الكفاءة بعين الأعتبار.

في البندين ٦ و٧ جرى الحديث عن زيادة عدد الطلاب الكورد في الجامعات العراقية والدراسات خارج العراق مع فتح جامعة في " الشمال "..

٨ ـ تقضي الحياة البرلمانية بإنشاء منظمات سياسية معنية وسيكون للصحافة الحق في الأعراب عن رغبات الشعب.. وفي المناطق الكردية ستصدر الصحف باللغة الكردية او اللغة العربية وفقاً لطلب الاشخاص المعنيين.

٩ ـ عندما تتوقف اعمال العنف سيصدر عفو عام عن جميع الذين شاركوا في هذه الاعمال في الشمال.. وإعادة الموظفين والعمال المفصولين من الأكرد الى أعمالهم.

١٠ ـ يعود الفارون من افراد القوات المسلحة الى وحداتهم على شرط ان يجلبوا معهم اسلحتهم، ويعتبر المدنيين ممن حملوا السلاح في فترة العنف في منظمات تابعة للدولة وستساعدهم على استئناف حياتهم.

أما قوة الفرسان فستعود الى مراكزها عند إحلال السلام وسترد منهم اسلحتهم.

١١ ـ ستنفق الحكومة مبالغ مكافحة اعمال العنف من اجل تعمير الشمال...

١٢ ـ ستعمل الحكومة على إعادة الافراد والجماعات الذين نزحوا الى مناطقهم بغية ايجاد وضع عادي...[٢٨]

ومن الأحداث التي يتعين الأشارة اليها في تلك الأيام هو قيام مجموعة من الضباط العسكريين الموالين لمصر بقيادة عبد الرزاق النايف، رئيس مجلس الوزراء سابقاً، بمحاولة انقلاب في ٣٠ حزيران لكن الفشل كان نصيبها. ومن الأحداث ايضاً استقالة عبد الرحمن

البزاز، تحت ضغط التيار العسكري، وعدم إكماله برنامج حكومته لاسيما ما يتعلق بالقضية الكردية وكان ذلك يوم ٥ آب ١٩٦٦ وكلف ناجي طالب بتـأليف وزارة جديدة وهو من كبار الضباط الموالين لمصر، ووعد بأنه سيعمل على تنفيذ اتفاقية ٢٩ حزيران.

في مواصلة الأتصالات بين الطرفين التقى وزير الدفاع محمود شكري مع البارزاني في اوائل ايلول، وفي ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٦ التقى الرئيس العراقي في كردستان البارزاني وفي نهاية المحادثات اعلن البارزاني بأن تسوية المسألة الكردية لا معني لها دون تنفيذ جميع بنود اتفاقية ٢٩ حزيران وفي هذه المناسبة ايضاً قدم عارف هدية للبارزاني وهي عبارة عن سيارة صغيرة. بينما اهدى له البارزاني صينية فضية نقش عليها عبارة " الأخوة العربية الكردية " إلا ان القوى اليمينية المتطرفة في العراق عبرت عن استيائها الشديد للأتصال الذي أجراه قادة البلاد مع الكورد[٢٩].

عمدت حكومة ناجي طالب الى تقليل اهتمامها بالقضية الكردية، وكمحاولة لشق صف الثورة الكردية اتجهت نحو كتلة ابراهيم احمد ـ الطالباني وثبتتها وسلحتها ومولتها بالفعل وشجعتها هي وقوات المرتزقة (الكورد الموالين للحكومة) على مهاجمة قوات البيشمركة، وهكذا حل بفضل هؤلاء القنال الفئوي ـ الداخلي الكوردي، محل القتال بين الحكومة والثورة الكردية، ومع ما حصل فقد فشلت جماعة ابراهيم أحمد ـ الطالباني من ان تشكل تهديد للثورة الكردية ولرئاسة البارزاني لها[٣٠].

لا شك ان الحكومة تصفق لما كان يجري من الأقتتال بين الأخوة وهو يصب في مصلحتها حيث ان حصيلة الصراع هو اضعاف الثورة من الداخل، لقد ادرك الحزب الشيوعي هذه المخاطر وهو من القوى السياسية التي وقفت مع خط الثورة الكردية، وبهذه المناسبة اصدر الحزب الشيوعي العراقي في اواسط نيسان ١٩٦٦ بياناً يقول عن كتلة ابراهيم احمد ـ الطالباني:.. لو حرص هؤلاء على مصلحة الثورة الكردية ووحدة قواها لرفضوا اسلوب المفاوضات مع الحكومة، بمعزل عن البارزاني ومن وراء ظهره تلك المفاوضات التي استغلتها الطغمة الدكتاتورية الحاكمة لفتح ثغرة تسرب دسائسها ضد الثورة.. إننا يعز علينا ان تسفك دماء بيشمركه كردستان برصاص أخيه البيشمركة بينما تتفرج طغمة عارف البزاز الدكتاتورية.. ويمضي البيان الى القول:

إن كل مخلص من البيشمركه المنجرفين وراء التمرد دعوة الى ان يدرك سيره في هذا الطريق إنما يخدم أعداء امته شاء ذلك ام أبي، وإن واجبه إزاء وطنه وشعبه وألوف من الشهداء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل ان تحيا كردستان حرة إنما هو الألتفاف حول راية الثورة والنضال بروح الشعور العالي ونكرات الذات لرص وحدة قواها ومن اجل انتصارها.،

والبيان موقع من قبل لجنة فرع كردستان للحزب الشيوعي العراقي[٣١].

في هذه المرحلة ايضاً انعقد المؤتمر السابع للحزب الديمقراطي الكردستاني في كَلاله بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٦ وحضره ٢٤٥ مندوباً واتخذ قرارات ادارية وحزبية وسياسية، وكرست في هذا المؤتمر رئاسة البارزاني للحزب وانبثقت لجنة مركزية منتخبة وهم كل من الأعضاء:

السكرتير (أمين السر العام للحزب) حبيب محمد كريم ـ امين سر المكتب التنفيذي: الدكتور محمود عثمان ـ التنظيم الحزبي: نوري صديق شاويس ـ الشؤون المالية: علي عبد الله ـ المسؤولية العدلية: محسن دزيي ـ شؤون الأعلام: صالح اليوسفي ـ لجنة السلام العليا: برئاسة نافذ جلال حَويزي ـ السؤولية العسكرية: إدريس البارزاني، ومحمد محمود عبد الرحمن (سامي) ـ شؤون الأستخبارات والأمن: مسعود البارزاني وشكيب العقراوي ـ الشؤون الأدارية: شفيق آغا ـ العلاقات الخارجية: لجنة مؤلفة من: حبيب محمد كريم ومحمود عثمان وإدريس البارزاني ومحمد محمود عبد الرحمن ومسعود البارزاني.

في كل الأزمنة وفي تاريخ الحروب كان لجمع المعلومات عن العدو يشكل اهمية كبيرة لخوض المعركة، ومما لاشك فيه ان الثورة الكردية كانت تعول كثيراً على جمع المعلومات عن الوحدات العسكرية وتحركاتها في المنطقة، وهذه المعلومات تبقي محدودية الفائدة ما لم تجمع وتنظم وتحلل لاستنباط الفائدة المرجوة، وإن القيام بهذه المهمة الهامة ينبغي ان تكون من اختصاص جهاز إداري مدرب، والحكومات تصرف مبالغ كبيرة على هذا الجهاز باعتباره العمود الفقري لعملية فرض القانون في البلد، ولا مرية ان قيادة الثورة الكردية شعرت بأهمية هذا الجهاز لديمومة الثورة، فكان قرار تشكيل هذا الجهاز عام ١٩٦٧ وعرف بجهاز البارستن (استخبارات الثورة)، وأنيطت مهمة تشكيله بالأستاذ مسعود البارزاني الذي كان يستعين ويستشير ذوي الخبرة ومنهم شكيب عقراوي ومحمد عزيز قادر وفرنسو حريري وفاخر ميركَسوري، ويقول مسعود البارزاني ان تشكيل هذا الجهاز اقتضى منا زهاء سنتين لتنظيم الجهاز بفروعه وملاكاته. وفي عام ١٩٦٩ صرت مسؤولاً رسمياً عنه، كما انيط بي الأشراف على قسمي الهندسة والمخابرة في الثورة لتعلقهما بجهاز الأستخبارات وبقيت كذلك الى عام ١٩٧٥م.[٣٢]

بغية توثيق العلاقات سافر كل من إدريس البارزاني ومسعود البارزاني الى بغداد بدعوي من رئيس الجمهورية، بقيت اوضاع المنطقة هادئة رسمياً حيث كانت تجري حوادث اعتداءات واغتيالات وكانت تنذر بخطر نشوب الحركات العسكرية في اية لحظة، وكانت السلطة تحتضن اية عمل او فعالية تؤول الى إضعاف الثورة، وفي عام ١٩٦٨ وبينما كانت العلاقات متوترة بين

الثورة والسلطات الحكومية شق غازي حجي ملو في منطقة الشيخان عصا الطاعة على الثورة، ووصلت المنطقة تعزيزات حكومية مساندة، لكنها إرغمت على الأنسحاب من المنطقة.

على ضوء تلك التحرشات والخروقات وتحركات الجيش في المنطقة صدرت اوامر الى البيشمركه لاتخاذ الحيطة والحذر، مع الرد المناسب على أي اعتداء يحصل، وهكذا حدثت في هذه الفترة مناوشات متفرقة.

استمر هذا الوضع الى ان بادر البعثيون للقيام بانقلابهم علي الرئيس عبد الرحمن عارف وإزاحته في صبيحة ١٧ تموز ١٩٦٨، وهو كما هو معلوم شقيق عبد السلام عارف الذي اطاح البعثيين وأزاحهم من دربة يوم ١٨ تشرين ١٩٦٣، وكانت هذه صفحة أخرى من صفحات الثأر والانتقام على الساحة العراقية، وفي مرحلة قادمة سيبدأ فصل جديد من تاريخ العراق المعاصر.

المصادر والملاحق الوثائقية:

١ ـ د. عبد الفتاح علي البوتاني " وثائق عن الحركة الكردية.. ص ٢٥٨.
٢ ـ لازاريف وآخرون: تاريخ كوردستان ص ٢٩٢.
٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني.. ج٣ ص ١٢٨.
٤ ـ ديفيد ادامسن وجرجيس فتح الله: الحرب الكردية وانشقاق.. ص ٤٠.
٥ ـ المصدر السابق ص٤٣.
٦ ـ نفسه.. ص ,٤٤
٧ـ المصدر نفسه ص ٤٥.
٨ ـ ديفيد ادامسن وجرجيس فتح الله الحرب.. ص ٥٠.
٩ ـ نفسه ص ٥٣.
١٠ ـ المصدر نفسه ,٥٤
١١ ـ د. عبد الفتاح علي البوتاني: وثائق.. ص,٢٤٣
١٢ ـ المصدر السابق ص ,٢٤٥
١٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ ص ١٣٨.
١٤ ـ المصدر السابق ج ٣ ص ,١٤٣
١٥ ـ مسعود البارزاني: البارزاني.. ج٣ ص ١٤٤.
١٦ـ ديفيد ادامسن وجرجيس فتح الله: الحرب الكردية ص٥٩.
١٧ ـ لازارايف وآخرون: تاريخ كردستان، هامش ص ٢٩٦.
١٨ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ ص١٥٠ ـ ,١٥١
١٩ـ جرجيس فتح الله ودافيد ادامسن: الحرب.. ص,٦٤
٢٠ ـ د. عبد الفتاح البوتاني: وثائق عن الحركة..ص ٢٤٩.

٢١ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ ص ١٥٦.
٢٢ ـ لازاريف: تاريخ كوردستان ص٢٩٨.
٢٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية ج٣ ص ١٥٨)
٢٤ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ ص ١٧٣.
٢٥ ـ الدكتور منذر الفضل: دراسات حول القضية الكردية، مقدمة بقلم خالد يونس خالد ص ٢٤.
٢٦ ـ د. خليل جندي: حركة التحرر الوطني.. ص ١٦٩ ـ ١٧٠
٢٧ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ص ١٧٧ ـ ١٧٨.
٢٨ ـ لازاريف وآخرون: تاريخ كردستان ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.
٢٩ ـ المصدر السابق ص ٣٠٢.
٣٠ـ الدكتور عبد الفتاح البوتاني: وثائق عن الحركة.. ص ٣٨٣.
٣١ ـ المصدر السابق ص ٣٤٨.
٣٢ ـ مسعود البارزاني: البارزاني.. ص ١٨٩.

ملحق وثائقي:

الملحق رقم ١

محضر اجتماع وفد حكومي يتكون قائد الفرقة ومتصرف السليمانية والزعيم عزيز الجلبي مع ملا مصطفى البارزاني في رانية وذلك بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٦٤ (المصدر: الدكتور عبد الفتاح البوتاني: وثائق عن الحركة القومية.. ص ٢٩٢ ـ ٢٩٦

البارزاني يؤكد لقائد الفرقة ومتصرف السليمانية مطلبه بالعفو عن كافة السجناء السياسيين بغض النظر عن ميولهم.

القائد:

إن اعلان العفو العام بهذا الشكل وإطلاق سراح السجناء السياسيين يؤدي الى عدم الأستقرار في البلد وقد يقوم البعض من هؤلاء بالمؤامرات على الجمهورية وبث الشغب.

متصرف السليمانية: اتفق مع وجهة نظر القائد في هذه الناحية.

البارزاني:

اتفق مع االقائد بأن هناك قسم من الاشخاص من كل فئة وخاصة القياديين منهم.. ولا مانع من بقاء عشرات الأشخاص الخطرين من كل فئة في السجن، لكنه اكد على العفو العام.

القائد:

يمكن حل هذه المشكلة بتقديم اسماء السجناء الذين يرغب البارزاني بإطلاق سراحهم على الا يكونوا من مرتكبي الجرائم الشخصية.

متصرف السليمانية: يؤيد الفكرة ويؤكد ان الحكومة اطلقت سراح عدد كبير من السجناء والموقوفين بسبب حوادث الشمال.

البارزاني:

.. الحكومة لم تسرح كافة الفرسان كما سبق وأن اتفق عليه، وقال عن الفرسان وخاصة الاغوات والرؤساء هم اسباب البلاء والفتنة ولم ينحلوا لحد الان ولا يزال العتاد والسلاح بيدهم وانتم تعلمون انهم يبيعون العتاد.

القائد:

إننا طلبنا من الفرسان العودة الى مناطقهم وقراهم ولكنهم يشكون بأن جماعات مسلحة لا تزال في مناطقهم وقراهم سيعودون حتماً، وقد سرحنا ٥٠٪ منهم وسوف نسرح الباقي قريباً جداً.

البارزاني:

إنني اؤكد وأتعهد بعدم حدوث أي مكروه في حالة عودة هؤلاء الى مناطقهم. واثار نقطة ثانية هي الأقوال والأشاعات التي تقال عليه وقال ان ابراهيم احمد يقول بأنني بعت الشعب الكردي بالتفاح والبرتقال والدراهم بالأتفاق مع متصرف السليمانية.

متصرف السليمانية:

إنهم على غلط وإن الحكومة جادة وقامت بعدة اعمال وأطلقت سراح عدد كبير من السجناء.

القائد:

إن الحكومة قامت بالأعمال التالية:

أ ـ سحبت القطعات العسكرية الى معسكراتها التدائمية.

ب ـ سرحت نصف عدد الفرسان وستسرح الباقين.

ج ـ اعادة كافة الموظفين الذين راجعوا الدوائر وهي مستعدة لاعادة من يراجع منهم.

د ـ شكلت مديرية إعمار الشمال وانتهت اللجنة من دراساتها بعد ان زارت كل المنطقة الشمالية وعلي ما علمت بأنها وضعت منهجاً للمشاريع تكاليفه حوالي ٥٠٠ مليون دينار وستظهر النتائج بعد وقت قريب.

متصرف السليمانية:

فيما يتعلق بالموظفين المفصولين فمن المناسب ان يراجعوا الزعيم عزيز او يراجعوني بالذات لتسهيل اعادتهم الى مناصبهم السابقة، كما ان قراراً وزارياً صدر لاعادة الطلاب الى الكليات.

البارزاني:

علمنا بأن معاوية اليزيدي ذهب الى القاهرة من قبل الحكومة ليقنع السيد جمال عبد الناصر بعدم مساعدته لاعطاء الحقوق القومية للاكراد.

القائد:

لا صحة لذلك مطلقاً وقد يكون المومى اليه قد ذهب الى خارج العراق كما يذهب بقية العراقيين، ومع احترامنا للرئيس جمال عبد الناصر فإن رئيس الجمهورية العراقية هو الرئيس عبد السلام عارف لا غير.

البارزاني:

.. لا زال مثلاً ابن محمد امين ميرخان مسجون في الموصل، وإن نسرين أحمد وأبوها العاجز مسجونان في كركوك. واضاف: بعض الموظفين يحاولن إثارة القضايا التي حدثت بعد ثورة لاشواف حيث طلب المجلس العرفي استدعاء بعض الشخصيات الكردية للمحاكمة.. ثم تطرق الى قضية القري الكردية التي اعطيت للقبائل العربية وقال: لماذا ر يعاد اهالي القري الى قارهم؟ السنا نريد ان نعيد الأمور الى مجراها الطبيعي؟

القائد:

لم يعلق علي موضوع القرى الكردية وقال اعتقد ان هناك كثير من الأمور يمكن حلها بالصبر الجميل والتفاهم طالما كنا جميعاً نريد الخير رلهذا البلد وإن هذه المشاكل البسيطة لا تشكل معضلة...

البارزاني:

اكد ان الحكومة تعبتبر الفرسان احسن منهم.

القائد:

يا اخي الفرسان هم افراد من الشعب وهم بسطاء وليس من الأنصاف ان نسرحهم جميعاً وبصورة فورية بدون ان نسهل لهم سبل العيش.

بعد تناول وجبة الغداء طلب البارزاني ان يحضر بعض الاشخاص ليشرحوا وجهة نظرهم فحضر كل من عباس مامند وحسين بوسكين والمقدم نافذ جلال وعزيز عقراوي وطه البامرني واحمد امين دزي وقد ركزوا جميعاً على توضيح الحقوق القومية التي وردت بالأتفاقية.. كما ايدوا رغبتهم بالاستقلال الذاتي والأنفصال ولكنهم ألحوا على توضيح الحقوق القومية وأورد الابرزاني بعض الأمثلة كالولايات المتحدة وسويسرا.

القائد:

ان الحقوق القومية كما نفهمها هي ان الكردي والعربي والتركماني له نفس الحقوق والواجبات كمواطنين في الجمهورية ويعني هذا لو كان لي ولد وأنا عربي ولك ولد وأنت كردي وكلاهما يدرسان في مدرسة واحدة، الذي يحصل منهم على علامات اكثر هو الذي يفضل بغض النظر عن قوميته.

البارزاني:

صحيح جداً لو توضح الحقوق القومية والي أي مرحلة، مثلاً يدرس التلاميذ الأكراد في الصفوف باللغة الركدية وأورد مثلاً ان الأكراد في العهد البائد كانوا يتمتعون بحقوق اكثر. فمنهم وزراء وتصرفين وقائمقامين، وقال لماذا احيل مثلاً اللواء عبد المجيد علي التقاعد؟

القائد:

من المؤكد سيتعين وزراء وتصرفين.. من الأكراد.. وبخصوص مجيد علي فإنه وصل الى اعلى رتبة في الجيش ولعدم مساعدة الملاك احيل على التقاعد وليس لانه كردي وقال انا اخي هو زعيم احيل الى التقاعد لعدم مساعدة الملاك وإن مجيد على يعيش عيشة الأمراء في بغداد وإن راتبه ٢٠٠ دينار ولديه سيارة من احدث الأنوا ع.

البارزاني:

لماذا لم يعين عدد من الضباط المتقاعدين الأكراد كموظفين إداريين كما جرى مع الضباط المتقاعدين العرب. وقال ان رجائي الوحيد هو إطلاق سراح العقيد عبد الرحمن القاض يلانه مريض وطلب معونة الحكومة بالأرزاق والملابس.

أكد كل من نافذ جلال وحسين بوسكين وعباس مامند على ضرورة توضيح الحقوق القومية بتشكيل لجنة عليا وتشكيل لجان في كل لواء لحل المشاكل الآنية.

متصرف السليمانية:

إن تشكيل اللجان عرقلة للامور ومضيعة للوقت ويستطيع الموظفين المفصولين مراجعتي او مراجعة الزعيم عزيز.

القائد:

ظهر لي ان مشاكلكم يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ـ العفو العام عن السجناء السياسيين عدا الخطرين منهم.

٢ ـ إعادة الموظفين المفصولين بسرعة.

٣ ـ إعادة الطلاب المفصولين الى كلياتهم.

٤ ـ المساعدات المادية من ناحية الارزاق.

٥ ـ حل الفرسان.

٦ ـ تعيين وزراء أكراد وقائمقامين وتصرفين.

الملحق رقم ٢

كان ثمة محاولات بتعريب اليزيدية وكان من المتحمسين لهذا الأتجاه بايزيد الأموي وهو يدعو الى دعم عروبة بني أمية ويخاطب المشؤولين في الدولة لدعم الدعوة العربية في بني امية (اليزيدية)، وقد اسس حركة سماها الحركة العربية في بني امية، لكن حول هذه المسالة نطالع كتاب قائمقام الشيخان يقول: (الدكتور عبد الفتاح البوتاني: وثائق عن الحركة القومية الكردية التحررية ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

(سري)

قائمقامية قضاء الشيخان / العدد / س / ٦ بتاريخ ٤ / ١ / ١٩٦٦

الي ـ متصرفية لواء الموصل ـ التحرير

الموضوع / قومية يزيدية

كتابكم المرقم س / ٤٣٢٦ في ١٢/٤ / ١٩٦٥ المعطوف على مديرية تسجيل الأحوال المدنية العامة الرقم س / ٧١٩ في ٢٩ / ١١ / ١٩٦٥

نعرض لمقامكم انه لدي قيامنا بالتقيقات والأتصالات الشخصية مع بعض رؤساء الطائفة اليزيدية التي تسكن منطقة قضائنا وخاصة (تحسين بك) رئيس الطائفة عامة وأميرها. (وبابا شيخ) المسؤول الديني للطائفة اليزيدية والأسترسال معهما في الموضوع تبين من أقوالهما ان منشأ هذه الطائفة هو في شمال العراق في المناطق الكردية، وبذلك تعتبر قومية أفرادها (القومية الكردية) سواء المقيمين حالياً في شمال العراق او من هاجر من العراق الى البلاد الأخري، وإن شيوخ هذه الطائفة التي تنتشر مراقدهم في قري متعددة من قضاء الشيخان وغيره كالشيخ شمس وعبدي رش وبير خوشابا وغيرهم يعتبرون من مشايخ الطائفة في العهود الماضية وإن هجرة (الشيخ عادي) الذي هو عدي بن مسافر الأموي من الشام الى العراق قبل مئات السنين وإقامته في شمال العراق حيث المغار الحالي في وادي (لالش) ضمن منطقة هذا القضاء لم يغير من حقيقة كون الطائفة اليزيدية ينتمي أفرادها اصلاً الى القومية الكردية.

إن ورع وتقوي وشخصية (الشيخ عادي) مكنته من الهيمنة علي اتباع الطائفة وشيوخها المنوه عنهم آنفاً فأصبحوا يقتدون به ويقدسونه وإنهم يعتبرون (عدي بن مسافر) من صحابة يزيد بن معاوية وأتباعه حيث يعتبر الأخير ولي من اولياء الله تعالى وهذا ما تبين من اتصالنا مع (بابا شيخ) بالذات ايضاً، كما ان المسؤول الديني هذا اعلمنا بأن اليزيديين الذين نشأوا في الخارج وخاصة في الشام في العهد الأموي هم من اصل عربي.

هذا فيما يخص قومية الطائفة، اما ما يخص الناحية الدينية فإن للطائفة المذكورة لها طقوسها وتقاليدها الدينية الخاصة بها كما انهم ينقسمون الى عدة فرق كل لها عاداتها في السلوك الأجتماعي كعدم جواز زواج شخص إلا من الفرقة التي ينتمي اليها.

عبد العزيز بدر العبد الجليل

قائمقام قضاء الشيخان

الملحق رقم ٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سري وشخصي

متصرفية لواء الموصل

العدد ق. س. / ٢١١٣

التاريخ ٢٢ / ٦ / ١٩٦٦

قيادة الفرقة الرابعة

الموضوع / اتصال يزيديو جبل سنجار بجماعة الملا مصطفى البارزاني

علمنا من مصدر يوثق به بأن اتصالاً حدث بين مبعوث من قبل الملا مصطفى البارزاني الى من جهة وكل من سيدو حمو شرو ومراد عطو من جهة اخرى قبل مدة اكثر من شهر وعد بموجبه الملا مصطفى البارزاني الطرف الثاني إمدادهم بمحطة لاسلكية مع المخابرين اللازمين وبالسلاح والمال في حالة تمردهم ضد الحكومة وعدم تسليح الكلفين للخدمة. وبالنظر لوجود مفارز التعقيب في سنجار لاخذ الحيطة والحذر وحصر اعمال التعقيب في مناطق معينة وهي التي بقيت لا تتجاوب مع السلطات الحكومية وعدم استفزاز بقية العشائر التي كانت متجاوبة معنا منذ الساعة الأولى للاستفادة منهم في الدلالة على المتخلفين والقضاء على الفتنة قبل اتساع نطاقها وإعلامنا.

سعيد الشيخ / متصرف لواء الموصل

صورة منه الى / وزارة الداخلية ـ مديرية الداخلية العامة

المخابرات السرية (٣)

وزارة الدفاع ـ الأركان العامة

اخبرنا قائمقام سنجار تلفونياً هذا الصباح بأن مفرزة التعقيب اصطدمت بقرية زارفكي مع المسلحين وتمكنت من القبض علي ٣٥ شخص بينهم سبعة مسلحين قاوموا المفرزة لمدة

نصف ساعة كما تحرت المفرزة قريتي قصركي والوردية بدون مقاومة.. (الدكتور علي البوتاني: المصدر السابق ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

الملحق رقم ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

سري للغاية

متصرفية لواء الموصل

العدد ق. س. / ٢٨٥٧ بتاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٦٦

قائمقامية قضاء سنجار

الموضوع / معلومات

تفيد المعلومات الواردة الينا من الجهات المختصة بأنه قد تأيد ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين الطائفة اليزيدية في جبل سنجار وجماعة الملا مصطفى البارزاني وقد علم بأن الشخص المدعو مراد عطو قد أرسل معتمدين الى المتمردين يطلب منهم المساعدات المالية والمعنوية ويؤيد ذلك تردد المدعو خضر خانكي من اهالي قضاء الشيخان الى جبل سنجار واتصالاته مع الشخص الأول وحثه على التمرد.

وبناءً علي علي ما تقدم نرجو اتخاذ ما يلزم لبذل الجهود والمساعي لمراقبة الأشخاص المشتبه بهم وكشف نواياهم السيئة وفعالياتهم لاحباط اية حركة عدوانية تصدر منهم مع موافاتنا بكل ما يتصل بكم بهذا الخصوص.

سعيد الشيخ / متصرف لواء الموصل

صورة منه الي

قيادة الفرقة الرابعة ـ للاطلاع رجاءً

مديرية شرطة لواء الموصل لنفس الغرض اعلاه رجاءً

مديرية أمن لواء الموصل (الدكتور علي البوتاني: المصدر السابق ص ٤٦٩).

الفصل الرابع عشر

البارزاني والحكم الذاتي بعد عودة البعث الى الحكم

ملف القضية الكردية كان حاضراً في المشهد السياسي العراقي منذ نشوء الدولة العراقية الحديثة في اوائل العشرينات من القرن الفائت، وكان من الملفات الساخنة على جدول اعمال كل الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق في مطاوي القرن العشرين.

تأرجحت المسألة الكردية في الفكر السياسي العراقي، فالحكومات المتعاقبة إن كان في العهد الملكي او بعد سقوطه كان بعض الساسة ينظرون الى المسألة بمنظار قومي عربي متعصب يرى في كل مطلب للاكراد بأنه خطوة للانفصال، وهذا التيار كان يرى في عمليات القمع وصهر الأقليات القومية في بودقة العروبة حالة ضرورية لخلق مجتمع يسوده التجانس القومي، وهذا ما يجنب الأمة العربية مخاطر الحركات الأنفصالية ويسد الطريق امام العدو لاستغلال قضية الأقليات، وبعد ذلك فإن التجانس القومي هو خطوة رائدة في تحقيق وحدة الأمة العربية من الماء الى الماء، لقد تجسد هذا الموقف بعد سيطرة حزب البعث علي حكم العراق في اعقاب انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ وما اعقب ذلك من انقلابات الى ان تسلم حزب البعث مجدداً مقاليد الحكم في ١٧ تموز ١٩٦٨.

في الفكر السياسي العراقي كان ايضاً من ينظر الى المسألة الكردية بأنها مسألة عراقية داخلية وينبغي معالجتها بإطار المواطنة العراقية وليس بمفهوم شعب له قوميته ويتطلع الى تقرير المصير، ويبقي هاجس الخوف من الأنفصال حائلاً دون تحقيق المطالب المشروعة للشعب الكردي، وبنظري ان نوري السعيد وعبد الكريم قاسم وعبد الرحمن البزاز وعبد الرحمن عارف جسدوا هذه الحالة. ومن الأحزاب غير الكردية كان الحزب الشيوعي يقر للأكراد ولكل القوميات العراقية حقوقها المشروعة.

في جانب آخر كان غياب آلية دستورية فاعلة لتنفيذ المشروعات المطروحة، فرغم إقرار سلسلة من حقوق الأكراد إن كانت هذه الحقوق ثقافية او عمرانية او مشاركة بالسلطة، لكنها كانت تسن في غياب سلطة تشريعية في بغداد فلا دستور دائم ولا برلمان منتخب ولا مؤسسات دولة راسخة كما هي في الدول الديمقراطية.

كان التعاطي مع المسالة الكردية بل ومسالة الأقليات بشكل عام يعتمد على سياسة الدمج، وهي من صنع السلطات التنفيذية في عهود عدم الأستقرار والثورات والأنقلابات والأنقلابات المضادة، ومن الصعب ـ إن لم يكن من المستحيل ـ افتراض صيغ سياسية لحل المسألة الكردية سلمياً ضمن إطار وحدة العراق الجغرافية دون قيام مؤسسات دستورية ضامنة لذلك بدورها في تشريع أطر الحل وصيغ التنفيذ[1]. لم يقتصر غياب المؤسسات الدستورية بالتأثير السلبي على القضية الكردية فحسب إنما كانت هذه معضلة كبرى تحول دون تحقيق الأستقرار السياسي في العراق.

اما الأكراد (ونحن نتكلم عن العراق) فكان إحساسهم بالأخفاق على اعتبار ان حقهم في إقامة الدولة الكردية قد سلب منهم في اعقاب الحرب العالمية الأولى. كان الأكراد والشعوب الأخرى الرازحة تحت الحكم العثماني يحدوها الأمل في الحصول على الحد الأدني من الحقوق القومية الهويوية، فحينما وضعت الحرب اوزارها كانت الأقليات ناشطة للأستفادة من مبادئ ولسون الأربعة عشر في سنة ١٩١٨ ومنها حق الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية في تقرير مصيرها.

في ١٠ آب ١٩٢٠ وقعت معاهدة سيفر بين الأطراف المعنية وكانت مواد ٦٢ و٦٣ و٦٤ تضمنت حقوق الأكراد ودعت المعاهدة الى إعاد مشروع حكم ذاتي للأكراد في المناطق التي تقطنها اغلبية كردية، لكن هذه المعاهدة لم يكتب لها النجاح والتطبيق بسبب التطورات والأنتصارات التي احرزتها قوات مصطفى كمال (أتاتورك) على حكومة السلطان التي وقعت معاهدة سيفر فكانت فرصة لتنصل حكومة اتاتورك عن تلك المعاهدة، ومن ثم التوصل الى معاهدة جديدة وكانت في تموز ١٩٢٣ واتخذت اسم معاهدة لوزان وقد خلت هذه المعاهدة من اية إشارة الى مطالب الأكراد.

بعد هذه المرحلة فتحت صفحة جديدة حينما بادر الأكراد لمارسة مختلف صنوف النضال لنيل حقوقهم لقد اصبحوا اكثر فئات الشعب العراقي شهرة في الخارج لا سيما ان تكون منطقة كردستان ساحة لمعارك طاحنة بين الجيش العراقي والمسلحين الأكراد، إن الحكم الذاتي لكردستان او إنشاء دولة كردية لأكراد العراق تثير حفيظة الدول التي يقيم فيها الأكراد بجهة الأقتداء بهم والمطالبة بحذو حذوهم.

وبعد تموز ١٩٦٨ يمكن ان نسمي هذه الحقبة من الزمن الكردي بأنها مرحلة الحكم الذاتي، وما تسفر عنه الأيام سيكون حاسماً في تاريخ هذا الشعب.

البعثيون مارسوا لعبة الهيمنة على الحكم وأتقنوها وعرفوا المسالك لبلوغ القصر الرئاسي دون معاناة كبيرة ودون إراقة دماء، كانت مفكرتهم اليومية زاخرة بالتجارب ولم يعد ثمة مجال للخطأ هذه المرة، لقد صرحوا هذه المرة فقالوا: لقد جئنا لنبقى. اجل كان هذا الزعم صحيح الى حد ما فالأنظمة التي خلفت نظام عبد الكريم قاسم كان عمرها لا يتجاوز السنتين ولكن نظام البعث بقي رابضاً ٣٥ سنة رغم ما الحق بالعراق من مآسي وحروب.

في اواخر عام ١٩٦٧ تفاقمت الصراعات بين العسكريين في قمة السلطة، وكانت هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ قد ساهمت في إضعاف الحكومة وفي استقطاب التكتلات العسكرية، إن كتلة عسكرية بزعامة احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وحردان التكريتي باتت تدعو الى تكوين حكومة بديلة مهمتها إنقاذ البلاد، وكان يتسابق في الساحة هذه المرة ايضاً العسكريون وحزب البعث الذي تعلم كثيراً من تجربته مع عبد السلام عارف، لكن المشكلة ان العسكريين يحملون بيدهم مفاتيح مهمة تسهل الوصول الى القصر الجمهوري ولا بأس من التعاون معهم الى حين، وفي هذه المرة عليهم الأستفادة من الدرس المرير الذي تعلموه من عبد السلام عارف حينما انقلب عليهم وبوثبة خاطفة سحب من تحتهم البساط ليودعهم السجون والمعتقلات وينفرد هو بالسلطة.

هذه المرة أيضاً كان البعثيون يدركون شهية العسكريين للسلطة وكان هؤلاء يعدون العدة لخلق تكتلات يجري بينها السباق لتنفيذ انقلاب، لكن رؤية حزب البعث العربي الأشتراكي الثاقبة في هذا الشأن يرى انه من لا مندوحة من الأستفادة من العنصر العسكري لبلوغ كرسي الحكم، ومع خبرته المتراكمة من تجربته الأولى مع عبد السلام عارف حينما انقلب على حلفائه البعثيين، قرروا هذه المرة أخذ زمام المبادرة من العسكريين فقالوا: (سنتغدى بهم قبل ان يتعشوا بنا) والعسكريين كان لهم حساباتهم ايضاً حيث اعتقدوا ان باستطاعتهم إعادة تجربة عبد السلام عارف مع البعث حينما يشاؤون تصفيتهم.

لقد كان انقلاب ١٧ تموز او ثورة تموز كما يريدها البعث، كانت شأناً متعدد الأطراف وكان الطرف الرئيسي هم نخبة من ضباط القصر ونواتهم تتألف من الضباط الكبار وهم كل عبد الرزاق النايف ويشغل منصب مدير الأستخبارات العسكرية في عهد عبد الرحمن عارف وابراهيم الداوود يقف على رأس الحرس الجمهوري وسعدون غيدان يقود كتيبة الدبابات الملحقة بالحرس الجمهوري، وبالأتفاق مع البعثيين ويرجح بان ثمة أيادي اجنبية سهلت الطريق لنجاح الأنقلاب.

ويقول عبد الرحمن عارف في حديث أجري معه في اسطنبول ان عبد الرزاق النايف لم يكن اكثر من أداة حركتها إغراءات المال.. فحينما حجب امتياز الكبريت عن شركة (بان - أميركان) شكل بنداً سجلوه عليه وفي النهاية وجدوا في ان النايف هو الرجل الذي يحتاجون اليه: أشتروه من خلال العربية السعودية وبواسطة الوسيط بشير طالب، الملحق العسكري في بيروت والقائد السابق للحرس الجمهوري، وناصر الحاني السفير العراقي في لبنان) وأكد عارف انه يقول هذا عن معرفة وليس بناءً على مجرد شكوك[٢].

اما الداوود وحسب بطاطو ايضاً بأن الرشوة لم يكن لها تأثير عليه ولكنه كان متأثراً بظلامية رجال الدين فكان يكره كل ما يمت الى الأشتراكية بصلة، لكن العامل الرئيسي الذي جعله يتخلى عن عارف هو خوفه من الناصريين، وقد كان له دور فاعل في فشل المحاولة التي قاموا بها عام ١٩٦٦ للاستيلاء على السلطة. اما الشخصية الثالثة سعدون غيدان الذي كان قد غازل البعث لفترة قصيرة في العام ١٩٦٣ اقام الداوود غير الواثق من النجاح، اتصالاً له بالمكتب العسكري للبعث، الذي كان يشعر بضعفه في الحرس الجمهوري وهو ما يعرقل تحركه للقيام بمبادرة خاصة به[٣].

لانجاح الأنقلاب كان لابد من تلاقي القوتين الضباط والبعث في تحقيق هدفيهما، فأنجزا معاً انتصاراً سهلاً. بدأت تحركاتهم في الساعة الثانية فجراً يوم ١٧ تموز وفي الساعة السابعة والنصف كان البيان الأول يذاع من الأذاعة، وغالباً ما كان يذاع نشيد " الله اكبر " في الساعات الأولى للانقلابات العسكرية التي تعاقبت على العراق واصبح هذا النشيد إشارة لوجود انقلاب عسكري.

اختار عبد الرزاق النايف منصب رئيس الوزراء، اما منصب وزير الدفاع فقد شغله ابراهيم الداوود بعد ترفيعه من رتبة عقيد الى رتبة فريق.

كانت حصة البعثيين من المناصب بعد نجاح الأنقلاب: منصب رئيس الجمهورية ووزارة الداخلية التي شغلها صالح مهدي عماش وسعدون غيدان قيادة الحرس الجمهوري ورئاسة الأركان وسلاح الطيران شغلهما حردان عبد الغفار التكريتي. وفي مجلس الوزراء شغل البعثيون او مؤيديهم ٨ حقائب وزارية من اصل ستة وعشرين وكان في هذه الوزارة ٤ أكراد منهم محسن دزه ئي ممثلاً شخصياً للبارزاني.

في صبيحة ١٧ تموز ١٩٦٨ ونحن نائمون فوق السطح في منطقة السعدون قرب الأمن العامة سمعنا اصوات تراشق طلقات نارية مصدرها باتجاه القصر الجمهوري. لقد وصفت الحركة بأنها ثورة بيضاء، لقد دخل العسكر على عبد الرحمن عارف وهو في مخدعه وأبلغ

بأنه لم يعد رئيس الجمهورية، وأنه سيرحّل الى الخارج بأمان، قبل فترة وجيزة كان صعب الحردان آمر الأنضباط العسكري قد ابلغ عبد الرحمن عارف بأن عبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود وسعدون غيدان يتآمرون عليه، ولما استدعاهم عبد الرحمن عارف لاستجلاء الأمر فأقسموا بأغلظ الأيمان بأن لا اساس لهذا الزعم وصدقهم الرجل وصرفهم، وحينما نجح الأنقلاب كان صعب الحردان اول المعتقلين بعد نجاح الأنقلاب.

اجل ان العملية العسكرية للأنقلاب لم تتسم بالدموية كما حصل في انقلاب رمضان الدموي في ١٩٦٣ لكن مع مجرى الزمن تبين ان الأحداث الدموية كانت مؤجلة فحسب كما سيأتي في حينه.

نجح الأنقلاب وتم إقصاء عبد الرحمن عارف من منصبه كرئيس للجمهورية الذي تولاه من (١٦ / ٤ / ١٩٦٦ الى ١٧ / ٧ / ١٩٦٨) وأجبروه على التنحي ثم أبعد الى اسطنبول وبقي منفياً هناك حتى اوائل الثمانينات حيث أذن له الرئيس السابق صدام حسين بالعودة الى العراق والسكن في بغداد.

بادر رئيس الوزراء عبد الرزاق النايف بالأتصال بالبارزاني حيث حمل صالح اليوسفي رسالة يطلب فيها تسمية وزيرين كرديين لضمهما الى حكومته وفعلاً تمت تسمية كل من محسن دزيي وإحسان شيرزاد.

من جانب آخر كان البعثيون يعدون العدة ويتحينون الفرصة لاستئصال شافة القوى العسكرية التي لها قرار مستقل او يشك في ولائها لخطاب حزب البعث العربي الأشتراكي.

في ٣٠ تموز ١٩٦٨ لجأ البعث الى الأطاحة بشركائه في انقلاب سمي بالحركة التصحيحية واعتبر هذا التاريخ مكملاً للتاريخ الأول في ١٧ تموز ففق ادبيات حزب البعث كانت تسمي ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز، وهكذا أزيحت عقبة كأداء من امام الحزب لأبقاء السلطة في يده، إن الهجوم على الخصم المفترض عملية وقائية يراد بها قطع الطريق على من يفكر بالتآمر على الحزب وكان تعجيله بتصفية حليفيه اللذين اوصلاه الى الحكم جزء من الخطة الوقائية. لقد سُفّر عبد الرزاق النايف الى خارج العراق، أما ابراهيم الداوود وزير الدفاع الذي كان يقوم بزيارة الى القطعات العسكرية العراقية فقد أعلم بانه أقيل من منصبه ورحل الى الخارج، وقد اسندت لكل منهما سفارة في الخارج، أما سعدون غيدان الذي كان متفقاً مع البعثيين فبقي في بغداد.

سوف يتجه مركب الحكم مع البوصلة التي تجعل البعث في الغالب حزب سني، وسيتعزز الدور المركزي للتكارتة في قمة الهرم لمؤسسة الدولة العراقية، فقيادة البعث باتت تتحرك تحت

قيادة احمد حسن البكر وصدام حسين الذين تربطهما اكثر من علاقة، وشغلا اعلى المراكز في الحاكم الفعلي للعراق وهو مجلس قيادة الثورة الذي يرأسه البكر ونائبه صدام حسين.

وإذا اقتربنا بالرؤية الى العلاقة بين صدام حسين وأحمد حسن البكر اعمق وأبعد من الوشائج السياسية والأديولوجية التي تربطهما، وبالرغم من الفارق العمري الكبير بينهما، فالبكر ١٩١٤ وصدام ١٩٣٧ فإن رابطة القرابة هي ابعد وأعمق وهي التي وطدت العلاقة بينهما. فالأثنان ينتميان الى فخذ البيكات من قبيلة البوناصر.. وإن صدام ابن بالتنشئة لخير الله طلفاح، وأبن اخته وصهره في آن معاً وإن الأخير ابن عم اول للبكر.. وما يجمع بين البكر وصدام ايضاً ان كلاهما شديدي التحفظ ولا يميلان الى الأحكام المتسرعة، ويقول المؤرخ حنا بطاطو:

على العموم، فإن صداماً يفوق البكر جسارة وقوة إرادة وتوقداً ذهنياً، وعلى الرغم من انه يمكن للبكر ان يكون قاسياً احياناً فإن صداماً من نسيج اقسى ومرهوب الجانب أكثر بشكل عام. ويمضي بطاطو الى القول: وهناك إشاعة قديمة تقول بأنه قتل في سنوات سبقت وصوله الى السلطة أحد أقاربه في نزاع قبلي، كما قتل ضابط صف يدعي سعدون التكريتي كان مسؤولاً عن التنظيم الشيوعي في تكريت. وقد يكون صدام فعل هذه الأمور او لم يفعلها، ولكن من المؤكد انه كانت له مشاركة ناشطة، عندما طالباً، في محاولة اغتيال قاسم عام ١٩٥٩.. وعززت موقعه هذه الحادثة داخل حزب البعث الذي كان قد انضم اليه عام ١٩٥٥[٤].

كان صدام يشغل منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، لكنه كان يسيطر علي إدارات الأمن الداخلي والأستخبارات العسكرية من خلال سيطرته على مكتب الأمن القومي التابع لحزب البعث العربي الأشتراكي.

كان هاجس الأحتفاظ بالحكم يسيطر على تفكير حزب البعث كما انه كان يخشي العسكر غير الموالين، فاصبحت الخطة تقضي بتحويل مؤسسة الجيش العراقي الى جيش عقائدي اولاً، وجعل مؤسسة حزب البعث عبارة عن جهاز مخابراتي فقد حول الحزب بكامله الى مؤسسة عسكرية ـ استخبارية بثياب مدنية، ثم جرى بعد ذلك، عقب التخلص من العسكريين التقليديين البعثيين، تحويل المجتمع بأسره الى مجتمع محارب، مجتمع مؤسس علي القوانين العسكرية: التعبئة العامة، قوات الأحتياط، الجيش الشعبي، الفدائيين، الأشبال، إطالة فترة الخدمة العسكرية، شمول خريجي الكليات بالخدمة العسكرية، إضافة الى ما صاحب ذلك من ترتيبات اجتماعية واقتصادية وثقافية وأمنية: القرى العصرية،او البيوت النموذجية، الطرق السريعة تجفيف الأهوار، الصناعة العسكرية، ادب وثقافة القوة وذلك ما عنيناه بعسكرة الحياة[٥].

كانت زمام الأمور البلاد منوطة بمجلس قيادة الثورة وبدأ هذا المجلس مهامه منذ ٣٠ تموز ١٩٦٨ وتألف في البداية من خمسة اشخاص، لكن هذا العدد ارتفع الى ١٥ عضو في ٩ تشرين الثاني ١٩٦٩ لكن في عام ١٩٧٠ انخفض العدد الى ١١ شخصاً ثم في عام ١٩٧٣ اصبح العدد تسعة اشخاص و٦ اشخاص في عام ١٩٧٤ وخمسة في عام ١٩٧٧، وكان جميع الأعضاء من السنة وفق جداول وضعها حنا بطاطو ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ من كتابه الثالث العراق ـ هذه المعلومات حدودها الى عام صدور كتابه عن العراق عام ١٩٧٨ م ـ ونقتبس من هذا الجدول اسماء ووظائف اعضاء مجلس قيادة الثورة في الفترات التي مر ذكرها وهم.

ـ أحمد حسن البكر الذي شغل منصب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة والأمين العام للقيادة القطرية، وعضو في القيادة القومية وشغل منصب وزير الدفا ع من ١٩٧٣ الى ١٩٧٧.

ـ العضو الثاني كان صدام حسين وهو نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، وعين عضواً في مجلس قيادة الثورة في في تشرين الثاني ١٩٦٩ وشغل موقع نائب امين عام القيادة القطرية لحزب البعث مع سلطات غير رسمية للاشراف على الأمن الداخلي والأستخبارات العسكرية.

ـ والعضو الثالث كان امير اللواء الجوي حردان عبد الغفار التكريتي، وشغل نائب القائد العام للقوات ونائب رئيس الوزراء ووزير الدفا ع من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠، كما شغل منصب نائب رئيس الجمهورية عام ١٩٧٠م. أخرج من مجلس قيادة الثورة عام ١٩٧٠ وقتل في الكويت في ٣٠ آذار ١٩٧١م.

ـ والعضو الرابع كان الفريق الركن صالح مهدي عماش، وشغل منصب نائب رئيس الوزراء. وزير الداخلية (٦٨ ـ ١٩٧٠)، نائب رئيس الجمهورية (١٩٧٠ ـ ١٩٧١). عضو القيادتين القطرية والقومية حتى ١٩٧١. سفير العراق في موسكو، واخرج من مجلس قيادة الثورة في ايلول ١٩٧١م.

ـ امير اللواء حماد شهاب وكان رئيس الأركان العامة للجيش (٦٨ ـ ١٩٧٠، كما شغل منصب وزير الدفا ع (١٩٧٠ ـ ١٩٧٧٣)، ذبح في بغداد اثر محاولة الأنقلاب في ٣٠ حزيران ١٩٧٣م.

ـ أمير اللواء سعدون غيدان وشغل ايضاً منصب قائد حامية بغداد (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) ووزير الداخلية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٤)، ووزير المواصلات ١٩٧٤م.

ـ عبد الكريم الشيخلي عضو مجلس قيادة الثورة من تشرين الثاني ١٩٦٩ الى عام ١٩٧٠ وشغل منصب وزير الخارجية وعضو القيادتين القومية والقطرية للبعث حتي عام ١٩٧١ رئيس

الوفد العراقي في الأمم المتحدة.

ـ عبد الله سلوم السامرائي عين عضواً في مجلس قيادة الثورة في تشرين الثاني ١٩٦٩ وأخرج عام ١٩٧١ وشغل منصب وزير الأعلام (١٩٦٨ ـ ١٩٦٩)، ووزير دولة وعضو القيادة القطرية حتي ١٩٧٠ ثم عين سفيراً في الهند.

ـ الدكتور عزت مصطفى، عضو مجلس قيادة الثورة من تشرين الثاني ١٩٦٩ وطرد من مجلس قيادة الثورة في آذار ١٩٧٧ وشغل عضوية القيادة القطرية حتى ١٩٧٧، وزير الصحة (١٩٦٨ ـ ١٩٦٩)، وزير العمل ١٩٧٦، وزير البلديات ١٩٧٧.

ـ شفيق الكمالي عين في مجلس قيادة الثورة ١٩٦٩ وأخرج عام ١٩٧٠ شغل منصب وزير الشباب، عضو القيادة القومية للبعث حتى عام ١٩٧٠ وزير الأعلام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢م.

ـ عبد الخالق السامرائي، عضو القيادتين القومية والقطرية للبعث (١٩٦٨ ـ ١٩٧٣) وعين عضواً في مجلس قيادة الثورة عام ١٩٦٩، لكنه جرد من سلطاته وحكم عليه بالسجن المؤبد في ٩ تموز ١٩٧٣م.

ـ صلاح عمر العلي عين عضواً في مجلس قيادة الثورة سنة ١٩٦٩ واخرج منه سنة ١٩٧٠ وكان عضواً في القيادة القطرية، ووزيراً للارشاد من آذار الى تموز عام ١٩٧٠م.

ـ عزت الدوري عين عضواً في مجلس قيادة الثورة عام ١٩٦٩، وهو عضو في القيادة القطرية، ووزير الأصلاح الزراعي (١٩٦٩ ـ ١٩٧٤) ووزير الداخلية سنة ١٩٧٤م.

ـ مرتضي الحديثي عين في مجلس قيادة الثورة سنة ١٩٦٩ وأخرج منه سنة ١٩٧٤، وهو عضو القيادة القطرية للبعث، ووزير عمل (١٩٧١ ـ ١٩٧١) ووزير الأقتصاد ١٩٧١ والخارجية (١٩٧١ ـ ١٩٧٤).

ـ طه الجزراوي عبن في مجلس قيادة الثورة سنة ١٩٦٩ وعضو القيادة القطرية وسكرتير سابق للقسم العسكري ووزير الصناعة (١٩٧٢ ـ ١٩٧٦)، وزير الأشغال العامة والأسكان منذ (١٩٧٦م.

نعود الى النهج الذي سلكه البعث في بداية عهدهم الثاني بعد تموز ١٩٦٨ فقد حاول البعث تقليل من المسافة التي تفصلهم عن الجماهير وقد أشرنا الى إعادة المفصولين والتفاهم مع الشيوعيين وكدليل لحسن النية اصدر النظام في ٥ ايلول ١٩٦٨ عفواً عماً عن السجناء السياسيين وفي ١٢ منه كان قرار إعادة المفصولين لاسباب سياسية الى وظائفهم وعودة الشيوعيين المنفيين الى العراق، وغيرها من الخطوات.

أنا شخصياً قدمت طلباً لقبولي في بعثة حكومية لوزارة الزراعة الى الاتحاد السوفياتي

السابق ويتعين على القول ان القبول اتسم بالمهنية فالمقياس للقبول يعتمد على معدل درجات الطالب وكان قبولي على هذا الأساس، ورغم علم وزارة الزراعة بأنني ممنوع من السفر وتعثر حصولي على جواز سفر إلا انها تريثت ومنحت المجال الكافي للحصول على وثيقة سفر، وفي الأمن العامة كان لي ملف كبير لا سيما التهم العديدة بسبب الأشتراك بالثورة الكردية ولكن في نهاية الأمر رفع عني قرار (منع السفر) وهو القرار الذي تم بموافقة ناظم كزار نفسه وكان ذلك في اواسط عام ١٩٦٩، لا ريب ان هناك خطوات اتخذت بغية إرجاع الثقة بحزب البعث منها ما كان في صالح الفلاحين في شؤون الأصلاح الزراعي من قبيل انهم حددوا الحدود القصوى للحيازات الزراعية الى ٤٠ دونم كحد ادني ٢٠٠٠ دونم كحد اقصى وألغوا مبدأ التعويض عن الأراضي الذي كان يرهق الفلاح بدفع ديون باهضة تصل احياناً الى ٥٠ مليون دينار، وادخلوا التأمين الصحي الى الريف وأوصلوا التيار الكهربائي الى الاف القرى النائية، ولصالح الفلاحين ايضاً اوجدوا الاسواق الشعبية والوكالات الحكومية التي تستلم من الفلاح الناتج الزراعي بسعر السوق. وكان هناك ايضاً دعم اسعار الخبز والمكائن الزراعية والأسمدة الكيميائية، ورفع معدل الحد الأدني لراتب العامل في القطاع العام، وفي الحقيقة كان هناك اهتمام بكل مرافق الحياة التي يحتاجها المواطن العراقي لاسيما الطبقة الفقيرة منهم.

إن مبادرة النظام الى إصلاحات في مختلف نواحي الحياة يلقي الترحيب من مختلف فئات الشعب، لكن تبقي مسألة تطبيق الديمقراطية وأيجاد مؤسسات دستورية عاملاً هاماً لضمان الحريات وحقوق المواطن وتحديد واجبه بما تمليه عليه القوانين والأنظمة، بعيداً ان المزاجات الفردية والمصالح الحزبية.



مع مرور الأيام تكشف ما يخفيه الزمن في طياتها، كان النظام رغم خطواته الليبرالية الديمقراطية، إلا انه كان يرسل في الوقت ذاته رسائل أخرى فيها التحذير المبطن لكل من تسول له نفسه في معارضة الحكم، لقد كانت قضية اعدام الجواسيس وتعمد تعليقهم علي اعواد المشانق في الباب الشرقي ليكونوا عبرة لكل من تسول نفسه للسير في طريق لا تقبله الدولة والحزب، وكما كنا نقرأ الشعارت الملصقة علي الجدران: البعث نور لمن يهتدي ونار لمن يعتدي.

لا ندري ان كانت هذه التهمة مفبركة على الذين اعدموا او علي بعضهم على الأقل، فأنا شخصياً أعرف احدهم واسمه موفق الياس زوما من تلكيف وكان معنا ضمن قوات البيشمركَه وكان الرجل يقول لي انه يريد العودة الى الحياة الطبيعية وإن والده غنياً يملك معمل ثلج في تلكيف، وطموحه كان الزواج وتكوين عائلة، ولم أسمع منه يوماً أية إشارة تثير الريب او الشكوك ولم يكن ما يغري فيه ليجند جاسوساً لدولة أجنبية، ولكن سمعت ان هذا الشاب كان من ضمن الذين أعدموا في الباب الشرقي (ثمة بعض التفاصيل أخرى عن هذا الرجل في الفصل الرابع عشر). ولهذا اعتبر هذه العملية كانت بالأساس ترمي الى إرهاب الناس ولكي يصبحواعبرة للاخرين ليس إلا.

كأنما كتب على مصير العراقيين ان لا يتمتعوا بالرفاهية والنعمة فسنين الأزدهار ورتفاع مستوى المعيشة تتقزم امام الأعباء الثقيلة ومن الملاحقات والأعدامات فكانت محاربة الأكراد وبعد بضعة سنين نشوب الحرب العراقية الأيرانية.

نتكلم عن وجود جبهة وطنية احد أقطابها الحزب الشيوعي العراقي، لكن هذه الجبهة كانت بقيادة الحزب القائد ولم يكن هنالك تكافؤ وندية بين اطراف الجبهة، وكان الحزب الشيوعي محكوم بالحدود المسموحة له،في الوقت ذاته كانت تدبر ملاحقات واغتيالات لعناصر نشطة منهم، وفي مطاوي ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ كانت تجري حملة اعتقالات واسعة النطاق لاعضاء الحزب الشيوعي في المحافظات الجنوبية وفي ايار ١٩٧١ اعتقل على ثابت حبيب العاني عضو اللجنة المركزية، وفي نفس الفترة وردت انباء عن موت عضو اللجنة المركزية الشيخ علي البرزنجي في غرفة التعذيب في قصر النهاية. وكانت مع مرور الأيام حوادث كثيرة تعمل علي هيمنة حزب البعث على الساحة وتتجسد سياسة فرض الأمر الواقع ليكون حزب البعث اللاعب الوحيد في الساحة السياسية العراقية، والقارئ اللبيب ملم بالتاريخ القريب وما مر على العراق من حصار وحروب داخلية وخارجية وعمليات تهجير في فترة حكم البعث الثاني.

القضية الكردية في منعطفات حادة

كان الأكراد قد اطلقوا شعار الحكم الذاتي لكردستان والديمقراطية للعراق وفي الحقيقة كان هذا المخرج الأساسي لعافية العراق بشكل عام وللقضية الكردية بشكل خاص، الأيماءات الليبرالية للحكومة توسعت لتشمل المسألة الكردية، لكن انعدام الثقة المتبادلة كانت سيدة الموقف بين الطرفين، فكان ينبغي على السلطة القيام ببعض الخطوات واتخاذ بعض الإجراءات من شأنها تبديد الشكوك وزرع الثقة. لكن النظام بدلاً من ذلك جرب النظام القضاء علي الثورة الكردية بالطريق العسكري وشق صفوف ثورته.

كانت امكانات الثورة بلغت مرحلة متقدمة من ناحية التنظيم والتجهيزات والأسلحة. الظاهر ان ما تبقي من عام ١٩٦٨ كانت فترة هدوء لم تشهد معارك بين قوات البيشمركَه والحكومة، لكنها كانت تؤجج نار الخلاف بين جماعة المكتب السياسي المنشق عن الحزب الديمقراطي الكردستاني وبين فصائل الثورة بقيادة ملا مصطفى البارزاني فكانت الصدامات المؤسفة تتكرر، وربما راهنت الحكومة على هذه الورقة ولكي تضع النزاع في إطاره الكردي ـ الكردي فيكون موقف الثورة هشاً حينما تقرر الحكومة تصفيتها والأجهاز عليها.

إن الباحث في الشأن الكردي عليه تقريب رؤيته من التأثيرات الدولية منها الدول الأقليمية المجاورة والولايات المتحدة وفرنسا ودول اوروبية أخرى. لقد ادرك ملا مصطفى البارزاني



بارزاني والى يساره علي عبدالله وحبيب محمد كريم ثم نافذ جلال وصالح اليوسفي الى يمينه. حاجي عمران – حزيران ١٩٦٦ قبيل إعلان بيان ٢٩ حزيران

الذي وضع بصماته على كل مراحل الثورة الكردية المعاصرة، وأيقن عن اهمية التأثير الدولي وكان يعمل ويسعى جاهداً لكسب العطف الدولي الى قضية شعبه، وقد تحرك في كل الأتجاهات لكنه ادرك بنظرته الثاقبة ان الولايات المتحدة تحمل في يدها اوراقاً كثيرة لما لها من ثقلها السياسي والعسكري والأقتصادي في العالم، وان تأييدها لحق الشعب الكردي سيشكل انعطافة تاريخية في مصير المسألة الكردية، لكنه يعلم ان الولايات المتحدة لا يمكن ان تخسر اصدقائها التقليديين في المنطقة، وإن لها مصالحها في المنطقة ومن الصعوبة بمكان ان تضحي الولايات المتحدة بهذه المصالح من اجل المسألة الكردية، أن الفكر البراغماتي الذي تؤمن به اميركا يرجح كفة المصالح على الكفة الأخلاقية، والولايات المتحدة ترى في مصالحها جزء مكمل للاخلاقية السياسية، وانطلاقاً من المصالح ايضاً ينبغي ان نؤمن بأن أميركا قد تأخذ من كردستان (العراق) صديقاً حميماً ثابتاً وتستخدم القضية الكردية كورقة ضاغطة، وهكذا كان البارزاني يتلهف لفتح قنوات اتصال مع مختلف الدول إلا ان فتح مثل هذه القنوات مع الولايات المتحدة يحمل اهمية خاصة بحسابات البارزاني البراغماتية.

اجل للعلاقات مع الأتحاد السوفياتي تحمل اهمية كبيرة لكن تجربة مهاباد كانت حاضرة في ذكريات البارزاني حينما تخلي الأتحاد السوفياتي عنها مقابل إبرام عقود للنفط مع الحكومة الأيرانية.

المهم في هذه العلاقات في هذه المرحلة أي مرحلة مجئ نظام البعث ثانية لحكم العراق كانت علاقات الثورة الكردية جيدة مع ايران مقابلترديها مع النظام العراقي الجديد، وسوف تلقى هذه العلاقات بظلالها على مصير الثورة الكردية كما سياتي في فقرات قادمة من هذا الفصل.

بدء القتال

في مسعى لجذب انظار الرأي العام الدولي ولأيصال رسالة للحكومة العراقية مفادها ان يد الثورة طويلة، لجأت قيادة الثورة الى عملية جريئة لضرب منشآت النفط في باباكَوركَور (كركوك)، وكان مثل هذه العملية يتطلب تحضير مسبق وافٍ وإمكانات لوجستية من وسائل النقل واتصالات وأسلحة ضرورية مناسبة للعملية لقد عهدت قيادة العملية لتنفيذها الى محمد محمود عبد الرحمن (سامي) ويعاونه كل من فاخر الميركسوري وفارس باوه وحمه سور حسين، وعزالدين قره محمد وعريف درويش والكادر الحزبي قادر جباري.

لقد توفر للثورة اسلحة ومدافع هاون مختلفة وكان لها دور كبير في إرباك القوات



مجموعة من البيشمركَه تتدرب علي مدفع مضاد للدروع

الحكومية وكانت عملية بابا كَوركَور واحدة من هذه العمليات، وهي من العمليات الصعبة من الناحية اللوجستية فإن موقعها في ارض منبسطة يتطلب نقل معدات واسلحة من مناطق نائية عبر مسالك جبلية وعرة وينبغي الأنسحاب في الوقت المناسب قبل بزوغ الفجر، وهكذا بدأت العملية في الساعة التاسعة مساءً من يوم الأول من آذار ١٩٦٩ وتركزت العملية علي قصف منشآت النفط وتصاعد لهيب النار في السماء واستمر القصف حوالي الساعتين وفي الساعة الحادية عشر ليلاً ارسل محمد محمود (سامي) برقية تفيد بأن العملية قد تمت بنجاح وكان رمز العملية (روبار)[٦]. بعد ذلك انسحبت قوات البيشمركَه من ساحة المعركة، وحامت في السماء الطائرات العسكرية مقتفية اثر الثوار لكنها لم تفلح في العثور على اثر للمهاجمين.

نفذت الثورة في هذه الفترة عدة عمليات لكن واحدة من العمليات النوعية كانت تلك التي استهدفت معسكر سد دوكان وأريد ان يكون لهذه العملية الوقع والصدي علي الرأي العام المحلي والدولي كالذي احدثة تنفيذ عملية بابا كَوركَور، ولقد جري تنفيذ الهجوم الذي قاده كل من عزيز عقراوي ورشيد سندي ليلة ١٩ ـ ٢٠ / ٩ / ١٩٦٩ ولقد احرزت قوات البيشمركَه النصر في البداية حينما تمكنت من احتلال المعسكر لكنها ارتكبت خطاً فادحاً حينما تركت طريق الذي يربط بين الدوكان والسليمانية مفتوحاً حيث تسللت منه الدبابات لتداهم المعسكر وترسل حمماً من مدافعها ورشاشاتها لتحصد البيشمركَة والجنود على حد سواء وكانت خسارة كبيرة للثورة.

صوريا قرية كلدانية نائية دخلت التاريخ

قبيل الحديث عن قرية صوريا ينبغي الأشارة الى احداث دامية تعرضت لها قرية عراقية اخرى هي داكان الواقعة ضمن قضاء الشيخان وتبعد حوالي ١٠ كيلومترات الى الغرب من القوش، ويبدو ان النظام العراقي اراد لهاتين القريتين داكان وصوريا ان تكونا عبرة ودرساً قاسياً لمن تسوّل له نفسه وكل قرية يشك النظام في موالاتها للحكومة.

في اواسط شهر آب ١٩٦٩ قامت الفرقة الرابعة بهجوم على منطقة شمكان لكنها فشلت في هجومها وعرجت بعض قطعاتها علي بعض القري لدي انسحابها وكانت داكان، التي يسكنها اليـزيدية، احدى هذه القري وكان اهل القرية قد تركوها تفادياً لقصف الطائرات ورمي المدفعية، وقد لجا الأهالي الى كهف قريب، ولما عرف الجيش بذلك عمد الى جمع الحطب والأعشاب الجافة وأشعل ناراً كبيرة في فوهة الكهف فكان مصير من بداخله الأختناق ومن حاول الخروج كان يصرعه الرصاص وهكذا قضي من بقى داخل الكهف حرقاً واختناقاً وكان عدد ضحايا هذه المجزرة سبعة وستون بريئاً من نساء وأطفال.

اما تاريخ ١٦ من شهر ايلول ١٩٦٩ كان موعداً لمجزرة أخرى في قرية صوريا النائية وهي من اعمال قضاء زاخو موقعها في المثلث الحدودي بين تركيا وسورية والعراق، وتعود ملكية هذه القرية لعزيز آغا ابن ياقو آغا وهو من اشراف منطقة زاخو في مطاوي الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي وكان من ضمن املاكه الأراضي الواقعة في المثلث الحدودي بين العراق وسورية وتركيا، فكان يملك سبع قرى واحدة منها قرية صوريا التي كان يسكنها اعداد متقاربة من المسيحيين والمسلمين وهي مشهورة بزراعة الحنطة والشعير إضافة الى السمسم والبقول والخضراوات المختلفة ثم تطورت القرية الى زراعة الأشجار المثمرة وتربية قطعان المواشي والأبقار وكان يدير شؤون القرية المختار حمو المسيحي الذي عرف بحسن تدبيره والذي كان موضع احترام الجميع.

ونقتبس عن القرية من الكاتب المرحوم يونان هرمز وقرية صوريا هي مسقط رأسه ويفيدنا هذا الكاتب ان المسيحيين والمسلمين كانوا يعيشون كعائلة واحدة. وبمناسبة عيدي الميلاد والقيامة يأتي كاهن من القرى المجاورة لاقامة القداس وبعد ذلك يتجمع اهل القرية من مسلمين ومسيحيين زمراً صغيرة ويقصدون دار المختار للتهنئة بالعيد فتدور اكواب القهوة والشاي مع الحلويات وتنشغل النسوة في اعداد الطعام لكل اهالي القرية، وفي عيدي الفطر والأضحي يحصل ما هو شبيه بهذا، فكان المختار خمو يتقدم الرجال المسيحيين الى بيت كل عائلة مسلمة لتقديم التهاني والأشتراك في الطعام لدى إحدى العوائل الكبيرة. وفي موسم



هرمز يونان الرجل الثاني الي يمين البارزاني وهو مؤلف كتاب ايامي
في ثورة كردستان

الحصاد.. كان اهل القرية يتبرعون بيوم عمل واحد للمختار خمو ويدعى هذا العمل (زبّارة)[٧].
إن هذا العمل المجاني يكافئة المختار بتدبير امور القرية وتمشية المعاملات الحكومية وغير ذلك من الأعمال الأدارية للقرية.

كانت صوريا مثالاً لتعايش التنوع الديني والقومي والمذهبي وهي تتطلع الى إدخال المكننة الزراعية والزراعة الحديثة لهذه القرية النائية، أجل إنها قرية وادعة بعيدة عن مشاكل العالم، لها مياهها وطبيعتها الجميلة وأرضها الخصبة وليس هنالك ما يعكر صفو هدوئها إنها الحياة الريفية الهادئة التي يعشقها كل من يريد ان يعيش في كنف الطبيعة بعيداً عن صخب المدينة.

القرية تعيش حياتها الروتينية المألوفة ولا احداث مثيرة تغير ايقاعها اليومي، لكن في صبيحة يوم من أيام الصيف عام ١٩٦١ قدم الى هذه القرية مجموعة من الرجال يقدر عددهم بحوالي خمسين شخصاً، وقد اخبر موسي وهو كادر الحزب الديمقراطي الكردستاني في القرية زميله خمو مختار القرية قائلاً:

ان هؤلاء هم اللشكر، فنظم اهل القرية استقبالاً حافلاً لهم وكان هنالك شباب من القرية انضموا الى صفوفهم، وهكذا كانت هذه المجموعة يزداد عددها من المتطوعين من القرية وكان يكبر حجمها مثل كرة الثلج كلما انتقلوا من قرية الى أخرى، ولا احد من هؤلاء الشباب المتطوعين يستطيع التكهن بما يخفيه القدر لهم من أحداث في قابل الأيام اما قرية صوريا فقد كان ذلك اليوم هو يوم البداية مع الثورة والذي سيستمر ويصل الى ايام دامية.

كانت هذه بداية قرية صوريا مع الثورة الكردية وقد امتد بها الأمر بعد كبقية القرى الكردية

في تقديم الأرزاق والمقاتلين لرفد الثورة الكردية لضمان سيرورتها. لم تكن الحكومة راضية عن سلوك القرية فعمدت الى أحراقها بيوتها عدة مرات، لكن في المرة الرابعة كانت عقوبتها اشد أيلاماً وأكثرها انتقاماً كما سيتضح في الأسطر التالية.

بعد انتهاء القداس الذي اقامه الأب حنا قاشا يوم الأحد الموافق ١٦ ايلول ١٩٦٩ انتقل القس وبعض مرافقيه الشمامسة وأهل القرية الى بيت المختار خمو. في صباح هذا اليوم ايضاً كانت هنالك قوة عسكرية قوامها ٤ سيارات عسكرية في طريقها الى فيشخابور حينما انفجر بهم لغم ارضي اودي بحياة احد افراد القوة مع جرح عدداً منهم وقد زرع اللغم بالقرب من قرية صوريا.

على اثر هذا الحدث توجهت القوة الى قرية صوريا وجمع الأهالي في بستان صغير ثم ذهب الجنود الى دار خمو المختار وجئ بكل الذين كانوا في الدار بضمنهم القس حنا الذي شجعهم على الذهاب قائلاً انه سيتفاهم مع ضابط المفرزة، لكن الذي حدث كان فوق مفهوم التفاهم فقد أخذ الضابط عبد الكريم الجحيشي بإعداد غدارته الكلاشنكوف للرمي العشوائي على الأهالي المدنيين الحاضرين، وفي هذه الأثناء يقول الكاتب يونان هرمز ان ليلي بنت خمو قفزت علي الضابط لكي تنتشل منه غدارته لايقافه عن ارتكاب المجزرة، لكن الضابط اسرع الى رميها من مسدسه فصرعها في الحال وعكف على الرمي العشوائي علي الحاضرين ولم ينج من هذه المجزرة الا من وقع تحت الجثث، وإمعاناً في الأنتقام اشعلت النار بسياج البستان لكي لا ينجو احداً من المجروحين.

نبقى مع يونان هرمز الذي يقول: صرعت راحيل زوجة منصور يوسف وهي تحمي رضيعها بجسدها، وصرع القس حنا يعقوب قاشا راعي كنيسة أفزورك (وقدم الى هذه القرية ضيفاً ليقيم القداس فحسب وبعد ذلك يعود الى كنيسته، لكن الحدث الدامي كان ينتظره - الكاتب)، والشماس اوراها وابنه جوزيف وبنته وارينة وصرع المختار خمو وزوجته كترينا وابنته ليلى، ويضيف الكاتب قوله: صرع عمي موسي وهو كادر الحزبي في القرية وكذلك اخي الأصغر الصبي نجيب، وكذلك اخي الشاب كوريال الذي وصل لتوه من زاخو لمتابعة معاملته لدخول الجامعة في بغداد، كما صرعت (يونو) مع طفليها الصغيرين وصرعت شوني زوجة شابو وابنها امجد مع ابنتها جميلة، وكذلك صرع الطفلان ياقو بن ايليا وناجي بن كوركيس والشاب يلدا وابنته الصغيرة باسمة وصرع كليانا مرقس الرجل الشغول الدؤوب.

ودائما نبقى مع الكاتب يونان هرمز وهو ابن القرية فيضيف: صرعت زوجة اوسماني فيرو مع ابنتيها صبيحة وفيروز ودفنت هذه الأخيرة في القبر الجماعي لشهداء صوريا.. وصرعت ايضاً قمري وابنتها نادرة وشيرو زوجة علي ايسف خجا وابنتها، وكذلك اثنتان من بنات محو

باتيلي، وسقط ضعف هذا العدد من الجرحى، لقد سربت الحكومة خبراً مفاده ان القس حنا قاشا توفي نتيجه نوبة قلبية مدعية ان الخبر نشرته بطريركية بابل للكلدان. ويقول شاهد عيان وهو اخو الكاتب بطرس الذي اصيب بإطلاقات في جسمه يقول بطرس:

كنا على اهبة الأستعداد للهرب لكننا وثقنا في كلام القس من انه سيشرح للضابط ان اهالي القرية فلاحون بسطاء لا يعرفون شيئاً عن الألغام، وهم اناس مسالمون لا شأن لهم بما يجري.. ويقول بطرس كنا نعتقد ان الضابط سيسألنا عما إذا كنا نعلم من وضع اللغم.. كان يتقدم الجميع القس حنا والعم خمو فباتوا اولى الضحايا وقتلت ليلى لأنها حاولت ايقاف الضابط من الرمي وقتل معها اخي كوريال.. وبعد ان سقط الجميع بين قتيل وجريح احرق الجنود سياج البستان لكي لا ينج احد من المصابين فأخذوا يقتلون من يصادفوه وبقروا بطون بعض النساء وقتلوا الأطفال الرضع في المهد بالحراب. وعن مادلين اخته التي تبلغ من العمر يومئذٍ عشر سنوات والتي افادت بنفس المعلومات وأضافت: تهاوي الجميع على الأرض بين قتيل وجريح وقد حاول بعضنا التخلص لكن الجنود منعونا من الهرب وتعالت الصراخات وتعالي الأنين من كل جهة، تكدس بعضنا فوق بعض مثل حزم الحصاد كباراً وصغاراً. شعرت بإصابتي بعد لحظات وعلمت ان امي قد صرعت وهي تحمل اخي الصغير نجيب الذي اخترقته الرصاصات.. وتمضي الصبية التي تبلغ من العمر عشر سنوات: ورأيت راحيل زوجة منصور يوسف تخترقها عدة رصاصات وهي تحاول ان تحمي طفلها الرضيع فقتلت ونجا الطفل بأعجوبة وسط صراخه وعويله (ما زال حياً يعيش في كندا) وشعرت بعطش غريب وبانهيار قواي.. تسللت من بين الجرحى والدماء تلطخ ثيابي وتنزف مني بغزارة حاولت الزحف الى الساقية القريبة وألقيت نفسي فيها لأطفئ عطشي ومكثت فيها حيناً حتي جاءني اخي الأكبر فحملني على ظهره بمساعدة اخي الجريح ايضاً الى اقرب قرية. وبينما نحن ماضون وجدنا بعض الأطفال ومعظمهم دون العاشرة وقد تيتموا وتشردوا ينوحون ويبكون.. (لمزيد من التفاصيل راجع يونان هرمز: ايامي في ثورة كردستان ص ٧٥ ـ ٩١ وكذلك كتاب الأستاذ مسعود البارزاني الجزء الثالث ص ٢١٥ ـ ٢١٦).

من قراءة اسماء الضحايا لا يمكن ان يشترك هؤلاء بوضع الألغام على الطريق، وزرع اللغم بالذات يحتاج الى خبرة ودراية والملازم الأول المسؤول عبد الكريم محمد الجحيشي يعلم هذا الأمر جيداً، وجيداً ايضاً يعرف ان زارعي اللغم هم من قوات البيشمركه، وهو لا يتجرأ علي الأنتقام منهم، بدلاً من ذلك فتكوا بتسعة وثلاثين من اهل القرية بينهم عشرين من النساء والأطفال وبعدد مماثل من الجرحى، كان هذا العمل الجبان بديلاً فكان الأنتقام من الناس الأبرياء من النساء والأطفال، وهو يعلم علم اليقين انهم ابرياء، ولهذا كان يجب ان يقدم الى

المحاكمة لارتكابه هذه الجرائم لكن يبدو ان عمله الأجرامي كوفئ بترقية حسب ما يورد يونان هرمز ص ٨٨ حول الأحداث الدامية في صوريا.

ينبغي الإشارة هنا انه تأسس عام ٢٠٠٩ الأتحاد العالمي للكتب والأدباء الكلدان، واستطاع هذا الأتحاد في باكورة اعماله من تسليط الضوء على تلك المذبحة، وسلطت اضواء من جهات متعددة على ذلك الحدث، واتفقد اعضاء الأتحاد ان يكون يوم المذبحة الموافق ١٦/ ٠٩ / ١٩٦٩ يوم الشهيد الكلداني.

التمهيد للحوار

في كل مرة كانت المفاوضات تشكل مرحلة مهمة لالتقاط الأنفاس من فصائل البيشمركه او القوات الحكومية، وكل طرف يستفيد من هذه المرحلة بطريقته الخاصة وفي مجمل الأوضاع غالباً ما تشكل هذه المفاوضات والتي تتخللها بعض المساومات، ولكنها في نهاية المطاف استعداد لبداية معارك جديدة ولمعاودة فصل آخر من فصول المعارك والعنف والقهر.

من عوامل اللاستقرار في العراق المعاصر كان مبدأ تقسيم السلطة والثروة بين مكونات المجتمع العراقي المبني على التعددية، وتنجلي صورة منها في التعددية المذهبية لوجود جماعتين اسلاميتين رئيسيتين، السنة والشيعة وثمة التنوع الديني بين الأكثرية المسلمة والأقلية المسيحية مع الأيزيدية والصابئة المندائيين، ولعقود خلت كانت التعددية القومية التي افرزت جملة مصادمات لرموز القومية العربية الأكثرية والأكراد فضلاً عن قوميات اخرى صغيرة كالكلدانيين والتركمان والآشوريين والسريان والأرمن.



البارزاني والي يمينه عزيز شريف وملازم خضر، في حاج عمران شتاء عام ١٩٧١

للجماعات الرئيسية لمكونات المجتمع العراقي امتدادات اقليمية خارج الحدود السياسية للدولة العراقية فعلى محور التعددية المذهبية، فإن المسلمين السنة في العراق لهم امتدادات في الدول المحيطة شمالاً وشرقاً وجنوباً والمسلمون الشيعة لهم امتدادات بشرية في ايران والخليج. اما محور التعددية القومية فالمكون العربي له امتدادات قومية على طول الوطن العربي والجماعات القومية الكردية لها امتدادات بشرية في كل من أيران وتركيا وسوريا وهي جميعاً ذات حدود مشتركة مع العراق، هذه التعددية الداخلية بمحوريها القومي والمذهبي كفيلة وحدها بتعقيد بنية المجتمع العراقي وبتعويق عمليات الأندماج الأجتماعي والسياسي اللازم لبناء دولة عصرية. فإذا اضفنا الى ذلك تعقيداً على تعقيد، وتجعل عمليات الأستقرار الأقليمي وحسن الجوار، وهما ايضاً لازمان لبناء دولة عصرية، أمراً مشوباً بالقلق والصعوبات[٨].

إن التعامل مع التعددية في المجتمع العراقي بشكل سلمي سبيله القويم هو في النهج الديمقراطي الذي يضمن الحقوق للفرد العراقي، ويجري انتقال السلطة بطريق الأنتخابات الديمقراطية الحرة النزيهة، ويعمل على توزيع الثروة للمكونات العراقية بعدالة وشفافية. فإن غابت الديمقراطية أصبح من العسير احقاق العدالة المطلوبة، فتكون حصة الأسد من نصيب الأقوي في المجتمع العراقي، ومن غياب العدالة والشعور بالغبن يتصاعد دخان النزاعات والصراعات، هكذا كانت المفاوضات في مختلف مراحلها مع الحكومات المتعاقبة كانت تشكل فسحة لاعداد وتهيئة للقيام بجولات عسكرية جديدة نتيجة لشعوب بهذا الغبن بحق تلك المكونات الضعيفة.



صدام حسين يتحدث الي البارزاني (حاجي عمران سنة ١٩٧٠)

المسألة الكردية لها جذور تاريخية وامتداد جغرافي وكانت هنالك دائماً طموحات قومية كردية يتجمع تحت لوائها شرائح كبيرة من الشعب الكردي إن كان من الطبقات المثقفة كالموظفين والطلاب او من الفلاحين او من زعماء ورؤساء العشائر او رجال الدين وغيرهم ويحدث ذلك سواء في العراق او تركيا او ايران. إن الطموحات تتبلور في نهاية المطاف حول توحيد ارض كردستان في هذه الأقطار وليمارس الشعب الكردي حقه في تقرير المصير وفي تأسيس دولة كردية مستقلة ترتبط بحسن الجوار مع الجيران ويكون لها شأنها المستقل كالدولة العربية والفارسية والتركية

نخب كثيرة من الأكراد تدرك صعوبة تحقيق هذا الهدف على الأقل في الظرف الحالي فقد اكتفي الاكراد بمنهجية الحكم الذاتي الذي يعطي الحد الأدنى من الأستقلالية. إن الحركة الكردية دأبت على المطالبة باهداف مرحلية وهي الحصول على اكبر قدر ممكن من المكتسبات في المحافظة على الثقافة الكردية وحكم ذاتي ومواقع ومسؤوليات في الحكومة المركزية مع المطالبة بتنمية الأقاليم الكردية في الدول التي يعيش فيها الأكراد. إن الأكتفاء في هذا الإطار من المطالب في الحقبة المحصورة بين الحربين العالميتين بسبب إدراك القيادات الكردية استحالة نيل اهدافها الأستراتيجية في ظل التوازنات الأقليمية والدولية التي سادت المنطقة طيلة هذه العقود.

ويقول الدكتور سعد الدين ابراهيم ان هذه الأهداف هي محور النضال القومي الكردي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ولم ترتفع بشكل جدي أي اصوات او حركات كردية ذات وزن يذكر، تطالب بالأنفصال، او سلخ الأقاليم الكردية من الدول التي توجد فيها هذه الأقاليم طوال العقود الأربعة الماضية[٩].

ان الحكومات العراقية المتتابعة اعترفت بشكل وآخر بالحقوق القومية الكردية وبحقوق الأقليات منذ ميلاد الدولة العراقية الحديثة في ظل الحماية البريطانية،وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أفردت مادة خاصة وهي المادة الثالثة من الدستور المؤقت تنص صراحة على احترام حقوق الأكراد ثم اعترفت بالقومية الكردية في اعلاناتها ومواثيقها وقد صدر الدستور في ٢٧ / ٧ / ١٩٥٨ أي بعد حوالي اقل من اسبوعين من ثورة تموز. وتكرر هذا الأعتراف الصريح والتوسع فيه وتحول الى اقتراح بنود دستورية اجرائية محددة في اتفاق ١١ آذار ١٩٧٠ وقد اعترف الدستور المؤقت الصادر في ١٧ / ٧ / ١٩٧٠ ببنود فيها الأقرار بمبدأ الحكم الذاتي لكردستان العراق ومشاركة الأكراد في السلطتين التشريعية والتنفيذية وتعيين كردي بمنصب نائب رئيس الجمهورية.



في السفارة السوفياتية في بغداد سنة ١٩٧٠

من اليمين: نافذ جلال، مسعود البارزاني، السفير السوفياتي فيدونوف، عزيز شريف، مبعوص موسكو الخاص، ادريس البارزاني، يفكيني بريماكوف، فؤاد عارف، الدكتور مراد

من جملة المشاكل التي اعترضت سبيل التقدم والنهوض في العراق كانت المشكلة القومية ويقول الكاتب عدنان حسين في مقال له في موقع صوت العراق:

ان المعضلة الخطر التي بقيت مهددة لكيان العراق كانت المعضلة القومية، فالعراق بلد متعدد القوميات، بيد ان الدولة الحديثة ظلت دوماً دولة القومية الواحدة (العربية) التي انتهكت على نحو سافر حقوق سائر القوميات بل انها في ـ عهد البعث بالذات ـ سعت الى صهر هذه القوميات وتعريبها ثقافياً وجغرافياً. وهذا كان الهدف الحقيقي للحروب وحملات الأنفال التي شنت ضد الكورد والتركمان والكلـــدان والآشوريين. وكما سينجلي في سياق هذا الفصل.

كل الأمور تبدو مفرحة ومقنعة حينما تكون النصوص والقرارات مدونة علي ورق، لكن الشياطين تكمن كما يقال في التفاصيل وحينما تأخذ تلك النصوص والقرارات طريقها الى التطبيق، ترجمة الأقوال الى افعال. فحينما نقول يعين كردياً بمنصب رئيس الجمهورية، يطفر السؤال الذي يقول من هو هذا الكردي؟ الحكومة تفاوض الثورة بقيادة البارزاني، فهل تعين رئيس الجمهورية من فصائل موالية للحكومة ومعادية للثورة الكردية بقيادة البارزاني؟ في اعقاب الأتفاق المبرم مع القيادة الكردية في ١١ آذار جري تعديل وزاري وعين بموجبه عدد من الوزراء الأكراد وهم كل من صالح اليوسفي وزيراً للدولة ومحمد محمود عبد الرحمن (سامي) وزيراً لشؤون الشمال، ونوري شاويس وزيراً للاشغال، ونافذ جلال وزيراً للزراعة،

وإحسان شيرزاد وزيراً للبلديات، لقد أراد البكر إدخال اسم أدريس البارزاني كنائب لرئيس الجمهورية لكن البارزاني رفض هذا التعيين لكي لا يتولي أحد أبنائه منصباً حكومياً، ورشحت القيادة الكردية حبيب محمد كريم لكن الحكومة رفضت تعيينه بحجة انه من التبعية الأيرانية وبقي المنصب شاغراً الى عام ١٩٧٤ حيث عين طه محي الدين معروف الذي لم يكن له شأناً مؤثراً في القرارات الحكومية.

مبدئياً الثورة الكردية تريد ان يكون في هذا المنصب كردياً، وحينما يصار الى الألتفاف علي القرارات فإن الحكومة تعين شخصية كردية موالية للحكومة، لكن بما ان طرفي المفاوضات هما الحكومة والحزب الديمقراطي الكردستاني والملا مصطفى البارزاني فينبغي على الحكومة ان تطلب من المقابل ان يسمي عدة شخصيات كردية لهذا المنصب والحكومة تتفق علي واحد منهم، لكن كما قلنا ان التفاصيل هي المحك لاختبار النيات ولزرع الثقة او زعزعتها.

شتاء ١٩٦٩ بدا ثقيلاً ومثاقلاً في مجرى الأحداث لذلك العام، فالمعارك في منطقة سهل اربيل ومناطق اخري منها معركة مركَة ومعركة بيرمكَرون وجبل سورداش ومناطق اخرى حيث بات موقف الثورة من القوة بحيث انها ترمي الى بسط نفوذها على مناطق اخرى من كردستان مثل قرداغ وشوان وشيخ بزيني وكَرميان وغيرها، كان موقع الثورة يتعزز بمرور الوقت ويبدو ان حكومة البعث باتت تتيقن من انها عاجزة من حل المسألة عسكرياً ولا بد من التفكير جدياً بحل سياسي.



الرئيس احمد حسن البكر
يستقبل ادريس البارزاني
سنة ١٩٧٠

تسليط الأضواء على احداث عام ١٩٦٩ يكشف انها حبلى بأحداث تفاوضية واسعة والتي انجبت الحكم الذاتي لأقليم كردستان. في سياق الأتصالات بين الحكومة وقيادة الثورة الكردية كان، ثمة من وفد متألف من انور عبد الله وعبد القادر محمد امين ويمثل اتحاد طلبة كردستان، وكان في جعبته انه يحمل مقترحات من مرتضى الحديثي حول تصور مقترح لحل المشكلة الكردية والذي كان يقترح العودة الى بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ وكان من بين الذين اجتمعوا مع الوفد ادريس البارزاني الذي بيّن للوفد ان الثورة قطعت اشواطاً وينبغي الأنطلاق من ارضية جديدة مع الظروف المستجدة.

من جهته حاول النظام البعثي الجديد طى الورقة السوداء التي لازمته في فترة حكمه الأول للعراق بعد انقلابه في ٨ شباط ١٩٦٨ وأراد ان يفتح صفحة جديدة وكان حل القضية الكردية ضمن اجندته لنسيان الماضي الدموي في حكمه الأول.

في محاولات التمهيد لتهيئة ارضية مناسبة للحوار استدعي احمد حسن البكر السيد عزيز شريف، والذي كان يكنّ الصداقة والمودة للشعب الكردي وللبارزاني، قدم من القاهرة والأمل يغمره في ان يزرع بذور التفاهم والثقة في طريق يفضي الى حل سلمي لقضية الشعب الكردي، ولأكمال هذه المهمة وصل عزيز شريف الى كردستان في ٢٤ تشرين الأول ١٩٦٩ وأخبر القيادة بأنه استدعي من القاهرة واجتمع في بغداد مع احمد حسن البكر وقيادة حزب البعث وهم الذين طلبوا منه التوجه الى كردستان لمعرفة مدى استعداد القيادة الكردية للحوار، وأثر هذه الزيارة اجتمع البارزاني مع المكتب السياسي والمكتب التنفيذي واتفق على الأستعداد والموافقة على بدء الحوار، ولقد احيطت هذه الزيارة بسرية، وبعد عودته الى بغداد قفل راجعاً الى كردستان في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٦٩ وهو يحمل الرسالة الآتية:

إن النظام مستعد للبدء في الحوار. وهو يريد اولاً ان يبعث بمندوب عن القيادة القطرية ومندوب من مجلس قيادة الثورة ليتأكدوا من البارزاني والقيادة من نية الثورة في إجراء مثل هذا الحوار فعلاً. فهل هناك استعداد لاستقبالهما؟ ومتى؟ وأين؟ أبدى البارزاني استعداده للقاء، إلا انه ترك الزمان والمكان لاختيار النظام[١٠].

في هذه الفترة ايضاً كانت الصحف الرسمية كالثورة والجمهورية تنشر على صفحاتها الاولي المقالات الأفتتاحية التي تتكلم عن الحركة الكردية بوصفها حركة وطنية عراقية. وعلى النطاق الدولي كان الأتحاد السوفياتي السابق يبارك ويشجع الجهود التي ترمي الى حل المشكلة ويدعو الى انتهاز الفرصة الذهبية لمنفعة الطرفين.

انطلاق المفاوضات

في سياق تفعيل زخم المفاوضات وصل في ١٨/١/ ١٩٦٩ الى ناوبردان سمير عزيز النجم عضو القيادة القومية للبعث وكان برفقة كل من عزيز شريف وفؤاد عارف وحلوا ضيوفاً على البارزاني، وقد بين النجم ان الحكومة ترغب في حل المشكلة الكردية علي اساس التفاهم مع قيادة البارزاني، وتطرق الى الأخطاء السابقة للبعث وكانت نتيجة قلة التجربة، وإن حزب البعث توصل الى قناعة مفادها ان السبيل الأسلم لحل المعضلة الكردية هو التفاهم مع قيادة البارزاني. بعد إجراء المزيد من المداولات غادر الوفد بعد يومين الى راوندوز ومنها الى كركوك ثم بغداد وكان يرافقه في طريق العودة دارا توفيق الذي أراد سماع آراء قيادة حزب البعث ومسؤولي السلطة بشأن القضية الكردية، وكان دارا توفيق بعد لقائه في بغداد بقيادات من حزب البعث ثم رافق مرتضى عبد الباقي الى بيروت حيث التقى ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث، ويفيد دارا توفيق ان الجميع كانوا متجاوبين ومتفقين على الحل السلمي للمسالة.

من الوفود الحكومية المهمة في هذه الفترة كان ايضاً الوفد الذي يقوده حردان التكريتي وسعدون غيدان وزيرا الدفاع والداخلية علي التوالي وعقدت المفاوضات في ناوبران وقد حضرها البارزاني نفسه وقد طفرت الخلافات على السطح في هذه المفاوضات حيث كانت مدن كركوك وسنجار وخانقين محل خلاف بين الطرفين في ان الوفد الحكومي يعتبرها عربية في حين ان الجانب الكردي يعتبرها جزءاً من كردستان.

كانت الدعايات في تلك الأيام تلقى سوقاً رائجة فكل واحد يرى المستقبل بالشكل الذي يتصوره. مرت ايام سافر بعدها وفد من الثورة الكردية الى بغداد عن طريق راوندوز برئاسة محمود علي عثمان وعضوية سامي ودارا وبعض الشخصيات الكردية الأخرى.. وبعد العودة كان الوفد متفائلاً من تقدم المفاوضات ومن استعداد الحكومة للاستجابة لمطالب الثورة الكردية ولسان حالهم يقول ان البعث باعتباره حزباً قومياً يسارياً يتفهم القضية الكردية وله استعداد كامل لحلها جذرياً في العراق لانه اقل عنصرية من الفئات القومية التي قفزت الى دفة الحكم بالأنقلابات العسكرية منذ عبد الكريم قاسم[١١].

في هذه المرحلة كان نجم صدام حسين آخذاً في التألق وما ستتمخض عنه الأيام والسنين هو ان صداماً سيكون محور تطور الأحداث الدرامية في العراق وفي المنطقة، في هذه المرحلة كان صدام يشغل منصب نائب امين سر القيادة القطرية ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة ويبدو انه صاحب الكلمة الأولى والاخيرة، وأثناء حديثه مع دارا توفيق في بغداد سأله صدام حسين:

ما الذي لا يجعلكم تسألون عن الحكم الذاتي؟

فيجيبه دارا توفيق: أأنتم مستعدون لسماع هذه الكلمة دون ان تستفزكم؟

في هذه الأثناء كان دارا كغيره من المندوبين الأكراد يشيد بالحفاوة والتجاوب الذي تبديه الأوساط الحكومية، وإن وفداً رفيعاً سيأتي الى المنطقة علي ان يكون مجيئه في آخر يوم من أيام سنة ١٩٦٩م.

يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٩ كتب دارا توفيق تقريراً مفصلاً للبارزاني عن لقاءاته مع المسؤولين ونقتبس بعض ما ورد فيه فيقول:

حال وصولي الى بغداد اجتمعت بالسيد صدام التكريتي، بعد ذلك زارني اعضاء القيادة القطرية وبعض اعضاء مجلس قيادة الثورة وفي اليوم التالي اجتمعت مع الرئيس احمد حسن البكر لمدة قصيرة.. اجتمعت مرة اخري بصدام وسوف اسافر اليوم برفقة مرتضى الحديثي الى بيروت للاجتماع مع الأستاذ ميشيل عفلق.. وقد كان الأخوان يلحون على بالسفر بعد يوم من وصولي، إلا اني ارتأيت إطالة مدة بقائي للتعرف على آراء المسؤولين ومعرفة ما بداخل نفوسهم.. فيما يتعلق الضمانات لاجل المحافظة على الأتفاق بيننا لا زالت غير كافية ومنحصرة في ايجاد مجلس وطني يكون له سلطة تشريعية وفي مدة قصيرة..

اما ما يتعلق بمسألة الفرسان ومستقبل جماعة جلال الطالباني، فإنهم موافقين على ان نكون الطرف الوحيد في الأتفاق والحزب البارتي يكون الحزب القائد في المنطقة الكردية ولهم تقييم إيجابي لشخص البارزاني.. فيما يتعلق بتمويل الأنصار خلال مدة المفاوضات فإنهم موافقين مبدئياً. اما فيما يتعلق بالسجناء الموجودين في سجون الجلاليين فقد التزموا بأنهم سوف يحولون الى سجون الحكومة او الحكومة ستحافظ عليهم من تاريخ ٢٢ / ١٢ اما الشهداء فسيخصص للضباط والجنود رواتب تقاعدية كشهداء الجيش. وما يتعلق بالمحافظات والتوظيف والأدارات وتبديل الدستور وغيرها فهم متساهلين ويبدو ان هناك في فكرهم خطة لاجل اقتسام الحكم بيننا وبينهم، وعدم الأهتمام الكافي بالقوى الأخرى. ويمضي داراً في تقريره الى القول:

إن تحرياتي الأساسية هي حول:

ـ هل إن التغيير الحاصل في سياسة البعث تجاهنا هو تغيير أصيل في تفكيره ونظرته لسياسة البلد. أم هو تكتيك سياسي ام هو خداع لنا؟

ـ مقدار شعبية النظام الحالي وإمكانية بقائه في الحكم. لقد استطعت ان اكون بعض الآراء حول الموضوع وسوف اخبركم بالتفاصيل لدي رجوعي قريباً.. هناك الكثيرين من الذين يعتقدون بأن البعثيين صادقين في تقربهم منا، وقسم يعتقد ان تقربهم ناتج عن اعتراف اصيل

بالحقوق القومية، وقسم يقولون بسبب فشلهم العسكري، وتفكيرهم لجعل العراق منطلقاً لسيطرة البعث على جميع البلدان العربية.. إن محادثاتي معهم صريحة جداً، وإني اتكلم معهم بصدق وإخلاص وخاصة ما يتعلق بعلاقاتنا الخارجية، وعن طموحنا القومي فيما يتعلق بالأجزاء الأخرى من كردستان وضرورة تجاوز بيان ٢٩ حزيران. ومن جانبهم يقولون ان مشكلتهم السياسية انهم لا يثقون بنا، وإذا جرى الأتفاق سوف يتجاوبون مع هذه الأماني.

يضيف دارا توفيق قوله:

ان صدام هو الشخصية القوية في الحزب، وقد سالته في الأجتماع هل صحيح ان اسم أخيه برزان؟ فقال نعم وقد سميناه على اسم الكاكه ملا وثورته في سنة ١٩٤٥ ثم سألته: إذن لماذا انقلبت الحقائق فأصبحت الثورات البارزانية كلها حركات من قبل الأستعمار؟

فقال: إننا أيضاً نعرف بأن ما نقوله ليس صحيحاً، ولكن هذا كلام الصحف والجرائد انتم تتهموننا بالعمالة ونحن ايضاً نتهمكم بالعمالة. وهناك نقطة مهمة جداً وهي مسألة إيقاف إطلاق النار، ويبدو ان الأخوان يركزون على ضرورة توقفها الآن.. وهم مستعدون لابعاد جماعة جلال والفرسان عن مناطق الأحتكاك وإبعادهم من الجبهة على ان يحل محلهم وحدات من الجيش بصورة مؤقتة، كشرط لوقف إطلاق النار..التقينا مع الشيوعيين ايضاً. واتوقع ان يوجه القائم بالأعمال السوفياتي دعوة الى الأخ صدام وأنا والسيد عزيز شريف الموجود خارج العراق[١٢].



مفاوضات عام ١٩٧٠ من اليمين الجالس حبيب محمد كريم، الواقف مسعود البارزاني، مع لفيف من اهالي قرية جومان والآن قضاء جومان

في السابع من كانون الثاني ١٩٧٠ توجه وفد كردي مؤلف من الدكتور محمود عثمان ونوري شاويس ومحمد محمود عبد الرحمن وصالح اليوسفي ونافذ جلال ومحسن دزيي ودارا توفيق لكي يحمل مقترحات الثورة لحل المشكلة الكردية، وفي فترة تواجد الوفد في بغداد كان صدام حسين في رواندوز وأبدي رغبته في زيارة البارزاني ويقول مسعود البارزاني عن مستقبلي صدام انني توجهت مع علي عبد الله وحبيب محمد كريم وشفيق آغا الى بَرزيوه لاستقباله والموفد المرافق له المتكون من سعدون غيدان والدكتور عزت مصطفى وزير الصحة والعميد اسماعيل تايه النعيمي قائد الفرقة الثانية والعقيد الركن طارق توفيق آمر اللواء الثاني، وبرزان التكريتي الأخ غير الشقيق لصدام ومرافقه الخاص صباح ميرزا. أي ان الوفد قدم دون ان يرافقه عضواً من الوفد الكردي المفاوض الموجود في بغداد. ويضيف مسعود البارزاني ان صدام بعد تناول العشاء بدأ المحادثات بقوله:

جئت لاسمع شكوى أبي أدريس (يقصد البارزاني) وليسمع بدوره شكواي. إني جئت لأعقد اتفاقاً معه لا مجرد عقد كما كان الشأن مع من سبقنا. ثم طلب ان يجتمع على انفراد. فلبى طلبه وبقيا وحدهما معاً مدة ثلاث ساعات، ثم قال البارزاني لنا بعد ذلك معيداً بعض الحديث يقول:

طلب مني صدام ان اكون عوناً له ليتقوى مركزه في القيادة عندهم، وإنه مستعد ان يحل المشكلة الكردية على اساس الحكم الذاتي. وقطع علي نفسه عهداً بنزع سلاح المرتزقة كافة ودون تمييز، وطلب منا عدم التعرض لهم بسوء بعد نزع سلاحهم، ومما قال ايضاً إننا لا نطالبكم بتسليم الأسلحة الخفيفة بل مستعدون لاعطائكم كل ما تطلبون منها. إلا اننا نتوقع منكم ان تسلموا لنا الأسلحة الثقيلة بعد توقيع الأتفاق. ووعد بأن يحتفظ بقسم من البيشمركًه باسم حرس الحدود[١٣].

في هذه الزيارة كان لنا شاهد عيان آخر وهو يونان هرمز الكادر الحزبي في الحزب البارتي والمترجم الذي التحق بالثورة وسطر قلمه بعض تفاصيل هذه الزيارة.

في قرية ناوبردان المتواضعة لم تكن اماكن متيسرة لاستقبال الوفود ولما كان البيت الذي يسكنه يونان وزملائه احسن البيوت في القرية أبلغوا بوجوب إخلائه وفرشت الارضية بالسجاد الأيراني ووضعت فيه بعض الاثاث.

كانت الزيارة في شتاء قارص وبالتحديد في اعياد رأس السنة الميلادية عام ١٩٧٠ فقد هبطت ثلاث طائرات هيليكوبتر في اماكن مهيأة لها بين ناوبردان وجومان، وبعد هنيهة كان صدام التكريتي يرافقه أدريس ومسعود والدكتور محمود يدخلون بيتنا ثم دخل الوفد

الحكومي المرافق لهم وكانت كلمات الترحيب بالوفد وقبيل وصول البارزاني ناوبردان كانت قوة من حرسه الخاص قوامها ٥٠٠ مقاتل قد طوقت المنطقة من باب الأحتياط ولاحباط اية محاولة او خدعة حكومية.. وفي تلك الأثناء رأينا ملا مصطفى البارزاني يدخل البيت لا يحمل من السلاح سوى خنجره ومسدسه وقد دس اطراف سرواله الخاكي في ساق جوربيه الصوفيين وهو يبدو كفلاح بسيط، في الغرفة الأولى التي دخلها البارزاني كان يجلس مرافقو الوفد من الضباط ونواب الضباط والجنود فسلم عليهم وصافحهم واحداً واحداً ويقول الكاتب إنني سمعت أحدهم يهمس لصديقه فيقول:

ولك هذا هو الملا!

فقاطعه زميله الآخر: معقولة، الملا يجي يحجي ويانا؟

فقلت لهما: نعم هذا هو الملا!

دلف الى الغرفة الثانية حيث كانت تعبق بدخان السكائر وحينما اتخذ مجلسه وبعد عبارات الترحيب كنت اسمع صدام يقول له اين كنت حتي الآن؟ فأجابه البارزاني: وصلت ناوبردان في نفس الوقت الذي وصلتموها ولكني دلفت الى خيمة قريبة وأديت فريضة الصلاة ثم جئت.

بعد ذلك خرج صدام حسين والبارزاني متلازمين بالأيدي وتوجها نحو غرفة الحراس المرافقين، وأضطر هؤلاء الى مغادرة الغرفة والوقوف في البرد وأمام عتبة الغرفة كان صدام يقول للبارزاني:

تفضل مولانا.

ولكن البارزاني نكص قائلاً له:

تفضل انت الضيف.

وهكذا دخلا الغرفة وجلسا على السرير الذي انام عليه، وبقيا وحدهما في الغرفة اكثر من ساعة ولم يسمع احد ما دار بينهما سوى كاك حمه عزيز لانه كان واقفاً بالباب يحرس البارزاني، ثم خرجا ليكملا المحادثات في بناية صغيرة تشغلها مدرسة ابتدائية في ناوبردان وبعد هذه الأجتماعات لقبت هذه المدرسة المتواضعة بقصر السلام ففيها جرى معظم المفاوضات ثم الأتفاق النهائي، وفي تلك الليلة كل فرد الى مكان نومه وكان نصيب صدام سريري[١٤]. في يوم ١٣ كانون الثاني ١٩٧٠ عاد صدام حسين الى بغداد وفي يوم ١٨ منه عاد الوفد الكردي من بغداد ويبدو انهم علموا بزيارته بزيارته الى كردستان بعد عودته وقالوا ان علائم الرضى والأرتياح بادية عليه لدى اجتماعه بالوفد الكردي.

كان ثمة عامل آخر له دوره في إنجاح المفاوضات حيث كان القائم بأعمال السفير

السوفياتي فيدرتوف يتابع سير المفاوضات ويسعى الى تقريب وجهات النظر حينما تلوح في الأفق عثرات تعرقل سير المفاوضات.

من ناحية اخرى حاول الوفد بأسم البارتي ان يشترك في المفاوضات ووفد من الحزب الشيوعي العراقي إلا ان النظام رفض ذلك رفضاً قاطعاً. وبعث سكرتير الحزب الشيوعي عزيز محمد برسالة الى البارزاني يقول فيها: لا نريد ان يكون رفض السلطة مشاركتنا في المفاوضات سبباً في قيام مشكلة بينكم وبينهم. فلا تصروا ونحن واثقون بأنكم لن تفرطوا بمصلحة الشعب العراقي والشعب الكردي وانتم خير من يمثلنا في تلك المحادثات[١٥].

يوم ٢٨ كانون الثاني وصل ناوبردان وفد حكومي برئاسة الفريق حردان التكريتي وكان في عضوية الوفد كل من عبد الخالق السامرائي وعبد الله سلوم السامرائي ومرتضى الحديثي وسعدون غيدان وسمير النجم والعميد الركن اسماعيل تايه النعيمي والعميد الركن محمد علي سعيد مدير الحركات العسكرية وعبد الفتاح الزلط المستشار القانوني وعضو القيادة القومية وهو سوري ورافق الوفد السيدان عزيز شريف وفؤاد عارف. وكان البارزاني يكن التقدير والأحترام لحردان التكريتي الذي كان له الفضل في نقل جثمان الشيخ احمد الى البارزان، ومع ذلك حدث في هذه المفاوضات التي حضرها البارزاني نفسه ما يعكر جو المفاوضات حينما عرج الكلام نحو عائدية كركوك حيث علق عبد الله سلوم السامرائي قائلاً: إن كركوك ليست كردستان من هو الذي يثبت خلاف ذلك؟

اجابه البارزاني غاضباً:وأنا اقول ان كركوك كردستان. حذار ان تقول انها ليست كردستان بل قل إننا احتللناها. لو بقي كردي واحد في كركوك فهي كردستان ولتعلم جيداً أننا لن نتخلى عن كركوك مطلقاً.. وتوقفت المحادثات حوالي الساعتين، ثم استؤنفت المحادثات واستعرضت النقاط المطروحة من قبل الوفدين وجرى الأتفاق حول معظمها واتفق ان يعود الوفد الكردي الى بغداد ثانية لاستكمال النقاط المعلقة.

وهكذا سافر الوفد الكردي الى بغداد في الثالث من شباط ١٩٧٠ وكان الوفد يتكون من الدكتور محمود عثمان وادريس البارزاني ونوري صديق شاويس ومحمد محمود عبد الرحمن (سامي) ونافذ جلال ومحسن دزيي ودارا توفيق.

الملاحظ ان الوفد استقبل ببرود ملفت ولم يستقبل الوفد أي مسؤول كبير ويبدو ان ذلك كان وسيلة للاحجاج وعدم الرضى لقيام قوات من البيشمركَه بعمليات عسكرية ضد جماعة المكتب السياسي التي كانت ملتحقة مع الحكومة. وكان صدام حسين قد ارسل رسالة الى ادريس البارزاني ذكره فيها بأنه اتفق مع البارزاني في لقائهما الأخير على ايقاف الأعمال العسكرية ضد القوى غير النظامية التي عملت مع الجيش في مراحل القتال، وإن الحكومة هي

المسؤولة عن حمايتهم. ورداً علي هذه الرسالة ارسل ادريس البارزاني رسالة الى صدام حسين يطلب فيها سحب القوات غير النظامية من مناطق الأحتكاك لتلافي احتمالات الأصطدامات بين الطرفين.

اتفاق ١١ آذار ١٩٧٠ التاريخي

نحن المخضرمين الذين عشنا احداث العراق منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وما تلاها من احداث درامية نتذكر جيداً سنين الحرب مع ايران وكان الشعار الذي يقول (كل شئ من أجل المعركة) يجعل من العراقيين وأموالهم ادوات وأشياء مباحة بغية استمرار لهيب الحرب مشتعلاً. وبنظري ان حزب البعث حينما استولي على الحكم ثانية في تموز عام ١٩٦٨ كان يعمل تحت شعار الأحتفاظ بالحكم مهما كان الثمن، ووفق هذه الأستراتيجية التي كان مصممها ومهندسها صدام حسين سخرت لتحقيق مآربها كل الوسائل والطرق مهما تعارضت مع المبادئ الأخلاقية او الأعراف المألوفة في دنيا الأجتماع او السياسة.

وإذا كان الأطار العام يتحدد في الأحتفاظ بالحكم بيد حزب البعث لكنه في هذه الفترة الزمنية كان مجال هذا الأطار ينحسر ليتمركز الحكم بيد تكريت،فكان ضخ الجيش بعناصر شابة من الضباط جلهم من تكريت، وكان لصعود التكارتة في الصفوف الأمامية للجيش يقابله حملات التطهير بالأحالة الى التقاعد، وقد امتدت يد التطهير الى ضباط العهد الملكي وبدات هذه الحملة منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وجاء انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ليكمل مسلسل ضرب الضباط الذين يشك بموالاتهم للحكم، ولم ينجو الضباط من أهل الموصل من هذه العملية لا سيما بعد ان فشل العميد عبد العزيز العقيلي في استلام موقع رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٦ والذي اعتقل عام ١٩٦٩ بعد ذلك اتجهت عماية التطهير نحو ضباط من ابناء محافظة الرمادي، الذين كانوا يراهنون على وجود الأخوين عارف وجماعة عبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود، لكن مع كل الحملات كان التوجه المعلن عنه هو الأبقاء على الأطار العام لحزب البعث كغطاء لتكرتة الجيش، فكانت تكتيكات التوازنات جارية على قدم وساق مع الأحتفاظ والتركيز على النطاق الضيق لمحور التكريت. لكن بقي الإطار البعثي هو الواجهة الرسمية ودلائل هذه الصيغة تبدو اكثر ضماناً لتوسيع دائرة الحكم ولو من الناحية الشكلية.

هاجس خسارة كرسي الحكم كان المحرك الرئيسي لتوجهات النظام في مجمل علاقاته الداخلية والخارجية، ومن جملة الأجراءات في هذا السياق كانت الحملة بترويع الأعداء او بكسب قاعدة شعبية، والأسلوب هو الترغيب والترهيب، ولعل الشعار الذي كنا نقرأه والذي يقول: البعث نور لمن يهتدي ونار لمن يعتدي يعكس تلك الخلفية التي أرادها حزب البعث.



من اليسار مسعود البارزاني، ملا مصطفى البارزاني، فرنسو الحريري، صدام حسين: التمهيد لتوقيع اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠

فالمؤامرات ينبغي ان تحطم وهي في مهدها، ولهذا كانت الأجراءات الأحترازية والوقائية والنيل ممن تحوم حولهم الشكوك في إخلاصهم للقيادة وللحزب.

في ١٩٦٩ أدت مطاردة للجواسيس الى إعدام ٥٣ عراقي وفي كانون الثاني ١٩٧٠ شنق او اعدم رمياً بالرصاص اثنا عشر مدنياً وتسعة وعشرون ضابطاً ورتيباً (ضباط صف) لتورطهم في انقلاب يميني فاشل، وفي تموز ١٩٧٣ اعدم ستة وثلاثون رجلاً معظمهم من الأمن العام لاشتراكهم في مؤامرة على الحكم، وفي شباط ١٩٧٧ اعدم ثمانية اشخاص لدورهم في اضطرابات النجف وكربلاء التي كانت مرتبطة على ما يبدو في تدفق مياه الفرات والقيود المزعومة التي فرضت على حلقات الدراسة الشيعية والمسيرات الدينية[١٦].

على مستوي تعزيز المواقع في قمة الهرم للنظام الحاكم كانت هنالك ايضاً المناورات والصراعات الجارية بين الأجنحة في قمة القيادة العسكرية وبين الجناحين المدني والعسكري في الحزب الذي كان يسعى الى تطهير صفوفه وتحت ذرائع ومبررات مختلفة، ولم يجدي الأنتماء التكريتي لليحلولة دون تنفيذ الأجندة الوقائية المطروحة. في هذا السياق بتاريخ ١٥ تشرين الأول ١٩٧٠ طرد العميد حردان عبد الغفار التكريتي من مناصبه كنائب للقائد العام للقوات المسلحة ونائب لرئيس الوزراء ووزير الدفاع ثم كان اغتياله في الكويت يوم ٣٠ آذار ١٩٧١، وطرد نائب الرئيس العميد صالح مهدي عماش في ٢٨ كانون الأول ١٩٧١ من منصبه كما طرد من الخارجية عبد الكريم الشيخلي، وقتل وزير الدفاع العميد حماد شهاب وجرح وزير الداخلية العميد سعدون غيدان يوم ٣٠ حزيران ١٩٧٣ في مؤامرة دبرها العقيد

ناظم كزار مدير الأمن العام، وأعدم كزار في في ٨ تموز ومحمد فاضل رئيس المكتب العسكري في ٩ تموز والحكم بالسجن مدى الحياة في الشهر نفسه على عبد الخالق السامرائي، المنظر اليساري للحزب واكثر قيادة الحزب شعبية، كل هذا لم يؤد ـ كما يقال ـ الى تبديد عدم اليقين المحيط بالنظام[١٧]، إن كل المخاطر المفترضة تبدو هينة أمام الهاجس الذي تمثله الثورة الكردية في خطرها الواضح والقائم والدائم والمساهم بشكل وآخر في إسقاط عدة حكومات على مدار عقود ماضية.

وهكذا اتجه النظام، وهو في مرحلة تعزيز السلطة في يده ـ الى طرح حل جذري للقضية الكردية والذي تمخض عن ولادة اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠.

مضى شهريا كانون الثاني وشباط من عام ١٩٧٠ دون ان تكون هناك بارقة أمل في توقيع الأتفاقية بين الطرفين بل ان الأستعادات العسكرية كانت تجري بتواصل ودامت الحالة على هذا المنوال لكن يبدو ان براعم ولادة الحكم الذاتي كانت تنتظر الربيع لولادة جديدة. في الثاني من آذار ١٩٧٠ قدم الى كلالة وفد يرأسه خالد عبد الحليم محافظ اربيل ليخبر القيادة الكردية بانه قدم الى المنطقة بأمر من رئيس الجمهورية ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة وإن النيات الحكومية لا زالت تنصب في مجرى الحلول السلمية، وإن اعترى المفاوضات بعد العراقيل والفتور في الآونة الأخيرة فمن الممكن استئناف الحوار من النقطة التي توقف عندها.

في هذه اللقاءات ابدي البارزاني استعداد القيادة الكردية لمواصلة الحوار للتوصل الى حل سلمي. وبعد ايام من مغادرة المحافظ كتب الى البارزاني ان وفداً رفيعاً برئاسة صدام حسين سيصل كردستان في التاسع من آذار، وقد رحب البارزاني بهذه الزيارة قائلاً رسالته المؤرخة في ٧ / ٣ / ١٩٧٠الى محافظ اربيل:

إننا على اتم الاستعداد للمساهمة مع جميع الأخوان المخلصين لاعادة الأستقرار والسلام الى ربوع وطننا العزيز وإنهاء المشكلة بالشكل الذي يضمن خير شعبنا العراقي بعربه وأكراده. ويسرنا ان نستقبل الوفد ويزيدنا سروراً تفضل الأخ الكريم صدام حسين بالمجيء الينا ونحن في انتظارهم، بالفعل وصل الوفد في اليوم المحدد الى رواندوز وتوجه وفد من الحزب الديمقراطي الكردستاني الى رواندوز لاستقبالهم[١٨]. وكان الوفد يتكون اضافة الى صدام حسين كل من عبد الخالق السامرائي وصالح مهدي عماش ومرتضى الحديثي وطارق عزيز واسماعيل تايه النعيمي ومحمد علي سعيد ورافق الوفد فؤاد عارف وعزيز شريف. أما الوفد الكردي المفاوض فكان يتألف من حبيب محمد كريم والدكتور محمود عثمان وصالح اليوسفي ونافذ جلال ودارا توفيق ومسعود البارزاني، ونيجة المفاوضات المكثفة تم التوصل الى الصيغة النهائية للاتفاق وذلك ليلة ١٠ ـ١١ آذار وتم التوقيع عليه من قبل صدام حسن

وملا مصطفى البارزاني ويعترف مسعود البارزاني بشان الأتفاق فيقول:

لاول مرة في التاريخ الحديث جرى الأعتراف بوثيقة قانونية من دولة ذات سيادة بحقوق الشعب الكردي السياسية لا سبيل الى طمسها ولا حجبها وستبقي الى الأبد. لا يمكن الأنتقاص من قيمة القرار الذي تتضمنه. كان اتفاق الحادي عشر من آذار سنة ١٩٧٠ حلاً تقدمياً عادلاً للمشكلة الكردية ونصراً عظيماً للشعب العراقي عموماً وللشعب الكردي خصوصاً وفوزاً عظيماً للثورة والحزب. ولم يكن فيه أي عيب او قصور إلا انه تعثر عند التنفيذ. ويضيف الأستاذ مسعود البارزاني بصراحة الى ان مسؤولية تعثر تطبيق القرار تقع على عاتق الطرفين الثورة والحكومة، لكن ليس على سبيل المناصفة فنصيب الجهة الحكومية من التنكر للاتفاق كان اكبر من نصيبنا بكثير[١٩].

الأتفاقية بحد ذاتها والأضواء المركزة التي سلطت عليها شكلت مفاجئة للناس الذين لا يعلمون ماذا يجري في الخفاء، لقد جاءت الأتفاقية بعد قرون من الأضطهاد والنهب وإنكار الهوية القومية للاكراد وزرع الفتن والشقاق بينهم كل ذلك وغيره شكل فصلاً طويلاً من تاريخ الشعب الكردي. لكن بصورة فجائية او هكذا بدا لنا سمعنا محطات الأذاعة وشاهدنا التلفزيون الرسمي وهو يمجد قوات البيشمركَه ويصفهم على انهم اغلي مؤسسة نضالية ضد العدو المشترك، وقام رئيس الجمهورية احمد حسن البكر بقراءة بيان الحادي عشر من آذار وشوهد مساء ذلك اليوم من علي شاشات التلفزة مناظر تكاد تكون غير معقولة أخذ المشاهدين يفركون اعينهم غير مصدقين لما تعرضه عليهم محطة التلفزيون الحكومية:

فقد قام البكر على مشهد من كاميرات التلفزيون باحتضان وتقبيل كل من (إدريس) و (مسعود) وهما من ابناء الملا مصطفى البارزاني، الذي خصصت الحكومة قبل ذلك اليوم بأيام قليلة مبلغاً يعادل ١٥ مليون مارك الماني لمن يسلمه حياً او ميتاً[٢٠].

شكل توقيع الأتفاقية منعطف كبير في مجمل تمتين اللحمة العراقية وبغية الأحتفال بهذه المناسبة رافق وفد كردي مع الوفد الحكومي المفاوض في العودة الى بغداد وكان الوفد يتألف من الدكتور محمود عثمان وصالح اليوسفي ونوري ساويش وأدريس البارزاني ومحمد محمود عبد الرحمن (سامي) ومحسن دزيي ودارا توفيق ومسعود البارزاني، وحينما وصل الوفدان الى مطار المثنى في بغداد كان في استقبالهم جميع اعضاء قيادة الحزب ومجلس قيادة الثورة وأعضاء الحكومة، مما يوحي الى ان الحكومة كانت ترمي الى إبراز أهمية هذه الأتفاقية وجعلها مناسبة وطنية. من جانبه علق البارزاني على اتفاقية ١١ آذار بقوله: سوف نرى ونتنظر ما يأتي به الغد.

لأبراز اهمية الأتفاقية واعطائها المكانة اللائقة كان رئيس الجمهورية احمد حسن البكر هو

الذي أذاع الخبر وتلا نصوصها الى الشعب من الأذاعة والتلفزيون وكان ذلك في الساعة الثامنة مساءً من يوم ١١ آذار ثم اعقب تلاوة الأتفاقية احتفالات شعبية عفوية في ساحات بغداد اشتركت فيها شرائح كبيرة من النسيج المجتمعي العراقي، وفي اليوم التالي كانت جموع كبيرة من مختلف اطياف الشعب العراقي محتشدة في ساحة التحرير، وقد ألقى احمد حسن البكر كلمة بهذه المناسبة ثم اعقبه الدكتور محمود عثمان ليلقي كلمة ملا مصطفى البارزاني نيابة.

تحضرني الذاكرة في وقتها كنا ندرس في الأتحاد السوفياتي السابق في مدينة قريبة من ميناء اوديسا، وحملت زملائي طلبة البعثة على إرسال برقية تهنئة وتأييد لرئيس الجمهورية، وكان بعد ايام ان وصلتنا برقية شكر من أحمد حسن البكر جواباً على برقيتنا.

في هذه المناسبة تلقي ملا مصطفى البارزاني برقيات التهنئة ولعل ابرزها تلك التي تلقاها من بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفياتي، ورسالة اخرى من الشاعر محمد مهدي الجواهري، وهي منشورة في ملاحق هذا الفصل، ولكن هنا نشير الى إعجاب اعتزاز الجواهري بنضالات الشعب الكردي والأبيات التالية وهي من قصيدة القاها في مؤتمر الطلبة الاكراد في ميونيخ بألمانيا في صيف عام ١٩٦٣ وكانت تحت عنوان " كردستان موطن الأبطال " نشر الأستاذ مسعود البارزاني في الجزء الثالث ص ١١٦ بعض ابياتها تقول:

قلبي لكردستان يُهدى والفم ... ولقد يجود بأصغريه المعدم
باسم الأمين المصطفى في أمة ... بحياته عند التخاصم يقسم
بارزان يا قمماً يشيبها الدم ... وتنوء كاهلها الثلوج فتهرم
وتغازل القمر المضئ فتزدهي ... وتعارك الموت الزؤام فتظلم
بارزان لغزاً تعاصي حلّه ... عبر القرون الغبر فهو مطلسم
أكما يغوص الأنبياء بوجههم ... أم مثلما يرعى الطيوف النوّم
أم بين تلك وهذه فمراكب ... تخلي الطريق لمركب يتقدم

الحياة لا تسير في نسق واحد فالكرب يعقبه الفرح والضيق يسعفه الفرج ومتناقضات الحياة في سيرورة مستمرة ما دام الليل يعقب النهار، وهكذا هي الحياة في الأجتماع والسياسة، وفي سكرة الأفراح بين عامة الناس كان ثمة من يخطط ويعبد الطريق لمآربه لا يلوي على مصالح الشعب، ولم تستمر تلك الفرحة لتحقق اهدافها فقد وجهت بوصلة العراق الى مهاوي ومغامرات فيها من مآسي الحروب الداخلية والخارجية وتداعيتها والى اليوم العراق غارق في وحل الفوضى والعنف. وسوف نبقى مع مسيرة هذا الشعب المنكوب.

المصادر:

١ ـ موسي السيد علي: القضية الكردية في العراق ص٥٢
٢ ـ حنا بطاطو: العراق، الكتاب الثالث ص ٣٩٠
٣ ـ حنا بطاطو: المصدر السابق ص ٣٩٠
٤ ـ حنا بطاطو: الكتاب الثالث ص ٣٩٩
٥ ـ سلام عبود: ثقافة العنف في العراق ص ١٥١
٦ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية الجزء الثالث ص ٢١٠
٧ ـ يونان هرمز: أيامي في الثورة ص ٧٨
٨ ـ الدكتور سعد الدين ابراهيم: الملل والنحل والأعراق، هموم الأقليات في الوطن العربي، القاهرة ١٩٩٤ ط٢ مطابع سجل العرب ص٢٩٧
٩ ـ الدكتور سعد الدين ابراهيم: المصدر السابق ص ٢٥٨
١٠ ـ مسعود البارزاني: مصدر سابق ج٣ ص٢٢٦
١١ ـ يونان هرمز: ايامي في الثورة.. ص٩٧
١٢ ـ مسعود البارزاني: البارزاني.. ج٣ حاشية ص٢٢٩ ـ ٢٣٠
١٣ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ص ٢٣٥
١٤ ـ يونان هرمز: ايامي.. ص١٠٠
١٥ ـ مسعود البارزاني: البارزاني.. ج٣ ص ٢٣٦
١٦ ـ حنا بطاطو: العراق ج٣ ص ٤٠٥
١٧ ـ حنا بطاطو: المصدر السابق ص ٤٠٩
١٨ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ حاشية ١ ص٢٤٢
١٩ ـ مسعود البارزاني:المصدر السابق ص٢٤٣
٢٠ ـ د. كَونتر دشنر: احفاد صلاح الدين الأيوبي ص ٢٧٦

الفصل الخامس عشر

ويتكرر السيناريو

كأنها قاعدة ازلية من ان تتوالى الفصول وان تستمر الحركة الأزلية للبحار بين المد والجزر وتلاطم الأمواج وهدوئها وفي فصل الصيف القائض يليه فصل الشتاء القارص، والأنفراج بعد الضيق والفرح مع الولادة ثم الحزن بعد الموت، ويبدو ان القضية الكردية كان محكوم عليها ان تتوالى وتتعاقب نفس الأدوار من معارك ضارية ثم مفاوضات اخوية وهدنة موقتة ثم استئناف القتال، لقد تكرر هذا السيناريو مع الحكومات في العهد الملكي وبعد العهد الجمهوري بات سيناريو مألوف ورتيب وفق منهجية متوقعه ومتعودة ومكررة من قبل اطراف الصراع.

السنة الأولى على توقيع اتفاقية ١١ آذار كانت بمثابة شهر العسل الذي لم تعكر سماءه الصافيه سوى حوادث طفيفة. والمفروض ان يصدر قانون الحكم الذاتي لكي يصبح سارياً وتستمر مسيرة البناء والتنمية في العراق، لكن الرياح تهب وتعصف بالسفينة وتمزق أشرعتها لكي تتيه في بحر الظلمات ولا زالت تسير في هذا البحر المظلم الى اليوم.

لكن نبقى في السنة الأولى من عمر الأتفاقية حيث استجدت امور كثيرة على الساحة السياسية وفي هذه الفترة عقد الحزب الديمقراطي الكردستاني مؤتمره الثامن لبحث الأمور التنظيمية والنظام الداخلي ووضع منهاج للعمل في ضوء المستجدات التي طرأت على الساحة إضافة الى انتخاب لجنة مركزية جديدة والتي اسفرت عن فوزالاعضاء المدرجة اساءهم ليكون اعضاء في اللجنة المركزية المنتخبين للدورة القادمة وهم كل من السادة:

١ ـ حبيب محمد كريم ٢ ـ نوري صديق شاويس ٣ ـ صالح اليوسفي ٤ ـ أدريس البارزاني ٥ ـ مسعود البارزاني ٦ ـ علي عبد الله ٧ ـ عزيز عقراوي ٨ ـ محمد محمود عبد الرحمن ٩ ـ دكتور محمود عثمان ١٠ ـ هاشم عقراوي ١١ ـ علي سنجاري ١٢ ـ عبد الوهاب اتروشي ١٣ ـ عبدول سوران ١٤ ـ دارا توفيق ١٥ ـ فاخر ميركَسوري ١٦ ـ فارس باوه ١٧ ـ رشيد سندي ١٨ ـ شكيب عقراوي ١٩ـ اسماعيل ملا عزيز ٢٠ ـ صديق افندي ٢١ ـ زكية اسماعيل حقي.

الأحتياط:

١ـ رشيد عارف ٢ ـ علي هزار ٣ ـ نعمان عيسي ٤ ـ شيخ رضى كَولاني ٥ ـ جرجيس فتح الله ٦ ـ محمد ملا قادر ٧ ـ شعبان سعيد ٨ ـ حميد بروراي ٩ ـ عبد القادر سعيد.

من الخطوات المهمة الأخري التي حدثت في هذه الفترة هي التئام وعودة الشريحة المنشقة الى صفوف الثورة، وإنهاء الحالة التي تسببت في اقتتال الأخوة فمن المعروف ان الجماعة المنشقة في عام ١٩٦٦ شكلت حلفاً مع الحكومة وشاركت في حملة عسكرية ضد الحزب الديمقراطي الكردستاني وضد الفصائل المسلحة للثورة الكردية.

لقد كلف كل من دارا توفيق وفاخر ميركَسوري للاتصال بجلال الطالباني وجماعته، وبلغت الأتصالات ذروتها حينما توجه جلال الطالباني في ١٧ آب سنة ١٩٧٠ الى حاجي عمران وقابل البارزاني وكانت هذه المقابلة قد مهدت الطريق للعودة الجماعية، وفي الخامس عشر من الشهر ذاته عاد جلال الطالباني الى بغداد برفقة فرنسو الحريري وفاخر ميركَسوري وهناك عقدوا اجتماعاً قرروا فيه التخلي عن اسم الحزب الديمقراطي الكردستاني إذ لا يمكن وجود حزبين في العراق تحت نفس الأسم فتسمى هذا الحزب بالحزب الثوري الكردستاني وأصدروا بياناً بحل الحزب والأنضمام الى الحزب الديمقراطي الكردستاني، ولكن في عام ١٩٧٥ بعد انهيار الثورة الكردية سوف يعود جلال الطالباني ليؤلف مع قوي كردية اخرى ائتلاف جديد اطلق عليه اسم الأتحاد الوطني الكردستاني والذي انتخب جلال الطالباني رئيساً له.

ومن الشؤون التي تفاعلت احداثها في هذه السنة كانت مسالة منح الجنسية للاكراد الفيليين الذين يتمركز وجودهم في مدينة بغداد وقد تبنى الحزب الديمقراطي الكردستاني قضيتهم الأنسانية وطرحها على بساط البحث مع الحكومات العراقية المتعاقبة، لكن يبدو ان قضية هذه الشريحة كان يراد بها ورقة سياسية بيد الحكومات العراقية للتعامل مع ايران.

في عام ١٩٧١ تضاعفت الضغوط عليهم فصدرت تعليمات بعدم تسجيل الولادات في سجلات النفوس ومنعوا من نقل الملكيات العقارية في دوائر الطابو كما بوشر في إبعاد جماعات منهم الى ايران والأستيلاء على اموال الموسرين منهم وكانت هذه النقطة بداية لحملات الأحتجاج والأستنكار.

من المطبات التي اعترضت سبيل السلام كانت تلك المؤامرة التي استهدفت حياة ادريس البارزاني حين تواجده في بغداد، إذ بينما توجه ادريس البارزاني الى اربيل تاركاً سيارته المرسيدس التي اهداها له الرئيس العراقي في بغداد، وفي مساء نفس اليوم استقل اثنان من

مرافقيه، وهما حميد بروراي ومحمد عزيز، سيارته المرسيدس لتلبية دعوة عشاء، وفي منعطفات احد شوارع بغداد انهالت علي السيارة رشقات الرصاص ظناً منهم ان في داخلها ادريس البارزاني وقد اصيب حميد بروراي بجراح بليغة اورثته عاهة مستديمة ويقول الأستاذ مسعود البارزاني ان (جتا) لتو زيباري ومحي هركي وبالتعاون مع مدير الأمن ناظم كَزار كانوا وراء المؤامرة وربما كان بعض المسؤولين الآخرين ضالعين في المؤامرة.

وفي تضاعيف نفس الحادث نحاول ان نتعرف على شخصية حميد بروراي وهو مناضل معروف بشجاعته وحسن تدبيره وتواضعه، فنقرأ من خليل بروراي في كتاب رجل وقضية والذي قدمه الاستاذ فاضل الميراني والدكتور خالد يونس خالد، يورد الكاتب: انه في احدى الجولات التفاوضية برئاسة الشهيد أدريس البارزاني وبعضوية الشهيد سامي عبد الرحمن والمناضل حميد البروراي مسؤول الشؤون العسكرية، رغم ان إعلام الحزب الديمقراطي يقدمه على انه كان مرافقاً للشهيد أدريس البارزاني، لكن في الحقيقة كان عضواً في الوفد المفاوض، ويمضي الكاتب الى القول: أنه بناءً على توجيهات البارزاني الخالد رجع الشهيد إدريس البارزاني الى كردستان للتشاور، واستقل المناضل حميد بروراي سيارة الشهيد إدريس البارزاني حيث تعرض إلى امحاولة اغتيال غادرة في شارع السعدون ببغداد بتاريخ ٠٦ / ١٢ / ١٩٧٠ م وأصيب المناضل حميد بروراي بجروح بليغة*.

بعيد هذه المحاولة ارسل صدام حسين برسالة الى ملا مصطفى البارزاني جاء فيها:

أخي أبا أدريس.. تعرضت سيارة أدريس ليلة الأثنين الى اعتداء بالرصاص.. أيها الأخ لم يكن المقصورد بهذا الحادث أدريس.. إنما المقصود بهذا الحادث هو علاقاتنا.. المقصود ان يعود العراق من جديد ينزف دماً..

وفي الرسالة يحمّل الأستعمار وزر المؤامرة فيقول: واحسبك تذكر ما قلته لك يوم وقعنا البيان من اننا يجب ان نتوقع من الأستعمار وعملائه الشئ الكثير ويجب الا نتفاءل ونعتقد بأن صعوباتنا انتهت عند توقيع البيان وأن الاشرار والمرتزقة عملاء الأستعمار قد انتهوا ايضاً، إن الأستعنمار الذي فوجئ اول مرة في حياته في العراق بالأجراء العظيم في بيان السلم " بيان ١١ آذار ".. وبهمتكم وبهمة كل المخلصين في هذا البلد سوف نمضي قدماً في تعزيز اخوتنا وسوف لن تنال منها الرياح الشريرة.. والرسالة في ٧ / ١٢ وقد تعهدت الجهات المختصة بتعقب الجناة وإنزال العقاب بهم. وفي عام ١٩٧٣ عندما شرع ناظم كَزار في مؤامرته الفاشلة للاستيلاء على السلطة، عندئذٍ اعترفت السلطة بأنه كان مدبراً اغتيال ادريس البارزاني ومن ثم محاولة اغتيال ملا مصطفى البارزاني أيضاً[١].

الراصد الدقيق لتطورات الأوضاع في تلك الفترة يلمس ان النظام لا يدخل في ايديولوجيته مفهوم تطبيق الديمقراطية ومنح القوميات الأخرى وحقوقها القومية المشروعة، فالفكر البعثي مشيد على دعائم قومية عروبية، إنه يؤمن بأمة عربية واحدة وذات رسالة خالدة، وهذا الخلود لرسالتها يرشحها ان تكون مركز قلب ومركز الأمم، ومحور التفكير يدور في فلك هذه الفرضية، وإن كل يجرؤ للتفكير خلاف ذلك او الاعتراض او نقده سيكون موقعه في خانة الأعداء والمتآمرين على الأمة العربية، إنه يمنح القومية العربية خصائص وصفات مثالية لا تملكها امة أخرى، اليست خير أمة أخرجت للناس تعمل بالمعروف وتنهي عن المنكر؟

ولكي لا ندخل في متاهات ونسأل ما هو مفهوم المنكر وما يعني العمل بالمعروف فنبقي في الموضوع الذي نحن بصدده.

إن ابناء الأمة العربية من حقهم ان يفتخروا بقوميتهم وإن هذا التفكير سليم ولا غبار عليه، لكن تأتي مسألة التعامل والأعتراف بالقوميات الأخرى وبحقوقها في المجتمعات العربية ضرورية ومطلوبه لاضفاء المصداقية والأنسانية علي مفهوم القومية العربية لتنتشلها من مزالق الأنحدار والوقوع في مستنقع التعصب القومي العنصري.

إن الحكومة العراقية كانت تعلن عن الخطوط العريضة للحل السلمي للمسألة الكردية، لكن الدلائل كانت تشير عكس ما كان يعلن عبر الأعلام الحكومي. فالمؤشرات كانت تشير بجلاء ان النظام يعمل علي تقويض العملية السلمية بالتوازي مع جهوده الحثيثة لرفع قدراته العسكرية وترتيب بيته الداخلي، وتقوية مركزه السياسي في العراق وفي المنطقة العربية والأقليمية.

لقد أشرنا الى النظام البعثي سعي الى تحويل مؤسسة البعث مؤسسة عسكرية والى جعل اعضائه عيون مفتوحة ترصد تحرك المواطن فتحول الى مؤسسة استخبارية، كما عمل على عسكرة الحياة المدنية، ليغدو المجتمع بأسره طاقات عسكرية احتياطية. لقد كانت الميزانية المخصصة للجيش ولتسليحه المعيار الأدق في كل العهود التي توالت على حكم العراق، ولقد شهدت نفقات الدفاع طفرات عالية بعد انتقال العراق من الحكم الملكي الى النظام الجمهوري. فبين ١٩٥٣ الى ١٩٦٥ تضاعفت نسبة الأنفاق على الدفاع بفضل ارتفاع عائدات النفط. وستأتي تفاصيل ذلك في فقرة اخرى من هذا الفصل،اقتباساً من حازم صاغية[٢].

نبقى في فترة مساعي حزب البعث الحثيثة لتثبيت اقدامه في الداخل والسعي لتحشيد شعبي موال له وذلك بالقيام بمبادرات من شأنها تضييق الهوة التي تفصلهم عن جماهير الشعب.

علاقات حزب البعث مع الحزب الشيوعي العراقي

المعروف انه في اعقاب توقيع اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ مع البارزاني ساءت علاقة البعث مع الحزب الشيوعي رغم ان عزيز شريف الموالي للحزب الشيوعي كان له الدور الرئيسي في ابرام اتفاقية آذار، ومن الأجراءات القمعية بحق الحزب الشيوعي قيام القوات الحكومية بتفريق مسيرة النوروز، راس السنة الكردية، وعيد الربيع في منطقة الميدان ببغداد، بالقوة، وفي الليلة السابقة للاحتفال كان محمد احمد الخضري عضو لجنة بغداد قد اردي قتيلاً وقد اخترقت جسده ثمانية عشر رصاصة.

احتج الشيوعيون على الأجراءات القمعية ودعوا الى تشكيل جبهة للقوى الوطنية مستوحاة من مبدأ المساواة بين جميع الأطراف ورفع شعار الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان، وحيال هذا الموقف حذر احمد حسن البكر في مؤتمر صحفي عقده في ٢٠ تموز ١٩٧٠ الحزب الشيوعي من استغلال الحرية ومن اللعب بالنار واتهمتهم بنكران الجميل وهدد بمعاقبة أي شخص او جماعة تخرق النظام، وقبل هذا كان حزب البعث قد طرح مبدأ تشكيل الجبهة الوطنية على اسس اختارها البعث ويستوجب على الحزب الشيوعي الألتزام بتلك الأسس لتكون مدخل لأقامة هذه الجبهة والتي يكون من ضمنها الحزب الشيوعي العراقي.

من شروط البعث ان يقر الشيوعيون بصورة صريحة بتقييم حزب البعث كحزب ثوري وحدوي اشتراكي ديمقراطي، وتقييم لا لبس فيه لثورة ١٧ تموز في ١٩٦٨ وأن يبقي البعث الحزب القائد في تكوين الجبهة والمنظمات، وأن يبقى الجيش مؤسسة حصرية لنشاطات حزب البعث وذلك بالالتزام بعد ايجاد (ولاءات خاصة داخل القوات المسلحة غير الولاء للثورة) ورغبة في إقناع الأمتدادات الدولية للحزب الشيوعي بالتحالف مع فروع حزب البعث في البلدان العربية الأخرى وتبني النضال المسلح من اجل التحرير الكامل لفلسطين والقبول بالوحدة العربية على انها الهدف الأسمي والأساسي الذي يوحد كل الأهداف..[٣] أي يترتب على الحزب الشيوعي ان يتبني الطروحات والشعارات التي يطلقها البعث بشأن قضايا رئيسية.

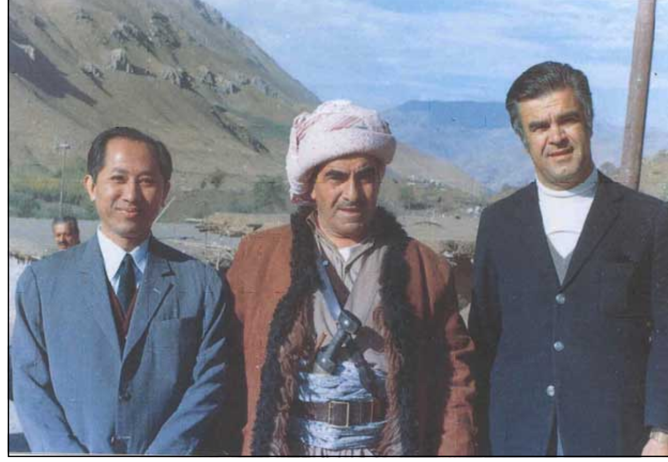
من البديهي الا يقبل الحزب الشيوعي بتلك الشروط وساءت العلاقات بين الطرفين وفي حوالي سنة من شتاء ١٩٧٠ جرت حملة اعتقالات ومطاردات لاعضاء وكوادر للحزب الشيوعي وبعضهم مات تحت التعذيب وفي هذه الفترة القى القبض على ثابت حبيب العاني وهو عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ومن جانبه تخلى عزيز شريف المتعاطف مع الشيوعيين عن منصبه كوزير العدل وأسند اليه منصب وزير بلا وزارة وفي هذه الفترة من

تأزم العلاقات ايضاً وردت انباء عن موت عضو الفرع الكردي للجنة المركزية الشيخ علي البرزنجي تحت التعذيب في قصر النهاية. ومع تلك الأجواء يبقى التساؤل: ما هو مصير تلك العلاقات في نهاية الأمر؟

للاجابة على السؤال علينا ان نعود قليلاً لتكتيكات النظام، ففي الحقل الأقليمي كان شاه ايران المدعوم من قبل الأمريكان يقوم بدور الشرطي في المنطقة وفي تشرين الثاني ١٩٧١ استولي على الجزر العربية طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزيرة ابو موسى، وفي الوقت عينه كان يتوجس من الحكم البعثي في العراق، وفي الوضع الداخلي كانت العلاقات تتعقد مع القيادة الكردية، من هذا الواقع توجه حزب البعث لتعزيز علاقاته مع الأتحاد السوفياتي، والى فتح صفحة جديدة مع الحزب الشيوعي العراقي.

على مستوي العلاقات مع الأتحاد السوفياتي عقدت معاهدات بين الطرفين لزيادة حجم التعاون الأقتصادي وقدم للعراق قرضاً بفوائد سهلة لتمويل عدداً من المشاريع الصناعية، وفي ٢٤ حزيران نص اتفاق بين الطرفين على تطوير حقل نفط شمال الرميلة لزيادة انتاجه السنوي وقد تطورت هذه العلاقات الى مستويات عالية حينما وقع احمد حسن البكر ورئيس الوزراء السوفياتي الكسي كوسيغن في العاصمة العراقية بغداد معاهدة صداقة مدتها خمس عشرة سنة قابلة للتجديد وتربط الطرفين بصداقة دائمة لا يمكن فك عراها (المادة ١) ومزيد من التعاون باتجاه تقوية قدراتهما الدفاعية وبأجراء مشاورات فورية لتنسيق موقفهما في حال تهديد سلام أي من الطرفين المتعاقدين وكذلك فقد تعهدت كل من الحكومتين بعد الدخول في تحالف او المشاركة في اية كتلة او اجراء ضد الطرف الآخر.. او باستعمال اراضيها لاي نشاط قد يضر بالطرف الآخر عسكرياً[٤]. هذه المعاهدة ترجمها الحزب الشيوعي على انها خطوة تقدمية من جانب الحكومة واستئنف الحوار مع حزب البعث، وكان الخطر الأيراني ومحاولاته لمحو عروبة الخليج والأستيلاء على الجزر الثلاث حافزاً لما طرحه حزب البعث من اهمية رص الصفوف ودعا الى تحالف وطني واسع والى ضمان الحريات الديمقراطية لجماهير الشعب بما في ذلك حرية الأحزاب، لقد فسر الشوعيون هذا الموقف على انه تنازل او على الأقل تبدل ايجابي في موقف حزب البعث، وأصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي بيان خاص في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧١ حيث اعتبر الحزب ان لائحة العمل الوطني التي اطلقها احمد حسن البكر في ١٥ تشرين الثاني تعتبر ارضية جيدة للتعاون الوطني والمطلوب من الحكومة ان تضع نهاية حاسمة لكل اشكال الأضطهاد سواء ضدهم او ضد القوى الوطنية الأخرى.

مضت اشهر علي الأتصالات المستمرة بين الطرفين وتوقفت الأجراءات المضادة للشيوعيين



البارزاني مع ممثلين للامم المتحدة في كردستان عام ١٩٧٢

وفي ١٤ أيار ١٩٧٢ تعززت اواصر التقارب حينما عين مكرم الطالباني وزيراً للري فيما اصبح عامر عبدالله وزيراً للدولة، كانت هذه المشاركة رمزية وكان الحزب الشيوعي يأمل في ان يصدر صحيفة يومية لتعبر بحرية عن آرائهم ومواقفهم حول شتى القضايا المطروحة على الساحة السياسية العراقية، لكن على العموم كانت المشاركة رمزية لم ترتقي الى مستوى المشاركة الفعلية في صنع القرار، لكن هذا الوضع تبدل بعد القضاء محاولة الأنقلاب التي دبرها ناظم كَزار في ١٧ تموز ١٩٧٣ إذ بعد عشرة ايام وقع احمد حسن البكر بصفته الأمين العام لحزب البعث وعزيز محمد السكرتير الأول للحزب الشيوعي العراقي ميثاق العمل الوطني الذي طال انتظاره ولاحقاً ولدت الجبهة الوطنية التقدمية.

وفي باب تلطيف الأجواء والتعبير عن حسن النوايا اقدمت الحكومة على هدم قصر النهاية الذي كان له سمعة سيئة باعتباره سجن لتعذيب السياسيين وفي مقدمتهم الشيوعيين، وفوق ذلك اكتسب الحزب الشيوعي الشرعية إذ سمح له بإصدار الصحيفة السرية "طريق الشعب" بشكل علني والتي اصبحت يومية ووصلت في عام ١٩٧٥ حدّ ان تطبع ٦٧١٢١٤٠ نسخة (بالمقارنة مع ١٨١٨٦٧١٠ نسخ من جريدة الثورة البعثية)، وباختصار، فمن الواضح ان الحزب الشيوعي العراقي قطف أخيراً بعض ثمار التزاماته بالخط القانوني والتطوري.. ويبقى ان نرى إذا كانت السلطة الحاكمة ستستمر، في ظل الظروف المستجدة، بإعطاء القيمة نفسها لهذا التحالف كالسابق[٥]. لكن الواقع الذي تمخضت عنه الأوضاع، ولاسيما بعد انهيار الثورة الكردية في عام ١٩٧٥ كانت ابعد ما تكون عن استمرار تلك العلاقات الودية بين البعث

والشيوعي، إذ بعد استقرار كردستان كما ارادها حزب البعث أدار ظهره وقفل راجعاً لتصفية الحسابات مع الحزب الشيوعي والذي اصبح ساحة مكشوفة للبعث بعد انخراطهم في الجبهة الوطنية بقيادة البعث.

محاولتان لاغتيال البارزاني

دائماً أضطر لذكر نظرية ميكافللي في بحثي هذا وهو ينطبق كثيراً على مفاصل كثيرة لمجريات الأمور في هذه المنطقة، فأمامنا نظام حكومي وظف بمهارة المنطق السياسي الذي يعتمد نظرية ميكافللي في تبرير الوسيلة مهما كانت لتحقيق الغاية المرجوة يصبح الأغتيال السياسي واحدة من الوسائل لتحقيق الأهداف، وتاريخ الحركات السياسية والقومية التي لا تؤمن بالأحتكام الى صناديق الأقترا ع حافل بمؤامرات اغتيال وتصفية الخصوم السياسيين. وقد تطرقت الى مذكرات حردان التكريتي وهو احد القياديين بعد انقلاب ١٧ تموز عام ١٩٦٨ والتي يقول فيها أنهم سيعمدون الى تصفية الثورة الكردية – ان كان عن طريق اغتيال البارزاني او بشن هجوماً عسكرياً او اية وسيلة تعمل على تقويض الثورة الكردية، وقد ورد ذلك في فصل (خمس سنوات ونيّف في صفوف الثورة الكردية) ولا حاجة لتكرارها.



البارزاني يستقبل ضيوفه من من رجال الدين المسلمين بمقره في مصيف حاج عمران عام ١٩٧١

إن صقيع غياب الديمقراطية والتعددية الحزبية والحياة البرلمانية يفضي الى الأنقلابات العسكرية وحبك المؤامرات وتدبير الأغتيالات السياسية، وقد تفوق حزب البعث والقوى القومية وبعد ذلك الأحزاب السياسية الدينية كان الأغتيال والذبح والتنكيل والأرهاب يشكل جزءاً كبيراً من برامجها السياسية.

سبق لحزب البعث ان دبر محاولة لاغتيال عبد الكريم قاسم وتفوق هذا الحزب في تدبير اغتيالات سياسية واسعة ضد خصومه إن كان من القوى الأخرى المعارضة له او من البعثيين انفسهم الذين تحوم الشبهات في اخلاصهم.

وفق منظار تبرير الغائية، يكون ملا مصطفى البارزاني في دائرة الأستهداف من قبل قوات الأمن والمخابرات التي تشكل ذراعاً مهماً في الخلاص من الخصوم السياسيين، لقد كانت هنالك محاولة لاغتيال أدريس البارزاني التي اشرنا اليها قبل قليل. في هذا السياق ايضاً دُبرت محاولة لاغتيال البارزاني كان ذلك في ايلول ١٩٧١، وكانت الأجهزة الأمنية الكردية قد رصدت مثل هذه المحاولات، ومن جملتها ان تقوم فرقة من الكوماندوس بالتخفي بالملابس النسائية قرب عين ماء في حاجي عمران، وأهملت الخطة لضآلة احتمالات النجاح، وأخري تنطوي علي استهداف البارزاني بسيارة مفخخة تعترض سبيله وهي ايضاً لم يكتب لها التنفيذ بعد دراسة جونبها المختلفة وتداعياتها.

وكان الترجيح من نصيب الخطة التي حظيت بالقبول والتنفيذ وهي تلك التي نفذها عدداً من رجال الدين، والتي عرفت فيما بعد بمؤامرة الملالي، ففي يوم ١٥ ايلول ١٩٧١ أقبل الى مقر البارزاني كل من عبد الجبار الأعظمي (سني) وعبد الحسين الدخيلي (شيعي) وهم رجال الدين، ولدى اجتماعهما بالبارزاني عرضا وساطتهما وبذل جهودهما الحميدة لرأب الصدع وتدارك الأمور لكي لا تنحدر نحو التدهور وقد استحسن البارزاني هذه المساعي وبارك جهودهما، وقد وعدا البارزاني بأن وفداً يمثل رجال الدين سيأتي لزيارته لهذه الغاية.

في هذه الأثناء كان السائق الذي اقلهما ويبدو انه موظف في جهاز مخابراتي كلف بمهمة التعرف على خارطة الموقع، فأخذ يجري تحرياته لمعرفة وضعية المنطقة للالمام بدقائق المقر وموضع جلوس البارزاني.

في يوم ٢٩ ايلول وصلت حاجي عمران سيارتان واحدة طراز شوفرليت وأخرى تويوتا وتقلان الوفد الذي يفترض انه وفد من رجال الدين. ويقول الأستاذ مسعود البارزاني بأنه في الساعة الرابعة من عصر ذلك اليوم اعلمني ضابط المقر بأن (الملالي) قد وصلوا وإنهم ينتظرون لقاء البارزاني. وقد حددت الساعة الخامسة والنصف مساءً كموعد للقاء مع الوفد



السيارة المفخخة التي انفجرت قرب مقر البارزاني في حاج عمران يوم ٢٩ ايلول ١٩٧١

لكن يبدو ان البارزاني قد سبق الموعد المحدد فكان هناك قبل الخامسة، ويقول مسعود البارزاني انه في الدقيقة الخامسة والخمسين بعد الرابعة مساءً طرق سمعه دوي انفجار عظيم وتلاه بعد هنيهة اصوات إطلاقات نارية كثيفة ويضيف: فركضت رأساً نحو منزل الوالد متصوراً انه في المنزل لكني لم أجده فيه. فتناولت البندقية وقصدت موضع الأستقبال وسألت (نهاداً) اين الوالد؟ فقال: قُتل... فتوجهت متعقباً مصدر إطلاق النار. والتقيت البيشمركَه رسول خدر من حرس الوالد وسألته عنه: فأجاب: إنه سالم فاطمئن بالاً، على انه كان جريحاً بشظية من الرمانات المقذوفة[٦].

المشهد يتلخص في ان احد رجال الدين من الضيوف وهو ابراهيم الخزاعي كان يحمل في طيات ملابسه عبوة ناسفة، وانفجرت هذه العبوة في لحظة دخول النادل شريف لتقديم الشاي حيث كان موقفه بين الشخص الذي كان مصدر العبوة والبارزاني مما شكل منه سداً واقياً للبارزاني في لحظة انفجار العبوة فخرج البارزاني سالماً بأعجوبة فقتل في غرفة الأستقبال أربعة من القادمين بشظايا العبوة وجرح البارزاني بخدش بسيط في وجهه.

إن تفجير العبوة الناسفة لم يكن الفصل الأخير في القصة فقد بدأ السائقان بقذف الرمانات اليدوية بشكل عشوائي، وفشلا في الوصول الى سيارة الشوفرليه التي اتضح انها كانت مزودة بصواريخ في موضع المصباحين الخلفيين لضرب السيارة التي تتعقبهم وهم في طريق الأنسحاب من المكان انتهت هذه العملية في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرين، وبعد ان انسحب الجميع انفجرت السيارة الثانية وهي من نوع تويوتا وتطايرت

شظاياها ولم تسبب خسائر لعدم وجود احد بقربها.

كانت الخسارة في صفوف البيشمركَه اثنين وهما سليم زبير البارزاني ومحمود شريف نزاري وجرح اربعة عشر وقتل تسعة من رجال الدين مع السائقين وهم: عبد الجبار الأعظمي، عبد الوهاب الأعظمي، عبد الحسين الدخيلي، باقر المظفر، أبراهيم الخزاعي (حامل آلة التسجيل المفخخة)، غازي الدليمي، أحمد عبدالله ياسين الهيتي، نوري الحسيني، أحمد محمد قاسم، والسائقان،سليمان كوخي ومحمد كامل اسماعيل.

بقي على المرء ان يتساءل هل كان النظام يقدم هؤلاء الناس كبش فداء في تحقيق مآربه؟ هل كان هؤلاء الناس يعرفون ما ينتظرهم وانهم من الفدائيين بارواحهم، ام كانوا يجهلون ما هم مقدمون عليه وكانوا ضحية لمؤامرة تقدمهم ضحية سهلة في سبيل القضاء على البارزاني. إنها اسئلة تبقى بدون جواب الى لحظة كتابة هذه السطور.

لكن بتقدير الأستاذ مسعود البارزاني يقول ان رجال الدين كانوا يجهلون ما جاءوا في سبيله، وقسم منهم لم يكن لهم اية فكرة غير ما انتدبوا له. وبات واضحاً فيما بعد ان كل من عبد الجبار الأعظمي وعبد الحسين الدخيلي وغازي الدليمي وابراهيم الخزاعي الذي حمل آلة التسجيل المفخخة فقد تصور انه يسجل صوت البارزاني والمتحدثين الآخرين ليس إلا، لكن سائقي السيارتين كانا من الضالعين في المؤامرة والمطلعين على أدق تفاصيلها[٧].

من جانبه ارسل رئيس الجمهورية الوزير عبد الستار الجواري للتهنئة بالنجاة والأعراب عن اسفه وإن هنالك لجنة مشتركة لاجراء التحقيق وتألفت اللجنة من حامد العاني وكيل وزارة الداخلية، وحازم القاضي مدير أمن اربيل، والمقدم الركن علاء الجنابي من الأستخبارات العسكرية، وعلي عبد الله والشيخ رضا كَولاني مدير شرطة اربيل وأحسان شيرزاد ونافذ جلال، ولم تسفر نتائج التحقيق على الكشف عمن يقف وراء المؤامرة. كانت بوصلة العلاقات بين قيادة الثورة الكردية والحكومة في بغداد تتجه صوب تدهور العلاقات بالرغم من مناشدة القيادة السوفياتية عبر رسالة الى البارزاني من اللجنة المركزية بتاريخ ١٠ تشرين الأول ١٩٧١ يدعون فيها البارزاني والقيادة الكردية الى ضبط النفس. وكذلك زار وفد من الحزب الشيوعي العراقي برئاسة عزيز محمد سكرتيره الى البارزاني لتقديم التهاني بالسلامة والمناشدة بضبط النفس للتصدي لافشال المحاولات التي ترمي الى تأزيم الأوضاع لمعاودة القتال.

في ٢٥ تشرين الأول ارسلت القيادة الكردية مذكرة الى الحكومة العراقية تطلب فيها تدارك الأوضاع قبل ان تستفحل الأمور وتندلع المعارك وقد بادرت الحكومة بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٧١

الى ارسـال وفـد الذي كـان يتكون من مـرتضـى الحـديثي وطـارق عزيز وعـزيز شـريف، وكـان الأتفـاق علـي إزالة عـوامل التـوتر وعلي إطلاق سـراح مـعـتـقلي الطرفين ووضـع حـد لاعـمـال التخريب وفتح صفحة جديدة لانقاذ الموقف من التدهور.

كان النظام يقوي مركزه داخلياً وخارجياً فقد عزز تحالفه مع الأتحاد السوفياتي، وبعد ذلك تحييد دور الحزب الشيوعي العراقي بعد كسبه الى صفوف الجبهة، كما ان ارتفاع اسعار النفط مكّن الحكومـة من التـغلب على المصـاعب الأقـتـصـادية ومن الحـصـول على اسلحـة من مختلف المصادر.

وفي سياق توتير العلاقات يكتب الأستاذ مسعود البارزاني عن اكتشاف خيوط مؤامرة تستهدف حياة البارزاني كان مخططاً لها ان ينفذها شاب كردي يحمل الجنسية السورية على انه مطارد في سـورية ويرغب باللجـوء الى العـراق واسـمـه ابراهيم كَـاباري، وهو يتـردد الى الفرع الخامس للحزب البارتي في بغداد باعتباره وطنياً كردياً تطارده السلطات، في الأول من حزيران ١٩٧٢ يقول الأستاذ البارزاني ان هذا الرجل وصل كردستان ولامر هام طلب مقابلتي شخصياً، وأفاد الرجل ان ناظم كزار كلفه بالمجئ الينا والتقرب منا حتى يحرز ثقتنا وبعدها سيأتي بحقيبة مليئة بمادة (تي ان تي) يحاول بها اغتيال البارزاني فإن لم يكن ذلك متيسراً فاغتيال أدريس وعند تعذر ذلك فليكن مسعوداً ويستطرد الأستاذ مسعود يقول: بغية تعزيز موقف الرجل امام السلطات الأمنية العراقية سمح له بأن يأخذ صورة مع البارزاني وأخـرى مـع ادريس وثالثـة لـي. في يوم ١٥ تموز ١٩٧٢ وصل ابراهيم كَـاباري الى حـاجي



الحقيبة المفخخة التي حملها ابراهيم كَاباري لتفجيرها في مقر البارزاني في تموز ١٩٧٢

عمران ومعه حقيبة فيها مواد متفجرة مرصفة بتقنية دقيقة، فأوعزنا الى جريدة التآخي لنشر نبأ كشف المؤامرة، فسارعت وزارة الداخلية على الفور بنفي أي ضلع للسلطة في هذه الدسيسة نفياً باتاً[٨].

لقد شكلت لجنة بطلب من صدام للتحقيق في الأمر وكانت اللجنة تتألف من عبد الخالق السامرائي وعزيز شريف ومحمد محمود عبد الرحمن ودارا توفيق وأحسان شيرزاد ومكرم الطالباني، وقد اعترف ابراهيم كَباري امام اللجنة وعن اتصالاته في بغداد لا سيما مع ناظم كَزار مدير الأمن العام. لقد كانت فرصة سانحة حينما اكتشفت مؤامرة ناظم كزار وقد نسبت الى فعله كل تدابير الأغتيالات التي حيكت في بغداد وإنه من المتآمرين الخونة، وإن القيادة العراقية بريئة من هذه المؤامرات.

بعد كتابة هذه الفقرة قرأت بحثاً مكتوباً عن موضوع اغتيال البارزاني وهو منشور في موقع صوت كوردستان، يرجي مراجعة المراجع والهوامش في آخر هذا الفصل[٨أ].

تعثر الحوار

الغيوم الملبدة في السماء تنذر بهبوب عاصفة، وهكذا من الطبيعي ان يكون لكل حدث مقدمات، وعالم السياسية لا يشذ عن هذه القاعدة، فإن كان المناخ الديمقراطي مفقوداً لا يمكن حل المعضلات المتفاقمة بروح ديمقراطية، ففاقد الشئ لا يعطيه، وهكذا كانت المسالة الكردية التي اريد لها حلاً ديمقراطياً في عهد البعث بعد تموز ١٩٦٨، فالنظام له اولوياته وله ايديولوجيته القومية المعروفة في نظرته الفوقية على القوميات الأخرى، وإن كانت بعض الشعارات في شأن المسألة الكردية قد اطلقت، فالزمن كان كفيلاً بكشف حقيقة مفادها ان تلك الشعارات كانت تدخل في حسابات تكتيكية.

الشعارت كانت تنبئ لقارئها ان البعث بصدد حل المسألة الكردية وكان مهندس الحل صدام حسين. لكن الوقائع اثبتت ان استقرار مياه الثورة البعثية في باطن القا ع الأجتماعي سرعان ما دأب النظام على تطبيق الخطة الأديولوجية في التعامل مع القوميات غير العربية، ويبادر صدام حسين الى حل المسالة الكردية بطرق ابواب أيران ليتنازل لها عن حقوق تاريخية في مياهه وأرضه، في سبيل خنق انفاس الثورة الكردية.

بعد نجاح العراق في تأميم شركات النفط في حزيران ١٩٧٣ والنظرة المتفائلة في ازدهار اقتصاده مستقبلاً، كان الأتحاد السوفياتي يرمي الى توطيد العلاقات مع العراق لتمرير جملة من العقود من بينها تزويد العراق بأسلحة وطائرات متطورة، وهكذا كان دخول الكرملين على الخط في العلاقات الداخلية العراقية وعمل على وقف تدهور العلاقة بين الثورة الكردية

والحكومة العراقية. في هذا السياق ايضاً كانت جهود السوفيات لحمل قيادة الثورة الكردية على انضمام الحزب الديمقراطي الكردستاني الى التحالف بين الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث وعرف باسم الجبهة الوطنية التقدمية والتي اعلنت في ١٧ تموز ١٩٧٣ وحث الحزبان الحزب الديمقراطي الكردستاني على الأنضمام للجبهة وقد رفض الحزب المذكور هذه الدعوة لسببين هما: اولاً عدم تنفيذ اتفاقية ١١ آذار، وثانياً عدم وجود تكافؤ في اللجنة العليا للجبهة الوطنية التقدمية، التي تقرر ان تضم ثلاثة اعضاء من الحزب الشيوعي وثلاثة من الحزب الديمقراطي الكردستاني في حال موافقته على الأنضمام الى الجبهة، وثمانية أعضاء من حزب البعث، ومقعدين للديمقراطيين المستقلين والقوميين التقدميين[٩].

إن هذا التقسيم لا يمكن ان يشير الى الندية وتكافؤ الفرص بين الأطراف المنخرطة في الجبهة فعدد البعثيين المساوي لعدد المكوناة الأخري مجتمعةً تظهر مدي هشاشة موقف الأطراف الأخرى في صنع القرار، وهكذا كان من المتوقع الا يقبل الحزب الديمقراطي الكردستاني بهذه الصيغة.

بتدهور الأضاع نحو الأسوأ كان موقف الحزب الشيوعي يزداد حراجة، أنه اليوم في حلف او اتفاق مع حزب البعث،غريم الأمس، والذي حاول استدراجه الى نقطة التصدي لقوات البيشمركَه والحزب الديمقراطي الكردستاني ولقوات حليف الأمس ورفيق الدرب النضالي والذي كان يقف معه دائماً كتفاً الى كتف في مقارعة الأنظمة المستبدة، إن هذه الحالة كان يسعي اليها ويرتاح لها حزب البعث العربي الأشتراكي في العراق. وقد أثبتت الأيام خطل هذه السياسية فكان لابد من ان تعود المياه الى مجاريها بين الطرفين وربما كل طرف منهما يتحمل قسطاً من المسؤولية فيما آلت اليه تلك العلاقات، ولكن في نهاية المطاف عاد التعاون والوئام بين الطرفين ليساهم الحزب الشيوعي بحصته في الثورة الكردية.

تعتبر اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ حدثاً تاريخياً في مسيرة الشعب الكردي فالنواحي التي تطرقت اليها الأتفاقية تعتبر قضايا جذرية تمس حياة الشعب الكردي، لكن كان هناك تحفظات وخشية من التلكؤ في تطبيق تلك المضامين التي وردت في حيثيات الأتفاقية، واحتمالية وجود نيات مبيتة للنيل من الثورة وضرب خاصرتها من الداخل وذلك بالعمل علي اسلوب الأغراء المادي لشراء الذمم حيث ان اجواء المفاوضات تتيح المجال للاتصالات السرية المكثفة. بهذا الشأن يحذر البارزاني انصاره قائلاً:

إن اتفاقية ١١ آذار اتفاقية عظيمة ولاول مرة في تاريخ الكرد يتم الأعتراف بحقوق الشعب الكردي بهذه الصيغة المشرفة. لكنني أخشى ان يستغل النظام الظروف المستجدة للتسلل الى صفوفنا تحقيقاً لما عجز عن تحقيقه بالقتال طوال السنين الماضية. ألفت انظاركم بشدة

وأوصيكم بالحذر واليقظة وعدم الأنجرار وراء الأغراءات المادية[١٠].

ملا مصطفى البارزاني الذي عجنته الحياة وخبر اساليب الحكومات المتعاقبة كان يولي اهمية كبيرة لمسالة اختراق الثورة وإجهاضها من الداخل، وقد اثبتت الأيام ان حدسه كان في محله. حيث نشط النظام في هذه الفترة، وينبغي الأقرار بانه في كل زمان ومكان هناك عناصر لها الأستعداد الكامل لعرض خدماتها مقابل الكسب المادي او نيل الشهرة والسلطة ومهما كانت الوسيلة، وفي الحقيقة ان اسلوب الأغراء المادي يكون اكثر رواجاً وقبولاً في المجتمعات القبلية التي يسودها ثقافة مناصرة ابن العشيرة دون النظر ان كان ظالماً او مظلوماً، وهي نابذة لثقافة وأخلاقيات الدولة التي يحكمها النظام والقانون الذي يسري على الكل دون تفرقة او تمييز.

وكما كان متوقعاً وحسب تجارب ملا مصطفى البارزاني الثرية في التعامل مع الحكومات المختلفة فقد حدث ما كان يخشي منه حيث استطاعت الحكومة من استمالة عناصر قيادية كثيرة الى جانبها، ومن هذه العناصر من كان لهم دور قيادي ومشرف وشجاع في المعارك والأحداث التي مرت علي ثورة كردستان، وافلح ايضاً في كسب ود عدداً من ابناء العائلة البارزانية مستغلاً الخلافات العائلية في هذه العشيرة.

تنمية قدرات الجيش

من توالي الأحداث على الساحة العراقية منذ قيام الدولة العراقية الحديثة في اعقاب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩٢٠ فقد نشأت هذه الدولة بشكل جعل الحكم فيها بيد اقلية عربية سنية، ويقول حسن الجلبي:

إن هذه الأقلية أمسكت بمقاليد الأمور منذ ذلك الوقت. وترتب على ذلك حرص هذه الأقلية علي ان مركز السلطة في يدها كلياً ومن ثم بسط سلطان هذا المركز علي كل اطراف العراق فأجزائه وقومياته ومذاهبه، وكل ما هو موجود من تنوعات وتعددية ضمن الشعب العراقي من عرب وأكراد، وسنة وشيعة، ومسلمين ومسيحيين، لقد عانى الجميع من هذا التسلط وبشكل خاص الأخوان الأكراد الذين وقعوا ضحيته[١١].

كانت الميزة العرقية واللغوية تأخذ مكانها في الهوية العراقية والتي كان الحكم يعمل على التباهي بها، وهذا الذي لم يستطع الأكراد ان ينافسوا فيه، فالجيش العراقي كان يركز علي الهوية العربية، كوسيلة لتحقيق الهدف الأسمى، وكان الجيش يشكل الوسيلة الفعالة بيد الدولة، وهكذا كانت الدولة سخية بتنمية ميزانية الجيش والتسليح على حساب المرافق الأخري، ويمكن الزعم ان الجيش اصبح عنواناً لهوية قومية عربية في الدولة العراقية، وبمرور

الوقت بات هذا الجيش وسيلة لتصفية الحركات التي يشك في ولائها إن كانت مذهبية كالشيعة او قومية كالحركة الكردية، وهذا كان ديدنه منذ تأسيسه الى مراحل متقدمة من تطوره عدداً وعدة وتسليحاً.

بمتابعة الحدث العراقي سنلاحظ ان الأكراد كانوا في الغالب يدفعون ضريبة نمو الجيش العراقي، لأن كردستان كانت ساحة اختبارية لتدريب الجيش العراقي على حروب الجبال وساحة مكشوفة لاختبار قدرات الجيش، وفي مناسبات أخرى كانت كردستان تستخدم كساحة مفتوحة لابعاد قطعات الجيش عن المركز في بغداد لتجنب قيامها بانقلاب عسكري.

إن الأعتماد على الجيش وجعله يشغل المحور المركزي على تثبيت دعائم الدولة، وتوظيفه كأداة تخويف وإخماد قسري لكل حركة مناهضة تعمل على تقويض الحكم، وتسنم هذه المهمة بشكل فعال ومباشر حين الأنتقال الى الحكم العسكري الجمهوري بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ثم توطدت هذه المكانة بعد قيام سلطتي البعث عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٨م.

إن لغة الأرقام تبين الفارق الكبير بين ما كان يصرف العسكر كلما تتوسع وتتضخم المهمات الملقاة على عاتق الجيش.

بين عامي ١٩٥٣ و١٩٦٥ وبسبب ارتفاع عائدات النفط تضاعفت نسبة الأنفاق على الدفاع، فبينما بلغ الأنفاق على الجيش ٨٪ فقط من مجموع الناتج الوطني العام في سنة ١٩٥٨ فارتفع الى ١٣٪ في اواسط الستينات، ليصل الى ١٩٪ في عام ١٩٧٤ كذلك نما حجم القوات المسلحة بين عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٤ من ٥٠ ألف الى ٨٠ ألف، ليصل الى ٢٠٠ ألف في ١٩٧٤ هذا مع العلم ان اربعة أخماس هذا الجيش كان في عام ١٩٦٤ منشغلاً في حرب الشمال مع الأكراد. إلا ان سنة ١٩٨٨ التي سجلت نهاية الحرب العراقية ـ الأيرانية واتجاه شفرة العسكرية العراقية الى الأكراد، رفعت عدد أفراد الجيش الى رقم فلكي وهو ٩٥٠ ألف جندي نظامي و ٢٥٠ ألف من الجيش الشعبي[١٢].

إن هذه الأمكانات العسكرية في الكمية والنوعية كانت تنم على الشعور بالقوة، والحكومة من الناحية الأديولوجية لا يمكن ان تفي بكل ما وعدت به، وكانت هنالك قضية كركوك وهي العقبة الكأداء التي كانت تقف في، معظم الأوقات، حائلاً دون اتمام صفقة المفاوضات لتفسح الطريق نحو استئناف القتال.

تبقى مسالة المناطق الغنية بالنفط محور الخلاف، والحكومة تعتقد ان التنازل عن هذه المناطق يعني تقويض قدرات العراق الأقتصادية الأستراتيجية، فلجأت الحكومة الى منح حكم ذاتي الى الشعب اكثر من كونه علي الأرض، فكان مبدأ الحكم الذاتي يركز علي المناطق التي

يشكلون الأكثرية، وإن هذه النسبة ستعتمد نتائجها علي استفتاء او احصاء عام، وهذا كان السر في محاولة الحكومة بنقل عوائل عربية الى المناطق المتنازع عليها، ومنها مدينة كركوك.

يرى الثقات ان صداماً لم يكن يرمي الى تسوية المسألة كحل دائم، لكنه كان مع البكر مشغول الذهن في توطيد ركائز الحكم فكان ينبغي تحقيق السيطرة على الجناح العسكري للبعث، ومن ثم جر الشيوعيين الى التعاون معهم حتي يمكن التخلص منهم في الوقت المناسب، فالذي حصل ان صدام حسين نفسه ذهب الى كردستان حتى يعقد الاتفاقية. فوضع اوراقاً بيضاء أمام الملا مصطفى وأخبره ان يكتب مطالبه، قائلاً: إنه سوف لن يغادر قبل ان يوقعا على وثيقة مقبولة للطرفين، وقد حصل ذلك. أخذ صدام معه الى بغداد الأتفاقية التي ادت الى بيان هام في ١١ آذار مارس ١٩٧٠[١٣].

ملامح انهيار اتفاقية السلام

زخم جارف من التفاؤل والأفراح كانت عنواناً لشهور عسل لم تدم طويلاً أمام تزاحم نقاط الخلاف وارتفاع وتيرة الأحداث ونبرة الشكاوي وتبادل الأتهامات، فالحزب الحاكم كان يعدد منجزاته التي حققها والبارتي يحصي التجاوزات والأنتهاكات التي يقوم بها حزب البعث وأجهزته الأمنية في كوردستان. الخلافات الأولى بانت ملامحها في رفض حكومة البعث الموافقة علي مرشح الحزب الديمقراطي الكردستاني لمنصب نائب رئيس الجمهورية وهو كريم احمد وهو من الأكراد الفيلين وكان رفضه تحت ذريعة اصوله الأيرانية، كما كان واحداً من بين ١٠٠ ألف من الأكراد الفيليين الذي استوطنوا الجانب الغربي لزاغروس، والكثير منهم في بغداد، خلال الفترة العثمانية وفي شهر كانون الأول ١٩٧٠ استطاع الملا مصطفى القول: إننا متفائلون الآن. بعد عشر سنوات من القتال عرضت علينا الحكومة الحكم الذاتي في شهر آذار الماضي وحتى الآن يبدو انهم ينفذون الأتفاقية. مع ذلك كان هذا آخر خبر أيجابي. قبل انقضاء الشهر كانت محاولة اغتيال فاشلة استهدفت ابنه أدريس في بغداد[١٤].

في هذا الوقت كانت هنالك خلافات تطفو على السطح من بينها ما كان يقدم عليه الحكم في العراق من إجراءات التسفير الى ايران والتي طالت حوالي ٥٠ ألف من الأكراد الفيليين والذين كانوا مقيمين في العراق منذ العهد العثماني، ولم يكن لهم الجنسية العراقية، وكانت الحكومة تدعي تبعيتهم الأيرانية، وفعلاً لجأت الحكومة الى طردهم من الأراضي العراقية.

والنقطة الأخرى التي وسعت من هوة الخلاف كانت المسألة الديموغرافية، فكان تأجيل الأحصاء الذي خطط له في بعض المدن قد أجل عدة مرات، وفي هذه الأثناء كانت الحكومة تعيد استيطان العرب في المناطق المتنازع عليها مثل مدن كركوك وخانقين والسنجار



المرحوم ادريس البارزاني مع المرحوم والده مصطفى البارزاني

والشيخان، وهي مناطق كوردية.

ورغم ان الملا مصطفى البارزاني كان لا زال يتحدث علنياً بعبارات لطيفة بغية إبقاء على جو الثقة قائماً، لكن لمقربيه لم يكن يخفي ما يضمره المستقبل لا سيما تلك الأخبار التي تخص مدينة كركوك، وهو يقول:

لقد قاتلنا عشر سنوات من أجل الحكم الذاتي وسوف نقاتل خمس سنوات أخرى من أجل كركوك، إذا استدعت الضرورة.

كان البارزاني يدرك مخاطر توطين العرب في المناطق الكردية المذكورة بغية تغيير تركيبها القومي لصالح العرب وتغيير واقعها الديموغرافي، وباتت كركوك بنوع خاص موضوعاً شديد الحساسية ومثيراً للعواطف من الجهتين، وفي هذه الأثناء كانت الأمور تأخذ منحى آخر حيث وقعت معاهدة الصداقة العراقية السوفياتية في ٩ نيسان ١٩٧٢ وقررت الولايات المتحدة مساعدة ايران لموازنة النفوذ السوفياتي في المنطقة، وبعدها في شهر حزيران أقدم العراق على تأميم شركات النفط الأجنبية في العراق وبات للولايات المتحدة جراء ذلك اسباب أخري كافية للعمل علي تقويض صرح النظام البعثي في بغداد[١٥]. وعلى خلفية كون القضية الكردية تشكل ورقة فاعلة في مجمل الساحة السياسية العراقية، فقد كان لهذا التوجه تاثيره الفعال علي القضية الكردية، في هذا السياق سيتجه شاه ايران نحو مساعدة الثورة الكردية، ومن جانبه سيغامر نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين وهو الرجل الأول في الدولة العراقية بالتنازل لأيران بجزء من أراضي ومياه العراق في شط العرب، بغية تحييدها في الصرا ع الدائر بين الحكومة العراقية والأكراد، ليتسنى له الألتفاف على الثورة الكردية

والأجهاز عليها.

وينبغي ان نضيف هنا العامل الأقتصادي الذي عزز من نزعة التعالي والأستئثار لدى النظام، حينما بلغت واردات تصدير النفط اضعافها بعد التأميم والأرتفاع الكبير الحاصل في اسعار النفط بعيد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ هذه العائدات مكنت النظام العراقي من تعزيز قدراته العسكرية وتحديث اسلحته، فكان النظام يرى في اسلحته الحديثة المتطورة وفي قدراته اللوجستية والمالية، ورسوخ ركائز الحكم علي الساحة الداخلية، بات بمقدوره تنفيذ حلول المسألة الكردية وفق رؤيته، أي من جانب واحد ودون الرجوع الى الجانب الكردي المعارض الذي كان يتجسد في قيادة ملا مصطفى البارزاني.

لقد رأت الحكومة العراقية في هذه المرحلة، انها فرصة تاريخية ذهبية لابعاد قيادة البارزاني عن دائرة التأثير علي مجمل حل المسألة الكردية، فتقرر الخطوط الرئيسية للحكم الذاتي، وتطبق التفاصيل الأخرى في هذه المسالة وفق الرؤية الحكومية مع جهات كردية أخري خارج نطاق الدائرة السياسية لقيادة البارزاني.

كانت المحصلة النهائية في المواقف سائرة نحو فتح قنوات لعلاقات امريكية مع الثورة الكردية تمر عبر الدعم الأيراني في التسليح والدعم اللوجستي للثورة الكردية بقيادة ملا مصطفى البارزاني.

إن هذه الحالة قد جعلت البارزاني يقدم مقترحات جديدة يرفع فيها من سقف الحكم الذاتي، فقد طالبت المقترحات بالحكم الذاتي للمنطقة الكردية التي عرفت بأنها تلك المحافظات التي يشكل فيها الأكراد أغلبية، هذا التعريف يشمل كل محافظة كركوك.. وكذلك اقترح الملا مصطفى كركوك عاصمة لكردستان، هذا ما يورده ديفيد مكدول الذي يضيف بأن البارزاني رفع سقف مطالبه فمثلاً في حالة نشوب أي نزاع داخل المنطقة الكردية، تكون الأولوية للقانون المحلي على قوانين الحكومة المركزية، وكما اشار مسؤول بعثي كبير فإن الأكراد لم يطلبوا الحكم الذاتي بل دولة فوق دولة.

في تشرين الأول ١٩٧٣ اعلن البعث انه سوف يمضي قدماً في تنفيذ مسودة الحكم الذاتي، وعقدت مناقشات مع ٦٠٠ من المستقلين والمناوئين للملا مصطفى والحزب الديمقراطي الكردستاني ايضاً، كان هذا مؤشراً واضحاً علي تصميم البعث علي التخلص من الحزب الديمقراطي الكردستاني إذا استدعت الضرورة، في الوقت نفسه اعلن صدام حسين ان الحزب الديمقراطي الكردستاني والشعب الكردي ليسا الشئ نفسه بأي شكل من الأشكال، وإن قوي معادية للثورة قد تسللت الى الحزب الديمقراطي الكردستاني[١٦]. بهذا المنحي يكون

التنافر هو سيد الموقف، وكان واضحاً لأي مراقب ان يستنتج بأن العلاقات بين الثورة الكردية والحكومة العراقية تسير بسرعة نحو التدهور يوماً بعد آخر.

صدور قانون الحكم الذاتي لعام ١٩٧٤

عام ١٩٧٤ كان موعداً لولادة الحكم الذاتي بصورة طبيعية، لكن احداث وتطورات السنوات الأربع الماضية تمخضت عن اجهاض تجربة الحكم ذاتي، فكانت الولادة لقانون لم تكتمل ابعاده، فولد مشوهاً لا يستطيع الصمود والأستمرار مع الوقت. ويمكن القول انه ولد ميتاً.

لكي يضفي على قانون الحكم الذاتي الذي صدر عام ١٩٧٤ الصفة الشعبية كانت هنالك موافقة الجبهة الوطنية عليه وهذه الجبهة كانت تشمل الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الأشتراكي الحاكم وبعض الفئات القومية.

كانت هذه الجبهة مسألة عجيبة محيرة، ففي ظروف وجود الجبهة كانت عمليات الملاحقة والأعتقال والأغتيال تطال اعضاء الحزب الشيوعي. ومن المفارقات التي يتندر بها العراقيون في فترة الجبهة حينما سمح للحزب الشيوعي بفتح مقرات له في المدن، وأراد الكتابة على واجهة إحد المقرات: مقر الحزب الشيوعي العراقي، لم يعثر على الخطاط الذي يقوم بالمهمة، كانوا يهابون سطوة رجال الأمن، فتبرع احد الرفاق الكادحين بالقيام بالمهمة، فتسلق السلم وبدأ يخط:

مقر الحزب الشيوعي العراقي، وحينما عكف على النزول لمح اثنين من رجال الأمن ينتظرانه في الأسفل، فما كان منه إلا ان أكمل الكتابة ويقول: لصاحبه حزب البعث العربي الأشتراكي.

لقد كانت هنالك محاولات اللحظات الأخيرة، لتفادي الحرب التي باتت ملامحها واضحة في الأفق، وفي تلك الأثناء امتنع ملا مصطفى البارزاني من إرسال ابنه مسعود الى بغداد كما طلب صدام حسين، وجرى لقاء خاص في بغداد في اواسط كانون الأول ١٩٧٣ بين محمد محمود عبد الرحمن (سامي) وصدام حسين، وفي هذا اللقاء كان تهديد صدام حسين بأنه سيتنازل عن نصف شط العرب لايران إذا تطلب الأمر، إذ يقول صدام حسين: حينما طلبت الأخ مسعود كان بودي ان اخبره بأنه إذا اضطررنا الى التخلي عن نصف شط العرب الى ايران تحت ضغط الحركة الكردية فإن ذلك سيترك آثاراً سلبية وربما أحقاداً لأجيال وذلك لا يخدمنا ولا يخدم الحركة الكردية. وأما إذا تم التخلي عن ذلك تحت ظروف توازن القوي خارج بلادنا فيكون لذلك حساب آخر، وفي كلتا الحالتين سنشرحه لمواطنينا.

وفي جوابه يقول محمد عبد الرحمن (سامي):

إن الحركة الكردية لا يمكن ان تكون جزءاً من الحركة الرجعية في المنطقة ولا حليفاً للامبريالية، وإنما هي جزء من حركة شعوب المنطقة والتحرر في العالم، وإن أي خطوة لا تنسجم مع ذلك لا يمكن ان تخرج من عداد التاكتيكات الأضطرارية (اتكلم هنا ليس كوزير وإنما كحزبي) إننا نعلم من الذي مزق الشعب الكردي وحرم ١٥ ـ ٢٠ مليون كردي من حقوقه منذ الحرب العالمية الأولى..[١٧] وفي هذا اللقاء يقول صدام حسين لمحدثه (سامي) بأن المدة محدودة ومجال المناورة ضيق ويجب ان ينتهي كل شئ في ١١ آذار ١٩٧٤م.

أجل كان الوقت يمضي بسرعة، لكن في هذه الأثناء كانت دائماً قضية كركوك هي النقطة التي توصل المفاوضات الى طريق مسدود، وفي اواسط شباط كانت قيادة حزب البارت تجتمع بمقر البارزاني في قسري وتقرر عدم المساومة او التنازل عن كركوك ومناطق أخرى لأخراجها من حدود الحكم الذاتي.

تعتبر السفرة التي قام بها أدريس البارزاني الى بغداد علي رأس وفد كبير بتاريخ ٧ آذار ١٩٧٤ آخر محاولة جدية لانقاذ الموقف، وفي المساء اجتمع الوفد مع صدام حسين الذي بادر الى القول مخاطباً أدريس بأن على الطرف الكردي الموافقة على الصيغة النهائية لقانون الحكم الذاتي وهو يضيف قوله:

إن الذي اريد للوالد هو هذا: لا ترغمونا على التنازل لشاه ايران، إن داهم العراق خطر علي كيانه فإذاك سنتنازل عن شط العرب درءاً للخطر، وهذا سيصيب قلوبنا بجرح عميق. وانتم ستتحملون العواقب وعليكم ستقع المسؤولية. وإذا ارغمنا على التنازل للشاه فإنكم ستدفعون الثمن الباهظ.

كان جواب أدريس البارزاني لصدام حسين بأن يكون التنازل للشعب العراقي وليس لشاه أيران، كما كان ادريس البارزاني يحمل تعليمات يطلب فيها إرجاء اعلان قانون الحكم الذاتي لمدة ستة اشهر الى سنة واحدة، كما ان التعليمات التي كان يحملها تقضي بعدم التنازل عن كركوك وسنجار وخانقين، لكن صدام حسين ابلغ الوفد بأن هذه المقترحات وغيرها مرفوضة وإن المخرج الوحيد هو القبول بالحكم الذاتي بالصيغة النهائية التي وضعتها الحكومة وهنالك مدة أمدها ١٥ يوماً لن يكون هنالك أي تحرك، وبعد ذلك سيكون من يرفضها عدواً لنا.

في التاسع من آذار ١٩٧٤ عاد أدريس البارزاني والوفد المرافق من بغداد، وعقدت اجتماعات مكثفة للقيادة الكردية رافضين إنذار النظام، ويومها قال ملا مصطفى البارزاني حول كركوك:

الله شاهد على إنني أكره القتال. فالقتال أسوأ السبل لمعالجة الأمور. إلا ان البعث لم يترك

لنا سبيلاً آخراً وليس معنى اقتراحهم إلا النزول لهم عن كركوك والمناطق الأخرى. وهو من المحال. ألا فلنستقبل المصير إن قدر لنا ان نهلك جميعاً فأنا أكره ان يأتي الكرد ليبصقوا على قبري قائلين: لماذا بعت كركوك؟[١٨]

من المنطقي الا تكون علاقات قيادة الثورة الكردية مع ايران علاقات استراتيجية على حساب العلاقات الداخلية في الوطن العراقي، إنما مع ايران او مع اية دولة أخرى كانت تمليها الحاجة والضرورة القصوى التي لا مناص منها، وفي الصلات مع ايران كانت قيادة الثورة الكردية مستعدة للتنازل عنها إذا ما تم التوصل على اتفاقية شاملة مع الحكومة العراقية، والشواهد على ذلك كانت يوم صدور بيان ١١ آذار عام ١٩٧٠ حيث وقفت الثورة الكردية الى جانب الحكومة العراقية بالرغم من محاولات ايران لجر القيادة الكردية الى جانبها وإغرائها بمزيد من المساعدات، لكن الثورة وقفت الى جانب الحكومة لتؤيد بقوة ذلك البيان حيث كانت تأمل بأن يتم التوصل الى اتفاقية شاملة، وتبدأ عملية البناء السلمي في العراق، لكن الرياح لم تجر بما تشتهي السفن، فكان قرار العودة الى نقطة الصفر لتغرق المنطقة في دائرة العنف مرة أخري.

لم يجر تأجيل اعلان قانون الحكم الذاتي الخاص بها والمثير للجدل وأعلن في موعده المحدد في ١١ آذار ١٩٧٤، وأمهلت بغداد القيادة الكردية اسبوعين لقبول بنود القانون، والأنضمام الى الجبهة الطنية، لكن للقيادة تحفظات علي بنود القانون ويشخص ديفيد مكدول نقاط الخلاف والتي تسببت في عودة الأضطراب الى المنطقة، ومجمل نقاط الخلاف تتلخص في المواد التالية:

١ ـ كردستان التي تم تحديدها بوجود اغلبية كردية حسب إحصاء ١٩٥٧ سوف تتمتع بالحكم الذاتي كوحدة متممة ضمن إطار العراق، وفقاً لاتفاقية ١١ آذار، واتخاذ اربيل كمركز للعاصمة.

٥ / ٦ ـ تكون المنطقة ذات وحدة مالية متمتعة بالحكم الذاتي ضمن الوحدة المالية للدولة. وسوف تكون ميزانيتها الأقتصادية ضمن الميزانية الموحدة للدولة.

١٣ ـ يقوم رئيس الجمهورية بتعيين عضو من المجلس التشريعي (المنتخب) لتشكيل المجلس التنفيذي. كما يحق لرئيس الجمهورية طرد رئيس المجلس التنفيذي في أي وقت، وفي هذه الحالة يحل المجلس التنفيذي.

١٦ ـ تُلحق تشكيلات الشرطة والأمن والجنسية في المنطقة بدوائرها العامة في وزارة الداخلية، ويخضع كوادرها للقوانين والتعليمات المعمول بها في الجمهورية العراقية.

١٧ ـ تخضع دوائر السلطة المركزية في المنطقة للوزارات التي تتبع لها، وتخضع لتوجيهها العام.

١٨ ـ تمارس محكمة الأستئناف العليا في العراق الأشراف على شرعية قرارات هيئات الحكم الذاتي.

١٩ ـ تقوم محكمة الأستئناف العليا في العراق بمراقبة شرعية القرارات المتخذة من قبل هيئات الحكم الذاتي[١٩].

رأت القيادة الكردية ان هذه المواد تفرغ الحكم الذاتي من جوهر تكوينه ففي الممارسة القضائية الواردة في المواد اعلاه يمكن للسلطات الحكومية تجريد الحكم الذاتي من أي مضمون حقيقي لمعني ممارسة السلطة في مناطق الحكم الذاتي من قبل الأكراد. في هذه الفترة كان البارزاني يقول بأن كركوك ينبغي ان تتخذ كعاصمة لمنطقة الحكم الذاتي. وفي اليوم التالي لاذاعة قرار مجلس قيادة الثورة بتطبيق قانون الحكم الذاتي، أذاعت قيادة الثورة الكردية تعقيباً وصفت فيه القانون بأنه مبتور وغير عملي، وهي تتمسك بشعارها الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان. فإضيفت في هذه المرحلة مصطلح الحكم الذاتي الحقيقي بدلاً من الحكم الذاتي المطروح سابقاً.

في هذه الفترة إذا كان الحكومة تعتد بنفسها وبقوتها بما تملكه من موارد إضافية في عمليات تأميم النفط، وكذلك في حجم ونوعية الأسلحة التي استوردها العراق من مختلف المصادر وفي مقدمتها من الأتحاد السوفياتي السابق والكتلة الأشتراكية.

فعلى الطرف الآخر ايضاً كانت الثورة الكردية التي ما برحت قيادتها تهتم بالأمور الأدارية والتنظيمية والتسليحية وقطعت اشواطاً كبيرة في هذه المضامير. في الشأن العسكري كان عدد البيشمركَه في عام ١٩٧٠ قبيل توقيع اتفاقية ١١ آذار يقدر بحوالي ٢٥ ألف مقاتل موزعين هيزات وبتاليونات وما ان جاء ربيع عام ١٩٧٤ حتي تضاعف العدد بل زاد عن الخمسين ألف وبسلاح افضل، والى هذا العدد كان للثورة حوالي ٥٠ ألف من البيشمركَه آخرين من قوات الأحتياط او كما كان يطلق عليها به ركَري ماي أي الدفاع الشعبي[٢٠]. إن الجهاز الأداري في المنطقة المحررة والتي كانت تديرها الثورة الكردية كان يطلق عليها مصطلح الأمانة بدلاً من الوزارة التي كانت الحكومة تفسرها على انها ترويج لمفهوم الأنفصال، فهناك أمانة المالية والداخلية والأعلام والزراعة والصحة والأشغال والتعليم والعدلية، هذا إضافة الى اجهزة تابعة للمكتب السياسي للحزب البارتي كالمكتب العسكري والثقافي والأستخبارات (الباراستين)، ومكتب العلاقات الخارجية وتنظيمات نقابية ومهنية.



صدام حسين، حردان التكريتي، مصطفى البرزاني

بعد تردي العلاقات بين النظام والثورة الكردية وبات القتال قاب قوسين او أدنى من المنطقة، كان لا مناص امام هذه الأجهزة من تحمل مسؤوليتها والنهوض بتلك المهمات الجسيمة التي استجدت على المناطق المحررة فقد تدفقت الجموع نحو المنطقة دون ان تقوم الحكومة بمنعها، ولا شك ان هذه الأعداد كانت تشكل عبئاً على إمكانيات الثورة المحدودة، وإن كان على الثورة في حتمية أختيار بين الكم والنوع فلاشك ان الثورة يعنيها النوع بالدرجة الأولى، فالمقاتلين المتدربين المنظمين في مجموعات صغيرة سريعة الحركة هي المفضلة على حروب العصابات في المناطق الجبلية الوعرة. فالمجموعات الكبيرة، تتطلب إمكانيات تجهيزية كبيرة من طعام ومنام وملابس ناهيك عن متطلبات أخري كالعلاج والتنقل والتدريب وغير ذلك، فحرب العصابات او حرب الأنصار لابد ان تتسم بالغارات المفاجئة على الحلقات الضعيفة في الجيش، فليس بالأمكان مواجهة الجيش الند للند للفروق الكبيرة في الأعداد البشرية والقدرة التسليحية والأمكانات المادية.

لقد التحق بالثورة في تلك الفترة اعداد كبيرة تحمل شتى الأختصاصات. فقد بلغ عدد المعلمين والمدرسين أكثر من ٤٠٠ موزعين على مختلف المناطق كما التحق بالثورة حوالي ١٠٠ طبيب و ١٥٠ ضابطاً من الجيش والشرطة و ٣٠٠ مهندس و ٣٠ استاذاً جامعياً معظمهم يحمل شهادة الدكتوراه وحوالي ٢٠٠ طالب جامعي هم القسم الأكبر من جامعة السليمانية التي انتقلت بطلبتها وهيئتها التدريسية الى منطقة الثورة وقد تم افتتاح الجامعة في بداية الربيع في مدينة قلعة دزه..[٢١] وبعد استئناف العملية العسكرية كانت هذه الجامعة هدفاً سهلاً للطائرات الحربية العراقية ليكون ضحية القصف مئات القتلى والجرحى، وكانت بحق كارثة



مسعود البارزاني في فترة الشباب

راح ضحيتها هؤلاء الشباب وهم على مقاعد الدراسة.

لقد كان هنالك اعباء إضافية على الثورة، فمواجهة القوات الحكومية لم تعد المهمة الوحيدة امام الثورة، إنما كانت مسالة أيواء وأستيعاب تلك الجموع المتدفقة علي المنطقة، ولا شك ان الحكومة بفتحها الأبواب امام ذلك التدفق البشري كان ترمي الى إرباك الثورة،ولكي تكبلها بأعباء ثقيلة تزيد من مشاكلها.

كما ان عملية النزوح الجماعي الى من المدن والقصبات الى مناطق الثورة المحررة قد أفرغ هذه المناطق من عناصر كانت تفيد الثورة بالمعلومات وبالمساعدات المادية، فالكثير منهم تركوا وظائفهم واعمالهم وتوجهوا نحو مناطق كردستان المحررة، وهذا المنحي لم تعمل السلطات الحكومية على ايقافه، إن لم يكن قد وقع بتشجيع من السلطات نفسها.

لا شك ان القيادة الكردية كانت تدرك حجم المسؤولية، وإن الوضع الجديد يتطلب دعماً مادياً كبيراً، فإمكانيات المنطقة الزراعية غير قادرة على تلبية هذه المتطلبات المتنامية. وفي الظروف الأعتيادية الطبيعية ربما يكون لمنطقة كردستان نوع من الأكتفاء الذاتي، مقروناً بحركة تجارية وفتح مشاريع عمرانية وسياحية في المنطقة، وظروف مواتية للزراعة، لكن في تلك الأوضاع الأستثنائية مع فرض حصار اقتصادي على المنطقة، كل ذلك كان يزيد من مصاعب المنطقة، ومن استعدادها لخوض حرب متواصلة.

يبدو ان القيادة الكردية كانت تعول كثيراً على المساعدات الخارجية، وبصورة خاصة على الوعود الأمريكية، وعلى فتح ابواب ايران لتقديم مختلف انواع الدعم للثورة. لكن هل كانت تصورات وتكهنات القيادة الكردية في محلها؟ هل وقعت في فخ منصوب لها بإحكام؟ هذا ما نستطيع تسليط الضوء عليه في الفقرة القادمة.

استئناف العمليات العسكرية

كانت الحكومة قد حشدت اعداد كبيرة من القوات العسكرية، فقد استدعت الى الخدمة ٩ مواليد مسرحة وهي مواليد ١٩٤٤ ـ ١٩٥٢، ومن الطائرات الحربية ومن المدافع والدبابات للمضئ في اكتساح المنطقة، كانت معظم الفرق العسكرية بألويتها وأفواجها، وكذلك قوات الشرطة في محافظات اربيل وكركوك والموصل والسليمانية، ومعها افواج القوات الخاصة، ويعزز هذه القوات جميعاً اسراب من الطائرات الحربية من سوخوي وهنتر والميك ٢١ وقاذفات القنابل الآستراتيجية توبوليف ـ ١٦ هذا إضافة الى أسراب من طائرات الهليوكبتر. وقدرت هذه التجهيزات بأربع فرق عسكرية من بينها الفرقة الثامنة التي تستخدم الطائرات العمودية الفرنسية أيليوت وهي وحدات خاصة من المغاوير والمظليين.. كما كانت الفرق العسكرية الأربعة مدعومة بكتيبتين من وحدات الفرقة المدرعة الثالثة والفرقة المدرعة العاشرة مما ادي الى رفع عدد الدبابات المخصصة للقتال مع الكورد الى ٣٥٠ دبابة ويضاف الى هذه القوة وحدات سلاح الطيران التي تمتلك اكثر من ٢٠٠ طائرة سوفيتية الصنع. ورغم ان طائرات الميك ١٧ و١٩ كانت من الناحية العسكرية قديمة، إلا ان استخدامها ضد وحدات الأنصار الكوردية التي تفتقر الى اية وسيلة مضادة للجو، كان مؤثراً وفعالاً[٢٢].

كانت المناوشات تحدث بشكل متفرق بين آونة وأخرى وفي شهري آذار ونيسان كانت المعسكرات الحكومية شبه مطوقة من قوات البيشمركة، ويبدو ان القوات الحكومية كانت تتماهل ولا تريد للقتال ان يتسع، حيث ان الأمطار الغزيرة كانت تعيق من حرية حركة الآليات والدبابات، فكانت هذه القوات تحاول كسب الوقت لحين انتهاء موسم الأمطار والثلوج وتصبح الطرق سالكة للدبابات والمدرعات لتقوم بدورها الفعال في العمليات العسكرية في المنطقة.

كانت المبادرة بيد البيشمركَه حيث كانت تطوق المعسكرات في منطقة زاخو ودهوك وعقرة وجميع المعسكرات الممتدة على طريق هاملتون*[٢٣] الواقعة بعد صلاح الدين.. وشقلاوة وسيداوه وسبيلك وخليفان وكذلك بالنسبة الى معسكر دوكان وكويسنجق وطقطق.. وقد اضاعت قوات البيشمركَه فرصة الضربة الأولى والتي كانت ستفقد الجيش توازنه وصوابه والحكومة اعصابها[٢٤].

لجأت الحكومة الى ضبط النفس لأبقاء الهدوء وقد افلحت بذلك فاحتفظت بقواتها هادئة نسبياً طيلة موسم الأمطار الى ان حل فصل الصيف حيث اندلعت معارك شرسة. في البداية استطاعت القوات الحكومية من تحقيق تقدم في منطقة سهل اربيل ومنطقة سبيلك، ومن ثم تركز الهجوم في رواندوز بهدف احتلال منطقة بالك حيث قيادة الثورة الكردية، ولما كان التركيز على هذه المنطقة، ولم تكن ثمة معارك حاسمة في المناطق الأخرى فكان هذه فرصة لقوات البيشمركَه لتركيز مقاتليهم في هذه المنطقة، ونتيجة تركيز قوات الطرفين بمنطقة رواندوز فقد شهدت اكثر المعارك ضراوة، وفي هذه المرحلة من القتال استفاد النظام من استفراده بامتلاك الطائرات الحربية وركز على القصف الجوي الذي تواصل ليلاً ونهاراً حتى في حالات توقف المعارك وهدوئها فإن القصف ظل مستمراً، وكان من جملة ضحايا هذا القصف المتواصل ما اصاب جامعة قلعة دزه الذي سبب في مئات الضحايا والذي اشرنا اليه فيما سبق.

كان التركيز للسيطرة على حوض رواندوز وطريق هاملتون الذي كانت منه تتدفق المساعدات من الخارج عن طريق ايران او المساعدات الأيرانية نفسها، والسيطرة على هذه المناطق تعتبر ضرورية للسيطرة على مقر قيادة الثورة الكردية.

في ٨ ايلول ١٩٧٤ كان الهجوم الواسع على حوض رواندوز من جهتين، من ناحية جبل كَورز الى منطقة بالك والآخر من جبل كورك الى بيخال، وحينما فشل الهجوم تفتقت ذهنية احد القادة العسكريين وهو اللواء الركن اسماعيل تايه النعيمي عن حيلة عسكرية كانت مفاجئة لقوات البشمركَه ويقول عنها الأستاذ مسعود البارزاني:

انه في ١٩ ايلول شن العدو هجوماً فاقت تصورنا فقد أرسلوا البلدوزرات ليلاً الى اسفل جبل كورك ما بينه وبين بيخال فأزاحت كتل الصخور وفتحت طريقاً لانحدار الدبابات. ويضيف وقبل طلوع الفجر نزلت الدبابات من القمة الى وراء بيخال.. ولم يشعر البيشمركَه بالوطأة إلا بعد ان وصل رتل الدبابات الطريق العام المؤدي الى بيخال من رواندوز.. ومعها تغير وجه المعركة وأصبح الموقف خطيراً إذ اضطر البيشمركَه الى ترك جبل كَورَز والأنسحاب وراء ديانا والى ان يتركوا من ناحية بيخال سفح جبل كورك وينسحبوا الى (بنه كاول وبَرزيوه) وبهذا عادت الجبهة الى هندرين وزوزك وكَرو عمر آغا ودولي (وادي) آكويان كما كانت في السابق[٢٥].

لا ريب ان المساعدات التي كانت تتدفق عن طريق ايران كان لها تأثيرها على سير العمليات العسكرية،



الملازم الطيار صفاء شلال بعد اسقاط
طائرته في بَرزيوه عام ١٩٧٤

ففي ٢٣ ايلول ١٩٧٤ اسقطت طائرة ميك ١٩ في برزيوه وأسر قائدها الطيار الملازم الأول صفاء شلال. وفي ١٤ كانون الأول ١٩٧٤ اصابت صواريخ البيشمركَه طائرة أخرى، وتلتها طائرة ثالثة نوع سوخوي التي اسقطت في بَرزيزه ونجا قائدها.. معظم الطائرات التي اسقطت في هذه الفترة كانت بفعل

المعدات الأيرانية التي كان من ضمنها صواريخ مضادة للطائرات ومدفعية متنوعة.

لكن هذه الأسلحة لم تفلح في ردع القوات الحكومية من مواصلة الهجوم لتصفية الثورة والتركيز ومواصلة الخطة التي تهدف للسيطرة على مقر القيادة الكردية وعلى طريق هاملتون الأستراتيجي.

استمرت المعارك وإن كانت المبادرة بيد القوات الحكومية في توقيت الهجوم، بما لها من تفوق في السلاح والقوة البشرية، فإن الحصيلة النهائية كانت مع بقاء الأوضاع العسكرية على حلها في ظل عدم وجود إحراز نصر عسكري مؤثر لكلا الطرفين واستمرت النتيجة مع حلول فصل الشتاء حيث الأمطار والثلوج، ويمكن وصف تلك المعارك على انها بين ندين متكافئين الى حد ما بعدما توفرت مدافع مضادة للدبابات مع صواريخ ودفاعات مضادة للطائرات المغيرة.

حاولت القوات الحكومية إحراز نصر عسكري استراتيجي يقلب الموازين العسكرية لصالحها لكن ذلك لم يتم باستثناء بعض الأنتصارات التكتيكية التي ليس لها تأثير حاسم على مجمل سيرورة الحرب، وكان النظام العراقي لا يريد ان ينخرط في حرب استنزافية أو بالأحرى إن مثل هذه الحرب تكلفه كثيراً ويتزعزع موقفه في الداخل. لقد استطاع الأكراد علي مدى عقود ان يحاربوا دون مساعدات خارجية ملحوظة، وأحياناً أخرى بمساعدات خارجية متواضعة، لكن اليوم ثمة مساعدات تتدفق إن كان باسلحة مضادة للطائرات والدبابات وإن كان بالمساعدات اللوجستية المختلفة التي توطد من مكانة الثورة الكردية على الساحة العسكرية.

إن الدعم والمساعدات الأيرانية او الأمريكية كانت تدخل في غمار الحرب الباردة التي سادت بعد الحرب العالمية الثانية.

حينما رأى السوفيات بعد حرب عام ١٩٧٣ ان المساعدات تتدفق على مصر زادوا من مساعداتهم للرئيس العراقي احمد حسن البكر شريكم الأكثر قوة، ونائبه صدام حسين فبدأوا بإرسال المدفعية الروسية الثقيلة. وأدي ذلك الى مساعدة القوات العراقية على وقف انسحابها من نقاطها القوية في الجبال الكردية. ومنحهم ذلك مواقع اكثر تمييزاً للهجوم منها في صيف ١٩٧٤ حيث كانت قيادة نيكسون ـ كيسنجر مشلولة ومقيدة بسبب فضيحة ووترجيت والتي أدت الى استقالة نيكسون[٢٦].

إن هذه المعادلة ستجعل من العراق قوة ذات شأن وهو المحسوب على المعسكر الأشتراكي، وهكذا حذر الشاه واشنطن من قوة العراق فيما إذا تغلب على الأكراد، وهكذا يمكن ان نحسب المساعادات التي تدفقت على الأكراد في هذه المرحلة هي تابعة لتلك الحسابات وتأتي في سياق الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، لكن العراق كان يرقص على كل الحبال، فلا أصدقاء ثابتين، وإنما هنالك مصالح ثابتة، وهذه المصالح تتمحور حول اهمية المحافظة على كرسي السلطة مهما كانت التضحيات، بالأمس كانت إطاحة الأصدقاء البعثيين ومن اعلى المناصب، واليوم ينبغي إتقان اللعبة قبل فوات الأوان.

مقاتلي البيشمركَه الذي يجيدون القتال ـ تعني في الكردية، الذين يواجهون الموت او المضحين ـ بأسلحة خفيفة فكيف اليوم لهم معدات متطورية؟ وهكذا كان القتال اليوم يدور بشئ من الندية والتكافؤ بين الطرفين وهذا كما مر ليس في صالح النظام الأستمرار على هذا المنوال من الأستنزاف، وكان لا بد من اللجوء الى الجانب السياسي من اللعبة.

تعود جذور العداء بين شاه أيران وحكومة البعث الى عام ١٩٦٩ حيث اتخذ الشاه إجراءاً

عنيفاً أشعر النظام العراقي بالمهانة، وذلك حينما اراد الشاه الى إعادة العلاقات الحدوية بين الطرفين الى ما قبل معاهدة ١٩٣٧ التي ابرمت بين المملكتين الأيرانية والعراقية حيث ان المعاهدة المذكورة قد منحت العراق سيطرة كاملة على منطقة شط العرب، الممر المائي الأستراتيجي الذي يقع على رأس الخليج، ويفصل بين الدولتين، كما انها مدت السيطرة العراقية من الناحية الايرانية أيضاً. كانت كل السفن، بما فيها السفن الأيرانية ملزمة بالأنصياع لتعليمات المرورو العراقية عند العبور من ميناء عبدان الأيراني الى الخليج. واعلنت طهران ان الحد الفاصل بين الدولتين لا يقع في الجانب الأيراني من النهر وإنما من وسط النهر[٢٧].

كان الأحتفاظ بالحكم يأتي في المقام الأول بالنسبة لنظام حزب البعث حيث لا يريد الوقوع بنفس الأخطاء التي كانت وراء فقدانه الحكم في اَواخر عام ١٩٦٣ وكانت المسالة الكردية على رأس المعضلات التي واجهت حكومة البعث في حينها، وكانت في مقدمة الأسباب التي ادت الى سقوطهم، واليوم ها هي المسألة تطوف على سطح الأحداث بقوة، وإن القضاء عليها عسكرياً يبدو من المحال، وإن الدافع الغريزي بالأحتفاظ بالحكم كان وراء اللجوء الى الحل السياسي، وذلك بالألتفاف على الثورة الكردية وقطع شريان الدعم الأيراني والمساعدات الدولية التي تمر عبر أيران.

توجهت جهود القيادة العراقية نحو فتح قنوات مع ايران لتلبية مطالبها على الأرض، فبدأ العراق من منذ شهر كانون الأول ١٩٧٤ يعرض سراً التخلي عن رسم حدود شط العرب إذا ما قطعت أيران مساعداتها للاكراد. في حينه كانت ايران لا تزال تأمل في الأطاحة بحزب البعث. والآن شعرت بالفرح بقبول ما سبق وأن قدمه العراق.. وكانت اتفاقية آذار عام ١٩٧٥ عندما اتفق مع الشاه على تسوية رسمية للخلافات الحدودية الرئيسية. تخلى العراق عن الجزء العميق من شط العرب واتفق الطرفان على الألتزام ببروتوكول القسطنطينية لعام ١٩١٣ ولجنة ترسيم الحدود لعام ١٩١٤ وعلاوة على ذلك اتفق الطرفان على الحفاظ التام على أمن الحدود ومنع التسلل التخريبي من كلا الطرفين[٢٨]. يمكن القول بهذا الصدد ان ايران تعرف من اين تؤكل الكتف، وقد اثبتت قدرتها على المناورة السياسية على الأقل في مجال علاقاتها مع العراق، فكان آخر عبقرية سياسية لها في أفغانستان والعراق، حيث ان اميركا هي التي طبخت، وإن أيران هي التي أكلت.

المصادر والهوامش وملحق وثائقي:

ـ خليل بررواري: رجل وقضية، مطبعة خاني، دهوك سنة ٢٠٠٨ م، ص٣٧@

١ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٢٥٩

٢ ـ حازم صاغية: صورة الأكراد ونموذجهم في الوعي السائد للعروبة القومية ص ٥٤ ـ جريدة الحياة بتاريخ ١٧ آذار ١٩٩١ وقد نشر هذا المقال في ص ٤٧ من كراس تحت عنوان آراء عربية حول القضية الكردية وهو من منشورات مكتب إعلام دمشق للاتحاد الوطني الكوردستاني. سنة ١٩٩٣م.

٣ ـ حنا بطاطو: العراق ج٣ ص ٤١٧

٤ ـ حنا بطاطو: المصدر السابق ج٣ ص ٤٢٠

٥ ـ حنا بطاطو: نفس المصدر ج٣ ص٤٢٥

٦ ـ مسعود البارزاني: البارزاني... ج٣ ص ٢٦٢

٧ ـ مسعود البارزاني: نفس المصدر ج٣ ص ٢٦٥

٨ ـ مسعود البارزاني: المصدر نفسه ج٣ ص ٢٦٩

٨أـ تفاصيل عن محاولة اغتيال البارزاني

عن موقع صوت كوردسان حسب الرابط:

http://sotkurdistan.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=9688:

محاولة–اغتيال–مصطفى–البرزاني

بعد فترة قصيرة من اعلان بيان اذار ٠٧٩١ ظهر تلكؤ من قبل السلطة لتنفيذ ما ورد فيه توج ذلك بمحاولة اغتيال مصطفى البرزاني من خلال جهاز تسجيل ملغم أرسل مع مجموعة من رجال الدين قامت بزيارته.

عن تلك المحاولة ورد في كتاب "البارزاني والحركة التحررية الكردية " لمسعود البارزاني:

"في يوم ٥١ أيلول ١٧٩١ أقبل الى المقر كل من العالمين الدينين عبدالجبار الأعظميـوهو سني المذهب وعبد الحسين الدخيلي وهو شيعي بقصد زيارة البارزاني فاستقبلهما مرحباً محتفياً.

وزعم بأنهما قصداه بسبب تردي الاوضاع بين الثورة وبين النظام وبينا له تأثير ذلك علي الرأي العام وانهما جاءا ليعلماه بأنهما سيقومان بحملة بين علماء ألدين والناس لأجل القيام بمحاولة رأب الصدع ورأيا أن يستمزجا رأي البارزاني في هذه الخطوة.

استحسن البارزاني الفكرة وتحمس لها وشجعهما عليها. كان السائق الذي أقلهما واحداً من موظفي أجهزة المخابرات فانتهز الفرصة بناء علي التعليمات التي زود بها واجري استطلاعاً للمنطقة وعرف بموضع جلوس البارزاني والمداخل والمخارج المؤدية اليه.

وفي يوم ٩٢ أيلول ١٧٩١ أقبل الوفد المنتظر الى حاجي عمران. وفي هذه المرة كانت هناك سيارتان احدهما من طراز تويوتا ستيشن واخري شفروليت صالون طراز ٥٦٩١، أوقف الضابط المسؤول في سيطرة حاجي عمران السيارتين ومنعهما من المرور والاتجاه الى مقر البارزاني الا

أن عبد الجبار الأعظمي خرج اليه مهدداً بالشكوي منه لدي البارزاني. فخشي المسؤول العاقبة وافسح للسيارتين السبيل.

في الساعة الرابعة من عصر ذلك اليوم كنت مع دكتور محمود عند الوالد وكان علي مع موعد لزرق أمبول له.

في تلك الأثناء أقبل ضابط المقر وناولني رسالة ذكر فيها بأن الملالي قد وصلوا وهم ينتظرون قدوم البارزاني.

قال البارزاني:

سأصلي صلاة العصر وسأكون معهم في الخامسة والدقيقة الثلاثين، قلت للدكتور محمود:

إن ذهبت لأستقبال الضيوف فإني سأذهب لأحلق لحيتي وأعود في الخامسة.

كان ادريس غائباً وهو في زيارة لمقرات البيشمرطة في زوزك وكريبيش وحسن بك.

في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والخمسين طرق سمعي صدي انفجار عظيم. وتصورت أنه لغم ديناميت مما كان يستخدم وقتذاك لتفتيت الصخور في الجبال. لكن تلاه رأساً صدي اطلاقات نارية كثيفة فركضت رأساً نحو منزل الوالد متصوراً أنه في المنزل لكني لم أجده فيه.

فتناولت بندقيته واسرعت قاصداً موضع الأستقبال وسألت نهاداً أين الوالد؟؟؟؟ قال:قتل!!!!.

فتهاويت علي الأرض وقد خانتني قواي ثم تحاملت على نفسي ونهضت وتوجهت متعقباً مصدر أطلاق النار. والتقيت البيشمرطه رسول خدر من حرس الوالد وسألته عنه فأجاب أنه سالم فأطمئن بالاً. علي أنه كان جريحاً بشظية من الرمانات المقذوفة.

تبين لي فيما بعد أن البارزاني سبق الموعد الذي ضربه للقاء وقصد القادمين بعد صلاة العصر مباشرة. ودخل فرحب بهم وجلس ودخل النادل شريف أبن شريف واخذ يضع اقداح الشاي أمام الضيوف ووقف بين العبوة الناسفة التي يحملها ابراهيم الخزاعي أحد العلماء في طيات ثيابه فبات سداً واقياً للبارزاني عندما فجرت العبوة وهكذا وبمعجزة خرج البارزاني سالماً.

وقتل في غرفة الأستقبال أربعة من القادمين بشظايا العبوة الناسفة. واصيب الجالسون عن يمينه ويساره وخرج القادرون منهم منهزمين وترك البارزاني الغرفة وهو يهيب بالبيشمرطه لاتقتلوا أحداً منهم.

ألا أن السائقين أخذا يقذفان الرمانات اليدوية كيفما اتفق بعدما فشلا في الوصول الى سيارة الشوفرليه التي كانت هي الأخري مفخخة ووضعت صواريخ في موضع المصباحين الخلفيين لاطلاقها علي السيارة التي تتعقبها اذا كتب لهم النجاح والفرار بها.

وهذا يدل أن خطة الهروب للسائقين، وهما ضباط أمن، كانت قد أخذت في الحسبان بينما لم يكن هناك ما يشير الى اهتمام بنجاة الملالي.

واصيب البارزاني بخدش بسيط من شظية. وجرح قسم من الحراس واذ ذاك لم يعد بالامكان السيطرة علي هياج البيشمرطه فتعقبوا السالمين.

واعتصم أثنان منهم في المنزل المجاور وبدءا يقومان بالقاء الرمانات اليدوية حتي قضي عليهما. بقي الدكتور محمود يلازم البارزاني الى الأخير وقد سلم هو الاخر ولم يصب بخدش.

وقف البارزاني في الشرفة يصدر أوامره بمنع قتل الهاربين حين أصيب بشظية في خده. وحاول أشعل سيكارة فالتفت اليه دكتور محمود وقد أخذ بكفه قائلاً:

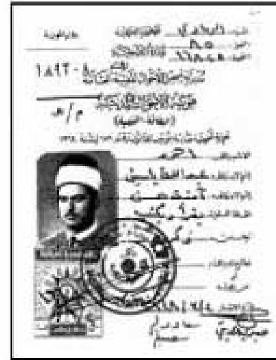
دفع الله عنك السوء. أهذا وقت السيكارة ناشدتك الله أن أنسحب الى موضع آمن.

كان قد أصاب ثيابه نثار من امخاخ القتلة المنفجر. انتهي كل شيء في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والعشرين بالقضاء علي المتآمرين.

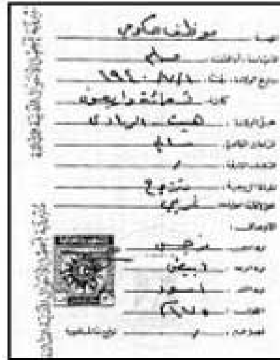
بعد أن انفض الجمع انفجرت سيارة التويوتا الموقتة وتطايرت شظاياها في الساحة. ولا ندري ماذا كان سيحل بالناس لو أن الأنفجار لم يتأخر؟؟؟.

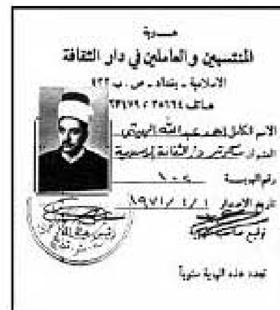
عبدالوهاب خليل الأعظمي





أحمد عبدالله ياسين





هوية

المنتسبين والعاملين في دار الثقافة

الاسلامية - بغداد - ص. ب ٤٣٢

هاتف ٢٥٦٦٤ ، ٣٤٦٧٩

الاسم الكامل

العنوان

رقم الهوية

تاريخ الاصدار ١٩٧١/٤/١

توقيع صاحب الهوية

تجدد هذه الهوية سنوياً



هوية

المنتسبين والعاملين في دار الثقافة

الاسلامية - بغداد - ص. ب ٤٣٢

هاتف ٢٥٦٦٤ ، ٣٤٦٧٩

الاسم الكامل

العنوان

رقم الهوية ١٠٥

تاريخ الاصدار

توقيع صاحب الهوية

تجدد هذه الهوية سنوياً

أحمد محمد قاسم

هويات أحوال مدنية للوفد الذي قتل في محاولة اغتيال مصطفى البارزاني

قتل تسعة من رجال الدين (عبد الجبار الأعظمي، عبد الوهاب الأعظمي، عبد الحسين الدخيلي، باقر المظفر، ابراهيم الخزاعي (حامل آلة التسجيل المفخخة) غازي الدليمي، أحمد عبدالله ياسين الهيتي، نوري الحسيني، أحمد محمد قاسم) مع السائقين (سليمان كوخي ومحمد كامل اسماعيل).

واستشهد أثنان من البيشمرطه سليم زبير البارزاني ومحمود شريف نزاري. وجرح أربعة عشر اخرون.

في الساعة السادسة عصراً عاد ادريس فبعثت رسولاً اليه قبل وصوله لاستقباله بدربند لاحاطته علماً بما وقع وبسلامة الوالد.

وذا ع نبأ المؤامرة بين المواطنين فاقبلوا الى حاجي عمران وابوا ألا أن يشاهدوا البارزاني. وهم شاكرون فضلاً من الله عليهم بسلامته. وفي ليلتها عممنا برقية الى سائر الفروع والمقرات ومعسكرات البيشمرطه نوصيهم بضبط النفس وعدم القيام بأي عمل استفزازي.

وجاءتنا برقية من القيادة القطرية العراقية لحزب البعث مهنئة بنجاة البارزاني مزهرة استعدادها الكلي للتعاون معنا في محاولة الكشف عن المدبرين و الضالعين.

فأجبناهم أن الذين نفذوا المؤامرة جاووا من بغداد.

ثم بعث رئيس الجمهورية بالدكتور عبد الستار الجواري أحد الوزراء مندوباً للتهنئة وللاعراب عن اسفه الشديد لما حدث موكداً عدم علمه بها مطلقاً. وتألفت لجنة مشتركة لاجراء التحقيق من:

حامد العاني وكيل وزارة الداخلية. وحازم القاضي مدير أمن اربيل. والمقدم الركن علاء الجنابي من الأستخبارات العسكرية. وعلي عبدالله والشيخ رضا طولاني مدير شرطة اربيل واحسان شيرزاد ونافذ جلال.

بطبيعة الحال لم يسفر التحقيق عن أي نتيجة للسبب البسيط: أن النظام هو الذي دبر المؤامرة استناداً الى المعلومات التي تزودت بها أجهزة استخبارات الثورة.

اجتمعت قيادتا الحزب والثورة وطلب بعضهم قطع العلاقات مع النظام واستئناف القتال الأ أن البارزاني عارض في ذلك قائلاً " كلا لو بدأنا بالقتال فليكن من أجل كركوك وخانقين وسنجار لا بسببي".

ثم أعيد وزراونا الى بغداد لاستئناف أعمالهم.

واقولها للحقيقة أن الأعتداء الذي وقع في ٢٩ أيلول قضى على كل أمل في الحل السلمي وتبين أن المسألة أصبحت مسألة وقت وأن الثقة زالت تماماً.

الأ أن سؤالاً يفرض نفسه هنا. هو:

هل كان رجال الدين هولاء يعلمون بالمؤامرة؟ أم أنهم كانوا مجرد أدوات وضحايا؟

في رأيي أنهم كانوا يجهلون ما جاووا في سبيله. وقسم منهم لم يكن لديه أي فكرة غير ما انتدبوا له. ما بات واضحاً فيما بعد أن كلاً من عبدالجبار الأعظمي وعبدالحسين الدخيلي وغازي الدليمي وابراهيم الخزاعي كانوا أما عناصر أمن أو من المتعاونين. لكنهم كانوا يجهلون تفاصيل المؤامرة. أما الخزاعي الذي حمل آلة التسجيل المفخخة فقد تصور أنه يسجل صوت البارزاني

والمتحدثين الأخرين ليس ألا. لكن سائقي السيارتين كانا من الضالعين في المؤامرة والمطلعين على أدق تفاصيلها.

٩ ـ موسي السيد علي: القضية الكردية.. ص ٦٥

١٠ ـ مسعود الابرزاني: البارزاني.. ج٣ ص ٢٨٩

١١ ـ حسن الجلبي: العلاقة المتكافئة في الدولة الواحدة تقضي علي اسباب الأنفصال، اراء عربية حول القضية الكردية، اعداد نزار اغري ص٣١

١٢ ـ حازم صاغية " صورة الأكراد ونموذجهم في الوعي السائد للعروبة القومية، اراء عربية حول القضية الكردية ص ٥٤

١٣ ـ د. ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص ٤٩٣

١٤ ـ د. ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص ٤٩٦

١٥ ـ محمد إحسان: كوردستان ودوامة الحرب ص٤٨ دار ئاراس ط٢ اربيل ٢٠٠١م.

١٦ ـ ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص ٥٠٣

١٧ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٦٠٢

١٨ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ج٣ ص ٢٩٧

١٩ ـ ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص ٥٠٦

٢٠ ـ يونان هرمز: أيامي في الثورة الكردية ص ١٦٩

٢١ ـ يونان هرمز: ايامي في الثورة الكردية ص ١٦٧

٢٢ ـ د. كَونتر دشنر: احفاد صلاح الدين الأيوبي ص ٣١٩

٢٣*ـ طريق هاملتون: من المعروف ان طريق هاملتون يحمل اهمية استراتيجية في كردستان العراق وهو الشريان الحيوي في اوقات السلم والحرب علي حد سواء. الطريق الذي يربط طهران بالموصل والمرتفعات الأيرانية بالسهول العراقية، يمر الطريق وسط وديان عميقة وخلال مضايق منحنية ومتعرجة عبر تضاريس جبلية وعرة، ومنذ انبثاق الثورة الكردية في مطاوي عام ١٩٦١ كان لهذا الطريق الأهمية اهمية كبيرة لجبهات القتال، فكانت المعارك الرامية للسيطرة عليه.

كان صصم وشق هذا الشارع المهندس النيوزيلندي هاملتون وسمي الطريق باسمه تخليداً له من قبل الأكراد. ولد وهاملتون في نيوزيلندا سنة ١٨٨٩ من ابوين اسكتلنديين ولكونه مهندساً متخصصاً بالطرق والأنشاءات فقد دعته حكومة الأنتداب عام ١٩٢٨ الى العراق ليشرف علي بناء طريق في منطقة كانت البغال والدواب تشكل وسيلة النقل الوحيدة الممكنة فيها.

تمكن هاملتون من بناء الطريق بالأستعانة بالأيدي العاملة المحلية فقط. واضطر الى تفجير كتل صخرية هائلة وباء شرفات على سفوح جبلية شديدة الأندار. كما قام خلال عمله في كردستان بتطوير اسلوب ونظام متكامل لبناء الجسور الحديدية ادي استخدامه (أي هذا النظام) في الحرب العالمية الثانية والسنوات اللاحقة الى اكتسابه شهرة وسمعة عالميتين. وكان المبدا الذي جاء به هاملتون يعتمد علي الأنتهاء من بناء قطع صغيرة خفيفة يتم نقلها في ظل أجواء وظروف شاقة جداً الى المكان الذي كان مخططاً ان يقام الجسر فيه. ويتم هناك تجميع هذه القطع وتركيبها وتم

بهذه الوسيلة بناء أكثر من ألف جسر من جسور (هاملتون) في مختلف ارجاء الأمبراطورية البريطانية ابتداءً من طرق السابلة على الأوتوبانات البريطانية وصولاً الى جسر (مانكَلا) الشهير على نهر (الهندوس) في باكستان. وقام هاملتون ببناء كل هذه الجسور بعد ان قام بتجربتها وتتطويرها على الوديان وفوق الهاوية التي يمر في قعرها نهر راوندوز وذلك عام ١٩٣٠م.

لقد كتب هاملتون نفسه عن اهمية هذا الطريق بقوله:

وهكذا تم إرسالي الى كردستان حيث التطلع الدائم للقبائل الكوردية نحو الحرية والأنعتاق من ناحية ورغبة السلطة المركزية في دعم وتثبيت نفوذها في تلك المنطقة الجبلية الوعرة من ناحية أخري، وهذا كله يتطلب بناء طريق هناك بأسرع وقت ممكن. (للمزيد راجع د. كَونتر دشنر: احفاد صلاح الدين الأيوبي، ترجمة عبد السلام برواري ص ٢٨٣ وما يليها).

٢٤ ـ يونان هرمز: ايامي في الثورة ص ١٧٤

٢٥ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة.. ج٣ ص ٣٣٥

٢٦ ـ جون كولي: التحالف ضد بابل، ترجمة ناصر عفيفي، مكتبة الشروق الدولية ص١٤٠

٢٧ ـ جون كولي: المصدر السابق، ص١٨٩

٢٨ ـ ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص٥١٠

الملاحق الوثائقية:

وثيقة رقم ١

نص رسالة الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري الى ملا مصطفى البارزاني المؤرخة في ١٢ / ٣ / ١٩٧٠

السيد المناضل رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني الملا مصطفى البارزاني الجليل (مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ح٥ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

اتقدم اليكم بتحاياي الخالصة، وتهانيّ الصميمة في هذا اليوم التاريخي، يوم حل القضية الكردية الذي توج صمودكم في سبيل تحقيق اماني الشعب الكردي العظيم، ولأجل تجسيد مطامحه الكريمة بمر القرون العديدة من النضال العسير والمعاناة الشاقة والتضحيات العديدة بكل ما يملكه شعب عريق ذو تاريخ حافل بالبطولات.

أيها السيد المناضل، والقائد المحنك، إنك فذ بين القادة الأفذاذ، في ايمانك بعدالة قضيتك وفي التهيئة لها، وفي التصميم عليها، وفي وضع هذا التصميم في فلكه الدائر الساهر وشحذه على محك البلاء وفي غمرة محنة الصبر المر، وفي الذروة من عزة قطف ثمار الصبر الحلوة.

إن التاريخ ايها السيد الزعيم سيظل متحدثاً عنك بأبلغ لسان، واصدق تعبير، وبقوة مأثورة عنه لا تعرف المحاباة، ولا التزييف، ما ظل ـ هذا التاريخ ـ علي ارتباطه بقضايا الشعوب الصامدة وأمجادها وبطولاتها، وأخيراً فعن مصائرها، ومصاعدها الى ذرى الرفعة والمنعة.

هذه أيها الزعيم بحق سطور في كلمات هي في الحقيقة متون مضغوطة بحاجة الى اكثر من سفر واحد لشرحها والأفاضة في مضامينها. وأنت بالذات بعبقريتك الفذة، وألمعيتك الوضاءة خير من يعرف ما تنطوي عليه، وما تزخر به وما تنعم به من مضامين وفحاوي

أدامك الله رمزاً وهاجاً ينير طريق السائرين على درب الحرية، والناهجين مسالك النضال والصمود والظفر..

المخلص محمد مهدي الجواهري

وثيقة رقم ٢

اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠

صدر بيان ١١ آذار ونقتبس النقاط التي وردت فيه من محمد احسان: كوردستان ودوامة الحرب ص ١٧٧ ـ ١٨٦).

لقد احتوى البيان على ديباجة طويلة وفي سياقها يجري الأشارة الى التمهيد والى الأسباب الموجبة لاصدار الأتفاقية وهي كما جاء في بيان مجلس قيادة الثورة في ١١ / ٣ / ١٩٧٠، بأن مجلس قيادة الثورة اجرى اتصالاً بينه وبين قيادة السيد مصطفى البارزاني رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وتم تبادل وجهات النظر واقتنع الجميع بضرورة قبول محتويات هذا البيان وتنفيذها.. فقر مجلس قيادة الثورة:

١ ـ تكون اللغة الكوردية لغة رسمية مع اللغة العربية في المناطق التي غالبية سكانها من الكورد، وتكون اللغة العربية لغة التعليم في هذه المناطق، وتدرس اللغة العربية في كافة المدارس التي تدرس باللغة الكوردية، وتكون اللغة الكردية لغة التعليم في هذه المناطق. وتدرس اللغة العربية في كافة المدارس التي تدرس باللغة الكوردية، كما تدرس اللغة الكوردية في بقية انحاء العراق ثانية في الحدود التي يرسمها القانون.

إن مشاركة اخواننا الكورد في الحكم وعدم التمييز بين الكورد وغيرهم في تقلد الوظائف العامة بما فيها المناصب الحساسة والهامة في الدولة كالوزارات والجيش وغيرها.. كانت وما زالت من الأمور الهامة التي تهدف حكومة الثورة الى تحقيقها فهي في الوقت الذي تقر هذا المبدأ تؤكد ضرورة العمل من اجل تحقيقه بنسبة عادلة مع مراعاة مبدأ الكفاءة، ونسبة السكان وما اصاب اخواننا الكورد من حرمان في الماضي.

٣ ـ نظراً للتخلف الذي لحق بالقومية الكوردية في الماضي من الناحيتين الثقافية والتربويةتوضع خطة لمعالجة هذا التخلف عن طريق:

أـ الأسرا ع بتنفيذ قرارات مجلس قيادة الثورة حول اللغة والحقوق الثقافية للشعب الكوردي، وربط اعداد وتوجيه المناهج الخاصة بالشؤون القومية الكوردية في الأذاعة والتلفزيون بالمديرية العامة للثقافة والأعلام الكوردية.

ب ـ إعادة الطلبة الذين فصلوا او اضطروا الى ترك الدراسة بسبب ظروف العنف في المنطقة الى مدارسهم بغض النظر عن أعمارهم او إيجاد علاج ملائم لمشكلتهم.

ت ـ الأكثار من فتح المدارس في المنطقة الكوردية، ورفع مستويات التربية والتعليم وقبول الطلبة الكورد في الجامعات والكليات العسكرية والبعثات والزمالات الدراسية بنسبة عادلة.

٤ ـ يكون الموظفـون في الوحـدات الأدارية التي تسكنه كـثـرة كـوردية.. من الكورد. أو ممن يحسنون اللغة الكردية إذا ما توفر العدد المطلوب منهم، ويتم تعيين المسؤولين السياسيين (محافظ، قائمقام، مدير شرطة، مدير الأمن، وما شابه ذلك) ويباشر فوراً بتطوير أجهزة الدولة في المنطقة بالتشاور ضمن اللجنة العليا المشرفة على تنفيذ هذا البيان بما يضمن تنفيذه ويعزز الوحدة والأستقرار في المنطقة.

تقر الحكومة حق الشعب الكوردي في إقامة منظمات طلبة وشبيبة ونساء ومعلمين خاصة به، وتكون هذه المنظمات أعضاء في المنظمات الوطنية العراقية المتشابهة.

٦ ـ الفقرة (أ) يمدد العمل بالفقرتين ١ و٢ من قرار مجلس قيادة الثورة المرقم ٥٩ والمؤرخ ٥ / ٨ / ١٩٦٨ حتى تاريخ صدور هذا البيان. ويشمل ذلك كافة الذين ساهموا في اعمال العنف في المنطقة الكوردية.

الفقرة (ب) يعود العمال والموظفون والمستخدمون من المدنيين والعسكريين الى الخدمة ويتم ذلك دون التقيد بالملاك ويستفاد من المدنيين في المنطقة الكوردية ضمن احتياجاتها.

٧ ـ الفقرة (أ) تشكل من ذوي الأختصاص للنهوض بالمنطقة الركديةمن جميع الوجوه بأقصى سرعة ممكنة وتعويضها عما اصابها في السنوات الأخيرة وتخصيص ميزانية كافية للتنفيذ، وتكون هذه الهيئة تابعة لوزارة شؤون الشمال.

الفقرة (ب) إعداد الخطة الأقتصادية بشكل يؤمن التطور المتكافئ لانحاء العراق المختلفة مع مراعاة ظروف التخلف في المنطقة الكوردية.

الفقرة (ج) تخصيص رواتب تقاعدية لعوائل الذين استشهدوا في ظروف القتتال الموسفة من رجال الحركة الكوردية المسلحة وغيرهم وللعجزة والمشوهين بسبب تلك الظروف وفق تشريع خاص على غرار القوانين المرعية.

القرة (د) العمل لاسريع لأغاثة المتضررين والمعوزين عن طريق إنجاز مشاريع سكنية تؤمن للعاطلين وتقديم معونات عينية ونقدية مناسبة وأعطاء تعويض معقول للمتضررين الذين يحتاجون المساعدة ويناط ذلك باللجنة اللجنة العليا ويستثنى من ذلك من شملهم الفقرات السابقة.

٨ ـ إعادة سكان القرى العربية والكوردية الى اماكنهم السابقة، أما سكان القرى الواقعة في المناطق التي يتعذر اتخاذها مناطق سكنية وتستملكها الحكومة لاغراض النفع العام وفق لاقانون فيجري اسكانهم في مناطق مجاورة ويجري تعويضهم عما لحقهم من ضرر بسبب ذلك.

٩ ـ الأسـراع بتطبـيق قـانون الأصـلاح الزراعي في المنطقـة الكردية، وتديله بشكل يضـمن تصفية العلاقات الأقطاعية، وحصول جميع الفلاحين على قطع سكنية مناسبة من الأرض وأعفائهم من الضرائب الرزاعية المتراكمة عليهم خلال سنين القتال المؤسفة.

١٠ ـ جري الأتفاق علي تعديل الدستور المؤقت كما يلي:

أ ـ يتكون الشعب العراقي من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكوردية، ويقر هذا الدستور حقوق الشعب الكوردي القومية وحقوق كافة القليات ضمن الوحدة العراقية.

ب ـ اضافة الفقرة التالية الى المادة الرابعة من الدستور: تكون اللغة الكوردية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المنطقة الكوردية.

ج ـ تثبيت ما تقدم في الدستور الدائم.

١١ـ اعادة الأذاعة والأسلحة الثقيلة الى الحكومة ويكون ذلك مرتبطاً بتنفيذ المراحل النهائية من الأتفاق.

١٢ ـ يكون احد نواب رئيس الجمهورية كوردياً.

١٣ ـ يجري تعديل قانون المحافظات بشكل ينسجم مع مضمون هذا البيان.

١٤ ـ اتخاذ الأجراءات اللازمة بعد اعلان البيان بالتشاور مع اللجنة العليا المشرفة على تنفيذه لتوحيد المحافظات والوحدات الدارية الت يتقطنها كثرة كردية وفقاً للاحصاءات الرسمية التي تجري، وسوف تسعى الدولة لتطوير هذه الوحدة الأدارية وتعميق وتوسيع ممارسة الشعب الكردي فيها لمجمل حقوقه القومية ضماناً لتمته بالحكم الذاتي. والى ان تتحقق هذه الوحدة الأدارية يجري تنسيق الشؤون القومية الكردية عن طريق اجتماعات دورية تعقد بين اللجنة العاليا ومحافظي المنطقة الشمالية. وحيث ان الحكم الذاتي سيتم في إطار الجمهورية العراقية فإن استغلال الثروات الطبيعية في المنطقة من اختصاص سلطات هذه الجمهورية بطبيعة الحال.

١٥ ـ يساهم الشعب الكردي في السلطة التشريعية بنسبة سكانه الى سكان العراق.

....

مجلس قيادة الثورة في ١١ / ٣ / ١٩٧٠

الفصل السادس عشر

اتفاقية الجزائر في ٦ آذار ١٩٧٥

تشتهر القيادة السياسية الأيرانية بالدهاء السياسي وبقدرتها على ممارسة السياسة بما يخدم اهدافها البعيدة، وأقول القيادة السياسية الأيرانية قاصداً في الوقت الراهن وفي زمن الشاه، فيبدو تأثرهم واقتدائهم بحرفية افكار ميكافيللي واستفادتهم من كتابه الشهير الأمير فينهلون منه الأفكار ليجري تطبيقها على الواقع مع الجيران ومع العراق بشكل خاص. وأيران الراهن ذات الحكم الثيوقراطي تسيطر على تحريك الخيوط، كما يحرك خيوط الدمى {أراجوز} في لعب الأطفال، إنهم من خلف الستار يحركون الخيوط لتحريك الدمى، فما نراه هي الدمي المتحركة فحسب، واليوم تمسك ايران بيدها خيوط اللعبة السياسية في لبنان والعراق وفلسطين مع محاولة توسيع هذه الرقعة لتشمل اجزاء اخرى في المنطقة، وبنظري انها هي تدير اللعبة بدهاء محرزة المكاسب دون التورط المباشر في الأحداث.

الساحة الملاصقة لها وهي العراق وتحاول ان يبقى البلد في متناول يدها بدوافع دينية ومذهبية، وفي صدد المسألة التي نحن بصددها وهي القضية الكردية المستعصية على الحل في الفسحة الزمنية في اواسط السبعينات من القرن الماضي، حيث استطاعت ايران ان تصيب عصفورين بحجر واحد دون ان تخسر شيئاً، فهي حينما قامت بتقديم المساعدة والدعم للاكراد لم يكن بسبب ايمانها بحق الشعوب في تقرير مصيرها، إنما كانت تروم الى إضعاف العراق واستنزاف قدراته، وبعين الوقت كانت ترمي الى تسليم الأكراد لمصيرهم بيد ايران، ومتى ما ترغب ايران ترمي بهم الى خارج اللعبة، مستغلة بذلك حاجة هذا الشعب الكردي الى اي يد كريمة ممدودة.

وبموجب هذه المعادلة اصبحت ايران الداعم والممول الرئيسي في الثورة الكردية، واصبحت المواد والتجهيزات والأسلحة والمواد الطبية وكل التجهيزات والخدمات العسكرية بمثابة الدم الذي يجري في شرايين الجسم ويعمل على إبقائه حياً ما دام متدفقاً، وإن فقدان او أي خلل جريان الدم يؤدي الى انتهاء الحياة.

هكذا اصبحت الأوراق الحقيقية في اللعبة السياسية داخل العراق بيد الجارة أيران.

واتفاقية الجزائر سنة ١٩٧٥ كان موسم قطاف تلك الثمرة التي شتلتها وسقتها ورعتها ايران، في لغة السياسة يمكن اعتبار اتفاقية الجزائر على انها مقايضة بين الحكومة العراقية وايران فالأخيرة توقف حملة مساعدتها للثوار الأكراد بقيادة ملا مصطفى البارزاني، مقابل تنازل الحكومة العراقية عن جانب من حقوقه في مياه شط العرب. وشكلت هذه المعاهدة نصر بجانب الأستعلاء الأيراني في منطقة الخليج اولاً، كما انها حققت لها مكاسب على الأرض العراقية، وهي لم تفعل شيئاً باستثناء أيقاف دعمها للاكراد، بينما الطرف الآخر وهو العراق، خسر الأرض وخسر السلطة على ممر شط العرب، ولم يكسب شيئاً في المعادلة التي ينبغي ان يكون فيها الطرف الرابح على حساب الطرف الخاسر.

اتفاق الجيران على كبح النهوض الكردي في مهده كان قائماً ويتناوب بين المد والجزر، وكلما لاح للجيرة الثلاثية (عراق، تركيا، أيران) في الأفق ان بندقية الكاكا الكردي ارتفع صوتها سرعان ما تزول الخلافات التاريخية بين هؤلاء الجيران لتؤول الى المصالحة والتضامن لاخماد الأصوات الصادرة من تلك البنادق.

وكان لصدام حسين وهو الرجل المتنفذ في العراق ان يعود الى ورقة الجيرة والخطر الكردي المشترك، ومن الطبيعي ان المفاوضات مع ايران الخصم اللدود بشكل مباشر ستكون عسيرة ما لم يكن هنالك اطراف ترعى تلك المحادثات ويمهدون السبيل لتقريب وجهات النظر بين الطرفين.

قام صدام حسين بإبلاغ طهران باستعداده للدخول في المفاضات عبر انور السادات وفي هذا السياق ايضاً كان ثمة اطراف اخرى تريد ان يتراجع العراق عن تحالفاته مع الاتحاد السوفياتي، فجدار برلين كان بعده لم يسقط والحرب الباردة بين المعسكرين كانت قائمة، وكان موفدون سعوديون لدى الجانب الأيراني يؤكدون رغبة الرياض وواشنطن لابداء المرونة مع العراق.

وهكذا تمنخضت تلك المساعي مجتمعة الى عقد لقاء سري عراقي ـ ايراني في اسطنبول حيث اجتمع وزيري خارجية البلدين الدكتور سعدون حمادي وعباس علي خلعتبري، وفي الوقت ذاته ومع هذا اللقاء كانت صواريخ هنتر ـ هوك الأيرانية ماضية ومستمرة في الأجواء العراقية وهي تصطاد طائرات سوخوي وتوبوليف العراقية التي كانت تطير في سماء كوردستان.

في شباط ١٩٧٥ بدأت رياح تغيير الموقف الأيراني إزاء الكورد، وعلى اساس حلف الجيران ضد البندقية الكردية المتمردة، كان حلفاء الشاه من الأتراك مستمرين في محاولاتهم للكف عن تقديم المساعدات للبارزاني ويتساءلون عما إذا كان من المنطقي السماح لكورد

العراق بتحقيق انتصار يجعلهم قادرين على المطالبة بحقوق اوسع وأكثر للكورد في ايران وتركيا ايضاً؟[1] ينبغي ان نعلم ان شبح النفط يفرض حضوره دائماً في سماء المنطقة لاسيما بعد المقاطعة النفطية العربية وما سببته في ازمة الطاقة، فكان ينبغي ترتيب الأوضاع لكي تستمر العملية السلسة في توريد النفط باعتباره العامل الحاسم في توفير الطاقة ومؤثر كبير في الأقتصاد العالمي. وإزاء هذا العامل المهم لاطراف عديدة يكون التهميش من نصيب الأكراد مقارنة بالقوى المؤثرة في هذا السياق.

من الواضح ان الشاه قد رأى في هذا الوضع الفرصة الذهبية وينبغي اغتنامها قبل فوات الأوان، فالشاه الأيراني لم يكن متلهفاً لحماية الأكراد وتحقيق مطالبهم مثلما كان متلهفاً للتوصل الى حل سياسي مهما كان شريطة ان يحقق مراميه، ويقول الكاتب الأمريكي سميث هيمبستون: كان ذلك هو السبب الرئيسي الذي دفعه (الشاه) الى مساعدة ودعم الثوار الكورد ليجبر جاره العراق على القبول بمطالبه وشروطه التي يمكن تلخيصها وجمعها في: حل النزاعات المختلفة، خاصة على شط العرب بشكل يحقق للشاه منافع اقليمية، وإنهاء حملة " عربستان " التي يقوم بها العراق بتوجيهها في محافظة خوزستان الأيرانية ومحاولات قلب النظام الأيراني التي يقوم بها العراق بدعمها كما هو الحال في بلوجستان التي تشهد المزيد من القلاقل والأضطرابات وذلك منذ سنين طويلة[2].

لم يعد الشاه مهتماً لحقوق الأكراد ومطالبهم لقد حان الوقت للتضحية بشركاء اليوم إذ لم يعد لهم قيمة سياسية في المعادلة الجديدة، فكان ترك الأكراد الذين يحاربون تحت قيادة ملا مصطفى البارزاني الى مصيرهم على يد القوات الحكومية المتأهبة للانقضاض عليهم دون رحمة.



شاه ايران محمد رضا بهلوي

في العلاقات الدولية كانت الولايات بقيادة نيكسون ـ كيسنجر شبه مشلولة ومقيدة بسبب فضيحة ووترجيت والتي ادت الى استقالة الرئيس نيكسون، وكان كيسنجر من جانبه يعبر عن كراهيته الشخصية لنية الشاه الواضحة في التضحية بالأكراد مقابل الحصول على افضل مكاسب من صدام حسين.

بعد توقيع اتفاقية الجزائر في ٦ آذار عبر

احد الزعماء الأكراد بقوله: لقد ألقوا بالأكراد في سلة القمامة، حيث وافق صدام رسمياً على المطالب الأيرانية الخاصة بالأراضي المتنازع عليها بما في ذلك تسوية النزا ع على حدود شط العرب لمصاحة ايران. في المقابل تخلى الشاه عن الأكراد، وعلى الفور اغلق حدود ايران مع العراق اما الكاتب جون كولي في كتابه التحالف ضد بابل يذهب الى القول: بأنه في غضون ساعات، كان الأيرانيون ينسحبون من دولة بارزاني، وتم قطع جميع خطوط الأمدادات الأيرانية عن الأكراد، وبدأت المقاومة الكردية تتفتت، وخلال ايام قلائل اقتربت من الأنهيار التام. وواصلت حكومة صدام طرد الأكراد علي نطاق واسع، وتمت إعادة توطين آلاف الأكراد جنوبي العراق وأرسل العرب الى كردستان للاستيلاء علي حقولهم ومواشيهم والعديد من ممتلكاتهم بالأضافة الى عقاراتهم[٣].

ثمة مقولة كوردية تقول: الجبل هو الصديق الدائم والوحيد للشعب الكردي،وكان الشعب الكردي يحدوه الأمل في ان يحقق نصراً عسكرياً في هذه الجبال ويجني ثمرة نضاله، ولم يفكر بأن مصيره سيكون مرهوناً في الأجتما ع الذي عقد في اروقة (قصر القباب) الفخم في إحدى ضواحي مدينة الجزائر العاصمة، فقد كان في هذا القصر يعقد يومي ٦ و ٧ من آذار ١٩٧٥ مؤتمر قمة اوبك للدول الثلاث عشر الأعضاء في منظمة الدول المصدرة للنفط. وعلى هامش هذا المؤتمر كانت الطبخة السياسية التي كان ضحيتها الثورة الكردية في تلك المرحلة.

من باب إزالة الخلافات والنزاعات الداخلية بين اعضاء منظمة اوبك، وفي اجتما ع لاعضاء هذه المنظمة، اعلن الرئيس الجزائري هواري بومدين الخبر المفاجئ للمجتمعين معلناً انه قد تم الأتفاق بين شاه ايران الأمبراطور محمد رضا بهلوي وصدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي، وقد دوت القاعة عاصفة من التصفيق الحاد، حيث ان المعاهدة قد وضعت حداً للخلافات السياسية والنزاعات الحدودية المستمرة بين البلدين منذ سنين.. عندها نهض الشاه وقد ارتسمت على وجهه علامات الثقة العالية بالنفس ودون ان تكشف ملامحه عن أي تعبير آخر بينما ترك صدام كرسيه المغطي بالمخمل الأزرق وهو يرسم على محياه ابتسامة خفيفة، وبخطي رزينة وبطيئة، اتجه القائدان اللذان كانا الى ما قبل لحظة



صدام حسين نائب مجلس قيادة الثورة العراقي
احد قطبي اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥

عدوين لدودين، كل منهما باتجاه الآخر ووفقاً للتقاليد الشرقية قاما بالأحتضان وطبع كل منهما قبلة على خد الآخر، وطالت المصافحة التي تلت ذلك لفسح المجال امام حشد الصحفيين[٤].

لقد نصت اتفاقية الجزائر على البند الذي ينبغي على الطرفين مراقبة الحدود بينهما وذلك من اجل وضع حد نهائي لكل التسللات ذات الطابع التخريبي. والخطوط العريضة لاتفاقية الجزائر في ٦ آذار ١٩٧٥ هي:

تطبيقاً لمبادئ سلامة التراب وحرمة الحدود وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، قرر الطرفان الساميان المتعقدان:

١ ـ إجراء تخطيط نهائي لحدودها البرية بناءً على بروتوكول القسطنطينية لسنة ١٩١٣ ومحاضر لجنة تحديد الحدود لسنة ١٩١٤م.

٢ ـ تحديد حدودهما النهرية حسب خط (الثالوك)[٥] وهو خط وسط المجرى الرئيسي الصالح للملاحة عند خفض المنسوب ابتداءً من النقطة التي تنزل فيها الحدود البرية في شط العرب حتى البحر.

٣ ـ بناءً على هذا يعيد الطرفان الأمن والثقة المتبادلة على طول حدودهما المشتركة، ويلتزمان بإجراء رقابة مشددة وفعالة على حدودهما، وذلك من اجل وضع حد نهائي لكل التسللات ذات الطابع التخريبي من حيث اتت.

٤ ـ اتفق الطرفان على اعتبار هذه الترتيبات المباشرة أعلاه لا تتجزأ لحل شامل، وبالتالي فإن أي مساس بإحدى مقوماتها يتنافى بطبيعة الحال مع روح اتفاق الجزائر، وسيبقى الطرفان على اتصال دائم مع الرئيس هواري بومدين الذي سيقدم عند الحاجة معونة الجزائر الأخوية من اجل تطبيق هذا القرار. ويعلن الطرفان رسمياً ان المنطقة يجب ان تكون في مأمن من أي تدخل خارجي.

لقد ادار الشاه ظهره للاكراد، ويبدو ان البارزاني كان يتوجس من شاه ايران وهو واثق من ان الشاه لا يمكن ان يكون مناصراً مخلصاً للقضية الكردية. وفي اتفاقية الجزائر قد يكون من بين مآرب الشاه هو التشفي من ملا مصطفى البارزاني الذي سبق ان وقع على اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ بالضد من رغبة الشاه. فقبل توقيع اتفاقية الجزائر توجه ملا مصطفى البارزاني برفقة كل من الدكتور محمود ومحسن درَيي الى طهران في السادس والعشرين من شهر شباط ١٩٧٥ بناءً علي دعوة من الشاه، وحينما عاد الشاه من الجزائر الى طهران اعلن عن الأتفاقية في ٦ آذار، وفي الحال بوشر في سحب بطاريات المدافع ومنظومات الصواريخ



البارزاني بين انصاره ماذا يخبئ لهم المستقبل بعد اتفاقية الجزائر ١٩٧٥

من كردستان. وفي ١١ آذار ١٩٧٥ استقبل شاه الملا مصطفى البارزاني، وقال له إنه عقد الأتفاقية انطلاقاً من مصلحة الشعب الأيراني كما وقع البارزاني قبل خمس سنوات اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ لانها كانت في مصلحة الشعب الكردي.

رغم الضربات الموجعة التي تلقتها القوات الكردية من القوات الحكومية بعد الأنسحاب الأيراني المفاجئ، إلا انها ظلت صامدة ولم تسقط بالضربة القاضية كما كان يامل النظام العراقي، لقد كشف صدام حسين بعد خمس سنوات مدى الأنهاك والضعف الذي اصاب القوات العراقية فقد اعلن في خطاب له قبل نشوب القتال مع ايران سنة ١٩٨٠ حيث اعلن فيه إلغاء اتفاقية الجزائر من طرف واحد، بأن عتاد القوات العراقية كاد على وشك النفاذ بسبب حدة القتال الجاري وتقاعس السوفيات بتزويد ما يحتاجه الجيش العراقي من اسلحة وعتاد وبالسرعة المطلوبة.

اليوم بعد ان وصلت الأمور الى ما وصلت اليه قام الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني بالسفر الى طهران عن طريق تبريز في محاولة اخيرة ليثني الشاه عن قراره، لكن الشاه أبلغ البارزاني بأن امامه قبول واحداً من الخيارات المتاحة فحسب وهي:

- ان يقوم الكورد بتسليم انفسهم للعراقيين.
- ان يستمروا في القتال دون انتظار أي مساعدة ايرانية.
- ايقاف القتال والتجاء كافة الكوادر والشخصيات البارزة الى ايران.

في اليوم الذي رجع فيه البارزاني الى مقره الرئيسي في (حاج عمران) حيث استرجع

ذكريات التي عاشها وهو يقود كفاح شعبه لفترة نصف قرن في سبيل نيل الحرية والأستقلال، وهو اليوم يري بام عينيه ضياع كل شئ في لحظة اتحد فيها الكورد بصورة لم يسبق لها مثيل وأصبحوا تنظيماً وقدرة وقيادة. في هذه اللحظة بالذات وبسبب مزاج معين لبعض منتجي النفط تضيع آمال الشعب الكردي وتذهب أدراج الرياح[٦].

تداعيات اتفاقية الجزائر

الجهات الدولية الرئيسية التي كانت تدعم الثورة الكردية في هذه المرحلة كانت الولايات المتحدة واسرائيل وايران، وحينما افلحت الحكومة العراقية في تحييد موقف ايران في اعقاب الأتفاقية، باتت الثورة الكردية في موقف لا يحسد عليه، ومع هذا كان قرار القيادة الكردية باستمرار المقاومة في ظل الظروف المستجدة. لقد اوحت اسرائيل سابقاً بأن مساعداتها ستتواصل حتى لو اغلق الشاه حدود بلاده بوجه الثورة، اما الولايات المتحدة فإنها اوحت بانها لا تستطيع عمل شئ، وقطعت الولايات المتحدة اتصالاتها بالثورة، وبعد ذلك تنصلت اسرائيل من وعودها بجهة وجود صعوبات فنية واستراتيجية تحول دون ذلك. وقد علق البارزاني على هذه المواقف بقوله:

اخشى من اجتماع كل معدومي الضمير هؤلاء علينا ان نبقى وحدنا في الميدان وأن يؤدي ذلك الى التطويح بقضيتنا وتصفية شعبنا.

وأنا شخصياً قد بلغت من العمر عتياً لم تعد سني تساعدني على حرب الأنصار التي تقتضي سرعة الأنتقال من جبل الى جبل ليل نهار. لذلك رأيت ان مواصلة القتال ليس من مصلحتنا. ولا ضير في ان يتأخر كفاحنا فترة من الزمن ولا بد من أن تحن فرصة أخرى للشعب الكردي لاستئناف نضاله. وإن كان هناك من يقوي على قيادة حرب الأنصار الآن فأنا على استعداد لبذل كل مساعدة له[٧].

ينبغي هنا ان نعلم ان الحياة ليست مثالية، وهنالك عثرات ومطبات تعتري الطريق في مجرى الحياة، وهي التي تصقل شخصيتنا وتجعلنا اقوياء، إن الحياة القاسية ومنها الحياة العسكرية تعلمنا كيف نتحمل المصاعب؟ وكيف نتخطى المحن؟ وكيف نهزم التفكير السلبي من مخيلتنا، إن العقبات في حياتنا هي فرص للترويض ولبعث الثقة في النفس، إن العقبات التي اعترت طريق ملا مصطفى البارزاني كانت كثيرة، وكان كلما يتغلب على معضلة تنبت طريقه كان يكسب خبرة وتجربة ويزيد من تصميمه على التواصل والسير قدماً الى الأمام.

إنه في كل مرة كان يحاول نسيان الخسارة ويبدأ التخطيط لمرحلة قادمة، فيلجأ الى المرونة والتكيف مع كل ظرف جديد يطرأ على الوضع السياسي والعسكري في المنطقة، إنه



الملا مصطفى البارزاني

كالرياضي المحترف الذي لا يجد مناص من ان يكيف نفسه ويجدد نشاطه ويزيد من لياقته البدنية ليخوض المباراة القادمة. لقد علمتنا الحياة بأن لكل شخص مهما بلغ مقامه وزاد علمه وكثر ماله فلابد انه تعرض لكبوات، واقترف الأخطاء، وخسر في جولات وهذه سنة الحياة، ومن ينفي هذه الحقيقة ويزعم انه معصوم من الأخطاء والهفوات، فلابد انه يدرج في مستويات الأنسان المتفوق، الذي لم يوجد لحد الآن، او انه يحمل فكراً دكتاتورياً يرى في بقية البشر عبارة قطيع لا حول ولا قوة له.

على الأنسان الناجح في الحياة ان يتعلم كيفية التعامل مع الأخفاقات، فينبغي ان نعلم ثمة اوقاتاً وظروفاً يكون من المستحيل فيها ان تنجح، وفي هذه الحالة ينبغي ان نعلم متى وكيف ننسحب.

إن الأنسان يحمل قدراً محدوداً من الطاقة، وفي كل مرحلة عمرية لها دورها وخصوصيتها، إن كان في القوة الطبيعية الجسدية او المستوى والقدرة على التفكير.

لقد كان البارزاني في تلك المرحلة العمرية التي رأي فيها انه حان الوقت للانسحاب وتسليم الأمور بيد الشباب، وهو يقول: إن كان هناك من يقوي على تسلم قيادة حرب الأنصار الآن فأنا على استعداد لبذل كل مساعدة له.

إن تقدم ملا مصطفى في السن، وهذا العمر الذي كان حافلاً بالأحداث والمشقات والتنقلات الدائمة في مناطق وعرة والعوز والجوع والقلق.. ومن ثم كان المرض الذي استفحل في

جسمه، كل ذلك اوجب على البارزاني ان يستمع الى النداء الداخلي في وجدانه، وليسلم الى الأمر الواقع، فيصغي الى نصائح الأطباء وإرشاداتهم. فاثر الأنسحاب من الساحة بعد سنين وعقود حافلة بالنضال والكفاح مع شعبه الوفي.

كان هنالك اتفاق سياسي وعسكري على وضع نهاية للثورة الكردية، فعلى حين غرة قلب الشاه ظهر المجن على الثورة الكردية وتنصل عن التزاماته بدعمها، وإيغالاً في المنحى الجديد كانت هنالك موافقة منه على دخول قطعات من الجيش العراقي الى الأراضي الأيرانية والقيام بمساعدة الجيش الأيراني على حركة الألتفاف وتنفيذ حركات تطويقية واسعة في حالة قيام المقاتلين الأكراد بمواصلة القتال وعدم الأستسلام.

لقد خيم الوجوم والحيرة وأحياناً كثيرة الأحباط واليأس على قلوب المقاتلين الأكراد، وارتسمت علامات الأستفهام والتساؤل على كل وجه، وكل يبحر في متاهات المصير المجهول الذي ينتظرهم. كان بينهم من يدعو الى مواصلة القتال وخوض غمار حرب عصابات بالأمكانيات المتوفرة، لكن التسليم بالأمر الواقع كان هو سيد الموقف، فلم يكن ثمة مبادرة حاسمة للتمسك بزمام القيادة في ذلك الموقف الذي حتمت فيه الظروف على قيادة البارزاني التاريخية الى التنحي جانباً.

بعضهم اقنع نفسه بضرورة البقاء طليقاً وعدم الأستسلام واضطر الى التوجه نحو الشرق والشمال الشرقي متجنبين الوقوع اسرى لا حول لهم ولا قوة بيد القوات الحكومية ورحمتها. لكن الى جانب هؤلاء ثمة عدداً من القياديين اختاروا طريق الأستسلام ومنهم من فقد حياته بحوادث اغتيال حكومية واضحة. وفي مقدمة الذين عادوا بهذه الطريقة السيد صالح اليوسفي ودارا توفيق وحبيب محمد كريم وشفيق آغا وعبدول سوران وصديق افندي اعضاء اللجنة المركزية وغيرهم من البارزانيين كثيرون[٨].

كان ذلك سبباً لتثبيط العزائم والهمم وأصبح هؤلاء مثالاً سيئاً للجمهور من البسطاء ومن البيشمركَه، لقد شهدت المنطقة الأستسلام الجماعي الى القوات الحكومية، ولقد رأينا على شاشات التلفزة أكداس الأسلحة والعتاد التي تخلى عنها المقاتلون الأكراد والتسليم الى القوات الحكومية التي عملت على تفكيك هذه القوات وبعثرتها، هذا عن مصير البيشمركَه.

اما مصير الأهالي فلم يكن معلوماً ولم تكن الرؤية واضحة فيما تخفيه لهم الأيام القادمة، وقد اختلط الحابل بالنابل كل يريد النفاذ بجلده، وإن المستقبل الغامض ينتظرهم، فماذا تخفي لهم الأقدار؟ والى اين تؤول الأمور بهم وهم في طريقهم الى ايران؟ اسئلة كثيرة لا احد يجرؤ على الأجابة، ولنقتبس بعض السطور من شاهد عيان كان واحداً من آلاف المشردين

فيكتب يونان هرمز: خلال مرورنا بالهضبة الجبلية بين حاج عمران وقصبة خانة الأيرانية كنا نشهد المشهد المفجع على حافتي الطريق.

آلاف المشردين في حركة دؤوبة مستمرة كل يحمل همومه فوق ما مكّنه حمله من متاعه الى المجهول، رأيناهم كالنمل الذي هجر عشه يحمل قوته يبحث عن عش جديد، بعضهم اعياه المشي فجلس على قارعة الطريق للراحة، آخرون تجمعوا على شكل حلقات بانتظار سيارة لتنقلهم عبر الحدود وحولهم امتعتهم من افرشة وبطانيات ومنامات وقدور ولوازم خفيفة. ويستطرد:

آخرون يطبخون وجبة سفرية وسط بكاء الأطفال وبعضهم في المهد وبعضهم الآخر يتشبث بثياب أمه وأبيه وأخرون يتجولون بين الأمتعة على غير هدى. لا تسمع صراخاً او عويلاً، أناس تعودوا الشقاء والحرمان والتشرد. لتصبح النوائب والنكبات جزءاً من تاريخهم الحضاري فلا تستقبل أمثالها إلا كواقع مفروض، لا كمفاجئات غير متوقعة.. كان الوجوم واضحاً علي وجوه الكبار لان السير وحمل المتاع قد اعياهم والدهشة قد صدمتهم وأغلقت بوجوههم المذاهب (الطرق) ولان المستقبل الغامض ينتظرهم وهم في طريقهم الى الأغتراب وعالم المجهول[٩].

لقد كانت مأساة انسانية إذ كان الأطفال والنساء حين وصولهم الى ايران في حالة يرثى لها وإن ما يحملون متاع منها بعض الملابس وأدوات الطهي وكيس دقيق هو كل ما يملكونه من الثروات، وحسب الأحصائيات المختصين من ايرانيين واجانب وأطباء أكراد، فإن نسبة الوفاة بين الأطفال حديثي الولادة بلغت نسبة رهيبة وهي ١٠٠٪ وهذه النسبة بلغت عند الأطفال دون السنتين من العمر ٧٠٪ وللاطفال دون الخامسة من العمر بلغت ٣٠٪ وقد تجاوز عدد اللاجئين الذين وصلوا ايران لمدة شهر اكثر من مائة الف لحقهم ٨٠ ألف آخرون في الخريف، يضاف الى ذلك ان حملة الهروب من المناطق القريبة من جبهات القتال الى الخطوط الخلفية كانت مستمرة داخل اراضي كردستان العراق، لذا يمكن القول بأن أكثر من نصف مليون نسمة كانوا في بداية عام ١٩٧٥ لاجئين او هاربين من الحرب وهذا يعادل سدس نفوس كوردستان العراق[١٠].

إن الحكومة العراقية تحركت على وجه السرعة لتنفيذ الحكم الذاتي الذي أقرته وسرحت الوزراء الذين كانوا على ملاك ملا مصطفى البارزاني، وعينت بدلهم خمسة من المناوئين للبارزاني، وشكلت الحكومة المجلس التنفيذي من ٨٠ عضو كردي كما عينت طه محي الدين معروف لمنصب نائب رئيس الجمهورية، إن هذه التعينات كانت بمنأى عن الأتفاق مع البارزاني. وعلى الأرض حاولت الحكومة من إحكام قبضتها على المنطقة، وكانت فترة مريرة

جداً على السكان الأكراد، لأن النظام خلق حزاماً أمنياً في بعض المناطق الحدودية، وقد تطلب ذلك إزالة ٥٠٠ قرية علي الأقل في المرحلة الأولي وربما وصل العدد الى ١٤٠٠ قرية في عام ١٩٧٨ وتم ترحيل ٦٠٠ ألف وربما اكثر من الرجال والنساء الى مجمعات إعادة التوطين[١١].

كانت هذه الأجراءات تدخل في نطاق تغيير التركيبة الديمغرافية بجهة تعريب المناطق الكردية، فسعت الحكومة الى تحقيق نوع من التوازن السكاني في المناطق المتنازع عليها مثل خانقين وكركوك ومندلي وشيخان وزاخو وسنجار، فرحل الأكراد واستبلدوا بمواطنين عرب عراقيين او مصريين، وفي نطاق هذه الأجراءات كانت ثمة صعوبة في حصول الأكراد علي سندات تمليك في كركوك، وقد اعيد تنظيم هذه المحافظة لضمان الأغلبية العربية، فالمدن ذات الأغلبية الكردية مثل كلار وكفري وجمجمال وطوزخرماتو نقلت من عِداد محافظة كركوك ووزعت الى السليمانية والديوانية او على المحافظة الجديدة صلاح الدين، وكانت هنالك مكافأة مالية وقطع سكنية للعربي الذي ينقل تسجيل نفوسه من المحافظات الجنوبية الى كركوك.ويقول ديفيد مكدول أن ثمة إجراءات كريهة اتخذت بهذا الجانب مثل إعطاء مكافأة مالية للعرب الذين يتزوجون كرديات، وهو تشجيع متعمد من اجل الأنصهار القومي، ونقل المستخدمين الأكراد المدنيين والجنود والشرطة الى خارج كردستان، وإلغاء الكلية الكردية من جامعة السليمانية الجديدة وتعريب بعض اسماء الأمكنة. وقد عادت بغداد دون شك الى الأعتقالات والتعذيب من وعمليات الأعدام لضمان ان امرها لن يُعارض[١٢].

من عمليات النفي الى الجنوب من البيشمركَه الذين سلموا اسلحتهم، كان نصيب صديقى سعيد موقا وعائلته فكان احد الذين شملهم هذا النفي، ويوم مجيئه الى البصرة دعوته الى البيت، وقال انه ضمن مجموعة كبيرة نفيت الى ذلك المكان، والحكومة ستلاحظ سولكهم لكي توافق بعودتهم الى المنطقة.

وماذا عن شط العرب؟

شط العرب ممر مائي حيوي لحياة العراق وهو الذي جعل من البصرة ميناءاً مفتوحاً لاستقبال البواخر القادمة من انحاء العالم فلقبت البصرة بثغر العراق. كان شط العرب يعتبر طريقاً نحو الهند وتجارتها من التوابل والأقمشة والعنبة والموز، وفي اوائل السبعينات من القرن الماضي حين انتقلت الى البصرة بسبب عملي الوظيفي، كانت البواخر الخشبية القادمة من الهند ترسو على الرصيف القريب من شارع العشار.

إن هذا النهر يعتبر شريان العراق، ولكن هذا النهر ليس له نفس الأهمية بالنسبة الى

ايران حيث ان لأيران امتداد ساحلي طويل يترامى على طول الخليج العربي وخليج عمان وحتى بحر العرب، وهكذا يبقى شط العرب يحمل اهمية كبيرة بالنسبة للعراق، لاسيما في الحركة التجارية الدؤوبة، فعكفت البصرة لتكون مدينة للعمل والعمال ومدينة مفتوحة لاستقبال البحارة والتجار من الأجانب فكانت بحق ثغر العراق ومدينة مفتوحة اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً.

في هذا السياق كان من مصلحة العراق ان يكون شط العرب صالحاً للملاحة على مدار السنة، ولكونه ممراً مائياً عراقياً خالصاً، كان العراق هو الذي يملك الحفارات والخبرة والقوي البشرية التي تعني بتنظيفه من الغرين الذي ينقله النهران دجلة وفرات ونهر الكارون في ايران، ويجري التنظيف على مدار السنة فيستورد العراق حفارت متخصصة، مهمتها ان تجعل النهر صالحاً للملاحة لبواخر الحمل الكبيرة ذات الغاطس المائي العميق. وفي فترة الحرب مع أيران توقفت تلك الحفارت عن العمل، وتسبب القصف بين الطرفين الى غرق بواخر واستقرار هياكلها في قعر النهر.

شط العرب يسميه الفرس نهر (اروند رود) و يلفظ ارفندرود. وتقع على جانبة الايراني مدينتي خرم شهر (المحمرة) سابقا وعبادان. يبدأ شط العرب في نقطة تلاقي دجلة والفرات في مدينة القرنة على بعد ٣٧٥ كم جنوب بغداد.

يبلغ طول شط العرب مايقارب من ١٩٠ كم، ويصب في الخليج العربي المسمى عالميا بالخليج الفارسي عند الفاو، حيث تنتهي حدود العراق، وقديماً كان هذا الخليج يسمى البحر الكلداني. يصل عرض شط العرب في بعض مناطقه إلى ٢ كيلو متر وفي منطقة البصرة يصل عرضه الى ٢٣٢م. وكانت ضفتيه تغطيها غابات من أشجار النخيل فكانت احسن انوا ع التمور الجيدة تقوم على شط العرب وكلما امتد الى الجنوب تزداد مياهه ملوحة فلا ينتج التمر الجيد، النخيل شهد حملة شعواء لقلعه من جذوره ايام وسنين الحرب العراقية الأيرانية، حيث كانت تشكل ساتراً يخفي تدفق وتسلل القوات الأيرانية، فكانت الحرب الأيرانية العراقية التي دامت ٨ سنوات سبباً لقلع الملايين من اشجار النخيل.

نستفيد من مقال للمؤرخ توما شماني بعنوان: شخبطة على الحائط، شط العرب مات كمداً كما مات الهور كمداً، وكان شريان العراق الحي ثم انتهى الى ابد الآبدين " فيقول:

لشط العرب ارتبط باخبار السندباد البحري في أسفار خيالية سبعة وردت في الألف ليلة وليلة ولا تزال تقوم جزيرة السندباد الآن على شط العرب، حيث كان فيها منار يرشد السفن البحرية الآيبة والراحلة ولكنه الآن كومة من الحطام. في القرن الثامن غدت بصرة شط العرب

مهمّة تجاريا للعباسيين فكانت السفن تأتيها من الاقاصي كالصين وكانت البصرة عروسة شط العرب والخليج بين ٨٠٠ و ١٢٠٠ لكن انتهى دور شط العرب عندما اكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح ثم جاءت الضربة الاخري لشط العرب عندما شقت قناة السويس في ١٨٦٩ حيث اصبح البريد يرسل عبرها الى الهند.

إن شط العرب لم يستفق وينمو حيا الا بعد ان حرره الانكليز من السقوط العثماني العام للعراق، حيث اختاروا (ماركيل) التي اسميت بعدئذ (المعقل) لمرافيء للسفن البحرية التي ترود شط العرب وكان مرفأ المعقل في البصرة على شط العرب المرفا العراقي الوحيد.

اما في الجهة الايرانية فعليه مرفأين هما المحمرة (خرمشهر) وعبادان وهما لاغراض نقل النفط.

منحت مؤسسة الموانيء العامة التي انشأها الانكليز شط العرب حياة مفعمة بالنشاط والحيوية. حياة حية لشط العرب وحياة حية للبصرة وحياة حية للعراق. كان شط العرب مدخلا للعراق ومخرجا له، ففي المعقل في شمال البصرة كان المرفأ، لم يكن هناك مرفأ يضاهيه في الخليج العربي آنذاك. في المعقل انشأوا مدينة صغيرة مليئة بالحيوية خاصة الكمب الذي كان يضم انواعا من القوميات التي كانت تعمل في مؤسسات الميناء. كان لمؤسسة الموانى العامة سفن صغيرة تقوم بعمليات المراقبة حتى الفاو، وكانت تملك حفارات نهرية تقوم بتنظيف مسار السفن

كانت مياه شط العرب تحتوي شيئا من الملوحة، تختلف عن مياه دجلة، وابناء البصرة يشعرون بالفرق بهذه الملوحة عندما يصلون إلى بغداد صباحا بالقطار. الواقع ان مستوى المياه في شط العرب لايستقر لانه يتأثر بالمد والجزر الذي يحدث في الخليج في كل ٢٤ ساعة، فتجد بعض الجداول وقد وصل فيها الماء القعر وبعد ذلك يرتفع مستوى الماء حيث تستطيع الابلام ارتياده. كما ان السفن الكبيرة كانت تنتظر المد حتى تستطيع عبور البصرة الى المعقل حيث يتواجد المرفا الذي بناه الانكليز اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى. ان شط العرب إضافة الى كونه اعمق المسطحات المائية حيث تجعله صالحاً للملاحة كذلك له اهمية اخرى تكمن في الثروة السمكية التي يحتويها حيث تنصب الشباك على ضفافه وعلي القنوات التي يرويها اثناء المد.

الاسماك في شط العرب كثيرة ووافرة ويكنيها اهل البصرة باسمائها وهي كثيرة منها الزبيدي والبني والشانك والشبوط والصبور والجري الذي يحرمه البعض ويقولون (الياكل الجري من علي متبري) وكانت اسعارها الاوطأ، بعض هذه الاسماك يأتي في مواسم خاصة،

بعضه مليء بالشوك كالصبور وبعضه بلا اشواك كالزبيدي وكان الروبيان البحري يتواجد على الضفاف وكان من مأكل البصريين الطيبة. لكثرة الاسماك في شط العرب كان البصريون لايقولون سمكة بشكل مطلق شأنهم فيما يقولون عن التمر، بل يقولون اشتريت بنية او شانك او اشتريت خضراوي او برحي.

بعد إنشاء السدود على نهر الفرات ودجلة في تركيا ونهر الكارون في ايران قلت المياه في شط العرب وبدأ يعاني شط العرب الموت البطيء. وبفقدان مياه الفرات انفقد التوازن في كيمياء وحياتية المياه المنصبة في شط العرب. وبذلك زادت كميات الاملاح التي يأتي بها المد فزادت الملوحة التي تروي النخيل في البساتين وربما يؤدي ذلك الى نتائج غير محمودة على انتاج التمور على مدي الزمن، تلك المياه كانت تجري نحو شط العرب منذ الخليقة وهي التي تحمل معها من الاهوار انواعا من الكائنات الحية والاسماك وبذلك انفقد التوازن الحياتي في شط العرب وهو توازن كان قائما منذ آلاف بل ملايين السنين. اما المصيبة الاخرى الكبرى من العهد الصدامي حلت بالعراق هي الحرب الايرانية العراقية التي قضت على حركة الملاحة في شط العرب قضاء نهائيا، اذ تتواجد الآن في قاع شط العرب عدد من الغوارق البحرية المختلفة منذ الحرب العراقية الايرانية. ان عدد الغوارق في نهر شط العرب وخور عبد الله وخور الزبير تزيد على الـ ١٠٠ غريقة كما ان هنالك الألغام. كما ان صدام قطع الملايين من نخيل التمر في خطة عسكرية جنونية، و تلوثت الارض ومياه شط العرب بملوثات لاحد لها آخرها اليورانيوم المستنزف الذي ضربت به الدبابات العرقية عند هروبها الشنيع في حرب الكويت.

وما يعرف عن شط العرب اليوم ومنذ عام ٢٠٠٤ فإنه اصبح منفذاً لتمرير عمليات لتهريب النفط ومشتاقه الى دول الجوار وبأسعار واطئة.

اليوم الرقابة شبه مفقودة على ما ترميه المعامل والمستشفيات من ملوثات في هذا النهر والآن فان الملوثات الصناعية والصحية التي تفرزها المعامل والمستشفيات والملوثات النفطية لاتزال ترمي دون رقيب ولا حسيب ابتداء من الموصل حتى الفاو. ولاشك ان هذا الواقع المرير قد اضيف اليه في السنين الأخيرة تحويل مياه الكارون والكرخة في ايران وأصبحت مياه شط العرب تعاني من نسبة ملوحة عالية، تجعلها غير صالحة للاستهلاك البشري ولاغراض الزراعة، فثمة كارثة بيئية تلح في افق مدينة البصرة قرينة شط العرب عبر آلاف السنين.

السيادة على شط العرب

إن السيادة العراقية على مياه شط العرب قد تقلصت بعد توقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥، إذ اصبحت النقطة العميقة في النهر هي الفاصل بين حدود البلدين، وهذا الطريق العميق على طول النهر عرف بممر تالوك اي ان الشط اصبح مناصفة بعدما كان عراقي خالص.

اما مسألة الملاحة فيه فقد كنت من الذين يقطعون شط العرب ذهاباً وأياباً من البصرة الى الخليج مرة كل شهر او كل شهرين وذلك قبل وبعد توقيع الأتفاقية عام ١٩٧٥ وبعد توقيع تلك الأتفاقية باشرت بواخرنا العراقية وكل بواخر التي تقطع هذا الشط من والي البصرة بأعطاء المعلومات الى السلطات الأيرانية عن اسم الباخرة وعلمها وحمولتها وغاطسها ونوعها.. الخ فهذه المعلومات تبرق قبل دخول الباخرة مياه شط العرب وفي منطقة سيبة تبلغ السلطات الأيرانية مرة أخرى عن وصول الباخرة الى تلك المنطقة في حين هذه المعلومات قبل اتفاقية ١٩٧٥ لم تكن البواخر معنية بأعلام السلطات الأيرانية.

إن هموم شاه ايران كانت تتركز حول شط العرب وأنه وقع اتفاقية الجزائر من اجله فيما وقع العراق تلك الأتفاقية انتقاماً من الأكراد وفرط بشط العرب من اجل تلك الغاية، وورد في الوثائق البريطانية في الحلقة الثانية التي نشرت في جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ٢٦ ـ ٢٨ / ٠٨ / ٢٠٠٧ (هذه الوثائق منشورة في الملاحق في نهاية هذا الفصل) حول المحادثات بين بريطانيا وفرنسا حول الشرق الأوسط حيث أفاد دي موكينز من الوفد الفرنسي: إن لكل من إيران وتركيا مخاوف تجاه مستقبل الأكراد، ولكن الفرنسيين متأكدون أن دوافع الشاه في تعاطيه مع المشكلة الكردية كانت ببساطة لجذب العراق لجهة الموافقة بمناقشة مشكلة الشط.. ويضيف: من الواضح أن قوات البارزاني قد تكبدت خسائر كبيرة وأن الخيار أمام إيران أصبح إما أن تتوقف عن مساعدة الأكراد، أو أن تقدم تضحيات جسيمة بالنيابة عنهم أو ربما حتى التدخل المباشر في الحرب، والسؤال: لماذا ساعد الشاه الأكراد بالقدر الكبير الذي فعله؟ ولماذا غيّر فجأة خططه؟ من وجهة النظر الكردية فسلوك الشاه لم يكن جميلا ومن وجهة نظر الشاه أن الكرد غير منظمين بصورة دقيقة.

أما مستر وير (من الوفد البريطاني) فقال:

إن هذه النقاط الأخيرة تبدو أكاديمية في ضوء معطيات الحاضر. مستر دي مومينز وافق، ولكنه قال إن الشاه وبعد حل لقضية شط العرب ثبّت الحقائق، فالشاه لعب بالأكراد طويلا الى أن حصل على ما يريد. مستر ليوكاس (من الجانب البريطاني) قال إن الشاه وبطريقة ما فعل ما هو أكثر مما تمليه الضرورة، فرأى أن يبيع الأكراد على حافة النهر، ولكنه استطاع

أن يحول الصفقة الى حساب جيد.

مع تلك الصفقات باتت المسالة الكردية بحكم المنتهة بحسابات النظام العراقي، وبعد خمس سنوات من توقيع اتفاقية الجزائر أقدم صدام حسين على نقضها وألغى الأتفاقية التي وقعها بيده من طرف واحد وذلك يوم ١٧ ايلول ١٩٨٠ اي قبيل بزوغ فجر ٢٢ ايلول حينما باغتت الطائرات العراقية بقصف القواعد والمطارات العسكرية داخل العمق الأيراني، وحينها اندلعت الحرب العراقية الأيرانية، وبعد ان وضعت هذه الحرب اوزارها بعد ان استمرت ٨ سنوات، عمد النظام العراقي الى احتلال الكويت، مما اثار حفيظة امريكا والمجتمع الدولي وتشكل تحالف دولي لاجبار العراق علي الخروج من الكويت بما عرف بحرب تحرير الكويت او حرب الخليج الثانية. حيث بعد ان تقوض وضع العراق عمد الى التراجع مرة اخرى وعاد الى الأعتراف باتفاقية الجزائر مرة أخرى. فالمحصلة ان العراق فقد السيادة المطلقة على شط العرب الممر الحيوي للوطن العراقي.

البارزاني يسلم الراية

حكم الأيام والزمن لا مفر منه، في خريف العمر الأيام تجري بسرعة هائلة، والوهن والضعف والمرض تتكالب عليه وتمضي الى قول كلمتها ولفعل فعلها، ومهما تشبثنا بالحياة وصمدت إرادتنا وحتى لو كان تصميمنا من جنس تصميم وإرادة الشباب، لكن الجسد يغدو ساحة مفتوحة منخور الجوانب لهجوم العلل والأمراض التي تعصف به، ومع الأيام ينبغي التسليم بالأمر الواقع، والخلود الى الراحة والسكينة التي تتطلبها المرحلة العمرية. هكذا كان على اسد كردستان الملا مصطفى البارزاني الذي كان يصول ويجول في ذرى وشعاب ووديان كردستان، كان عليه ان يخلد الى الراحة، وإن يسلم الراية الى غيره، وهذا ناموس الحياة الذي لا يمكن تجاوزه او الأفلات منه.

الأحداث تتسارع ففي غضون ساعات من توقيع اتفاقية الجزائر كان الأنقلاب المفاجئ لسير الأحداث، فأفرز ارتباكاً لا تتوفر فيه فسحة من الزمن للتفكير الهادئ. عرضت بغداد علي ملا مصطفى البارزاني وقف اطلاق النار من ١٣ آذار الى الأول من نيسان، كي تسمح لقواته بالتقهقر الى ايران او الأستسلام، وفي ٢٣ آذار قررت القيادة الكردية الكف عن القتال.بعد ان تأكد للبارزاني بأن واشنطن قد قررت تبني موقف طهران، وطالبته ايضاً بأيقاف القتال.

كان مشهداً مؤلماً بحق الأكراد وهم يحدقون مشدوهين بمشهد انهيار تجربتهم. لقد توقفت عن البث إذاعة صوت كردستان يوم ٢٤ آذار حينما قام عدد من البيشمركَه بتفجيرها، ويقول



البارزاني بين نجليه مسعود وأدريس
في فترة العلاج بالولايات المتحدة
(واشنطن ١٩٧٧)

الدكتور كَونتر كوشنر بأن مسعود البارزاني النجل الأصغر للبارزاني، أخذ يبكي حينما سمع صوت الأنفجارات التي حطمت جهاز الأرسال السري المنصوب في قرية بالقرب من ناوبردان، كما فجرت بالقرب من المقر العام للقيادة الكردية في حاج عمران المدافع القليلة المتبقية لديهم.ويكتب مسعود البارزاني بأنه وقف شخصياً على سير تلك الأحداث الأليمة. وبأن البارزاني غادر حاجي عمران نحو نغده في ايران يوم ٢٥ / ٣ / ١٩٧٥ ويضيف بأن ذلك اليوم هو اتعس ما مرّ بي من ايام حياتي، وإن غالبية الشعب الكردي يشاركني في هذا الشعور. ويمضي الى القول بان الأخ أدريس قد سبق الوالد بيومين، فقصد بلدة (شنو) لينسق مع السلطة الأيرانية إجراءات إنقاذ العوائل التي عزلها تراكم الثلوج في (خزينة) عن العالم الخارجي بغية نقلها الى موضع آمن[١٣].

كانت آخر تصريحات للبارزاني قبل مغادرته ارض كردستان هي تلك التي نقلها الدكتور كَونتر كوشنر والتي نشرتها جريدة (العالم ـ Die Welt) والتي لخص فيها الزعيم البالغ من العمر ٧٢ سنة خلال اجابته على بعض الأسئلة قبل مغادرته كردستان، فيصرح البارزاني بقوله:

ان السبب في فشلنا وانهيار ثورتنا لا يكمن كما هو واضح في المجال العسكري، فقد ترك

جنودنا ميادين القتال دون ان يتم التمكن من دحرهم.. ولم تتمكن القوات الحكومية خلال سنة واحدة من القتال التقدم سوى بضع عشرات الكيلومترات.. إن القرار الحاسم الذي قضى على ثورتنا في الجبهات السياسية، كما تم تخطيط ورسم سياسة المتبادلة للقوى الكبري على حسابنا. كما ان التفكير السياسي للغرب مغلف حالياً بغمامة نفطية.. ويمضي الكاتب الى القول: لدى سؤالي عن الخطأ الحاسم الذي اقترفه شخصياً، أجابني الجنرال بصوت يعبر عن المرارة:

إن اكبر خطأ اقترفته في حياتي هو انني منحت ثقتي للولايات المتحدة الأمريكية وصدقت وعودها، وبعد ساعتين من هذه المقابلة، ركب البارزاني عربة لانروفر وقام بعبور الحدود العراقية الأيرانية يرافقه عدد قليل من افراد الحرس وأعضاء عائلته١٤.

إن الأنسحاب نحو الأراضي الأيرانية لم يكن للعوائل فحسب فقد باشر اعداد مهمة من المسلحين من البيشمركَه ممن لم يفكروا في التسليم للسلطات العراقية بالتوجه نحو أيران وكان هؤلاء يلجأون الى إخفاء ما بحوزتهم من الأسلحة في الكهوف والمغاور في المناطق النائية حيث خبروا المنطقة بعد سنين من النضال، فكانوا يعبرون الى ايران دون اسلحة.

إضافة الى هؤلاء فقد كان هنالك الآلاف من المقاتلين من بقي في كردستان، وهم ينتظرون في مخابئهم الجبلية وقراهم النائية وبلباس الفلاحين لكي يبتعدوا عن الشكوك في امرهم، وهم يرتقبون أزوف الساعة المرتقبة لعودتهم الى حمل البندقية الكردية لتحقيق النصر المؤزر، وتكون الطريق الى النصر النهائي لكردستان فقد قال جندي كردي مجهول: سوف ننتصر حتى لو كان بعد مئة عام. وهذا ما تحقق في نهاية المطاف للشعب الكردي المكافح.

البارزاني صراع مع المرض

مع مشاغل الحياة ومع تقلباتها تبقى سيرورة الحياة ونمضي سابحين في فضاءاتها السياسية والأجتماعية والأقتصادية، واضعين المشاريع المستقبلية لأيام وسنين وكأننا نعيش أبداً، وفي خضم هذا المعترك نفاجئ بالمرض الذي يغزو حياتنا دون إرادتنا، ويغدو الضيف الثقيل الذي لا مناص من قبوله والتكيف مع وجوده شئنا ام أبينا. والحق ان هذا الضيف لا يفرق بين البشر، وكان البارزاني الذي كرّس حياته من أجل شعبه، وتحتم عليه ايضاً ان يصارع المرض لوحده، وكانت البدايات في شعوره بالآلام في ساقه اليمنى حيث سافر برفقة الدكتور محمود عثمان الى طهران لاجراء بعض الفحوصات، وبموجب رسالة كتبها الدكتور محمود عثمان الى الأخوين أدريس البارزاني ومسعود البارزاني وهي بتاريخ ٤ / ٧ / ١٩٧٤ ويذكر فيها فيها بأن توصية الأطباء له ضرورة الخلود الى الراحة على الأقل لمدة عشرة أيام.



ملا مصطفى البارزاني الي يساره محسن دزيي والى يمينه إدريس البارزاني ثم
محمد سعيد دوسكي فترة العلاج في اميركا عام ١٩٧٧

لكن في اواسط عام ١٩٧٥ كان يشكو من آلام شديدة في صدره وظهره تحرمه من النوم، وبدت علائم تدهور صحته ظاهرة للعيان، لكنه كان يظهر جلده وتحمله، وفي سفرة له مع نجله ادريس الى طهران ازداد وضعه الصحي سوءاً، ويقول مسعود البارزاني، بأن والده رفض رفضاً قاطعاً ان يتولى الأيرانيون فحصه وعلاجه، وكانت رغبته في ان يعالج في احد البلدان الأوروبية، لكن في نهاية الأمر رتب امر سفره الى الولايات باتفاق على التفاصيل بين جهاز السافاك الأيراني وجهاز المخابرات المركزية الأمريكي CIA والشرط الوحيد الذي ترتب على البارزاني مراعاته هو عدم قيام بأي نشاط سياسي إن كان بالمقابلات الصحفية او عن طريق طلب الأتصال بمسؤولين في الأدارة الأمريكية أي ان تكون الزيارة للعلاج الطبي فحسب.

في بداية شهر ايلول ١٩٧٥ سافر البارزاني الى الولايات المتحدة، وهناك طلب واحد من نجليه ادريس او مسعود ان يكون الى جانبه في مستشفي (مايو كلينيك) في مدينة روجستر في بولاية منيوستا، ويقول مسعود البارزاني: كنت قد فرغت من توزيع المهام وتفعيل المنظمات ولم يعد ثمة حائل يعيقني عن الأجتماع بالوالد، فجري إناطة تنظيم الأمور بالأخ إدريس، وفي العاشر من ايلول وطأت قدمي الولايات المتحدة لاول مرة، بل كانت أول رحلة لي الخارج بعد النكسة وكلي شوق وحنين للاجتماع بالوالد بشكل يجل عن الوصف[١٥].

كان البارزاني يعاني من ورم سرطاني في الرئة ولدى فحصه في الولايات المتحدة كان المرض قد وصل الى مراحل متقدمة حيث لم يجرى تشخيص المرض بمراحله الأولية ولهذا

كان الشفاء في حكم الميؤوس منه.

لكن الأطباء يحاولون في هذه الأحوال العمل على ايقاف تفشي وسريان الداء في الجسم قدر الأمكان. ولكن مع ذلك كان الأطباء المعالجون يجدون تقدماً ملحوظاً في صحة البارزاني مع العلاج فاستقر الرأي على استمراره لمدة ستة اشهر. ونستفيد من بعض الأسماء والتواريخ من الأستاذ مسعود البارزاني حينما يقول ان اسم رئيس الأطباء الذين قاموا بعلاجه هو الدكتور (جيمس روي ماكفرسن) في مستشفي مايو، وهنالك مقابلة مع هذا الطبيب، لكن في تلك المقابلة لم يذكر اسم الطبيب المباشر، وسأرفق مجريات المقابلة في نهاية هذا الفصل.

في العاشر من شهر شهر تشرين الثاني ١٩٧٥ عاد البارزاني الى ايران على فرض ان صحته قد تحسنت، لكن يبدو ان وفاة أخيه الشيخ بابو في ١٥ / ١٢ / ١٩٧٥ كان لها تأثيرها السلبي على صحة البارزاني. فكانت صحته آخذه في التدهور، فكان لا بد من مواصلة العلاج بالعودة الى الولايات المتحدة او اوروبا، وكانت ثمة عقبات تعتري سبيل الحصول علي الموافقات للسماح للدخول الى اميركا، لكن تقرير الطبيب ماكفرسن الذي يوصي بضرورة مراجعة البارزاني لعيادته لاكمال العلاج ساعدت في تسهيل أمور السفر.

في ١٩ / ٠٦ / ١٩٧٦ سافر البارزاني يرافقه نجله مسعود البارزاني الى الولايات المتحدة، واستمر العلاج وكان تحسن ملحوظ يظهر على البارزاني نتيجة توافق العلاج، وفي اوائل عام ١٩٧٧ قطع عنه العلاج والأدوية لكن الفحوص الروتينية استمرت في مواعيدها.

إن هذا التحسن الملحوظ في صحة البارزاني قد اتاحت الفرصة امام ابنه مسعود البارزاني ان يسافر الى سوريا حيث افلح في إنشاء علاقات طيبة مع السلطات السورية، إذ ان لسورية المجاورة تأثيرها الفعال على سير الأحداث في المنطقة.

في اوائل تشرين الأول ١٩٧٨ وصل إدريس البارزاني الى واشنطن، وكذلك عاد مسعود البارزاني من سوريا، ومكثا معه وبقيا الى جانبه.

الجدير بالملاحظة هنا نشير الى الرحيل المبكر لإدريس البارزاني الى مثواه الأخير وهو في قمة نشاطه وكان ذلك في ٣١ كانون الثاني من عام ١٩٨٩ وهو من مواليد ١٩٤٤ في قرية بارزان، وقد غيبه الموت وهو في اوج شبابه وعطائه، واعترف له بالجهود المميزة التي بذلها مع الحكومة العراقية عام ١٩٧٠ في تثبيت حقوق الشعب الكوردي وعمله الدؤوب لتقريب وجهات النظر، فاشتهر في وقت السلم كما كان وقت إدارة المعارك، ويعتبر ايضاً مهندس المصالحة بين الفصائل الكردية وطى صفحة الصراع بينها لأحلال الوئام وتجنيبها المعارك الجانبية، إن



الأستاذ نيجرفان البارزاني رئيس وزراء اقليم كردستان

المرحوم أدريس البارزاني هو والد الأستاذ نيجيرفان البارزاني الذي تبوأ رئاسة الوزارة في حكومة اقليم كردستان، ويشهد له بحنكته وحسن قيادته لعجلة التقدم والنهوض بإقليم كردستان في شتي الميادين ليحتل هذا الأقليم مكانة مرموقة بين الدول في المحافل الدولية والأقليمية وليكون مثالاً يقتدى به في بقية ارجاء وطننا العراقي العزيز.

نعود الى حالة وضعية البارزاني المرضية فيكشف لنا الأستاذ مسعود عن حبه وشوقه لخدمة الوالد وهو يعاني من المرض، وهو يكشف للقارئ، كيف حرم من حنان الأبوة وهو الأبن الرضيع، حيث كان غياب الوالد لمدة ١٢ سنة في الأتحاد السوفياتي، وبعد عودته، كان يخصص معظم وقته في الشؤون العامة، وليس له وقت يذكر يقضيه مع عائلته وأولاده الذي افتقدوا الى تعامل الأب ورعايته في تلك المراحل العمرية، واراد البارزاني مسعود تعويض تلك الفترة الطويلة بالبقاء الى جانب والده، والقيام بخدمته شخصياً، إنها اسعد لحظات حياته حينما يقوم بهذا الواجب، وهو يريد ان يؤديه على أحسن ما يرام. وهو يخاطب والده وجهاً لوجه ويقول:

سيدي الوالد، انا هنا للقيام بواجب خدمتك وهو شرف عظيم. وارجو منك ملحاً مصارحتي ومواجهتي. وإنال ما استحق من لوم عن إهمال يصدر مني، ويضيف مسعود البارزاني عن هذه العلاقة التي كان لها تأثيرها البالغ على مجمل حياته:

حكم علي أن لا اكون كسائر الأبناء، فقد سمعت عنه (والدي) ولم اسمع منه طوال فترة الحداثة، ونصيبي منه إذ ذاك لم يكن اكثر من صورة شمسية باهتة له... وخلال التحاقي بالثورة عام ١٩٦٢ والى جانبه ما كان بوسعي في السن المبكرة وظروف الثورة من حل

وترحال ومعارك واجتماعات ومشاغل، ان اعرفه معرفة صميمية وبقيت علاقتي به علاقة وظيفية.. لكن خلال الأعوام الثلاث الأخيرة وهي اعوام مرضه وكنت إذ ذاك قد بلغت السن التي تمكنني من الحكم على الأمور والطبائع البشرية بشكل عام.. لقد بقي حتى النهاية ذلك الرجل الصلب العود الشديد العزيمة امام الموت ولم يطرأ اي تغيير على طبعه الجاد وفكره السليم ولم يكن يقتضي منه ذلك أي جهد او إفتعال بل بقي على السجية المأثورة. تراه ينصح ويقترح ويشد من العزائم في أحاديث لا تخلو من مرح وفكاهة أحياناً، إلا انه كان يستشهد بوقائع وحكايات وأمثال وآيات قرانية بالمناسبة وكل قصده تبديد وحشتنا وتفريج كربتنا وبث العزيمة فينا[١٦].

نواصل متابعة الأحوال الصحية للبارزاني ونبقي مع تواريخ الأستاذ مسعود البارزاني الذي يقول انه وصل الى جزيرة قبرص ١٢ / ٠١ / ١٩٧٩ ومن هنالك اتصل بأخيه إدريس مستفسراً عن صحة الوالد وأخبره بأن الدكتور ماكفرسن قد صارحه بأن المرض استشرى في انحاء الجسم وإن الطب بات عاجزاً وليس هنالك علاج ناجع.

كانت وصية البارزاني ان يدفن في تراب بارزان وإن تعذر ذلك فيوارى جثمانه الثرى في (شنو) الى جانب اخيه الشيخ بابو. وكما كان توقع الأطباء فإن البارزاني سلم روحه الى باريه في مستشفى جورج تاون، وأصبحت مسألة نقل جثمانه مطلب الساعة. وفي هذه الأثناء يقول مسعود البارزاني انه قد اعد تصريحاً حول الموضوع ورد فيه:

إن وفاة البارزاني لن تكون عائقاً لنا من مواصلة النضال الذي قام بأعبائه، بل ستواصل وسيتم السير على نهجه، وتلك هي في الواقع امنيته ورغبته. وإن خير دليل للوفاء لذكراه هو إبقاء نار النضال التي اشعلها متقدة[١٧].

في الرابع من شهر آذار ١٩٧٩ وصل جثمان ملا مصطفى البارزاني الى طهران، وفي الخامس من آذار ووري جثمانه الثرى في مقبرة شنو قريباً من مرقد الشيخ بابو.

الموت الزائر المباغت الذي يدخل دون استئذان وهو القدر المتربص بالأنسان في اية لحظة، وهو لا يفرق بين غني وفقير، بين سيد وعبد، بين الأنسان الصالح والطالح، فقانونه يسري على الجميع دون تمييز او تفرقة، إنها لحظة مكملة للحظة الولادة ولكينونة مصيرها معلوم في لحظة الموت الحتمية.

كانت تلك نهاية لحياة انسان كان يشغل حيزاً مميزاً من العطاء والأنجاز لشعبه، لقد سار على سليقة آبائه وأجداده، وكان قلبه ابداً مفعماً بالأحلام والآمال لشعبه، لقد علمته الحياة ان ثمة فجوة كبيرة بين تداعي الأحداث وتطورها وبين منطقها التراكمي فالسبيل الى النتيجة



في الجامع الكبير في السليمانية حشود من الجماهير الكردية تحتفي برفاة البارزاني حين نقلها من شنو الى بارزان عام ١٩٩٣

يكون بأحداث درامية او تختفي وتتلاشى بفعل سيرورة الزمن وتقلبات الحياة.

كان ملا مصطفى البارزاني يفرض هيبته على المكان، ومن خصاله انه يحتفظ بحبل المودة موصولاً مع معارفه. وهنا لا بد من الأقرار من ان البارزاني هو إنسان وليس معصوماً من الأخطاء، وهذه حقيقة ينبغي إدراجها في الحسبان، لكن المعروف ان تلك الأخطاء والأنتصارات والأنتكاسات التي صادفت البارزاني في مشوار حياته الحافلة لم تثنه عن عزمه ولم ينسحب من المعركة، كان عنصر الأخلاص يملئ قلبه وبقي ملازما له طيلة مراحل حياته، وكان هذا هو الحافز والسر الخفي في ديمومته وبقائه في نفس الطريق.

فالأنتصار لا يترك عنده الغرور والتبجح او الأستهانة بالعدو. أما الأنتكاسة او الهزيمة في معركة ما فتعني عنده حشد القوى والمزيد من التماسك والتنظيم والتهيئة لاعادة الخسارة في الأرض او المعدات والأستعداد لجولة جديدة، والملفت للنظر تلك الأصرة القوية التي كانت قائمة بين البارزاني وأنصاره، فالظروف العسيرة التي كانت تحيق بالبارزاني في بعض المواقف، لم تثن من عزيمة انصاره ولم يجعلهم يتخلون عنه في اصعب المواقف وأخطرها، وقد راينا في تلك المسيرة نحو الأتحاد السوفياتي السابق وكانت بكل المقاييس تعتبر مغامرة خطيرة مجهولة النتائج ومع ذلك التف انصاره حوله وربطوا مصيرهم بمصيره ومهما كانت النتائج.

وبقيت تلك الوشيجة قوية راسخة حتى بعد وفاته ففي يوم تشييع جثمانه في شنو الأيرانية أقبلت جموع كردية من مختلف المناطق القريبة والبعيدة وبعضهم قدم من وراء الحدود، فكان التشييع اشبه ما يكون بتظاهرة قومية لوداع قائدها التاريخي ملا مصطفى البارزاني.

المقابلة مع طبيب البارزاني

لقد ارتأيت ان يكون مسك الختام في هذا الفصل ما رواه طبيب البارزاني عن مرحلة حياتية من عمره، وتتناول مرحلة العلاج في الولايات المتحدة، حيث صارع المرض، لكن في نهاية المطاف كانت الغلبة للمرض، الذي وضع حداً لحياة طويلة زاخرة بالأحداث قلما نجد شبيهاً لها في التاريخ المعاصر.

إن المرحلة الأخيرة من حياة الأنسان مصطفى البارزاني يعكسه بشفافية طبيبه الأمريكي المعالج ماكفرسن وهو يجيب على أسئلة المخرجين السينمائيين الوثائقيين نياز لاهيجاني وطاهر هوراماني مع الطبيب الذي عالج البارزاني في مستشفى مايو (روتشستر، ولاية مينيسوت).

كان الجنرال بارزاني يجلس هنا، دخل الغرفة وجلس، وهنا كانت هذه المجلة

كان مسعود معه. وتبادلنا عدداً من الأسئلة العامة، ثم سألني بالطبع "National Geo-graphic "

عن طريق المترجم قائلاً: هل تعجبكم هذه المجلة؟ أجبت بأنها تعجبني. كنت اعرف ما كان يقصده، اما هو فأردف قائلاً: هل تعرف أنها نشرت صورتي؟ وتناول المجلة ثم فتح على الصفحة المطلوبة.. هكذا مرت خمس او عشرة دقائق على لقائنا الأول عام ١٩٧٥م.

ـ هل عرفتم فيها شيئاً عن الكورد؟

شاهدت هذه الصورة وقرأت المجلة وتحدثنا عن الأماكن في كوردستان وعن الناس والنساء الكرديات ذوات الشعر الأشقر. إنها ظاهرة فريدة مرتبطة بمنشأهن الأول، فقد كان هناك هذا المزيج، وجدنا معه لغة مشتركة.

لقد كان انساناً ممتعاً، ومن الواضح تماماً أنه كان إنساناً عظيماً، الأمر الذي كان يبدو حتى من مظهره الخارجي، كان ممعناً ولم يظهر قلة صبره. عندما يقوم الطبيب بتوضيح تاريخ المرض، فإن ذلك يحتاج الى كثير من الوقت والحذر. لأن الأخطاء غير مسموح بها. ينبغي التحدث مع المريض ومعرفة كل شئ عنه، معرفة ماضيه وأسرته وعاداته الضارة مثل عادة التدخين، إن كل ذلك في غاية الأهمية.



البارزاني مع طبيبه المعالج ماكفرسن (روچستر - مينيسوتا ١٩٧٧)

لقد كان البارزانى صبوراً بما فيه الكفاية، مع أنه بالطبع، كان يطمح، شأنه في ذلك شأن جميع المرضي، الوصول الى معرفة الوقائع الحقيقية، ثم أصبح واضحاً ما يحتاج اليه.

لقد أدخلناه الى المستشفي لأجراء الفحص، الذي كشف عن طبيعة ما كان يعاني منه، وأخذنا نعالجه انطلاقاً من ذلك. كانت علاقتنا كما يجب ان تكون بين المريض وطبيبه، علاقات مؤتمنة جداً، بيد أنه تكونت علاقات بين أسرتينا أيضاً ونشأت فيما بينها علاقات حميمة جداً.

ـ متى سمعتم عن الجنرال بارزاني للمرة الأولى قبل اللقاء معه؟

اتصلوا بي هاتفياً وبلغوني بوصول سيد يحتاج الى مساعدة طبية. ثم قالوا لي بأنه كوردي، وسألوني

فيما إذا أعرف الكورد؟ وهل سمعت عنهم فيما مضى؟ وأجبت بأنني قرأت في مجلة National Geograph هكذا تصفحنا المجلة مرة أخرى ووجدنا فيها صورة البارزاني، وأخبروني بأنه شخصياً سيأتي الى هنا للعلاج، ثم وصل الينا.

ـ كيف جري اللقاء الأول؟

جرى اللقاء بصورة جيدة جداً. إننا نسعي الى خلق جو مريح وهادئ، وجلسنا في هذا المكتب مع المترجم. تحدثنا عن تاريخ مرضه وعرفت التفاصيل الضرورية جداً لإجراء تشخيص صحيح. لقد كان إنساناً لطيفاً وذكياً، وناقشنا سيرة حياته، التي يمكن أن تصبح وقائعها سبباً لمرضه.

ـ ما هو الأنطباع الذي تكون لديكم بعد اللقاء الأول؟

بات واضحاً جداً المرض الذي كان يعاني منه، لقد كان بالطبع إنساناً سليماً الى حد ما، وأخذ يلاحظ في الفترة الأخيرة أعراضاً تثير قلقه. وبعد إجراء فحص فيزيائي اعتيادي نصحته بأخذ خزعة من مكان محدد من جسمه، الأمر الذي أسفر عن وضع تشخيص سريع وكشفنا عن المرض، وتوجهنا الى الأخصائيين في الأورام الذين نصحوه بإجراء دورة علاجية معينة.

ـ متى عرف أنه مصاب بالسرطان وكيف كان رد فعله على ذلك؟

في الواقع كان واضحاً أنه إنسان مناضل. لقد اعتبر ما أصابه من مرض مشيئة الله، ومن وجهة النظر هذه كان مريضاً خفيف الظل. فلم يكن يشكو من شئ لا من الفحوصات الطبية التي كنا نجريها له، ولا من الأجراءات الأخرى، وإن أولئك الذين تعاملوا معه كانوا معجبين بشئ ما خاص به، لقد كان البارزاني شخصية، وهذا ما كان المرء يحس به حتى في الأحاديث، ويحس بذلك عندما يجلس ويتكلم ويعبر عن أفكاره.

لقد كان إنساناً متحفظاً، لكنه كان قوياً جداً، وعندما تعرف ماضيه وما قام به من أعمال فإنك ستزداد إعجاباً به. وهذا ما يحدث دائماً، عندما تعرف شيئاً عن ماضي الأنسان، فإنك تعامله بطريقة أخرى، أكثر مما لا تعرف عنه شيئاً، وأفلح زملائي الذين كانوا يعملون هنا، التعرف عليه. لقد قررنا ان أفضل اسلوب نخاطبه به هو " الجنرال " وبالطبع كنا نعرف اسمه، لكننا كنا نسميه دائماً الجنرال بارزاني، لقد كان هذا اسلوباً مثالياً للتعبير عما نكن له من احترام.

ـ هل كنتم تتحدثون مع الجنرال عن المرض وحده؟ أم إنكم تحدثتم معه عن موضوعات أخرى؟

خلال الزيارات الأولي كنا نتحدث عن صحته فقط، حيث كان في غاية الاهمية بالنسبة لنا معرفة كل شئ عن المريض من وجهة نظر الطبية. ثم صار بالأمكان التحدث عن أسرته ونشأته.

عندما أجريت له دورة علاجية وكان نجلاه طيلة الوقت هنا، وهما في غاية القلق على صحته، مثلهما مثل الأبناء جميعاً يهتمون بوالدهم. والشئ الجميل أنه كان بالأمكان التحدث اليهما. لقد بينا لهما أننا نقوم بكل ما نستطيع القيام به، وهذا ما كان يبعث الهدوء والطمأنينة في نفسيهما، وكان الأثنان يقدمان المساعدة له على مقاومة المرض طيلة الوقت، وهذا ما كان أمراً مدهشاً، لأنه اجتاز خلال هذه الفترة عدة دورات علاجية الى ان كفت أعطاء النتائج وكان ذلك عام ١٩٧٩م.

ـ سنة ١٩٧٩... هذه كانت المرة الاخيرة قدم فيها الى هنا. ماذا حدث عندئذٍ؟

كان يرغب في ان يهيئ نفسه للعودة الى كردستان، فالعودة الى الوطن كانت غايته. في هذه المرحلة لم يحدث شئ سوى المعالجة المركزة. عاد الى واشنطن ومنها كان يستعد للسفر الى طهران او الى مكان ما غير بعيد.

ـ هل وصل الى واشنطن قبل الوفاة؟

مهلاً، كلا، لقد مات..

ـ هل توفي قبل ان يصل طهران؟

أجل، ثم نقل جثمانه الى طهران.

ـ هل كانت لديه رغبة شديدة في السفر الى هناك قبل الوفاة؟

أجل كان يرغب كثيراً، لكنه كان واثقاً من دنو أجله وإن أيامه اصبحت معدودة. هذا ما كان يبعث الأسى والحزن في النفس، فعندما تعرف شخصاً ما فترة طويلة، فإن ذلك يكون صعباً.

ـ كيف كانت علاقته معكم ومع اسرتكم؟

كان يرغب في معرفة أسماء أبنائنا وما يفعلونه، كانت العلاقات بسيطة وكان مرتاحاً في علاقته معهم. كان ابني الصغير دينيل محبوباً لديه، وكان يسميه ديني، الذي بالطبع تعلق به كثيراً، كان الجنرال يأخذه بالأحضان عند اللقاء ويقبل عينيه، وفي رسائله التي كتبها فيما بعد ـ او تلك التي كتبها أحد ما بدلاً من ـ كان يخاطبه كذلك.

ـ عما كان يتحدثان أبنك ديني والجنرال برزاني؟

كان الأثنان يتحدثان عن الخيول، لقد كان ديني يهتم كثيراً بالخيول، وما زال كذلك الى يومنا هذا. إنه عضو لجنة وطنية مختصة في سلالات الخيول، وكتب عدداً من الكتب الجيدة. كما كانت لدى الجنرال مثل هذه الأهتمامات[١٨] واعتقد ربما في سني شبابه كان يسير راكباً بين الجبال. وهكذا كان لهما نفس الأهتمام.كما كان الأثنان يتحدثان عن استخدام الأبجدية الكردية واختلافاتها عن الأبجدية اللاتينية، وذلك لتبادل المعارف بينهما وكان لديه الوقت الكافي خلال وجوده هنا، وكنا نزوره في أيام السبت أو الاحد، إذ كان يخضع للمعالجة وكنا نتحدث عن الكثير من الأشياء الرائعة.

ـ ما هي قصة الطريق الترابي؟

اجل إنها قصة مثيرة، لقد دعوناه ذات مرة لضيافتنا، وكنا نسكن خلف خط روتشستر مباشرة. في ذلك الوقت لم يكن الطريق المؤدي الى دارنا معبداً، بل مغطاة بالحصى، وكان

سعيداً لدى رؤيته طريقاً ترابياً. لقد قال للمترجم بأنه زار مدناً كبيرة واشنطن مثلاً، وكل ما رآه هي الطرق والخطوط والخرسانة، فقد كان يظن انه لا توجد طرق ترابية في امريكا بوجه عام. وكان شجر السماق ينمو في وطنه أيضاً ويستخدم في وطنه كتوابل[١٩] فسألته مدى طيب مذاقها، لأنني لم أسمع من قبل قط ان السماق يستخدم في الطعام. فرد بأن السماق طيب المذاق إن لم يوجد شئ آخر.

ـ كان هنا للمرة الأخيرة عام ١٩٧٩ هل بوسعكم تقديم وصف للموقف؟

كان يبدو مريضاً ومنهكاً، وبدت عليه علامات ضيق التنفس، وهذه كانت أعراض تدهور صحته. فكان الجميع يشعر بالحيرة لدى رؤيته، لأننا كنا نعرف كيف كانت حالته سابقاً، وكان يقول دائماً بأنها مشيئة الله، وكان يرغب بالعودة الى داره وأن تواصل اسرته قضيته وما كان يطمح اليه ولم تكن هناك شكوكاً في انه سيكون كذلك. كان نجلاه مخلصين أشد الأخلاص، وكل من كان يحيط به أيضاً.

ـ بما كان يتميز عن مرضاك الآخرين؟

نحن نرى عدداً كبيراً من الناس ليسوا أقل روعةً، فلقد عانى الكثير منهم، وأصبح هذا المكان المثوى الأخير للبعض. لهذا السبب فإن الناس غالباً ما يظهرون الجانب الأكثر إشراقاً منهم بوصفهم عنيدين وأصحاب إرادة قوية.

أتذكر الجنرال كشخصية فذة، وبما أنه كان يعرف نفسه حق المعرفة، فإنه كان يتحمل كل شئ بجلدٍ وصبرٍ وبامتنان وفهم فلسفي عميق.

لم يبارحه أقاربه ورفاقه الذين كانوا في غاية النبل والشهامة، بحيث كانت إمكانية لرؤية لوحة كاملة لحياته ومعرفة ماضيه، وبصفة عامة فإن موقفه أزاء كل شئ كان يحظى بالأحترام. لا اتذكر فيما إذا تحدثت، لكنه زارنا في البيت أول مرة لعبنا في البيستبول، الفناء كان كبيراً، وكان ولداه مسعود وسهاد هناك وكان الأثنان في حركة دائمة. تعلمون أنه كلما كان الأبناء صغاراً يتحركون أكثر ولا يهدأ لهم بالاً. لقد جئنا بالمضارب والكرة والكفوف وأخذنا نلعب في لعبة المضرب. قضينا وقتاً رائعاً، وكان الجنرال سعيداً طالما أن الجلوس في الفندق أو في البهو لا يعد استراحة. أما نحن فقد أخذنا قسطاً كبيراً من الراحة، والوقت الذي قضيناه كان مثار إعجاب الجميع.

ـ هل بوسعكم إعطاء وصف له؟

لقد كان إنساناً رائعاً وحيوياً وحقق الكثير، غير انه لم يرفع من شأن ما قدمه من خدمات وكان عليه تحمل مشقات كثيرة، إحدى الأمثلة على ذلك هو طريقه الى روسيا عبر دول عديدة،

لقد اجتاز مسافة طويلة، وحينذاك، كما تعلمون، لم تكن هناك مدناً كبيرة ولا موتيلات للمبيت فيها. لقد أستطاع تحمل ذلك وفضلاً عن ذلك إنه لم يتصرف خلافاً لما هو فيه.، وكان يمتلك عقلاً متزناً، وبما أنه كان جنرالاً وقائداً عليه ان يغدو مثالاً يحتذي به في القيادة عند اللجوء إلى القوة. لم نصطدم أبداً بهذا الجانب من حياته، لكننا كنا نعلم بانه عليه ان يقترن الحياة العادية مع هذا النوع من العمل.

ـ هل تحدث لكم عن نضاله؟

أجل الى حدٍ ما. لكنني عرفت أكثر من خلال موسى دزه يي ومحمود الدوسكي فقد كان الأثنان يتحدثان الأنكليزية، وتحدثا لي عن المغامرات والصعاب، وفضلاً عن ذلك فإن هذه الأحداث وجدت تعبيراً جيداً لها في الأدب والصحف والمجلات. وواصلت تقصي مصيرها.

كنت في غاية السعادة عندما اصبح نجل أدريس رئيساً لمجلس الوزراء. كنت أعرف أدريس معرفة جيدة، لقد كان إنساناً رائعاً ومما يؤسف له أنه توفي. وأشاهد نجله في التلفزيون بصورة دورية. لكنني لم أراه منذ ذلك الحين.

يبدو أنني فقدت خيط الحديث... أفكار كثيرة تدور في خلدي، فلست واثقاً من أنني اعتزمت على قول هذا تحديداً.

ـ هل تتذكرون كيف عرفتم نبأ وفاة البارزاني؟

آه.. كان نبأً حزيناً جداً وشجياً بحيث تنهمر معه الدموع.

ـ عندما سافر البارزاني ماذا قال لكم؟ وماذا قلتم له؟

كان ذلك وقتاً عصيباً، لأننا جميعاً كنا ندرك أنه لن يبقى طويلاً على قيد الحياة. ولهذا لم يتحدث كثيراً، ولم نتحدث نحن أيضاً. ذهبنا نرافقه الى المطار في وتشستر وودعنا بعضنا البعض ببساطة.. كنا نعلم بأننا لن نراه ثانية، وهذا ما كان يبعث في النفس حزناً شديداً.

لدى ابني ديني ذكريات طيبة عن الجنرال، فعندما تحدثت له مساء أمس عن اللقاء الصحفي. اعترف بأنه يعرف الشئ الكثير. فهو ما زال يتذكر عندما سأله من أجل من يسعى الجنرال ولخير من؟

فرد هو قائلاً: إنني أسعى دائماً من اجل الناس المضطهدين وهؤلاء الذين أقف الى جانبهم. وهذا صحيح. ويطيب لي جداً أن أسمع بأن دينيل يتذكر ذلك بعد مضئ سنوات كثيرة.

ـ عندما سافر البارزاني هل كان يعرف بأن أيامه معدودة؟

أجل يعلم ذلك جيداً، فقد كان يعرف بأنه لن يعيش أكثر من اسبوع. لقد تواصلت المعالجة

لعدة سنوات، الأمر الذي سمح له بـأن يقضي نمطاً عادياً من الحياة بهذا الشكل او ذاك، ولما وصل في المرة الأخيرة بات واضحاً بأن معالجة الأمراض الداخلية لا تساعده بعد، لقد استفحل المرض وأصبح يتنفس بصعوبة، ولم يكن بوسعنا بعد إجراء الأحاديث والكلام معه، فحالته لم تكن على سابق عهدها. لقد تحدثنا كثيراً من السنوات المنصرمة عن أسرته وقضايا بلاده وعن مشاريعه وآماله وعن صعوبة العمل مع الناس في واشنطن والتوصل الى نتيجة[٢٠].

بعد انهيار ثورة أيلول التي انطلقت عام ١٩٦١ وانطفأ لهيبها في عام ١٩٧٥ كان للبارزاني مقابلة مع الصحفي المصري محمد حسنين هيكل قال فيها: لم تنتهِ الثورة الكردية. لقد أخذنا الآن وقتاً كي نستعيد انفاسنا. لقد انتهى دوري، لكن الشعب الكردي باق وبوسعه ان يختار قائده الذي سيواصل المقاومة.

وتمضي القافلة

من يحاول الوصول الى هدف ما، عليه السير في ذلك الطريق المؤدي الى تلك التخوم، ويحسن استثمار الفرص، فثمة لحظات من الزمن تكون خارج المألوف اي ليست في سياق احداث الزمن الروتينية، وقد تأتي مرة وبعدها لا تتكرر، فمن ينتظر في محطة القطار قد يتوقف القطار امامه في المحطة، ولكنه يمضي في السؤال عن وجهة القطار وما إذا كان تلائم خط مسيره، فبين عدم وثوقه وتردده في اتخاذ القرار الحاسم يكون القطار قد غادر المحطة، وبعد تواريه يندب حظه لأنه لم يحسن الأختيار ولم يستغل الفرصة الثمينة التي توفرت بين يديه، وهل ستكرر الفرصة ثانية، إنها الصدفة او الحظ.

هكذا هي حياة الأنسان عليه يحسن انتهاز الفرص في الحياة. إن حياة الشعوب لا تختلف بشئ عن حياة البشر. وفي مجال بحثنا فإن الشعب الكردي بعد ان رحيل زعيمه سنة ١٩٧٩، وما كانت قد افرزته اتفاقية الجزائر من تداعيات، والأحباط الذي احاط بفصائل المقاتلين من البيشمركه، ارتسم امام هذا الشعب شبح اليأس والقنوط، وسوف يبقى الشعب الكردي منتظراً حلول فرصة لاغتنامها في مواصلة المسيرة.

بقيت كوردستان طعاماً لم تهضمه معدة العراق وبقيت تلك الدوامة تدور تتكرر بين المد والجزر والأحداث الدرامية تتكرر مع بقاء القضية الكردية طافية على مسرح الأحداث بشكل دائم، وفي اوائل الثمانيات حيث قضية الأكراد قد هدأت والعراق اصبح في موقع قوي، كانت الحرب مع ايران ليغوص العراق في مستنقع تلك الحرب الطويلة والتي دارت رحاها من ١٩٨٠ الى ١٩٨٨ اي ثمان سنوات بالتمام والكمال والتي كلفت البلاد احمالاً ثقيلة في الثروة والبشر.

وحالما تضع الحرب العراقية الأيرانية اوزارها سيشن صدام هجوماً واسعاً على المنطقة الكردية وهذه المرة سيستخدم الأسلحة الكيمياوية المحرمة دولياً في إبادة شعب، وهذا الإجراء الهمجي، سوف يكون سبباً في هروب اكثر من ربع مليون كردي الى تركيا وأيران، ومع استمرار ممارسة الأعمال القمعية والقتل الجماعي بحق الأكراد، لكن يبقى صدام لاعباً نشيطاً في المنطقة، فإحرازه تلك الأنتصارات بحسب تقديراته كانت كافية ليشكل قناعة بغزو الكويت في أغسطس آب سنة ١٩٩٠، لكن في اعقاب عاصفة الصحراء التي نفذتها قوات التحالف استثمر الأكراد ذلك الوضع لتحقيق مطلبهم بالحكم الذاتي فكانت انتفاضتهم متزامنة مع الشيعة في الجنوب، لكن صدام يفلح في سحق الأنتفاضة واضطر هذه المرة اكثر من مليون لاجئ للهروب الى تركيا وأيران.

لكن ستظهر ابرز فرصة ذهبية للاكراد في عام ١٩٩١ اثر هزيمة الجيش العراقي في حرب الخليج الثانية، وفي هذه المرة سوف يعزز الأكراد وضعهم في منطقة الحكم الذاتي مع خطوة جريئة والتي تمثلت في استيلائهم على المدن الرئيسية في المنطقة ليتبلور مفهوم الحكم الذاتي لأقليم كردستان بعموم المنطقة التي تجمع الجبال والطرق والقري والمدن.

التعاطف الدولي مع كردستان سيزداد حينما تعرض شاشات التلفزة ووكالات الأنباء وتشير الى هروب وتشريد اكثر من مليوني لاجئ كردي عراقي الى تركيا وأيران، مستصرخين الضمير العالمي وهيئة الأمم المتحدة والمنظمات الأنسانية، وهكذا وبضغط من الولايات المتحدة بشكل رئيسي، كان ثمة قراراً من الأمم المتحدة بقيام القوات الأمريكية والدولية بإقامة منطقة آمنة للاكراد. واستثماراً للوضع الجديد في الحماية الدولية واستكمالاً للنهج السلمي وتعزيز الذات، ستجري انتخابات ديمقراطية في شهر حزيران ١٩٩٢، وهي سابقة ملفته في العراق إذا علمنا ان مسيرة العراق تشهد انتخابات ديمقراطية لثلاثين عاماً ونيف، لكن تلك الأنتخابات لم تمنع من نشوب معارك بين الأخوة في عام ١٩٩٥ والجيران ينظرون الى الأقتتال الداخلي الكردي ـ الكردي بارتياح كبير.

في سياق الأحداث واشتداد الحصار على العراق وتراكم الديون وأسباب كثيرة أخري كانت كلها تصب في خانة إضعاف النظام وتدهوره، لكي نشهد سقوطه بكل بساطة بيد القوات الأمريكية وقوات التحالف الأخرى وليسجل التاريخ سقوط النظام في ٩ نيسان ٢٠٠٣م.

لكن بدلاً من ترسيخ الديمقراطية وبناء عراق ديمقراطي جديد، حاولت القوى الراديكالية الأسلامية والقومية العروبية، وانصار النظام السابق الى عرقلة المسيرة، فدخل العراق في نفق مظلم من الفوضى والأرهاب وعدم الأستقرار، وتداعياته لا زالت ماثلة امامنا.

الى الجهة الأخرى من المعادلة سنجد امامنا تجربة فائضة بالحيوية محرزة قسطاً كبيراً من النجاح والتقدم في اقليم كوردستان، حيث افلحت القيادة الكردية في إبعاد الأقليم عن سطوة الأرهابيين، لتنعم بسلام ووئام وتعايش مدني، وباللجوء الى لغة الديمقراطية في التعامل مع المكونات الكردستانية على تنوعها الديني والعرقي والطائفي، مما يسّر لهذا الأقليم المضئ في عملية البناء والتطور.وهو الى اليوم ماضٍ بهذا الطريق، وهكذا يتجسد امامنا تحقيق امنية القائد الكوردي المعاصر ملا مصطفى البارزاني في تحقيق اقليم كوردستان متطور.

المراجع والهوامش وبعض الوثائق التاريخية:

١ ـ د. كَونتر دوشنر: احفاد صلاح الدين ص ٣٧٢

٢ ـ د. كَونتر دوشنر: احفاد صلاح الدين ص٣٧٣

٣ ـ جون كولي: التحالف ضد بابل ص ١٤٣

٤ ـ د. كَونتر دوشنر: احفاد صلاح الدين ص ٣٧٤

٥ ـ ـ التالوك كلمة المانية مكونة من مقطعين (Thal) بمعني الوادي و (Weg) يعني الطريق فيكون معناها طريق الوادي، وقد اصبح (Thalweg) مصطلحاً دولياً لحفظ مجرى المياه الوسطي، او التيار الذي يتوسط مجري النهر، وهنا يراد بالكلمة المجري العميق، أو الخط العميق الذي يكون اكثر ملائمة للملاحة، والذي ليس بالضرورة ان يكون في منتصف النهر، فقد يقترب هذا الخط احياناً من الارض العراقية، ومرة اخرى يقترب من الأرض الأيرانية، وقد يمتد في مناطق اخرى من المجري في منتصف المسافة بين الضفتين.

٦ ـ د. كَونتر دشنر: احفاد صلاح الدين ص ٣٧٨

٧ ـ مسعود البارزاني: البارزاني.. ج٣ ص ٣٤٧).

٨ ـ يونان هرمز: أيامي في ثورة كردستان ص ٢١٦

٩ ـ يونان هرمز: ايامي في الثورة الكردية ص ٢٢١)

١٠ ـ د. كَونتر دشنر: احفلد صلاح الدين الأيوبي ص ٣٦٤

١١ ـ ديفيد مكدول: تاريخ الاكراد الحديث ص ٥١١

١٢ ـ ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص ٥١٢

١٣ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٣٩٨

١٤ ـ الدكتور كَونتر دشنر: احفاد صلاح الدين ص٣٨٣

١٥ ـ مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣ ص ٤٠٢

١٦ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ص ٤١٣).

١٧ ـ مسعود البارزاني: المصدر السابق ص ٤٢٢

١٨ ـ حيث ان للبارزاني نفس الهواية، وفي كردستان للحصان اهمية كبيرة، ولكن مع ذلك اضطر البارزاني على التخلي عن حصانه لحاجته الماسة الى النقود بغية نقل العوائل الى بارزان ويروي

الأستاذ مسعود البارزاني عن والده: انه في عام ١٩٣٢ وافقت الحكومة التركية علي عودة العوائل البرزانية الى العراق، لكن الحكومة التركية تنصلت عن تقديم أية مساعدات او تسهيلات لنقل العوائل فاضطررت الى بيع حصاني الذي كنت أحبه كثيراً... (انظر مسعود البارزاني: البارزاني وحركة.. ج٢ ص ٥٢).

إن كان الجمل هو سفينة الصحراء فإن الحصان والبغل وغيرهما من الحيوانات تعتبر من ضرورات الحياة في الجبل، ولا يمكن الأستغناء عنها لا سيما في ظروف الحرب، إنها وسيلة ناجعة للأنتقال في الطرق الجبلية الوعرة، إن كان لحمل العتاد والسلاح او الأرزاق والمؤن أو لركوب الأشخاص. ومن هنا كان اهتمام المرحوم البارزاني بهذه الحيوانات النافعة.

١٩ ـ السماق شجيرة صغيرة تنمو في المناطق الجبلية الوعرة، وحبات السماق على لون بني حجمها أكبر قليلاً من حجم حبة العدس، وتعطي مذاق حامضي يضاف الى الأكلات التي تتطلب حموضة، ومنها أكلة الملفوف (الدولمة) المصنوعة من ورق العنب. وعندنا في القوش تدعي (بَيرخ)، ومن قشور الحبوب هذه يستحضر مسحوق السماق المضاف الى الكباب، خصوصاً كباب أربيل مع لبن أربيل (ماستاو)، والكباب بدون سماق كالطعام بدون ملح.

٢٠ ـ البرزاني وشهادة التاريخ ص ١٣١ وما يليها

بعض وثائق اتفاقية الجزائر المبرمة عام ١٩٧٥ نشرتها جريدة الشرق الأوسط اللندنية في اعدادها المؤرخة في ٢٦ و٢٧ و٢٨ / ٨ / ٢٠٠٧ ورأينا ضرورة نشرها من ضمن الملاحق لعلاقتها الوطيدة بالمسألة الكردية.

الوثائق البريطانية خفايا اتفاقية الجزائر بين صدام والشاه ولدّت فكرة توطين الأكراد جنوب العراق

الشاه لعب بالأكراد طويلا وحصل على ما يريد فرأى أن يبيعهم على حافة النهر

علي هامش اتفاقية ١٩٧٥: لندن تستفسر.. والجزائر تشير إلى قيود في مسألة الأكراد

إعداد حسن ساتي

* وثيقة رقم: ٨٠ / التاريخ ٨ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ /الموضوع: مذكرة جزائرية على الاتفاق بين إيران والعراق.

١/ هاتفنام. شيتور الوزير بالسفارة الجزائرية وزارنا ليقدم المذكرة المرفقة والرسالة الملحقة بها حول الاتفاقية المشار اليها أعلاه. وقال أن نفس الخطوة قد تم اتخاذها مع العواصم الأخرى.

٢/ وكما تري فالرسالة تهنئة ذاتية على خلاصة الاتفاقية وتعبر عن الأمل بأن تعبر حكومة جلالة الملكة من جانبها عن دعمها لها. في هذا الاتجاه أدرت إنتباهم. شيتور الى إجابة وزير الدولة بمجلس العموم يوم ١٢ مارس كمؤشر عام على دعم حكومة جلالة الملكة، وقدمت له نسخة من الموقف ذاك.

٣/ سألتم. شيتور عن دور الجزائر في تطبيق الاتفاقية، فأكد أن الجزائريين سيتم تمثيلهم في الاجتماعات بين الإيرانيين والعراقيين، ولكنه لا يعرف، أو أنه لم يحط، بأي وجود جزائري على الأرض في منطقة الجبهة. أوضحت له وضع الإهتمام الشعبي والبرلماني ببريطانيا حول مصير الأكراد وتساءلت ما إذا كان قد رأى أي دور للجزائر في هذا الشأن. قال شيتور الشأن الإنساني في هذه المسألة موجود في مقدمة تفكير الجزائريين، ولكن ومع وضع دقيق كهذا، فهناك قيود كثيرة حول ما يمكن عمله.

* توقيع - بي كي وليامز

* حاشية: على الوثيقة تعليق بخط اليد يقرأ:

أظن أن علينا أن نرسل مذكرة قصيرة بذلك وتقول إن رسالة بوتفليقة قد تم تعميمها للجهات المختصة، ويمكن للمذكرة المقصودة منا أن تشتمل على إشارة لإجابة وزير الدولة يوم ١٢ مارس (آذار)، فهلا أعددت المسودة.

* لندن: «الشرق الأوسط»

* وثيقة رقم: ٨٥ / التاريخ: ١٥ مايو ١٩٧٥

* من: جي ايه غراهام، السفارة بغداد / الى آي تي ام ليوكاس، الخارجية، إدارة الشرق الوسط، سري للغاية.

* الموضوع: اتفاقية الجزائر.

١/ طلبت مقابلة محمد صبري الحديثي الوكيل المساعد بوزارة الشؤون الخارجية يوم ١٢ مايو، على خلفية أني لم أتحدث اليه منذ فترة، والرجل كان مشاركا فعالا في متابعة اتفاقية الجزائر، ولذلك وعند المقابلة بدأت فورا بالقول إننا رحبنا بها كثيرا وسألته عن الكيفية التي تسير بها الأمور.

٢/ الحديثي قال إن هناك القليل الذي يمكن إضافته على ما ذكرته التقارير في الصحافة. والأمور تمضي للأمام بسلاسة، على الرغم من أنه، وفي مسألة ترسيم الجبهة، من الطبيعي أن تكون هناك مصاعب طبيعية، مثل الجليد الذي منع الوصول إلى بعض الأجزاء. سألت ما إذا كان مع الحدود الجديدة في شط العرب سيكون هناك مجلس إبحار مشترك لمراقبة الحفريات والإضاءة والقبطنة...الخ، قال الحديثي إن شيئا من ذلك القبيل سيخرج في البروتوكول النهائي.

٣/ بعد ذلك سألته عن إعادة التوطين في الشمال، فقال إن أكرادا كثرا قد تقدموا للحكومة العراقية وإن وفدا سيذهب الى هناك في الأيام القليلة القادمة ليطوف بالمعسكرات في إيران وللمرة الثانية ليحث عراقيين أكرادا أكثر للعودة. قلت إني سمعت إشاعات، وإن هناك تقارير في الصحف ذهبت الى نفس النتيجة، لجهة أن الحكومة العراقية تعيد توطين بعض الأكراد في الجنوب (أنظر الفقرة ٣ من خطابي رقم ٢/٤/٣ بتاريخ ٨ مايو الى مايكا وير)، وسألته ما إذا كان بوسعه أن يقول شيئا في هذا الشأن. قال إنه شخصيا متأكد أن تلك التقارير ليست صحيحة، وقد قابل أناسا من الحكومة المحلية في تلك المناطق ولم يقولوا شيئا البتة من هذا القبيل له. أشرت له بسعادتي بإعادة تأكيده لي حول هذا الشأن، ولم استطع أن أخفي مشاعري بأن الأمر لن يكون سهلا على الأكراد

للتكيف مع طرق الزراعة المختلفة في الجنوب، وكل ذلك بعيدا عن المصاعب القائمة بين السنة والشيعة.

٤/ أحس بأن عليّ أن أقول إن نفي الحديثي لم يكن بالقدر الذي تأملته، وأشتبه في أنه ربما يكون هناك بعض من الأمر في قصة تسكين الأكراد بالجنوب، ولكن العدد ربما لا يكون كبيرا، وربما يقف عند أولئك الذين تعتقد الحكومة أنهم ربما يبدأون شيئا إذا ما أعيدوا الى قراهم. التقرير في برقية طهران رقم Z٠٩٠٧٤١ بتاريخ ٩ مايو (ليست معممة على الجميع) تذهب بالتأكيد الى أن بعض القادة المسكين بمفاتيح القضية ربما يدفعون نحو معاناة ما، (ومع ذلك أنظر الفقرة التالية).

٥/ سألت الحديثي عن رؤيته لتأثير الاتفاقية على العلاقات مع الكويت. قال بالطبع إن المشاكل هنا مختلفة كليا، حيث أن إيران ظلت تتدخل في الشؤون العراقية الداخلية. والعراق بالتأكيد يحتاج الى مساحة للتوسع في أم قصر، ولكننا صبورون وسننتظر الى أن يصبح الكويتيون مستعدين، وأننا لسنا على عجلة من أمرنا. قلت إنه وبذكرى عبد الكريم قاسم في ذهنهم، فالكويتيون يخافون نوايا العراق، قال الحديثي ضاحكا، إنه لا أرضية لمخاوف من هذا القبيل، وإن الحكومة العراقية ستحث الكويتيين على ذلك، فهم اشقاء ومن الأهمية بمكان الوصول الى تسوية أخوية على قواعد من حسن النوايا.

٦/ بعد يومين، طلبت لقاء السفير الإيراني للحصول على الجزء المتبقي من روايته في القصة، فقال أن العمل يمضي بسلاسة في اللجان الفرعية الثلاث المنوط بها العمل في تفاصيل اتفاقية الجزائر، إحداها معنية بالأمن في الجبهات والثانية بالترسيم الفعلي للأرض على الحدود، والثالثة بشط العرب. وكما قال الحديثي، فلجنة الترسيم الفرعية تحتاج لزمن بسبب طبيعة الممرات، ولكن السفير الإيراني يأمل في أن تنجز أعمالها في موعدها، توطئة لتقديم تقريرها لاجتماع الجزائر يوم ١٨ مايو، حيث سيتم التأكيد على عمل اللجان الفرعية الثلاث في ثلاثة بروتوكولات، التي ستتم ترجمتها في اتفاقية أو معاهدة، (هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها بهذا الاجتماع، ولكن السفير الإيراني سيغادر إلى الجزائر لحضورها في اليوم التالي). ويقول السفير الإيراني إن اللجنة الفرعية لشط العرب لم تعمل حقيقة أي إجراءات عملية لمسألة الملاحة، ولكنها وبالتقريب فرغت من المسموحات، فيما ستأتي بقية الترتيبات لاحقا.

٧/ الأمر الآخر الذي سيأتي لاحقا سيكون ترسيم الحد البحري بين المياه العراقية والإيرانية وفقا لاتفاقية الشط.

٨/ سألت السفير عن إعادة توطين الأكراد. أكد أن عددا، ولكن ليسوا كلهم، قد عاد من

المعسكرات في إيران، سألت ما إذا كانت لديه معلومات عن استقبالهم في العراق، قال إنه ليست لديه معلومات، ولكنه أيضا قد سمع بتقارير بأن هناك عددا من الأكراد بصورة مؤقتة في الجنوب. الزوار الإيرانيون الى العتبات المقدسة الشيعية أوردوا أنهم رأوا عددا من الأكراد يمشون في الشوارع في مناطق مثل كربلاء. لم يستطع السفير تصديق أن تلك قد تكون سياسة لتسوية دائمة، حيث أن الأكراد شعب جبال. ومع مذكرة طهران رقم Z٠٩٠٧٤١ في الذهن، سألت ما إذا كانت هناك أية مطالبات عراقية لتسليم أي خوارج أتراك بعينهم. قال لا يوجد ذلك. سألت: أين الملا مصطفى وماذا قال لطهران وهل هو طليق ليذهب ويجيء؟ تشكك السفير في ما إذا كان في نهاية المطاف سيترك المنطقة، الى أميركا مثلا، لأنه سيفقد وضعه القبلي الذي لا يزال يتمتع به حتى وهو في المنفى في إيران.

٩/ في الإجابة عى اسئلة أخرى، قال السفير إن الدعاية العراقية حول عربستان وبلوتستان والأطماع الإيرانية في الخليج قد توقفت، وبالتالي فكل النشاط العراقي لتأجيج المشاكل قد توقف أيضا، فيما لم تتم مناقشة مسألة طنب وأبو موسى، ولكن هنا أيضا أوقف العراقيون حملاتهم الإعلامية، التي كانت بكل المقاييس مصطنعة، وفي المقابل، وبمبلغ علم السفير، لم يثر موضوع سلطنة عمان فيما عدا، ربما، في سياق حديث خاص بين صدام حسين والشاه، حيث يفترض السفير أنه لا بدّ أن يأتي الحديث عنه. وبالتأكيد هنا، فإيران ستكون سعيدة إذا انتهى التمرد وسيكون بوسعها إذن أن تسحب قواتها، فكل مصلحتها تكمن في حرية الإبحار عبر مضيق هرمز والدفاع ضد تهديد السيطرة والهيمنة الشيوعية في المنطقة.

١٠/ قال السفير في مسألة بعض الاتفاق الأمني للخليج ككل، إن الشاه اقترح قبل ثلاث سنوات مؤتمرا يكون بموجبه أمن المنطقة مسؤولية مشتركة بين دولها، وبالتالي فإشارات صدام حسين في الصحافة لذلك ليست جديدة، وعلى كل، وعلى قدر علم السفير، فالموضوع لم يثر رسميا في المحادثات مع الحكومة الإيرانية. وقد سمعت بالمصادفة أن الشيخ زايد قد اقترح قمة خليجية.

١١/ أخيرا أشرت الى بيان مشترك نشر يوم ١٤ مايو تاليا لزيارة صدام حسين لبوخارست فيه دعم لخلق (أحزمة منزوعة من كل أشكال الأسلحة النووية)، السفير قال إنه لم ير ذلك المرجع ولكن مرة أخرى فالفكرة ليست جديدة، فإيران بنفسها قدمت اقتراحا بحزام خال من الأسلحة النووية في الخليج في الاجتماع العام للأمم المتحدة. وقال متذكرا إن جمالي مساعد الوكيل الآخر بالخارجية العراقية، قال له مشاغبا حول ذلك الاقتراح بأنه اقتراح غير متماسك ولا يتماشى مع الاتفاقية التي تناقشها إيران مع فرنسا لتأسيس محطات طاقة نووية.

١٢/ الأحداث الأخرى الكبرى على هوامش هذه الملحمة ستكون زيارات مفترضة لبغداد من الأمير فهد والشاه، ولكن وفي غضون هذه الأيام سيصل ولي عهد البحرين يوم ١٩ مايو الحالي.

* توقيع ـ جي ايه غراهام

* أمير الكويت سأل صدام حسين متى ينوي زيارتهم فأجابه: حين تكون الكويت مستعدة لتأجير الجزء الشرقي من جزيرة بوبيان ومطالب أخرى

* مخاوف كويتية من صفقة سرية بين العراقيين والإيرانيين على حساب مصالح الكويت

* لندن: الشرق الأوسط: وثيقة رقم ١٦ بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٧٥

* من: ايه. تي. لامب، السفارة البريطانية، الكويت. / الي: أم زاس. وير، الخارجية لندن، سري للغاية.

* الموضوع: الكويت والعراق بعد الجزائر.

١/ علق جوني غراهام في خطابه لك بتاريخ ١٥ مارس عن تداعيات اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران، وتوقع كيف أن هذا سيؤثر على سياسة العراق تجاه الكويت. وقد أشار في الفقرة DV، الى أنه وبوضع حسن النوايا في الذهن فلن يكون من السهل فهم لماذا لا يكون الكويتيون مستعدين لتأجير أقلها بعض الأرض للعراقيين. أنا أوافق، ولكن بقية الغصن هنا هي اني متأكد تعريف الكويتيين لـ(حسن النوايا) مرتبط بأول حركة تأتي تجاه تأسيس مثل ذلك المناخ من العراق، وأن الطريق الوحيدة لإرضاء الكويتيين بحسن نواياهم ستكون القبول بترسيم الحدود وسحب القوات العراقية من داخل القوس الموجودة فيه في الكويت دون شروط مسبقة أو نقاش حول وربة وبابيان. وأظن أن هذا هو ما قصده الجنرال مبارك حينما تحدث الى جون ساندرز (المرحلة الأولى والثانية جاءت الإشارة اليهما في مذكرة ساندرز الخارجية مع خطاب هينشكليفز بتاريخ ١٧ فبراير برقم ٢٠/١٠ الى كينشين). وحين تتأسس مسألة حسن النوايا العراقية، سيكون الكويتيون مستعدين لعقد محادثات حول الحاجات العراقية لتأمين وصولهم الى أم قصر وحاجة الكويتيين للمياه من العراق، ولكن ليس قبل ذلك. وبكلمات أخرى، لن يكون هناك نقاش عن المرحلة الثالثة كما جاء وصفها من الجنرال مبارك الى جون ساندرز الى أن تكون المرحلتان الأولي والثانية قد رحلتا من الطريق.

أما بالنسبة للعراقيين، فأنا أتخيل أنهم سيكونون زاهدين جدا في أن يبادروا بانسحاب، وهكذا ليبقوا الضغط على الكويت الى أن يحصلوا على تأكيد كويتي مسبق بتأجير أرض

للعراق لحاجات العراق الاستراتيجية، وهكذا فنحن أمام وضع البيضة والدجاجة التقليدي وهو يصرخ بحثا عن وسيط.

٢/ أخبرني وزير مجلس الوزراء عبد العزيز عتيبي يوم ١٨ مارس (كلماته تتناغم مع تلك التي قال بها الأمير فهد لمستر أنالز يوم ١٠ مارس، الفقرتين ٦ و٩ من المحضر)، قال إن زيارة الأمير فهد المرتقبة للعراق لحل مشاكل الحدود العراقية السعودية ستكون أيضا مفيدة في تنظيف الطريق لجهة لمناقشات حول حل للقضية الكويتية العراقية. ويرى عتيبي أن التسوية الحدودية بين السعودية وأبو ظبي، والاتفاقية الأخيرة بين العراق وإيران خطوة متطورة من دول الخليج لتسوية مشاكل الجوار وبالتالي تحرير نفسها لدخول تعاون بناء وهادف فيما بينها والتعامل مع مشاكل العالم الأوسع. وجيّر عتيبي هذا الإنجاز للملك فيصل، ويكاد يرى عراقا أكثر تعاونا، وقال: إنهم ليسوا شيوعيين ويريدون التخلص من الروس. ولكن جابر العلي نائب رئيس الوزراء ليس بذلك القدر من التفاؤل، فهو لا يثق لا في العراقيين، والى حد ما، ولا في الإيرانيين، ويخشى أن يكونا معا قد توصلا الى نوع من الصفقة السرية التي يمكن أن تدمر المصالح الكويتية (راجع الفقرة ٧ من برقية طهران رقم ١٦٢ بتاريخ ١٠ مارس الى الخارجية). وقد طلب مني أن أبقيه على علم بالتفاصيل (المنشورة وغير المنشورة) عن الاتفاقية العراقية الإيرانية، ولكن سيكون بوسعه الحصول على معلومات مباشرة من خلعتباري وزير الخارجية الإيراني والمقرر أن يزور الكويت في ١٥ أبريل في طريقه (كما أفاد زميلي الإيراني هنا) الى بغداد.

وفي ضوء كلمات الأمير فهد وعتيبي، فمن المحتمل أن يلعب خلعتباري أيضا دورا في إيجاد حل لمشكلة الحدود العراقية الكويتية.

٣/ قد ترغب في إحاطتي، في ضوء كل هذا النشاط والحراك، ما إذا كنت تريد مني أن أكون أكثر صراحة في اتصالاتي المحلية مما اقترحته في الفقرة ١٧ من رسالتي ١/١ بتاريخ ٢٦ فبراير بعنوان الكويت وجيرانها.

* توقيع ـ ايه. تي. لامب

* وثيقة رقم: ١٣٤ / التاريخ: ١٠ مارس ١٩٧٥

* من: ايه. تي. لامب، السفارة البريطانية، الكويت / الى: الخارجية لندن، سري وعاجل.

١/ أحاطني كوف دي مورفيل خلال زيارته الحالية للكويت، أنه قد وجد الكويتيين بعصبية تجاه تداعيات التقارب بين إيران والعراق عليهم. اتصالاتي الخاصة مع الوزراء الكويتيين (برفقة السير جيفري آرثر) كشفت لي عن شكوك منهم تجاه صمود الاتفاقية. والحجة

لديهم هنا، أنه وحتي إذا ما حل العراق وإيران مشاكلهما الحدودية، فالمشاكل ستتجدد إذا ما واصل العراق نشاطه المدمر في دول الخليج وفي (ما وصفه نائب رئيس الوزراء الكويتي) بـ(البحيرة الإيرانية) ويقصد (الخليج).

٢/ حينما سأل أمير الكويت صدام حسين في الجزائر متي ينوي زيارة الكويت؟ أجاب صدام انه سيأتي حين تكون الكويت مستعدة لتأجير الجزء الشرقي من جزيرة بوبيان للعراق وكل جزيرة واربا وحزام من الأرض على طول الساحل جنوب أم قصر.

الوزراء الكويتيون واصلوا التأكيد أن ذلك من المستحيل قبوله بالنسبة للكويت

* توقيع ـ ايه. تي. لامب

* لندن: الشرق الأوسط: وثيقة رقم ٧٢ بتاريخ ١٨ ابريل ١٩٧٥

* من: توماس بريملو، مكتب وزارة الخارجية، لندن/ الى: السير جورج بولتون، بنك لويدز العالمي، سري للغاية.

* عزيزي السير جورج شكرا على خطابك بتاريخ ١٥ أبريل. أتفق معك على وجود قدر جيد من الحركة في الشرق الأوسط والشؤون الجنوب أفريقية.

أسرتني كثيرا ملاحظاتك حول الخليج، وقد رأينا خطوة الشاه الأخيرة تجاه العراق كخطوة حصيفة انسحب فيها من جهة من وضع لا يمكن الدفا ع عنه في كردستان، فيما ضمن من الجهة الأخرى مطالب إيران التاريخية في شط العرب. ونحن لا نعرف بالطبع ما إذا كانت هناك بنود سرية في الاتفاقية، فيما من المؤكد الجدل بأن الموارد العراقية، وهي محررة من التورط في التمرد الكردي يمكن الآن استخدامها ضد الكويت. ونحن لا نعتقد أن السعودية ستكون بلا قوة في هذه الظروف بسبب اغتيال الملك فيصل، كما انه من غير المحتمل أن تكون لدول الخليج العربية الأخرى، ومعظمها تحمل شكوكها تجاه إيران، أرضية للخوف من اجتياح كلي لأراضيها، برغم أنه من الواضح (كما ظل ذلك هو الحال لبعض الوقت) أن لإيران نية كاملة في ملء دورنا القديم كقوة مهيمنة في الخليج، وكذلك السعودية بفرصة أضعف من الإيرانية في النجاح.

* توقيع ـ توماس بريملو

* وثيقة رقم: ٦٦ بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٧٥

الجانب البريطاني:

مستر ام.اس.وي مستر آي. تي. ليوكاس مستر دي. اتش. كولفن مستر ايه. دي. هاريس

* الجانب الفرنسي:

١ ـ مستر دي كومينز ٢ ـ مستر ديلوس سانتوس ٣ ـ كستر بارباروكس أ ـ منطقة الخليج:

(كل الفقرة مخصصة لتداعيات اغتيال الملك فيصل علي المنطقة، وليس فيها جديد، الإيضاح من الشرق الأوسط.

ب ـ إيران والعراق:

يقول دي كومينز أن اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران مدهشة ومهمة، وقد أشار السفير الفرنسي في بغداد وهو ذو صلة لصيقة بصدام حسين، في تقرير له، بالأهمية التي يلصقها صدام حسين بالمشكلة الكردية، فالحرب قد وضعت ضغوطا كبيرة على العراق وإيران ولكنها وبصورة أساسية أثرت على الشؤون الداخلية في العراق، وقد لاحظ الفرنسيون منذ وقت مبكر في ١٩٧٢ حينما عقدوا محادثاتهم مع العراق أن النظام العراقي راغب في فتح نوافذ له مع الغرب، وهناك بالطبع تيارات مختلفة داخل النظام العراقي ومن الصعب التقرير بما توصلوا إليه. ومن الواضح، على الجانب الإيراني، وفي شأن تعاطيه مع المشكلة الكردية، إن للشاه هدف واحد، وهو الحل لمشكلة شط العرب. وفي نهاية التحليل، فالخلافات الأخيرة بين العراق وإيران عنت بمشكلة (التالويغ Thalweg) في شط العرب. (تالويغ كلمة ألمانية وتعني طريق الوادي، ولكنها في سياق الوثيقة تعني خط النصف العميق في شط العرب الذي يريد الجانبان الإيراني والعراقي ترسيمه ليقسم الشط إلي نصفين، الإيضاح من الشرق الأوسط).

مستر وير قال إن أهمية مسألة شط العرب في الاتصالات الأخيرة بين العراق وإيران لم تصبح ظاهرة بالنسبة لنا إلى آخر لحظة.

دي موكينز قال إن لكل من إيران وتركيا مخاوف تجاه مستقبل الأكراد، ولكن الفرنسيين متأكدون أن دوافع الشاه في تعاطيه مع المشكلة الكردية كان ببساطة لجذب العراق لجهة الموافقة بمناقشة مشكلة الشط.

مستر وير وافق بأن للشاه وساوسه حول هذه المشكلة، وقال إنه وبرغم أن سفيرنا في طهران تحدث إلى الشاه بقدر كبير حول الوضع في كردستان في الشهور الأخيرة، فقد كان انطباعنا بأن هدف الشاه هو إبقاء العراقيين مشغولين ومنعهم من التدخل في شؤون الكويت والخليج التحتي. ونحن نعتقد في بريطانيا أنه وما إذا ما كان للشاه أن يبقى على المشكلة الكردية علي درجة الغليان الى ما لا نهاية، لكان قد فعل ذلك، وفي النهاية تكون مخاطر ومجازفات هذه السياسة ضخمة جدا حين يحذو العراقيون نفس الشيء ضد الأكراد.

مستر دوميكنز قال إن من الواضح أن قوات برزاني قد تكبدت خسائر كبيرة وأن الخيار أمام إيران أصبح إما أن تتوقف عن مساعدة الأكراد، أو أن تقدم تضحيات جسيمة بالنيابة

عنهم أو ربما حتي التدخل المباشر في الحرب، والسؤال: لماذا ساعد الشاه الأكراد بالقدر الكبير الذي فعله؟ ولماذا غيّر فجأة خططه؟ من وجهة النظر الكردية فسلوك الشاه لم يكن جميلا ومن وجهة نظر الشاه أن الكرد غير منظمين بصورة دقيقة.

مستر وير قال إن هذه النقاط الأخيرة تبدو أكاديمية في ضوء معطيات الحاضر. مستر دي مومينز وافق، ولكنه قال إن الشاه وبعد حل لقضية شط العرب ثبّت الحقائق، فالشاه لعب بالأكراد طويلا الى أن حصل على ما يريد. مستر ليوكاس قال إن الشاه وبطريقة ما فعل ما هو أكثر مما تمليه الضرورة، فرأى أن يبيع الأكراد على حافة النهر، ولكنه استطاع أن يحول الصفقة الى حساب جيد.

مستر وير قال إن السؤال الحقيقي الآن هو ماذا سيفعل العراق؟ وهل ستبعد الحكومة العراقية نفسها من الروس؟ وكيف سيستخدمون مواردهم في الطاقة؟ والكويت من جانبها لن تكون سعيدة بهذه التطورات الأخيرة. مستر دي كومينز وافق بأن الكويتين غير سعيدين كليا، وأضاف أن الاتفاقية سيكون لها تأثيرها على دولة الامارات في الخليج التحتي، وتساءل: كيف سيتعايش العراقيون والإيرانيون الآن في الخليج؟ مستر وير قال إن لدي الكويت الكثير الذي تخشاه، ويذهب فهمنا الى أن العراق لن يتوقف عن مطالبه بوصل أكبر الى السواحل بالخليج، وبصفة خاصة الجزر الواقعة على رأس الخليج وكل القضايا بالاتجاه أكثر جنوبا ثانوية، وفي كل الأحوال لن يوافق الشاه بكل تأكيد على إمتداد النفوذ العراقي الى الخليج التحتي. مستر دي موكينز قال إن النفوذ الرئيس على الامارات من السعودية. مستر وير وافقه الرأي، وقال إن الأمير فهد في آخر زيارة له هنا قال إنه انبهر نوعا بصدام حسين والشاه في مؤتمر الجزائر. وقال فهد إنه يخطط للذهاب الى بغداد في الأول من أبريل، وقال مستر وير إن لديه انطباعه أن الأمير فهد قد تحدث عن تدخله في الخلاف الحدودي بين العراق والكويت، وينوي الأمير فهد أيضا الذهاب الى طهران، وبالتالي فمن الممكن للكويت أن تستفيد من الاتفاق بين العراق وإيران، لأنه لا السعودية ولا إيران يمكن أن تتركا الكويت تعاني، ومن الممكن أن تضع السعودية ضغوطا على الكويت لتعطي طريقا نحو الجزر، ونحن لا نظن أن المحتمل أن يقوم العراقيون بهجوم حدودي على الكويت. مستر دي كومينز قال إن السفير الفرنسي في بغداد متأكد أن الروس غاضبون جدا من الاتفاقية بين العراق وإيران، وقد أعلن السفير السوفياتي في بغداد علنا عن عدم سعادته، وقد أرسل السفير الفرنسي في موسكو كذلك نفس الانطباع حول الاتفاقية هناك. ومن المثير للاهتمام أن نضع في الاعتبار أن الاتفاقية قد رأت النور بتأثير من الرئيس بومدين. مستر وير قال إن المصريين أيضا قلقون نحو مسعي يبعدون فيه العراق من الروس، والاتفاقية لا بد أن تكون جيدة إذا كان الروس

غير سعيدين بها، والإسرائيليون بالطبع أيضا غير سعيدين.

مستر دي موكينز قال إن جاك شيراك قد سأل قبل أعياد الميلاد وزير المحاكم الإيراني كيف يقيم الشاه إمدادات السلاح الفرنسية للعراق. وقد جاءت الإجابة إيجابية وغير متوقعة، وقال الشاه إن أي شيء يكون بوسع الفرنسيين عمله لزيادة النفوذ الغربي في العراق يلقى الترحيب. مستر وير قال إن الشاه كان إيجابيا في الحديث معنا، ولكننا اتفقنا علي انطباع عام بأن الشاه يريد تقليل النفوذ الروسي في العراق. مستر دي كومينز قال إن دور صدام حسين محيّر، وأن سمعته كانت سيئة جدا، ولكنها تغيرت الآن. مستر وير وافق وقال إن الناس قد قالوا قبل اشهر قليلة إن صدام حسين هو صانع القرار في السياسة العراقية، ولكن ذلك لا يبدو صحيحا الآن.

مستر دي موكينز قال إن صدام حسين وحين أتى لباريس في ١٩٧٢ للقاء.. (كلمة ساقطة من عمليات تصوير الوثيقة.. الإيضاح من الشرق الأوسط) غابان - دالماس من أجل مفاوضات حول CAF كان من الواضح أن العراقيين يريدون اتصالا مع الغرب، وقد وجد الفرنسيون من جانبهم أن سياستهم في الشرق الأوسط محل تقدير من العراق، فيما لا يلقي الأميركيون التقدير بسبب علاقتهم مع اسرائيل. وعلي كل، ففرنسا تملك الوضع الصحيح وقد بدأ العراقيون برنامجا للتعاون الاقتصادي مع الفرنسيين، وإني أراه من جانبي واعدا.

مستر وير تساءل عن الأوضاع الداخلية في العراق. مستر دي موكينز قال إن صدام حسين سيستفيد إذا وجدت المشكلة الكردية حلا. أما بالنسبة للرئيس البكر فهو مريض، ولكنه لا يزال يحظى بدعم الجيش. مستر ليوكاس تساءل عن أثر الاتفاقية على الرأي العام في العراق، فالعراقيون يبدون كما لو أنهم ربحوا الحرب ضد الأكراد، ولكن لماذا توقفوا وقدموا التنازلات للشاه. مستر دي موكينز قال إن الأكراد لن يكونوا يوما مهزومين تماما، إذا استمر الشاه في تزويدهم بالسلاح والقوات، فشعر العراقيون بلا شك أن بوسعهم أن يفسحوا مجالا في شط العرب.

والمشكلة في أساسها بالضرورة مشكلة عدالة، ولكنها الحرب الكردية هي التي فرضت أكبر المشاكل على العراق.

مستر وير لا يزال يرى أن التناقض يكمن في شعور العراقيين أن بوسعهم تقديم تنازلات في شط العرب ولا يملكون نفس الشئ مع الأكراد.

* صدام يعامل وزراءه كقاذورات.. والعراقيون أدخلوا وفد إيران لخيمة بها رسم كبير لجنود عراقيين يحررون إقليم عربستان

* خفايا اتفاق الجزائر بين صدام حسين وشاه إيران (٢- ٣)

* لندن: «الشرق الأوسط»

* وثيقة رقم: ٨٤

* التاريخ: ٦ مايو ١٩٧٥

* من: ايه. دي. بارسونز، السفارة طهران.

* الي: مستر أي ليوكاس، وزارة الخارجية لندن، سري للغاية.

* الموضوع: العراق وإيران

١/ أحسب، وعلي مستوى المدى الزمني الراهن، أن الأمر يستحق الكتابة بطريقة (النتف) عن هذه الصداقة الجديدة بين العراق وإيران، برغم كون ما سأقول به لاحقا يقترب من النميمة في معظمه.

٢/ تحدثت مع هويدا، (الاشارة لأمير عباس هويدا رئيس وزراء ايران ١٩٦٥ ـ ١٩٧٩ والايضاح من «الشرق الأوسط»)، قبل بضعة أيام حول زيارته لبغداد، وسألته على وجه التحديد عن وجهة نظره في صدام حسين. قال إنه منبهر جدا. فصدام حسين على رأس الأمور في البلاد بصورة كلية، وهو يعامل وزراؤه كقاذورات، (وتلك دائما إشارة جيدة). وهو يقرر بسرعة وقادر علي اتخاذ القرارات من غير أي مشاورات مع الآخرين، ويقول هويدا أنه وجد فيه شخصا ذكيا ولدهشته مهذبا ومثقفا (هويدا نفسه يتحدث العربية جيدا ومن هنا لم تكن هناك حواجز في التواصل). ويشعر هويدا بقناعة أن العراقيين، إلي هذه اللحظة، يقصدون حقيقة أن يستثمروا في هذا التقارب مع إيران، وهو يرى صدام مثل نوري السعيد ولكن في اليسار، بمعنى الرجل القوي الذي ظل العراق دائما في حاجة إليه إذا كان للاستقرار أن يوجد بالبلاد.

٣/ بعدها تحدثت الى برويز راجي، رئيس مكتب هويدا والذي رافقه في الزيارة إلى بغداد، وبرويز واحد من أكثر الناس الذين عرفتهم ذكاء وسخرية، وهو دقيق الملاحظة وممتع وبنفس القدر مسؤول رسمي ممتاز. قال لى إنه وجد كل الأمر شيئا مثل الكابوس، وخاصة درجة التصنع التي كان يخاطب بها أيهم الآخر، بما في ذلك صدام (الرفيق). وكبداية من برويز يقول إن سلوك الوفد الإيراني قد أصابه بالذعر، لأنه وبقدرما اعتقد أنهم إيرانيون غربيو الثقافة، إندهش وهو يشاهدهم ككارثة للتنمية الاجتماعية الإيرانية. فبعد أن وصلوا الكاظمية والنجف وكربلاء تحللوا من كل شيء وبدوا ضعافا وانخرطوا يجهشون بالبكاء ويتمسحون بالمشاعر المقدسة مثلهم مثل أسوأ نوع من القرويين الفرس المتطرفين. ويقول برويز إنه صدم ولكنه تسلى بهذا العرض لما يرقد تحت سطح الرجال

في بلاده. أنا نفسي اندهشت وسحرت قليلا بالرواية.

٤/ ولكن برويز أيضا انبهر بصدام، ورأى فيه القائد الجاد والواقعي والديناميكي والفعال، ولكن، وبالطبع، مع بعض القصور في الحس، وكذلك انبهر بالطريقة التي خرج بها العراقيون عن خطهم ليكونوا مضيافين ومتعاونين.

٥/ برويز قال لي بواقعة مثيرة للضحك، فقد أخذ العراقيون كل البعثة الزائرة الى كربلاء والنجف بطائرة عمودية، وكانت الفكرة أن يهبطوا بالكوفة، ثم يتحركون بالعربات الى المدينتين، ولكن وبعد تحليق قصير، هبطت الطائرة علي ملعب لكرة القدم حيث بعض الصبية العراقيين بملابس نومهم يلعبون الكرة، فخرج رئيس الوزراء ومشي نحوهم، فزغردوا، إذ لم يوجد أثر للجنة استقبال، وبعد نصف ساعة اقتحمت المكان سيارتا تاكسي قديمتان وسط سحابة من الدخان، وقفز منها ضابط جيش ليقول لهم إن عليهم أن يكونوا بالكوفة وهذا ملعب كرة القدم بكربلاء فغادروا. ويقول برويز إنه رأى الشمس مرة في يمينه ثم في شماله ثم في يمينه مرة أخرى ومضت ساعتان والوقود في المروحية بدأ يقل، فقد ضلوا طريقهم في ما يفترض أن يكون رحلة مدتها عشر دقائق، وأخيرا هبطوا بمعسكر القوات الجوية بالكوفة، وكانت لجنة الاستقبال قد اختفت منذ مدة، وأخذوا الى خيمة قائد القوات الجوية، وعلي أحد حوائطها صورة لعراقي بطل يضرب اسرائيلي مذعور، وعلى جانب الحائط الآخر رسم كبير لجنود عراقيين يحررون في إقليم عربستان بعاصمته الأهواز، وكان أن حدث بعض التأثر حينما وصلت لجنة الاستقبال ووجدت الفرس يتأملون هذه الصور الحائطية، وكان تعليق برويز، أنه، وحتى القوات الجوية الإيرانية، لم تكن لتضع هذا الأداء الكوميدي الأوبرالي كطاقم لطائرة مروحية، وشعر بأنه ولأجل هذا وبموضوعية كان على خوزستان أن تبقى آمنة.

توقيع ايه. دي. بارسونز

* الأكراد طالبوا بأماكن جامعية لـ ٥٥١ طالبا و٣٥٠٠ لتلاميذ بالمرحلة الثانوية وذلك فوق طاقتنا

* علامة الاستفهام الكبري تحلق فوق الكويت

* لندن: الشرق الأوسط

* وثيقة رقم: ٧٦

* التاريخ: ٢٥ أبريل ١٩٧٥

* من: ام. اس. وير، وزارة الخارجية، لندن.

* الى: جي. ايه. غراهام سفير جلالة الملكة، بغداد، سري.
* الموضوع: إتفاقية الجزائر
* عزيزي جوني ١/ كان عليّ أن اشكرك قبل هذه الرسالة على خطابك المثير للاهتمام بتاريخ ١٥ مارس عن الاتفاقية بين صدام حسين وشاه إيران، وقد تحركت الأحداث منذ وقتذاك على نحو سريع. وفي المراحل الأولي، تساءلت أنا، مثل آخرين كثيرين، ما إذا كانت هذه الاتفاقية ستصمد، ولكني ميال الآن للاعتقاد بأن هناك إرادة لجعلها تعمل، ولا جدال أن لطرفيها مصلحة في نجاحها. فإيران بالطبع قلقة تجاه تسوية وصولها إلى شط العرب وربما يأخذ الاجتماع بين خالتباري والقيادة العراقية يوم ١٩ أبريل هذا الموضوع لمرحلة أعمق نحو تسوية تفصيلية (ونحن نعلم أن العراق وإيران قد اشتريتا أحدث تقنيات بحرية للشط قبل نحو أسبوعين). والعراقيون يستكملون في غضون ذلك احتلالهم للمناطق الكردية ويبدو هذا الأمر قد تحقق، على قدر مبلغ علمنا، ومن دون قسوة وتضحيات.

٢/ ومن هذه النقطة وما يليها: هل ستواصل الاتفاقية صمودها؟ لكل من العراق وإيران، وبمجرد تسوية قضية الشط، سيكون هناك دافع مستمر للوصول الى تسوية الحدود الأرضية، ويبدو الجانبان جادين في هذا الأمر، وقد ظلت الإدارة هنا مشغولة في مساعدتهما للحصول على نسخ من أطقم الخرائط الكاملة التي استخدمت عام ١٩١٤ لتعريف الحدود (وبتكلفة مالية لكل منهما قدرها ٤٠٠٠ جنيه إسترليني). نقاط المراقبة تم تأسيسها في مناطق الالتقاء مع الجزائريين.

بمعنى ما للعراقيين الآن الوضع الأقوى بعد أن أنجزوا سلفا أهدافهم في الشمال، فيما يكون على إيران أن تسعى للحصول على إنجازاتها، ولكن الشاه، وبلا جدال، يعتبر أن استعادته لقوات البشمركة المدربة ضمانة في حال تملص العراقيين أو تراجعهم عن الاتفاق.

٣/ التوجه السوفياتي اتسم بالحيرة منذ البداية، ففي أعقاب زيارة صدام حسين لموسكو سجل البيان المشترك (الرضا) ولكن من الواضح من تحليل روجرز بزن في خطابه بتاريخ ٢٢ أبريل بأن الروس متخوفون من تداعيات الاتفاقية على نفوذهم في العراق. من جانبي لست متأكدا بأن لدينا دليلا كافيا بعد للاعتقاد بأن تراجع صدام أو تغييره لوجهه (العبارة المستخدمة هنا فرنسية Volte face وتعني التغيير في السياسة، والإيضاح من الشرق الأوسط) انعكاس لرغبة لجهة الانفصال عن القبضة السوفياتية، مثلما يذهب تقدير المصريين والإيرانيين فيما يبدو، أم ترى ذلك التغيير نوبة حصيفة لتكتيك انتهازي.

٤/ وماذا عن الأكراد؟ إذا كان لنا أن نحكم عبر منظومة الأحداث على نحو ما، فسيحصلون على حصة منصفة من ميزانية التنمية، وبذلك ربما تكون مصالحهم كشعب أفضل من

خلال عملهم عبر حل الحكومة العراقية بحكم ذاتي. وربما يكون أولئك الذين يعانون الآن بصورة أكبرهم اللاجئون الذين تركوا في إيران أو أعضاء الحزب الديموقراطي الكردي الذين أبعدوا الى أوروبا (لدينا طلب من الحزب الديموقراطي الكردي لمنحه أماكن جامعية لـ ٥٥١ طالبا و٣٥٠٠ لتلاميذ بالمرحلة الثانوية، ومن الوارد أن لا نتمكن من مساعدتهم بهذا القدر، وأتجرأ هنا بالقول ان علينا أن نمارس وباستمرار نحو ضغط انساني في هذا البلد الى أن يظهر الوضع تحسنا).

٥/ من وجهة نظر بريطانية لا يمكن للتهدئة والاستقرار في الشمال أن يفشلا في أن يكونا لصالحنا ليس سياسيا فقط، وإنما، ربما، تجاريا بمرور الزمن يوم أن يفرج عن الموارد للتنمية الإقتصادية. وبقدر ما يعني أمر التداعيات دول الخليج، فمن الواضح أن علامة الاستفهام الكبرى تحلق فوق الكويت، ونحن نناقش هذا الموضوع بصورة منفصلة في إطار رسالة آرشي لامب الممتازة والموضوعية بعنوان (الكويت وجيرانها) بتاريخ ٢٦ فبراير. أما بالاتجاه جنوبا، فأنا مثلك أتحفظ بالحكم. وقد عبر زائر إيراني، هو د. عباس أميري، والذي قابلته أمس بمعهد الدراسات الإستراتيجية، ويشغل مدير معهدهم الجديد للدراسات السياسية والاقتصادية الدولية، عبر عن ثقة متينة بأن صدام حسين رجل يفي بكلمته وأننا سنرى نهاية للتدخلات العراقية في جنوب الخليج وسلطنة عمان، ومن جانبي وجدت أن من الصعب تصديق أن بعثيا ثوريا يمكن أن يغير مواقفه إلى تلك الدرجة، ثم ماذا عن روابطه مع جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية؟ وأظن أن الشاه نفسه سيوطن نفسه على توجه، انتظر لترى، مع هذه المسألة.

توقيع ام. اس. وير صورة للسفراء: طهران، الكويت، الجزائر، دمشق، أنقرة، مسقط، البحرين.

وصورة للقناصلة: واشنطن وبعثة نيويورك.

مذكرة خاصة:

وضح لي من التقارير الصحفية على التو أن صدام حسين قد أعطانا طعاما إضافيا للتفكير بمطالبته بخلق هياكل أمنية خليجية بمنطقة الخليج واستئصال الوجود العسكري الأجنبي واحتمال عقد مؤتمر أمن خليجي لمناقشة هذا الموضوع. رد فعلي الفوري هو أن أتمنى له التوفيق، وبوسعنا أن نتبنى الخط المفهوم بأن أي وجود بريطاني هناك تم بطلب وبموافقة الحكومة المحلية المعنية، وأنه ليست لدينا رغبة في الإبقاء عليه للحظة أكثر من الحاجة اليه.

الفصل السابع عشر

خمس سنوات ونيّف في كردستان

لا ريب ان مرحلة الشباب هي اهم مرحلة في حياة الأنسان، وفي هذه المرحلة يسعى الأنسان الى إنجاز ما يحقق مستقبله وما ينمي مداركه في الدراسات العليا واستحصال الشهادات العلمية، وتحقيق النتائج الباهرة في دنيا المال والأعمال.

في مرحلة الشباب تتوفر امام الأنسان شتى الخيارات، وهو لا يدخر جهداً في تحقيق تلك الأهداف التي ينشدها، وسيكون للأنسان في هذه المرحلة حظوظ وفرص كثيرة لتحقيق ما يشاء، والسبب بالدرجة الأولى يعود الى المسافة او الثروة الزمنية التي يملكها الشاب وهو في ريعان عمره، إن العامل الزمني مهم لكل هدف ومشروع يروم الأنسان الى تحقيقه فالشاب في العشرين من العمر يملك مساحة زمنية واسعة من السنين.

يستطيع الشباب من خلال هذه المساحة او البعد الزمني تحقيق الهدف الذي رسمه لنفسه علي المكان إن كان في عالم المال او السياسة او العلوم او الرياضة.. وإن تصورنا معدل العمر ٧٠ سنة فيكون امام هذا الشاب فسحة زمنية قدرها ٥٠ سنة، فيما يكون المرء في عمر ٦٠ سنة يملك من الفسحة الزمنية ١٠ سنين فحسب، ناهيك عن الفروق في قدراته الجسمانية وإمكانية مقاومته للامراض وقدراته الذهنية على الأطلاع والبحث وذاكرته القوية في المعلومات. فالأخير يكون فقيراً في مساحة الزمن بينما الشاب يغدو غنياً في تلك المساحة، ولو حاولنا تشبيه المساحة الزمنية التي يملكها الأنسان بمساحة من الأرض، فإن الشاب يستطيع ان يزرع في تلك الأرض الواسعة ما يشاء من المنتجات الزراعية، فيما الكهل ليس امامه سوى خيارات ضيقة لا سبيل الى توسيعها.

خلال تجربتي في الحياة لابد من الإقرار بأنني كنت اعبث بالزمن ولا اعير اهمية للايام ولا اسأل نفسي في الصباح الباكر سؤال: ماذا يمكن ان انجز خلال هذا النهار؟

وفي الليل اتغاضى عن مساءلة هذا الذي يدعي (أنا) عما حققه في ذلك النهار، الذي يمكن ان يحقق فيه المعجزات، واعتقد ان عنفوان الشباب واندفاعه هي التي تجعل المرء واثقاً في نفسه معتداً بما ينجزه، وإن مشاغله الشبابية وخاصة الجنسية ومسائل الحب تأخذ منه ومن

تفكيره الشئ الكثير، وهو امر طبيعي في هذه المرحلة لا سيما في مجتمعاتنا الشرقية التي تبني حواجز عالية بين الرجل والمرأة، بعكس المجتمعات الغربية التي يكون الأختلاط مسألة طبيعية منذ الطفولة وفي كل مراحل الدراسة والعمل.

اليوم يخيل لي ان الأيام تلتهم عمري دون رحمة وهي تسير بسرعة البرق، لا تلوي على صراخاتي ودعواتي بأن لي اعمالاً اريد إنجازها، فقطار الزمن يسير بسرعة لا ينتظر حبيب تومي او غيره من الناس. وهكذا فإن الزمن هو اثمن الأشياء التي يمكن ان تمتلك في الحياة، إن صاحب الملايين مستعد ان يصرف ملايينه لأطالة أشهر او ايام من عمره. ما دام الزمن يمضي ولا ينتظر على المرء ان يستفيد منه قدر الامكان وكل حسب قناعته، منهم التاجر والعامل والعالم والسياسي والمهندس والفلاح ورجل دين والساحر والشاعر والرياضي والمعلم وربة بيت ووو..

كنت في تلك المرحلة من عمري كما قلت قانعاً في العمل السياسي الذي كان يحمل طابعاً يسارياً، وكان استنهاض النوازع الثورية في تلك المرحلة أمراً مطلوباً ومرغوباً. وبعد اندلاع الأحداث الدامية ضد القوى اليسارية بعد ٨ شباط ١٩٦٣ عكفت على ترك بغداد والتوجه الى القوش بغية الألتحاق بالثورة الكوردية التي كان قد طار ذكرها في الآفاق.

التحاقي بالثورة الكردية

كنت في بغداد في الصف الخامس العلمي، ادرس مساءً في ثانوية النجاح المسائية واعمل نهاراً في محل للكهربائيات صاحبه القوشي واسمه ميخائيل كوزا (ابو مازن). وسكني كان في منطقة البتاويين، حيث أستأجرت غرفة فوق السطوح، من عائلة مسحيية من باطنايا لأنني اعزب، وكان يسكن في نفس البيت عائلة القوشية.

من منعطفات العنف التي المت بالعراق كانت تلك الأحداث الدموية التي رافقت انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ودخل العراق في دوامة من العنف الدموي تغلب عليه عمليات الأنتقام والثأر.

نزل الى الشوارع شباب مسلحون يعرفون بالحرس القومي وهم ذراع الثورة الجديدة للقيام بعمليات المداهمة والأعتقال الكيفي لكل من يشتبه بعلاقته او تعاطفه مع الحزب الشيوعي العراقي الذي كان يملك في تلك الحقبة من الزمن قاعدة واسعة من الأعضاء والمؤيدين، فسرت روح الأنتقام والثار في اوصال المجتمع العراقي وبات العنف الدموي لغة رئيسية تستخدمة السلطة الجديدة.

تعرضت شخصياً للأعتقال وكانت ظروف اعتقالي غريبة فبعد ثلاثة ايام من وقوع الأنقلاب وفي ساعة متأخرة من الليل، طرق الباب من قبل شلة من أفراد الحرس القومي المدججين

بالسلاح، وسألوا الأخ البطناوي صاحب البيت: هل يسكن عندكم رجل اسمه حبيب؟

ومن شدة فزعه اعترف بوجودي وارشدهم الى غرفتي، قام هؤلاء الأشخاص بتفتيش الغرفة ولم يجدوا شيئاً سوى بعض الصور أخذت في بعض المناسبات، كما انهم يبدو انهم حشروا صورة لفيدل كاسترو بلحيته المعروفة بين تلك الصور، وقالوا لي هذه الصور وجدناها في غرفتك فأخذت اقلب الصور وقلت هذه الصورة لا تعود لي. المهم اقتادوني الى مركز توقيف لهم خلف السدة.

وبدأوا معي بالتحقيق، وعلمت من نوعية الأسئلة إنني لست الشخص المطلوب، انهم يقصدون حبيب آخر كان يعمل في عين زالة وكان ساكناً في نفس البيت وهو القوشي ايضاً ولقبه (بيبو) فصاحب الدار يعرفه بكنيته (بيبو، في القوش يحورون الأسماء، فحبيب يحور الى بيبو وحبو وبيبا وحبيبو وحبًا...) ولا يدري بأن اسمه حبيب ايضاً لكنه ارشدهم الى غرفتي ربما لاعتقاده ان حبيب الآخر صاحب عائلة وهو مسؤول عن معيشتها، ولكوني شابّاً يافعاً فلا يضر توقيفي.

بعد التحقيق تأكد لهم بأنني لست الرجل الذي يبحثون عنه، فأخلوا سبيلي في صباح اليوم التالي، وكان علي ان اتصرف بسرعة فذهبت الى محل الكهربائيات الذي اعمل فيه، وكان عملي يقتصر علي بيع المواد الكهربائية والرد علي المكالمات الهاتفية وكان راتبي الشهري ١٢ دينار، والمحل يقع في شارع النضال مقابل محطة وقود (بازينخانة) العلوية، والهدف كان تبليغ صاحبه ميخائيل (ابو مازن) بتركي للعمل، وأن أحصل منه ما تبقى لي عنده من راتب، وأكرمني الرجل زيادة عن الراتب. ثم أخبرته بأنني متوجه الى القوش، وإن كان هناك من يسأل عني فرجوته ان يقول أنني سافرت الى البصرة.

وكما في الأفلام الهندية من تراكم الصدف، دخل في هذه اللحظة الى المحل شاب، سائلاً أبو مازن هل انت صاحب المحل؟

أجابه أبو مازن بالأيجاب..

فقال له الشاب لدينا اخبارية تقول بأن حبيب.. وردد اسمي كاملاً، يعمل عندك فأين هو الآن؟

في هذه الأثناء كنت احدق النظر في ابو مازن الذي كان في موقف لا يحسد عليه، هل ينهي المشكلة ويؤشر نحوي ويسلمني لهم، ويخرج هو من الموقف الصعب؟ ماذا كان قرار هذا الرجل الذي يجب ان يتخذه ربما في اجزاء من الثانية في ذلك الموقف المحرج؟

وفي هذه الأثناء دخل أربعة أفراد من الحرس القومي مسلحين بالرشاشات. والغريب ان

ابو مازن ظل محتفظاً بهدوءه ورباطة جأشه ولم يرتبك، ولم يحاول النظر نحوي وقال لهم:

نعم حبيب كان يعمل عندي لكنه ترك العمل منذ مده ولا أعرف اين هو الآن؟

في تلك اللحظة اتجهت نحو رف جانبي فيه مجموعة من المصابيح وبدأت اختار منها باعتباري زبون في المحل، ولم أبادر الى الخروج من المحل مباشرة لأثير شكوكهم. وتذكرت في تلك اللحظة ان هويتي المدرسية في جيب قميصي الذي البس فوقه السترة، وبادرت حالاً الى الأنزواء الى داخل غرفة صغيرة ملحقة كمخزن للمحل وفيها مغسلة وسطل ماء نجمع فيه ماء الغسل لعدم وجود مجاري لتصريف المياه، فمزقت الهوية المدرسية وأدخلتها في السطل الذي فيه الماء القذر وخرجت.

اشتدت لهجة المسلحين مع ابو مازن مع تهديدات صريحة باجباره على الأعتراف. فظل الرجل مسيطراً على اعصابه قائلاً: أن الذي اعرفه ان حبيب يسكن في منطقة البتاويين، وهنا التفت احدهم نحوي وقال لي من تكون انت؟ أعطني هويتك! فقلت:

ليس لي هوية ولا داعي لحمل الهوية حيث جئت الى المحل بغية شراء مصباح فلماذا احمل هوية وبيتنا قريب من هنا؟

وأردفت امامه قائلاً لأبو مازن: لماذا لا ترافق الأخوان الى البتاويين وتسألون هناك عن حبيب؟

ويبدو ان اقتراحي هذا نال استحسانهم، فخرج ابو مازن مع المسلحين، ووقفت امام باب المحل في الشارع العام لاستقل سيارة اجرة تبعدني عن المكان. وفي هذه الأثناء لمحت ابو مازن عند سيارتهم من الطرف الآخر من الشارع، قرب محطة الوقود، ثم رأيته يتركهم ويعود الى المحل. وفي هذه اللحظة توقفت سيارة تاكسي، وبدون ان التفت اليه، قال لي بالكلداني (أو ديّان أروق، أن آريلوخ بـ... دينوخ). أي أذهب بسرعة وإن قبضوا عليك.. فردد مسبّة القوشية..

انقذ الرجل الشهم ميخا عبد الأحد أبو مازن حياتي، وكلما اصادفه في مجلس ما اشير الى ابو مازن وأذكر موقفه الرجولي. ويوم وفاة هذا الرجل كتبت كلمة من القلب تعبر عن الوفاء لهذا الرجل الشهم والي موقفه الذي قل مثيله في الزمن الراهن[1].

بعد ان رتبت لي هوية للسفر، ورأيت ان اسلم طريقة هي ركوب سيارة الباص (النيرن) المتجه نحو القوش، والمصادفة كانت في موقف الباص وبينما أنا جالس في السيارة انتظر انطلاقها، رأيت أبو مازن يودع بعض اقاربه وتفاجأ لرؤيتي، فاستفسرت كيف تخلص منهم؟ فقال:

طلبت منهم أرقام هواتفهم وأعلمتهم بان حبيب يتردد الى المحل، وحال مجيئه الى المحل سأخبركم عنه، وحلفت لهم الى ان صدقوني.

لا مراء في انهم يتعقبونني، وإن الجماعة التي القت القبض علي لتشابه الاسم والسكن، ثم سرعان ما اطلقت سراحي بعد تأكدها من أنني لست الشخص المطلوب لديهم. لكن هنالك جماعة أخرى تتعقبني، وأحدهم لا يدري بالآخر لاختلاط الحابل بالنابل في تلك الأوضاع المليئة بالحقد والفوضى فكل فريق منهم يعمل وفق القوائم الطلوبة لديه.

في مخيلتي اصبح الطريق واضحاً مرسوماً امامي وليس لي خيار غيره وهو تخطي الطريق الذي يوصلني الى القوش، وعلى عبور نقاط التفتيش العشوائية الكثيرة التي زرعت علي الطرق الخارجية بعد الأنقلاب.

سأعلن اعجابي وأنا ادون هذه السطور عن تلك المرحلة العمرية، وكيف كنت اتصرف في تلك المواقف الصعبة بهدوء وببرود اعصاب، سواء حين القي القبض علي او حينما واجهت ذلك الموقف المحرج واستطعت من ضبط اعصابي دون ان يتسلل الى وجهي علامات الأرتباك او الخوف، وربما هذا الأعتداد بالنفس كان مصدر تخلصي من ذلك الموقف الخطير ومن مواقف أخري مماثلة، فإن استطاع الأنسان ان يوظف عقله بدلاً من عاطفته ورد فعله الغريزي، فالأرجح ان يكون قراره صائباً لأنه خلاصة تفكير وتمعن وتريث.

لجأت الى تبديل اسمي في هوية الأحوال المدنية التي كانت علي شكل دفتر نفوس. سائق السيارة الألقوشي واعتقد ان اسمه يونس كان علي علم بوجود مطلوبين في سيارته وقد اخبرته شخصياً بأنني سأتخذ صفة مساعد سائق فرحب بالفكرة، فجلست بالقرب من الباب وحالما نصل الى نقطة تفتيش - وما اكثرها في تلك الأيام السوداء - فأبادر الى النزول من السيارة وأدعو الى تفتيش السيارة، وبهذه الطريقة نادراً ما كانت تدقق هويتي التي كان فيها خلل واضح في تبديل الأسم، او هكذا تراءى لي، لانه كما يقال، كاد المريب يقول خذوني، لكن الهوية فحصت مرة من قبل شرطي على الطريق، ومرة أخرى من قبل جندي ولم يكن هناك ما يثير شكوكهم.

كانت المحطة الأخيرة بالقرب من القوش حيث كانت التعليمات تقضي بالنزول من السيارة قبل الوصول اليها، وهكذا تحتم علي النزول في منطقة الكنود حوالي ٥ كيلومتر جنوب القوش، ويتعين علي الأنتظار هناك لحين مجئ شخص او اشخاص لمرافقي الى القوش، ولم انتظر طويلاً حيث وصل عمي كيكا تومي (ابو الشهيد حكمت تومي)، وهو الذي سيتعرض الى السجن بتهمة نقل المساعدات للأكراد وكان برفقه رجل آخر واسمه متيكا جْلوا، وفي

الطريق شرحا لي الوضع في القوش وعن كيفية الأتصال بتوما توماس (٢٥ / ١ / ١٩٢٥ ـ ١٥ / ١٠ / ١٩٩٦)[٢].

كانت القوش قياساً بالمناطق الأخري تعتبر منطقة آمنة وهي نسبياً بعيدة عن متناول يد الحرس القومي.

في الحقيقة كان الحرس القومي في الموصل لديه اوليات عن القوش وعن خلفيتها السياسية، وفي عهد عبد الكريم قاسم حينما تخرج السيارة من مدينة الموصل عبر نقطة التفتيش ـ والتي كان موقعها بالقرب من المجموعة الثقافية ـ يُسأل سائق السيارة المتجهة نحو الشمال عن المدينة التي يقصدها، فإن قال القوش، يرد عليه الشرطي (ها.. تقصد موسكو). هكذا كان كان الحرس القومي يضمر لانتهاز الفرصة للنيل من القوش.

في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها مدن العراق لا سيما بغداد، عكفت القوش على استقبال مئات الفارين من العمليات الأنتقامية لاسيما من بغداد ومن مدن عراقية أخرى. كانت تنظم في المدينة حراسات ليلية لكي لا تباغت بقدوم قوة حكومية، ومع بزوغ الشمس يتركونها ميممين وجوههم شطر الجبل.

في هذه الفترة كان حسو ميرخان وهو المسؤول عن قوات البيشمركَه في عقرة والشيخان، وهو ايضاً احد معتمدي ملا مصطفى البارزاني حيث كان قد رافقه في رحلته الشهيرة الى الأتحاد السوفياتي في اواسط الأربعينات من القرن الماضي. احتل حسو ميرخان جبل مقلوب وكان مقره في دير مار (او الشيخ) متي. لقد شكّل هذا الموقع القريب من مدينة الموصل نقطة مناسبة للجوء عدداً من اعضاء منظمات الحزب الشيوعي في الموصل من بينهم يقول توما توماس في اوراقه (رقم ثلاثة): مصلح الجلالي وعادل الصبحة وأمين زنكنة وحسن عقراوي، وآخرين من تلعفر وكَبة وشريخان والقاضية وأغلبهم من التركمان.

ابقى مع رحلتي، فحينما وصلت الى البيت فرحت العائلة بوصولي الى القوش حيث يسمعون الأخبار السيئة عن بغداد وعن تردي الأوضاع هناك، وأخذ الوالد يشرح لي الوضع في القوش وختم كلامه قائلاً:

ابني ينبغي ان تعلم ان هناك شباب يلتحقون مع توما توماس في الجبل فما اريده ان تكون في منأى عنهم، حيث لا نعرف شيئاً عن مستقبل ومصير هؤلاء الشباب والى ماذا ستؤول الأوضاع، وأضاف: وأريد ان تبقى في البيت الى حين هدوء الأوضاع فتعود الى بغداد لأكمال الدراسة، وكما تعلم إنك أمل العائلة، وإنك اكبر اولادي فينبغي ان تفكر بمستقبلك ومستقبل العائلة.

الوالد العزيز لا يدري انا انتظر بفارغ الصبر بزوغ الفجر لكي اصل الى توما توماس، وفعلاً نهض والدي صباحاً ولم يجدني في البيت وإن اراد ان يعثر علي كان عليه التوجه نحو الجبل وهناك سيجدني مع مجاميع بشرية تقاطرت الى المكان من كل حدب وصوب من المدن العراقية وكان بينهم الكلداني والآشوري والسرياني والعربي والكردي والتركماني والأيزيدي والأرمني...

اجل كانت ثمة إرادة عارمة إنها إرادة الشباب:

إنها إرادتـــي
في نفســي شــئ لا يقهر
ولا تنال منه السـهام مقتلا
انها ارادتي التي لا تقهر
انها معي كظلي
تطوي مراحل السنين والزمن
صامتة لا تتغير...
إنها قدمي السائرة الى الأمام ابداً
كل عضو في جسمي معرض الى العطب
وحدها إرادتي تصمد لا تبددها
المحن
ارادتي هي تفوقي علي ذاتي
وفي فرا غ الوحدة وصقيعها
نصمد معاً
فالأرادة ينبوعي المتفجر
تصب ابداً
في نهر الزمن
انها الراهب المتدفق شهوة
يتطلع الى ملذات كل
العاشقين
انها كالنمر يتحفز للوثوب

وراء فريسته بعزيمة
لا تلين
لو لم تكن ارادتي الحرة
لأصبحت قطعة عائمة
تتقاذفها العوادي وتقلبات
الزمن
وطفقت ترسو مراسيها في
ظلمات العدم
انها ارادتي منقذتي من كاذبات احلامي
يخفق قلبي
صامداً لا يهاب عاصفات المحن
انها ارادتي
علمتني صمتاً بليغ البيان
فبنيت جسراً شامخاً قوي
البنيان
نحو ينابيع الأبداع والمعرفة
والأيمان بقدرة وتحمل
الأنسان
فاصبح قوساً يلتوي شوقاً لاحتضان
سهمه
وسهماً ينطلق شوقاً لبلوغ
هدفه
أنها إرادتي لن تصدأ ولن يصيبها
الخذلان
اعشق معها الحرية فأتوسد حنان الطبيعة
وأفترش الشعاب الوعرة وعميق
الوديان
إنها إرادتي التي لا تلين عبر تقلبات

الأماكن والأزمان
إنها تجعل الشدائد يسيرة في دروب الحياة
امام ذلك الأنسان التائه المدعو
(أنا)

اوسلو في ٢٧ / ٠٢ / ٢٠٠٦

في الطريق الى الجبل كان علينا الأستراحة عدة مرات في الطريق لبلوغ قمة الجبل ومن هناك علينا التوجه نحو وهدة بسقين العميقة المزدحمة بالشجيرات والأعشاب المعرقلة للسير، لكن ذلك لم يشكل عائق فنحن في طريقنا نحو منطقة بسقين حيث ملتقانا مع الملتحقين من مختلف الأماكن ولا ندري ماذا يخبئ القدر لنا، وفي الحقيقة لم نفكر بذلك.

إن مهمة تسلق الجبل تبدو عسيرة لمن يرتادها لأول مرة لكن مع الممارسة اليومية يغدو الأمر يسيراً لا سيما للشباب مثلي حيث كنت في مقتبل العمر. وكان اليوم الأول لتليه الأيام والأشهر والسنون.

الحياة الجديدة في بسقين (كلي زيوكا)

بسقين (زيوكا) اسم موضع يقع في وهدة وعرة قابعة خلف جبل القوش، ينضح من صخورها ماء عذب من عدة منابع، إن هذا المصدر المائي قد جعل منها في التاريخ القريب ان تكون ملاذاً للهاربين من الحكومة ومن ملاحقاتها في العهد العثماني، كمت يقصدها الرعاة لخصوبة الوهدة بالمرعى وتوفير المياه لسقي قطعان الغنم والماعز، وكان يجري الأهتمام بزراعة بعض الأشجار الثمرة كالتين والعنب والرمان وزراعة بعض الخضراوات كالبصل والثوم وغيرها، ولا يدخل في اهتمام هذا الموضوع تاريخها كوجود دير للرهبان في تلك الأصقاع حيث تبدو للعيان بعض المخلفات من الصخور وغيرها إضافة الى التقليد المتوراث الذي يشير الى ذلك الدير.

من الناحية اللغوية اقترح ان تكون لفظة بسقين هي لفظة آرامية قديمة منحوتة من كلمة بيث او بيت وسقين، وذلك توازياً مع ما نلاحظه في بلدات وقرى هي على هذا المنوال مثل، بيبان، باعذري، بيكلبا، باطنايا، باقوفا وغيرها كثير، ولكن سوف لا نتوسع بما يعني الموقع لغوياً لان هذا ليس هدف بحثنا، ولكن فقط اقول إن هذا الموضع كان مملوكاً لعائلة القوشية تزرع فيه بعض الخضروات وفيها بعض الأشجار المثمرة كالرمان والتين، وكانت جدران مبيت قائمة يوم لجوئنا الى هذا الموضع سنة ١٩٦٣، حيث سيكون لبسقين اهمية كبيرة حينما لجأ

اليهاعدد غفير من الهاربين من ملاحقة نظام البعث في تلك السنة.

لقد كانت الجموع تتقاطر في اول الأيام وكان ينبغي توفير لها الطعام، وشكلت القوش المصدر الرئيسي للأرزاق. اما المبيت فكان يشكل ايضاً معضلة كبيرة، حيث الكهوف قليلة لا تساعد في استيعاب هذه الجموع اما الفراش فيفترشون الأرض، ربما بعضهم يحتفظ ببعض الأسمال، والوسادة يمكن تعويضها بالحذاء الذي هو عبارة عن كلاش (كالكّي)، لكن بمرور الأيام كانت هذه الجموع تتناقص.

وتحضرني الذاكرة في يوم ممطر اردنا انا وصباح ياقو ان نحتمي من المطر، وكان الكهف الصغير في اسفل الوادي (كان فيه القيادة) مزدحم بالجالسين ولا مكان للدخول، فتوجهنا الى كهف آخر في اعليراً سمح لنا بالدخول، وبينما نحن جالسين ننتظر توقف الأمطار لكن يبدو ان الطبيعة ايضاً كانت ضدنا حيث اشتد هطول المطر، وفجاة بدأ الماء يتدفق من ارضية الكهف، وكان علينا ان نحفر حفرة صغيرة لتجميع الماء النابع ومن ثم نغرفه بأواني معدنية لننقله ونسكبه خارج الكهف. لقد كانت ايام صعبة مع تلك الأجواء الممطرة. وبالأضافة الى قساوة الطبيعة فثمة مشكلة السلاح، فلم يكن بين أيدينا سوى بعض البنادق القديمة ومسدسات وبنادق صيد وبمجملها اسلحة شخصية، وأنا شخصياً كنت أفتقر الى السلاح، وفي اوقات الضرورة كان توما توماس يعطيني مسدسه ويكتفي هو ببندقيته الأنكليزية.

فيما يخص الوضع العام للقاعدة العسكرية في بسقين أستطيع ان اقول انه كان افضل من اماكن اخرى إذ كما هو معلوم ان قيادة الثورة الكردية كانت ترتبط بعلاقات مع الجهات التي اطاحت عبد الكريم قاسم، لاسيما جماعة المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني (جماعة ابراهيم أحمد)[٣] فكان تصرفهم مع الشيوعيين الملتحقين بالثورة الكردية غير ودي، وقد يصل احياناً الى حد الصدام معهم او القاء القبض عليهم ومصادرة ارزاقهم، لكن موقف ملا مصطفى البارزاني كان يختلف عن موقف المكتب السياسي حول الملتحقين بالثورة من الشيوعيين فقد وضع تدخله نهاية لتلك التصرفات.

وفي قاعدة بسقين كان هنالك عامل آخر في صالح الملتحقين، فالعلاقات بين القوش وبين حجي ملو (المزوريين) كانت علاقات تاريخية طيبة ولم يتعكر صفوها يوماً، ولهذا لم يتعرض الملتحقون الى اية مضايقات تذكر من جيرانهم المزوريين في المنطقة، وفي وقت سابق قام نخبة من الرجال في القوش ببذل الجهود الحميدة لأنهاء الخلاف بين عائلة حجي ملو المزوري وشيوخ بيرفكا المزوريين أيضاً، لكن هذه الجهود لم تتكلل بالنجاح لموت مفاجئ اصاب احد اعضاء الوفد الألقوشي وقد كان إشارة الى هذا الحادث في مكان آخر من هذا الكتاب.

عوامل كثيرة كان لها دور في مسيرة هذه القاعدة (العسكرية) والتي لا يمكن ان تنطبق



توما توماس

١٩٢٥/١/٢٥ ـ ١٩٩٦/١٠/١٥

عليها تسمية القاعدة العسكرية بقدر ما كان ينطبق عليها مفهوم الملاذ الآمن فالخبرة العسكرية والتدريب العسكري غائبان، ناهيك عن تجهيزات الأرزاق وكل التجهيزات اللوجستية عموماً، واهم من كل ذلك صعوبة الحصول على السلاح والعتاد. حيث لم يكن، في هذه الفترة على الأقل، جهة ممولة تساعد في وقوف القاعدة العسكرية على أقدامها، فالحزب الشيوعي الذي كان يتلقي الضربات ويعاني من تشرذم تنظيمه لم يكن بوسعه تقديم أي دعم لمثل هذه القاعدة رغم اهميتها بالنسبة للحزب الشيوعي، وكان التمويل الوحيد يأتي من القوش التي كانت تتعاطف مع المقاتل في هذه القاعدة والتي كان معظم الملتحقين من الألاقشة.

في هذه القاعدة ثمة تجمع اثني متنوع فيه العربي والكردي والتركماني والآثوري واليزيدي والكلداني، وفي وقت ما كان هنالك من الأرمن ايضاً. كان هنالك همساً يجري بأن الألاقشة يمارسون نوع من العنصرية وإنهم ألاقشة أكثر من كونهم شيوعيين، وهذه نظرة كانت تفتقر الى الدقة، ومع ذلك في الأيام اللاحقة كان هنالك انقساما في صفوف هذه القاعدة وكانت الذريعة تلك التي أشرت اليها، على اعتبار ان الباقين مع توما توماس لهم نزعة قومية كلدانيـــة (القوشية) على حد تعبيرهم، وإنهم أي (الخارجين عن قيادة توما توماس) يمثلون الخط الصحيح للحزب الشيوعي.

كان الأنشقاق الذي حدث تحت زعامة مصلح الجلالي (كاكه أحمد) وكان هذا الشخص يدعو الى الهجوم علي مركز الشرطة في القوش، لكن المقترح جوبه بالرفض الكامل كونه سيؤدي الى نتائج وخيمة على اهالي الرفاق واهالي القوش كما ورد في أوراق توما توماس

الحلقة الثالثة والمنشورة على المواقع الألكترونية ويقول: ان يوسف زرا ورحيم القس يونان قد وافقا على اكتساح المركز، اما مصلح الجلالي المعروف بكاكه أحمد فقد انسحب من الموصل عام ١٩٦٥ والتحق بقاعدتنا في القوش، وفي وقتها قيل لنا انه تمكن من الهروب من السجن، ولا أدري مدى صحة ذلك.

كنت من ضمن المرافقين له يوم توجهه لمقابلة حسو ميرخان على ما اعتقد، وكنت في الطريق اسمع منه كلاماً احسب فيه الشئ الكثير من المبالغة، من انني سأعمل كذا وكذا ويقول توما توماس في مذكراته في هذا السياق بأن كاكه احمد (اعطي اوامره دون علم توما بالأمر) لفؤاد شمعون ورفيق آخر وبرفقة احد الأصدقاء من القوش في ١٩٦٣/٤/١ بالذهاب الى جبل مقلوب لنقل رسالة يطلب فيها من الرفاق ترك اماكنهم والألتحاق بجبل القوش، والخطورة تكمن بان هذه المجموعة الصغيرة عليها اجتياز ارض مكشوفة مروراً بقرية الممان التي تسكنها عشائر عربية معادية، وهنالك تصدت لهم مجموعة مسلحة من القرية فاستشهد فؤاد شمعون وانسحب زميليه دون اطلاق رصاصة واحدة، وكان فؤاد اول شهيد لنا.

وحينما انتقل هؤلاء الرفاق (التركمان) الى جبل القوش دأب كاكه احمد على تأليبهم ضد الكلدانيين خاصة من اهل القوش فسبب الأنشقاق متهماً جماعة توما توماس بالأنشقاق عن الحزب، وإن هذا الرجل في نهاية المطاف ترك الحزب الشيوعي عام ١٩٦٧ والتحق بالقيادة المركزية، وشكل الحزب الأشتراكي الكردي عام ١٩٧٤، وبعدها التحق مع البعث وعين مدير الثقافة الكردية في بغداد هذا ما اورده توما توماس عن هذا الرجل في مذكراته الحلقة الرابعة وهامش الحلقة الثالثة.

الغريب ان هؤلاء لم ينظروا الى موقف القوش المشرف إن كان بما تقدمه من أرزاق للمقاتلين في بسقين وكذلك موقفها العام الداعم للثورة الكردية عموماً وهو موقف مشهود له، إن كان بالمقاتلين الذي حاربوا بكل شجاعة الى جانب الثورة أو عن طريق كوكبة الشهداء الذين استشهدوا في المعارك، او بتقديم المعونات اللوجستية بقدر إمكانيات هذه المدينة المتواضعة، إن هذا الموقف قد جلب سخط الحكومة عليها، فكان الأعتقال والملاحقة والسجن يطال اهل القوش عموماً وأقارب البيشمركه منهم علي وجه الخصوص. وأنا شخصياً تعرضت عائلتي الى التهجير من القوش، أقدمت السلطات في القوش الى توقيق اعمامي وعوائلهم للضغط عليهم وإجباري على الأستسلام للقوات الحكومية، وإن عمي كيكا صادق تومي حكم عليه لمدة سنتين بعد ثبوت قيامه بنقل المواد الغذائية للثوار الأكراد. كانت اوقاتاً عصيبة في القوش، وزاد من ثقل تلك الأيام الحصار الأقتصادي المفروض على هذه البلدة الفقيرة.

التطورات العسكرية في منطقة القوش

كان جبل القوش يعتبر جبهة عسكرية متقدمة ومواجهة للقوة العسكرية القادمة بشكل مباشر. وكانت السلطات تحاول ان تقوم بحملة تأديبية في المنطقة لكي تثبت وجودها وتفرض هيبتها، وأن لا تكون منطقة مفتوحة للثوار. وفي مذكراتي التي بقي منها القليل قرأت ان قوة عسكرية اتجهت صوب القوش بتاريخ ٣٠ حزيران واعتقد كان يوم الأحد، وتركز عمل هذه القوة على داخل القوش بقصد إرهاب الناس وإذلالهم، وجرى اعتداء على الأهالي من الضرب وتوجيه الشتائم، وطلب من بعضهم تسليم سلاحهم، ولا أدري ما هو سبب نزولي الى القوش لوحدي الى ان وصلت منطقة قريبة من طلشا (شرق القوش) علما أنني كنت بدون سلاح، ثم طرق سمعي اصوات طلقات نارية من المناطق الجبلية المشرفة على القوش وعلى اثرها انسحبت القوة من القوش.

الهجوم الشامل المنسق كان يوم ٧ / ٧ / ١٩٦٣، وبحسب مذكراتي كان يوم الأحد، لقد كان الهجوم هذه المرة يختلف عن الهجوم الأول، حيث كان المهاجمون من (الجتا) الريكانيين ممن يتقنون فنون القتال في المناطق الجبلية.

في هذا اليوم كنت مع توما توماس فوق الجبل وكنت بلا سلاح فسلم لي مسدسه الشخصي، وكنا نرشد الشباب غير المسلحين بالتوجه الى المقر في وادي بسقين اما الشباب المسلحين فيرشدهم توما للتخندق في مواقع مشرفة على القوش، ومنهم اتذكر بطرس هرمز جركو وهو من مواليد ١٩٤٦ طالب اعدادية وكنت ارتبط معه بصداقة رغم فارق العمر وكوريال اوراها قينيثا من تللسقف وهو خريج معهد المعلمين، ومن غريب الصدف ان زوجته كانت حاملاً يوم استشهد زوجها وولد لها توأم وأطلق على احدهما بطرس والآخر كوريال، وأتذكر المكان الحصين الذي جلسوا فيه ويبدو انهما قاتلا الى ان نفذ منهما العتاد. وربما كان ذلك سبب التمثيل بجثتيهما حيث سحلا الى مقبرة الغرباء في القوش، ولكن حينما بدأت المفاوضات في عام ١٩٦٤ قام الأنصار بنقل رفاتهم بمراسيم مهيبة ودفنهم بوقار في مقبرة الشهداء في دير الربان هرمز.

وأتذكر جيداً كريم يلدا كان آخر من وصل من المسلحين من القوش فكان مكانه قريباً من القمة (رش ريشا)، وربما لم يكن مستقراً في موقعه حينما باغته المسلحون المهاجمون، وأنا وتوما لم نكن بعيدين عنه وإن الطلقات التي وجهها توما نحوهم لم تغير من الموقف حيث اصبحت قمة الجبل بمجملها تحت سيطرتهم. وفي هذه الأثناء ارسلني توما الى المقر في اسفل وهدة بسقين وقال يترتب على جميع المسلحين التوجه نحو القمة، واتفقنا على مكان

نلتقي به، وحينما توجهت الى المقر لم يكن هناك أي شخص إن كان من المسلحين أو من غير المسلحين، فأخذت اعود ادراجي نحو القمة، وفي هذه الأثناء حيث بدأت تباشير الصباح تلوح في الأفق من الشرق ومعها باشرت طائرات الميك بالتحليق فوق المنطقة وقصفها.

الفكرة الوحيدة التي تقلقني والكابوس المهيمن على سلسلة افكاري في تلك اللحظات هو الا اغدو ضحية سهلة بيد العدو فأقع اسيراً بيده، حيث من الحماقة ان افكر بمقاومة العدو وأنا احمل مسدس، فالذي توصلت بقرار حاسم لا رجعة فيه هو ان انتحر قبل وقوعي بيد العدو ووجهت فوهة المسدس نحو صدغي، ثم راودتني فكرة ان المسدس قد لا يعمل، وهكذا عمدت الى اطلاق طلقة في الهواء للتأكد بأن المسدس سوف لا يخذلني وقت الحاجة، وهنا سمعت توما وهو يناديني واقتربت منه فكان معه شخصاً آخر لا اتذكر من هو، ولكنه اعلمني بأنه حينما لمح طائرة في الجو محلقة فوق رؤوسنا فيجب على ان أجمد في مكاني دون اصدار اية حركة، وهكذا حينما وصلت عنده بادر حالاً الى الأنسحاب لانه يبدو كان قلقاً على وهو ينتظرني لكي ننسحب سوية الى قرية سيدايي وهي قرية مهجورة تتخللها كهوف ارضية واسعة. لقد كان الجميع منسحباً الى هذه القرية وعندها بدأنا نسأل عن الغائبين الذين لم ينسحبوا وكان منهم الشهداء الثلاثة الذين اشرنا الى اسمائهم في السطور السابقة.

بعد يومين من الهجوم الأول أي في ٩ تموز المصادف يوم الثلاثاء حسب ما مدون في مذكراتي، في هذا اليوم كان الهدف ايضاً إذلال الناس واستباحة المدينة، وكالعادة لجأ قسم من الشباب الى الجبل وآخرين فضلوا البقاء في البيوت لا سيما الرجال المسنين حيث بادروا الى الأختفاء في آخور البيت (اصطبل، بيكاري) وكان في اصطبل بيت الرهبان المشهور بتفرعاته والقريب من سوق القوش قد اختفى فيه العشرات من الرجال ورغم دخول الجتا الى هذا البيت ونزولهم الى القبو (اصطبل) إلا انهم لم يكتشفوا امر الرجال المتوارين فيه. ومع كل ذلك كان هناك من الضحايا حيث قتل بدم بارد الرجلان المسنان بولص (بوّي) وياقو قوقا، ولم يكن لهما اية علاقة بالثورة او بالحزب.



حبيب تومي، كاتب هذه السطور في مطاوي عام ١٩٦٥

الحصول على السلاح

كانت هنالك مشكلة الأدوية وفي مقدمتها كنا دواء الكنين لعلاج الملاريا التي كان تفتك بنا، كما ان افتقارنا الى السلاح يشكل معضلة خطيرة وإن الحزب الشيوعي لم يكن بمقدوره القيام بهذه المهمة في تلك الظروف العسيرة التي يمر بها، كما ان الكثير منا، وانا واحد منهم، لم يكن بمقدورنا القيام بشراء السلاح. ويبدو ان قيادتنا قد قررت بإيجاد مصادر أخرى للحصول على السلاح من القرى الموالية للسلطات الحكومية ووقع الأختيار على قرية خربة صالح الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة وهي تبتعد حوالي عشرين كيلومتر عن الجبل وكان علينا قطعها ذهاباً وأياباً للوصول الى جبل فايدة قبل انبلاج الفجر. وحال وصولنا الى القرية تم تطويقها وحدثت معركة بيننا واستولينا على ٦ بنادق انكليزية وخسرنا شهيداً واحداً. وكانت هنالك محاولات ناجحة اخرى حيث افلحت مفرزة بقيادة لازار ميخو (ابو نصير) على الطريق بين مريبة وعين سفني بنصب كمين بأسر خمسة جنود وضابط وتم الأستيلاء على سلاحهم المتكون من خمسة بنادق كلاشنكوف ومسدس، واطلق سراح الأسرى في الحال وكانت هذه عملية ناجحة دون إراقة دماء.

العلاقات مع هرمز ملك جكو[٤]

في اواسط عام ١٩٦٢ كانت ثمة بعض الاجراءات الأدارية منها حزبية وأخرى عسكرية في منطقة بهدينان، وبموجب تلك الأجراءات عين هرمز ملك جكو الى جانب غازي حجي ملو وعمر آغا دولمري وشكر عبدال شيخكي، معاوناً لحسو ميرخان دولمري الذي عينه البارزاني قائداً لمنطقة الشيخان. ومن العمليات الجريئة لهرمز ملك جكو تلك العملية الخاطفة التي قام بها على سيطرة التفتيش غير البعيدة من البوابة الرئيسية للمجموعة الثقافية في الضاحية الشمالية للموصل، وفي هذه النقطة تهان كرامة الناس المتجهين صوب القرى والمدن الشمالية، فتطلق بحقهم كلمات غير لائقة وتصادر مشترياتهم من المواد الغذائية كالسكر والشاي والرز، او يجري ابتزازهم لتقديم الرشاوي، تحت طائلة الحصار الأقتصادي المفروض على المنطقة، مع رقابة صارمة علي تنقلات الشباب منهم، فيجري حجزهم إما لسوقهم الى الخدمة العسكرية او يجري اعتقالهم تحت حجج واهية او لمجرد وجود شك بالهوية التي يحملها الشاب.

كانت العملية في اوائل عام ١٩٦٣ وأنسحب بعد اتمام العملية دون خسائر تذكر، وكان لهذه العملية صدى اعلامياً كبيراً في بجهة إسماع صوت الثورة الكردية وهي رسالة بأن يدها تصل بعيداً عن المناطق الجبلية.

حين التحاقنا بالثورة الكردية في اعقاب انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ تولدت علاقات وثيقة بين جماعة توما توماس وجماعة هرمز ملك جكو، وإذا اتفقنا مع الجماعة التي انقسمت عن توما توماس ووضعته هو وجماعته تحت عباءة ميلهم الى النزعة القومية، أي علينا ان نبتعد او نهمش موقتاً انتماءات توماس توماس بالحزب الشيوعي العراقي وارتباطات هرمز ملك جكو بالحزب الديمقراطي الكردستاني، وأتخذنا معيار الأنتماء القومي بين المجموعتين، فسيكون باستطاعتنا ان نبين العلاقات الوثيقة بين توما توماس الكلداني وجماعته الكلدانيين وبين هرمز ملك جكو الآشوري وجماعته الآشوريين، فكان تعاوناً وثيقاً دون ان نلمس يومذاك فسحة للخلاف حول التسميات او المذاهب، لقد كان لتوما توماس رجال دون سلاح، وكان باستطاعة هرمز ملك جكو، الذي يرتبط بعلاقات وثيقة مع قيادة الثورة، القدرة على توفير السلاح لهؤلاء الرجال، وهكذا من مبدأ التعاون الوثيق بين الطرفين. وتقول مذكراتي المقتضبة عن هذه الفترة حيث بقي منها نتف متفرقة، وفيها اننا اتجهنا حوالي عشرون رجلاً من جماعة توما توماس الى منطقة (دشت نهلة)، وكان دليلنا في الطريق رجل آثوري اسمه باكوس وحسب مذكراتي كان ذلك بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٦٣ للالتحاق بهرمز ملك جكو بغية تسليحنا، وكنت انا شخصياً من بين الملتحقين بهرمز حيث كان يغمرني الأمل في الحصول على السلاح.

إن السلاح الذي كان بحوزتنا كان يعود بعضه لاهالي القوش حيث وضع كأمانة لدينا على ان نعيده اليهم وقت ما يشاؤون، وكانوا بهذه العملية يساعدوننا، ومن جانب آخر يحتفظون بسلاحهم خوفاً من ان تستولي عليه جهات أخرى، وفعلاً لقد تم إعادة السلاح الى اصحابه في عام ١٩٦٤ اثناء المفاوضات، وكان لنا سلاحاً كافياً للدفاع عن النفس وصد أي هجوم، وأنا شخصياً اصبح لي في هذه الفترة السلاح الروسي المعروف باسم (دكتريوف) حيث يحمل في مخزنه ١٠٠ طلقة، ورغم ثقله كنت انتقل به بكل حرية والى مسافات بعيدة ولا اكترث ولا يصيبني التعب، لقد كانت ايام الشباب.

وعن هذه الفترة أيضاً (١٩٦٤)، ولو انها ليست في السياق الزمني لما يجب ان اسرده وكان يجب ان اشير الى هذه الفقرة لاحقاً، لكن لها صلة بقوة الشباب ولهذا اقحمتها في فقرة العلاقة مع جكو:

كان مقرنا في دير الربان هرمز، وكان قبل فترة ملتحقاً معنا شاب القوشي اسمه حبيب كعّا، وحينما تركنا أبقى بندقيته الصغيرة المعروفة بـ(دوازده ميل) وتأخذ خمس طلقات وهي اقرب الى بندقية الصيد. وفي فترة المفاوضات اقبل اخوه الأكبر رحيم هرمز كعّا طالباً من توما توماس إرجاع البندقية بغية بيعها والأستفادة من ثمنها، لقد كانت هذه البندقية ضمن بنادق اخرى اخذها جماعة كاكه احمد وانفصلوا عن قاعدتنا، كلفني أبو جوزيف بمرافقة



صورة منشورة في كتاب الأستاذ مسعود البارزاني " البارزاني والحركة التحررية الكردية " الجزء الثالث مع مجموعة الصور المنشورة بين ص١٦٠ ـ ١٦١، ويعود تاريخها الى شهر تشرين الأول من عام ١٩٦٣ في منطقة النهلة، والذين اعرفهم في هذه الصورة من الجالسين الثاني من اليسار هو صديقي صبحي من عنكاوا، والواقفين الثاني من اليسار هو هرمز ملك جكو (استشهد في ٢ / ١٢ / ١٩٦٣) والواقف الى يساره فهو كاتب هذه السطور الدكتور حبيب تومي

رحيم الى كلي قيصرية الى الشمال من قرية كَافارا، وإضافة الى التوصية الشفهية فقد زودني برسالة، وكان على ان اسير بمحاذات سفح الجبل.

في البداية كنت اسير مع رحيم ثم بدأت اسبقه قليلاً وكانت خطتي ان اذهب الى وهدة قيصرية وأعود مساءً لكي ادخل القوش. لم يطلب الرجل مني ان اتمهل قليلاً في سيري، المهم في نهاية المطاف وصلنا الى المقر، ورأيت كهف اثري مريح واردت ان اجلس قليلاً إلا انني آثرت العودة لكي لا يدركنا الظلام، وقيل لي ان كاكه أحمد ليس في القاعدة وإنه توجه الى قرية تقع في طريقنا حين العودة، وطلب منا ان نرتاح قليلاً لكني عزمت على الرجوع حالاً بعد ان شربنا قليلاً من الماء. وفي طريق العودة عرجنا الى القرية التي يحتمل ان نجد كاكه احمد، لكن هنا ايضاً قيل لنا انه خرج من قرية، وطلبت من رحيم إن كان يود ان نواصل البحث عنه، فقال: انه يريد العودة الى القوش فقط.

وهكذا بدأنا مشوار العودة بنفس الزخم وبنفس السرعة، وكانت الشمس قد غابت قبل قليل مما سهل دخولنا الى القوش، وفي اليوم التالي قال لي ابو جوزيف معاتباً، لما اقترفته بحق

الرجل من السير السريع ودون توقف، بعد ان مكث في الفراش يومين من آلام في رجليه يسرد لأصدقائه في سوق القوش يقول:

كنت اعتقد بأننا سننال قسطاً من الراحة في الطريق، لكن ذلك لم يحدث، وحين وصلنا الى هناك قلت لابد من ان نجلس قليلاً، لكن استئناف العودة كان حالما شربنا قليلاً من الماء، وأضاف انني لم اكن اسير مع بشر وأنما كنت اسير مع غزال. هكذا كانت ايام الشباب التي ولت دون عودة.

وأعود الى العلاقة مع هرمز ملك جكو، حيث سلمت لي بندقية انكليزية كالتي كان يحملها توما توماس وهذه البندقية في تلك الظروف كان تدفع الشاب الى الأعتداد بالنفس فكنت افتخر بها، إذ كيف تدخل في معركة وأنت بدون سلاح، وفي مفهومنا في القوش فإن الخدمات الأخرى مهما كانت مهمة كطهي الطعام وخبز الخبز وحتى مداواة الجرحى والأعتناء بهم، كانت تعتبر أعمالاً لا تدخل في معايير الشجاعة، لا بل حتى الدخول في المعركة فإن لم تكن في مركز الهجوم، فلا نعتبره ميداناً حاسماً لاظهار الشجاعة.

هكذا حينما حصلت على بندقية وسجلت باسمي كان ذلك فخراً كبيراً لي وكنت افكر بأنه يتحتم علي إظهار الشجاعة التي تؤهلني لحمل هذه البندقية ولأثبات ان ثقتهم بي حين تسليمي البندقية كانت في محلها.

في منطقة سهل (دشتة) نهلة حيث خضنا غمار عدة معارك مع هرمز ملك جكو وكانت المنطقة مقابلة لجبل عقرة وهي منطقة ساخنة عسكرياً. ومن ناحية سحر الطبيعة فقد كنت استمتع بجوها الجميل وكانت تباشير الربيع تملأ الجو والأرض، فالسماء مجلوة كالمرآة الصافية والهواء نسيمات نقية تنساب بهدوء وتداعب الأغصان المتمايلة، وتترنم الطيور ألحانها الأزلية مع وقع الحياة في تلك الأصقاع، كم كانت رائعة تلك الصباحات الجميلة في منطقة نهلة، حيث النسيم العليل مع زقزقة العصافير المتراقصة على انغام خرير الماء ومعها تنتشر بشكل أخاذ تجمعات الضباب لتختفي متوارية مع الخيوط الأولى لأشراقة الشمس المنسابة من بين قمم الجبال. فتترامي الأرض المنبسطة وكانها واحة خضراء تتكلها مختلف الأوراد والأزهار ومن شتي الأشكال والألوان، فتنبثق برشاقة وحنان بين بساط الحشيش الأخضر المترامي بين الصخور، ومن هذه الزهور الزنبق والسوسن والبنفسج وشقائق النعمان، وفي الأماكن العالية تتربع مجموعات من ازهار النرجس الجميلة وتبدو وكأنها قطعة ثلج ناصعة البياض، وكان الهدوء يخيم على المنطقة ما خلا خرير الماء المنبثق من اختراق نهر الخازر لهذه المنطقة.

وتنتشر القرى المسيحية في هذه المنطقة ومنها دفريي التي كانت مقراً لحسو ميرخان وهيزان وخليلان وجولي وجمسني وكشكاوا وغيرها، وما سمعته عن هذه المنطقة انها كانت منطقة موحشة غير ملائمة للسكن البشري حيث تسرح فيها الوحوش من النمور والذئاب، وقد اعطيت هذه المنطقة للاثورين يوم هاجروا من تركيا وايران في اعقاب عمليات الأضطهاد والتكيل والتهجير التي طالتهم في مطاوي واعقاب الحرب العالمية الأولى.

لكن الذي رأيته امامي كانت قرى مثالية نظيفة كل شخص قد زرع بجوار داره بستان صغير فيه مختلف انواع الخضار من طماطة وباميا وبيذنجان وفاصوليا.. وكذلك رأيت في احد البيوت الذي لا زال مسكوناً بصاحبه وفي سقف الغرف كانت كنائر تعليق قطع اللحم حيث كان يحفظ اللحم طيلة فصل الشتاء بتجفيفه وتمليحه وتعليقه في تلك القطع الحديدية المثبة على الأعمدة الخشبية المثبتة في السقف. إن معظم اهالي قرى منطقة النهلة قد غادروها في ذلك الحين بسبب ظروف الحرب ومعاودة الطائرات لقصف هذه القرى.

كانت المنطقة ايضاً غنية بمناحلها العامرة، وفوق ذلك وهو الأهم بالنسبة لبعض الجماعة فإنهم كانوا يطرقون على الأرض بأرجلهم فإن كان هنالك صدى اكتشفوا ان هنالك شيئاً مدفوناً تحت التراب وفعلاً اكتشفوا صفيحة معدنية مملوءة بالعرق المحلي المصنوع من العنب، وكان ذلك كنز ثمين بالنسبة لمحتسي العرق، حيث كان تناولهم قليل من هذا العرق قبل النوم يحميهم من لسع البعوض الذي كان يتميز بحجمه الكبير وكأنه مربي في مزرعة لتسمين البعوض، وحينما يشرب احد الأصدقاء ينام نوماً هادئاً لا يكترث لتلك اللسعات التي كان تؤرقنا طول الليل، ولا يفيد معها الطرق التقليدية بصنع الدخان لأجل هروبها فكانت مع الدخان تهجم علينا، وإن اشعلنا ناراً ربما يبتعد البعوض لكن بالمقابل سنكون هدفاً سهلاً للقصف المدفعي.

لكن ابرز ما ساعدنا في هذه المنطقة هو عثورنا على صفيحة مملوءة بالراشي (طاحن)، لكن المشكلة ان هذا الراشي كان ملوثاً بكثير من النمل، لكن ذلك تم علاجه بتصفيته عبر يشماغ احد المقاتلين، وبدأنا بمزج العسل مع الراشي، حقاً كانت وليمة رائعة ليس الى نسيانها سبيل.

مكثت مع هرمز ملك جكو حوالي شهر، وتعرفت على الرجل عن كثب، كان دقيقاً وصارماً في انضباطه العسكري، ويمكن ان يتساهل في كل شيئ إلا في الأنضباط العسكري، وهو يصرخ بأعلى صوته على الذي يدخن ليلاً ونحن نقطع الشعاب الجبلية التي يتسع الطريق فيها لسير شخص واحد فحسب، ويكون في المقدمة دليل الطريق، ثم يتبعه الأخرون، وإن هذا التتابع لا يسمح بالحديث بين شخصين إن كان مع الشخص من امامك او من خلفك، فالطريق

امامك ضيق وفي الظلام الداس ينبغي ان تسمّر عيونك على الطريق لكي لا تنزلق رجلك وتنحدر نحو الهاوية.

كما انه لا يؤمن بان يرتدي المقاتل المعطف او حتى القمصلة حيث يعتقد ان الملابس الثقيلة تعرقل حركته، وكان مقتصداً في ملبسه ومأكله، فله قميص واحد مع الذي يرتديه وبدلة واحدة (شال وشبوك)، وكان الرجل سخياً كريماً مع رجاله ومع الذي يقصده ويطلب منه مساعدة. وكان متوسط القامة رشيق الجسم، سريع الحركة، وبرأيي الشخصي انه كان مقاتلاً اكثر من كونه قائداً، وما لاحظته في بعض المعارك يحاول ان يكون دائماً في مقدمة الهجوم، ربما يعتقد بأنه ينبغي ان يكون قدوة لرجاله ليضرب لهم مثلاً في الشجاعة. ولكن هذه الحالة يتعين ان لا تكون بشكل مستمر، إذ يمكن للقائد ان يكون في المقدمة ليرفع من معنويات مقاتليه بعد خسارة كبيرة تعرضت لها القوة، لكن ان يكون دائماً في المقدمة وفي كل المعارك فهذا يدل على انه جندي مقدام اكثر من كونه قائد محنك، وهذه الحالة قد اودت بحياته بعد حين.

وأتذكر يوماً قصدنا القوش لكي نحصل على عتاد روسي كان بحوزة احد الأشخاص من اصدقائنا، وحاولنا الدخول من جهة الغرب، وقبيل ذلك توجهنا الى بيت ياقو كرجي، وهو رجل محبوب في القوش، وكان موضع ثقتنا، ويقدم لنا خدماته، وكان موقع بيته آخر بيت من جهة الغرب تحيط به كروم العنب، ودلفنا بيت ياقو كرجي لاستعلام الموقف، وكانت نصيحة الرجل انه من الخطورة بمكان الدخول الى القوش حيث انها محاطة بربايا، وإن رجالاً من القوش يشاركون في نقاط الحراسة، وكان بيننا وبين بعض اصدقائنا من الحراس، إشارة بأن يشعل الحارس ولاعته إن شعر بأية حركة، ونتجنب الأحتكاك معهم.

في هذه الأثناء أخبرنا ياقو كرجي بأنه سيتصل بالشخص الذي لديه العتاد ويعرف كميته وسعره وهو يحاول نقله الى البيت عنده وليس هنالك حاجة للمخاطرة والأصطدام مع الربية فتكون النتيجة صدام مسلح بيننا وبين اشخاص من القوش يحرسون المكان معهم، ويمكن بلوغ الهدف دون مشاكل.

كنا نحاول ان لا نسبب اية مشاكل للألاقشة، إذ ليس من المعقول بعد الدعم الذي يصلنا من القوش ان نعمل على تخريب المدينة ونتقاتل مع ابنائها.

وحينما رجعنا الى المقر في قرية سنان وشيخ خدر ابدى هرمز نوع من الأمتعاض لاننا رجعنا دون عتاد قائلاً:

كان ممكن ان تشغلوا نقاط الحراسة من اليمن ومن اليسار بإطلاق النار عليها وفي هذه الأثناء يدخل من الوسط بعض الرجال ليصلوا الى الهدف. وفي الحقيقة ان الأمر لا يحتاج

الى كل تلك المخـاطرة وربما يكون هنالك ضـحـايا من الطرفين في حين اصـبـح من الممكن الحصول على ما نريده دون مخاطرة ودون إراقة دماء.

ونواصل المشوار مع هرمز ملك جكو

كان معنا المضمد توما شكّو وكذلك حنا زلفا الذي كان يملك خبرة كبيرة في العمليات الجراحية ونطلق عليه دكتور حنا وطبقت شهرته الأفاق في كردستان، وكان له البا ع الطويل في شفاء عدة اصابات خطيرة، وكان الجميع يكنون له التقدير والأحترام، بمن فيهم قيادة الثورة المتمثلة في ملا مصطفى البارزاني.

كان الرجل بحاجة الى ادوية لكي يزاول عمله، وإحدى الطرق للحصول على الدواء كانت تتلخص في كتابة ادوية زائدة لأحد المرضى، والزائد عن الحاجة يستخدمه لعلاج مريض آخر. لكن هذه الطريقة لم تف بالمطلوب فنحن بحاجة الة ضمادت الجروح ومواد التعقيم كما كنا نفتقر بشكل رئيس الى مادة الكنين لعلاج الملاريا المتفشية في المنطقة اصلاً ويعاني منها العديد من مقاتلينا، وهكذا وقع الاختيار علي مستوصف تللسقف، وكنت من ضمن المفرزة التي قادها هرمز ملك جكو الى تللسقف، وبدون ضجة افرغنا محتويات المستوصف من الأدوية ومن الضمادات وجلبناها الى منطقة كلي بيندوايا ومن هناك نقلناها الى المقر الذي استقر في قرية برموس بعد انتقالنا اليها من دير الربان هرمز.

كانت العلاقات مع هرمز ملك جكو تتوطد يوماً بعد يوم لا سيما بعد الأنقسام الذي سببه كاكه احمد فكان ينبغي ان تكون ثمة صيغ اخرى للتوحيد ليكون لقوتنا كلمة مسموعة، وكان هرمز يفتقر بصورة عامة الى الرجال نظراً لحركته الدؤوبة ونشاطاته العسكرية المستمرة.

ورغم ما كان لنا من نشاطات عسكرية ملحوظة مع جماعة هرمز إلا ان محور القوة العسكرية في المنطقة كانت بيد المزوريين.

لكي اكون صريحاً مع القارئ ومع نفسي، فأقول إنني في تلك المرحلة من عمري حيث اكملت تواً العقد الثاني، فالدم الفائر والطموح والشجاعة مع افتقار الى التجربة والخبرة، فلم استوعب المسائل المتشعبة كان علي ان اطيع الأوامر وأبدي الشجاعة في المواقف التي تتطلب الشجاعة ولا اكثر من ذلك، وكان للقيادة تصور اكبر لما يجري حولنا، وهكذا إذ نكتب اليوم ينبغي علينا تحليل الأمور بالأستناد على الخبرة وتجارب الحياة المريرة وحينئذٍ يمكن تصور الأمور في مشهد شامل متكامل لكي يغدو ممكناً تسليط الضوء على المرحلة وتحليلها بمنطق العقل والواقع، بدلاً من تغليب العاطفة والغريزة.

من المعروف عن مختلف مراحل الثورة الكردية كانت الحكومة تلجأ في محطات كثيرة الى إغراء رؤساء العشائر بخلع الهدايا وإغداق الأموال والعطايا بغية استمالتهم الى صف الحكومة او على الأقل تحييدهم، وفي المرحلة التي نحن بصددها كانت ثمة اتصالات سرية مكثفة لاستمالة عشيرة المزوري وفعلاً افلحت الحكومة في إقناع عبد الواحد حجي ملو رئيس العشيرة، لكن اخيه غازي بقي على ولائه للثورة، في هذه الأثناء تمكن عبد الواحد من إقناع أغوات أخرين في المنطقة لتغيير موقفهم بجهة تأييد السلطة، لكن هذه النشاطات بقيت طي الكتمان.

وبدأت خيوط التفاهم بين هذه العشيرة والحكومة تتضح معالمها بجلاء حين باشرت القوات الحكومية بالهجوم على المنطقة، وفتحت قوات البيشمركه المزورية الطريق لهذه القوات لتتوغل في المنطقة ومن ثم تراصفت معها.

المؤشرات التي لم تكن مفهومة في حينها وهي محاولة غازي حجي ملو إبعاد هرمز ملك جكو من المنطقة وما بقي عالقاً في ذهني فيما يتعلق بتلك العلاقة هو حضور هرمز ملك جكو مع عدد من رجاله مجلساً يضم عبد الواحد وعدداً كبيراً من مسلحيه وربما فسرت على انها نوع من التحدي، حيث جلس في المجلس وبندقيته المحشوة بالرصاص مهيئة للرمي ووضعها في حضنه وهو جالساً على الأرض. المهم في الأمر ان غازي حجي ملو اقنع حسو ميرخان بنقله من المنطقة، وفعلاً استجاب حسو ميرخان لطلبه ونقل هرمز تم الى منطقة شوش وشرمن القريبتان من عقرة، وكانت هذه المنطقة التي كانت تحت سيطرة الزيباريين في حينها بحاجة الى تعزيز قوات البيشمركه.

هكذا تم فصلنا مؤقتاً عن هرمز ملك جكو، وبقينا لوحدنا في دير الربان هرمز مع بعض القوات المزورية. وحينما بدأ الهجوم كنا نعتقد انه كبقية عمليات التقدم التي تسلكها القوات الحكومية حيث يجري التصدي لها لتنسحب من حيث أتت. ولم نضع في حساباتنا أن هنالك اتفاقات سرية لتسليم المنطقة دون مقاومة، وفعلاً سمح المقاتلين المزوريين (جماعة عبد الواحد) للقوات الحكومية المتقدمة في عدة محاور باحتلال المنطقة دون مقاومة. بضمنهم الجماعة الذين كانوا فوق قمة جبل الدير (بركَارا) حيث انسحبوا، وأبلغونا ان ننسحب معهم، لكننا رفضنا، وحسب ما ورد في اوراق توما توماس (الحلقة الخامسة المنشورة في موقع الناس، ومواقع اخري) ان غازي حجي ملو أرسل الينا في الدير هيرو جفريكي ليحثنا على الأنسحاب في الحال حيث ان الجيش احتل قرية (بيده: Peda) وهو في طريقه الى اتروش وبوصولها سوف يقطع الطريق على انسحابنا، لذا فهو (غازي) يناشدنا للانسحاب حالاً، فأرسلنا فوراً الى رفاقنا جماعة مصلح في قيصرية ليستعدوا للانسحاب معنا ومغادرة المنطقة.

أجل كانت ثمة خطورة في البقاء في جبل القوش الذي بات منفصلاً تحيط به قوات الجيش و(الجتا) من كل جانب، وفي الحقيقة ان الخطورة باتت تكمن في الأنسحاب إذ لم يعد طريق الأنسحاب اميناً فينبغي تحاشي القوات الحكومية وقوات (الجتا) التي وصلت الى قرية خورّوك (خوركي)، والجيش السوري الذي وصل بيرموس وعسكر فيها فسلكنا الطريق نحو بالاتن (بالطة) وكانت قوات (الجتا) من خوركي تصلينا بنيرانها لكن ذلك لم يربك انسحابنا فتوجهنا نحو بريفكا ومنها الى كَلي رمان ومنها الى قرية بيبوزي الواقعة الى شمال غربي اتروش.

نحن في اواسط تشرين الثاني من عام ١٩٦٣ والجو كان بارداً ويحضرني مشهد ونحن في بلدة اتروش بضيافة إحديالعوائل، إذ بادر صاحب الدار لأيقاد النار لكي نصطلي من البرد إذ ان الأفرشة قليلة، وإن النار تعوض عن الغطاء. ولاحظت ان الرجل حينما ازمع على إشعال النار جمع كومة صغيرة من الحطب وقد وضع تحتها حزمة صغيرة من القش وأوراق الأشجار، ثم لمحت انه يشعل النار في دفتر صغير، فأخذته من يده وإذا به دفتر نفوس لم يكتب فيه ولا حرف، فقلت له هذا دفتر نفوس يعود الى دائرة النفوس كيف حصلت عليه؟

فأخرج رزمة كبيرة من دفاتر النفوس للذكور والأناث خالية من الكتابة إخذت من دائرة النفوس في اتروش وهو يستعملها لأيقاد النار، فسألت الرجل تزويدي نسخ من هذا الدفتر فقال تستطيع ان تأخذ الكمية التي تريدها. بالفعل أخذت بعض النسخ وفيما بعد استخدمنا بعضها كهوية للسفر الى بغداد بعد ملئها بالمعلومات والأختام المطلوبة.

بقينا ليلتين في قري بيبوزي وهسنكة وحينما حصل اتفاق بين الحكومة وعبد الواحد علي تشكيل فوج من (الجتا) من المسلحين المزوريين التابعين له، تحتم علينا من الصباح الباكر مغادرة المكان متوجهين نحو قرية بيركيات الى الشمال الشرقي من أتروش حيث يتمركز حسو ميرخان مع قوة من البيشمركه هناك.

في هذه الفترة من الأنسحاب يحضرني موقف ليس الى نسيانه سبيل، والأنسحاب هنا لا يعني انسحاب المقاتلين فحسب، إنما كان هنالك أدوية كثيرة وهي مهمة لنا تركت في إحدى القرى الكردية لنأخذها الى مكان بعيد في القري المحررة في المناطق الوعرة الواقعة في جبل كَارة، وكنت في هذه الفترة اراجع الدكتور حنا زلفا لوعكة صحية وعلي الأكثر كان مرض الملاريا، وفي هذا الموقف يحضرني قول لابو جوزيف، حيث كنت لا اقبل بزرق الأبر، وأنا مستعد ان اتناول الحبوب او الشراب لكن لا استطيع نفسياً تقبل زرق الأبر، منذ يوم الدراسة الأبتدائية والمتوسطة كنت الجأ لشتى الحيل لتحاشي عملية زرق ابر التطعيم المزعجة، وأتذكر أبو جوزيف بهذا الصدد قال معلقاً على تخوفي من الأبرة: الذي يحيرني ان حبيب تومي لا

يخاف من الدبابة فيما أراه يخاف من زرق الأبرة في العضلة.

المهم في سياق حديثنا، انسحب الجميع وبقيت هذه الأدوية، فكلفني الدكتور حنا زلفا بالمكوث عند الأدوية لكي احرسها في غيابه، وهو سينسحب ويرسل لي بعد وصوله ببضعة بغال لنقل الأدوية الى مكان أمين، وحينما فاتحته بأنني لا استطيع البقاء كثيراً حيث ان اهل القرية قد هاجروا وليس هنالك طعاماً اتناوله في هذه الفترة، فوعدني بإسال البغال بأسرع ما يمكن، ومن باب الأحتياط ارشدني علي قارورة خزفية مملوءة بعسل طبيعي، يمكنني تناول العسل.

انتظرت في اليوم الأول ولم تصل الحيوانات وتناولت من العسل عدة وجبات وكان مذاقه طيباً، ولكن في اليوم التالي بدأت اتناول العسل بعدم رغبة حقيقية ولكن الجوع اجبرني لكي اسد رمقي، ولم يصلني احداً في هذا اليوم ايضاً، وانتظرت الى اليوم الثالث، وفي هذا اليوم لم استطع رؤية القارورة، وتجرعت قليلاً من ذلك العسل بسبب الجوع الذي لا يرحم، وكان ما انقذني وصول ثلاثة رجال مساءً ومعهم ثلاثة بغال حملنا الأدوية، وقارورة العسل اللعينة.


من اليمين حبيب تومي وصباح ياقو وتوما توماس

كان لالتحاق عبد الواحد حجي ملو ومعظم رجاله من المزوريين اثراً كبيراً على المنطقة وعلى الثورة بشكل عام، وهنالك حالة فطرية لدى البشر حيث تميل غريزياً نحو كفة القوة، وهكذا كان رجحان كفة الحكومة في هذه المنطقة يهددها بالكامل بان تنجرف الى جانب السلطة، حيث تسلل الأحباط والضعف الى النفوس ويبقي موقف الثورة واهناً لا يستطيع الصمود.

من هذه البديهة وعلاجاً للمسالة أراد حسو ميرخان إثبات وجود قوة ما في المنطقة لتبقي المعنويات عالية لدى المقاتلين، وإثبات وجود في تلك الظروف لا تكفي المناشدة والتفاوض إنما ينبغي القيام بعمل عسكري ملحوظ، ومن اجل ذلك وقع الأختيار على إحدى القرى واسمها (بلان) وهي قرية جميلة تقع في سفح جبل بيخير ويقول عنها توما توماس في هامش مذكراته الحلقة الخامسة: بأنها تقع في منطقة شمكان، كان سكانها من المسيحيين، استولى عليها علي

مجيد آغا وأسكن فيها جماعته من الأكراد، وشمكان منطقة خصبة وفيها مياه وفيرة تكفي لاسقاء مزارعها تقع في السهل بالقرب من جبل بيخير وتجاورها قرى مسيحية أخرى منها تلا (تلان) وبيري وباصفري.

ويوم هجومنا على هذه القرية كان فيها قوة من (الجتا) بقيادة آغا اسمه علي خاتون. وكان مخزون فيها أكداس كبيرة من الرز الذي استولينا عليه. ويبدو ان السلطة عاودت الهجوم على الموقع، وكانت معركة اكبر من المعركة الأولى واشترك فيها هرمز ملك جكو بشكل فعال، وانسحب المهاجمون، وأتذكر في هذه المعركة اصيب الصديق هرمز صليوا من القوش وانفجرت بقربه قذيفة مدفع وأصيب ببعض الشظايا، لكن ما نجم عن هذه القذيفة هو الأثر السلبي الذي تركته على حاسة السمع لدى صديقنا هرمز.

العودة الى المنطقة

لقد بقينا في تلك المنطقة واشتركنا في معارك وأدينا الواجبات المطلوبة وفي هذه الفترة بقيت منطقتنا تعاني من الفرا غ حيث لا اثر للثوار فيها، وهكذا اتجهت النية نحو العودة الى المنطقة ملاء الفرا غ الذي تركه تسليم المزوريين للحكومة فالقري المنتشرة خلف جبل القوش كان قد هجرها اهلها نحو المدن القريبة لا سيما مدينة دهوك، وبقي في هذه القرى الناس الفقراء الذين لا يملكون شيئاً ليخسروه.

كان الأحتمال الأقوى ان يقع الأختيار للعودة الى المنطقة على توما توماس وهرمز ملك جكو وفعلاً تم تشخيص القوتين للعودة الى المنطقة اضافة الى قوة من المزوريين ظلت مخلصة للثورة ويقدرون بحولي خمسون مسلحاً.

تحركنا صوب المنطقة من قرية ملبركي ووصلنا الى قرية مهجورة اسمها شاهية وبقينا فيها اثناء النهار لنواصل السير ليلاً سالكين الطريق بحذر بين الربايا في كلي شيخ عادي نحو منطقة الشيخان، وأتذكر انا وأحد الأصدقاء ـ وهو هرمز آثوري من قرية داشقتان وأمه القوشية والتقيت به في مطاوي التسعينات من القرن الماضي في جمعية آشور بانيبال الثقافية في بغداد ـ عرجت معه جانباً واستطعنا ان نمسك بدجاجة وان نذبحها ونسلقها في الماء، لكن رغم الجوع الذي نعاني منه شعرنا بصعوبه اكلها واستذواقها لخلوها من الملح ولم يتوفر لدينا الخبز لنأكله معها، فأكلنا بعضاً منها فحسب.

كانت عدة صعوبات تعتري طريق العودة منها احتمال التصادم مع قوات السلطة المرابطة في المنطقة والتحاشي قدر الأمكان من احتمالية التصادم، كما كان خطورة الطريق واحتمال زرع الألغام في الطرق والمسالك التي يحتمل ان نسلكها في العودة الى المنطقة، وعلينا ان

نستغل ساعات الليل في قطع اكبر مسافة ممكنة، وهذا الوضع اسفر عن تعب وإرهاق شديدين خاصة مع معدة خاوية. في هذه المرحلة من عمري عرفت ما معني الجوع، كيف يتضور الأنسان جوعاً دون ان يجد ما يأكله، وأتذكر بأننا أكلنا بعض الحشائش، لكنها لا يمكن ان تسد الرمق خصوصاً ونحن بحركة دائبة نحتاج الى المزيد من الغذاء والطاقة، لكن اصبحنا نحلم بالخبز اليابس دون ان نعثر عليه.

كانت المعضلة الأهم في كيفية الحصول على الأرزاق من قرى خاوية لا يسكنها بشر وإن حصلنا عليها من مناطق بعيدة ثمة صعوبات النقل، وهكذا اعتبرت الرجوع الى المنطقة مهمة خطيرة، لكن لا بد من خوضها، ولا بد ان اشير الى صعوبة كانت في غاية الأهمية حيث ان التعب كان يتخلله النعاس الذي لا يستطيع الأنسان من مقاومته، ربما يكون هنالك مناقشة لأمكانية مقاومة العطش والجوع لفترة، لكن سلطان النوم يبقى شاهراً سيفه للتغلب على اقوي الأبطال، إنه سلطان لا يرحم احداً الكل يخضع له دون مقاومة.

في تلك المسالك والشعب الجبلية الوعرة، ونحن في غمرة الحركة والسير حثيثاً، كانت هنالك فترات قصيرة للاستراحة، وبعد ان ننهض ونسير لمسافة نكتشف بأن اثنان او ثلاثة او اكثر قد تأخروا وبعد لأي نعود الى المكان الذي اخذنا فيه قسطاً من الراحة نسمع شخيرهم العالي، وباتت هذه مشكلة نعاني منها كلما اتيح لنا استراحة قصيرة لألتقاط الأنفاس.

وبعد مناقشة حول هذه المشكلة تم تقسيمنا الى مجموعات صغيرة من اربعة مقاتلين يرأسهم مقاتل خامس يكون مسؤولاً عن ايقاظهم بعد معاودة السير، لكن المشكلة تفاقمت حينما كانت المجموعة بكاملها تنام ولا تعلم برحيلنا. المهم بعد هذه الرحلة المضنية تمكنا من الوصول الى المنطقة.

حين وصولنا الى منطقة قريبة من باعذري واتصلنا بتحسين بك امير اليزيدية طالبين بعض المواد الغذائية والعتاد، ويبدو انه كان ثمة توصية من حسو ميرخان بهذا الخصوص.

كنا نحاول ان يكون قدومنا الى المنطقة طي الكتمان ليتسني لنا التقاط الأنفاس وترتيب مشكلة الأرزاق، أتذكر توجهنا انا وصباح ليلاً الى دير السيدة لنطلب بعض ارغفة الخبز وكان الظلام حالكاً، وطرقنا الباب الرئيسية فسمعنا الراهب (أخونا ساوا) يسال عن هويتنا وماذا نريد؟

فتكلمنا اللسان الكلداني، وقلنا نحن جيا ع ونطلب خبزاً نسد به رمقنا، فقال عليكم التوجه خلف الدير وهناك يمكن التكلم معكم، إذ لا نستطيع فتح الباب فالقوات الحكومية المتمركزة في القوش وضواحيها مستعدة لاطلاق النار على أي مصدر للصوت او لحركة تكتشفها، فتوجهنا بسرعة الى الجهة الشرقية خلف الدير وفتحوا كوة صغيرة في اعلى الحائط ومنها

استلمنا ارغفة خبز الدير المعروفة بطعمها اللذيذ، وطلبنا منهم حتى الخبز اليابس فكانت كمية لا بأس بها، وبينما نحن عاكفون على سد رمقنا من الخبز ونهيأ للسير نحو دير الربان هرمز حيث رفاقنا، سمعنا صوت الراهب {أخونا ساوا} يدعونا ويقول لنا هل تريدون قليل من التمر (قصبي)؟ في الحقيقة كان السؤال ليس في محله، لكن مع هذا اجبنا الراهب:

أجل ايها الراهب الكريم اعطنا ما عندك، فكان لنا ما نستطيع حمله من الخبز والتمر، إنها سعادة ما بعدها سعادة، حسبنا حبات التمر وقسمناها على عدد الرفاق فكانت حصة كل شخص ٦ تمرات ولا اخفي سراً على القارئ الكريم أننا في الطريق اكلنا ضعف هذا العدد إن لم يكن أضعافه.

الهجوم على مركز شرطة القوش وتداعياته

في إحدى جولاتنا في المنطقة كانت فرصة سانحة ان نرتاح قليلاً في قرية بوزان القريبة من القوش ويبدو ان قيادتنا المتمثلة في توما توماس وهرمز ملك جكو قد قررا الهجوم على مركز شرطة القوش، وعرفنا بذلك في آخر لحظة حينما مكثنا لفترة في الوادي النازل من كَلي (برسملي) بالقرب من (دركوشياثا = المهود)، وهو وادى واسع وعميق، الى ان خيّم الظلام فاتجهنا نحو القوش وكان الهدف ضرب مركز الشرطة في القوش والأستيلاء علي السلاح الذي فيه، إنها عملية لاثبات الوجود واسماع صوتنا لنقول للسلطات الحكومية (نحن هنا). كان ذلك ليلة ٢٦ ـ ٢٧ من تشرين الثاني سنة ١٩٦٣

تم تطويق المركز من كل الجهات ولكن الهجوم تركز علي البوابة الرئيسية وعرفنا بعد ذلك، ان عابد جمعة* (توفي عابد جمعة سنة ٢٠٠٩ في كندا، وكتبت مقالاً لمناسبة وفاته، وهو منشور في نهاية هذا الفصل). قد وجه كلمة عبر مكبرة صوت الى المركز يدعو من بداخلها الى الأستسلام وجاء في كلمته:

أيتها الشرطة الوطنية، سلموا انفسكم للثوار، وسنضمن لكم حياتكم.

كانت هذه فرصة لهم لاحكام غلق الباب الرئيسي ووضع أكياس الرمل خلفه، وفور انتهاء عابد جمعة من كلمته كان وابلاً من الرصاص ينطلق من المركز.

سأترك الحديث عن المركز وأعود الى بيت مدير الناحية الذي كلفت مع صباح ياقو بالقبض علي مدير الناحية سيروان الجاف، وهو من أهالي السليمانية والذي سيترقى بالوظيفة الحكومية الى محافظ السليمانية ومن ثم الى رئيس المجلس التنفيذي لاقليم كردستان.

كانت داره ليست بعيدة عن مركز الشرطة وهو يسكن اول بيت من البيوت الحكومية الى الشمال الشرقي من مدينة القوش وآثرنا ان نتسلق من السطح ومنه ولجنا الى الدار بسهولة،

لكن فوجئنا بأن البيت كان فارغاً من ساكنيه ولم نعبث بآثاث البيت سوى أنني أخذت (لفاحة) تقيني من البرد كما اخذت المحجن وهي العصا المعكوفة في نهايتها (كوبالا بالكردي والكلداني) وقد فرحت بها لانها كانت كالتي يحملها هرمز ملك جكو.

انتقلنا انا وصباح الى مركز الشرطة واتخذنا مواقعنا في الجهة المقابلة للباب الرئيسي.

لقد كان الوقت يمضي بسرعة،دون إنجاز اية نتائج تذكر، وللامانة معظم الآلاقشة وأنا واحد منهم، لم يكن يسعدنا الأستيلاء على المركز، لكن مع ذلك كنا نؤدي واجبنا.

لقد كان ثمة عدة عوامل تحول دون إنجاز المهمة، اولاً الأسلحة التي نحملها كانت خفيفة ليس لها مفعول على البنيان، وثانياً الساحة المكشوفة امام الباب كانت هدفاً مكشوفاً لمن يتحصن في بناية المركز، ومع هذا افلح ثوارنا في الوصول الى الباب لكن ذلك لم يجدي نفعاً، وثالثاً وهو الأهم كان مدير الناحية وضابط الشرطة والشرطة جميعهم داخل المركز ولهم اكداس من الأسلحة وهم يعلمون أن علينا الأنسحاب في الصباح الباكر حيث تبدأ الطائرات العسكرية بقصف المنطقة، كما ان عتادتنا أخذ يتناقص بسرعة وهكذا حينما عبرت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كان القرار مع الأنسحاب، واستشهد احد المسلحين من جماعة هرمز، وقتل عريفاً للشرطة داخل سيارة واقفة في الساحة المكشوفة حيث كانت تتعرض الى وابل من الرصاص من الطرفين.

بعد الأنسحاب ونحن نسير في سوق القوش حاول بعد مقاتلي هرمز كسر اقفال الدكاكين لكننا نحن الألاقشة تدخلنا واحتدم التلاسن بيننا، لكن هرمز ملك جكو تدخل في الوقت المناسب، ولكن يبدو ان بعض التجاوزات حدثت ولم نعرف بذلك في وقتها، وفي خارج القوش اخذنا قسطاً من الراحة منتظرين من تخلف في القوش، وبعد ذلك اتجهنا نحو الجبل باتجاه قرية سينا القريبة من قرية شيخ خدر، والقريتان تقعان عند سفح جبل دهوك، إذ كان علينا ان نقطع (الدشت) السهل المحصور بين جبل القوش وجبل دهوك قبل شروق الشمس لتحاشي احتمال وصول الطائرات العسكرية ونحن في السهل المكشوف.

كانت قرية سينا مهجورة ما خلا بعض الرعاة وبعض العوائل المهم أخذنا قسطاً من الراحة بعد مشوار طويل من التعب والسهر.

بعد يومين نزلت الى القوش مع يوسف زرا ولم نمكث سوى فترة قصيرة في بيت كنّا بلو وهو خالي وزوج أخت يوسف زرا وخرجنا من القوش من جهة الغرب من محلة سينا، فاتجهنا نحو الجبل ونحن نسير على المهل ولم نكن في عجلة من أمرنا ونحن نتجه نحو قرية سينا، وبعد ان تسلقنا جبل القوش ووصلنا الى القمة، جلسنا قليلاً لنأخذ قسطاً من الراحة، وكانت الساعة حوالي الثامنة مساءً حينما لمحنا من جهة الغرب على طريق دهوك والي جنوب جسر

آلوكا قليلاً كانت هناك ومضات إطلاقات نارية وأضوئة سيارات وتقطع صمت الليل وتصل اسماعنا بوضوح اصوات بعيدة لرشقات لأطلاق النار من الأسلحة الرشاشة.



من اليمن صباح توماس من اليسار كاتب هذه السطور (حبيب تومي)

قال لي يوسف:

اعتقد هنالك معركة تدور رحاها في هذا المكان، وإن كنا نعرف حق اليقين ان احد اطرافها هو الجيش فمن يكون الطرف المقابل؟ إن كان هنالك عملية عسكرية يخوضها مسلحونا لما سمح لنا توما توماس بالتوجه الى القوش، ومن جانب آخر لم نكن في وضع خوض معركة ولا زلنا نعاني من نقص العتاد بعد معركة مركز القوش التي لم تسفر عن نتائج سوي خسارة في العتاد.

المهم كان علينا ان نسرع نحو المقر في سينا لنستعلم عما يجري علي الطريق العام بين دهوك والموصل، والمكان ساحة مكشوفة لا تكتنفها تضاريس يستفيد منها المقاتل للتواري والأختفاء عن العدو الذي يملك الدبابة والمدرعة.

وصلنا الى المقر في سينا حوالي الساعة العاشرة والنصف ليلاً ونحن نعاني من الأرهاق والتعب وكان هنالك ضجة وحركة دائبة، والخبر يقول ان هرمز ملك جكو قد استشهد، نزل علينا الخبر كالصاعقة.

إذن صدق حدسنا وكانت تلك الاضاءات والومضات وأصوات إطلاقات ناجمة عن معركة تدور رحاها في ذلك الموضع الذي استشرفنا عليه من إحدي قمم جبل القوش قبل اكثر من ساعتين.

التاريخ كان ليلة ٣٠ ـ ٠١ / ١١ / ١٩٦٣ بعد العاشرة ليلاً ورغم وصولي تواً من القوش بادرت الى الأنضمام الى المفرزة الكبيرة التي تهيأت للذهاب الى الموضع لجلب جثامين الشهداء، واخذنا معنا عدة بغال حيث لم نكن نعرف عدد المقتولين لكن نعرف ان هرمز ملك جكو هو احدهم.

الخطورة كانت تكمن بأن يكون هنالك كميناً مبيتاً بالقرب من الجثامين او في طريقنا نحوها، ولهذا كانت المفرزة كبيرة وعلى رأسها توما توماس. لم تكن المسافة طويلة بين القرية

وبين الموضع الذي حدثت فيه المعركة حيث كانت الى الجنوب قليلاً من جسر الوكا.

المهم وصلنا الموقع دون ان يكون هنالك أي كمين. وكانت الجثث قريبة من الشارع بحوالي خمسين متراً وأبعدها عن الشارع كانت جثة المرحوم هرمز ملك جكو. وكانت هنالك خمسة جثامين أخرى أقرب واحدة الى الشارع كانت جثة المرحوم حنا عقراوي، وكنت انا شخصياً في حيرة من أمري إذ اعتقدت ان صديقي جميل بولص (بوّي) هو بين المقتولين إذ لم يعد الى القاعدة وهو من ضمن المفرزة التي رافقت هرمز ملك جكو، وحاولت ان ابتعد أكثر ربما اعثر عليه ولكن توما ناداني وأمر بضرورة العودة والأسراع في ترك المكان، لخطورة المنطقة.

كانت لدينا قناعة ان الجيش لا يغادر مواقعة في الليل إن كان في المعسكر او في الربية، وهذا الأعتقاد لدينا كان يمنحنا شئ من حرية التحرك ليلاً، وهذا ما كان يؤمن به هرمز ملك جكو، وحينما اتجه ليعترض الطريق كانت الشمس في طريقها الى المغيب، وكمن على الطريق معتقداً ان من يقع في هذا الكمين سوف لا يصله الدعم العسكري، لأن الجنود لا يغادرون اماكنهم وقت الظلام.

لكن الذي حدث ان إحدى السيارات المدنية قد افلتت وشقت طريقها نحو دهوك لتخبر معسكر آلوكا الذي يبتعد بضعة كيلومترات عن موضع الكمين على الطريق العام، وفي هذا المعسكر كان هنالك وحدات من الجيش السوري، حيث كان يعسكر لواء اليرموك السوري ومنه تحركت المدرعات وناقلات الجنود الى منطقة الكمين وباغتوا المقاتلين، ولتنشب معركة غير متكافئة في الرجال والسلاح وعلى مسرح مساحة مكشوفة، فكان من وصل الى وادي قريب ميمماً شطر جبل دهوك، قد تخلص من الرصاص المدرعات ونفذ بجلده، أما من تبقى على المساحة المكشوفة وهرمز واحد منهم، فكان مصيره تحت وابل رصاص المدرعات، ومن المؤكد ان الجيش السوري لم يكن يعلم ان هرمز ملك جكو بين المقتولين، وكان من امر القوة المهاجمة الأكتفاء بإطلاق سراح أسراهم لنقلهم الى المعسكر وقد خيم الظلام على المنطقة ولم يكن ثمة متسع من الوقت لفحص الجثث.

حملنا جثامين الشهداء على ظهور الدواب وكل اثنين من الأنصار انيطت بهم جثة شهيد واحد، وكنت مع صباح ياقو نهتم بإيصال جثمان هرمز ملك جكو الى قرية سينا، وهنالك واريناهم الثرى، وبعد مدة نقلت رفاتهم الى دير الربان هرمز، وبعد فترة نقلت رفاة هرمز ملك جكو الى مسقط رأسه قرية كري كافانا.

ومن تداعيات العملية ايضاً علمنا ان احد افراد البيشمركه قد وقع في اسر القوات الحكومية ليعدم بعد أيام وتعلق جثته علي الطريق العام في نفس موضع الكمين.

اما جميل بولص (بوّي) فقصته تختلف وعرفنا تفاصيلها بعد ان عاد الى المقر بعد حوالي

اكثر من شهر. وعرفنا انه كان يرافق بعض الأسري تمكنوا من الأفلات منه. وتسلق الجبل الى ان وصل الى القمة حيث لمح بعض الأضواء من جهة دهوك ورجّح ان تكون هذه الأضواء من القوش فنزل عكس الأتجاه الى ان وصل الى السهل وتسلق الجبل الآخر ودخل في كلي بيندوايا وكانت الشمس قد بزغت فاتضح له موقعه بشكل صحيح واتجه صوب قرية بيندوايا المهجورة، وهو لا يتجرؤ للعودة الى المقر خوفاً من محاسبته عن هروب الجنود الأسري منه، ومكث عدة ايام بهذه القرية.

المفارقة في هذا الشأن إذ بعد يومين من الحادث كنت من ضمن مفرزة متجهة من سينا الى قرية حطارا، في الحقيقة لا ادري ماذا كان هدف المفرزة، المهم مررنا في طريقنا بقرب قرية بيندوايا وشاهدنا دخان يتصاعد من كوة احد البيوت واعتقدنا ان صاحب البيت هو الذي يشعل نار، لكن سوف نعرف فيما بعد ان مقاتلنا جميل هو الذي كان يوقد النار يصطلي من البرد.

ونستمر بقصة جميل بولص الذي نحسبه قد أسر واتصلنا بوالدته في القوش حيث كانت تعيش في البيت لوحدها بعد مقتل زوجها بيد الحرس القومي، وبعد التحق ابنها معنا. نقلنا لها الخبر ونبدي لها اسفنا حيث لا نعرف شيئاً عن مصيره وكيف اختفى. فالغريب في الأمر ان امه تقبلت كلامنا دون اكتراث، ونحن اصابتنا الدهشة كيف تقابل الأم بهذا البرود مصير ابنها؟

وبعدما خرجنا من عندها بتفسير يقول يقضي بانها اصيبت بخلل عقلي. ولكن بعد مضئ تبخرت توقعاتنا إذ علمنا ان جميل كان يختفى في البيت مع بندقيته وهو يطلب ان نستصحبه الى المقر بأقرب فرصة ممكنة.

إن العملية التي اودت بحياة هرمز ملك جكو وعدداً من المقاتلين كانت تفتقر الى التخطيط والأعداد لها قبل تنفيذها يقول توما توماس في مذكراته الحلقة الخامسة:

بعد ثلاثة أيام من الهجوم على مركز القوش كنت عائداً من مفرزة صغيرة من قرية خربة صالح، البعيدة ست ساعات عن سينا، وفي نيتي أخذ قسط من الراحة، وإذا به (هرمز) يبادر بطلب مساعدته بثمانية من الأنصار لمرافقته الى جبل دهوك تمهيداً لاستطلاع اتفقنا على القيام به لاحقاً ويضيف توما:

لم أكن مطمئناً لهذا الطلب بسبب الوضع النفسي الذي يمر به إضافة لاصابته بالأنفلونزا، وأبديت له قلقي، مذكراً بأن موعد الأستطلاع غداً وليس اليوم، والمفترض ان نكون معاً، فأكد بأنه لن يذهب الى أي مكان سوي جبل دهوك فقط. في العاشرة ليلاً وصل اثنان من البيشمركة ليخبراني بنبأ الكارثة..

لقد تبين ان هرمز لم يذهب الى الجبل إنما توجه الى الشارع العام بين الموصل ودهوك ونصب كميناً في موضع يبعد ٥ كيلومتر عن معسكر آلوكا.. وقعت في الكمين ٣ سيارات زيل كبيرة وعلى متنها حوالي ٤٠ جندياً عائدين من إجازاتهم، وتمت مباغتتهم فأسر الجنود وجردوا من السلاح، وانشغل بعض البيشمركه بحمولة سيارة كانت فيها مواد غذائية الحانوت، وتم إبلاغ معسكر آلوكا من قبل سيارة اجرة تملصت من الكمين، فكانت مباغتة هرمز ورجاله وهم لم يبتعدوا كثيراً عن السيارات، ورأيت ان صدر هرمز ملك جكو تخترقة عدة رصاصات. في هذه الأثناء تمكن معظم الأسرى من الهروب ولم يصل منهم الى مقرنا في سينا سوى نائب ضابط وجنديين.

لقد انتهت اسطورة هرمز ملك جكو رغم انها قصيرة لكنها كانت حافلة بالأحداث. ان الثورة الكوردية لم تنس رجالاتها فأكرمت هرمز ملكو بإقامة نصب تذكاري له.

المقابلة مع ملا مصطفى البارزاني في رانية عام ١٩٦٤

بعد نجاح انقلاب عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ على حلفائه البعثيين، عمل بنصيحة عبد الناصر بضرورة حل المشكلة الكردية عن طريق التفاوض، ومن جهته البارزاني أيضاً تلقى نصيحة من جهات دولية كالأتحاد السوفياتي وأمريكا ومصر تحثه الى الدخول في مفاوضات مع الحكومة العراقية، أي كانت ثمة مصلحة مشتركة، دولية وعربية وأقليمية، تقضي بأن يسود السلام والأستقرار في هذه المنطقة وفعلاً تمت تلك المفاوضات وأسفرت عن وقف إطلاق النار في اواسط عام ١٩٦٤م.

من جهتنا نحن تركنا مواقعنا في الجبل ونزلنا الى القوش واتخذنا مار قرداغ كمقر لمن ليس له مسكن في القوش.

واتذكر في هذه الفترة اصبت ربما بمرض الملاريا حيث ارتفعت درجة حرارة جسمي الى حوالي ٤٠ درجة مئوية وقد كان للدكتور حنا زلفا الفضل الكبير في شفائي، حيث وصلت درجة حرارتي الى درجة فقدت معها السيطرة على الكلام وأصبحت اهذي بكلام لا معنى له، لقد نصح الدكتور حنا بعمل كمادات من ماء بارد ووضع قالب ثلج ملاصقاً لجسمي ولا ادري نوعية الأبر التي حقنها في العضلة، المهم انقذني من حالة مرضية خطيرة.

في تلك المرحلة من المفاوضات كنا نقضي وقتاً طويلاً في القهوة (جايخانة) في القوش، ورأيت مع بعض الزملاء ان نكمل دراستنا ما دام القتال قد توقف والوقت يمضي بشكل رتيب دون عمل. هكذا اتفقت مع صباح ياقو وكوريال بلو بالتوجه الى مقر مصطفى البارزاني لنطلب منه إرسالنا الى إحدى الدول لأكمال الدراسة إذا استمرت ظروف السلم لاسيما ونحن

كنا في السنة الأخيرة من الدراسة الثانوية.

كان صديقنا حبيب كجوجة المعروف بـ (حبيب مكّوكي) وكان ان استشهد بقصف من طائرة حيث كان يسوق تراكتور زراعي (لم يسمع صوت الطائرة ليختفي)، كان حبيب يرتبط بعلاقات طيبة مع عائلة البارزاني حيث كان في سجن واحد مع الشيخ احمد البارزاني، وكان يقدم له بعض الخدمات وهما في السجن، فكان حبيب معروف في عائلة البارزاني وله عندهم كلمة مسموعة، وهكذا زودنا حبيب برسالة من عنده لمساعدتنا من بارزان للوصول الى القائد ملا مصطفى البارزاني في رانية.

بالرغم من وقف إطلاق النار وإجراء المفاوضات، إلا اننا رأينا من الأسلم ان ننطلق عن الطريق الجبلي للوصول الى بارزان ومن هنالك الى رانية، والسبب الأخر لسولكنا طريق المشي كان افتقارنا الى المال لندفعه لأجور السفر بالسيارة فكان الأتفاق على القيام بهذه السفرة الطويلة.

في الصباح الباكر خرجنا (إن تفاصيل هذه السفرة من بعض المذكرات التي احتفظت بها، كما اتصلت هاتفياً مع الصديق صباح توماس وهو في السويد، وقابلت الصديق كوريال بلو في القوش، وهو يحتفظ بذكريات وتفاصيل كثيرة عن السفرة) من القوش، وجهتنا نحو دير الربان هرمز لنتسلق قمته وهي اعلى قمة في جبل القوش (بركَارا: Bargara)، وكنا صباح توماس وكوريال بلو وأنا، وعلى القمة جلسنا نرتاح قليلاً، وحينما أردت تشغيل جهاز الراديو الصغير (الترانزستر) تبين انني قد نسيته في البيت، وهكذا تعين على ان اعود الى القوش وآخذ الراديو الصغير لأنه مصدر اتصالنا بأخبار العراق والعالم ونحن في ترحالنا في الوديان والجبال، وهكذا قفلت راجعاً الى القوش واخذت جهاز الراديو وعدت الى قمة الجبل التي ينتظر بها زميليّ، وحال وصولي عندهم عاودنا السير فلم يكن للتعب وجود في قاموسي. اليوم افكر بقوة الشباب وإرادتهم، ربما اليوم يعتبر من الصعوبات الجمة وربما من المحال ان اتوجه من القوش الى ذروة الجبل فوق دير الربان هرمز، ومن ثم العودة الى القوش ثم بلوغ قمة الجبل ثانية ولمواصلة السير دون توقف، وهكذا نكرر دائماً:

ليت الشباب يوماً يعود   لأخبره بما فعل المشيب

بعد انحدارنا من جبل القوش جلسنا قرب مجرى غدير ماء افترشنا الأرض وبدأنا نزدرد لقمة على عجل، وطفقنا نغذي السير حتى وصلنا كلي رمان وسرنا بالقرب من بيرفكان، ومنها وصلنا الى قرية (نور الدين آوا) وبعدها واكبنا السير الى ان وصلنا اتروش وقت الظهيرة، وموقعها الى الشمال الشرقي من القوش، وكان يمكن اختصار الطريق بركوب السيارة الى

عين سفني ومنها الى اتروش، لكن نحن فضلنا قطع الطريق سيراً علي الأقدام، ونحن بكامل سلاحنا.

أتروش مركز ناحية ويحيط بها طبيعة جميلة تغلب عليها اشجار الصنوبر وتمتاز بجوها النقي وهوائها العليل وهي تعتبر مصحاً لمن يعاني مرض السل.

تغدينا في أتروش، لنكمل المسير نحو قرية ميلبركي حيث وصلناها مساءً لكن وجهتنا كانت قرية كانيكا حيث كان لكوريال احد اصدقائه (دوست) واسمه محمد وقد وصلنا الى القرية والشمس تودعنا لتغيب في خدرها.

في صباح اليوم التالي غادرنا قرية كانيكا الجميلة باتجاه قرية بيركات وهي قرية تقع الى الشمال الشرقي من اتروش وسكانها من البرواريين وسبق لنا المجئ الى هذه القرية يوم اصبحت مقراً لحسو ميرخان فترة وجيزة. وبعد استراحة قصيرة في هذه القرية مررنا بقريتين صغيرتين وهما قرية موسلكة وكندكي رمي، وفي كل قرية من القريتين حوالي عشرة بيوت. بعد مسيرة لساعات طوال وصلنا الى قرية ربدكي بعدها الى قرية بلمند والقريتان مع قري اخرى مثل هيزان وخليلان وجولي وكشكاوا ودفريي وجمسني، تشكل مجموعة قرى آثورية في منطقة نهلة وهو سهل خلف جبل عقرة ويقطعه نهر الخازر الجارف ويتميز بمياهه الباردة.

بتنا ليلتنا في قرية بلمند لندخل في اليوم التالي في منطقة الزيبار، في الصباح وصلنا الى قرية شاهيا نعمان آغا الزيباري ومنها الى قرية جاربوتي ومنها الى قرية هنري القريبة من نهر الزاب الأعلي.

تقع على مبعدة ٥٠٠ متر من هذه القرية عبارة تنزلق على حبل مثبت على طرفي النهر وهي تتسع لعشرة اشخاص مع اربعة بغال مع حمولتهم. قطعنا نهر الزاب لنغدو في السهل المنبسط امام بارزان، وكان علينا ان ندخل في بلي وجلسنا في قهوة لنشرب الشاي وكان بعضهم يشرب الشاي بالقرب منا وذهلت عن كمية السكر التي توضع في (استكان) الشاي، حيث يشغل السكر ما يقارب النصف من حجم الاستكان. المهم بعد استراحة قصيرة توجهنا نحو بارزان.

مكثنا ثلاثة ايام في بارزان حيث سلمنا رسالة من صديقنا حبيب الى الشيخ عثمان نجل الشيخ احمد والذي زودنا برسالة الى ملا مصطفى البارزاني يطلب فيها مساعدتنا في مطلبنا.

كانت البداية في القسم الثاني من سفرنا بالتوجه نحو قرية ريزان الواقعة الى شرق نهر

الخازر والي الجنوب الشرقي من بارزان وكان علي النهر جسر ريزان الذي كان قد قصف من قبل الطائرات العراقية، فتعذر عبور السيارات عليه لكن الأفراد كان متاحاً لهم عبوره.

كان لقمان نجل ملا مصطفى يقيم في هذه القرية، وكان له هواية الصيد فكان يربي كلاب ضخمة يستخدمها في صيد الخنازير، ومكثنا عند لقمان ثلاثة ايام كنا ننتظر فيها قدوم سيارة لاندكروز حجم صغير، فركبنا السيارة مع رسالة منه اليشخص اسمه (أحمد شاباز) في قرية خليفان الواقعة قرب فتحة كلي علي بك، ومكثنا ليلة واحدة، وفي اليوم التالي واصلنا السير نحو الجنوب الغربي متجهين نحو قرية باليسان الواقعة على اخدود طويل يربط بين خليفان وبيتواته عبر باليسان، وفي قرية باليسان بتنا ليلتنا في مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني، وشاهدنا هنالك ذئباً مربوطاً قيل لنا انه ذئب أليف.

في طريق من باليسان الى بيتواتة أرسلوا معنا دليل وهو شاب في مقتبل العمر، وكان يمشي سريعاً لم نستطيع اللحاق به، وهنا اوقفه صباح وقال له قف بصفي ولنتسابق انا وانت في الركض، ثم أضاف: نحن نسير من قرية أخرى ولسنا في سباق الماراثون، فشرع الرجل يمشي بسرعة معتدلة ثم لم يلبث بعد حين ان عاود مشيته السريعة، وحاولنا ان نسير معه الى ان وصلنا الى كلي بيتواته حيث مقر علي شعبان البارزاني وهو قائد كردي معروف، مكثنا ليلة في هذا المقر، وفي صباح اليوم التالي أوسلنا مع جماعة لهم سيارتين لاندلوفر الى مقر ملا مصطفى البارزاني في (ديري وسر كبكان) الواقع في جبل رانية شمالاً.

حين وصولنا اليالمقر استقبلنا شخص اسمه ملا حسن ملا شريف قيل لنا انه رئيس مرافقي ملا مصطفى البارزاني وسلمنا له الرسالة التي نحملها من الشيخ عثمان، فأعطاها بدوره لأدريس البارزاني[5] وكان شاباً في مقتبل العمر حيث يبلغ من العمر حوالي عشرين سنة، وقام بدوره بإدخال الرسالة لوالده ملا مصطفى.

بعد تناولنا طعام الغذاء خرجت انا وصباح وكوريال الى الساحة المجاورة كان زيّنا الكردي البهديناني المتكون من (الشال والشبوك) المصنوعة من النسيج المحاك يدوياً، وهي متميزة من بين الجموع التي كانت ترتدي في الغالب ملابس البيشمركة المصنوعة من قماش الخاكي المعروف. في هذه الأثناء وعلى حين غرة ظهر بين الجموع رجلاً مربوع القامة يسير بخطوات وئيدة وبقامته المستقيمة، إنه الملا مصطفى البارزاني بملابسه الكردية المتميزة ولفافة الرأس الحمراء والبيضاء المتكونة من قطعتين والملفوفة على الطريقة البارزانية المتميزة. كان يتمنطق بحزام (رخت لحفظ الطلقات)، وقد تدلى من جانبه الأيسر مسدس، كما وضع الخنجر بين جسمه وحزام القماش الذي يلف وسطه ولم يظهر من الخنجر سوى مقبضه، ولاحظت انه يلبس من احذية المطاط السوداء التي كنا نلبسها ويلبسها كل أفراد البيشمركَه، كما انه قد



إدريس البارزاني { ١٩٤٤ ـ ٣١ / ٠١ / ١٩٨٩ }

كف مؤخرة سرواله في الجوربين الصوفيين الطويلين (كَروي ساقي: الجورب الصوفي الطويل المحاك يدوياً). وكان يسير بخطوات بطيئة لكنها واثقة، وكان محاطاً ببعض الحراس حاملين رشاشات كلاشنكوف الروسية، ومر بالقرب منا وتوقف قليلاً وسألنا بعد السلام:

من اين قدمتم؟

فقلنا له من القوش.

رحب بقدومنا وقال لنا أذهبوا الى رانيا وسجلوا أسماءكم لدي مدير المكتب ليرتب لكم موعداً للمقابلة.

كنت اسمع عن اسم ملا مصطفى البارزاني في مناسبات وفي سياق الحديث عن الثورة الكردية ومستقبلها، وعن حصول المفاوضات او استئناف القتال، ولم يتسنى لي قراءة كتب او نشرات تشير الى البارزاني باستثناء ما يطرق سمعي في سياقات تلك الأحاديث التي نتناولها بيننا.

في رانيا التقينا بمخابر اللاسلكي للمكتب السياسي لحزب البارت واسمه كليانا موسي طعان من القوش، ولا أحد من القوش او من الحكومة يدري بالتحاق هذا الرجل العسكري بالثورة الكردية، في حين ان اسمائنا كانت في لوائح المطلوبين للحكومة وكلما حدثت معركة او حادث في المنطقة ـ تطرح اسماءنا كمتهمين ومطلوبين في ذلك الحادث حتى لو كنا خارج منطقة الحادث فأسماؤنا مطروحة مع المتهمين.

أثناء انتظارنا في رانية صادف قدوم توما توماس والدكتور حنا زلفا وسعيد موقا، وهكذا

رتبت لنا مقابلة برفقة توما توماس، وكان ذلك في الساعة العاشرة ليلاً لتستمر المقابلة حتى الواحدة بعد منتصف الليل.

كان البارزاني يتحدث معنا بلغة هي أقرب الى العربية الفصحى، وكان يركز على سمعة الثورة وعلى مدى تاثير الأنشقاق على مسار الثورة، وطرح توما توماس بعض المشاكل التي تعترض عمله وكان البارزاني يصغي بانتباه منها طلبه بعض الدعم المادي.

بعد ذلك طرحنا موضوع الدراسة إذا ما استمرت المفاوضات واستقرت الأوضا ع فنطلب من قيادة الثورة ان تسمح لنا بمواصلة الدراسة، أما إذا كان استئناف القتال قريباً فنحن على أهبة الأستعداد لمواصلة العمل العسكري.

أجابنا البارزاني بأنه يريد لولديه مسعود وأدريس ولنا نحن ايضاً ابناء الثورة، يريد لنا جميعاً مواصلة الدراسة وإن الثورة هي بحاجة الى كوادر واصحاب شهادات، لكن في الوقت الحاضر فإن الكفاح المسلح هو المطلوب ولا يمكن تأجيله، وعلينا الأستعداد للمعارك القادمة وعلينا زيادة صفوف الرصاص التي نحملها. قلل من احتمالية نجاح المفاوضات ورجح ان يستأنف القتال في ظل وقف القتال الهش الذي كان كل طرف فيه يحاول التقاط الأنفاس لمعاودة القتال.وإن لكل ذي نظر يرى استئناف القتال يلوح في الأفق القريب.

رجعنا من رانية بالسيارة مع توما توماس الى بارزان ومن هنالك اتجهنا نحو القوش، إن هذه السفرة بقيت تفاصيل كثيرة منها في مخيلتي وليس الى نسيانها سبيل.

استئناف القتال وعودتنا الى الجبل

يحضرني الموقف حين توتر العلاقات بين قيادة الثورة الكوردية والحكومة، وكان قرارنا بمغادرة القوش واللجوء الى الجبل وكان ما قمنا به قبل مغادرة القوش، أخذنا اربع بنادق تابعة لنقطة تفتيش للشرطة في جنوب البلدة، مع بعض العتاد، واتجهنا جميعاً الى دير الربان هرمز وكان برفقتنا لدى مغادرتنا القوش المقاتلين الأثوريين الذين اصبحو تحت قيادة مامي طليا (طليا شيبو). فحين استشهاد هرمز ملك جكو حل محله شاب آشوري من أقاربه اسمه ابرم، ولم يحصل أي تعاون بيننا حينما تسنّم ابرم المسؤولية لكن بعد ان اصبح طليا سيبو هو المسؤول بدلاً من هرمز ملك جكو عادت علاقاتنا وكان ذلك عام ١٩٦٤ قبل استئناف القتال، وأثبتت الأيام ان هذا الرجل (مامي طليا) دمث الأخلاق مخلصاً شجاعاً، ويسعى لتعزيز الأواصر بيننا ومن منطلقاً من مشتركات دينية، وبأنه ينتظرنا مصير واحد مشترك.

استؤنف القتال في ٥ نيسان ١٩٦٥ وكانت عمليات متقطعة تحدث في بعض المناطق،

وبحلول عام ١٩٦٦ صعدت الحكومة من عملياتها العسكرية، واشتدت هذه المعارك ولم يخفف من حدتها سوى حادث سقوط الطائرة المروحية التي كانت تقل رئيس الجمهورية عبد السلام عارف في ١٣ نيسان عام ١٩٦٦م.

في منطقتنا كان مسلحينا قد غادروا دير الربان هرمز باتجاه منطقة نهلة ويبدو ان الحكومة كانت تشن هجوماً في تلك المناطق، وما بقي عالقاً في ذهني أنني تاخرت في القوش من اللحاق بتوما توماس حين مغادرتهم المنطقة على ان نلحق بهم في اليوم التالي، وتأخر معي حميد برنو، واعتقد ان السبب كان الأستجابة لدعوى زفاف الصديق عبد جبرائيل رزوقي، وكان من ضمن المدعوين الكثير من قوات (الجتا) الأيزيدية وفي مقدمتهم كان فاروق سعيد بك وكان حينها رئيس (الجتا) الأيزيدية، وأتذكر انه كان معنا في المدرسة المتوسطة في القوش حينما دوامنا في بناية مدرسة شيشا المعروفة، ومذكرات توما توماس تبين انه كان ضد القوى اليسارية في المنطقة.

إن الأندفاع الثوري وأقول طيش الشباب اعتقدت ان بإمكاني الدفاع عن نفسي مهما بلغت المخاطر، حيث كان لي مسدس وأخذت مسدساً ثانياً من صديقي حميد برنو، وأعطيت له بندقيتي، على ان يحرسني من سطح بيتهم المقابل لبيت عبد جبرائيل رزوقي، وكنت اعتقد ان المسدسين كافيان للدفاع عن النفس، فانطلقت في الرقص كما اشاء، اليان انتهت الحفلة، وأنا اقف اليوم عاجزاً عن تفسير ذلك الأندفاع وتلك الثقة في النفس والتي كانت وراء القيام بتلك التصرفات اللامعقولة.

كانت هذه القوات (الجتا: والجتا تشير الى قوات غير نظامي نظامية والعامة تردد مصطلح عسكر جتا، ويقولون ايضاً: ضربها جتا اي لم يلتزم بالنظام المتبع) التي يطلق عليها اسم الجاش (تصحيف جيش) او الجحوش او قوات صلاح الدين او فصائل الأفواج الخفيفة، وقد آثرت ان أطلق على هذه القوات غير النظامية في هذا البحث اسم (الجتا) كما اشرت الى ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب.

كانت قوات (الجتا) تلعب دوراً فعالاً في مسار الثورة الكردية، باعتبارها قوات خفيفة سريعة الحركة ولها خبرة وإلمام جيد بتضاريس المنطقة وتكوينها الجغرافي، إضافة الى استيعابها للتكوين المجتمعي الكردي، وإيغالها واستثمارها للعلاقات العشائرية لتوظيفها في محاربة الثورة الكردية للابقاء على كاسب مادية وأخرى وظيفية ثمناً لموالاتها ودعمها للقوات الحكومية.

كانت هذه القوات تتباين في درجات تعاونها مع الحكومة منها ما كان يرتبط بعلاقات وثيقة

مع الحكومة على مدى عقود وربط هؤلاء مصيرهم مع القوات الحكومية، والسبب يعود الى علاقات عدائية تقليدية بينهم وبين البارزانيين، ومن هذه العشائر الزيباريين والريكانيين والسورجيين، إن مواقف هؤلاء ثابتة مع بعض الأستثناءات التي كانت تحدث في تحول الولاءات للثورة من قبل فخذ من الأفخاذ او مجموعة معينة من هذه العشيرة او تلك لتنتقل الى صفوف القوات الحكومية.

هنالك من العشائر الكردية من اتخذ طريق الحياد وفي وقتنا كان الشيخ محمد خالد ابن الشيخ احمد له قوة مسلحة قوامها مئات المسلحين تتعاون مع الحكومة للحفاظ على منطقة البارزان في منأى من العمليات العسكرية وقصف الطائرات الحكومية، ولم تلجأ هذه القوات الى محاربة قوات البيشمركَه، بل كانت تقدم بعض التسهيلات في تنقلاتهم في المنطقة، أضافة الى كسر طوق الحصار الأقتصادي المفروض على تلك المنطقة. والحكومة كانت تعلم بمجريات الأمور لكنها كانت تفضل ان تبقي هذه القوات محايدة بدلاً من انخراطها في معارك ضد قواتها.

الأستخبارات الحكومية لم تكن تنطلي عليها مثل تلك الصفقات، لكن لم يكن لها بديل، وبمرور الوقت دأبت الحكومة على تسريح هذه الأفواج من الخدمة وكان ذلك في مطاوي فترة اعلان الهدنة بعد عام ١٩٦٤ وكان ان التحق بعضهم بالثورة الكردية.

أخذت الأفواج الخفيفة التي لم تسرح تلعب نفس اللعبة بعد استئناف القتال في نيسان ١٩٦٥ فكان لها دوراً مزدوجاً في اعلان ولائها للحكومة، والأستفادة من المبالغ والأرزاق والأسلحة والأعتدة التي تغدقها الحكومة على هذه القوات مقابل قيامها بالأستيلاء على موقع او منطقة يحتلها البيشمركَه. ثمة مساومات تجري بين هذه القوات والبيشمركَه لاخلاء منطقة او موقع وفق سيناريو معد سلفاً. في القوش كان مثل هذا التفاهم قائماً بيننا وبين (جتا) الأيزيدية لاخلاء القوش لهم وكما قلت وفق سيناريو معد سلفاً ومدفوع الثمن.

هنالك من جهل او تجاهل هذه اللعبة، ولم يتقن فنونها او يكون قد احجم عن لعبتها، وكانت فصائل الأفواج الخفيفة التابعة للاثوري شيبا في منطقة عين سفني والتي كانت متفانية في خدمة الحكومة ولم يحاولوا مزاولة اللعبة والتفاهم مع الثورة، فكان مصيرهم الوقوع في كمين نصب لهم من قوات البيشمركَه العائدين لحسو ميرخان في منطقة الشيخان وتلك كانت نهايتهم حينما اغتيل شيبا في ذلك الكمين.

وفي هذا السياق فإن القوش لم تحسن اختيارها، فلم تشكل اية قوى تعلن موالاتها للحكومة ولو ظاهرياً، ولاشك ان هذه الحالة كانت ستعمل على درء كثير من الأخطار عن

القوش وإلى التخفيف من حدة السخط والضغط الحكومي عليها. حينما تطوع بعض الخيرين انطلاقاً من مصلحة البلدة الى التطوع بشكل انفرادي واستلموا بعض البنادق من الحكومة أسرع جماعة توما توماس، وأنا واحد منهم، الى مصادرة تلك البنادق.

مغادرة المنطقة والعودة اليها

كانت هنالك قوى لا يسعدها وجودنا في المنطقة، فكانت هذه القوى تبذل جهوداً لابعادنا عن منطقتنا والتي نحن مستعدين للدفاع عنها، في هذا السياق، اصبح موقفنا صعباً بعد نقل غازي حجي ملو من المنطقة الى منطقة السوران، حيث كان لألقوش علاقات تاريخية مع هذه العائلة، وجاء بدله هاشم الميروزي وهو مزوري ايضاً، وطلب منا هذا الرجل مغادرة المنطقة باعتبارها منطقته، ولكنه لم يصدر مثل هذه الأوامر الى جماعة طليا، ورغم الملاسنة التي حصلت في البداية بينه وبين توما توماس، فتفادياً للوقوع، ربما في شرك ما معد لنا، فغادرنا المنطقة متجهين نحو مقر حسو ميرخان، الذي حث توما توماس على التوجه نحو مقر ملا مصطفى البارزاني لشرح الموقف له.

في هذه الأثناء ونحن بعيدين عن المنطقة سمعنا ان هجوماً شنته القوات الحكومية على المنطقة وقتل فيها هاشم المزوري في منطقة اتروش، وفرغت المنطقة من البيشمركَه، وهجر الفلاحون قراهم مرة اخرى، وكان لابد من إملاء الفراغ الذي تركه انسحاب البيشمركَه منها، فكان القرار بعودتنا اليالمنطقة مع قوة حسو ميرخان.

يوم عودتنا الى المنطقة مررنا بقرية بيدا (Peda) المهجورة وقضينا فيها ليلة باردة نائمين على اسمال بالية، وقد تذكرت هذه الليلة لأنها كانت ليلة عيد رأس السنة الميلادية، والى اليوم كلما تحل ليلة عيد رأس السنة أتذكر تلك الليلة وأتذكر الجوع والبرد وتلك الأسمال البالية المرمية التي افترشناها علي الأرض وتدثرنا بها ايضاً، إنها ليلة من العمر ليس الينسيانها سبيل.

وفي قمة الجبل في المنطقة القريبة من بيدا تم توزيعنا على مواقع مواجهة للقوات الحكومية المعسكرة في السهل، وكان عتمة الليل مع اشتداد موجة البرد الذي تغلغل في اوصالنا، فلم يكن امامنا سوى ان نلجأ الى إشعال النار لكي نصطلي به من البرد فالموت بمدفع العدو أشرف من الموت برداً.

بعد أيام كانت وجهتنا جبل القوش، وما احلى الرجوع اليه، لقد حطينا رحالنا في موضع من كرم العنب العائد لدير الربان هرمز الكائن خلف الجبل مقراً لنا، كان ثمة صهريج لخزن مياه الأمطار اتخذناه كمصدراً لمياه الشرب والطبخ.

بعد ايام في المنطقة لاحظت، مع بعض الأصدقاء وبالقرب من الصهريج وبالضبط الى الجهة اليمنى نحو الأسفل، وجود كهف ندخل عليه بعد الأنبطاح على الأرض والزحف نحو الداخل، وبعد الولوج الى الكهف يجد المرء امامه عدة ابواب مفتوحة ويتراوح ارتفاعها بحوالي متر الى متر ونصف المتر، ثم بعد ان يدلف المرء أحدى هذه الفتحات (الأبواب)، يجد المرء امامه ايضاً ابواب أخرى تؤدي اليكهوف داخلية، ولم نتوصل الى نهاية الكهف، إذ لم يكن لنا تلك المعدات اللازمة لاكتشاف تلك المتاهات العميقة في الجبل، ورغم وجود الأتربة على الأرض بسبب التآكل، لكن الدلائل تشير الى فعل الأنسان حين توغله في تلك المتاهات والتفرعات حيث الفتحات الواضحة المعالم بأنها من فعل الأنسان. وربما كانت ملاذاً آمناً بغية الأختفاء من الحيوانات الضارية حيث توضع صخرة على فتحة الكهف ويكون مستحيلاً دخول الحيوان اليها. هنالك كهوف كثيرة في هذه المنطقة تشير الى بصمات الأنسان في اقدم العصور، لكن هذا ليس موضوعنا في هذا البحث.

على قمة جبل شمال شرق القوش كان ثمة ربية فيها (جتا) عبدالله آغا الشرفاني فيبدو ان ثمة تفاهماً، او اتفاقاً مبرماً مع هذه القوة المعسكرة علي جبل القوش.

وتحضرني الذاكرة يوم امرني أبو جوزيف ان أرافق أمين عبد الله المزوري الملقب (أمين عبي)، وهو مقاتل كردي من قرية بيرموس التي كان لها علاقات وثيقة مع القوش. وكان امين رجلاً هادئاً الطبع له شخصية قوية يحترمه الجميع لطيبته ودماثة اخلاقه وشجاعته، وكان هنالك مقولة لبعض المزوريين يقولون: (حيف ومخابنه أمين عبي شيوعي)، أي مع الأسف ان امين عبي شيوعي، فلو لم يكن كذلك لكان قائداً عسكرياً كبيراً للمزوريين في المنطقة.

رافقت امين عبي دون ان أساله وجهتنا وينبغي عليّ مرافقته فحسب، أتجهنا نحو قمة في الجهة الشرقية من جبل القوش، وأخذنا نقترب من (ربية لقوات الجتا) العائدة لعبد الله اغا الشرفاني من مريبة يعسكرون في هذه الربية، ففكرت كيف نقدر ان نهجم نحن الأثنان على هذه الربية خاصة ونحن على مسافة قريبة منهم وحاولت نزع سلاحي لاحمله في يدي حيث إننا نقترب من منطقة الخطر، وكنت احمل في هذا الوقت رشاش دكتوريوف روساً ويحمل خزانه مئة طلقة وهو السلاح الوحيد من هذا النوع في قاعدتنا.

فأمر أمين بأن ابقي سلاحي على كتفي الى ان وصلنا الى الموقع، فكان ترحيب حار من قبل (الجتا) الذين يحرسون المكان، وشربنا الشاي بعد ان تناولنا طعام العشاء، ثم عرض عليهم امين ما نحن بحاجة اليه من مواد غذائية وعتاد، ثم غادرنا المكان مودعين بعبارات مفعمة بالصداقة.

ربما كانت تلك الزيارة جزء من الصفقات المبرمة بين هذه القوات (الجتا) وبين قيادة الثورة الكردية.

لقد كانت بعض القوى في المنطقة تلعب الدور المزدوج بين الحكومة وقيادة الثورة، ونتذكر صالح نرمو الذي كان بارعاً في طمأنة جميع الأطراف على انه معها، فهو اولاً معتمد أمير اليزيدية، وهو من جانب آخر عضو اللجنة المحلية للحزب الديمقراطي الكردستاني في قضاء الشيخان، وهو يعمل بحرية مطلقة وبشكل شبه علني على انه ممول الثورة الكردية، فيبدو ان له حصانة قوية من السلطة للعمل في المنطقة كما يشاء.

نحن نعرف الكثير من الألاقشة ومن ضمنهم عمي كيكا تومي قد قدموا الى المحاكم وحكم عليهم لسنيين والتهمة كانت أيصال المواد الغذائية للمقاتلين، والسؤال يفرض نفسه كيف كان هذا الرجل يغدق المساعدات للثورة الكردية دون ان يطاله القانون الصارم في ذلك الوقت؟ بنظري إن هذا يشير الى شخصية هذا الرجل ومدي تفوقه في إدارة اللعبة بحيث يرضي الجميع ولا يغضب طرفاً، ولا نلوي عنق الحقيقة إن زعمنا انها لعبة عسيرة لا يجيد سلوك دروبها إلا الأذكياء إن صح التعبير.

الهجوم على مركز شرطة تللسقف

بعد عودتنا الى المنطقة، كما مر، كان ينبغي ان نثبت وجودنا عسكرياً وذلك بالقيام بعملية ما، وقد وصلتنا اخبار بأن هنالك مركز للشرطة في تللسقف وفيه مأمور مركز يقوم بالأساءة الى الأهالي وشكل ذلك حجة كافية للهجوم على المركز، وكان المهم في العملية إشعار السلطات بأن قوتنا موجودة في المنطقة وإن يدها تصل بعيداً.

في يوم بارد من شتاء عام ١٩٦٦ وكان مقرنا في برموس خرجنا من القرية متجهين جنوباً بمفرزة كبيرة بقيادة توما توماس، وكان معي في تلك الفترة رشاش دكتريوف ولا اتذكر من اين كان مصدره ربما كان من حسو ميرخان، وكان ايضا كوريال بلو يحمل البازوكا الذي زودنا به حسو ميرخان، وعرفنا هناك مهمة امامنا، ولكني انا شخصياً لم اكن اعرف اننا سنهجم على مركز تللسقف، واتذكر كان معي في هذه المفرزة المرحوم موفق الياس زوما، وهو شاب هادئ طيب من تلكيف، يحدثني دائماً عن ذكرياته وعن طموحاته في الحياة، وعرفت ان والده رجل ميسور الحال في تلكيف، وأتذكر بعد عودتنا من هذه المعركة أخبرني بنيته في الرجوع الياهله، واقترح ان نتبادل بالساعات التي نحملها لكي تبقي ذكرى لدينا. وربما يكون والده قد رتب له امر تسليمه الى السلطات وهكذا بعد فترة قصيرة اختفى اسم موفق الياس من قائمة القائمين بالحراسات الليلية[٦].

نعود الى تفاصيل قصة الهجوم على مركز تلسقف. حيث توجهنا الى قرية بيبان وبتنا ليلتنا فيها ولحد الآن لا نعرف، او على الأقل أنا لم اكن اعرف، ما هي وجهتنا في اليوم التالي ولم يكن من طبيعتي ان اسال.

في الصباح الباكر خرجنا من القرية باتجاه الجبل، ويبدو ان السير في هذا الأتجاه كان للتمويه، إذ بعد ان قطعنا مسافة عن القرية تغير اتجاه رحلتنا نحو الجنوب الى ان وصلنا بالقرب ماكنان القريبة من قريتي دوغات وسرجكة، وبقينا النهار في هذه القرية المهجورة، وحينما خيم الظلام بدأنا نتحرك نحو الشارع المبلط المتجه نحو تلسقف الى ان وصلنا الى منطقة (جما تّسقوبا) سهل تلسقف المنبسط، وهنا لمحنا اضواء سيارة قادمة من القوش نحو الموصل، وكان علينا الأبتعاد عن الطريق قليلاً، وسمحنا للسيارة بالأستمرار في طريقها لكي لا نعطي أية دلالات لوجودنا او اتجاهنا في المنطقة.

كان المركز يقع شمال القرية وهو عبارة عن بناية صغيرة لكنها محكّمة الدفاع ولا يلتصق بها دار مجاور فالبناء يشكل قلعة محصنة ولا يمكن الدخول اليها سوى من الباب الأمامي الوحيد في المبنى.

كنت انا من الذين يواجهون هذا الباب لكوني احمل رشاش دكتوريوف وهو سلاح فعال في مثل هذه العملية.

كان اقرب البيوت المجاورة الى المركز هو لاحد الأهالي حيث شعر بوجود حركة غير طبيعية بالقرب من بيته، فاخذ يصرخ ويطلب النجدة، ولم يجد طلبنا منه ان يسكت فأثار حفيظة الكلاب في المنطقة لتبدأ بالنباح المتواصل، ويبدو ان الشرطة قد شعروا بوجود حركة غير طبيعية مجاور مركزهم، وكان حدسهم صادقاً لا سيما حينما صعدوا الى سطح البناية وطفقوا يراقبون الموقف عن كثب، فتخندقوا في مواقعهم الحصينة من موقع عال يسيطر على أسطح منازل الجيران بضمنها سطح البيت المجاور الذي كان صاحبه يصرخ.

في هذه الأثناء توجه أمين عبي مع اثنان من المقاتلين من بيرموس وهما عبد الرحمن، والآخر اعتقد اسمه محمد، الى سطح الدار المجاورة، ولم تمض سوى دقائق معدودة ونحن نتخذ مواقعنا حيث لم يكن ثمة إشارة للهجوم، وعلي حين غرّة سمعنا طلقات نارية من سطح المركز باتجاه الدار المجاورة، وكان أمين في تلك اللحظة على السطح الواطئ المجاورو يشكل مع رفاقه هدفاً مكشوفاً للشرطة الذين يتحصنون علي سطح المركز العالي، ومباشرة بعد الرمي حيث اصيب أمين في راسه أخذ مرافقه يصرخ: طبيب طبيب، وقد سمع الجيران صوت المنادي، ووصل سمعهم: حبيب حبيب، وأعتقدوا وأشاعوا في اليوم التالي ان واحد اسمه

حبيب قتل، ووصل هذا الخبر العائلتي في بغداد فكان حزنهم كبير، ولكن عليهم ان يكتموا حالهم خوفاً من السلطات، وبعد ذلك تأكدوا من صحة الخبر.

لم تمض سوى دقائق معدودة إذ فارق المصاب الحياة، كان استشهاد أمين عبي صدمة قوية لنا جميعاً، لكن ذلك زاد من تصميم مقاتلينا لتنفيذ الخطة في الأستيلاء على المركز. إن النار الكثيفة من علي سطح المركز الذي يمكن المقاتل من الأستشراف على المنطقة والسيطرة عليها، جعلنا في موقف عسير، ومن الصعوبة بمكان بلوغ الباب الرئيسية وهي المنفذ الوحيد لاقتحام المركز.

كان لنا سلاح البازوكا وكان كوريال بلّو قد تدرب على هذا السلاح، وهكذا وجه كوريال سلاحة صوب سطح المركز، وفي هذه القذيفة افلح كوريال على إرغام المقاومين على ترك السطح، خوفاً من تكرار القصف عليهم، فنزلوا جميعاً الى الأسفل وتجمعوا في غرفة واحدة، وفي هذه الأثناء كان من الممكن انتقالنا اليجوار الباب، ولكي اكون اميناً مع نفسي، فأقول:

كان اول من وصل الى الباب المقاتل شعيا اسرائيل وهو من سرسنك، وكان شعيا مقاتلاً نشيطاً وشجاعاً، وبعد شعيا انتقلنا بسرعة امام الباب، حيث كان للرشاش الدكتوريوف الروسي الذي احمله دوراً حاسماً في اقتحام المركز، حيث تيسر إدخال فوهة البندقية الرشاش من فتحة صغيرة في الباب، واخذت ارمي منها اليداخل المركز، وكل فترة نوقف الرمي ونسألهم على الأستسلام وبقطع الوعود على سلامتهم، وإن فتحنا الباب عنوة فنحن لا نتحمل مسؤولية مصيرهم، فكان ان اقتنعوا بفتح الباب والأستسلام دون مقاومة.

غنمنا من هذه المعركة ٨ بنادق انكليزية ورشاش برن مع صندوق عتاد، وأنا شخصياً اعترف بأنني حصلت على فروة مصنوعة من جلد الخروف المبطنة بالصوف، واستخدمتها فيما بعد كفراش دافئ في الأشهر الشتوية الباردة. لقد اخذنا معنا ستة أسرى من الشرطة، وفيما بعد اطلق سراحهم.

في ورقة من اوراق المرحوم الياس الصفار الذي استلمتها من ابنه سفر الصفار في القوش فيها:

انه في ٢٧ / ٠١ / ١٩٦٦ هجمنا على ربية في عين سفني ولم يسفر الهجوم عن نتيجة لبعده عن الربية المستهدفة.

ثم ينتقل الى حادث الهجوم على مركز تلسقف فيفيد بأنه: كان يوم ٣١ / ٠١ / ١٩٦٦ وكان عدد المقاتلين في هذا الهجوم ٥٢ مقاتلاً ودامت عملية الهجوم حوالي الساعتين وتم اسر ٦ أشخاص من الشرطة كانوا داخل المركز مع استيلاء على ٨ بنادق ورشاش برين وغدارة

استرنك وعدة فروات وبطانيات مع صندوق من العتاد واستشهد امين عبدالله (امين عبي) وفي ٢ شباط دفن في خوركي في احتفال مهيب.

ونضي مع اوراق الياس الصفار فيذكر الهجوم علي ربية في باكرمان يوم ١٨ / ٠٢ / ١٩٦٦ وذلك بواسطة المدفعية، ويذكر بأنه في ١٦ نيسان ١٩٦٦ تحولنا من خوركي الى قرية بيرموس.

لقد كان لنوعية السلاح دور كبير في حسم المعركة لصالحنا، فسلاح البازوكا والدكتريوف الذي امطرهم برشقات من الأطلاقات النارية داخل ممر المركز، وقذيفة البازوكا التي اطلقها كوريال على الستارة العالية لجدار المركز. إن الصديق كوريال بللو مقاتل شجاع لكن بعض مواقفه لم تكن منسجمة مع ما كان يجب ان يبقى محتفظاً به فيبقى على شعرة معاوية مع اصدقائه القدامى، فبعد اختلافه معهم سياسياً، وبقاء توما توماس في القوش والتحاق كوريال مع الحزب الديمقراطي الكردستاني، قام كوريال بضرب بيت توما توماس بقذائف البازوكا، وكوريال يقر ذلك ويقول كان ذلك سنة ١٩٧٣ حيث ضربت صاروخين على دار المرحوم توما توماس فوقعت بالقرب من داره على مسافة أقل من خمسين متراً. للمزيد حول هذا الموضوع ارجو من القارئ الكريم ان ينتقل الى الفقرة الأخيرة في هذا الفصل وهي تحت عنوان، إشارات متفرقة.

العودة اليبغداد

ينبغي الأعتراف بعد مرور نصف قرن وك علي تلك الحياة الطافحة بالأحداث إن افكارنا تشبعت بالفكر اليساري، وأحياناً بالفكر اليساري المتطرف، وكان لتلك الأفكار قبول كبير في تلك المرحلة العمرية قبل ان يغزو الشيب شعرنا، فلم يكن مكاناً لمتسع من التأني والصبر، وكنا نردد مقولة بأن الصبر هو حيلة لمن لا حيلة، فكانت الغاية بلوغ النتيجة والوصول الى النهاية ن ولا يهم نوع الوسيلة المستخدمة. لقد وصلت اليقناعة مفادها بأننا نسير في طريق لا نعرف نهايته وتفرعاته، وهكذا ازمعت على وضع حد نهائي لتك الحياة التي لا نعرف مستقبلها، إن كان في بعدنا عن عوائلنا او في مرور السنين الدراسية علينا دون الأستفادة منها، وقد تخرج اصدقائي في الدراسة الثانوية من الكليات والبعثات العلمية وأنا تخلفت عن الدراسة طيلة هذه السنين. وهكذا اردنا وضع نتيجة لتلك الفترة، وهذا كان واحداً من اسباب تأثرنا بالفكر اليساري الذي يطرح المشاريع الثورية.

في هذه الفترة توالت علينا الزيارات من قادة الحزب الشيوعي العراقي واتذكر من الأسماء كريم احمد وزكي خيري الذي لاحظت في وقتها انه رجل كبير، ورافقناه حينما قدم من خارج

العراق الى منطقة بالك،وكانت سفرة عسيرة له وهو راكب البغل عبر الوديان والشعاب وفي الدروب الوعرة، وتعرض للوقوع من ظهر الحيوان عدة مرات في الطريق الطويل، وأتذكر ممن كانوا معي المرحوم وردا حنا من أهالي مانكيش، وهو إنسان مسالم هادئ، وبعد ان خرج وردا سالماً في سنين التحاقه بالثورة الكردية، التقيته في بغداد في منطقة الميكانيك حيث كانت له دار في منطقة سكنية في منطقة أسيا خلف كنيسة مار ياقو الكلدانية، وقد انتهي به الأمر اليبيع بيته وآثاثه وسافر بعدها اليتركيا وكان يأمل الوصول اليالعالم الجديد، وفي طريقه من تركيا الى اليونان عبر البحر وعلى متن زورق للمهربين، كانت النهاية حيث انتهى مصيره الى الأعماق مع افراد عائلته في تلك المياه العميقة، ولم يصل الرجل الى مبتغاه.

من القياديين الشيوعيين الذين وصلوا منطقتنا في تلك الفترة عزيز محمد وكذلك عزيز الحاج الذي رتبنا له السفر من القوش الى بغداد في سيارة الباص (النيرن)، وبعد فترة من سفره سمعنا انه قد تزعم انشقاقاً في الحزب الشيوعي سمي بالقيادة المركزية، وأنا شخصياً تعاطفت مع اتجاه هذا الحزب ذو الميول اليسارية، وقد لعبت دوراً في كسب بعض الأصدقاء من المسلحين من مقرنا وأبدوا استعدادهم للعمل بما نطلبه من منهم، ولا ألوي عنق الحقيقة حينما ازعم ان توما توماس كان متعاطفاً مع هذه الجماعة، او على الأقل، لم يحاول ايقافي عند حدي مما شجعني العمل بشكل علني، وأكثر من ذلك، اتذكر يوما كنت معه فوق سطح بيت ندحرج (الميضرون) ـ وهو صخرة اسطوانية تدحرج على السطح الطيني لكي تسوي شقوقه قبل موعد نزول الأمطار ـ قلت له لماذا لا تلتحق بجماعة القيادة المركزية، فقال لي بالحرف الواحد: أنت بعمر أبني ولا يمكنك ان تزحلق رجلي، إن مركزي وتاريخي لا يسمحان بأن اغامر بمستقبلي، لكن لم يحثني او ينصحني على التوقف في الطريق الذي اخترته، ويقول توما توماس: منتقداً موقف الحزب الشيوعي اتجاه جماعة القيادة المركزية حيث قامت الحكومة بتصفية كوادرها، في مذكراته الحلقة (١١) يقول:

لم يبد الحزب أي موقف احتجاجي واضح ضد تلك الحملة، في وقت كان يمكن اعتبارهم قوة ديمقراطية معارضة تتعرض للقمع والموت على يد حكام فاشيين.. ويضيف في نفس السياق عن مقرنا يقول:

قبل الانشقاق لم تكن تخلو محلية نينوى ودهوك من الافكار اليسارية. فالرفيق احمد كريم سكرتير اللجنة المحلية كان من حاملي تلك الافكار، وكنت انا كذلك من المتعاطفين معها، إضافة الى الرفاق توما القس وسالم يوسف وحبيب يوسف تومي واخرون في بعض الاقضية. الا ان الالتزام بالوحدة الفكرية والتنظيمية للحزب كان في مقدمة توجهاتنا. ولذا لم يلتحق بالمنشقين سوي رفيق واحد من الانصار وهو الرفيق حبيب يوسف تومي[٧].

بعد فترة سافرت الى بغداد وبعد ايام من وصولي حققت اتصالاً مع تنظيم القيادة المركزية، واجتمع معي في سيارة ثلاثة اشخاص مع سائق وكان يسوق السيارة ونجوب الشوارع ونحن نتحدث عن الوضع في كردستان وإن كان بالأمكان ان يكون للحزب (القيادة المركزية) تشكيل قاعدة عسكرية هنالك، فقلت لهم إنني اعرف الأشخاص الذين اعتمد عليهم بأن يلتحقوا مع هذه القاعدة إذا ما تم تأسيس القاعدة، ولكنهم ألحوا علي بالعودة الى المنطقة وأن أقود مثل هذه القاعدة، وإنهم مستعدون لتزويدي بكل ما احتاجه للقيام بمثل هذا العمل، ولكني اعتذرت لهم عن القيام بهذه المهمة والعودة الى المنطقة ثانية. ومضت الأيام وتم إلقاء القبض على هذه المجموعات وتمت تصفيتهم وتوالت اعترافاتهم، وكنت اتوقع انهم سيوردون اسمي في اعترافاتهم حيث انهم يعلمون اسمي وعنواني، لكن ذلك لم يحدث، واسجل شكري لموقفهم هذا.

لقد تواترت الأحداث على منطقتنا ففي الوقت الذي نكافح من اجل الثورة كانت المؤامرات تحاك ضد قوتنا، كان ذلك صيف عام ١٩٦٧ حيث نقلنا من المنطقة ثم عدنا اليها، نصب بعضهم كمائن في طريقنا والحوادث كثيرة والحديث عنها طويل طواه الزمن، وأستطيع ان اقول ان تلك الأحداث بدأت تختمر في ذهني بترك تلك الحياة واتخاذ قرار بالعودة الى الحياة الطبيعية في بغداد والمحاولة لمواصلة الدراسة.

في الصباح الباكر من الأول من آذار عام ١٩٦٨ نهضت مبكراً مع عمي كيكا واستأجرنا السائق الياس جعفو حكيم الذي نصحنا ان ننهض مبكراً حيث ان نقطة التفتيش في الموصل يتكاسلون عن تدقيق الهوية في تلك الصباحات الباردة، وفعلاً مررنا بنقطة السيطرة دون ان نتعرض لأي تفتيش في تلك الساعة المبكرة، ومن هناك ذهبنا الى بيت جرجيس كادو في الموصل الذي رحب بنا، وأحضر لنا الفطور وقوري شاي، ومن هناك كان معي المرحوم كليانا بحّينا الذي رافقني الى بغداد، وقد ركبنا سيارة باص وكانت شبه فارغة لكن السائق تحرك نحو بوابة معسكر الغزلاني حيث اخذ الركاب من امام المعسكر فكان المسافرون جميعم من العسكريين، باستثنائنا نحن الأثنين أنا وصديقي كليانا، وهكذا وصلنا الى بغداد دون تدقيق هويتي التي كان التزوير فيها لا يخفي على ذي نظر، وتذكرت يوم سافرت الى القوش قبل ما يربو على خمس سنوات، وحينها سافرت ايضاً بهوية مزورة.

في خطوة ثورية عمد والدي الى ربطي بعملية زواج وكان ذلك بناء على نصيحة من اعمامي لينصب اهتمامي بالعائلة والأطفال وأسباب المعيشة فأبحث عن الأستقرار وهكذا تزوجت بعد اشهر من وصولي الى بغداد، بعد ذلك فكرت بالعمل والدراسة.

سألت عن مصير ثانوية النجاح المسائية حيث دوامت فيها في الخامس العلمي في العام

الدراسي ١٩٦٢ _ ١٩٦٣م. فقيل انها اغلقت أبوابها وإن سجلات الطلاب فيها نقلت الى مديرية تربية بغداد، وحينما راجعت هذه المديرية، قيل لي سقط حقي بالدوام نظراً للسنين الطويلة التي انقطعت فيها عن الدراسة.

لكني بينت لهم بأنني كنت مشتركاً بحوادث الشمال وإن هنالك قراراً من مجلس قيادة الثورة يعطي الحق للطلبة المشتركين بتلك الحوادث بمواصلة الدراسة بغض النظر عن مدة الغياب، فأرشدني هؤلاء الى وزارة شؤون الشمال لتزودني بكتاب يؤيد ادعائي.

حينما راجعت هذه الوزارة طلبوا مني أيضاً دليلاً يثبت اشتراكي بهذه الحوادث، وفي هذه المرة توجهت اليإدارة جريدة التآخي، وزودني رئيس تحريرها، وأعتقد كان هشام عقراوي الذي سألني عدة اسئلة فبينت له انني عملت مع توما توماس وهرمز ملك جكو وحسو ميرخان واقتنع الرجل بعد اجابتي على بعض اسئلته المتعلقة بتلك المرحلة من عمر الثورة في منطقة بهدينان، فحصلت منه على كتاب يؤيد اشتراكي بهذه الحوادث، وعلى أثر ذلك حصلت على كتاب من الوزارة الى مديرية التربية. ومختصر مفيد للقصة، لانها قصة طويلة، حيث قبلت في الصف الخامس العلمي في الثانوية الجعفرية المسائية وحصلت في امتحانات البكالوريا سنة ١٩٦٩على معدل جيد يؤهلني للقبول في بعثة من قبل وزارة الزراعة الى الأتحاد السوفياتي السابق، في مجال الثروة السمكية.

لكن المعوقات لا تزال تعترض سبيلي فحينما قبلت في البعثة الحكومية وراجعت دائرة الجوازات الكائنة في منطقة القصر الأبيض للحصول على جواز سفر، أبلغت من قبل هذه المديرية بوجود منع السفر بحقي، ويتعين علي مراجعة الأمن العامة لتصدر قراراً يقضي برفع هذا المنع، وهكذا كأية قصة تتواصل فصولها ونمضي بقراءتها لبلوغ النهاية، فحينما راجعت هذه المديرية تمت إحالتي الى شعبة القيود السرية، واتضح ان لي ملف كبير، وكان الضابط المسؤول يقلب اوراق هذا الملف، وصرفني على ان أراجعه في اليوم التالي ليتسنى له مراجعة الملف الطويل الزاخر بالأحداث.

كانت مراجعتي لهذه الدائرة الأمنية في صيف عام ١٩٦٩ يوم اعادة المفصولين السياسيين الى وظائفهم، وكان هنالك جو من الأنفراج السياسي، واتضح ان معظم القضايا في ملفي إن لم يكن جميعها تتعلق بحوادث الشمال، وكان هناك عفواً عاماً صادراً بحقها.

في اليوم التالي قال الضابط المسؤول عن ملفي بأنه لا يستطيع الموافقة على رفع المنع دون موافقة مدير الأمن العام واعتقد وقتئذٍ كان يشغل هذا المنصب ناظم كزار، المهم، ان الضابط اخذ اضبارتي ودخل الى المدير العام ومضي حوالي ربع ساعة من الوقت قبل ان يخرج

الضابط وبيده الأضبارة وهو يبتسم، ويصيح علي الفرّاش لكي يأخذ الأضبارة الى شعبة الطابعة لطبع كتاب رفع الحظر. في نفس اليوم الذي رفع عني منع السفر حصلت على جواز سفر، وكنت آخر طالب قد حصل على الجواز، وهم على وشك شطب اسمي من المقبولين.، إنه سرد باختصار شديد على كيفية حصولي على جواز سفر وإبطال قرار منع السفر بحقي.

حينما سافرت الى الأتحاد السوفياتي (السابق)، وجاءنا مسؤول من السفارة العراقية الى باكو فأخبرني بأن لهم معلومات وافية عني وعن تفاصيل التحاقي بالثورة الكردية، وحثني على عدم الأنخراط بتنظيمات سياسية وإلا..!! بالفعل لم يحدث ان انتميت الى أي حزب سياسي بعد ذلك والى اليوم، والمسالة بشكل عام وبمنأى عن افتراضات الخوف، فإنها متعلقة بإرادتي ليكون قراري في الحياة حراً مستقلاً.

إشارات متفرقة

الأنتقال الى الحياة الطبيعية المألوفة تقتضي استنهاض مفاهيم فكرية وعملية اخرى غير تلك التي كنت ازاولها في الجبال والوديان، فهنا ينبغي التفكير بطريقة لأيجاد عمل مناسب لضمان اسباب المعيشة لي وللعائلة وبعد ذلك ينبغي التفكير في تسديد بدل الأيجار في آخر الشهر، وهكذا المفاهيم هنا مختلفة، فالمسالة لا تتعلق بتوفير عتاد للسلاح او التهيئة لهجوم او الدفا ع الى آخره من مصطلحات باتت جزءاً من الماضي ومحفوظة في ذاكرة الأيام والسنين. إنه واقع جديد يحتم علي إيجاد عمل لكي اساعد الوالد في تغطية متطلبات الحياة المعيشية، لم اتقن عملاً او مهنة معينة، وفي هذه الأثناء حثني صديقي هرمز صليو (ابو رافع فيما بعد)، وهو من البيشمركة مع توما توماس وطلب مني ان اعمل معه، وهو كهربائي ماهر يأخذ بعض المقاولات الثانوية في الأعمال الأنشائية، وكان في حينها يقوم بالتأسيسات الكهربائية لبناية دائرة انحصار التبوغ، تحت الأنشاء في منطقة الباب المعظم. وكان يخشى من اكتشاف أمري، حيث يعتقد انه يتحمل المسؤولية إذا عرفوا انني كنت مع المسلحين الأكراد، خاصة وإن صاحب العمل هو ضابط كبير بالجيش العراقي. وتلافياً لأية إشكالات، فقد كان يدعوني باسم سامي، وفي احد الأيام وبينما هو ينادیني سامي كان احد مراقبي العمل الحكوميين يمعن النظر نحوي ويقول لهرمز صليو وهو ينظر نحوي:

إن هذا الرجل ليس سامي، وأخذ يردد اسم: حبي، حبو، حبّا.. اجل هو حبا أي حبيب، وكان مع توما توماس في دير الربان هرمز، وكان يحمل رشاش دكتوريوف، وإمعاناً في الوصف، أضاف: كان له غزالاً صغيراً يعطيه اسم فيروز. وأنا الوحيد الذي استطعت من تربية غزال صغير اصطاده احد الأصدقاء في وهدة (كليّا د نيراديوي) العاصية المحصورة

بين بوزان وكلي الدير، وأشتريته منه بديناراً وأحداً وحصلت له قنينة (ممية) الحليب التي يرضع منها الأطفال وكنت احصل على الحليب من رعاة الغنم في المنطقة الى ان كبر الحيوان، وبعد ان عزمت امري على النزول الى بغداد اعطيته لكوريال بلو الذي كان متعلقاً به، حيث كان له أخوه الصغير لكن كوريال لم يفلح في تربيته فمات في الأيام الأولى.

المهم في موضوعنا، إن كل مواصفات هذا الرجل كانت صحيحة، وانا عرفت الرجل حق المعرفة في الأشهر الأخيرة من بقائي مع الحركة، وإن هذا الرجل، المراقب الحكومي، كان ايضاً مع المسلحين الأكراد وزار مقر دير الربان هرمز بضعة ايام لقضاء بعض الأعمال.

في مساء ذلك اليوم زارني االصديق هرمز صليو صاحب العمل، وابدى لي مخاوفه من استمراري في العمل، وهكذا كان يبدو عليه الأسف حينما ابلغني بأنه مضطر على تسريحي من العمل، وهو مستعد ان يقدم لي اية مساعدة مادية احتاجها.

ما يربو على خمس سنوات في صفوف الثورة الكردية، كنا نعاني من البرد والحر والتنقل المستمر وشظف العيش، ونركب المخاطر ونصيب ونخطئ، وفي هذه الفترة فاتت عني فرص الدراسة في العمر المناسب حيث تخرج أصدقائي حينما بدأت انا بإكمال الدراسة، لكن اعترف بأن هذه السنين قد علمتني الكثير وهي بمثابة كلية الحياة، فقد تعودت على الجوع والعطش والسهر والتعب. وحينما نخرج بمهمة معينة وآخذ معي قليلاً من الزاد مع مطارة الماء (زمزمية)، ومهما طالت المهمة كنت وأعود معي قليلاً من الزاد وقليلاً من الماء.

كما إني تعلمت ان الشجاعة ليست في الأندفا ع والتهور، إنما هي بالرزانة والتعقل. وتيقنت ان إرادة الأنسان تقهر الصعاب، فالأرادة القوية هي المنبع الغزير لتحقيق الأهدف المنشودة.

لقد تركت حياة الثوار وعدت الى الحياة الأعتيادية، ورجعت الى مقاعد الدراسة بعد بعدما يقارب تخوم الست سنوات، وفي اليوم الأول الذي داومت فيه بالدراسة قلت لنفسي (يجب، نعم يجب، ولم استعمل كلمة يجوز) ان أنجح في المحاولة الأولى لامتحان البكالوريا، علماً لم استعين بأية دروس خصوصية، وكانت جهودي الخاصة دون الاعتماد على اية معونة رغم ان مثل هذه المساعدات كانت متيسرة وأستطيع الحصول عليها من الأصدقاء ودون مقابل.

وفعلاً جهودي لم تضع سدىً فظفرت بما صممت عليه حيث كان اثنان فحسب من مدرستنا في الثانوية الجعفرية من الناجحين الأسم الأول كان اسمي حينما اذيعت من الأذاعة العراقية، وكانت درجاتي اعلى من الطالب الآخر الذي حقق النجاح معي.

إن ما يهمنا في هذا البحث هو ما يتعلق بالمساهمة في ثورة الشعب الكوردي التي كانت بداياتها متواضعة وسرعان ما انتشرت وكتب لها الديمومة والأستمرارية، بفضل ما كان

يقدمه هذا الشعب، ولا شك ان المكونات الأخرى كالشعب الكلداني كانت له مساهمات في هذه الثورة، ويحدربي الإشارة الى نخبة من الكلدانيين من القوش ساهموا بطريقة وأخرى في هذه الثورة منذ ايامـها الأولى ومنهم من مكث لسنين ومنهم من اصابه العوق وآخرين استشهدوا فبين اصدقائنا من بقي معنا اياماً، وآخرين اسابيع وغيرهم أشهر وقليلين من الذين صمدنا لسنين. وأشخص الكثير من الألاقشة ومنهم من غيبهم الموت ومن هؤلاء:

توما توماس، والياس الصفار، ورحيم قس يونان، وهرمز شعوكي، وصبري نكارا، وجميل صارو. وعابد كَردي، وسالم اسطيفانا. وعابد دنخا عنكاوي وعابد جمعة. وتوماحلوا.

ومن الذين تحضرني اسماؤهم ومنهم من يعيش في بلاد المهجر او علي ارض الوطن ومنهم علي سبيل المثال لا الحصر:

حنا زلفا، وهرمز صليو (ابو رافع)، ولزكين بطرس جركو واخيه بطرس الذي استشهد وجان من محلة سينا، ويوسف بودو، وصباح توماس، وجليل زلفا، ويوسف زرا، وكوريال بلو، ويوسف ككا، وسعيد موقا، ويونس بولا، ومانو جمعة، وكامل كادو، وعزيز ياقو (ياقوبي)، ودنحا بودا غ؟، وحميد برنو، وجميل بولص (بوِّي)، وتوما حنطيي، وتوما شكّو، وكامل مرقس، وحنا؟ وحبيب جيجو، وحبيب مكوكي استهدفته طائرة وهو يقود تراكتور، واسكندر بجوري وأخيه أكرم وعابد گردي وأخويه پطرس وجورج گردي و يوسف ججيكا واسحق دمان وبنيا حسن خاص و پطرس رحو وسعيد سليمان بطا. وغيرهم. واعتذر من الذين خانتني الذاكرة عن ذكر اسمائهم اما من غير الألاقشة فاتذكر:

صبحي يوسف من عنكاوا، وعبد الرحمن ابن عم امين عبي، وابو جورج من برطلي، ويوخنا، وشعيا اسرائيل من سرسنك، ودنخا البازي (ابو باز) وجرجيس بطرس من باطنايا. وهرمز الشاب الصغير الشجاع من كيرانجو او داشقتان، ولازار ميخو (ابو نصير) من مانكيش، استشهد فيما بعد، وهرمز آخر صديقي من كيرانجو واخواله من القوش، وشاؤول وهو آثوري انسل ليلاً من القاعدة في بيرموس ويبدو انه اراد تسليم نفسه للحكومة، لكن القي القبض عليه وسلم لقادة الثورة الكردية في منطقتنا، لقد كان هذا الأنسان مقطوع الأجنحة، وكان صديقي جداً ويسرد لي خصوصياته، لكن لم يذكر لي شأن تسليم نفسه للقوات الحكومية، وورداً من مانكيش غرق وعائلته في البحر بين تركيا واليونان وكوريال من تلسقف واستشهد مع بطرس جركو فوق جبل القوش وقد مر ذكرهما، وكذلك كان اول شهيد هو فؤاد كردي (ديشا) ومر ذكره ايضاً وهناك آخرون لا تحضرني اسماءهم.

اصبح في حكم المؤكد ان الأحزاب القومية المتشددة نادراً ما تعترف بحقوق الأقليات القومية الأخرى، وتسعى الى سيادة قوميتها على المكونات القومية الأخرى تحت ذريعة خلق

مجتمع متماسك متجانس وهذه النظرية طبقها كمال اتاتورك في تركيا بجعل كل القوميات التركية تنضوي تحت لواء القومية التركية الواحدة، وهذا ما كان يسعى اليه حزب البعث العربي الأشتراكي في العراق، وفي العالم العربي عموماً. في هذا السياق كانت ثمة شكوك بقدرة حزب البعث على حل المسألة الكردية لكونه ينطلق من نظريات قومية عروبية متشددة. لقد ذهب حزب البعث اليتخوم الأقرار بمبدأ الحكم الذاتي للاكراد، حينما كانت اجندة تثبيت الحكم والقبض على زمام السلطة في العراق بيد من حديد، ويمكن تقديم بعض العروض لفترة محدودة الى ان تستقر الأوضا ع، حينذاك يمكن الألتفاف علي الحركة الكردية وتصفيتها، وفي هذا السياق كانت تندرج جهود اخرى، كتأجيج الخلافات بين الفصائل الكردية لخلق صرا ع كردي ـ كردي، وتمزيق لحمة التحالفات السياسية بين قوى واحزاب سياسية مثل الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي.

وفي هذا السياق مالت الحكومة الى جانب الأكراد وكان بيان ١١ آذار ١٩٧٠ يشكل قمة تجاوب الحكومة مع الآمال الكردية، كان هذا المعلن على الملاء، وبعد ان ايقنت الحكومة إنها في موقف قوي التفت على الأتفاقية واتجهت صوب استراتيجية الفكر القومي العروبي لتصفية القضية الكردية، ولكي لا تغضب الأتحاد السوفياتي الذي يزود العراق بالسلاح، تقربت من الحزب الشيوعي، وشكلت ما سمي بالجبهة الوطنية، وأدخلت الوزراة بعض الشيوعيين، وأعطت مجالاً للحزب الشيوعي لالتقاط الأنفاس، وفي نفس الوقت دقت اسفين التفرقة بين الحزبين المتحالفين تاريخياً، الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني.

نقتبس من مذكرات توما توماس الحلقة ١٣ بعض ما جاء بمذكرات الضابط العراقي حردان التكريتي الذي تبوأ عدة مناصب رفيعة في الجيش منها وزير الدفا ع بعد تشكيل الحكومة بعد تموز ١٩٦٨، وبعد فترة اغتيل في الكويت من قبل المخابرات العراقية، وهي منقولة من الفصل الخامس والأخير من الجزء الأول، وصدرت هذه المذكرات في بيروت، وهي في ارشيف (موقع الناس، ومنشورة ايضاً في موقع، عقلاني)، يقول حردان التكريتي في إجابته علي سؤال:

ـ كيف تري بيان ١١ آذار؟

في الواقع ان الاكراد استطاعوا بصمودهم البطولي خلال قرن كامل أن يركعوا الحكم الى درجة بتنا نخشى أن يؤدي استمرار الحرب الى سقوط بغداد بأيدي الملا مصطفى البارزاني. وقد بلغ معدل ضحايا الجيش العراقي قبل شهور من بيان ١١ آذار الى ٣٢٥ بين قتيل وجريح اسبوعياً. وبعد أن قمنا بمحاولة أخيرة للقضاء على المقاومة قبل ١١ آذار بشهرين فقط، وفشلنا فيها قررنا إجراء مفاوضات مع الملا، لأنهاء القتال لأن ذلك كان سيعطينا فرصة

طويلة للبقاء في الحكم.

وكان القصد من المفاوضات اعطاء الملا كل التنازلات التي يريدها، في محاولة لاحتوائه أو تنظيم انقلاب عسكري ضده. ولكنه كان اقوى واذكى وأكثر تمرسا بالأساليب السياسية والعسكرية. ولذلك فقد اشترط في بند سري من بنود البيان بقاء ((٢٥)) الف جندي من البيشمركة تحت السلاح. وقد اعطيناه ذلك. ولكن قررنا أن نستغل فترة إنهاء الحرب لادخال عناصر من جماعة جلال الطالباني، وهو عدو تقليدي للملا، في جماعته الملا، والقيام بأغتياله عند اللزوم. فالحزب لايمكن أن يطبق بيان ١١ آذار بكامل بنوده لأن ذلك يعني اعطاء أضخم حقول البترول العراقية للأكراد، وهو حقل كركوك، وذلك يعني أيضاً إفلاس الحكومة تقريبا. من هنا، فقد قرر الحزب القيام بإحدى الخطتين:

١- إما اعلان الغاء اتفاقية آذار ضمن حملة عسكرية ضخمة تقوم بها القوات العراقية، وانهاء قضية الحكومة اللامركزية التي يطالب بها الملا.

٢- أو القيام بتوطين عائلات عربية في المناطق الكردية قبل اجراء احصاء عام فيها، الأمر الذي سيمكن الحزب من بقاء سيطرته قانونيا في تلك المناطق. وللحقيقة فان حكمنا لم يكن مخلصا للاكراد في اي يوم ولن يستطيع ان يصبح مخلصا لهم في المستقبل اطلاقا. وسيكتشف الاكراد ذلك ان لم يكن قد اكتشفوه فعلا.

لقد تعمدت الى الأقتباس الطويل لأني أراه ضرورياً لتوضيح المسار الذي سلكه حزب البعث العربي الأشتراكي في مناوراته السياسية علي الساحة السياسية العراقية والعربية والأقليمية والدولية.

وفي تطبيق هذه الخطة المحكمة التي انطلت على البارتي والشيوعي، واستطاع ان يزرع الفتنة بينهما، إن استمالة الحزب الشيوعي العراقي للدخول في جبهة وطنية مع البعث فسرها الحزب الديمقراطي الكردستاني على انه موقف معادي لا يمكن السكوت عنه. بحيث إني أقرأ في مذكرات توما توماس رقم ١٥ الى أي حال آلت اليه الأمور حينما يقول:

وفي ١١/ آذار/ ١٩٧٤، انتهت الهدنة واستأنفت العمليات العسكرية بين حدك والبعث. ولم نكن نتوقع ان تقدم الحركة المسلحة وقبل اي شئ اخر بحملات انتقامية ضدنا. فقد حشدت الحركة قوات كبيرة من پيشمركة حسو ميرخان وبضمنهم فوج المسيحيين بقيادة شعيا اسرائيل وقوات عيسى سوار لتطويق القوش من الجهات الشرقية والغربية والشمالية. وكان ادلاّء هذه الحملة هم كل من عبد جبرائيل رزوقي وسعيد موقا وكوريال بلو مندفعين بحماس لاجتياح بلدتهم واستباحتها وقتل ابنائها، حيث كانت صواريخ البازوكا التي يطلقها كوريال

بلو تنهال على الأهالي ومساكنهم بكثافة.

لدى اتصالي بعبد رزوقي افاد بأنه كان في مهمة بجوار القوش حيث كان ينتظر خروج بعض الرجال منها، وكانت غايتهم تفريغ مقرهم في القوش من بعض السجلات والوثائق التي تخص منظمة الحزب (الحزب الديمقراطي الكوردستاني)، ولم يكن ثمة اي هدف او خطة لضرب القوش، اما كوريال بلو فهو يعترف بأنه قام بضرب صاروخين من البازوكا على نقطة بالقرب من بيت توما توماس بقصد (التأديب) وليس القتل او الأنتقام، باعتبار ان توما توماس قدم خدمات للثورة الكردية ولا تريد الأنتقام منه، لكن مهما كانت المبررات في إطلاق الصواريخ، فهي وجدت طريقها بين بيوت القوش وكان يمكن ان تؤدي بحياة اي فرد من القوش إن كان توما توماس او واحداً من عائلته او واحداً من اخوان كوريال بلو او واحداً من افراد عائلة سعيد موقا او عبد جبرائيل او إنسانا بريئاً من القوش، فالعمل بنظري يصب في خانة الخطأ ليس له اي مبرر، فمدينة القوش لم تكن معسكراً لتضرب بشكل عشوائي.

يبدو من هذا الواقع المرير أن الا مستحيل في عالم السياسة، فأنا اقف مندهشاً ومستغرباً لكي اتصور شعيا اسرائيل وعبد رزوقي وكوريال بلو وسعيد موقا، وهم متحمسون لضرب القوش، وحسب صداقتي ومعرفتي الشخصية لهؤلاء الرجال عن شجاعتهم ومواقفهم الرجولية وعن حبهم وتفانيهم لالقوش فسيكون عسيراً على إدراك وفهم هذا الموقف، ومن العسير ايضاً أيجاد تبرير وتفسير منطقي له، ومن حسن الحظ ان هذا بات جزءاً من الماضي ولم ينجم منه أي اضرار في الأرواح او الممتلكات. وكما اسلفت ان الذين اتصلت بهم سعيد موقا وكوريال بلو وعبد رزوقي، أفادوا ان هدفهم لم يكن الحاق الضرر بألقوش في كل الأحوال.

لكن دهشتنا هذه لا تمنع من تكملة المشوار لمعرفة الى ما ستؤول اليه الأمور، فالدولة العراقية والحكومة العراقية والجيش العراقي وحزب البعث العربي الأشتراكي الحاكم، كانت هذه الأجهزة تسلم دفة القيادة بيد رجل واحد وهو صدام حسين، الذي اصبح فيما بعد هو الدولة والحكومة والحزب، وسيعمل صدام على تقويض الحركة الكردية بشن حملة عسكرية عارمة مع القيام بمساومة مع أيران بالتنازل لها عن حقوق عراقية تاريخية في ارضه ومياهه مقابل المساعدة علي اجهاض الثورة الكردية، وهذا ما سلطنا عليها الاضواء في الفصول السابقة.

ملحق:

١ ـ وفاءاً لهذا الرجل الشهم كتبت يوم وفاته مقالاً استعرض فيه موقفه الرجولي، وقد نشرته مختلف المواقع الألكترونية وهو مدرج ادناه:

قصتي مع ميخائيل عبد الأحد الذي

جسّد الرجولة والشهامة الألقوشية

بقلم: حبيب تومي / اوسلو

habeebtomi@yahoo.com

غيب الموت الأنسان الشهم ميخائيل (ميخا، أبو مازن) عبد الأحد منصور كوزا، الصديق الوفي، وافاه الأجل في القوش مسقط رأسه، وها هي القوش تحتضن ابنها بعد عودته من مسيرة الحياة الطويلة الحافلة بالعمل والتعب ونكران الذات.

ماذا نعرف عن هذا الأنسان البسيط؟ ولماذا يكون ميخا ابن استاذ ابلحد مثال حي للرجولة والشهامة الألقوشية؟ كان هذا الرجل يعمل فنياً كهربائياً في الشركات قبل ان يفتح له محلاً للتأسيسات الكهربائية في بغداد وبالضبط في شارع النضال مقابل بانزينخانة العلوية ولأول مرة التقيت به كان يوم سفرنا من القوش اليدربندخان، وكان صديقاً للمرحوم عمي كريم الذي كان يعمل ايضاً في دربنديخان.

كل الآلاقشة يعرفون المرحوم ميخا (ابو مازن)، بأنه كهربائي ماهر لا يضاهيه كهربائي آخر في مهنته، لكن هذا الرجل كان يحمل في جنباته روح رجل عظيم قل مثيله اليوم.

إن ادعائي هذا ليس خالياً من الحقيقة فقد حان الزمن لنكتب عنها وتصبح جزءاً من تاريخ القوش الحافل بمثل هؤلاء الرجال.

من غريب الصدف اننا في اواسط شهر شباط، والحادث ايضاً يعود اليمثل هذه الأيام من عام ١٩٦٣ م يوم وقع الأنقلاب الدموي في بغداد في ٨ شباط من تلك السنة.

بعد أيام من وقوع الأنقلاب وفي منتصف الليل القي القبض علي من قبل الحرس القومي في منطقة البتاويين. لقد طرق أفراد من الحرس القومي الباب وسألوا أهل الدار، وهي عائلة مسيحية بسيطة من باطنايا. هل يسكن عندكم رجل اسمه حبيب؟ ومن شدة خوفهم اعترفوا

بوجود حبيب وارشدوهم علي غرفتي فوق السطوح كما يقال.

فاقتادوني الياحد مراكزهم وبدأوا معي بالتحقيق، وعلمت من نوعية الأسئلة انهم يقصدون حبيب آخر كان يعمل في عين زالة وكان ساكناً في نفس البيت وهو القوشي ايضاً. المهم بعد تأكدهم بأنني لست الرجل الذي يبحثون عنه أخلوا سبيلي في صباح اليوم التالي.

وعلاقة المرحوم ميخا (ابو مازن) بهذا الموضوع هو انني كنت اعمل في محله للكهربائيات وعملي يقتصر علي تلقي المكالمات الهاتفية وبيع المواد الكهربائية، وأتقاضى منه شهرياً ١٢ دينار، وأداوم في المساء في الصف الخامس العلمي في ثانوية النجاح في البتاويين. وبعد ان تدهورت الأوضاع في بغداد وبعد اعتقالي وأطلاق سراحي قررت دون إبطاء السفر اليالقوش والألتحاق بالثورة الكردية مع العراقي الألقوشي الكلداني توما توماس.

وهكذا كان علي الذهاب الى المرحوم ميخائيل في محله لأستلم منه راتبي الى يوم ٨ شباط يساعدني في الوصول الى القوش، فذهبت الى المحل وكان لوحده وشرحت له وجهتي، ونقدني بعض النقود وزيادة علي ما استحقه، فشكرته وقلت له:

إن سألوا عني فأرجو ان تقول لهم إن حبيب سافر الى البصرة، وأنا بالحقيقة سأسافر الى القوش.

في هذه اللحظة بالذات دخل شاب، وقال لأبو مازن: هل هذا محلك؟

فأجاب ابو مازن: نعم، فقال له الشاب لدينا اخبارية تقول بأن حبيب.. وردد اسمي كاملاً، يعمل عندك فأين هو الآن؟

وفي هذه اللحظة دخل أربعة أفراد من الحرس القومي مسلحين بالرشاشات. لم يرتبك ابو مازن، ولم يحاول النظر نحوي وقان لهم:

نعم حبيب كان يعمل عندي لكنه ترك العمل منذ مده ولا أعرف اين هو الآن؟

في تلك اللحظة بدأت اقلب المصابيح باعتباري مشتري في المحل، ولا اريد ان اخرج من المحل لأثير شكوكهم. وتذكرت في تلك اللحظة ان هويتي المدرسية في جيب قميصي الذي البس فوقه السترة، وبادرت حالاً الى الأنزواء الى داخل غرفة صغيرة ملحقة كمخزن للمحل وفيها مغسلة وسطل ماء نجمع فيه ماء الغسل لعدم وجود مجاري لتصريف المياه، فمزقت الهوية المدرسية وأدخلتها في السطل الذي فيه الماء القذر وخرجت.

اشتدت لهجتهم مع ابو مازن مع تهديدات صريحة باجباره علي الأعتراف. فظل ميخا مسيطراً علي اعصابه قائلاً: أن الذي اعرفه ان حبيب يسكن في منطقة البتاويين، وهنا التفت احدهم نحوي وقال لي من تكون انت؟ أعطني هويتك! فقلت:

ليس لي هوية ولا داعي لحمل الهوية حيث جئت لشراء مصباح من الأخ مشيراً الى ابو مازن.

وأردفت قائلاً امامه لأبو مازن: لما لا ترافق الأخوان الى البتاويين وتسألون هناك عن حبيب؟

ويبدو ان اقتراحي هذا نال استحسانهم، فخرج ابو مازن مع المسلحين، ووقفت امام الباب في الشارع العام لأجد سيارة تكسي تبعدني من هذا المكان. وفي هذه الأثناء لمحت ابو مازن عند سيارتهم من الجانب الآخر من الشارع، ثم رأيته يتركهم ويعود الى المحل. وفي هذه اللحظة توقفت سيارة تاكسي، وبدون ان التفت اليه، قال لي بالكلداني (أو ديّان أروق، أن آريلوخ بـ... دينوخ). أي أذهب بسرعة وإن القو القبض عليك.. فردد مسبّة القوشية..

انقذ الرجل الشهم ميخا عبد الأحد أبو مازن حياتي، وكلما اصادفه في مجلس ما اشير الى ابو مازن وأذكر موقفه الرجولي.

بعد ان رتبت لي هوية للسفر، وبينما أنا جالس في السيارة (نيرن) المتجهة الى القوش، رأيت أبو مازن يودع بعض اقاربه وتفاجأ لرؤيتي، فاستفسرت كيف تخلص منهم؟ فقال:

طلبت منهم أرقام هواتفهم وأعلمتهم بان حبيب يتردد الى المحل، وحال مجيئة الى المحل سأخبركم عنه، وحلفت لهم الى ان صدقوني.

بعد اكثر من ثلاثين سنة من هذا الحادث اي في اواسط التسعينات من القرن الماضي. كان لي في الميكانيك مكتب (القوش) للمقاولات وتجارة الأراضي، وفي مساء احد الأيام وقفت سيارة امام المكتب ونزل منها أربعة شباب ودخلوا المكتب، وقال لي احدهم هل انت حبيب؟

قلت: نعم، قال: لقد أرسلني الوالد مع اخواني اليك وقال لنا عندما تصلون الى حبيب سيحل كل مشاكلكم.

فقلت له ومن هو والكم الذي اوصاكم بهذه الوصية؟

فقال نحن اولاد ميخا أبو مازن، وهنا نهضت من مكاني وبدأت اقبلهم، وقلت لهم:

نعم إنكم وصلتم وستنالون كل ما تحتاجونه، وكل ما قدمته بعد ذلك من خدمة لهذا الرجل ولعائلته الكريمة ولاولاده الشباب النجباء المؤدبين لا يساوي تلك اللحظة الرجولية الشجاعة التي وقفها ابوهم في ذلك الموقف المحرج.

باعتقادي ان الكثير من مواقف البطولة والشهامة والرجولة يسجلها أناس بسطاء دون دعاية ودون ضجيج، وإن المرحوم ميخائيل (ابو مازن) واحد من الرجال الآلاقشة الذي سطروا مواقف شجاعة نبيلة. رحم الله هذا الأنسان الألقوشي الشهم وأسكنه الرب فسيح

١ـ توما توماس ابو جوزيف من الشخصيات الألقوشية التي اشتهرت على نطاق العراق، كانت ولادته في القوش سنة ١٩٢٤ حسب ما يورد ابنه سمير توماس في احد اعداد مجلة بيرموس. متزوج من الماس زلفا وله خمسة اولاد وبنتان، وقد استشهد ابنه منير على ايدي قوات الأمن انتقاماً من والده.

في عام ١٩٤٢ عكف الأنكليز على تجنيد الشباب من الكلدانيين والآثوريين والأكراد للانخراط في قوات الليفي، واستطاع صادق توماس مختار محلة سينا ان يطلب من العقيد (مالك كوين) الذي وصل القوش لتسجيل متطوعين ان يعين ابنه توما برتبة ضابط وكان ذلك عام ١٩٤٢ ودخل دورة في الحبانية امدها ستة أشهر تخرج بعدها ضابط برتبة ملازم. في عام ١٩٤٨ استقال من الجيش الليفي وتطوع في الجيش العراقي ونسب آمر فوج لاحد الألوية في معسكر سعد في بعقوبة، لكن في عام ١٩٤٩ سرح من الجيش.

عمل بعد تسريحه من الجيش بشركة نفط كركوك، وبسبب ميله الى الأفكار اليسارية انخرط في نقابة العمال وتبوأ فيها بمنصب السكرتير، وفي عام ١٩٥٨ انتمى الى الحزب الشيوعي. وفي عام ١٩٦١ حينما بدأت حكومة عبد الكريم قاسم توجه انظارها نحو اعتقال الشيوعيين لا سيما في مدينة كركوك، أفلت من الأعتقال متوجهاً الى مسقط رأسه في القوش، ومن هناك أبرق لهم مضمون استقالته من الشركة.

بعد ٨ شباط ١٩٦٣ التحق بالثورة الكردية، وتدرج في المناصب الحزبية الى ان اصبح عضواً في اللجنة المركزية في المؤتمر الوطني عام ١٩٧٦ وسكرتيراً لمحلية نينوى حتي نهاية عام ١٩٧٨م.

لقد اكتسب توما توماس شهرته بسبب إصراره على السير بالخط الذي اختاره دون ان يحيد عنه هذا بالرغم ما تعرضت له عائلته من اضطهاد وتشريد. وباعتقادي ان سبب شهرة توما توماس كان مردها اعتداله في خطواته ومواقفه وهدوئه ورزانته، مما كان يحتم على المقابل احترامه حتى لو كان عدواً له، وعرف عنه الشجاعة، وقد رافقته في مواقف قتالية كثيرة فكانت شجاعته مدروسة دون ان يشوبها الأندفاع والمغامرة.

٢ ـ إن علاقات ابراهيم احمد بالتيار القومي العربي تعود الى بدايات ثورة تموز ١٩٥٨ وبالنسبة الى العلاقات مع حزب البعث فإنه، أي حزب البعث، كان مشغول دائماً بقضايا الوطن العربي إلا في مناسبات نادرة حاول شرح موقفه من الأكراد الذين كانوا بشكل غريزي يشكون فيه.

لقد حاول قادة البعث التقرب من قيادة الأكراد فالتقى ميشيل عفلق مع ابراهيم احمد بعد

ثورة تموز ١٩٥٨ بوقت قصير وقرر الحزب الديمقراطي الكردستاني الأنضمام الى الجبهة الموحدة التي كان البعث من قبل عضواً فيها. عندما بدأوا بتدبير مكيدة للاطاحة بقاسم في عام ١٩٦٢ وكان ابراهيم احمد من جهته يعتقد بأن القومية العربية هي القوة السائدة في المستقبل، وذلك نظراً للثقل السياسي والشعبي الذي كان يمثله عبد الناصر المنادي الأول للقومية العربية في تلك المرحلة، وحينما قام ابراهيم احمد بزيارة الى مصر استقبل بحرارة من قبل عبد الناصر وكان ذلك في تشرين اول من عام ١٩٥٨ وقدر مواقف الزعيم المصري من الاكراد بما ذلك دعمه لإذاعة كردية.

لم يفلح ابراهيم احمد ببناء نفس العلاقات مع عبد السلام عارف، لكنه مع هذا ظل يغازل القوميين العرب. لقد اعتقل ابراهيم أحمد في عهد عبد الكريم قاسم، وبعد اطلاق سراحه اتخذ موقف معارض بصورة علنية لحكومة قاسم وعزز من علاقاته مع القوى القومية العربية المعارضة بل المعادية لقاسم. في عام ١٩٦٢ اصبح حكم قاسم في حكم المنتهي لازدياد انعزاله السياسي، وكان سقوطه مسالة وقت فحسب، لقد أراد الحزب لاديمقراطي الكردستاني إقامة علاقات وطيدة مع اولئك الذين سوف يستلمون السلطة بعد عبد الكريم قاسم، ولهذا حاول الحزب البارتي في البداية ان يحث الشيوعيين على التحضير لانقلاب ولكنهم ترددوا، وبحلول شهر كانون الاول عام ١٩٦٢ بدا واضحاً ان القوميين العرب، الناصريين كانوا في وضع افضل.. وبدأ الحزب الديمقراطي الكردستاني في هذه الأثناء بالتفاوض معهم ومن هنا كانت العلاقات قائمة قبل الشروع بالأنقلاب (د. ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث ص ٤٥٩ و٤٧٤).

٣ـ هذا المقال نشرته علي المواقع عن هرمز ملك جكو

" هرمز ملك جكّو... عنوان الشجاعة "

بقلم حبيب تومي / اوسلو

اسم هرمز ملك جكّو، كان في اواسط الستينات على مسرح الثورة الكردية وفي منطقة بهدينان بالذات، اشهر من نار على علم، كانت عشائر المنطقة منها الكردية والإزيدية والعربية تكن لهذا الرجل وافر التقدير والأعجاب والأحترام، ان شجاعته النادرة ومواقفه الجريئة، يتناقلها العدو قبل الصديق، والحكومة العراقية تأخذ احتياطات كبيرة لدى سماعها بوجود هرمز في منطقة ما، وفوق هذا كله فان هرمز ملك جكّو يحتل مكانة محترمة خاصة من قبل قائد الثورة الكردية مصطفى البرزاني وكذلك من قبل قائد منطقة بهدينان حسو ميرخان، ليس لكونه عضواً نشيطاً في الحزب البارتي فحسب، بل لكونه قوة عسكرية ضاربة بيد هذه القيادة.

رجل معتدل القامة، خفيف الحركة، تبدو ملامحه صارمه، وهو يعتز ويهتم بشاربيه المعكوفين عند النهاية، ويشبهان شاربي اغا بطرس البازي وهو كلداني قاد القوات الكلدانية والاشورية في اعقاب الحرب الكونية الاولى. للعود إلى اراضيهم في أورصي وجبال حكاري. يرتدي بدلة {Shala W Shappok} من المرعز بنية اللون، ويعتمر في راسه قبعة مصنوعة من الصوف المضغوط {Kuseetha}. والمعروف عن هرمز انه كان يعمل في كركوك وهو عضو نشيط في نقابة العمال، ويبدو ان معرفته بتوما توماس {ابو جوزيف} تعود الى تلك الأيام، فكان يكنّ له الأعجاب والأحترام، ويأخذ بنصائحه ومشورته في كثير من القضايا العسكرية، من حيث ان توما توماس هو رجل عسكري بالدرجة الأولى.

لقد كان هرمز قائداً لمجموعة من الشباب الأثوريون الشجعان، وكان غلباً ما يستعين برجال من توما توماس، ويقول، ان رجالك ملتزمين لانهم يحملون عقيدة، واحياناً يقومون بعمليات عسكرية مشتركة، ومن المآخذ العسكرية على هرمز انه دائماً يكون في المقدمة عند الهجوم متقدماً بذلك على الجنود، ومن الطبيعي ان يكون القائد في المؤخرة، وهذا ما لاحظته في عدة مناسبات اشتركت معه. وقد بقيت مع هذا الرجل عدة اشهر في منطقة النهلة {Dashta Dnahla} الى الشمال من عقرة، وهي مجموعة قرى مسيحية تنتشر في سهل نهلة الفسيح.

لقد كان هرمز يرسل الرسائل الى العشائر لتزويد الثورة بالمال والتموين، ويشن الهجوم على من يمتنع عن الدفع او يرده بأسلوب غير مهذب، فكان هجومه يأتي بعد ان يأخذ معلومات دقيقة عن المنطقة ثم يبدأ بالهجوم.

الملاحظات التي اخذتها عن هذا الرجل انه يصغي باهتمام الى المقابل ويقبل المناقشة، ولكن وقت تنفيذ العملية لا مجال للمناقشة، ويكون دائماً في المقدمة كما اسلفت، ويقدس السلوك العسكري، ويؤمن ان يكون المقاتل دائماً متهيئاً للقتال في اية لحظة يباغته العدو. كما انه يمقت ان يلبس المقاتل المعطف الشتوي او حتى القمصلة، لانه يري ان الحركة والنشاط يجلبان الدفئ للمقاتل وليس الملابس التي تقيد حركته.

يقال، انه من خصال الرجل التي تنجذب اليها المرأة ويصبح محط اعجابها، ان يكون رجلا شجاعاً اولا وسخياً كريماً ثانياً، لقد كان هرمز يمتاز بهذه الخصال، فإضافة الى شجاعته كان سخياً كريماً، فالذي يقصد هرمز طالباً المساعدة لا يمكن ان يعود خالي الوفاض. نعم كان هرمز معروفً بكرمه الى جانب شجاعته النادرة.

لقد كان هرمز مندفعاً في اقواله وافعاله، وفي بعض الأحيان ينتقد هدوء واعتدال ابو جوزيف ويقول، من لم يكن ذئباً اكلته الذئاب.

في مساء احد الأيام ونحن في قرية سينان وشيخ خدر القريبة من جبل دهوك، طلب هرمز من توما عشرة رجال من غير المتزوجين، وتوجه بهم الى الطريق الذي يربط الموصل بدهوك، والى الشمال قليلا من معسكر فيدي، تصدى مع مجموعته الصغيرة لقافلة عسكرية منزلاً بها خسائر كبيرة، ومنع السير على هذا الطريق طيلة فترة الهجوم، لكنه سمح لسيارة كان فيها امرأة اثورية يقال، انها من جماعة شيبا الآثوري الذي كان يعمل الى جانب القوات الحكومية ضد الأكراد، وتمكنت هذه المراة من اخبار القوات في المعكسر القريب من سمّيل، وكان من بين هذه القوات، قوات من الجيش السوري.

لقد كانت معلومات هرمز ان القوات العسكرية العراقية، لا تغادر معسكرها في الليل ومهما كانت الأسباب، لكن فاته ان القوات السورية لا تلتزم بهذه الأوامر، وهكذا هرعت الى ساحة المعركة مدرعات من هذا المعسكر، وقد انسل قسم من رجاله الى الوادي القريب واستشهد اربعة من رجاله وكان هو يستطيع التسلل الى هذا الوادي لكنه فضل القتال،وهل يجوز لهرمز ملك جكّو ان يعطي ظهره للعدو؟:لا وألف كلا! وعندما انتهى عتاده اخذ سلاح مرافقه وامره بالتسلل الى الوادي وبقي هو يقاوم المدرعة لوحده الى ان استشهد.

كنت في هذه الأثناء مع صديق فوق قمة القوش متوجهين الى المقر، في سينان وشيخ خدر، ولمحنا من القمة الوميض المنبعث في ارض المعركة، وعندما وصلنا الى المقر، ابلغنا ا ن معركة كبيرة جرت الى الشمال من معسكر فيدي، وخرجنا في مفرزة كبيرة لأخلاء الشهداء من ارض المعركة، وفي اليوم التالي كان اعظم خبر تناقلته الأنباء هو استشهاد البطل {هرمز ملك جكّو}.

لقد اتصلت هنا في اوسلو بأصدقاء من الحركة الديمقراطية الاشورية {زوعا}، بأن يتبنوا هذا الرجل الأثوري الأصيل لكنهم مع الأسف لم يعيروا له اي اهتمام، ولا ادري ان كان هذا الأهمال هو امر شخصي من قبل الأعضاء في اوسلو او من قبل الحزب بصورة عامة، وربما كان سبب هذا الأهمال انتمائه الى الحزب البارتي {الحزب الديمقراطي الكردستاني حالياً}، لكن هذا الشخص ومجموعته كانوا يمثلون الآثوريون في هذه الثورة، والدليل بعد استشهاد هرمز حل محله مامي طليا وهو على ما اعتقد من قرية كوري كافانا قرية هرمز ملك جكو وأحد اقاربه ايضاً.

ان مامي طليا كان اكبر عمراً من هرمز وهو اب لأبنة كانت في مقتبل العمر، وكان الشيب يغطي رأسه، وهو مثال للرزانة ودماثة الأخلاق، وكنا لاول وهلة نشك في قدرته وشجاعته، لكنه اثبت كفاءة عالية في الأدارة وشجاعة فائقة في المعارك وكسب ود واحترام الجميع بفترة وجيزة، وقد استشهد ايضاً مع بعض رجاله لكني اجهل المنطقة لأنني في هذه الأثناء كنت

تركت المنطقة الى بغداد.

ورجائي لمن تتوفر لديه معلومات شخصية عن هرمز ان يتفضل بإرسالها حيث اقوم بكتابة بعض المذكرات ومثل هذا الشخص ينبغي ان ينصف حتى لو حاولت زوعا انكاره.

حبيب تومي / اوسلو

٤ـ ولد ادريس البارزاني عام ١٩٤٤ في قرية بارزان من كردستان العراق، عاش في مقتبل حياته في ظل انتفاضة بارزان وجمهورية مهاباد وانتفاضات الشعب الكردي وثورة أيلول. بعد نجاح البارزاني في الوصول الى الأتحاد السوفياتي السابق مع قوات جمهورية مهاباد عام ١٩٤٧ عاش ادريس في المنفى والأقامة الجبرية ١١ عاماً مع عائلته في البصرة ـ بغداد ـ الموصل، وظل هناك حتى عودة قائد الشعب الكردي مصطفى البارزاني بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الى العراق. بعد اعلان ثورة ايلول عام ١٩٦١ اضطر الى ترك الدراسة وحمل السلاح الى جانب الشعب الكردي ومقاتليه البيشمركه. تسلم مسؤولية مواقع ومناصب عسكرية وسياسية هامة منذ اندلاع الثورة.

في عام ١٩٧٠ كان أدريس البارزاني عضواً بارزاً في وفد الحركة الكردية المفاوض والذي انجز اتفاقية ١١ آذار. انتخب في المؤتمر الثامن للحزب الديمقراطي الكردستاني الذي عقد عضواً في اللجنة المركزية للحزب وبعد فترة قصيرة من هذا التاريخ انتخب عضواً في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني وتسلم مسؤولية الأشراف على المكتب العسكري.

في يوم ٣١ كانون الثاني ١٩٨٩ توقف قلبه في ناحية سليفانا ـ وانتقل الى رحمة الله وهو في و زوة شبابه وقمة نشاطه وعطائه محافظة اورمية ـ ايران ((محمد إحسان: كوردستان ودوامة الحرب، انظر حاشية ص ٤٧ ـ ٤٨) دار ئاراس ط٢ اربيل سنة ٢٠٠١م.)).

٥ـ موفق الياس زوما الذي اعدم في ساحة التحرير في الباب الشرقي، كان والده الياس يملك معملاً للثلج في تلكيف وأبنه موفق كان مقاتلاً شيوعياً من جماعة توما توماس في منطقة الشيخان، فسلم موفق نفسه الى السلطات الحكومية بواسطة بواسطة قائمقام قضاء الشيخان بعد وعود قطعها له ممثل الحكومة بأنه لن يصاب بأذى، وبينما هو في بغداد يعمل على إكمال اوراق معاملته للهجرة الى أميركا، قبض عليه مع شاب آخر يدعى رعد حنتوش وأودعا السجن، وتم شنقهما بتهمة التجسس والتآمر مع جماعة عزرا ناجي زخة وهم براء منها.(راجع: يونان هرمز: ايامي في ثورة كردستان ص ١١٠).

إن الشاب موفق الياس كان ضحية النظام الذي كان يضع الأنتقام في مقدمة اجندته، وحينما سلم هذا الشاب نفسه، كان النظام يتحين الفرص للاجهاز عليه وكان تلبيسه تهمة

التجسس ترمي الى ضرب عصفورين بحجر واحد، فمن ناحية الخلاص من واحد من (العصاة) السابقين ومن ناحية أخرى ان الحكومة حريصة على محاربة التجسس في البلاد.

لقد سلم احد اقرباؤنا نفسه الى السلطات، وهو المعلم يوسف جرجيس كريش من القوش، وهو زوج ابنة عمي سلطانة كيكا تومي، وبعد ان سلم نفسه الى السلطات في القوش وأعطي له الشرف العسكري الا يصيبه مكروه، وأعطى له يوم تسليمه مبلغاً مقداره خمسون ديناراً، وحينما سافر الى بغداد استدعي الى الأمن العامة للاجابة على بعض الأسئلة، وفي اليوم الأول قيل له، ان الضابط المسؤول غير موجود، ويمكنه المجئ في اليوم التالي، وحينما جاء في اليوم التالي ودخل الى الأمن العامة والكائنة بالقرب من القصر الأبيض، دخل اليها ولم يخرج منها الى اليوم، وبعد معاناة ومراجعات ماراثونية، سلمت لهم ورقة الوفاة دون ان تسلم لهم الجثة، ودون السماح لزوجته بإقامة مراسيم التعزية، وكان له طفلان صغيران هما فرات ووسام، وهما اليوم مقيمان في الولايات المتحدة مع والدتهما سلطانة كيكا تومي.

* عبد جمعة مناضل من القوش يودعنا بهدوء

بقلم: حبيب تومي / اوسلو

habeebtomi@yahoo.no

عبد حنا جمعة تعرفه سوح النضال ويألفه جبل القوش الأشم، إنه ذلك المناضل الذي كرس حياته للنضال يغمره التفاؤل والأمل لتحقيق أماني شعبه، فتحّمل شظف العيش وقساوة الحياة وركب موجة المخاطر مع اقرانه، وفي كل تلك السنين الطافحة بالتعب والجوع والمؤامرات حرص على ادبه الجم ووده الصادق مع الآخرين وصداقته المحببة مع الصغير والكبير، فكان له قلب كبير يفيض بالنبل والأخلاص غير المحدود لشعبه ووطنه العراقي.

بقي أميناً لمبادئه ولم يشغل نفسه ببورصة المال ومكاسب الحياة، وظل أميناً طوال حياته على النهج الذي اختاره فكان جل همومه تنحصر في تخليص شعبه من براثن الأستبداد والقهر، كان سر ديمومته في هذا الطريق الصعب، نابعاً من اصول تربيته العائلية النقية، فهو من عائلة مناضلة ومن القوش الحبيبة، المدينة الكلدانيـــة العراقيـــة التي عرفت بمواقفها الوطنية، كما ان الأستمرارية في هذا النهج لم تكن يسيرة لولا وقوف الزوجة الوفية المخلصة فضيلة بودا غ الى جانبه.

كانت الحكومة تلجأ الى اساليب القهر والتنكيل بعوائلنا حينما اصبحت هذه الحكومة عاجزة عن النيل من المناضلين، لقد كانت الزوجة الوفية والأم الرؤومة فضيلة تحتضن اطفالها الثلاثة ثائر وثائرة وغادة وكان عمر اكبرهم لا يزيد على ٧ سنوات، ورافقت عوائل القوشية

اخرى هاربات من بطش السلطات الحكومية وتحت جنح الظلام متوجهين نحو قرية بوزان، ومن هنالك الى قرية باعذري حيث كان بعض افراد من عائلة تحسين بك، ورغم التحاقهم مع قوات الجتا الحكومية إلا انهم كانوا يكنون الود والأحترام لتوما توماس وعبد جمعة ولاهالي القوش عموماً، فحافظوا علي العوائل والأطفال وضمنت وصولهم الى قرية بيروزافا، ومن هنالك الى تلسقف، وبعد ايام تمكنوا من الوصول الى مدينة الموصل رغم ملاحقة السلطات الحكومية لهم، فكان وصولهم بفضل المواقف الطيبة لابناء شعبنا وبتعاونهم تمكنوا من الأفلات والوصول الى هذه المدينة ومن هنالك انتقلوا الى بغداد. لقد ضربت تلك العوائل العراقية الألقوشية مثالاً حياً للصبر والتحمل بوجه القهر والتعسف والعدوان.

وإذا تتبعنا حياة المرحوم عبد جمعة فإنه قد تخرج من معهد المعلمين سنة ١٩٥٤ وعمل في التدريس، وفي سنة ١٩٥٩ اعتقل في كركوك لاسباب سياسية لمدة سنتين.

أزعم ان المرحوم عابد جمعة من المحاربين القدماء إن صح القول فقد كنا من الرواد الملتحقين بصفوف الثوار مع الثورة الكردية، وكثير من هؤلاء قد ودعوا هذه الحياة ومنهم المناضلين: توما توماس، الياس الصفار، هرمز شعوكي، رحيم قس يونان، واسكندر بجوري الذي وافاه الأجل في هذه الأيام، وعابد كَردي، وجورج كَردي وبطرس كَردي، وأخوهم الشهيد فؤاد كردي، وكان اول شهيد يسقط في المعركة، وسالم اسطيفانا، وصبري نكارا، والشهيد بطرس هرمز جركو الذي كان مع الشهيد كوريال من تلسقف يوم استشهدوا سوية. وهنالك اسماء اخرى لا تحضرني اسماؤهم، وفي مدار تلك السنين كنا مع او قريبين من اخوتنا الآثوريين العاملين تحت قيادة الأنسان الشجاع هرمز ملك جكو وبعده مع مامي طليا.

كان المرحوم عبد جمعة حريصاً على إبقاء حبل المودة والصداقة مع الجميع، فكان بهدوئه وأناته وقوة حجته يعمل على اقناع الآخر مستفيداً من سمو ثقافته وتجاربه في الحياة، إضافة الى ما كان يتسم به في عناوين التواضع ودماثة الأخلاق والشجاعة، فكان يحظى بثقة واحترام الجميع.

عابد حنا جمعة كان يحمل ثقافة عالية وله أسلوب إقناع منقطع النظير، وهو محاور سلس حاضر البديهية، ولا يجابهك بكلمة لا، إنما يعوض عنها بلباقة بكلمة (نعم.. ولكن) وله نفس طويل في تقبل الآخر مهما كان على الضد منه، لكنه في كل الأحوال لا يفرط بالمبادئ ولا يساوم عليها مهما كان الثمن، فكان له شخصية محبوبة ومحل تقدير واحترام من قبل الجميع، ومع هذه المعطيات عن هذه الشخصية الألقوشية المثقفة قلما تجد إنساناً يحمل الحقد عليه حتى لو كان علي خلاف مبدأي معه، فانفتاحه ورحابة صدره وصراحته الشفافة ومصداقيته يكسب ود وثقة محاوره.

رحم الله صديقنا العزيز عبد جمعة وأسكنه نعيم ملكوته السماوي، وباسم أسرة نادي بابل الكلداني في النرويج نقدم مواساتنا وتعازينا القلبية، لولده ثائر والعائلة الكريمة ولاخوانه نجيب وجميل وعمانوئيل (مانو) واخواته نعيمة والماسير بولين في العراق والسويد والى كل كل آل جمعة المحترمين.

د. حبيب تومي / اوسلو

٦ ـ اوراق توما توماس (الحلقة ١١) عن موقع الناس ومواقع اخري.

٧ ـ فائدة

في هذا الفصل كانت فائدة من الأخوة:

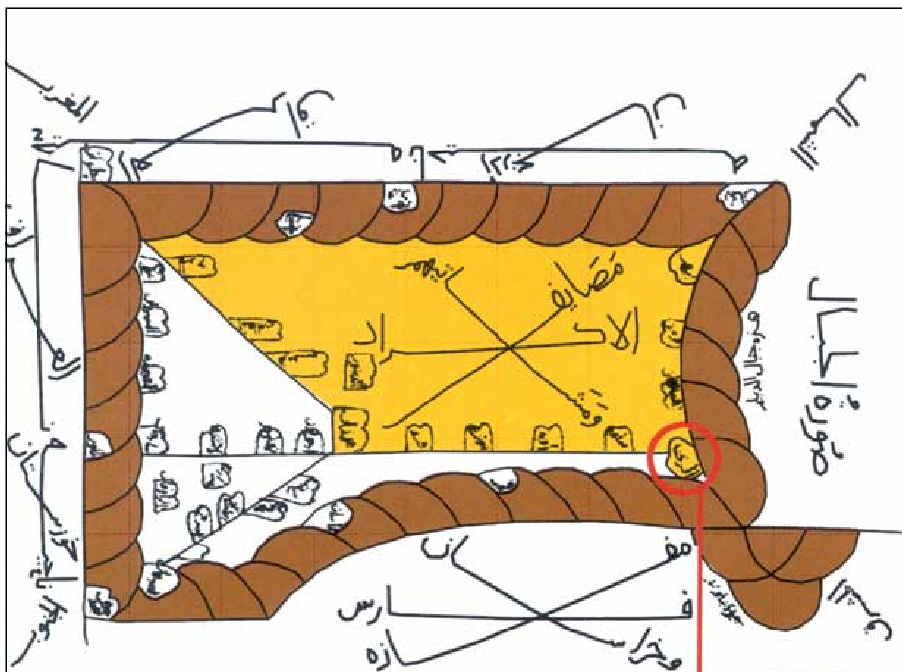
ـ صباح ياقو توماس

ـ كوريال بلّو

ـ عبد جبرائيل رزوقي

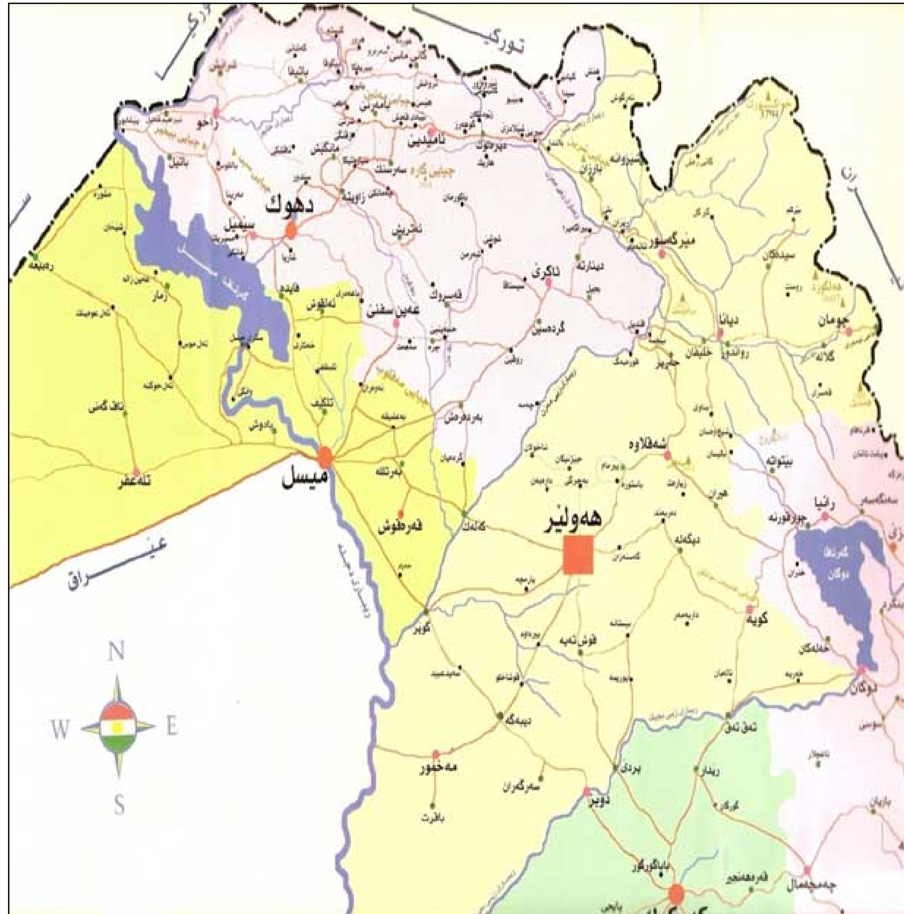
ـ سعيد موقا

بعض الخرائط



الخارطة رقم {١}

الأكراد مصائفهم ومشاتيهم كما صورها ابن حوقل النصيبي من كتاب صورة الأرض، وقد اقتبستها من كتاب الدكتور محمد بهجت قبيسي من كتابه حضارة واحدة ام حضارات، ص ١٤٢ دار شمال، دمشق سنة ٢٠٠٦م.



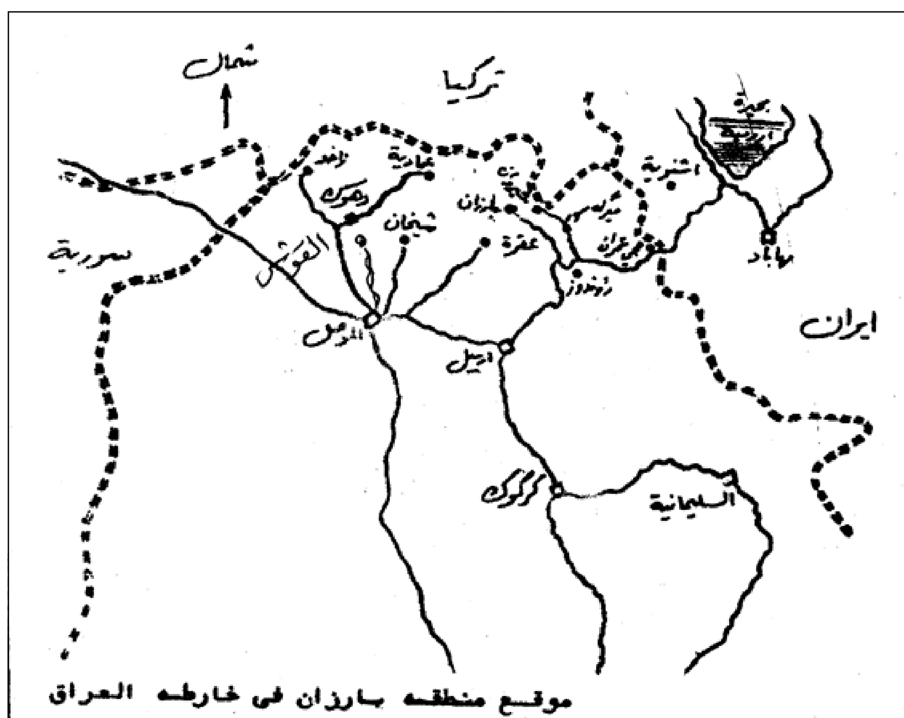
الخارطة رقم {٢}

القسم الغربي من اقليم كردستان العراق



خارطة رقم {٣}

القسم الشرقي من خارطة اقليم كردستان العراق



خارطة رقم {٤}

موقع منطقة بارزان

مصادر الكتاب

١ ـ مسعود البارزاني

"البارزاني والحركة التحررية الكردية " الجزء الأول، دار كاوا للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت سنة ١٩٩٧م.

٢ ـ مسعود البارزاني

"البارزاني والحركة التحررية الكردية " الجزء الثاني، دار كاوا للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، بيروت سنة ١٩٩٧م.

٣ ـ الدكتور عثمان علي

"دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ١٨٣٣ ـ ١٩٤٦ دراسة تاريخية وثائقية " تقديم الأستاذ الدكتور محمد هماوندي، طبع ونشر مكتب التفسير، ٢٠٠٣ أربيل.

٤ ـ وليام أيغلتن الأبن

"جمهورية مهاباد الكردية " ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله المحامي. دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٢م.

٥ ـ جراهام فولر

"دراسات عالمية، العراق في العقد المقبل، هل سيقوي البقاء حتي عام ٢٠٠٢؟ "

مركز الأمارات للدراسات والبحوث الأستراتيجية.

٦ ـ د. عبد الرحمن قاسملو

"كردستان أيران" ترجمة غزال يشيل أوغلو، دار الشموس للدراسات والنشر والتوزيع. دمشق سنة ١٩٩٩م.

٧ ـ ديفيد أدامسن وجرجيس فتح الله

"الحرب الكردية وانشقاق ١٩٦٤ م " ستوكهولم ١٩٩٠م.

٨ ـ حنا بطاطو

"العراق الطبقات الأجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتي قيام الجمهورية "

الكتاب الأول، ترجمة عفيف الرزاز. مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة العربية الأولي بيروت ١٩٩٠م.

٩ ـ يوحنّا قمبير

"نيتشة نبي المتفوق. دار المشرق، بيروت ١٩٨٦م.

١٠ ـ محمود الدّرة

"القضية الكردية.. والقومية العربية في معركة العراق " منشورات دار الطليعة بيروت. سنة ١٩٦٣م.

١١ ـ دبليو. أي. ويكَرام (دكتور في اللاهوت) وأدكار. تي. أي. ويكَرام (مؤلف كتاب شمال اسبانيا)

"مهد البشرية الحياة في شرق كوردستان " نقله الى العربية جرجيس فتح الله المحامي. دار الزمان بغداد سنة ١٩٧١م.

١٢ ـ هادي حسن عليوي

"الأحزاب السياسية في العراق السرية والعلنية " بيروت ٢٠٠١م.

١٣ ـ الدكتور خليل جندي

"حركة التحرر الوطني الكردستاني في كردستان الجنوبي ١٩٣٩ ـ ١٩٦٨ م " الطبعة الأولي ستوكهولم ١٩٩٤م.

١٤ ـ رينيه موريس

"كردستان او الموت " مع الكرد في حرب من أجل البقاء ـ البارزاني الزعيم الأسطوري لشعب يأبي الأستكانة والخضوع ز هناك مؤامرةصمت غريبة حول هذه الدراما. ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله المحامي، دراسة وتحليل جواد ملا، مطبوعات كردلوجيا. لندن ١٩٨٦م.

١٥ ـ جرجيس فتح الله المحامي

"العراق في عهد قاسم آراء وخواطر ١٩٥٨ ـ ١٩٨٨ " الجزء الثاني، دار نبز للطباعة والنشر السويد ١٩٨٩م.

١٦ ـ يونان هرمز

"أيامي في ثورة كردستان " الطبعة الأولي، ديترويت الولايات المتحدة ١٩٩٩م.

١٧ ـ أيوب بارزاني

"المقاومة الكردية للأحتلال ١٩١٤ ـ ١٩٥٨" دار نشر حقائق المشرق، فرنسا ٢٠٠٢م.
١٨ ـ نينوس نيراري
" آغا بطرس سنحاريب القرن العشرين " ترجمة فاضل بولا: سان دياغو ١٩٩٦.
١٩ ـ يوسف ملك خوشابا
"حقيقة الأحداث الآثورية المعاصرة " بغداد سنة ٢٠٠٠م.
٢٠ ـ سي. جي. أدموندز
" كرد وترك وعرب " سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال الشرقي من العراق ١٩١٩ ـ ١٩٢٥ م ز ترجمة جرجيس فتح الله. بغداد ١٩٧١م.
٢١ ـ الدكتور فاضل البراك
"مصطفى البارزاني الأسطورة والحقيقة " دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩م.
٢٢ ـ كنعان مكيّة
"القسوة والصمت الحرب والطغيان والأنتفاضة في العالم العربي " منشورات الجمل، المانيا ٢٠٠٥م.
٢٣ ـ صموئيل هنتنغتون
"صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي " نقله الى العربية: د. مالك عبيد أبو شهيوة، د. محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية، بنغازي، ١٩٩٩م.
٢٤ ـ أدي شير رئيس اساقفة سعرد الكلداني
"كتاب الألفاظ الفارسية المعربة " ط ١ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨م.
٢٥ ـ ويليام إيغلتون
"القبائل الكوردية " ترجمة الدكتور أحمد محمود خليل، مطبعة وزارة التربية، اربيل ٢٠٠٦م.
٢٦ ـ آزاد ديركي
"المدن الكردية، رابطة كاوا للثقافة الكردية: لبنان بيروت.
٢٧ ـ الدكتور منذر الفضل
"دراسات حول القضية الكردية ومستقبل العراق " دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٤م.

٢٨ ـ اسماعيل بيشيكجي

"كردستان مستعمرة دولية " ترجمة زهير عبدالملك، السويد سنة ١٩٩٨م.

٢٩ ـ اوريل دان

"العراق في عهد قاسم، تاريخ سياسي ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣م. الجزء الأول، نقله الى العربية وعلق حواشه جرجيس فتح الله المحامي، دار نبز للطباعة والنشر، السويد ١٩٨٩م.

٣٠ ـ موسي السيد علي

"القضية الكردية في العراق من الأستنزاف الى تهديد الجغرافيا السياسية " مركز الأمارات للدراسات والبحوث الأستراتيجية، ابو ظبي ٢٠٠١

٣١ ـ حنا بطاطو

"العراق، الكتاب الثالث،الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار " ترجمة عفيف الرزاز، المكتبة الوطنية الأيرانية،قم، الطبعة الأولي ٢٠٠٦م.

٣٢ ـ د. عبد الوهاب حميد رشيد

"العراق المعاصر" دار المدي للطباعة والنشر، دمشق ٢٠٠٢م.

٣٣ ـ سلام عبود

"ثقافة العنف في العراق " منشورات الجمل، ط١ كولونيا، المانيا ٢٠٠٢م.

٣٤ ـ الدكتورة عصمت السعيد

"نوري السعيد رجل الدولة والأنسان " الناشر مبرة عصام السعيد ـ لندن ١٩٩٢م.

٣٥ ـ جواد ملا

"كردستان والكرد وطن مقسم وأمة بلا هوية " تقديم د. جمال نبز، دار الحكمة، ط ٢، لندن سنة ٢٠٠٠م.

٣٦ ـ مسعود البارزاني

"البارزاني والحركة التحررية الكردية " الجزء الثالث، ثورة أيلول ١٩٦١ ـ ١٩٧٥ مع ملحق وثائقي. أربيل ٢٠٠٢م.

٣٧ ـم. س. لازاريف وآخرون

"تاريخ كوردستان" المؤلفون الذين شاركوا في وضع الكتاب:م. ا. حسرتيان، شاكرو محوي، ي. ي. فاسيليفا، أولغا جيغالينا. ترجمة عن الروسية الكتور عبدي حاجي، سبيرز ٢٠٠٦م.

٣٨ ـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
"مقدمة ابن خلدون " دار الشعب، القاهرة، طبعة معتمدة علي الطبعة التي اصدرتها، لجنة البيان العربي، تحقيق د.علي عبدالواحد وافي.
٣٩ ـ الدكتور عبد الفتاح علي يحي البوتاني
"وثائق عن الحركة القومية الكوردية التحررية، ملاحظات تاريخية ودراسات اولية " مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، أربيل ط١ سنة ٢٠٠١م.
٤٠ ـ صلاح بدر الدين
"القضية الكردية والنظام العالمي الجديد " رابطة كاوا للثقافة الكردية، بيروت ط١ سنة ١٩٩٣م.
٤١ ـ عزيز سباهي
"عقود من تاريخ الحزب الشيوعي العراقي " ج٢ منشورات الثقافة الجديدة ط١ دمشق ٢٠٠٣م.
٤٢ ـ حبيب تومي
"القوش دراسة انثروبولوجية اجتماعية ثقافية " مطبعة الديوان بغداد سنة ٢٠٠٣
٤٣ ـ سعد الدين ابراهيم
"الملل والنحل والأعراق هموم الأقليات في الوطن العربي " مركز ابن خلدون للدراسات الأنمائية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤م.
٤٤ ـ عبد الفتاح علي البوتاني
"الحركة القومية الكوردية التحررية، دراسات ووثائق" تقديم الأستاذ الدكتور خليل علي مراد، دار سبيريز للطباعة والنشر، ٢٠٠٤ دهوك، العراق.
٤٥ ـ محمد البريفكاني
"حقائق تاريخية عن القضية البارزانية " مطبعة شركة الطبع والنشر الأهلية بغداد ١٩٥٣، النسخة التي نشرتها جريدة الجبل والتي تنشر كتاب الشهر بصورة دورية.
٤٦ ـ علي تتر نيروه يي
"ظهور وازدهار الحياة الحزبية والجمعيات والمنظمات السياسية في كردستان ودور الشيخ عبد السلام البارزاني فيها " مؤتمر الذكري المئوية لميلاد البارزاني الخالد: الجزء الأول وهو من اعداد وإشراف ممتاز حيدري / د. كوردستان موكرباني، د. دلير اسماعيل حقي

شاويس. اربيل ٢٠٠٣م.
٤٧ ـ مؤتمر الذكري المئوية لميلاد البارزاني الخالد ج١ مقال بقلم: الباحث فائق ابو زيد سليم عقراوي " بيان المعاني في سيرة الشيخ عبد السلام البارزاني " ص ١٢٠
٤٨ ـ دكتور عثمان علي
"حركة الشيخ عبد السلام البارزاني دراسة وثائقية في الأسباب المحلية والأقليمية " مؤتمر الذكري المئوية لميلاد البارزاني الخالد ج,١
٤٩ ـ جرجيس فتح الله
"يقظة الكُرد تاريخ سياسي ١٩٠٠ ـ ١٩٢٥ دار ئاراس، اربيل ٢٠٠٢م.
٥٠ ـ عبد الرقيب يوسف
"الشيخ عبد السلام البارزاني في الوثائق العثمانية " مؤتمر الذكري المئوية لميلاد البارزاني الخالد.
٥١ ـ عزيز حسن البارزاني
"الحركة القومية الكوردية التحررية في كوردستان العراق ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك سنة ٢٠٠٢م.
٥٢ ـ ديفيد مكدول
"تاريخ الأكراد الحديث " ترجمة راج آل محمد، دار الفارابي، بيروت، لبنان سنة ٢٠٠٤م.
٥٣ـ د. كونتر دشنر
"أحفاد صلاح الدين الأيوبي، الكورد: الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر " ترجمة عبد السلام بروراي، ط٢ مطبعة خابات، دهوك سنة ٢٠٠٠م.
٥٤ـ سووره مه ركَه يي
"البارزاني والأعداء" مؤتمر الذكري المثوية لميلاد البارزاني الخالد ج٢ إعداد وأشراف ممتاز حيدري، د. كوردستان موكرباني، د. دلير اسماعيل حقي شاويس هولير كوردستان ٢٠٠٣م.
٥٥ـ د. عبد الفتاح علي بوتاني
"الملامح الأساسية لشخصية مصطفى البارزاني القيادية والأنسانية " مطبعة خه بات، دهوك ١٩٩٦م.
٥٦ـ اعداد نزار أغري

"آراء عربية حول القضية الكردية. سنة ١٩٩٣ دمشق، منشورات الأتحاد الوطني الكردستاني.

٥٧- جون كولي

"التحالف ضد بابل " ترجمة: ناصر عفيفي، مكتبة الشروق الدولية، ط ١ سنة ٢٠٠٦ القاهرة.

٥٨ ـ إعداد الدكتور زهير عبد الملك

"الاكراد وبلادهم كردستان بين سؤال وجواب " السويد ١٩٩٩

٥٩ ـ مجموعة ابحاث وانطباعات للمؤلفين الكورد والروس

"البارزاني وشهادة التاريخ " ترجمها عن الروسية، بافي نازي ـ دكتور عبدي حاجي. الدار العربية للموسوعات،بيروت ٢٠٠٦م. من الكتاب مقال تحت عنوان: البارزاني ونضال الأكراد الجنوبيين، بقلم الدكتور دينيس كوماروف ص١٩ وما بعدها.

٦٠ ـ باسيل نيكيتين

"الكرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية " تقديم لويس ماسينيون، نقله الى العربية وعلق عليه الدكتور نوري طالباني، دار ئاراس للطباعة والنشر. اربيل ٢٠٠٤م.

٦١- يوري نابييف

"مصطفى البارزاني".

٦٢ ـ خوشافي بابكر، ممثل حكومة أقليم كردستان في روسيا

"الي القارئ الروسي ".

٦٣ ـ بافي نازي

"المسافة والمراحل وحكم التاريخ ".

٦٤ ـ الجنرال بافل سوبوبالتوف

"العمليات السرية للويبانكا والكرملن في أعوام ١٩٣٠ ـ ١٩٥٠ م ".

٦٥ ـ الدكتور دينيس كوماروف

"البارزاني ونضال الأكراد الجنوبيين ".

٦٦ ـم. س. لازاريف

"مصطفى البارزاني بمناسبة الذكرة المئوية لميلاده ".

٦٧ ـ ا. ف. كيسيليوف

"الكبير يري من بعيد ".
٦٨ ـ سيامند البنا
"ذكري الأجيال ".
٦٩ ـ من حديث المخرجين السينمائيين الوثائقيين نياز لاهيجاني وطاهر هوراماني، مع الطبيب الأمريكي المعالج للبارزاني في أميركا.
" كنا نسميه الجنرال بارازاني ".
٧٠ ـ أريان
"من مهاباد الى ضفاف آراس".
٧١ ـ شاكرو محوي
"الأسم الذي أصبح رمز لنضال الشعب ".
٧٢ ـ جيم هوغلاند
"المعركة القادمة في العراق " جريدة الشرق الأوسط اللندنية في ١٠ / ٧ / ٢٠٠٧م.
٧٢ـ من اوراق توما توماس الحلقة السادسة عن موقع الناس.
٧٣ ـ الدكتور فرست مرعي
"بارزان وأنحائها في المصادر السريانية ٢ـ٢ " دراسة تحليلية، المواقع الألكترونية.
٧٤ ـ مصطفى عثمان اسماعيل
"القبيلة وآلية تحقيق السلام الأجتماعي " جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ٤ / ٨ / ٢٠٠٧م.
٧٥ ـ دار المشرق " المنجد في اللغة العربية المعاصرة " الطبعة الثانية بيروت ٢٠٠١م.
٧٦ ـ الياس حنا
"الردع بين اسرائيل والعرب.. من يربح السباق؟ " جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٧م.
٧٧ ـ خالد القشطيني
" التنكيت الذاتي " جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ١٧ / ٢ / ٢٠٠٨م.
٧٨ ـ رشيد الخيون
"البعث.. ألا ان الأعتذار شفاءُ " جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ٢٣ / ١ / ٢٠٠٨م.

٧٩ ـ السيد ولد أباه

"التجزئة القومية حلاً؟ " جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ٨ / ٣ / ٢٠٠٨م.

٨٠ ـ مذكرات توما توماس

الأعداد ٣ و ٤، وقد نشرت هذه المذكرات في المواقع الألكترونية كموقع الناس وعنكاوا وتلسقف وغيرها.

٨١ ـ الأستاذ طلال آل طلال

"شاهد عيان علي قصة سقوط طائرة الرئيس عبد السلام محمد عارف " علي موقع الموسم الألكتروني.

٨٢ ـ الكاتب عدنان حسين

"لا تأخذوا العراق الى محرقة جديدة " مقال في صوت العراق بتاريخ ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٨

٨٣ ـ حازم صاغية

"صورة الأكراد ونموذجهم في الوعي السائد للعروبة " جريدة الحياة بتاريخ ١٧ آذار ١٩٩١ وقد نشر هذا المقال في ص ٤٧ من كراس تحت عنوان آراء عربية حول القضية الكردية وهو من منشورات مكتب إعلام دمشق للاتحاد الوطني الكوردستاني. سنة ١٩٩٣م.

٨٤ ـ سمير عطا الله

"دولة الأذاعة " جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ١٨ / ١١ / ٢٠٠٨

٨٥ ـ توما شماني

عضو اتحاد المؤرخين العرب " شخبطة علي الحائط، شط العرب مات كمداً كما مات الهور كمداً، وكان شريان العراق الحي ثم انتهي الى ابد الآبدين " موقع عنكاوا .

٨٦ ـ أياد ابو شقرا

"تصفية قضية فلسطين لصالح المواجهة بين »دار الإسلام« و»دار الحرب<<، جريدة الشرق الأوسط اللندنية بتاريخ ١٢ / ٠١ / ٢٠٠٩م.

٨٧ ـ خليل برواري

"رجل وقضية " مطبعة خاني، دهوك، سنة ٢٠٠٨م.

٨٨ ـ اوراق المرحوم الياس الصفار.

٨٩ ـ صديق الدملوجي

"إمارة بهدينان، إمارة العمادية " مطبعة الأتحاد الجديدة، الموصل سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢م.
٩٠ ـ محمد إحسان
"كوردستان ودوامة الحرب " دار ئاراس للطباعة والنشر، ط٢ اربيل ٢٠٠١
٩١ ـ محمد سليمان حسن
"دراسات في الفلسفة الأوروبية " كارل ياسبرز: مقولات الوجود الإنساني، منشورات دار علاء الدين، دمشق عام ١٩٩٨م.

فائدة

- عابد جبرائيل
- صباح توماس
- كوريال بلو
- سعيد موقا
- حميد برنو

تقديم للكتاب بللغة الأنكليزية بقلم الأستاذ الشيخ طاهر شوشي

Mulla Mustafa Barzani
Leader of His Age

This book is one of the comprehensive and valuable historical books that offer a biography of an experienced, courageous and patient leader descended from an old respectable religious Kurdish family and led sustained and continuous national struggle in defense of his Kurdish people's cause and spreading democracy, peace and love all over Iraq.

This book focuses on the historical events in the Middle-East, in general, and in Kurdistan, in particular, during the last periods of the Ottoman era, and the emergence of the spirit of national liberation and calls for achieving democracy and equality for the people.

It also deals with the emergence of the patriotic and social conflicts in many parts of the world after the First World War and the aggravation of the political, intellectual and social conflicts between the socialist and capitalist camps, and afterwards the breaking out of the Second World War in 1940s and its results on the humanity.

Moreover, this book touches upon the battles and the armed struggle of the Kurdish people since the revolution led by Sheikh Ubaidullah al-Nahri in 1880s that followed by the successive revolutions calling for freedom and equality all over Kurdistan and how the colonial forces supported the dictatorial and reactionary governments in the region in their attempts to repress those revolutions and uprisings with the aim of usurping the destiny and heritage of the Kurdish people and the other peoples of the region.

This book presents, in detail, the biography of Leader Mustafa Barzani, focusing on his laudable qualities and glorious deeds, as well as his life, which was full of heroic acts and political and social experience .It also gives an account of the lives of many members of Barzani's family, such as the Late Sheik Abdulsalam and his brother the Late Sheik Ahmad, as well as his son the Late Idris Barzani, in addition to many other members of his tribe and faithful leaders from amongst the sons of his Kurdish people.

Mr .Tomi's book narrates the story of the sustained struggle which took 50 years of this great leader's age and describes important aspects of his life such as his exposure to prison, exile and homelessness as well as his actual participation in

the battles and leading the Peshmerga in the continuous revolts, especially September revolution, which is considered the biggest, longest and greatest revolution in the history of the struggle led by the Kurds who sacrificed the best of their faithful sons in order to achieve its goals.

This book gives us crystal clear examples about Barzani's revolution _ revolution of sentiment and sacrifice for the sake of the Kurdish people _ in all stages of the history of the struggle, whether in the battle fields or in the times of the negotiations held with the successive Iraqi governments.

This book tells us how Mulla Mustafa Barzani and his comrades succeeded in liberating Kurdistan masses from the habits and leftovers of the dark past and spreading the spirit of brotherhood, love and tolerance and planting the seeds of national and patriotic affiliation in the souls of all the citizens .Based on this principle, the national, social and religious concepts were consolidated amongst the sons of all ethnic groups in Kurdistan .Thus, the concept, "the Homeland is for All" became one of the most prevailing concepts in Kurdistan.

This book consists of seventeen chapters full of epics, splendid real historical events and facts combined with historical documents taken from reliable and respectable sources.

Finally, I want to take this opportunity to thank and congratulate the author of this book, Habeeb Yousif Tomi, for demonstrating objectivity and impartiality in the way the book was written .Thousand thanks to him and to all the historians who follow his example .I wish him success.

Sheikh Tahir Shushi

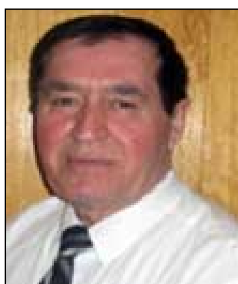
Erbil, 24 April 2011

ورقة المؤلف

حبيب يوسف صادق تومي

habeebtomi@yahoo.no
tomihabib@hotmail.com

مواليد القوش سنة ١٩٤٣



من عائلة القوشية كلدانية فقيرة، أنهي المؤلف الدراسة الأبتدائية والمتوسطة في القوش، ولإكمال الدراسة الثانوية انتقل الى بغداد لكنه انقطع عن الدراسة لمدة خمس سنوات بسبب انخراطه في قوات البيشمركة من اوائل ١٩٦٣ الى اوائل عام ١٩٦٨م.

انهي الدراسة الثانوية الفرع العلمي في بغداد، الثانوية الجعفرية المسائية سنة ١٩٦٩.

انهي الدراسة الجامعية في الأتحاد السوفياتي السابق، هندسة بحرية.

في سنة ١٩٨٢ اشترك في دورة دراسية فنية لمدة ثلاثة اشهر في فرنسا حول الثروة السمكية والصيد التجاري في اعالي البحار.

بعد سنين الدراسة عمل بوظيفة حكومية بعنوان مهندس بحري وكان عمله علي ظهور البواخر العراقية وفي عام ١٩٨٦ استقال من الوظيفة. وعمل في اعمال حرة.

في سنة ٢٠٠٠ هاجر الى النرويج مع عائلته، وهو مقيم في هذه البلاد الى اليوم.

الكتابات

ـ كتب بحثاً عن الثروة السمكية وعن الصيد التجاري في اعالي البحار، وبقي البحث مخطوطة لم تجد طريقها الى الطبع.

ـ كتب بحثاً عن المرور، تحت عنوان فن السياقة، ولم يجد البحث طريقه للطبع بسبب بعض المعوقات الأدارية في حينها.

ـ كتاب مطبوع تحت عنوان " القوش دراسة انثروبولوجية اجتماعية ثقافية " يقع في ٤٠٠ صفحة وطبع في بغداد سنة ٢٠٠٣ بمطبعة الديوان.

ـ كتاب مطبوع تحت عنوان " الألفاظ المحكية المشتركة " بين اللغات العربية والكردية والفارسية

والتركية والعبرية والارامية واتخاذ كلدانية القوش المحكية نموذجا لها. طبع الكتاب في دار ئاراس للطباعة والنشر في اربيل عام ٢٠١١م.

ـ كتاب معد للطبع تحت عنوان " ملا مصطفى البارزاني قائد من هذا العصر "

ـ مقالات تراثية منشورة في النشرات الثقافية لنادي بابل الكلداني في بغداد.

ـ إلقاء عدداً من المحاضرات في جمعية آشور بانيبال الثقافية، ونادي بابل الكلداني وملتقى الحكمة في كنيسة ماركيوركيس في بغداد.

ـ مقال بعنوان " ابونا ابراهيم.. لمذا هاجر من أور؟ " نشرت في العدد الخاص ١٠٣ ـ ١٠٤ سنة ١٩٨٨ في مجلة بين النهرين ومقالات اخري في نفس هذه المجلة. مع عدد من المقالات السياسية نشرت في جريدة المؤتمر الصادرة في لندن قبل سقوط النظام في نيسان ٢٠٠٣م. ومقالات اخري ترجمت الى اللغة الكردية ونشرت في جريدة خابات مع مقالات مختلفة نشرت في مجلات وجرائد في الولايات المتحدة والعراق.

ـ مسرحية باللغة الكلدانية بعنوان " الخمار " اخرجها المخرج هيثم ابونا وعرضت في بغداد وألقوش وباطنايا وحققت نجاحاً كبيراً.

ـ مئات المقالات السياسية والأجتماعية والثقافية والتاريخية في مختلف المواقع الألكترونية.

ـ إقامة بعض الندوات ومقابلات مع الفضائيات منها فضائية عشتار وفضائية كوردستان وسوريو تيفي وسوريويو سات وتلفزيون Mtv. في اميركا.

ـ سنة ٢٠٠٩ انتخب ليكون رئيس الأتحاد العالمي للكتاب والأدباء الكلدان.

ـ سنة ٢٠١٠ منح لقب سفير السلام من قبل منظمة السلام العالمي.

ـ بتاريخ ١٢ / ٠٨ / ٢٠١٢ منح شهادة دكتوراه فلسفة في العلوم السياسية من قبل الجامعة العربية المفتوحة لشمال امريكا وكندا " شؤون الدراسات العليا " عن اطروحته الموسومة: " البارزانيون ودورهم السياسي في المسألة الكوردية ".